تاريخ الطبري

تاريخ الرسل والملوك

الجزء الأول

دار المعارف





ذخائر العرب

٣٠

تاريخ الطبري

تاريخ الرسل والملوك

لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري

٢٢٤ – ٣١٠ هـ

الجزء الأول

تحقيق

محمد أبو الفضل إبراهيم

الطبعة السادسة



دار المعارف

الناشر : دار المعارف — ١١١٩ كورنيش النيل — القاهرة ج. م. ع.

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الطبعة الثانية

تظهر الطبعة الثالثة للجزء الأول من هذا الكتاب ، ويتلوه بقية الأجزاء ؛ متميزة بكثير من الاستدراك والتصحيح ، موشّاة بمزيد من الشرح والتعليق ، بعد أن فرغ العمل من تحقيق جميعه وعمل فهارسه . وبعد أن أوشك أن يشغل مكانه فى المكتبة العربية كاملاً إن شاء الله .

ويقع تاريخ الطبرىّ من هذه الطبعة وسابقتها فى عشرة أجزاء بينة المعالم ، واضحة الحدود ، وألحقت الفهارس العامة بالجزء العاشر والأخير منها ؛ أما ذيول الكتاب فستكون بعد الجزء العاشر ؛ كلّ منها مستقلّ بأرقام صحفه وفهارسه .

وقد سبق لى أن فصّلت فى مقدمة الطبعة الأولى فى هذا الجزء، وفى البيانات التى صدّرت بها الأجزاء التالية له ، الجهود العلمية التى بذلت فى تحقيقه ، ووصفت النسخ التى حصلت عليها ورجعت إليها من مكتبات القاهرة وإستانبول ؛ مما لم يقع لمصححى الطبعة الأوربية ، التى اتخذتها أصلا للتحقيق ، عدا ما رجعت إليه من كتب التاريخ والسِّيَر والتراجم والمعاجم ودواوين الشعر ؛ ومن كل هذا ، أكملتُ النقص ، وأصلحت الخطأ ، وأوضحت الغامض والمبهم ، ورددت كلاًّ من المحرّف والمصحّف إلى أصله ، وزدتُ فى الشرح والتعليق ؛ مما يدخل فى المحض اللباب ، ويبتعد عن الحشو والتطويل والفضول ، كما زدت أنواعاً من الفهارس ، وأوضحت المصادر والمراجع ؛ مما أرجو أن تكون به هذه الطبعة أدنى إلى الكمال ، وأيسر للنفع والإفادة إن شاء الله .

هذا ، ويدلّ ما يلقاه هذا الكتاب من القبول والرّضا عند العلماء والمحققين ، وما يقابل به من البشاشة والاطمئنان لدى الباحثين والدارسين ، على مكانته فى الآداب العربية ، ومنزلة مؤلفه الثبت الجليل بين مؤرخى الإسلام ؛ لما اشتمل

عليه من الحقائق التاريخية الصادقة ، والمعارف المنخولة المصفاة . والنصوص الأدبية الجميلة ، وما امتاز به من الأسلوب الجزل ، والبيان المشرق الرائع ، مع العرض المتّسق والأداء المحكم .

فجزى الله مؤلفه أطيب الجزاء : كِفاءً لما حفظ من تاريخ الإسلام وحمل من أمانة العلم ، وما أخلص به العمل لوجهه الكريم .

ونحمده جل شأنه على تواتر نعمه ، وسابغ فضله وكرمه ، ونسأله دائماً هداية وتوفيقاً .

محمد أبو الفضل إبراهيم

١ من جمادى الثانية سنة ١٣٨٧ هـ
٥ من سبتمبر سنة ١٩٦٧ م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة

١ - محمد بن جرير الطبرى

لم يكد يطلُع القرن الثالث للهجرة حتّى كانت العلوم الإسلامية قد اقتربت من النّضْج وشارفت الكمال؛ فقد وضِعت الأسس الثابتة لمذاهب الفقه، وألّفت الكتب الصّحاح فى الحديث، وجمعت اللغة من أفْوَاه الأعراب، وصُنّفت كتب السيرة والمغازى والفتوح، وتحدّدت معالم الخلاف بين نحاة الكوفة والبصرة، واستوعبت العربيةُ طائفةً من علوم الفرس والهند واليونان، واتّسعت آفاق المعرفة عند العلماء؛ فكان المشتغلُ باللغة والنحو عالماً بالحديث ووجوه التأويل، والمحدّث عارفاً بالتاريخ وصنوف الفِرَق والمذاهب ومراتب الرجال، والشاعر يأخذ بنصيب من اللغة والنحو والتّصريف، والفقيه يحفظ الشعر والمثل، ويروى الحديث والخبر، ويشارك فى صنوف الآداب.

ولم تعُد حلَقات الدّروس، ومجالس العلماء، ومدارسة العلوم وصناعة التأليف موقوفةً على الكوفة والبصرة وبغداد؛ بل امتدّت شرقاً إلى فارس وخُراسان والرّىّ وما وراء النّهر؛ وسارت غرباً إلى الشّام ومصر وبلاد المغرب والأندلس، وأصبحت الحواضر والقرى فى هاتيك البلاد مأهولةً بالفقهاء والقرّاء والرواة والمحدّثين والنظّار، وشيوخ الأدب وأئمة اللغة والنحو، تشدّ إليهمْ الرحال، ويقصِدون من كلّ مكان.

* * *

وفى هذه الحِقْبة من الزمن، بزغَ نجْم المحدّث الفقيه الجامع لأشتات العلوم، أبى جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن كثير الطبرىّ. فَقِهَ العلم صبيًّا وهو دون الإدراك، ورحل فى سبيله يافعاً لم يبلغ مبلغ الرجال، ولقِىَ المثين من الرواة والعلماء، وطالع صنوف الكتب، ولم يلبثْ أنْ أصبح إماماً وصاحبَ مذهب،

أملى اسمه على التاريخ ، وسار ذكره مع الزمان ؛ واقترن علمه بالثقة والاعتبار.

كان مولده بآمل طَبَرِسْتَان ؛ وقد وقع الشكّ فى تاريخ ولادته ، قال بعضهم : ولد آخر سنة أربع وعشرين ومائتين ، وقال بعضهم : أوّل سنة خمس وعشرين . وسأله أبو بكر بن كامل تلميذه ومؤرخ حياته : كيف وقع الشك فى ذلك ؟ فقال : لأنّ أهل بلدنا يؤرّخون بالأحداث دون السنين ؛ فأرّخ مولدى بحدث كان ، واختلف المخبرون ، فقال بعضهم سنة أربع ، وقال آخرون : سنة خمس وعشرين ومائتين[1] .

وتحدّث أبو جعفر عن أمره فى حداثة سنّه فقال : « حفظت القرآن ولى سبع سنين ، وصلّيت بالناس وأنا ابن ثمانى سنين ، وكتبت الحديث وأنا ابن تسع » قال : « ورأى لى أبى فى النوم أنى بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ وكانت معى مخلاةٌ مملوءة حجارةً ، وأنا أرمى بين يديه ، فقال له المعبّر : إنه إن كبر نَصَحَ فى دينه ، وذبّ عن شريعته . فحَرَص أبى على معونتى فى طلب العلم ، وأنا حينئذ صبى صغير »[2] .

وصحّت الرؤيا وصدق التعبير ، وملأ ابن جرير الدنيا فقهاً وعلماً ، وناضل عن السنّة وحارب الابتداع . وكان أبوه ورعاً تقيًّا متصوّناً ؛ إلى يسار يعيش فيه ، وضَيْعة واسعة يملكها بطبَرِستان ؛ وما إن أحسّ من أبى جعفر يقظةً فى فؤاده ، ورجاحة فى عقله ، ونزوعاً إلى العلم ، ورغبة فى لقاء العلماء ؛ حتّى دفعهُ إلى الرّحلة فى سبيل العلم حيث كان ؛ فرحل عن مسقط رأسه آمُل ؛ ولم تبلغ سنُّه الثانية عشرة ؛ وكفاه مئونة العيْش ومعاناة الرزق ؛ فكان يرسل إليه نفقته حيث حلّ ؛ فصانه بذلك عن عطايا الخلفاء واستمناح الملوك والوزراء ؛ وزهّده فى مناصب الدولة ، وأعانه على الانقطاع إلى المدارسة والرواية والتصنيف ؛ بل إنه كان يُجبى إليه نصيبه مما خلّفه أبوه بعد وفاته ؛ وظلّ ذلك الرزق موصولا بحياته إلى أن مات .

وكان أوّل ما رحلَ إلى الرىّ وما جاورها من البلاد ، فأخذ عن شيوخها

---

(١) معجم الأدباء ١٨ : ٤٨ .

(٢) معجم الأدباء ١٨ : ٤٩ .

وأكثر ، ودرَس فقه العراق على أبى مُقاتل ، وكتب عن أحمد بن حمّاد الدولابىّ كتاب « المبتدأ » ، وأخذ مغازىَ ابن إسحاق عن سلَمَة بن الفضل ؛ وعليه بنَى تاريخه فيما بعد . ثم اختصّ بابن حُميد الرازىّ . قال أبو جعفر : «كنا نكتب عند محمد بن حميد الرازىّ فيخرج إلينا فى الليل مرّات ، ويسألنا عمّا كتبناه ويقرؤه علينا ، قال : وكنا نمضى إلى أحمد بن حمّاد الدولابىّ ، وكان فى قرية من قرى الرىّ ، بينها وبين الرىّ قطعة ؛ ثم نعدُو كالمجانين ؛ حتى نصير إلى محمد بن حميد ، فنلحق مجلسه »[1] .

وترامتْ إلى الناس أنباء أحمد بن حَنْبَل ، وتُسومعَ ذكره فى أندية العلم ومجالس العلماء ، فعزم أبو جعفر على الرحلة إليه فى بغداد ؛ ليأخذ عنه ويروى ؛ ولم يكد يصل إليها ؛ حتى علم بوفاته قبل دخوله بقليل ؛ فعدل عن الإقامة فيها ؛ وأخذ طريقه إلى البصرة ؛ فسمع عمّن بقىَ من شيوخها ، كمحمد بن موسى الحرشىّ ، وعِماد بن موسى القزاز ، ومحمد بن عبد الأعلى الصنعانىّ ، وبشر بن معاذ ، ومحمد بن بَشّار المعروف ببُندار .

ثم رحل إلى الكوفة ، فكتب فيها عن هنّاد بن السرىّ وإسماعيل بن موسى الحديث ، وأخذ عن سليمان بن خلاّد الطلحىّ القراءات ، ولقِىَ فيها أبا كُريب محمد ابن العلاء الهمذانىّ ؛ وكان عالمَ عصرِه ، ونسيجَ وحده ؛ إلاّ أنه كان فى خلُقه جفاءٌ وخشونةٌ ؛ قال أبو جعفر : « حضرتُ باب داره مع أصحاب الحديث ، فاطّلع من باب خَوْخة له ، وأصحاب الحديث يلتمِسُون الحديث ويضجّون ، فقال : أيّكم يحفظ ما كُتِب عنى ؟ فالتفت بعضُهم إلى بعض ؛ ثم نظروا إلىّ وقالوا : أنتَ تحفظ ماكتبت عنه ؟ فقلت : نعم . فقالوا : هذا ، فسله ، فقلت : حدثتَنا يوم كذا بكذا ، وفى يوم كذا بكذا » . قال أبو بكر بن كامل : وأخذ أبو كُريب فى مسألته إلى أن عَظُم فى نفسه ، فقال له : ادخل إلىّ ، فدخل إليه ، وعرف قدرَه على حداثته ، ومكّنه من حديثه ، وكان الناس يسمعون منه ؛ فيقال : إنه سمع من أبى كُريب أكثر من مائة ألف حديث[2] .

---

(١) معجم الأدباء ١٨ : ٤٩ ، ٥٠ .

(٢) معجم الأدباء ١٨ : ٥١ ، ٥٢ .

ثم عاد أبو جعفر إلى مدينة السلام ؛ وفى هذه المرّة أخذ فى مدارسة علوم القرآن ؛ وانقطع إلى أحمد بن يوسف التغلبىّ المقرئ زماناً ؛ ثم جنح إلى دراسة فقه الشافعىّ ؛ وكان هناك الحسن بن محمد الصباح وأبو سعيد الإصطخرىّ من أئمة الشافعيّة ، ولم يلبث أن اتّخذه مذهباً ، وأفتى به سنوات .

وكان يقيم بمصر على عصره بقيّة من أصحاب الشافعىّ وحاملى مذهبه : إسماعيل بن إبراهيم المزنى ، والربيع بن سليمان ، ومحمد بن عبد الله بن الحكم وأخوه عبد الرحمن ؛ فدعتْه نفسه إلى اللقاء بهم والرحلة إليهم ؛ وفى طريقه إلى مصر عرّج على أجناد الشام وسواحلها وثغورها ؛ وأطال أيامه فى بيروت على الخصُوص ؛ حيث لقىَ العباس بن الوليد البيروتىّ المقرئ ؛ قضى منها سبع ليالٍ بالمسجد الجامع ؛ حتّى ختم القرآن برواية الشاميين تلاوة عليه ؛ وتابع مسيره إلى الفُسطاط حتّى بلغها فى سنة ثلاث وخمسين ومائتين .

وكان أوّلَ مَنْ لقيهُ بها أبو الحسن السرّاج المصرىّ ؛ وكان أديباً متصرّفاً فى فنون الآداب ، وكلّ من دخل الفسطاط من أهل العلم يتلقّاه ويتعرّض له ؛ فحينما لقى أبا جعفر ، ساءله عن فنون من الفقه والحديث واللغة والنحو والشعر ، فوجَده عالماً فى كلّ ما سأل ، آخذاً من كلّ علم بنصيب وافر ، فسأله عن شعر الطرمّاح ، فإذا هو يحفظه ، فسئل أن يمليَه ويشرح غريبه ؛ فأملاه عند بيت المال بالجامع .

وجاءه أيضاً رجل آخر يسأله فى العروض . . قال أبو جعفر : «ولم أكن نشِطت له من قبل ؛ فقلت له : علىّ قول ألاّ أتكلّم اليوم فى شىء من العروض ، فإذا كان فى غد فصرْ إلىّ ، وطلبت من صديق لى كتاب العروض للخليل بن أحمد ، فنظرت إليه فى ليلتى ؛ فأمسيت غير عروضىّ ، وأصبحت عروضيا »[1] .

وروى الخطيب البغدادىّ قصة طريفة وقعت لابن جرير فى مصر ، قال : جمعت الرّحلة بين محمد بن جرير ، ومحمد بن إسحاق بن خزيمةَ ، ومحمد بن نصر المروزىّ ، ومحمد بن هارون الرُّويانىّ بمصر ، فأرملوا ولم يبق عندهم ما

(١) معجم البلدان ١٨ : ٥٦ .

يقوتهم ؛ وأضرّبهم الجوع ، فاجتمعوا ليلة فى منزل كانوا يأوون إليه ، فاتفق رأيهُم على أن يستهموا ويضربوا القرعة، فمن خرجت عليه سأل لأصحابه الطعام. فخرجت القرعة على محمد بن إسحاق بن خزيمة ، فقال لأصحابه : أمهلونى حتى أتوضأ وأصلىَ صلاة الخيرة . قال : فاندفع فى الصلاة فإذا همْ بالشموع ، وخصىّ من قبَل والى مصر يدقّ الباب ، ففتحوا الباب ، فنزل عن دابته ، فقال : أيكم محمد بن نصر؟ فقيل ؛ هو هذا ، فأخرج صرّة فيها خمسون ديناراً فدفعها إليه ، ثم قال : أيكم محمد بن جرير ؟ فقالوا : هو ذا ، فأخرج صرّة فيها خمسون ديناراً فدفعها إليه، ثم قال: أيكم محمد بن هارون ؟ فقالوا: هو ذا، فأخرج صُرّةً فيها خمسون ديناراً فدفعها إليه ؛ ثم قال: أيكم محمد بن إسحاق بن خزيمة ؟ فقالوا : هو ذا يصلّى، فلما فرغ دفع إليه الصرّة وفيها خمسون ديناراً ، ثم قال : إن الأمير كان قائلاً بالأمس ، فرأى فى المنام خيالاً ، قال : إن المحامد طوَوْا كشحَهم جياعاً ، فأنفذ إليكم هذه الصِّرار ؛ وأقسم عليكم إذا نفدت فابعثوا إلىّ أحدكم (1) .

وطالت أيامُه بمصر سنوات ، ذهب فى أثنائها إلى الشام، ثم عاد فأخذ من فقه الشافعى عن الربيع والمزنى وأبناء عبد الحكم ، ومن فقه مالك عن تلاميذ ابن وهب ؛ وفى مصر أيضاً لقى يونس بن عبد الأعلى الصدفىّ ؛ شيخ الإقراء بها ؛ فأخذ عنه قراءة حمزة وورْش .

ثم عاوده الحنين إلى بغداد ، وأحسّ رغبة فى أن يلقِىَ العصا ويجنح إلى الاستقرار ؛ فعاد إليها بعد رحلة طويلة ؛ روى فيها وكتب وشاهد ؛ وقرأ الكثير ، وصحب أعلام عصره وأخذ عنهم .

وعزم على أن ينقطع للدرس والتأليف ، وأن يمتنع عن كلّ ما يصرفه عنهما . نقل ابن عساكر أنه « لما تقلّد الخاقانىّ الوزارة وجّه إلى أبى جعفر بمال كثير ، فامتنع من قبُوله ، وعرَض عليه القضاء فأبى ، وعرض عليه المظالمَ فامتنع ، فعاتبه أصحابُه وقالوا له : لك فى هذا ثواب ، وتحيى سنّة قد درَست ، وطمعوا فى قبوله المظالم ؛ وباكروه ليركب معهم لقبول ذلك ، فانتهرهم وقال : قد كنت

(1) تاريخ بغداد ٢ : ١٦٤ ، ١٦٥ .

أظنُّ لو رغبتُ ذلك لنهيتمونى عنه . ولامهم »[1] .

ونقل أيضاً « أن بعض أصدقائه قال له : أتنشَطُ لتأديب بعض ولد الوزير أبى الحسن عبيد الله بن يحيى بن خاقان ؟ قال له : نعم ؛ فمضى الرجل وأحكَم له أمرَه ، وعاد إليه فأوصله إلى الوزير بعد أن أعارَه ما يلبسه ؛ فلمَّا رآه عبيدُ الله قرّبه ورفع مجلِسَه ، وأجرى عليه عشرة دنانير فى الشهر ، واشترط عليه أنَّ ذلك لا يعوّقه عن أوقات طلب العلم ومدارسته وأداء الصلاة فى مواعيدها ، والطعام فى وقته ؛ ثم طلب إسلافَه رزق شهر ليصلح به حاله ، ففعل به ذلك ، وأدخله حجرة التأديب ، وخرج إليه الصبىّ ؛ فلما جلس بين يديه كتب ، فأخذ الخادم اللوح ودخل به مستبشراً ، فلم تبق جارية إلا أهدت إليه صينيّة فيها دراهم ودنانير ، فردّ الجميع وقال : قَدْ شُورطت على شىء ، وما هذا لى بحقّ ، وما آخذ غيرَ ما شُورطت عليه . فعرّف الجوارى الوزيرَ بذلك ، فدخل إليه وقال : يا أبا جعفر ، سررتَ أمهات الأولاد فى ولدهنّ فبررنك ، فغممتهنّ بردّك ذلك . فقال له : لا أريد غيرَ ما وافقتنى عليه »[1] .

ثم ابتنى لنفسه داراً برحبة يعقوب فى بغداد ؛ ووزّع فيها نفسه بين العبادة والقراءة والإملاء والتصنيف ؛ وعاش بها ، رضىّ النفس ، مرموق المحلّ ، مهيباً من الخلفاء والولاة ، رفيع المنزلة والمكانة ، إلى أن مات يوم السبت ليومين بقيا من شوال سنة عشر وثلاثمائة ، ودفن يوم الأحد بالغداة ، فى داره . قال الخطيب : « واجتمع على جنازته من لا يحصى عددهم إلا الله ، وصُلِّىَ على قبره عدّة شهور ليلا ونهاراً ، ورثاه خلق كثير من أهل الدين والأدب »[2] .

* * *

وقد جال ابن جرير فى نواحى كل فنّ ؛ وضرب فيها جميعها بسهم ، حتى أصبح إمام عصره غير مدافَع ؛ قال عبد العزيز الطبرى فى شأنه : « كان كالقارئ الذى لا يعرف إلاّ القرآن ، وكالمحدّث الذى لا يعرف إلاّ الحديث ، وكالفقيه الذى لا يعرفُ إلاّ الفقه . وكالنحوىّ الذى لا يعرف إلا النحو ،

(١) تاريخ ابن عساكر ١٨ : ٣٥٦ .

(٢) تاريخ بغداد ٢ : ١٦٦ .

وكالحاسب الذى لا يعرف إلاّ الحساب ؛ وكان عالماً بالعبادات ، جامعاً للعلوم ، وإذا جمعت بين كتبه وكتب غيره وجدت لكتبه فضلا على غيرها »[1].

ولكن كان أكثر ما اشتهر به من هذه العلوم الفقه والتفسير والحديث والقراءات .

أما الفقه فقد درس المذاهب جميعها ، وفقه الشافعيّ على الخصوص ؛ واتّخذه مذهباً له وأفتى به فى بغداد عشر سنين ، ثم أحصى المسائل . واستجلى الغوامض ، وأمعن فى التثقيف والتدقيق ؛ ولم يلبث أن أدّى به البحث والاجتهاد إلى اختيار مذهب انفرد به ؛ وأودعه فى كتبه الفقهية : المطوّلة والمختصرة . وضع كتاباً أسماه « لطيف القول » أداره على ثلاثة وثمانين باباً ؛ جعله خلاصة مذهبه فى أحكام شرائع الإسلام ؛ مما اختاره وجوّده واحتجّ به . وفى كتابه البسيط تحدث عن علماء الأمصار ومراتبهم ؛ وشرح أبواب الفقه بالإسهاب والتفصيل ؛ وفى كتاب « اختلاف الفقهاء » عرض لأقوال العلماء ؛ وهم : مالك ، وأبو حنيفة ، والشافعيّ ، وسفيان الثورى ، والأوزاعيّ ، وأبو يوسف ، ومحمد بن الحسن ، وإبراهيم بن خالد الكلبيّ ؛ وناقش أقوالهم ؛ ووازن بين حججهم وبراهينهم ، واختار الأصوب عنده .

وقد تفقه بمذهبه كثير من العلماء ، وأفرد ابن النديم باباً فى أصحابه ؛ منهم علىّ بن عبد العزيز الدولابى ، وأبو الحسن أحمد بن يحيى بن علىّ بن يحيى المنجم — وله كتاب المدخل إلى مذهب الطبرى ، ونُصرته . وكتاب الإجماع فى الفقه على مذهب أبى جعفر ، وأبو بكر بن كامل — وله كتبٌ على مذهب الطبريّ ، منها كتاب جامع الفقه ، وكتاب الشروط ، وكتاب الوقوف ، ومنهم أبو الفرج المعافى بن زكريا النهروانىّ — وعرف بالجريرى نسبةً إليه — قال ابن النديم : « وهو الذى نشَر مذهبه ، وحفظ كتبه ، وشرح كتابه الخفيف » .

وأما التفسير فإنه قد أفضى بعلمه فيه إلى كتابه الكبير « جامع القرآن فى تفسير القرآن » . قال أبو جعفر : حدثتْنى به نفسى وأنا صبى . وقال :

(١) معجم الأدباء ١٨ : ٦١ . (٢) معجم الأدباء ١٨ : ٦٢ – ٦٥

« استخرتُ الله تعالى فى عمل كتاب التفسير ، وسألتُه العون على ما نويته ثلاث سنين قبل أن أعمله فأعانى » . جعله ثلاثين جزءاً بعدد أجزاء القرآن ، وقدّم له برسالة فى بيان الإعجاز وطرُق القراءات ، وتفسير أسماء السور ؛ ثم تلاها بتأويل القرآن حرفاً حرفاً ، فذكر أقوال الصحابة والتابعين ومن بعدهم من تابعى التابعين ، وكلام أهل الإعراب من الكوفيين والبصرّيين ، وجملاً من القراءات واختلاف القرّاء فيما فيه من المصادر واللغات والجمع والتثنية ، والكلام على ناسخه ومنسوخه وأحكام القرآن والخلاف فيه ، والرّدّ على مَن كان من أهل النظر فيما تكلّم به أهلُ البدع والرّدّ عليهم ؛ على مذاهب أهل الإثبات ومبتغى السنن ، وذكر فيه من كتب التفسير المصنّفة الموثوقة ، عن ابن عباس وسعيد بن جُبير ومجاهد وقتادة والحسن وعكرمة والضحاك بن مزاحم ؛ ولم يتعرّض لتفسير غير موثوق به ، فلم يُدْخِل شيئاً من كتاب محمد بن السائب الكلبىّ ، ولا مقاتل بن سليمان ، ولا محمد بن عمر الواقدى ؛ لأنهم عنده أظنّاء ، ولكن إذا رجع إلى التاريخ والسِّيَر وأخبار العرب حكى عنهم فيما يفتقر إليه ولا يؤخذ إلا منهم [1] .

واشتهر هذا التفسير وطار ذكره فى الآفاق ؛ حتى روى عن أبى حامد الإسفرايينىّ الفقيه أنه قال : « لو سافر رجلٌ إلى الصّين حتى يحصُل على كتاب تفسير محمد بن جرير ؛ لم يكن ذلك كثيراً [2] » .

وأما الحديث فقد عدّه الذهبىّ من رجال الطبقة السادسة ، وذكر النووىّ فى « كتاب تهذيب الأسماء واللغات » أنه فى طبقة الترمذىّ والنسائىّ . ومن أشهر ما صنّف فيه كتاب « تهذيب الآثار » ، قال ابن عساكر : وهو من عجائب كتبه ، ابتدأه بما رواه أبو بكر الصديق مما صحّ عنده بسنده ، وتكلم على كلّ حديث منه ، وابتدأ بعلله وطرقه وما فيه من الفقه والسنن واختلاف العلماء وحججهم ، وما فيه من المعانى والغريب ، وما يطعن فيه الملحدون ، والردّ عليهم وبيان فساد ما يطعنون به ، فخرّج من مسند العشرة وأهل البيت ومسند ابن عباس قطعة كبيرة . . . وكان

---

(١) معجم الأدباء ١٨ : ٦٢ — ٦٥ .
(٢) تاريخ بغداد ٢ : ١٦٣ .

قصده فيه أن يأتىَ بكلّ ما يصحّ من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، ويتكلّم على جميعه على حسب ما ابتدأ به ؛ فلا يكون لطاعن فى شىء من علم رسول الله مطعن . وأن يأتىَ بجميع ما يحتاج إليه أهلُ العلم ؛ كما عمل فى كتاب التفسير ، فيكون قد أتى على علم الشريعة : القرآن والسنن. ولكنه لم يتمّه، ولم يمكن أحداً بعده أن يفسر حديثاً واحداً ، ويتكلم فيه على ما فسره »[1] .

ولغلَبة الحديث عليه وضع كتابه فى التاريخ على طريقة المحدّثين ؛ كما سيأتى تفصيله عند الكلام عليه .

أما القراءة فقد تلقّى حروف القرآن على شيوخ الإقراء ببغداد والكوفة والشام ومصر ، وأخذ بقراءة حمزة ؛ تلقّاها عن يونس بن عبد الأعلى بمصر ؛ كما أخذ عليه قراءة ورش ؛ ثم لم يلبث أن اتّخذ لنفسه قراءة لم يخرج بها عن المشهور ؛ كما فعل فى الفقه والتفسير ؛ ووضع كتابه المسمى بالفصل بين القراءات ؛ ذكر فيه اختلاف القراء فى حروف القرآن ، وفصّل أسماء القراء فى حروف القرآن ، وفصّل أسماء القراء بمكة والمدينة والبصرة والشام ؛ وفصّل بين كل قراءة وقراءة ، فيذكر وجهها وتأويلها والدلالة على كلّ قارئ لها ؛ ثمّ اختار من هذا قراءة له ؛ وبيّن أسباب اختياره والبرهان على صحته ؛ مستظهراً على ذلك بقدرته على التفسير والإعراب وكلام العرب ؛ الذى لم يشتمل على حفظ مثله سواه ؛ وهى القراءة التى عدت مذهباً له ، بعد أن درس جميع القراءات على شيوخها .

وإلى جانب علمه بالقراءة، كان حسن التلاوة حسنَ الترتيل، سمعه أبو بكر ابن مجاهد وهو فى طريقه إلى المسجد لصلاة التراويح ، يقرأ سورة الرحمن ؛ فقال : « ما ظننت أن الله تعالى خلق بشراً يحسن يقرأ هذه القراءة » .

* * *

وكان أيضاً شاعراً ؛ ذكره القفطىّ فى كتاب « المحمدين من الشعراء » ؛ وقال : « كان له رحمه الله شعرٌ فوق شعر العلماء » ، وأورد له :

إذا أعسرتُ لم يعلمْ رَفيقِى ... وأستَغنِى فيَستَغنِى صَدِيقِى

(١) تاريخ ابن عساكر ١٨ : ٣٥١

حيائى حافظٌ لِى ماءَ وَجْهِى ورفقى فى مرافقتى رَفيقِى
ولو أنّى سَمَحْتُ بماءِ وجهى لكنتُ إلى الغنى سَهل الطريق

وقوله :

خُلُقان لاَ أرْضى طَرِيقَهُمَا بَطَرُ الغِنى ومذلّة الْفَقْرِ
فإذَا غنيتَ فلا تَكُنْ بطراً وإذا افتقرت فته عَلَى الدَّهْرِ

وقد اختار فى تاريخه من عيون الشعر ومنخول الخطب والرسائل والوصايا ، ما يشير إلى طول باعه فى هذا الشأن . قال أبو عمر الزاهد : سمعت ثعلباً يقول : « قرأ علىّ أبو جعفر شعر الشعراء قبل أن يكثُرُ الناس » . وقال فى حقه : « إنه من حذّاق الكوفيين » . قال أبو عمر : وكان أبو العباس قليل الشهادة للناس .

وكان حسن الرأى جميل الطريقة ، لا يُخلِى ليله من تلاوة القرآن ، ويذهب فى جلّ مذهبه إلى ما عليه الجماعة من السلف ، جارياً على طريق أهل السنة ؛ لم يقصد فيما ألف حاجةً من سلطان ، أو تزلفاً إلى عظيم . دعاه الخليفة المكتفى لتأليف كتاب فى الوقف يجتمع عليه أقوال العلماء ، ويسلم من الخلاف ، فلما ألّفه وأملاه أعجب الخليفة ، وأمر له بجائزة سنية فردّها ، فروجع فى ذلك وقيل له : من وصل إلى مقام الخليفة لم يحسن أن ينصرف إلا بجائزة أو قضاء حاجة ؛ فقال : أمّا قضاء الحاجة فأنا أسأل أمير المؤمنين أن يحمل أصحاب الشُّرَط أن يمنعوا السُّؤّال من دخول المقصورة يوم الجمعة حتى تنقضى الخطبة .

وقد بلغ الغاية فى شرف النفس ، وكمال العفة ؛ ونظافة الملبس والأعضاء، وحلاوة المعاشرة ؛ وحسن التفقد لإخوانه، وجمال الرعاية لهم؛ رقيق حواشى الكلام مع دعابة وظرف . ورقة ولطف ؛ وله فى كلّ ذلك قصص وأخبار ؛ أفردها أبو بكر بن كامل فى كتابه ؛ وكذلك فعل عبد العزيز بن محمد الطبرى ؛ وعن هذين الكتابين نقل ياقوت معظم ما أورد فى كتابه عن محمد بن جرير .

وذكر القفطى فى كتابه « إنباه الرواة » أنه وضع فى سيرة الطبرى كتاباً أسماه « التحرير فى أخبار محمد بن جرير » ، وصفه بأنه « كتاب ممتع » ؛ وضاع فيما ضاع من كتبه .

٢ ــ مؤلفاته

١ ــ آداب المناسك : قال ابن عساكر : هو لما يحتاج إليه الحاج من يوم خروجه، وما يحتاج إليه من الإتمام لابتداء سفره، وما يدعو إليه ربّه عند ركوبه ونزوله ومعاينته المنازل والمشاهد إلى انقضاء حجه [١] .

٢ ــ آداب النفوس : قال ابن عساكر : «عمله على ما ينوب الإنسان منّ العرائض فى جميع أجزاء جسده ؛ فبدأ بما ينوب القلب واللسان والبصر والسمع، على أن يأتى بجميع الأعضاء ؛ وما روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ذلك وعن الصحابة والتابعين، ويذكر كلام المتصوّفة وما حكى من أفعالهم، وإيضاح الصواب فى ذلك . قال ياقوت : «عمل منه أربعة أجزاء ولم يخرجها إلى الناس فى الإملاء : [٢]

٣ ــ اختلاف علماء الأمصار ، فى أحكام شرائع الإسلام : قصد به ذكر أقوال الفقهاء وهم : مالك والأوزاعى والثورى والشافعى وأبو حنيفة وأبو يوسف ومحمد بن الحسن وإبراهيم بن خالد ، وسأله أحمد بن عيسى عن سبب تأليفه ، فقال : ليتذكر به أقوالَ مَن يناظره . ولم يستقص فى هذا الكتاب اختياره ؛ لأنه قد فعل ذلك فى كتاب « اللطيف »[٣] .

٤ ــ أحاديث غدير خمّ ، قال ياقوت : كان قد قال بعض الشيوخ ببغداد بتكذيب خبر غدير خُمّ ، وقال : إن على بن أبى طالب كان باليمن فى الوقت الذى كان رسول الله صلى الله عليه وسلم بغدير خم . . . وبلغ أبا جعفر ذلك ، فابتدأ بالكلام فى فضائل علىّ بن أبى طالب ؛ وذكر طرق حديث خُمّ . وقال ابن كثير : رأيت له كتاباً جمع فيه أحاديث غدير خُمّ فى مجلدين .

٥ ــ بسيط القول فى أحكام شرائع الإسلام : قدّم له بكتاب سمّاه مراتب

---

(١) تاريخ ابن عساكر ٨ : ٣٥٢ . (٢) معجم الأدباء ١٧ : ١٨ .

(٣) نشره كيرن ، وطبع بمطبعتى الترقى والموسوعات سنة ١٩٠٢ ، عن نسخة خطية بدار الكتب برقم ٦٤٥ فقه ، ونشر شاخت قطعة منه وطبع فى ليدن سنة ١٩٣٣ .

العلماء ؛ ممن تفقـه من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم على مذهَب اختاره ثم مَنْ أخذ عنهم ، ومَنْ أخذ عنهم ؛ من فقهاء الأمصار ؛ بدأ بالمدينة ثم مكة ثم العراقين : الكوفة والبصرة ثم الشام وخراسان ؛ ثم أبواب الفقه ؛ وخرّج منه كتاب الطهارة ، وكتاب الصلاة ، وكتاب الزكاة ، وكتاب الشروط ، وكتاب القضاة والمحاضر والسجلات ، وكتاب الوصايا ، وكتاب أدب القاضى ، وكتاب البيان عن أصول الأحكام .

٦ ـ البصير فى معالم الدّين : قال ياقوت : « ومن كتب أبى جعفر رسالته المسمّاة بالبصير فى معالم الدين ؛ التى كتب بها إلى أهل طبرستان فيما وقع بينهم فيه من الخلاف فى الاسم والمسمّى ، وفى مذاهب أهل البدع ؛ وهو نحو ثلاثين ورقة . واسمه فى طبقات الشافعية والوافى بالوفيات : « التبصير » .

٧ ـ تاريخ الرسل والملوك : وسيأتى الكلام عليه .

٨ ـ تهذيب الآثار : وتفصيل الثابت من الأخبار . ابتدأه بما رواه أبو بكر مما صحّ عنده بسنده ، وتكلّم عن علـّة كلّ حديث منه وطرقه وما فيه من الفقه والمعنى والغريب . نقل ياقوت عن أبى بكر بن كامل ، قال : لم أر بعد أبى جعفر أجمعَ للعلم وكتب العلماء منه ؛ لأنى أروض نفسى فى عمل مسند عبد الله بن مسعود فى حديث منه نظير ما عمله أبو جعفر فما أحسن عمله ، وما يستوى لى [١]

٩ ـ جامع البيان عن تأويل آى القرآن : وهو أجلّ التفاسير على الإطلاق وأعظمها . أملاه فى بغداد من سنة ثلاث وثمانين إلى سنة تسعين [٢]. قال ابن النديم : « وقد اختصره جماعة ؛ منهم أبو بكر بن الإخشيد وغيره [٣]. وترجم إلى الفارسية بأمر منصور بن يحيى السامانى [٤] . وترجم أيضاً إلى التركية [٥]

وقد قام الأستاذ محمود شاكر بتحقيقه ونشره فى طبعة علمية محررة بدار المعارف بالقاهرة ، وأصدر منه خمسة عشر جزءاً ، وهو يوالى إخراج بقية الأجزاء .

---

(١) منه نسخ خطية فى كبريلى وعاطف أفندى و بايزيد والفاتح بإستانبول .

(٢) معجم الأدباء ١٨ : ٤٢ .

(٣) الفهرست ٢٣٥ .

(٤) بروكلمان ١ : ٢١٣ (الملحق) .

(٥) بروكلمان ١ : ٢٤٩ (الملحق) .

١٠ — الجامع فى القراءات : رآه ابن الجزرى وأخذ منه . وذكر صاحب كشف الظنون أن فيه نيّفاً وعشرين قراءة . وقال أبو على الحسن بن على الأهوازى المقرى فى كتاب الإقناع فيه إحدى عشرة قراءة : « وله فى القراءات كتاب جليل كبير ، رأيته فى ثمانى عشرة مجلدة ؛ إلا أنه كان بخطوط كبار ؛ ذكر فيه جميع القراءات ؛ من المشهور والشواذ وعلل ذلك وشرحه ، واختار منها قراءة لم يخرج بها عن المشهور »[١] .

١١ — حديث الطير : قال ابن كثير : رأيت له كتاباً جمع فيه حديث الطير[٢] .

١٢ — الخفيف فى الفقه : قال ياقوت : « ومن جياد كتبه كتابه المعروف بكتاب الخفيف فى أحكام شرائع الإسلام ؛ وهو مختصر من « اللطيف » ؛ وقد كان أبو أحمد العباس بن الحسن العزيزى أراد النظر فى شىء من الأحكام ، فراسله فى اختصار كتاب له ؛ فعمل هذا الكتاب ليقرب متناوله ؛ وهو نحو من أربعمائة ورقة ؛ وهو كتاب قريب على الناظر ؛ فيه كثير من المسائل ، ليصلح لتذكرة العالم والمبتدئ والمتعلم » . وقال ابن عساكر بعد أن ذكر أمره مع الوزير : فوجّه إليه بألف دينار فردّها عليه ، ولم يقبلها ؛ فقيل له : تصدق بها ؛ فلم يقبل وقال : أنتم أولى بأموالكم وأعرف بمن تتصدقون عليه[٣] .

١٣ — ذيل المذّيل : قال ياقوت : ومنها كتابه المسمّى "ذيل المذيل" المشتمل على تاريخ من قتل أو مات من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حياته أو بعده ؛ على ترتيب الأقرب فالأقرب منه ، أو من قريش من القبائل ، ثم ذكر من مات من التابعين والسلف بعدهم ، ثم الخالفين ؛ إلى أن بلغ شيوخه الذين سمع منهم ، وجملا من أخبارهم ومذاهبهم ، وتكلّم فى الذبّ عن ذوى الفضل منهم ؛ ممن رُمى بمذهب وهو برىء منه ؛ نحو الحسن البصرىّ وقتادة وعكرمة وغيرهم ، وذكر صنف من نسب إلى ضعف من الناقلين ، وفى آخره أبواب حسان من باب من حدث عنه من الإخوة أو الرجل وولده ، ومن

---

(١) من كتاب الجامع نسخة خطية بالمكتبة الأزهرية .

(٢) تاريخ ابن كثير ١١ : ١٤٦ .   (٣) تاريخ ابن عساكر ٨ : ٣٤٨ .

شهر بكنيته دون اسمه ، أو باسمه دون كنيته ؛ وهو من محاسن الكتب وأفاضلها ، يرغب فيه طلاب الحديث وأهل التواريخ ؛ وكان خرّج إملاءه بعد سنة ثلاثمائة ؛ وهو فى نحو من ألف ورقة »[1]

وذكره ابن خير فى فهرسته قال : حدثنى به أبو الحسن على بن عبد الله بن مذهب الجذامىّ الحافظ قال : أنبأنا أبو عمر أحمد بن محمد الأموىّ قال : أنبأنا أبو بكر أحمد بن الفضل الدينورىّ ، عن أبى جعفر الطبرى مؤلفه رحمه الله ، عشرون جزءاً »[2]. ومنه أخذ كتاب « المنتخب من ذيل المذيل » ، لم يعلم من قام به ، وهو الذى طبع مع التاريخ .

١٤ — الرد على الحرقوصية : ذكره النجاشى فى كتاب الرجال[3] .

١٥ — الرد على ذى الأسفار : يرد فيه على داود بن على الأصبهانى ؛ ذكره ياقوت .

١٦ — الرد على ابن عبد الحكم على مالك : قال ياقوت : « ولم يقع إلى أصحابه » .

١٧ — صريح السنة : وهو رسالة ذكر فيها مذهبه وما يدين به وما يعتقده والجزء الأخير منه فى الاعتقاد[4]. واسمه فى ابن عساكر « شرح السنة » . بين فيه مذهبه وما يدين الله عليه ؛ على ما مضى عليه الصحابة والتابعون ومتفقهة الأمصار .

١٨ — طرق الحديث : قال الذهبىّ : « رأيت مجلداً من طرق الحديث لابن جرير ، فاندهشت له ولكثرة الطرق »[5] .

---

(١) معجم الأدباء : ١٨ : ٧١ .

(٢) فهرست ابن خير ٢٢٧ .

(٣) وفسر بروكلمان الحرقوصية بالحنابلة ، معللا ذلك بأن أحمد بن حنبل كان من أولاد زهير ابن حرقوص ، ولم يصح عندنا ذلك ، والذى فى تاج العروس ن حرقوص بن زهير السعدى ، كان صحابياً ، ثم كان مع على بصفين ، فصار خارجيا عليه وقتل ، وربما كان فى ذلك تفسير سليم للكتاب .

(٤) طبع هذا القسم فى بمباى سنة ١٣١١ و ١٣٢١هـ ، ومنه نسخة خطية فى روان كشك الملحقة بمكتبة أحمد الثالث بإستانبول ، ثم طبع أخيراً فى مصر .

(٥) تذكرة الحفاظ ٢ : ٢٥٣

١٩ ـ عبارة الرؤيا: جمع فيه أحاديث، ومات ولم يتمه ، ذكره ياقوت .

٢٠ ـ كتاب العدد والتنزيل ، ذكره ابن عساكر والذهبيّ فى تذكرة الحفاظ ، والسبكيّ فى الطبقات.

٢١ ـ كتاب الفضائل ؛ قال ابن عساكر : « ولما بلغه أن أبا بكر بن أبى داود السجستانى تكلم فى حديث غدير خمّ ، عمل كتاب الفضائل ، فبدأ بفضائل أبى بكر وعمر وعثمان وعلىّ ، واحتج لتصحيحه وأتى من فضائل أمير المؤمنين بما انتهى إليه. وقال ياقوت : « ثم سأله العباسيون فى فضائل العباس، فابتدأ بخطبة حسنة ، وأملَى بعضه . وقطع جميع الإملاء قبل موته . ونقل أيضاً عن أبى بكر بن كامل سبب تأليفه ، قال : وقد كان رجع إلى طبرستان فوجد الرفض قد ظهر وسبّ أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قد انتشر ؛ فأملى فضائل أبى بكر وعمر ؛ حتى خاف أن يجرى عليه ما يكرهه ، فخرج منها من أجل ذلك .

٢٢ ـ لطيف القول فى أحكام شرائع الإسلام ، قال ياقوت : « هو مجموع مذهبه الذى يعوّل عليه جميع أصحابه ، وهو من أنفس كتبه وكتب الفقهاء ، وأفضل أمهات المذاهب وأسدّها تصنيفاً ، وكان أبو بكر بن راميك يقول : ما عمل كتاب فى مذهب أجود منه . وكتبه تزيد على كتاب الاختلاف ثلاثة كتب : كتاب اللباس ، كتاب أمهات الأولاد ، كتاب الشرب . وأراد بتسمية اللطيف دقة معانيه وكثرة ما فيه من النظر والتعليلات ، لاصغره وخفة محمل وزنه . وطلب إليه أبو أحمد العباس بن الحسن العزيزى أن يختصر له كتاباً فى الأحكام ، فاختصر له هذا الكتاب وسمّاه « الخفيف » .

٢٣ ـ مختصر الفرائض ، ذكره ياقوت والصفدى .

٢٤ ـ كتاب المسترشد ، ذكره ابن النديم .

٢٥ ـ المسند المجرد : قال ياقوت : « وقد كتب أصحاب الحديث الأكثر منه ، وذكر فيه من حديثه عن الشيوخ ما قرأه على الناس »[1] .

---

(١) معجم الأدباء ١٨ : ٦٥ .

٢٦ ــ كتاب الوقف : ألفه للخليفة المكتفى ؛ ذكر فيه ما اجتمعت عليه أقوال العلماء وسلم من الخلاف فى هذا الموضوع .

* * *

ونقل ياقوت عن عبد العزيز بن محمد أنه وقع له كتاب فى الرّمى بالنشاب منسوب إلى أبى جعفر . قال : وما علمت أحداً قرأه عليه ولا ضابطاً ضبط عنه ، ويظهر أنه لعبد الرحمن بن أحمد الطبرىّ ، واسمه : الواضح فى علم الرمى . ومنه نسخة مصورة بدار الكتب المصرية ، عن نسخة مخطوطة سنة ٨٥٣ هـ[١] .

وذكر بروكلمان[٢] أنه يوجد كتاب له باسم « تاريخ صنعاء » ، والصواب أن هذا الكتاب من تأليف أبى العباس أحمد بن عبد الله الرازى الصنعانىّ المتوفى سنة ٤٦٠ ، وأصله من الطبريين الذين وفدوا إلى اليمن وأقاموا بها . ومن هذا الكتاب نسخة بدار الكتب .

ونسب إليه أيضاً كتاب « بشارة المصطفى » ، والصواب أنه لأبى جعفر محمد بن على بن مسلم الطبرى الآملى (كان موجودا سنة ٥٥٣) ؛ وهو كتاب فى منزلة التشيّع ودرجات الشيعة وكرامات الأولياء ؛ يقع فى ١٧ جزءاً ، كما صرح بذلك صاحب كتاب « أمل الآمل »[٣] .

ونقل ياقوت عن أبى القاسم بن حبيش الوزاق قال : « كان قد التمس منى أبو جعفر أن أجمع له كتب الناس فى القياس ، فجمعت له نيفاً وثلاثين كتاباً ، فأقامت عنده مديدة ، ثم كان من قطعه الحديث قبل موته بشهور ما كان ، فردّها علىّ وفيها علامات له بحمرة قد علم عليها[٤] .

وذكر الطبرى فى تاريخه[٥] أنه سيؤلف كتاباً فى « دلائل النبوة » ؛ ولم يذكره أحد ممن ترجم له .

---

(١) وانظر بروكلمان ١ : ٩٠٦ (الملحق) .
(٢) بروكلمان ١ : ٥٧٠ (الملحق) .
(٣) الذريعة إلى مصنفات الشيعة ٣ : ١١٧ .
(٤) معجم الأدباء ١٨ : ٨١ .
(٥) تاريخ الطبرى ١ : ١٤٤٦ (طبع أوربا) .

٣ — تاريخ الطبرى

وكتابه «المسمى تاريخ الرسل والملوك»[١]، أو «تاريخ الأمم والملوك[٢]» يعدّ أوفى عمل تاريخى بين مصنَّفات العرب ، أقامه على منهج مرسوم، وساقه فى طريق استقرائىّ شامل ؛ بلغت فيه الرواية مبلغها من الثقة والأمانة والإتقان . أكمل ما قام به المؤرخون قبله ، كاليعقوبى والبلاذرى والواقدى وابن سعد ؛ ومهّد السبيل لمن جاء بعده كالمسعودى وابن مسكويه وابن الأثير وابن خلدون .

وقد كان التاريخ عند العرب فى الجاهلية أخباراً متفرّقة تتناقلها الشفاه ، وروايات متناثرة تدور حول الأشعار والأمثال والأيام ، وأساطير تكسوها المبالغة ويحوطها التهويل ؛ عدا نقوشاً كتبت بالخط المسند على حوائط المعابد والأديرة وأعمدة الحصون والقصور فى الحيرة واليمن . ثم كانت بعثة محمد عليه السلام ، ومضى عهده وعهد الخلفاء الراشدين من بعده ، وإذا المسلمون يخفون لتدوين أخباره عليه السلام ، ويروون أنباء مولده ومبعثه وهجرته ومغازيه ؛ فكان من تدوين تلك السيرة اللبنة الأولى فى تاريخ الإسلام؛ على أنها لم تعدُ فى ذلك الحين أن تكون نوعاً من رواية الحديث . وكان أول من وضع فى ذلك كتاباً عروة بن الزبير بن العوّام ، ثم تلاه أبان بن عثمان بن عفان؛ إلى أن بلغ فنّ السيرة أوجه فى كتاب ابن إسحاق .

ثم خرج المسلمون للغزو والجهاد ، فهزّوا عروش كسرى وقيصر ، وقوضوا دعائم الملك فى بلاد الفرس والشام ومصر والروم ، ودخلوا البلاد فاتحين . ثم نبض عرق العصبية والقَبَلِيّة ، وشاعت أخبار الأمم القديمة ، وتاريخ الديانات عند الأمم الأخرى ؛ كلّ هذا وذاك دعا إلى إضافة مادة تاريخية جديدة ؛ فالعلماء حاولوا أن يفهموا إشارات الكتاب الكريم إلى تلك الأمم ، والخلفاء رغبوا فى معرفة أخبار الملوك من الأمم قبلهم ؛ كان يفعل ذلك معاوية وعبد الملك بن مروان وأبو العباس السفاح وأبو جعفر المنصور ؛ ومسّت الحاجة إلى معرفة ما فتح

---

(١) معجم الأدباء ١٨ : ٦٨ .

(٢) تاريخ بغداد ٢ : ١٦٣ ، وكشف الظنون ٢٩٧ :

من البلاد صلحاً ، وما فتح منها عنوة ؛ ليقيموا الجزية والخراج على أساس ما رسمه الإسلام فى ذلك من تشريع ؛ وأخذت الرواية التاريخية تتخذ لوناً جديداً ، أطلق عليها اسم الأخبار ، ودعى من يرويها بالأخبارىّ ، كما أطلقوا على من يروى الحديث اسم المحدّث ؛ وظهرت فى ذلك مؤلفات ، فصنف محمد بن السائب الكلبى كتاباً فى الأنساب ، وعوانة بن الحكم فى أخبار بنى أمية وأبو مخنف فى أخبار الردّة والجمل وصفين ، وسيف فى أخبار الفتوح ، وابن هشام فى ملوك حمير . . . وما إن انقضى القرن الثانى حتى أخذت المادة التاريخية تزيد تبعاً لتطور الحياة العربية ، واستقرت دواوين الإنشاء والجند والبرُد ، وتنوّعت العهود والوثائق والمراسلات ، ومست الحاجة إلى معرفة المواليد والوفيات ، ومدد ولايات الخلفاء والولاة والقضاة والقواد وأمراء المواسم فى الحج ؛ ثم ظهرت الكتب المترجمة عن الفرس واليونان والسريان ، وكثرت الرحلة بين البلاد ؛ وتعددت المشاهد ، واطلع العرب على ما لم يكونوا رأوه من عجائب البلاد ، وحضارات الأمم ؛ عدا ما كان من اتساع الفتوح ، وكثرة الأحداث ؛ فوجد العلماء للتاريخ منابع رافدة ، ومناهل متنوعة ، ومصادر كثيرة ؛ وأحسّوا أن لعلم التاريخ أثراً فى بناء الأمم ، وفهم الثقافات ، وإرساء العلوم على قواعد ثابتة ؛ ولم ير الأفاضل منهم بأساً فى أن يضعوا أسفاراً فى التاريخ ؛ فعل ذلك الواقدىّ فى كتب الفتوح ، والبلاذرىّ فى كتابيه البلدان وأنساب الأشراف ، وابن قتيبة فى المعارف ، وابن حبيب فى المحبَّر ، والدينورى فى الأخبار الطوال ، إلى أن انتهى الأمر إلى الإمام محمد بن جرير الطبرى ، فوضع فيه كتابه العتيد[1] .

* * *

ولا يُعلم على وجه التحديد التاريخ الذى بدأ فيه أبو جعفر إملاء هذا الكتاب ؛ ويظهر أنه ألفه بعد كتاب التفسير ، روى الخطيب أن أبا جعفر الطبرى قال لأصحابه : أتنشطون لتفسير القرآن ؟ قالوا : كم يكون قدره ؟ قال : ثلاثون ألف ورقة ، فقالوا : إن هذا مما يفنى الأعمار قبل تمامه ، فاختصره فى نحو ثلاثة آلاف ورقة ، ثم قال : أتنشطون لتاريخ العالم من آدم إلى وقتنا هذا ؟ قالوا :

(١) انظر ترجمة علم التاريخ لهرنشو ، والفصل الذى ألحقه به مترجمه عبد الحميد العبادى ن التاريخ عند العرب .

كم قدره ؟ فذكر نحواً مما ذكره فى التفسير ، فأجابوه بمثل ذلك ، فقال : إنا لله ! ماتت الهمم. فاختصره فى نحو مما اختصر التفسير »[1] .

وجاء فى تاريخه : « وقيل أقوال فى ذلك قد حكينا منها جملا فى كتابنا المسمّى « جامع البيان عن تأويل آى القرآن » ، فكرهنا إطالة الكتاب ، بذكر ذلك فى هذا الموضوع »[2] .

وذكر ياقوت عن أبى بكر بن بالويه قال : قال لى أبو بكر محمد بن إسحاق – يعنى ابن خزيمة – : بلغنى أنك كتبت التفسير عن محمد بن جرير ؟ قلت : نعم ؛ كتبنا التفسير عنه إملاء ، قال : كله ! قلت : نعم ، قال فى أىّ سنة ؟ قلت : سنة ثلاث وثمانين إلى ستة وتسعين[3] .

وإذن يكون قد أملى التاريخ بعد سنة تسعين ومائتين .

أما الانتهاء من هذا التاريخ ، فقد ذكر ياقوت أنه فرغ من تصنيفه وعرضه على المستملين له : « فى يوم الأربعاء لثلاث بقين من شهر ربيع الأول سنة ثلاث وثلثمائة ، وقطعه على آخر سنة اثنتين وثلاثمائة »[4] .

* * *

بدأ أبو جعفر تاريخه بذكر الدلالة على حدوث الزمان ، وأن أول ما خلق بعد ذلك القلم وما بعد ذلك شيئاً فشيئاً ، على ما وردت بذلك الآثار ؛ ثم ذكر آدم ، وما كان بعده من أخبار الأنبياء والرسل ؛ على ترتيب ذكرهم فى التوراة ؛ متعرضاً للحوادث التى وقعت فى زمانهم ؛ مفسّراً ما ورد فى القرآن الكريم بشأنهم ، معرّجاً على أخبار الملوك الذين عاصروهم ، وملوك الفرس على الخصوص ؛ مع ذكر الأمم التى جاءت بعد الأنبياء حتى مبعث الرسول عليه السلام .

أما القسم الإسلامى فقد رتّبه على الحوادث من عام الهجرة ، حتى سنة ثلاثمائة واثنتين ؛ وذكر فى كلّ سنة ما وقع فيها من الأحداث المذكورة ؛ والأيام المشهورة ؛ وإذا كانت أخبار الحوادث طويلة جزّأها على حسب السنين ،

---

(١) تاريخ بغداد ٢ : ١٦٣ .
(٢) تاريخ الطبرى ١ : ٨٩ (طبعة المعارف) .
(٣) معجم الأدباء ١٨ : ٤٢
(٤) معجم الأدباء ١٨ : ٤٤ .

أو يشير إليها بالإجمال ؛ ثم يذكرها فى الموضع الملائم .

وترجع قيمة هذا الكتاب إلى أنه قد استطاع أن يجمع بين دفتيه جميع المواد المودعة فى كتب الحديث والتفسير واللغة والأدب والسير والمغازى وتاريخ الأحداث والرجال ؛ ونصوص الشعر والخطب والعهود ؛ ونسق بينها تنسيقاً مناسباً ، وعرَضها عرضاً رائعاً رائقاً ؛ ناسباً كلّ رواية إلى صاحبها ، وكلّ رأى إلى قائله ؛ كما أنه أودع هذا الكتاب فصولا صالحة ونُتفاً متنوعة من متون الكتب التى أتت عليها عوادى الأيام ، وأورد من أقوال العلماء ما لا نجده إلا فى هذا الكتاب .

ومصادر الطبرىّ فى هذا التاريخ هى كل ما سبقه من المواد التى عرفها العرب من قبله ، وأخذ من كل متخصص فى فنه ، أخذ التفسير عن مجاهد وعكرمة وغيرهما ممن نقل عن ابن عباس ، ونقل السيرة عن أبان بن عثمان وعروة بن الزبير وشرحبيل ابن سعد وموسى بن عقبة وابن إسحاق ، وروى أخبار الردّة والفتوح عن سيف بن عمر الاسدىّ ، وحوادث يومَى الجمل وصفّين عن أبى مخنف والمدائنى ، وتاريخ الأمويين عن عوانة بن الحكم ، وأخبار العباسيين من كتب أحمد بن أبى خيثمة ؛ كما أخذ أخبار العرب قبل الإسلام من عبيد بن شَرْية الجرهمىّ ومحمد بن كعب القرظى ووهب بن منبّه ، وأخبار الفرس من الترجمات العربية من كتب الفرس ، ولاسيما كتب المقفع وابن الكلبى : وغير هذا مما تراه فى مباحث مواد تاريخ الطبرى المستفيضة التى نشرها الدكتور جواد على تباعاً فى مجلّة المجمع العلمى العراقى ببغداد[1] .

* * *

والطريقة التى سار عليها الطبرى فى كتابه هى طريقة المحدّثين ؛ بأن يذكر الحوادث مرويّة بمقدار ما عنده من الطرق ، ويذكر السّند حتى يتصل بصاحبه ، لا يبدى فى ذلك رأياً فى معظم الأحيان ؛ وهذه الطريقة هى التى سلكها فى معظم

---

(١) نشر الدكتور جواد على فى مجلة المجمع العلمى بالعراق ، مقالات ضافية بعنوان « مواد تاريخ الطبرى » ، بلغ فيها الغاية فى عمق البحث ودقة التحليل وحسن الأداء ، مع الإلمام الكامل بالموضوع من كل نواحيه ، وقد أفدت منه فى هذا المقام .

الكتاب ، وفيما عدا ذلك ينقل من الكتب ؛ فيصرح باسم الكتاب أحياناً ، أو ينقل عن المؤلفين من غير تعيين الكتاب الذى نقل عنه أحياناً .

وقد كان اعتماده هذا المنهج مثاراً للنقد عند بعض الباحثين ، قالوا : إن سياقة الأخبار دون تمحيصها أمر لا يليق بالمؤرخ الناقد البصير ؛ وإذا كانت طريقة رواية الخبر بذكر السند — ورجاله معروفون عند علماء الجرح والتعديل — تضمن صحة الأخبار وتمحيصها فى الأخبار التى وقعت فى الإسلام ؛ فإن هذه الطريقة تقصُر عن ضمان صحة ذلك فيما قبل الإسلام ؛ وخاصة وقد وقع فى هذا التاريخ كثير من الأخبار الواهية ، والقصص الزائفة ، كالإسرائيليات وبعض أخبار الفرس ؛ كما أورد أيضاً كثيراً من الأحاديث الموضوعة كالأحاديث الواردة فى بدء الخلق وسير الأنبياء ؛ مما لا يرتضيه المحدّثون .

وربما كان عذر الطبرى فى ذلك هو عذر رواة الحديث ؛ فيذكرون الحديث بطرقه ورجاله ؛ تاركين الحكم للقارئ ؛ أمانة للعلم وإبراء للذمة ؛ قال فى مقدمة كتابه : « وليعلم الناظر فى كتابنا أن اعتمادى فى كلّ ما أحضرتُ ذكره فيه ؛ مما شرطت أنى راسمه فيه ؛ إنما هو على ما رويت من الأخبار التى أنا ذاكرها فيه ، والآثار التى أنا مسندها إلى رواتها ؛ دون ما أدرك بحجج العقول واستنبط بفكر النفوس ؛ إلا اليسير القليل منه ؛ إذ كان العلم بأخبار الماضين ، وما هو كائن من أنباء الحادثين ؛ غير واصل إلى من لم يشاهدهم ولم يدرك زمانَهم إلا بأخبار المخبرين ونقل الناقلين ، دون الاستخراج بالعقول ، والاستنباط بفكر النفوس ، فما يكن فى كتابى هذا من خبر ذكرناه عن بعض الماضين ؛ مما يستنكره قارئه ، أو يستشنعه سامعه ؛ من أجل أنه لم يعرف له وجهاً من الصحّة ولا معنى فى الحقيقة ؛ فليعلم أنه لم يؤتَ فى ذلك من قبَلنا ؛ وإنما أتى فى بعض ناقليه إلينا ؛ وأنا إنما أدينا ذلك على نحو ما أدّى إلينا »[1] .

وفى هذا النص الصريح ؛ ما يشير إلى مذهبه فيما ورد فى كتابه من تلك الأخبار .

---

(١) تاريخ الطبرى ١ : ٧ ، ٨ (طبعة المعارف) .

وأيّاما كان ؛ فإن كتاب تاريخ الرسل والملوك ؛ سيظلّ بما اشتمل عليه من الروايات الأصيلة ، والنصوص النادرة ؛ فى أسلوبه الرائع الرصين ، أشملَ كتاب للتاريخ عند العرب .

* * *

وقد وقع لهذا الكتاب كثير من التكملات والمختصرات والترجمات . ولعلّ أول من ذيّل عليه هو الطبرى نفسه ؛ وإن كان لم يصل إلينا شيء من ذلك ؛ قال السخاوى : « وله على تاريخه المذكور ذيل ، بل ذيل على الذيل أيضاً » ،[1] كما أن عبد الله بن أحمد بن جعفر الفرغانى عمل صلة له على ما رواه ياقوت . وقال ابن النديم : وقد ألحق به جماعة من حيث قَطَع إلى زماننا هذا لا يعوّل على إلحاقهم ؛ لأنه ليس ممن يختص بالدولة ولا بالعلم[2] » ؛ وفى المكتبة الأهلية بباريس نسخة مخطوطة من الجزء الأول من كتاب محمد بن عبد الملك الهمذانى ؛ المتوفى سنة ٥٢١ ، الذى جعله تكملة له ، يبدأه من الأيام المقتدرية إلى بدء خلافة المستظهر . أما بقية الكتاب ؛ فتنتهى بأخبار عضد الدولة أبى شجاع فى أول سنة ستين وثلاثمائة .

وقد اختصره كثيرون ؛ ذكر ابن النديم منهم محمد بن سليمان الهاشمى وأبا الحسن الشمشاطىّ من أهل الموصل واجل يعرف بالسليل بن أحمد[3] .

وممن اختصره أيضاً مع إيراد زيادات عريب بن سعد القرطبى ؛ ونقل ابن عذارى منه ما يختص بتاريخ إفريقية والأندلس ، وأودعه كتابه « المغرب » ؛ وأما أخبار العراق فطبعت ملحقة بالتاريخ باسم « صلة تاريخ الطبرى » ، من سنة ٢٩١ إلى سنة ٣٢٠ .

---

(١) كتاب الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ ، للسخاوى ١٤٤ .

(٢) معجم الأدباء ١٨ : ٤٤ .

(٣) الفهرست ٢٣٥ .

أما الترجمة ؛ فكان أوّل من قام بها أبو على محمد بن عبد الله العلقمى ، المتوفى فى النصف الثانى من القرن الرابع الهجرى إلى الفارسية ، بأمر الأمير أبى صالح منصور بن أحمد بن إسماعيل بن سامان السامانى ؛ وكان مشغوفاً به مكثراً لمطالعته ؛ ترجمه ترجمة راعى فيها الاقتصار على إيراد الأخبار دون الأسانيد ؛ وتصرّف فيه بعض التصرف[1] . ثم نقلت هذه الترجمة من الفارسية إلى التركية فى عهد أمير الأمراء أحمد باشا ، ثم ترجم مرة ثانية ما بين ٩٢٨ — ٩٣٨ هـ ، وطبعت الترجمة التركية سنة ١٢٦٠ فى الآستانة .

كما ترجم أيضاً من الفارسية إلى الفرنسية وطبعت سنة ١٨٧٤ ، فى أربع مجلدات قام بها زوتنبرج Zotenberg ؛ ونقلت أيضاً إلى بعض اللغات اللاتينية ، وطبعت فى غريفزوالد سنة ١٨٦٣[2] .

وذكر سيديو Sédillot فى كتابه « تاريخ العرب » أن جرجس النصرانى المتوفى سنة ١٢٧٣م ، والمعروف بالمكين بن العميد لخصه وذيله ؛ وترجم قسم من كتاب[3] المكين إلى اللغة اللاتينية ، من قبل إربينيوس Erpininus وإلى الفرنسية من قبل ڤاتييه Vattier[4] .

* * *

ومنذ أن صدر هذا الكتاب عن مؤلفه ، تتابع الوراقون فى نسخه ، وتنافس الأمراء والملوك فى اقتنائه ؛ وعمرت به خزائن الكتب ودور العلم ؛ ذكر المقريزىّ أنه كان بخزانة كتب العزيز الفاطمىّ ما ينيف على عشرين نسخة منه ؛ إحداها بخط المؤلف[5] ؛ ومع مرور الزمن وعوادى الأيام ؛ ذهبت هذه النسخ شرقاً

---

(١) كشف الظنون ٢٩٨ .

(٢) جواد على ١٧٧ : ١٧٨ (مجلة المجمع العلمى ببغداد الجزء الأول) ؛ وتاريخ آداب اللغة العربية لزيدان ٢ : ١٩٩ ، وكشف الظنون ٢٩٨ .

(٣) من هذا الكتاب نسخة خطية بدار الكتب المصرية .

(٤) تاريخ العرب لسيديو ٤٧٦ .

(٥) خطط المقريزى ١ : ٤١٨ .

وغرباً ، وتعرض معظمها للضياع ؛ وحينما شرع فى طبعه جماعة المستشرقين سنة ١٨٧٩م ؛ لم يتيسر لهم الحصول على نسخة كاملة ؛ وكل الذى عثروا عليه — بعد بذل أقصى الجهد وإخلاص النية — أجزاء متفرقة ألفوا منها نسخة ، بها نقص يسير أكملوه من تاريخ ابن الأثير وكتاب المغازى والفتوح لابن حبيش[1] ؛ وتم طبعه طبعة علمية ؛ على أكمل ما يكون التحقيق ؛ وأدق ماتكون المقابلة ؛ وذلك بين سنتى ١٨٧٩ و ١٨٩٨ م ؛ فى ثلاثة أقسام :

القسم الأول : حياة ما قبل الإسلام ، ثم حياة محمد عليه السلام والخلفاء الراشدين من بعده إلى سنة ٤٠ هـ .

القسم الثانى من سنة ٤١ إلى سنة ١٣٠ هـ .

القسم الثالث من سنة ١٣١ إلى سنة ٣٠٢هـ ؛ وهو نهاية الكتاب ، وألحقوا به الكتاب المسمى بالمنتخب من ذيل المذيل فى أسماء الصحابة والتابعين ، وقسما من مختصر الطبرى لعريب بن سعد القرطبى ، أسموه « صلة تاريخ الطبرى » ، مع مقدمة لاتينية ؛ تشتمل على ترجمة المؤلف ووصف نسخ الكتاب ؛ وشرح الكلمات اللغوية والاصطلاحية فيه ، ثم التصويبات والاستدراكات . ثم مجلداً كبيراً بالعربية يشتمل على الفهارس العامة . ثم أعيد طبعه مرة أخرى فى ليدن من سنة ١٧٧٩ إلى سنة ١٩٠١ وقد أشرف على تحقيقه وتصحيحه العلامة دى خويه De Goeje وعاونه من المستشرقين : بارث Barth ، ونولدكه Nœldeke ، ولوث Loth ، وديونج De Jong ، وبريم Primm ، تورد بيك Thorbecke ، وفرانكل Fraenkel وجويدى Guidi ، وموار Mueller

أما المخطوطات التى رجعوا إليها فتنتمى إلى المكتبات الآتية :

١ — المكتبة الأهلية بباريس ؛ رقم : ١٤٦٦ ، ١٤٦٧ ، ١٤٦٨ ، وقد رمز إليها بالحرف P .

٢ — مكتبة كبريلى بالآستانة رقم ١٠٤٠ إلى ١٠٤٢ ، وقد رمز إليها بالحرف C .

---

(١) هذا النقص يقع فى المطبوعة الأوربية ما بين ٢٣٨٣ ، ٢٤١٤ ، من الجزء الأول .

٣ — مكتبة جامعة الزيتونة بتونس ، وقد رمز إليها بالحرف Tn .

٤ — مكتبة الجمعية الآسيوية فى كلكتا بالبنغال رقم : ٤٤٣ ، وقد رمز إليها برمز Ca .

٥ — مكتبة برلين رقم : ٩٤١٤ ، ٩٤٣٤ ، ٩٤١٦ ، ٩٤١٧ ، ٩٤١٨ ، ٩٤١٩ ، ٩٤٢٠ ، ٩٤٢١ ، ٩٤٢٢ ، وقد رمز إليها بالحرف B .

٦ — مكتبة المتحف البريطانى ، رقم : ٢٧١ ، ١٢٠٥ ، ١٦١٨ ؛ وقد أشير إليها برمز BM .

٧ — مكتبة توبنجن ؛ وقد رمز إليها بالحرف T .

٨ — مكتبة بودليان بأكسفورد رقم : ٧٨١ ، ٧٢٢ (أورى) ٦٥٠ (أورى) ٧١١ ، ٧٢٢ ، ٦٧٦ ، وقد أشير إليها بالحرف O .

٩ — مكتبة الجزائر ، رقم : ١٥٧٢ ، ١٥٩٤ وقد أشير إليها بالحرف A .

١٠ — مكتبة المكتب الهندى ، وقد رمز إليها بحرف M .

١١ — مكتبة جامعة استراسبورج ، وقد رمز إليها بالحرف S .

١٢ — مكتبة ليدن رقم ٤٩٧ ، وقد رمز إليها بالحرف L .

وأما كتاب المنتخب من ذيل المذيل فقد رجعوا فيه إلى نسخة مكتبة المتحف البريطانى برقم ٦١٨ ، والجزء المعروف بالصلة ، رجعوا فيه إلى نسخته المحفوظة بمكتبة غوطة رقم ١٥٥٤ .

وقد بذل هؤلاء العلماء الأفاضل جهداً عظيما ؛ فى صبر وأناة ، مع دأب ومثابرة ؛ ووشوا حواشية بمقابلات للنسخ دقيقة ، وتعليقات مستفيضة مفيدة ؛ وستظل هذه النشرة من أمثل المطبوعات العربية وأدقها .

وعن هذه النسخة الأوربية قامت المطبعة الحسينية بطبعه فى سنة ١٣٣٩ هـ ، ومطبعة الاستقامة بالقاهرة ؛ بعد حذف التعليقات والفهارس . وإن يكن فى هاتين الطبعتين شيء من الخير فهو أنهما قد سدّتا حاجة جمهور العلماء والباحثين من هذا الكتاب ؛ بعد أن عزّت الطبعة الأوربية ، وتعذر على الناس اقتناؤها .

* * *

وحينما شرعت فى إعادة تحقيق هذا الكتاب كان من أكبر همّى الحصول ؛ على نسخ أو أجزاء منه ؛ مما لم يرجع إليه مصححو نسخة أوربا ؛ ومما عساه أن يكون قد ظهر بعد تلك الحقبة البعيدة ؛ وقد تيسر لى الحصول على ما يأتى :

١ — خمسة أجزاء متفرّقة مصورة بمعهد المخطوطات بجامعة الدول العربية، عن النسخة الخطية المحفوظة بمكتبة أحمد الثالث بإستانبول برقم **٢٩٢٩** :

(ا) جزء من أول الكتاب وينتهى بأثناء الكلام على ملوك الفرس .

(ب) جزء يبدأ من الكلام عن حوادث سنة ٦٥ إلى سنة ٨٠ .

(ج) جزء يبدأ من أثناء الكلام فى أخبار سنة ١١٨ إلى سنة ١٣٢ .

(د) جزء يبدأ من أثناء سنة ١٦٢ وينتهى إلى آخر سنة ١٧٧ .

(ه) جزء من سنة ٢٠٤ إلى خلافة المستضىء .

٢ — مجلد مصور بمعهد المخطوطات العربية عن مكتبة پتنه خدابخش بالهند ، محفوظ برقم **٢٢٢٠** .

٣ — مجلد آخر محفوظ بدار الكتب المصرية برقم ١٦٠٢ تاريخ ، يشتمل على قسم يبتدئ من سنة **٢٠٥** ﻫ إلى قبيل سنة ٢٤٦ .

٤ — مجلد آخر بدار الكتب المصرية محفوظ برقم ١٣٧٣ تاريخ تيمور ؛ يبدأ بحوادث تقع فى سنة ١٣٣ . وينتهى بحوادث سنة ١٤٥ .

* * *

وقد اتخذت النسخة المطبوعة فى أوربا أصلا فى التحقيق ؛ باعتبارها النسخة الكاملة ؛ التى نشرت نشراً علميّاً ؛ على أساس المخطوطات المتنوعة التى وقعت للمصححين ، وأثبت فى حواشيها فروق النسخ التى رجع إليها المصححون ، وخاصة الفروق التى لها دلالة خاصة . وزدت عليها فروق النسخ التى حصلت عليها ، مع ما عنّ لى من التعليق والشرح والتوضيح ؛ كما أنى أثبت على الهامش أرقام صفحاتها ، ورمزت إليها بالحرف (ط) .

وقد رمزت لمخطوطات باريس بالحرف (ر) ، ولمخطوطات كپريلى بالآستانة بالحرف (س) ، ولمخطوطة تونس بالحرف (ن) ، ولمخطوطة كلكتا بالحرف (ك) ، ولمخطوطات برلين بالحرف (ب) ، ولمخطوطات المتحف البريطانى بالحرف (ح) ، ولمخطوطة توبنجن بالحرف (ت) ، ولمخطوطة ليدن بالحرف (ل) ، ولمخطوطات أوكسفورد بالحرف (ف) ، ولمخطوطتى الجزائر بالحرف (ج) ، ولمخطوطة المكتب الهندى بالحرف (م) ، ولمخطوطة استراسبورج بالحرف (و) .

وأما المخطوطات التى حصلت عليها مما لم يرجع إليه مصححو نسخة أوربا ، فقد أشرت لمخطوطات أحمد الثالث بالحرف (ا) ، وإلى مخطوطة مكتبة پتنه بالحرف (ه) ، ولمخطوطة دار الكتب بالحرف (د) ، ولمخطوطة المكتبة التيمورية بالحرف (ى) .

* * *

وقد وافقت المخطوطة الأولى من نسخة أحمد الثالث من هذا الجزء من أوله إلى ص ٥١١ السطر العاشر ؛ وهى جزء ناقص من آخره ، يقع فى ٢٣٨ ، كتب على غلافه : « الجزء الأول من كتاب التاريخ تأليف أبى جعفر محمد بن جرير الطبرى، رواية القائد أبى محمد عبد الله بن أحمد الفرغانى رضى الله عنه » . وعليه وقفية من المقر الأشرف الجمالى محمود الأستادار لهذا المجلد وما بعده من المجلدات ، وعددها خمسة عشر مجلداً ؛ على مدرسته التى أنشأها بخط الموازنيين . بالشارع الأعظم ، وعليها تملك بتاريخ جمادى الأولى سنة إحدى وستمائة ؛ ثم فى موضع آخر تملك نصه : « أول رمضان سنة ٧٢٦ » ، ومسطرتها ١٩ سطراً ؛ فى كل سطر ١٢ كلمة .

وأما باقى النسخ فسيأتى وصفها عند موضعها فى الأجزاء المقبلة »* .

وأرجو حينما يتم طبع بقية الأجزاء؛ بعونه تعالى وتوفيقه، أن ألحق به كتاب المنتخب من ذيل المذيل، والمختصر لعريب ؛ وتكملة الهمدانى ؛ ثم الفهارس العامة .

* * *

وأذكر بالفضل والشكر الأساتذة : الدكتور عبد الحليم النجار والأب قنواتى والدكتور هنس إرنست Hans Frnst لما لقيت منهم من عون فى الانتفاع بمقدمة الطبعة الأوربية ، وما جاء فى تعليقاتها باللاتينية ؛ فلهم منى أطيب الثناء والتقدير .

والله سبحانه الموفق والمعين ؛ ومنه الرضا والتوفيق .

محمد أبو الفضل إبراهيم

١٩ جمادى الأولى سنة ١٣٨٠ هـ

٨ نوفمبر سنـــــــة ١٩٦٠ م

---

* مصادر البحث :

إنباه الرواة على أنباه النحاة للقفطى ٣ : ٨٩—٩٠

تاريخ ابن الأثير ٦ : ١٧١ — ١٧٢

تاريخ ابن كثير ١١ : ١٤٥

تاريخ بغداد ٢ : ١٦٢ — ١٦٨

الأنساب للسمعانى ٣٦٧ ا

تاريخ التشريع الإسلامى لمحمد الخضرى

تاريخ ابن عساكر ١٨ : ٣٣٩ — ٣٧٠ (مخطوطة دار الكتب) .

تذكرة الحفاظ للذهبى ٢ : ٢٥١ — ٢٥٥

تهذيب الأسماء واللغات للنووى ١ : ٧٨ — ٧٩

ابن خلكان ١ : ٤٥٦

الرجال للنجاشى ٢٢٥

روضات الجنات ٦٧٢ — ٦٧٥

شذرات الذهب ٢ : ٢٦٠

طبقات الشافعية للسبكى ٢ : ١٣٥ — ١٤٠

طبقات القراء لابن الجزرى ٢ : ٢٦٠—٢٦١

طبقات المفسرين للداودى الورقة ٢٣٠ — ٢٣٤

طبقات المفسرين للسيوطى ٣٠ — ٣١

علم التاريخ لهرنشو ترجمة العبادى ٥١ — ٦٩

عيون التواريخ لابن شاكر (وفيات سنة ٣١٠)

الفهرست لابن النديم ٢٣٤ — ٢٣٥

كشف الظنون ٢٩٨ ، ٢٣٧ ، ٥١٤ ، ١٤٤٩

اللباب لابن الأثير ٢ : ٨١

لسان الميزان ٥ : ١٠٠ — ١٠٣

المحمدون من الشعراء ٦٦ — ٦٧

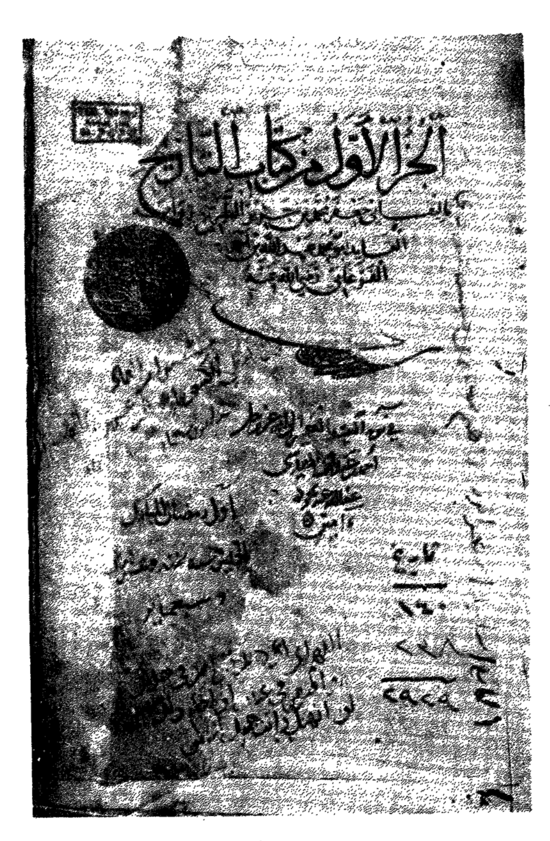
مرآة الجنان لليافعى ٢ : ٢٦١

معجم الأدباء ١٨ : ٤٠ — ٩٤

المنتظم لابن الجوزى ٦ : ١٧٠ — ١٧٢

مواد تاريخ الطبرى للدكتور جواد على (مجلة المجمع العلمى العربى ببغداد) .

الوافى بالوفيات ٢ : ٢٦٤ — ٢٨٦



صفحة العنوان من نسخة أحمد الثالث

الصفحة الأولى من نسخة أحمد الثالث



نموذج من نسخة كلكتا

القول في الدلالة على أن الله عز وجل
القديم الأول قبل كل شيء وأنه المحدث
كل شيء بقدرته تعالى ذكره

نموذج آخر من نسخة كلكتا

تاريخ الرّسل والملوك

لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الأوّلِ قبل كلّ أوّل ، والآخرِ بعد كلّ آخر ، [والدائم بلا زوال] [١] ، والقائم [٢] على كلّ شيء بغير انتقال ، والخالقِ خلقَه منْ غير أصلٍ [٣] ولا مثال ؛ فهو [٤] الفردُ الواحد من غير عدد ؛ وهو الباقى بعد كلّ أحد ، إلى غير نهاية ولا أمَد . له الكبرياءُ والعظمة ، والبهاء والعزة ، والسلطانُ والقدرة ، تعالى عن أن يكونَ له شريك فى سلطانه أو فى [٥] وحدانيته نديد ، أو فى تدبيره مُعين أو ظهير ، أو أن يكونَ له ولد ، أو صاحبة أو كفُء أحد ، لا تحيط به الأوهام ، ولا تحويه الأقطار ، ولا تدركه الأبصار ، [وهو يدرك الأبصار] [١] ، وهو اللطيف الخبير .

أحمَده على آلائه ، وأشكره على نعمائه ، حمدَ مَنْ أفرده بالحمد ، وشكرَ مَنْ رجا بالشكر منه المزيد ، وأستهديه من القول والعمل لما يقرّبنى منه ويرضيه ، وأومنُ به إيمانَ مخلص له التوحيد ، ومفرد له التمجيد . ١/٢

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أنّ محمداً عبده النجيب ، ورسوله الأمين ، اصطفاه لرسالته ، وابتعثه بوَحيه ، داعياً خَلْقه إلى عبادته ؛ فصدَع بأمره ، وجاهدَ فى سبيله ، ونصَح لأمته ، وعبدَه حتى أتاه اليقين من عنده ، غيرَ مقصّر فى بلاغ ، ولا وانٍ فى جهاد ؛ صلى الله عليه أفضلَ صلاة وأزكاها ، وسلّم .

---

(١) ما بين العلامتين تكملة من ا .

(٢) ط : « القادر » ، وما أثبته عن ا .

(٣) ط : « شكل » ، وما أثبته عن ا .

(٤) ط : « وهو » ، وما أثبته عن ا .

(٥) ط : « وفى » ، وما أثبته عن ا .

أما بعد، فإنّ الله جلّ جلاله، وتقدست أسماؤه، خلقَ خلْقَه من غير ضرورة كانت به إلى خلْقهم، وأنشأهم من غير حاجة كانت به إلى إنشائهم، بل خلق من خصّه منهم بأمره ونهيه، وامتحنه بعبادته، ليعبدوه [فيجود عليهم بنعمه] (١)، وليحمَدوه على نعمه فيزيدَهم من فضله ومِنَنه، و(٢يُسبغَ عليهم فضله وطوْله٢)، كما قال عزّوجلّ: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۞ مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعِمُونِ ۞ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾. (٣)

فلم يزده خلقُه إيّاهم ــ إذ خلقهم ــ فى سلطانه على مالم يزل قبل خلقه إيّاهم مثقالَ ذرّة، ولا هو إن أفناهم وأعدمهم ينتقصه إفناؤه إياهم ميزان شعرة (٤)، لأنه لا تغيّره الأحوال، ولا يدخلُه الملال، ولا ينقصُ سلطانه الأيام والليال (٥)؛ لأنه خالقُ الدّهور والأزمان، فعمّ جميعَهم فى العاجل فضلُه وجودُه، وشمَلهم كرمه وطوله، فجعل لهم أسماعاً وأبصاراً وأفئدة، وخصّهم بعقول يصلون بها إلى التمييز (٦) بين الحق والباطل، ويعرفون بها المنافعَ والمضارّ، وجعل لهم الأرض بساطاً ليسلكوا منها سبُلا فجاجاً، والسماء سقفاً محفوظاً، [وبناء مسموكا] (١)؛ وأنزل (٧) لهم منها الغيث بالإدرار، والأرزاقَ بالمقدار، وأجرى لهم [فيها] (١) قمر الليل وشمس النهار يتعاقبان بمصالحهم دائبيْن، فجعل لهم الليل لباساً (٨)، والنهار معاشاً، وخالف ــ منّاً منه عليهم وتطوّلا ــ بين قمر الليل وشمس النهار، فمحا آيةَ الليل وجعل آية النهار مبصرةً، كما قال جلّ جلاله وتقدّست أسماؤه: ﴿ وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِتَبْتَغُوا فَضْلاً

١ / ٣

---

(١) تكملة من ا .
(٢–٢) ا : « ويسبغ عليهم من كرامته وطوله » .
(٣) سورة الذاريات ٥٦ – ٥٨ .
(٤) ط : « مثقال ذرة » ، وما أثبته عن ا .
(٥) فى جميع الأصول : « الليالى » .
(٦) ط : « يعقلون بها التمييز » ، من تصرف مصححه ؛ وما أثبته من ا .
(٧) ط : « كما قال » ، من تصرف مصححه ؛ والصواب ما أثبته من ا .
(٨) ا : « سكناً » .

مِنْ رَبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلاً ﴾[١].

وليصلوا بذلك إلى العلم بأوقات فروضهم التى فرضها عليهم فى ساعات الليل والنهار والشهور والسنين؛ من الصلوات والزكوات والحج والصيام وغير ذلك من فروضهم، ١ / ٤ وحين حلّ ديونهم وحقوقهم ؛ كما قال عز وجل : ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ ﴾[٢]، وقال : ﴿ هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَٰلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ • إِنَّ فِي اخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَّقُونَ ﴾[٣].
إنعاماً منه بكلّ ذلك على خلقه، وتفضُّلا منه به عليهم وتطولا، فشكرَه على نعمه التى أنعمها عليهم مِن خلقه خلقٌ عظيم، فزاد كثيراً منهم من آلائه وأياديه، على ما ابتدأهم به من فضله وطوْله، كما وعدهم جلّ جلاله بقوله : ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴾[٤]، وجمع لهم إلى[٥] الزيادة التى زادهم فى عاجل دنياهم، الفوزَ[٦] بالنعيم المقيم، والخلودَ فى جنات النعيم، فى آجل آخرتهم . وأخّر لكثير منهم الزيادة التى وعدهم فقدّمهم إلى حين مصيرهم [إليه][٧] . ووقت قدومهم عليه، توفيراً منه كرامتَه عليهم يوم تُبلى السرائر[٨] . وكفر نعمتَه خلق منهم عظيم، فجحدوا آلاءَه وعبدوا سواه، فسلب[٩] كثيراً منهم ما ابتدأهم[٩] به من الفضل والإحسان، وأحلّ

---

(١) سورة الإسراء ١٢
(٢) سورة البقرة ١٨٩
(٣) سورة يونس ٥ ، ٦
(٤) سورة إبراهيم ٧
(٥) ط : « بين » .
(٦) ط : « والفوز » .
(٧) تكملة من ا .
(٨) ا : « يوم يرجعون إليه » .
(٩-٩) ط : « فسلبهم ما ابتدأهم » ، وما أثبته عن ا

بهم النقمة [١] المهلكة فى العاجل ، وذَخر لهم العقوبة المخزية فى الآجل ، ومتّع كثيراً منهم بنعمه أيام حياتهم استدراجاً منه لهم ، وتوفيراً منه عليهم أوزارَهم ؛ ليستحقوا من عقوبته فى الآجل ما قد أعدّ لهم .

١/٥ نعوذ بالله من عمل يقرّب من سخطه [٢] ، ونسأله التوفيقَ لما يُدنى من رضاه ومحبته .

* * *

قال أبو جعفر : وأنا ذاكر فى كتابى هذا من ملوك كلّ زمان ، من [لدن] [٣] ابتدأ ربُّنا جلّ جلاله خلقَ خلقه إلى حال فنائهم [٤] ، مَن انتهى إلينا خبره ممن ابتدأه الله تعالى بآلائه ونعمه فشكر نعمَه ؛ من رسول له مرسَل ، أو ملِك مسلَّط ، أو خليفة مستخلَف ، فزاده إلى ما ابتدأه به من نعمه فى العاجل نعماً ، وإلى ما تفضل به عليه فضلا ، ومن أخَّر ذلك له منهم ، وجَعله له عنده ذخراً . ومن كفر منهم نعمه فسلبه ما ابتدأه به من نعمه ، وعجّل له نقمه . ومَنْ كفر منهم نعمه فمتعه بما أنعم به عليه إلى حين وفاته وهلاكه ؛ مقروناً ذكرُ كلّ مَنْ أنا ذاكره منهم فى كتابى هذا بذكر زمانه [٥] ، وجُمَل ما كان من حوادث الأمور فى عصره وأيامه ؛ إذ كان الاستقصاء فى ذلك يقصر عنه العمر ، وتطولُ به الكتب ، مع ذكرى مع ذلك مبلغ مدة أُكْله [٦] ، وحين أجله ، بعد تقديمى أمام ذلك ما تقديمه بنا أولى ، والابتداء به قبله أحْجَى ؛ من البيان عن الزمان : ما هو ؟ وكم قَدْر جميعه ، وابتداء أوله ، وانتهاء آخره ؟ وهل كان قبل خلق الله تعالى إياه شىء غيره ؟ وهل هو فانٍ ؟ وهل بعد فنائه شىء غير وجه المسبَّح الخلاق ، تعالى ذكره ؟ وما الذى كان قبل خلق الله إياه ؟ وما هو كائن بعد فنائه وانقضائه ؟ وكيف

---

(١) ا : « النقم » .

(٢) ا : « إلى سخطه » .

(٣) تكلة من ا .

(٤) كذا فى ا ، وفى ط : « قيامهم » ، وفى ن : « انتهائهم » .

(٥) ط : « نعمائه » ، والأجود ما أثبته عن ا .

(٦) يراد بالأكل هنا مدة العمر التى يعيشها المرء فى الحياة يأكل فيها ، وانظر التفسير وحواشيه ١ : ٢١٧ .

كان ابتداء خلق الله تعالى إياه ؟ وكيف يكون فناؤه؟ والدلالة على أن لا قديم إلا الله الواحد القهار ، الذى له ملك السموات والأرض وما بينهما وما تحت الثرى . ١ /٦
بوجيزٍ من الدلالة غيرِ طويل ؛ إذ لم نقصد بكتابنا هذا قصدَ الاحتجاج لذلك ، بل لما ذكرنا من تأريخ الملوك الماضين وجمل من أخبارهم ، وأزمان الرسل والأنبياء ومقادير أعمارهم ، وأيام الخلفاء السالفين وبعض سيرهم ، ومبالغ ولاياتهم ، والكائن الذى كان من الأحداث فى أعصارهم . ثم أنا متبعٌ [١] آخر ذلك كلّه — إن شاء الله وأيّد منه بعون وقوة — ذكرَ صحابة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وأسمائهم وكُناهم ومبالغ أنسابهم ومبالغ أعمارهم ، ووقت وفاة كلّ إنسان منهم ، والموضع الذى كانت به وفاته . ثم متبعهم ذكرَ من كان بعدهم من التابعين لهم بإحسان ، على نحو ما شرطنا من ذكرهم . ثم ملحِق بهم ذكرَ من كان بعدهم من الخلَف لهم كذلك ، وزائد فى أمورهم للإبانة [٢] عمّن حمِدت منهم روايته ، وتُقُبِّلت [٣] أخباره ، ومن رفضت منهم روايته ونبذت أخباره ، ومن وُهِّن منهم نقله ، وضُعِّف خبره . و [ما] [٤] السببُ الذى من أجله نُبذ من نُبذ منهم خبره ، والعلة التى من أجلها وُهِّن منْ وُهِّن منهم نقله .

وإلى الله عز وجل أنا راغب [٥] فى العون على ما أقصده وأنويه ، والتوفيق لما ألتمسه وأبغيه ؛ فإنه ولىّ الحول والقوة ، وصلى الله على محمد نبيه وآله وسلم تسليماً .

* * *

ولْيعلم الناظر فى كتابنا [٦] هذا أنّ اعتمادى فى كلّ ما أحضرت ذكرَه فيه مما شرطت أنى راسمه فيه ؛ إنما هو على ما رويتُ من الأخبار التى أنا ذاكرها فيه ، والآثار التى أنا مسندها إلى رواتها فيه ، دون ما أدرِك بحجج العقول ، واستنبِط

---

(١) ا : « نتبع » .
(٢) ا : « الإبانة » .
(٣) ط : « ونقلت » .
(٤) تكلة من ا .
(٥) ا : « أرغب » .
(٦) ا : « كتابى » .

بفكر النفوس ، إلا اليسير القليل منه ، إذ كان العلم بما كان من أخبار الماضين ،
٧/١ وما هو كائن من أنباء الحادثين ، غير واصل إلى من لم يشاهدهم ولم يدرك
زمانهم ؛ إلا بإخبار المخبرين ، ونقل الناقلين ، دون الاستخراج بالعقول ، والاستنباط
بفكَر النفوس . فما يكن فى كتابى[١] هذا من خبرٍ ذكرناه عن بعض الماضين مما
يستنكِره قارئه ، أو يستشنعه[٢] سامعه ، من أجل أنه لم يعرف له وجهاً فى الصحة ،
ولا معنى فى الحقيقة ، فليعلم أنه لم يُؤتَ فى ذلك من قِبَلنا ، وإنما أُتِى من قِبَل
بعض ناقليه إلينا ؛ وأنا إنما أدينا ذلك على نحو ما أُدِّىَ إلينا .

---

(١) ا : « كتابنا » .
(٢) ا : « يستبشعه » .

القول فى الزمان ما هو

قال أبو جعفر : فالزمانُ هو ساعات الليل والنهار ، وقد يقال ذلك للطويل من المدة والقصير منها ، والعرب تقول : أتيتك زمانَ الحجاج أمير ، وزمنَ الحجاج أمير — تعنى به : إذ الحجاج أمير . وتقول : أتيتك زمان الصِّرام [وزمن الصِّرام] [1] — تعنى به وقت الصرام . ويقولون أيضاً : أتيتك أزمان الحجاج أمير ، فيجمعون الزمان ، يريدون بذلك أن يجعلوا كلَّ وقت من أوقات إمارته زماناً [2] من الأزمنة ، كما قال الراجز :

جَاءَ الشِّتاءُ وقَمِيصِى أخلاقْ   شَراذِمٌ يَضْحَكُ مِنْهُ التَّوَّاقْ [3]

فجعل القميص أخلاقاً ، يريد بذلك وصفَ كل قطعة منه بالإخلاق ؛ كما يقولون : أرض سباسب ، ونحو ذلك .

ومن قولهم للزمان : « زمن » قولُ أعشى بنى قيس بن ثعلبة :

وكُنْتُ امْرَأً زَمَنًا بالعِرَاقِ   عَفِيفَ المُناخِ طويلَ التَّغَنْ [4]

يريد بقوله : « زمناً » «زماناً» ، فالزمان اسم لما ذكرت من ساعات الليل والنهار على ما قد بينت ووصفت . ٨/١

---

(١) تكملة من ا ، وابن الأثير ١ : ١١ . وصرام النخلة : أوان اجتناء ثمرها .

(٢) ا : « زمناً » .

(٣) البيتان فى اللسان (توق — شرذم) من غير عزو . وخلق القميص : بلى ، ويقال : قميص أخلاق ، يصفون به الواحد إذا كان بين الخلوقة . وشراذم : قطع . والتواق : ابنه .

(٤) ديوانه ٢٢ ؛ وهو فى أمالى المرتضى ١ : ٣١ ، واللسان (غنى) . والتغنى هنا : الاستغناء ؛ وفى ط : « الثفن » ، تحريف ، صوابه فى ا .

القول فى كم قدر جميع الزمان
من ابتدائه إلى انتهائه وأوله إلى آخره

اختلف السلف قبلنا من أهل العلم فى ذلك ، فقال بعضهم : قدْر جميع ذلك سبعة آلاف سنة .

* ذكر من قال ذلك :

حدثنا ابن حُميد ، قال : حدثنا يحيى بن واضح ، قال : حدثنا يحيى بن يعقوب ، عن حماد ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، قال : الدنيا جمعة من جمع الآخرة ، سبعة آلاف سنة ، فقد مضى ستة آلاف سنة ومائتا سنة[1] ، وليأتينّ عليها مئون [من [2]] سنين ، ليس عليها[3] موحد .

* * *

وقال آخرون : قدر جميع ذلك ستة آلاف سنة .

* ذكر من قال ذلك :

حدثنا أبو هشام ، قال : حدثنا معاوية بن هشام ، عن سفيان ، عن الأعمش ، عن أبى صالح ، قال : قال كعب : الدنيا ستة آلاف سنة .

حدثنا محمد بن سهل بن عسكر ، قال : حدثنا إسمعيل بن عبد الكريم ، قال : حدثنى عبد الصمد بن معقل ، أنه سمع وهباً يقول : قد خلا من الدنيا خمسة آلاف سنة وستمائة سنة ، وإنى[4] لأعرف كلّ زمان منها ، ما كان فيه من الملوك والأنبياء . قلت[5] لوهب بن منبّه : كم الدنيا ؟ قال : ستة آلاف سنة .

* * *

(١) ط : « ومئو سنة » ، ن : « ومائتين » ، وما أثبته عن ا .
(٢) تكملة من ا .
(٣) ط : « لها » ، وما أثبته عن ا ، ر .
(٤) ط : « إنى » ، بحذف الواو ، وما أثبته عن ا .
(٥) ط : « قلنا » ، وما أثبته عن ا .

١/٩ قال أبو جعفر: والصواب من القول فى ذلك ما دل على صحته الخبرُ الوارد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وذلك ماحدّثنا به محمد بن بشار وعلى بن سهل، قالا : حدثنا مؤمَّل، قال : حدثنا سفيان ، عن عبد الله بن دينار ، عن ابن عمر ، قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « أجلُكم فى أجل مَنْ كان قبلكم ، من صلاة العصر إلى مغرب الشمس » .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثنى محمد بن إسحاق ، عن نافع ، عن ابن عمر ، قال : سمعت النبىّ صلى الله عليه وسلم يقول : « ألاَ إنما أجلُكم فى أجل مَنْ خلا من الأمم، كما بين صلاة العصر إلى مغرب الشمس» .

حدثنا الحسن بن عرَفة ، قال : حدثنى عمار بن محمد ، ابن أخت سفيان الثورىّ، أبو اليقظان، عن ليث بن أبى سُلَيم ، عن مغيرة بن حكيم ، عن عبد الله بن عمر ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «ما بقىَ لأمتى من الدنيا إلا كمقدار الشمس إذا صُلِّيت العصر » .

حدثنى محمد بن عوف ، قال : حدثنا أبو نعيم ، قال : حدثنا شريك ، قال : سمعتُ سلمة بن كُهَيل، عن مجاهد، عن ابن عمر ، قال : كنا جلوساً عند النبى صلى الله عليه وسلم والشمس مرتفعة على قُعيقِعان[1] بعد العصر، فقال : « ما أعمارُكم فى أعمار منْ مضى إلا كما بقىَ من هذا النهار فيما مضى منه » .

حدثنا ابن بشار ومحمد بن المثنَّى — قال ابن بشار : حدّثنى خلف ابن موسى ، وقال ابن المثنَّى : حدثنا خلف بن موسى — قال : حدّثنى أبى ، عن قَتادة، عن أنس بن مالك أن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم خطب أصحابه يوماً — وقد كادت الشمس أن تغيب ، ولم يبق منها إلا شِقّ يسير — فقال[2] : «والذى

(١) قعيقعان ، بالضم ثم الفتح ، على التصغير : أحد جبال مكة . (ياقوت) .
(٢) ط : « قال » ، وما أثبته من ا .

١٠/١ نفس محمد بيده ما بقىَ من دنياكم فيما مضى منْها إلا كما بقىَ من يومكم هذا فيما مضى منه ، وما تروْن من الشمس إلا اليسير » .

حدثنا ابن وكيع ، قال : حدثنا ابن عُيَيْنة ، عن على بن زيد ، عن أبى نضرة ، عن أبى سعيد ، قال : قال النبى صلى الله عليه وسلم عند غروب الشمس : « إنما مثلُ ما بقىَ من الدنيا فيما مضى منْها كبقية يومكم هذا فيما مضى منه » .

حدثنا هناد بن السّرىّ وأبو هشام الرفاعىّ ، قالا : حدثنا أبو بكر بن عياش ، عن أبى حصين ، عن أبى صالح ، عن أبى هريرة ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « بعثت [أنا] [1] والساعة كهاتين » — وأشار بالسبابة والوسطى .

حدثنا أبو كُرَيب ، حدثنا يحيى بن آدم ، عن أبى بكر ، عن أبى حصين ، عن أبى صالح ، عن أبى هريرة ، عن النبى بنحوه .

حدثنا هنّاد ، قال : حدثنا أبو الأحوص وأبو معاوية ، عن الأعمش ، عن أبى خالد الوالبىّ ، عن جابر بن سمُرة ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « بعثت أنا والساعة كهاتين » .

حدثنا أبو كُرَيب [2] ، قال : حدثنا عثّام بن علىّ ، عن الأعمش ، عن أبى خالد الوالبىّ ، عن جابر بن سَمُرة ، قال : كأنى أنظر إلى إصبعىْ رسول الله صلى الله عليه وسلم — وأشار بالمسبّحة والتى تليها — وهو يقول : « بعثت أنا والساعة كهذه من هذه » .

حدثنا ابن حُميد ، قال : حدثنى يحيى بن واضح ، قال : حدثنا فِطْر [3] ، عن أبى خالد الوالبىّ ، عن جابر بن سَمُرة ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « بعثت من الساعة كهاتين » — وجمع بين إصبعيه السبابة والوسطى .

---

(١) تكلة من ا .

(٢) ط : « أبو كبير » تصحيف ، صوابه فى ا .

(٣) ط : « قطن » ، تصحيف ، صوابه فى ا ، وهو فطر بن خليفة القرشى ، ذكره ابن حجر فيمن روى عن أبى خالد الوالبى ، وانظر تهذيب التهذيب ١٢ : ٨٣ .

١١/١ حدثنا ابن المثنَّى ، قال : حدثنا محمد بن جعفر ، قال : حدثنا شعبة ، قال : سمعت قتادة يحدّث ، قال : حدثنا أنس بن مالك ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « بعثت أنا والساعة كهاتين » . قال شعبة : سمعت قتادة يقول فى قصصه : كفضل إحداهما على الأخرى ، قال : لا أدرى أذكره عن أنس أو قاله قتادة .

حدثنا خلاّد بن أسلم ، قال : حدثنا النضر بن شُمَيل ، قال : حدثنا شعبة ، عن قَتادة ، قال : حدثنا أنس بن مالك ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « بعثت أنا والساعة كهاتين » .

حدثنا مجاهد بن موسى ، قال : حدثنا يزيد ، قال : حدثنا شعبة ، عن قتادة ، عن أنس بن مالك ، عن النبي صلى الله عليه وسلم مثله ، وزاد فى حديثه : وأشار بالوسطى والسبابة .

حدثنا محمد بن عبد الله بن عبد الحكم ، قال : حدثنا أيوب بن سويد ، عن الأوزاعىّ ، قال : حدثنا إسمعيل بن عبيد الله ، قال : قدم أنس بن مالك على الوليد بن عبد الملك ، فقال له الوليد : ماذا سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكر به الساعة ؟ قال : سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « أنتم [و] [1] الساعة كهاتين » ، وأشار بإصبعيه .

حدثنى العباس بن الوليد ، قال : أخبرنى أبى ، قال : حدثنا الأوزاعىّ ، قال : حدثنى إسمعيل بن عبيدالله ، قال : قدم أنس بن مالك على الوليد بن عبد الملك ، فقال له الوليد : ماذا سمعت [من] [1] رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكر به الساعة ؟ قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « أنتم والساعة كتَيْن » .

حدثنى ابن عبد الرحيم البرْقىّ ، قال : حدثنا عمرو بن أبى سلمة ،

---

(١) تكلة من ا .

عن الأوزاعيّ، قال: حدّثني إسمعيل بن عبيد الله، قال: قدم أنس بن مالك على الوليد بن عبد الملك، فذكر مثله.

١٢/١ حدثني محمد بن عبد الأعلى، قال: حدّثنا المعتمر بن سليمان، عن أبيه، قال: حدّثني معبد، حدّث أنس، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «بعثت أنا والساعة كهاتين»، وقال بإصبعيه: هكذا.

حدثنا ابن المثنّى قال: حدثنا وهب بن جرير، قال: حدثنا شُعبة، عن أبي التيّاح، عن أنَس، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «بعثت أنا والساعة كهاتين»: السبابة والوسطى. قال أبو موسى[1]: وأشار وهب بالسبابة والوسطى.

حدثني عبد الله بن أبي زياد، قال: حدثنا وهب بن جرير، قال: حدثنا شعبة، عن أبي التيَّاح وقتادة، عن أنس، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «بعثت أنا والساعة كهاتين»، وقرَن بين إصبعيه.

حدثني محمد بن عبد الله بن بَزِيع، قال: حدّثنا الفضيل بن سليمان، حدثنا أبو حازم، قال: حدثنا سهل بن سعد، قال: رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بإصبعيه هكذا، الوسطى والتي تلي الإبهام: «بُعثت أنا والساعة كهاتين».

حدثنا محمد بن يزيد الأدَميّ، قال: حدثنا أبو ضمرة، عن أبي حازم، عن سهل بن سعد الساعديّ أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «بُعثتُ والساعة كهاتين» — وضم بين إصبعيه الوسطى والتي تلي الإبهام — وقال: «ما مثلي ومثل الساعة إلا كفرسَيْ رِهان»، ثم قال: «ما مثلي ومثل الساعة إلا كمثل رجل بعثه قوم طليعة، فلما خشِيَ أن يُسبق ألاح بثوبه: أُتيتم، أُتيتم، أنا ذاك أنا ذاك».

١٣/١ حدثنا أبو كريب، قال: حدثنا خالد، عن محمد بن جعفر، عن أبي حازم، عن سهل بن سعد، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «بُعثت أنا والساعة كهاتين»، وجمع بين إصبعيه.

---

(١) أبو موسى: كنية ابن المثنى.

حدثنا أبو كُريب ، قال : حدثنا خالد ، قال : حدثنا سليمان بن بلال ، قال : حدثنى أبو حازم ، عن سهل بن سعد ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « بعثت أنا والساعة هكذا » ، وقرن بين إصبعيه : الوسطى والتى تلى الإبهام .

حدثنى ابن عبد الرحيم البرقىّ ، قال : حدثنا ابن أبى مريم ، قال : حدثنا محمد بن جعفر ، قال : حدثنى أبو حازم ، عن سهل بن سعد ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « بعثت أنا والساعة كهاتين » ، وجمع بين إصبعيه .

حدثنا أبو كريب ، قال : حدثنا أبو نعيم ، عن بشير بن المهاجر ، قال : حدثنى عبد الله بن بُرَيدة [1] ، عن أبيه ، قال : سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « بعثت أنا والساعة جميعاً ، إن كادت لتسبقنى » .

حدثنى محمد بن عمر بن هياج ، قال : حدثنا يحيى بن عبد الرحمن ، قال : حدثنى عبيدة بن الأسود ، عن مجالد ، عن قيس بن أبى حازم ، عن المستورد بن شداد الفهرىّ ، عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : « بعثت فى نَفَس الساعة [2] ، سبقتُها كما سبقتْ هذه هذه » ، لإصبعيه السبابة والوسطى ، ووصف لنا أبو عبد الله ، وجَمعهما .

حدثنى أحمد بن محمد بن حبيب ، قال : حدثنا أبو نصر ، قال : حدثنا المسعودىّ ، عن إسماعيل بن أبى خالد ، عن الشعبىّ ، عن أبى جَبيرة ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « بعثتُ مع الساعة كهاتين » ، — وأشار بإصبعيه الوسطى والسبابة — « كفضْل هذه على هذه » .

حدثنا تميم بن المنتصر ، قال : أخبرنا يزيد ، قال : أخبرنا إسماعيل ، عن شُبيل بن عوف ، عن أبى جَبيرة ، عن أشياخ من الأنصار ، قالوا :

---

(١) كذا ضبطه ابن الأثير ١ : ١٢ : « بضم الموحدة وسكون الياء تحتها نقطتان وآخرها هاء » .

(٢) بعثت فى نفس الساعة ، أى بعثت وقد حان قيامها وقرب . النهاية لابن الأثير ٤ : ١٦٤ .

١٤/١ سمعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « جئت أنا والساعة هكذا » — قال الطبريّ : وأرانا تميم ، وضم السبابة والوسطى وقال لنا : أشار يزيد بإصبعيه السبابة والوسطى وضمهما — وقال : « سبقتُها كما سبقتْ هذه هذه فى نَفَس من الساعة » ، أو « [فى][1] نَفَس الساعة » .

فعلوم إذْ كان اليوم أولُه طلوع الفجر وآخرُه غروب الشمس ، وكان صحيحاً عن نبينا صلى الله عليه وسلم ، ما رويناه عنه قبل ، أنه قال بعد ما صلى العصر : «ما بقىَ من الدنيا فيما مضى منها إلا كما بقىَ من يومكم هذا فيما مضى منه». وأنه قال لأصحابه : «بُعثتُ أنا والساعة كهاتين» — وجمع بين السبابة والوسطى — « سبقتُها بقدر هذه من هذه » ، يعنى الوسطى من السبابة . وكان قدر ما بين أوسط أوقات صلاة العصر — وذلك إذا صار ظل كُلّ شىء مثليه — على التحرّى إنما يكون قدر نصف سبع اليوم ، يزيد قليلا أو ينقص قليلا ، وكذلك فضل ما بين الوسطى والسبابة ، إنما يكون نحواً من ذلك وقريباً منه .

وكان صحيحاً مع ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما حدثنى أحمد بن عبد الرحمن بن وهب ، قال : حدثنى عمى عبد الله بن وهب ، قال : حدثنى معاوية بن صالح ، عن عبد الرحمن بن جبير بن نُفير ، عن أبيه جبير بن نُفير ، أنه سمع أبا ثعلبة الخشنىّ صاحب النبى صلى الله عليه وسلم يقول : إن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم قال : « لن يُعجز الله هذه الأمة من نصف يوم » ، وكان معنى قول النبيّ ذلك أن « لن يعجز الله هذه الأمة من نصف يوم » الذى مقداره ألف سنة = كان بيناً أن أوْلَى القولين — اللذين ذكرتُ فى مبلغ قدر مدة جميع ١٥/ الزمان ، اللذين أحدهما عن ابن عباس ، والآخر منهما عن كعب — بالصواب ، وأشبههما بما دلت عليه الأخبار الواردة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قولُ ابن عباس ، الذى روينا عنه أنه قال : الدنيا جمعة من جمع الآخرة سبعة آلاف سنة .

---

(١) تكملة من ا ، ر .

وإذ كان ذلك كذلك، وكان الخبرُ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم صحيحاً أنه أخبر عن الباقى من ذلك فى حياته أنه نصف يوم، وذلك خمسمائة عام ؛ إذْ كان ذلك نصف يوم من الأيام التى[1] قدر اليوم الواحد منها ألف عام= كان معلوماً أن الماضىَ من الدنيا إلى وقت قول النبى صلى الله عليه وسلم ما رَويناه عن أبى ثعلبة الخشنى عنه ، كان قدرَ ستة آلاف سنة وخمسمائة سنة ، أو نحواً من ذلك وقريباً منه . والله أعلم .

* * *

فهذا الذى قلنا — فى قدر مدة أزمان الدنيا ، من مبدأ أوّلها إلى منتهى آخرها — منْ أثبت ما قيل فى ذلك عندنا من القول ، للشواهد الدالة التى بيناها على صحة ذلك .

وقد روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم خبرٌ يدلُّ على صحة قول من قال : إن الدنيا كلها ستة آلاف سنة ، لو كان صحيحاً سنده لم نعدُ القولَ به إلى غيره ؛ وذلك ما حدّثنى به محمد بن سنان القزاز ، قال : حدّثنا عبد الصمد ابن عبد الوارث ، حدثنا زبّان ، عن عاصم ، عن أبى صالح ، عن أبى هريرة ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : «الحُقْب ثمانون عاماً ، اليوم منها سدس الدنيا » .

فبيّن فى هذا الخبر أن الدنيا كلها ستة آلاف سنة ، وذلك أن اليومَ الذى هو من أيام الآخرة إذا كان مقداره ألفَ سنة من سنِى الدنيا ، وكان اليوم الواحد من ذلك سدس الدنيا ، كان معلوماً بذلك أن جميعها ستة أيام من أيام الآخرة ، وذلك ستة آلاف سنة . ١٦/١

* * *

وقد زعم[2] اليهود أن جميعَ ما ثبت عندهم — على ما فى التوراة مما هو[3] فيها من لدن خلق الله آدم إلى وقت الهجرة ، وذلك فى التوراة التى هى فى أيديهم اليوم — أربعةُ آلاف سنة وستمائة سنة واثنتان وأربعون سنة ، وقد ذكروا تفصيل ذلك بولادة رجل رجل ، ونبى نبى ، وموته من عهد آدم إلى هجرة نبينا محمد صلى الله عليه

(١) ط « الذى » ، وصوابه من ا .
(٢) ط : « تزعم » ، وما أثبته من ا .
(٣) كذا فى ا ، ب ، ك ، وفى ط : « مما بين » .

وسلم . وسأذكر تفصيلهم ذلك إن شاء الله، وتفصيل غيرهم ممن فصّله من علماء أهل الكتب وغيرهم من أهل العلم بالسير وأخبار الناس إذا انتهيت إليه إن شاء الله .

وأما اليونانية من النصارى فإنها تزعم أن الذى ادّعته اليهود من ذلك باطل، وأن الصحيحَ من القول فى قدْر مدّة أيام الدنيا — من لدُنْ خلق الله آدم إلى وقت هجرة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم على سياق ما عندهم فى التوراة التى هى فى أيديهم — خمسة آلاف سنة وتسعمائة سنة واثنتان وتسعون سنة وأشهر . وذكروا تفصيل ما ادّعوه من ذلك بولادة نبيّ نبيّ، وملك ملك، ووفاته من عهد آدم إلى وقت هجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وزعموا أن اليهودَ إنما نقصُوا ما نقصُوا من عدد سنى ما بين تاريخهم وتاريخ النصارى دفعاً منهم لنبوّة عيسى بن مريم عليه السلام إذ كانت صفته ووقت مبعثه مثبتَة فى التوراة . وقالوا : لم يأت الوقت الذى وُقّت لنا فى التوراة أن الذى صفته صفة عيسى يكون فيه ، وهم ينتظرون — بزعمهم — خروجَه ووقته . ١٧/١

وأحسب[1] أن الذى ينتظرونه ويدّعون أن صفته فى التوراة مثبتة، هو الدّجال الذى وصفه رسول الله صلى الله عليه لأمته، وذكر لهم أن عامة أتباعه اليهود ؛ فإن كان ذلك هو عبد الله بن صياد ، فهو من نسل اليهود .

وأما المجوس فإنهم يزعمون أن قدْر مدة الزمان من لدن ملك جيُومَرت إلى وقت هجرة نبينا صلى الله عليه وسلم ثلاثة آلاف سنة ومائة سنة وتسع وثلاثون سنة، وهم لا يذكرون مع ذلك نسباً يعرف فوق جيُومرْت ، ويزعمون أنه آدم أبو البشر، صلى الله عليه وسلم وعلى جميع أنبياء الله ورسله .

ثم أهلُ الأخبار بعدُ فى أمره مختلفون؛ فمن قائل منهم فيه مثل قول المجوس، ومن قائل منهم إنه تَسمّى بآدم بعد أن ملك الأقاليم السبعة، وأنه إنما هو جامر بن يافث[2] ابن نوح ، كان بنوح عليه السلام برًّا ولخدمته ملازماً، وعليه حَدِباً شفيقاً، فدعا اللهَ له ولذريته [نوح][3] — لذلك من بره به وخدمته له — بطول العمر، والتمكين فى

(١) ط : «فأحسب» .
(٢) كذا ضبط فى القاموس ، كصاحب ، ووقع فى سفر التكوين مضبوطاً بالفتح .
(٣) من ا .

البلاد ؛ والنصر على من ناوأه وإياهم ، واتصال الملك له ولذريته ، ودوامه[1] له ولهم ؛ فاستجيب له فيه ، فأعطى جيُومَرت ذلك وولده ، فهو أبو الفرس ، ولم يزل الملك فيه وفى ولده إلى أن زال عنهم بدخول المسلمين مدائن كسرى ، وغلَبة أهل الإسلام إياهم على ملكهم .

ومن قائل غير ذلك ؛ وسنذكر إن شاء الله ما انتهى إلينا من القول فيه إذا انتهينا إلى ذكرنا تأريخ الملوك ومبالغ أعمارهم ، وأنسابهم وأسباب ملكهم .

---

(١) ا : « دوامها » .

القول فى الدلالة
على حدوث الأوقات والأزمان والليل والنهار

١٨/١

قد قلنا قبلُ إن الزمان إنما هو اسم لساعات الليل والنهار ، وساعاتُ الليل والنهار إنما هى مقادير من جَرْى الشمس والقمر فى الفَلَك، كما قال الله عزّ وجلّ: ﴿ وَآيَةٌ لَهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُمْ مُظْلِمُونَ * وَالشَّمْسُ تَجْرِى لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ * وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّى عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ * لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِى لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴾(١).

فإذا كان الزمان ما ذكرنا من ساعات الليل والنهار ، وكانت ساعات الليل والنهار إنما هى قَطْع الشمس والقمر درجات الفَلَك ، كان بيقين معلوماً أن الزمان محدَث والليل والنهار محدثان ، وأن مُحدِث ذلك الله الذى تفرّد بإحداث جميع خلقه ، كما قال : ﴿ وَهُوَ الَّذِى خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴾(٢).

ومن جَهِل حدوث ذلك من خلق الله فإنه لن يجهلَ اختلافَ أحوال الليل والنهار ؛ بأن أحدَهما يَرِد على الخلق — وهو الليل — بسواد وظلمة، وأنّ الآخر منهما يرد عليهم بنور وضياء ، ونَسْخٍ لسواد الليل وظلمته، وهو النهار .

فإذا كان ذلك كذلك ، وكان من المحال اجتماعهما مع اختلاف أحوالهما فى وقت واحد فى جزء واحد — كان معلوماً يقيناً أنه لا بد [من] (٣) أن يكونَ أحدُهما كان قبل الآخر منهما ؛ وأيّهما كان منهما قبل صاحبه فإن الآخر منهما كان

---

(١) سورة يس ٣٧ — ٤٠
(٢) سورة الأنبياء ٣٣
(٣) من ا .

لا شك بعده ، وذلك إبانةٌ ودليل على حدوثهما ، وأنهما خلقان لخالقهما[١] . ١٩/١

ومن الدلالة أيضاً على حدوث الأيام والليالى أنه لا يومَ إلا وهو بعدَ يوم كان قبله ، وقبل يوم كائن بعده ، فمعلوم أنّ ما لم يكن ثم كان ، أنه محدَث مخلوق ، وأنّ له خالقاً ومحدِثا .

وأخرى ،[٢] أن الأيام والليالى معدودة ، وما عدّ من الأشياء فغير خارج من أحد العددين : شفع أو وتر ؛ فإن يكن شفعاً فإن أولها اثنان ، وذلك تصحيح القول بأن لها ابتداء وأولاً ، وإن كان وتراً فإنّ أولها واحد ، وذلك دليل على أن لها ابتداء وأوّلاً ، وما كان له ابتداء فإنه لا بد له من مبتدئ ، هو خالقه .

---

(١) ا : « بتخالفهما » .

(٢) ط : « والأخرى » ، وما أثبته عن ا .

القول فى هل كان الله عزّ وجلّ خلق قبل خلقه الزمان والليل والنهار شيئاً غير ذلك من الخلق

قد قلنا قبل: إنّ الزمان إنما هو ساعات الليل والنهار، وإنّ الساعات إنما هى قَطْع [1] الشمس والقمر درجات الفلك.

فإذا [2] كان ذلك كذلك، وكان صحيحاً عن رسول الله صلى الله عليه وسلم [3] ما حدّثنا هنّاد بن السرىّ، قال: حدثنا أبو بكر بن عياش، عن أبى سعد البقّال، عن عكرمة، عن ابن عباس — قال هناد: وقرأت سائر الحديث [4] [على أبى بكر] — [5] أن اليهود أتت النبىّ صلى الله عليه وسلم فسألته عن خلق السموات والأرض فقال: خلق الله الأرضَ يوم الأحد والاثنين، وخلق الجبال يوم الثلاثاء وما فيهنّ من منافع، وخلق يوم الأربعاء الشجر والماء والمدائن والعمران والخراب؛ فهذه أربعة، [ثم] [5] قال: ﴿قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَنْدَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ * وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِنْ فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِلسَّائِلِينَ﴾ [6]، لمن سأل. قال: وخلق يوم الخميس السماء، وخلق يوم الجمعة النجوم والشمس والقمر والملائكة، إلى ثلاث ساعات بقيت منه، فخلق فى أول ساعة من هذه الثلاث الساعات الآجالَ مَنْ يحيا ومن يموت، وفى الثانية ألقى الآفة على كل شىء مما ينتفع به الناس، وفى الثالثة آدم وأسكنه الجنة، وأمر إبليس بالسجود له

١/٢٠

(١) ا: «مطلع» تحريف.
(٢) جواب «إذا»: «فإن كان كذلك» ص ٢٦
(٣) الخبر فى التفسير ٢٤: ٦١ (بولاق).
(٤) ط: «فى سائر الحديث»، وما أثبته عن ا.
(٥) زيادة من التفسير.
(٦) سورة فصلت ٩، ١٠

وأخرجه منها فى آخر ساعة . ثم قالت اليهود : ثم ماذا يا محمد ؟ قال : ثم استوى على العرش ، قالوا : قد أصبتَ لو أتممت : قالوا : ثم استراح ، فغضب النبىّ صلى الله عليه وسلم غضباً شديداً ، فنزل : ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ ۞ فَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ ﴾[1].

حدثنى القاسم بن بشر بن معروف والحسين بن على الصُّدَائىّ ، قالا : حدثنا حجاج ، قال : قال ابن جُرَيج : أخبرنى إسماعيل بن أمية ، عن أيوب بن خالد ، عن عبد الله بن رافع مولى أم سلمة ، عن أبى هريرة قال : أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بيدى فقال : « خلق الله التربة يوم السبت ، وخلق فيها الجبال يوم الأحد ، وخلق الشجر يوم الاثنين ، وخلق المكروه يوم الثلاثاء ، وخلق النور يوم الأربعاء ، وبث فيها الدواب يوم الخميس ، وخلق آدم بعد العصر من يوم الجمعة ، آخر خلْق خلَق ، فى آخر ساعة من ساعات الجمعة ، فيما بين العصر إلى الليل » .

حدثنا محمد بن عبد الله بن بَزِيع[2] ، قال : حدثنا الفُضَيل[3] بن سليمان ، حدثنى محمد بن زيد ، قال : حدثنى أبو سلمة بن عبد الرحمن بن عوف ، قال : ٢١/١ أخبرنى ابن سلام وأبو هريرة ، فذكرا عن النبى صلى الله عليه وسلم الساعة التى فى يوم الجمعة ، وذكرا أنه قالها ؛ قال[4] عبد الله بن سلاَم : أنا أعلم أىّ ساعة هى ؛ بدأ الله فى خلق السموات والأرض يوم الأحد ، وفرغ فى آخر ساعة من يومٍ الجمعة ، فهى فى آخر ساعة من يوم الجمعة .

حدثنى المثنَّى ، قال : حدَّثنا الحجَّاج ، حدَّثنا حمَّاد ، عن عطاء بن السائب ، عن عِكْرمة : أن اليهود قالوا للنبى صلى الله عليه وسلم : ما يوم الأحد ؟ فقال رسول

---

(١) سورة ق ٣٨ ، ٣٩

(٢) كذا ضبطه صاحب التقريب ؛ بفتح الموحدة وكسر الزاى .

(٣) ط : « الفضل » تحريف ؛ وانظر تهذيب التهذيب ٨ : ٢٩١ ، ٩ : ٢٤٨

(٤) ط : « فقال » .

الله صلى الله عليه وسلم: خلق الله فيه الأرض وبَسطها[1]، قالوا: فالاثنين؟ قال: خلق الله فيه آدم، قالوا: فالثلاثاء؟ قال: خلق فيه الجبال والماء وكذا وكذا وما شاء الله، قالوا: فيوم الأربعاء؟ قال: الأقوات، قالوا: فيوم الخميس؟ قال: خلق السموات، قالوا: فيوم الجمعة؟ قال: خلق الله فى ساعتين الليل والنهار، ثم قالوا: السبت — وذكروا الراحة — قال: سبحان الله! فأنزل الله: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَٰوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ ﴾.

فقد بيَّن هذان الخبران اللذان رويناهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أن الشمس والقمر خُلِقا بعد خلق الله أشياء كثيرة من خلْقه ؛ وذلك أن حديث ابن عباس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ورد بأن الله خلق الشمس والقمر يوم الجمعة = فإن[2] كان ذلك كذلك، فقد كانت الأرض والسماء وما فيهما — سوى الملائكة وآدم — مخلوقةً قبل خلق الله الشمسَ والقمر، وكان ذلك كله ولا ليلَ ولا نهار ؛ إذْ كان الليل والنهار إنما هو اسم لساعات معلومة من قطع الشمس والقمر دَرَج الفلك.

٢٢ وإذا كان صحيحاً أنّ الأرض والسماء وما فيهما، سوى ما ذكرنا، قد كانت ولا شمس ولا قمر — كان معلوماً أن ذلك كلَّه كان ولا ليل ولا نهار. وكذلك حديث أبى هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، لأنه أخبر عنه أنه قال: «خلق الله النورَ يوم الأربعاء»، يعنى بالنور الشمسَ إن شاء الله.

* * *

فإن قال لنا قائل: قد زعمتَ أن اليومَ إنما هو اسمٌ لميقات ما بين طلوع الفجر إلى غروب الشمس، ثم زعمتَ الآن أن الله خلق الشمس والقمر بعد أيام من أول ابتدائه خلقَ الأشياء التى خلقها، فأثبتَّ مواقيتَ، وسميتَها بالأيام، ولا شمس ولا قمر، وهذا إن لم تأت ببرهان على صحته، فهو كلام ينقض بعضه بعضاً!

(١) ط: «كبسها»، س «وكسبها»؛ وما أثبته من ا.

(٢) «فإن كان»، جواب: «إذا» فيما سبق ص ٢٤.

قيل: إن الله سمّى ما ذكرته[١] أياماً، فسميتُه بالاسم الذى سماه به ، وكان وجهُ تسمية ذلك أياماً، ولاشمس ولاقمر؛ نظير قوله عزّ وجلّ: ﴿ وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴾[٢] ولا بكرةَ ولا عشىّ هنالك ؛ إذ كان لا ليلَ فى الآخرة ولا شمس ولا قمر؛ كما قال جلّ وعزّ : ﴿ وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِى مِرْيَةٍ مِنْهُ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَقِيمٍ ﴾[٣].

فسمّى تعالى ذكره يومَ القيامة يوماً عقيماً، إذْ كان يوماً لا ليلَ بعدمجيئه؛ وإنما أريد بتسمية ما سمّى أياماً قبل خلق الشمس والقمر قدرُ مدة ألف عام من أعوام الدنيا، التى العام منها اثنا عشر شهراً من شهور أهل الدنيا، التى تُعدّ ساعاتها وأيامها بقطع الشمس والقمر دَرَج الفلك ، كما سمّى بُكرةً وعشياً لما يرزَقه أهلُ الجنة فى قدْر المدة التى كانوا يعرفون ذلك من الزمان فى الدنيا بالشمس ومجراها فى الفلك ، ولا شمسَ عندهم ولا ليل . ٢٣/١

* * *

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال السلف من أهل العلم .

* ذكر بعض من حضرنا ذكره ممن قال ذلك:

حدثنى القاسم ، قال : حدثنا الحسين ، قال: حدثنى الحجاج ، عن ابن جُريج ، عن مجاهد أنه قال: [٤] يقضى الله عز وجل أمرَ كل شىء ألفَ سنة إلى الملائكة؛ ثم كذلك حتى يمضىَ ألف سنة، ثم يقضى أمر كلّ شىء ألفاً، ثم كذلك أبداً ، قال : ﴿ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ ﴾[٥] قال : اليوم أن يقول لما يقضى إلى الملائكة ألف سنة : «كن فيكون»، ولكنْ سمّاه يوماً، سمّاه كما شاء. كلّ ذلك

---

(١) ا : «ذكرت»

(٢) سورة مريم ٦٢

(٣) سورة الحج ٥٥

(٤) الخبر فى التفسير ٢١ : ٥٩ (بولاق) .

(٥) سورة السجدة ٥

عن مجاهد، قال: وقوله تعالى: ﴿وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ﴾[١]
قال: هو هو سواء.

* * *

وبنحو الذى ورد[٢] عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من الخبر، بأن الله جل جلاله خلق الشمس والقمر بعد خلقه السموات والأرض وأشياء غير ذلك، ورد الخبرُ عن جماعة من السلف أنهم قالوه.

• ذكر الخبر عمّن قال ذلك منهم:

حدثنا أبو هشام الرفاعىّ، حدثنا ابنُ يمان، حدثنا سفيان، عن ابن جُريج، عن سليمان بن موسى، عن مجاهد، عن ابن عبـاس: ﴿فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾[٣].
قال: قال الله عز وجل للسموات: أطلعى شمسى وقمرى، وأطلعى نجومى[٤].
وقال للأرض: شقّقى أنهارك، وأخرجى ثمارك، فقالتا: أتينا طائعين.

٢٤/١ حدثنا بشر بن معاذ، قال حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة: ﴿وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا﴾[٥]، خلق فيها شمسها وقمرها ونجومها وصلاحها[٦].

* * *

فقد بيّنتْ هذه الأخبار التى ذكرناها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعمّن ذكرناها عنه أن الله عزّ وجلّ خلق السموات والأرض قبل خلقه الزمان والأيام والليالى، وقبل الشمس والقمر. والله أعلم.

(١) سورة الحج ٤٧.
(٢) ا: «روى».
(٣) سورة فصلت ١١.
(٤) كذا فى ا، والتفسير، وفى ط: «وقمرى ونجومى».
(٥) سورة فصلت ١٢. (٦) الخبر فى التفسير ٢٤: ٦٤ (بولاق).

القول فى الإبانة عن فناء الزمان والليل والنهار وأن لا شىء يبقى غير الله تعالى ذكره

والدلالة على صحة ذلك قول الله تعالى ذكره : ﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ * وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴾ (١)، وقوله تعالى : ﴿ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ ﴾ (٢) .

فإن (٣) كان كلُّ شيء هالك غير وجهه — كما قال جلّ وعزّ — وكان الليل والنهار ظلمة أو نوراً خلقهما لمصالح خلقه ، فلا شك أنهما فانيان هالكان ، كما أخبر ؛ وكما قال : ﴿ إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ ﴾ (٤) يعنى بذلك أنها عُمِّيت فذهب ضوءها ، وذلك عند قيام الساعة ، وهذا ما لا يُحتاج إلى الإكثار فيه ؛ إذ كان مما يدين بالإقرار (٥) به جميعُ أهل التوحيد من أهل الإسلام وأهل التوراة والإنجيل والمجوس ، وإنما ينكرُه قومٌ من غير أهل التوحيد ، لم نقصد بهذا الكتاب قصدَ الإبانة عن خطإ قولهم . فكلّ الذين (٦) ذكرنا عنهم أنهم مقرون بفناء جميع العالم حتى لا يبقى غيرُ القديم الواحد ، مقرّون بأن الله عزّ وجلّ محييهم بعد فنائهم ، وباعثهم بعد هلاكهم ، خلا قومٍ من عَبَدة الأوثان ، فإنهم يُقرون بالفناء ، وينكرون البعث . ٢٥/١

(١) سورة الرحمن : ٢٦-٢٧ .
(٢) سورة القصص : ٨٨ .
(٣) ا : « فإذ » .
(٤) سورة التكوير : ١ .
(٥) ر : « إذ كان مما يقر به » .
(٦) ط : « وكل الذى » ، وما أثبته عن ا .

القول فى الدلالة على أنّ الله عزّ وجلّ القديم الأول قبل شىء وأنه هو المحدث كل شىء بقدرته تعالى ذكره

فمن الدلالة على ذلك أنه لاشىء فى العالم مشاهَد إلا جسم أو قائم بجسم، وأنه لا جسمَ إلا مفترِق أو مجتمع، وأنه لا مفترِق منه إلاوهو موهوم فيه الائتلاف إلى غيره من أشكاله، ولا مجتمِعَ منه إلا وهو موهوم فيه الافتراق، وأنه متى عُدِم أحدهما عدم الآخر معه، وأنه إذا اجتمع الجزءان منه بعد الافتراق، فمعلوم أنّ اجتماعهما حادث فيهما بعد أن لم يكن، وأنّ الافتراقَ إذا حدث فيهما بعد الاجتماع، فمعلوم أن الافتراق فيهما حادث بعد أن لم يكن.

وإذا كانَ الأمر فيما فى العالم من شىء كذلك، وكان حكم ما لم يُشاهد وما هو منْ جنس[1] ما شاهدنا فى معنى جسم أو قائم بجسم، وكان ما لم يخلُ من الحدث لا شك أنه محدَث بتأليف مؤلّف له إن كان مجتمعا، وتفريق مفرّق له إن كان مفترقا. وكان معلوماً بذلك أن جامع ذلك إن كان مجتمعاً، ومفرّقه إن كان مفترقاً منْ لايشبهه، ومن لايجوز عليه الاجتماع والافتراق، وهو الواحد القادر الجامع بين المختلفات، الذى لا يشبهه شىء، وهو على كل شىء قدير — فبيِّنٌ بما وصفنا أن بارئ الأشياء ومحدثها كان قبل كل شىء، وأن الليل والنهار والزمان والساعات محدثات، وأن محدثها الذى يُدبرها ويُصَرّفها قبلها، إذْ كان من المحال أن يكون شىء يُحدث شيئاً إلاومحدِثه قبله، وأن فى قوله تعالى ذكره: ﴿ أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ * وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ * وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ * وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴾[2]، لأبلغُ الحجج، /٢٦

---

(١) ا، ك: «مما هو جنس ما شاهدنا».

(٢) سورة الغاشية ١٧ — ٢٠

وأدلُّ الدلائل — لمن فكَّر بعقل، واعتبر[١] بفهم — على قِدَم بارئها، وحدوث كل ما جانسها، وأنَّ لها خالقاً لا يشبهها.

وذلك أن كلَّ ما ذكر ربنا تبارك وتعالى فى هذه الآية من الجبال والأرض والإبل فإنَّ ابنَ آدم يعالجه ويدبِّره بتحويل وتصريف وحفر ونحت وهدم، غيرَ ممتنع عليه شىء من ذلك. ثم إنَّ ابن آدم مع ذلك غير قادر على إيجاد[٢] شىء من ذلك من غير أصل؛ فمعلوم أن العاجز عن إيجاد[٢] ذلك لم يحدِث نفسَه، وأن الذى هو غير ممتنع ممن أراد تصريفه وتقليبه لم يوجدْه مَن هو مثله، ولا هو أوجدَ نفسه، وأن الذى أنشأه وأوجد عينه هو الذى لا يُعجزه شىء أراده، ولا يمتنع عليه إحداث شىء شاء إحداثه، وهو الله الواحد القهار.

* * *

فإن قال قائل: فما تنكر أن تكون الأشياء التى ذكرت من فعل قديمين؟

قيل: أنكرنا ذلك لوجودنا اتصال التدبير وتمام الخلق، فقلنا: لو كان المدبِّر اثنين، لم يخلُوَا من اتفاق أو اختلاف؛ فإن كانا متفقين فمعناهما واحد، وإنما جعل الواحدَ اثنين مَنْ قال بالاثنين. وإن كانا مختلفين كان محالا وجودُ الخلق ١/٢٧ على التمام والتدبير على الاتصال؛ لأن المختلفين، فعلُ كلِّ واحد منهما خلافُ فعل صاحبه؛ بأنَّ أحدَهما إذا أحيا أمات الآخر، وإذا أوجد أحدُهما أفنى الآخر، فكان محالا وجودُ شىء من الخلق على ما وُجد عليه من التمام والاتصال. وفى قول الله عز وجل ذكره: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾[٣]، وقوله عزّ وجل: ﴿مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَٰهٍ إِذًا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ۞ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾[٤]

(١) ا: «أعين».

(٢) ا، ر: «اتخاذ».

(٣) سورة الأنبياء ٢٢

(٤) سورة «المؤمنين» ٩١، ٩٢

أبلغُ حجة، وأوجز بيان، وأدلّ دليل على بُطول[1] ما قاله المبطلون من أهل الشرك بالله، وذلك أن السموات والأرض لوكان فيهما إله غير الله، لم يخلُ أمرهما مما وصفت من اتفاق واختلاف. وفي القول باتفاقهما فساد القول بالتثنية، وإقرار بالتوحيد، وإحالةٌ في الكلام بأن قائله سمّى الواحد اثنين. وفي القول باختلافهما، القول بفساد السموات والأرض، كما قال ربنا جلّ وعزّ: ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا ﴾ لأنّ أحدَهما كان إذا أحدث شيئاً وخلقه كان من شأن الآخر إعدامه وإبطاله؛ وذلك أنّ كلّ مختلفين فأفعالُهما مختلفة، كالنار التي تسخّن، والثلج الذي يبرّد ما أسخنته النار.

٢٨/١ وأخرى، أن ذلك لو كان كما قاله المشركون بالله لم يخلُ كلّ واحد من الاثنين اللذيْن أثبتوهما قديمين من أن يكونا قويين أو عاجزين؛ فإن كانا عاجزين فالعاجزُ مقهور وغير كائن إلهاً. وإن كانا قويين فإنّ كلّ واحد منهما بعجزه عن صاحبه عاجز، والعاجز لا يكون إلهاً. وإن كان كلّ واحد منهما قوياً على صاحبه؛ فهو بقوة صاحبه عليه عاجز، تعالى ذكرُه عما يشرك المشركون!

فتبيَّن إذاً أن القديمَ بارئ الأشياء وصانعها هو الواحد الذي كان قبل كلّ شيء، وهو الكائن بعد كلّ شيء، والأول قبل كلّ شيء، والآخر بعد كلّ شيء، وأنه كان ولا وقتَ ولا زمان، ولا ليلَ ولا نهار، ولا ظلمة ولا نور[2] إلا نور وجهه الكريم. ولا سماء ولا أرض، ولا شمس ولا قمرَ ولا نجوم، وأن كلّ شيء سواه محدَث مدبَّر مصنوع، انفرد بخلق جميعه بغير شريك ولا مُعين ولا ظهير، سبحانه من قادر قاهر!

وقد حدثني علي بن سهل الرمليّ، قال: حدّثنا زيد بن أبي الزرقاء، عن جعفر، عن يزيد بن الأصمّ، عن أبي هريرة، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:

---

(١) ا: «بطلان»؛ وهما مصدران صحيحان.

(٢) ا: «ولا ضياء».

« إنكم تُسألون بعدى عن كلّ شىء ، حتى يقول القائل : هذا الله خلق كلّ شىء فمن ذا خلقه ! » .

حدثنى علىّ ، حدثنا زيد ، عن جعفر ، قال: قال يزيد بن الأصمّ : حدّثنى نَجَبَة بن صَبيغ ، قال: كنت عند أبى هريرة فسألوه عن هذا فكبّر وقال: ماحدّثنى خليلى بشىء إلا قد رأيته — أو[1] أنا أنتظره . قال جعفر : فبلغنى أنه قال : إذا سألكم الناس عن هذا فقولوا : الله خالق كلّ شىء ، والله كان قبل كلّ شىء ، والله كائن بعد كلّ شىء .

* * *

فإذا كان معلوماً أن خالقَ الأشياء وبارئها كان ولا شىء غيره ، وأنه أحدَث الأشياء فدبّرها ، وأنه قد خلق صنوفاً من خلقه قبل خلق الأزمنة والأوقات ، وقبل خلق الشمس والقمر اللذيْن يُجريهما فى أفلاكهما ، وبهما عُرِفت الأوقات والساعات ، وأرّخت التأريخات ، وفصِل بين الليل والنهار ، فلْنقل : فيمَ ذلك الخلق الذى خُلِق قبل ذلك ؟ وما كان أوله ؟ ٢٩/١

(١) ط : « وأنا » ، وما أثبته عن ا .

القول فى ابتداء الخلق ما كان أوله

صحّ الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بما حدثنى به يونس بن عبد الأعلى ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : حدثنى معاوية بن صالح — وحدثنى عبيد بن آدم بن أبى إياس العسقلانىّ ، قال : حدثنا أبى ، قال : حدثنا الليث بن سعد ، عن معاوية بن صالح — عن أيوب بن زياد ، قال : حدثنى عبادة بن الوليد بن عبادة بن الصامت ، قال : أخبرنى أبى ، قال : قال أبى عبادة بن الصامت : يا بنىّ سمعت رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يقول : « إن أول ما خلق الله القلم فقال له : اكتبْ ، فجرى فى تلك الساعة بما هو كائن » .

حدثنى أحمد بن محمد بن حبيب ، قال : حدثنا علىّ بن الحسن بن شقيق ، قال : أخبرنا عبد الله بن المبارك ، قال : أخبرنا رباح بن زيد ، عن عمر بن حبيب ، عن القاسم بن أبى بزّة ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس أنه كان يحدّث أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إن أوّل شىء خلق الله القلم ، وأمره أن يكتب كلّ شىء » .

١/٣٠ حدثنى موسى بن سهل الرملىّ ، حدثنا نعيم بن حماد ، حدثنا ابن المبارك ، أخبرنا رَباح بن زيد[1] ، عن عمر بن حبيب ، عن القاسم بن أبى بَزّة ، عن سعيد بن جُبَير ، عن ابن عباس ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بنحوه .

حدثنى محمد بن معاوية الأنماطىّ ، حدثنا عباد بن العوام ، حدثنا عبد الواحد بن سليم ، قال : سمعتُ عطاء ، قال : سألت الوليد بن عبادة بن الصامت : كيف كانت وصية أبيك حين حضره الموت ؟ قال : دعانى فقال :

---

(١) ط : « رباح بن يزيد » ؛ وما أثبته عن ا ؛ ذكره ابن حجر فيمن روى عن عمر ابن حبيب . وانظر تهذيب التهذيب ٣ : ٢٣٣ ، و ٧ : ٤٣١ .

أىْ بنىّ ، اتق الله واعلم أنك لن تتّقى (١) الله ، ولن تبلغَ العلمَ حتى تؤمن بالله وحده ، والقدَرِ خيرِه وشرّه ، إنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « إن أول ما خلق الله عزّ وجلّ خلق القلم ، فقال له : اكتب ، قال : يا رب وما أكتب ؟ قال : اكتب القدَر ، قال : فجرى القلم فى تلك الساعة بما كان و بما هو كائن إلى الأبد» .

* * *

وقد اختلف [أهل] (٢) السلف قبلنا فى ذلك ، فنذكرُ أقوالهم ، ثم نتبع البيان عن ذلك إن شاء الله تعالى .

فقال بعضهم فى ذلك بنحو الذى روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه .

* ذكر من قال ذلك :

حدثنى واصل بن عبد الأعلى الأسدىّ ، قال : حدثنا محمد بن فُضيل ، عن الأعمش ، عن أبى ظَبْيان ، عن ابن عباس ، قال : أولُ ما خلق الله من شىء القلم فقال له : اكتب ، فقال (٣) : وما أكتب يا رب ؟ قال : اكتب القدَر ، قال : فجرى القلم بما هو كائن من ذلك إلى قيام الساعة ، ثم رُفع بخار الماء ففتَق منه السموات .

حدثنا واصل بن عبد الأعلى ، قال : حدثنا وكيع ، عن الأعمش ، عن أبى ظَبيان ، عن ابن عباس نحوه .

حدثنا محمد بن المثنّى ، قال : حدّثنا ابن أبى عدىّ ، عن شعبة ، عن سليمان ، عن أبى ظَبيان ، عن ابن عباس ، قال : أوّلُ ما خلق الله من شىء القلمُ ، فجرى بما هو كائن . ٣١/١

حدثنا تميم بن المنتصر ، أخبرنا إسحاق ، عن شريك ، عن الأعمش ، عن أبى ظَبيان — أو مجاهد — ، عن ابن عباس بنحوه .

(١) ط : « لن تلقى الله » ، وصوابه من ا ، ر ، ن ، س .
(٢) تكملة من ا .
(٣) ا : « قال » .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، حدثنا ابن ثور ، قال : حدثنا معمر ، حدثنا الأعمش أن ابن عباس قال : إن أولَ شىء خُلِق القلم .

حدثنا ابن حميد ، حدثنا جرير ، عن عطاء[1] ، عن أبى الضّحا مسلم بن صُبَيْح ، عن ابن عباس ، قال : إن أوّلَ شىء خلق ربى عزّ وجلّ القلم ، فقال له : اكتب ، فكتب ما هو كائن إلى أن تقوم الساعة .

* * *

وقال آخرون : بل أولُ شىء خلق الله عزّ وجلّ من خلقه النورُ والظلمة .

* ذكر من قال ذلك :

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة بن الفضل ، قال : قال ابن اسحاق : كان أول ما خلق الله عز وجل النور والظلمة ، ثم ميّز بينهما ، فجعل الظلمة ليلا أسود مظلماً ، وجعل النور نهاراً مضيئاً مبصراً .

* * *

قال أبو جعفر : وأوْلى القولين فى ذلك عندى بالصواب قولُ ابن عباس ، للخبر الذى ذكرت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم [قبل][2] ، أنه قال : أول شىء خلق اللهُ القلم .

فإن قال لنا قائل : فإنك قلتَ : أوْلى القولين — اللذيْن أحدهما أنّ أولَ شىء خلق الله من خلقه القلم ، والآخر أنه النور والظلمة — قولُ من قال : إن أول شىء خلق الله من خلقه القلم ، فما وجهُ الرواية عن ابن عباس التى حدثكموها ابن بشار ١/٣٢ قال : حدّثنا عبد الرحمن ، حدثنا سفيان ، عن أبى هاشم[3] ، عن مجاهد ، قال : قلت لابن عباس : إن ناساً يكذّبون بالقدَر ، فقال : «إنهم يكذّبون بكتاب الله ، لآخذَنّ بشعر أحدهم فلأنفضنّ به ؛ إن الله تعالى ذِكْرُه كان على عرشه قبل أن يخلقَ شيئاً ، فكان أوّل ما خلق الله القلم ، فجرى بما هو كائن إلى يوم القيامة ،

---

(١) هو جرير بن عبد الحميد الضبى ، أخذ عن عطاء ، وعطاء هو ابن السائب الكوفى ، وانظر تهذيب التهذيب ٢ : ٧٥ . (٢) تكلة من ا .

(٣) فى ر ، ك : «أبى هشام» ؛ وهو خطأ . وأبو هاشم هو إسماعيل بن كثير الحجازى المكى ؛ روى عن مجاهد وروى عنه سفيان الثورى . تهذيب التهذيب ١ : ٣٢٦ .

وإنما يجرى الناس على أمر قد فُرِغ منه ؟ .

وعن ابن إسحاق ، التى حدّثكموها ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : يقول الله عزّوجلّ : ﴿ وَهُوَ الَّذِى خَلَقَ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ ﴾[1] ، فكان كما وصفَ نفسَه عزّوجلّ ، إذ ليس إلا الماء عليه العرش ، وعلى العرش ذو الجلال والإكرام ، فكان أولُ ما خلق الله النورَ والظلمة ؟

قيل : أما قولُ ابن عباس : إن الله تبارك وتعالى كان عرشه على الماء قبل أن يخلق شيئاً ، فكان أول ما خلق الله القلم — إن كان صحيحاً عنه أنه قاله — فهو خبرٌ منه أنّ الله خلق القلم بعد خلقه عرشه ، وقد رَوَى عن أبى هاشم هذا الخبر شعبةُ ، ولم يقلْ فيه ما قال سفيان ؛ من أن الله عزّوجلّ كان على عرشه ، فكان أول ما خلق القلم ، بل روى ذلك كالذى رواه سائر منْ ذكرنا من الرواة عن ابن عباس أنه قال : أول ما خلق الله عزّ وجلّ القلم .

* ذكر من قال ذلك :

حدثنا ابن المثنّى ، قال : حدثنى عبد الصمد ، قال : حدثنا شعبة ، قال : حدثنا أبو هاشم ، سمع مجاهداً قال : سمعت عبد الله — لا يدرى ابن عمر أو ابن عباس — قال : إن أوّلَ ما خلق الله القلم فقال له : اجرِ ، فجرى القلم بما هو كائن ؛ وإنما يعمل الناس اليوم فيما قد فُرِغ منه . ٣٣/١

وكذلك قولَ ابن إسحاق الذى ذكرناه عنه معناه أنّ الله خلق النورَ والظلمة بعد خلقه عرشه ، والماء الذى عليه عرشه . وقول رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى رويناه عنه أوْلى قول فى ذلك بالصواب ، لأنه كان أعلَمَ قائل فى ذلك قولا بحقيقته وصحته ، وقد روينا عنه عليه السلام أنه قال : « أولُ شىء خلقه الله عزّوجلّ القلم » من غير استثناء منه شيئاً من الأشياء أنه تقدّم خلق الله إياه خلق القلم ، بل عمّ بقوله صلى الله عليه وسلم : « إن أول شىء خلقه الله القلم » ، كلّ

(١) سورة هود ٧ .

شيء[1] ، وأن[2] القلم مخلوق قبله من غير استثنائه من ذلك عرشاً ولا ماء ولا شيئاً غيرَ ذلك .

فالرواية التي رويناها عن أبي ظَبْيان وأبي الضّحا ، عن ابن عباس ، أوْلى بالصحة عن ابن عباس من خبر مجاهد عنه الذى رواه عنه أبو هاشم ؛ إذ كان أبو هاشم قد اختلف فى رواية ذلك عنه شعبة وسفيان ، على ما قد ذكرت من اختلافهما فيها .

وأما ابن إسحاق فإنه لم يسند قولهُ الذى قاله فى ذلك إلى أحد ، وذلك من الأمور التى لا يدرَكُ علمها إلا بخبر من الله عز وجل ، أو خبر من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد ذكرت الرواية فيه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

---

(١) ط : « قبل كل شيء » ، وما أثبته عن ا .

(٢) ط : « أن » ، بغير واو .

القول فى الذى ثنى خلق القلم

ثم إن الله جل جلالُه خلق بعد القلم – وبعد أن أمره فكتب ما هو كائن إلى قيام الساعة – سحاباً رقيقاً، وهو الغمام الذى ذكره جل وعز ذكره فى محكَم كتابه فقال : ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا أَن يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِّنَ الْغَمَامِ ﴾ ،[1] وذلك قبل أن يخلق عرْشه ، وبذلك ورد الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم . ‎١/٣٤

حدثنا ابن وكيع ومحمد بن هارون القطان ، قالا : حدثنا يزيد بن هارون، عن حماد بن سلمة، عن يعلَى بن عطاء، عن وكيع بن حُدُس، عن عمه أبى رَزين، قال : قلت : يا رسول الله، أين كان ربنا قبل أن يخلق خلقه ؟ قال : « كان فى عَماء [2] ، ما تحته هواء ، وما فوقه [3] هواء ، ثم خلق عرشه على الما [4]

حدثنى المثنى بن إبراهيم، قال : حدثنا الحجاج ، قال : حدثنا حماد ، عن يعلى بن عطاء، عن وكيع بن حُدُس، عن عمه أبى رَزين العُقَيلىّ، قال :

(١) سورة البقرة: ٢١٠ .

(٢) ك ، وابن الأثير ١ : ١٢ : « فى غمام » . والعماء ، بالفتح والمد : السحاب . قال أبو عبيد : لا يدرى كيف كان ذلك العماء . وفى رواية : « كان فى عما » بالقصر ، ومعناه : ليس معه شىء ؛ وقيل : هو كل أمر لا تدركه عقول بنى آدم ، ولا يبلغ كنهه الوصف والفطن ؛ولا بد من تقدير مضاف محذوف فى قوله : « أين كان ربنا » كما حذف فى قوله تعالى : (هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله) ، فيكون التقدير : أين كان عرش ربنا ؟ ويدل عليه قوله تعالى : (وكان عرشه على الماء) . وانظر النهاية لابن الأثير ٣ : ١٣٠ .

(٣) ا ، ر : « ولا فوقه » . وفى ك : « تحته هواء ، وماء فوقه هواء » .

(٤) عقب عليه ابن الأثير بقوله : « فيه نظر ؛ لأنه قد تقدم أن أول ما خلق الله تعالى القلم وقال له : اكتب ، فجرى فى تلك الساعة ، ثم ذكر فى أول هذا الفصل أن الله خلق بعد القلم وبعد أن جرى بما هو كائن سحاباً رقيقاً . ومن المعلوم أن الكتابة لا بد فيها من آلة يكتب بها – وهو القلم – ومن شىء يكتب فيه – وهو الذى يعبر عنه ها هنا باللوح المحفوظ – وكان ينبغى أن يذكر اللوح المحفوظ ثانياً للقلم، والله أعلم . ويحتمل أن يكون ترك ذكره لأنه معلوم من مفهوم اللفظ بطريق الملازمة » .

قلت : يا رسول الله ، أين كان ربنا عزّ وجلّ قبل أن يخلُق[١] السموات والأرض ؟ قال : « فى[٢]عماء ، فوقه هواء ، وتحته هواء[٢] ، ثم خلق عرشه على الماء » .

حدثنا خلاد بن أسلم ، حدثنا النضر بن شُميل ، قال : حدثنا المسعودىّ ، أخبرنا جامع بن شداد ، عن صفوان بن محرز ، عن ابن حصين — وكان من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم — قال : أتى قوم رسولَ الله صلى الله عليه وسلم فدخلوا عليه ، فجعل يبشّرهم ويقولون : أعطِنا ، حتى ساء ذلك رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ، ثم خرجوا من عنده . وجاء قوم آخرون ، فدخلوا عليه فقالوا : جئنا نسلّم على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ونتفقّه فى الدين ، ونسأله عن بدء هذا الأمر ، قال : فاقبَلوا البشرى إذْ لم يقبلها أولئك الذين خرجوا ، قالوا : قَبِلنا ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « كان الله لا شىء غيره[٣] ، وكان عرشه على الماء ، وكُتِب فى الذكر قبل كلّ شىء ، ثم خلق سبعَ سموات » . ثم أتانى آت فقال : تلك ناقتُك قد ذهبتْ ، فخرجتُ ينقطع دونها السراب ، ولَوَددتُ أنى تركتها[٤] . ١/٣٥

حدثنى أبو كُريب ، حدثنا أبو معاوية ، عن الأعمش ، عن جامع ابن شداد ، عن صفوان بن محرز ، عن عمران بن الحصين ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اقبلوا البشرى يا بنى تميم » ، فقالوا : قد بشّرتنا فأعطنا ، فقال : « اقبلوا البشرى يا أهل اليمن » ، فقالوا : قد قبِلنا ، فأخبرْنا عن هذا الأمر كيف كان ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « كان الله عز وجل على العرش ، وكان قبل كلّ شىء ، وكتب فى اللوح كل شىء يكون » . قال : فأتانى آت فقال : يا عمران ، هذه ناقتك قد حلّت عقالها ، فقمت ، فإذا السراب ينقطع بينى وبينها ، فلا أدرى ما كان بعد ذلك

* * *

(١) ا : « خلق » .
(٢–٢) ك : « فى غمام فوقه هواء وماء » .
(٣) التفسير : « ولا شىء غيره »
(٤) الخبر فى التفسير ١٢ : ٤ (بولاق)

ثم اختُلف فى الذى خلَق تعالى ذكره بعد العماء، فقال بعضهم : خلق بعد ذلك عرشه .

* ذكر من قال ذلك :

حدثنى محمد بن سنان ، حدثنا أبو سلمة ، قال : حدثنا حيان[1] ابن عُبيد الله ، عن الضحاك بن مزاحم ، قال ، قال ابن عباس : إن الله عزّ وجل خلق العرش أوّلَ ما خلق ، فاستوى عليه .

* * *

وقال آخرون : خلق الله عزّ وجلّ الماء قبل العرش ، ثم خلق عرشه فوضعه على الماء .

* ذكر من قال ذلك :

حدثنا موسى بن هارون الهمْدانىّ ، قال : حدثنا عمرو بن حماد ، قال : حدثنا أسباط بن نصر ، عن السُّدّىّ فى خبر ذكره ، عن أبى مالك وعن أبى صالح ، عن ابن عباس — وعن مرّة الهمْدانىّ عن عبد الله بن مسعود — وعن ناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم — قالوا : إن الله عزّ وجلّ كان عرشهُ على الماء ، ولم يخلق شيئاً غيرَ ما خلق قبل الماء . ٣٦/١

حدّثنى محمد بن سهل بن عسكر ، قال : حدثنا إسماعيل بن عبد الكريم ، قال : حدثنى عبد الصمد بن معقِل ، قال : سمعت وهب بن منبّه يقول : إن العرش كان قبل أن يخلق السموات والأرض على الماء ، فلما أراد أن يخلق السموات والأرض قبض من صَفاة الماء قبضة ، ثم فتح القبضة فارتفعت دخاناً ، ثم قضاهنّ سبع سموات فى يومين ، ودَحا الأرض فى يومين ، وفرغ من الخلق اليوم السابع .

وقد قيل : إن الذى خلق ربُّنا عزّ وجلّ بعد القلم الكرسىُّ ، ثم خلق بعد الكرسىّ العرش ، ثم بعد ذلك خلق الهواء والظلمات ، ثم خلق الماء ، فوضع عرشه عليه .

* * *

---

(١) فى ط : « حدثنا حيان عن عبيد الله » ، وما أثبته عن ا ، وانظر لسان الميزان ٢ : ٣٧٠ .

قال أبو جعفر : وأوْلى القولين فى ذلك عندى بالصواب قولُ من قال : إن الله تبارك وتعالى خلق الماء قبل العرش ؛ لصحة الخبر الذى ذكرتُ قبلُ عن أبى رَزين العُقَيلىّ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال حين سئل : أين كان ربنا عزّ وجلّ قبل أن يخلق خلقه ؟ قال : «كان فى عماء، ما تحته هواءٌ، وما فوقه هواء ، ثم خلق عرشه على الماء »، فأخبر صلى الله عليه وسلم أن الله خلق عرشه على الماء . ومحال إذ كان خلَقه على الماء أن يكون خلقه عليه ؛ والذى خلقه عليه غيرُ موجود ، إما قبله أو معه ؛ فإذا كان ذلك كذلك ، فالعرش لا ١/٣٧ يخلُو من أحد أمرين ؛ إما أن يكون خُلِق بعد خلق الله الماء، وإما أن يكون خُلِق هو والماء معا . فأما[1] أن يكونَ خلقه قبل خلق الماء ؛ فذلك غيرُ جائز صحته على ما رُوى عن أبى رَزين ، عن النبىّ صلى الله عليه وسلم .

* * *

وقد قيل : إن الماء كان على متن الريح حين خلق عرشه عليه ؛ فإن[2] كان ذلك كذلك ؛ فقد كان الماء والريح خُلِقا قبل العرش .

* ذكر من قال : كان الماء على متن الريح :

حدثنى ابن وكيع ، قال : حدثنا أبى ، عن سفيان ، عن الأعمش ، عن المنهال بن عمرو ، عن سعيد بن جبير ، قال : سئل ابن عباس عن قوله عزّ وجل : ﴿ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ ﴾[3] : على أىّ شىء كان الماء ؟ قال : على متن الريح .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، حدّثنا محمد بن ثوْر ، عن معمّر ، عن الأعمش ، عن سعيد بن جبير ، قال : سئل ابنُ عباس عن قوله عز وجل : ﴿ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ ﴾ : على أىّ شىء كان الماء ؟ قال : على متن الريح[4] .

---

(١) ط : « وأما » ، وما أثبته عن ا .
(٢) ا : « فإذ » .
(٣) سورة هود ٧ .
(٤) الخبر فى التفسير ١٢ : ٤ (بولاق) .

حدثنا القاسم بن الحسن ، حدثنا الحسين بن داود ، حدثنى حجاج ، عن ابن جُرَيج ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس مثله .

* * *

قال : والسموات والأرض وكلّ ما فيهن من شىء يحيط بها البحار ، ويحيط بذلك كله الهيكل ، ويحيط بالهيكل — فيما قيل — الكرسىّ .

* ذكر من قال ذلك :

١/٣٨ حدثنى محمد بن سهل بن عسكر ، حدثنا إسماعيل بن عبد الكريم ، قال : حدثنى عبد الصمد أنه سمع وهباً يقول — وذكَر من عظمته — فقال : إن السموات والأرض والبحار لفى الهيكل ، وإن الهيكل لفى الكرسىّ ، وإن قدميه عزّ وجلّ لَعَلَى الكرسىّ ، وهو يحمل الكرسى ، و[قد] [1] عاد الكرسىّ كالنعل فى قدميه .
وسئل وهب : ما الهيكل ؟ قال : شىء من أطراف السموات محدِق بالأرضين والبحار كأطناب الفسطاط .

وسئل وهب عن الأرضين : كيف هى ؟ قال : هى سبع أرضين ممهّدة جزائر ، بين كل أرضَين بحرٌ ، والبحر محيط بذلك كله ، والهيكل من وراء البحر .

* * *

وقد قيل : إنه كان بين خلقه القلم وخلقه سائر خلقه ألف عام .

* ذكر من قال ذلك :

حدثنا القاسم بن الحسن ، قال : حدثنا الحسين بن داود ، قال : حدثنا مبشر الحلبىّ ، عن أرْطاة بن المنذر ، قال : سمعتُ ضَمرة يقول : إن اللهَ خلق القلم ، فكتَب به ما هو خالق وما هو كائن من خلقه ، ثم إنّ ذلك الكتاب سبّح الله ومجّده ألف عام قبل أن يخلق شيئاً من الخلق ، فلما أراد جلّ جلالُه خَلْق السموات والأرض خلق — فيما ذُكر — أياماً ستة ، فسمى كلّ يوم منهنّ باسمٍ غير الذى سمّى به الآخر .

* * *

(١) تكلة من ا .

وقيل : إن اسم أحد تلك الأيام الستة أبجد، واسم الآخر منهن هوّز ، واسم الثالث منهن حُطّى ، واسم الرابع [منهن][١] كلمن ، واسم الخامس [منهن] [١] سعفص ، واسم السادس منهن قرشت .

* ذكر من قال ذلك :

حدثنى الحضرمىّ، قال: حدثنا مصرّف بن عمرو اليامىّ[٢]، حدثنا حفص ابن غياث ، عن العلاء بن المسيّب ، عن رجل من كندة ، قال : سمعت الضحاك ابن مزاحم يقول : خلق الله السموات والأرض فى ستة أيام، ليس منها[٣] يوم إلاّ له اسم : أبجد ، هوز ، حطى ، كلمن ، سعفص ، قرشت .

١/٣٩

وقد حدّث به عن حفص غير مصرّف وقال[٤] : عنه، عن العلاء بن المسيّب ، قال : حدّثنى شيخ من كندة قال : لقيت الضّحاك بن مزاحم، فحدّثنى قال : سمعت زيد بن أرقم قال : إنّ الله تعالى خلق السموات والأرض فى ستة أيام ؛ لكل يوم منها اسم : أبجد ، هوّز ، حطى ، كلمن ، سعفص ، قرشت.

* * *

وقال آخرون : بل خلق الله واحداً فسماه الأحد ، وخلق ثانياً فسماه الاثنين ، وخلق ثالثاً فسماه الثلاثاء ، ورابعاً فسماه الأربعاء ، وخامساً فسماه الخميس .

* ذكر من قال ذلك :

حدّثنا تميم بن المنتصر ، قال : أخبرنا إسحاق ، عن شريك ، عن غالب بن غلاّب ، عن عطاء بن أبى رَباح ، عن ابن عباس ، قال : إن الله خلقَ يوماً واحداً فسماه الأحد ، ثم خلقَ ثانياً فسماه الاثنين ، ثم خلق ثالثاً فسماه الثلاثاء ، ثم خلق رابعاً فسماه الأربعاء ، ثم خلق خامساً فسماه الخميس .

* * *

---

(١) تكملة من ا

(٢) ط : « الإيامى » ، صوابه من ا .

(٣) ا : « فيها » .

(٤) ا : « فقال » .

وهذان القولان غير مختلفين ، إذْ كان جائزاً [١] أن تكون أسماء ذلك بلسان العرب على ما قاله عطاء ، وبلسان آخرين، على ما قاله الضحاك بن مزاحم .

* * *

وقد قيل إن الأيام سبعة لا ستة .

* ذكر من قال ذلك :

حدثنى محمد بن سهل بن عسكر ، حدثنا إسماعيل بن عبد الكريم ، حدثنى عبد الصمد بن معقِل، قال : سمعت وهب بن مُنبِّه : يقول : الأيام سبعة . ٤٠/١

* * *

وكلا القولين ــ اللذَيْن روينا أحدَهما عن الضحاك وعطاء، من أن الله خلق الأيام الستة، والآخر منهما عن وهب بن منبّه من أن الأيام سبعة ــ صحيح مؤتلف غير مختلف ، وذلك أن معنى قول عطاء والضحاك فى ذلك كان أنّ الأيام التى خلق الله فيهنّ الخلق من حين ابتدائه [٢] فى خلق السماء والأرض وما فيهنّ إلى أن فرغ من جميعه ستة أيام، كما قال جلّ ثناؤه: ﴿وَهُوَ الَّذِى خَلَقَ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾[٣]، وأن معنى قول وهب بن منبّه فى ذلك كان أنّ عدد الأيام التى هى أيام الجمعة سبعة أيام لا ستة .

* * *

واختلف السلف فى اليوم الذى ابتدأ الله عزّ وجل فيه فى خلق السموات والأرض ، فقال بعضهم : ابتدأ فى ذلك يوم الأحد .

* ذكر من قال ذلك :

حدثنا إسحاق بن شاهين ، حدثنا خالد بن عبد الله ، عن الشيبانىّ ، عن عون بن عبد الله بن عُتْبة، عن أخيه عبيد الله بن عبد الله بن عتبة، قال: قال عبد الله بن سلاَم : إن الله تبارك وتعالى ابتدأ الخلق، فخلق الأرضَ يوم الأحد ويوم الاثنين .

(١) ط : « إذ كان ذلك جائزاً » .
(٢) ا : « ابتدأ » .
(٣) سورة هود ٧ .

حدثنى المثنّى بن إبراهيم ، حدثنى عبد الله بن صالح ، حدثنى أبو معشر ، عن سعيد بن أبى سعيد، عن عبدالله بن سلاّم أنه قال: إن الله عزّ وجلّ بدأ الخلق يوم الأحد ، فخلق الأرَضين فى الأحد والاثنين .

١/٤١ حدثنا ابن حُميد ، قال : حدثنا جرير ، عن الأعمش ، عن أبى صالح ، عن كعب ، قال : بدأ الله خلق [١] السموات والأرض يوم الأحد والاثنين.

حدثنى محمد بن أبى منصور الآمُلىّ ، حدثنا على بن الهيثم ، عن المسيّب بن شريك ، عن أبى روْق ، عن الضحاك فى قوله تعالى : ﴿ وَهُوَ الَّذِى خَلَقَ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ﴾ قال : من أيام الآخرة ، كلّ يوم مقداره ألف سنة ، ابتدأ الخلق يوم الأحد .

حدثنى المثنّى ، حدثنا الحجاج ، حدثنا أبو عوانة ، عن أبى بشر ، عن مجاهد ، قال : بدأ الخلق يوم الأحد .

* * *

وقال آخرون : اليوم الذى ابتدأ الله فيه فى ذلك يوم السبت .

ذكر من قال ذلك :

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة بن الفضل ، قال : حدثنى محمد ابن أبى إسحاق ، قال : يقول أهلُ التوراة : ابتدأ الله الخلق يوم الأحد: وقال أهلُ الإنجيل : ابتدأ الله الخلقَ يوم الإثنين . ونقول نحن المسلمون [٢] فيما انتهى إلينا من رسول الله صلى الله عليه وسلم : ابتدأ الله الخلق يوم السبت .

وقد روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى قال كلّ فريق من هذين الفريقين اللذين قال أحدهما : ابتدأ الله الخلق فى يوم الأحد ، وقال الآخر منهما : ابتدأ فى يوم السبت ، وقد مضَى ذكرُنا الخبرين ، غيرَ أنا نعيد من ذلك فى هذا

---

(١) ط : « بخلق » ، وما أثبته عن ا .

(٢) كذا فى الأصول ، والوجه النصب على الاختصاص .

الموضع بعضَ ما فيه من الدلالة على صحة قول كل فريق منهما .

* * *

فأما الخبر عنه بتحقيق ما قال القائلون : كان ابتداء الخلق يوم الأحد ، فما حدثنا به هنّاد بن السّرىّ ، قال : حدثنا أبو بكر بن عياش ، عن أبى سعد البقال ، عن عِكْرِمة ، عن ابن عباس - قال هناد : وقرأت سائرَ الحديث - أن اليهودَ أتت النبى صلى الله عليه وسلم فسألته عن خلق السموات والأرض فقال : « خلق الله الأرض يوم الأحد والاثنين » . ١/٤٢

وأما الخبرُ عنه بتحقيق ما قاله القائلون من أن ابتداء الخلق كان يوم السبت ، فما حدثنى القاسم بن بشر بن معروف والحسين بن على الصّدَائىّ ، قالا : حدثنا حجاج ، قال ابن جريج : أخبرنى إسماعيل بن أمية ، عن أيوب بن خالد ، عن عبد الله بن رافع مولى أم سلمة ، عن أبى هريرة ، قال : أخذ رسول الله صلى الله تعالى عليه بيدى ، فقال : « خلق الله التربة يوم السبت ، وخلق الجبال يوم الأحد » .

* * *

وأوْلى القولين فى ذلك عندى بالصواب قولُ من قال : اليوم الذى ابتدأ الله تعالى ذكره فيه خلقَ السموات والأرض يومُ الأحد ؛ لإجماع السلف من أهل العلم على ذلك .

فأما ما قال ابن إسحاق فى ذلك ، فإنه إنما استدل - بزعمه - على أن ذلك كذلك ؛ لأنّ الله عزّ ذكره فرّغ من خلق جميع خلقه يوم الجمعة ، وذلك اليوم السابع ، وفيه استوى على العرش ، وجعل ذلك اليوم عيداً للمسلمين ؛ ودليلُه على ما زعم أنه استدل به على صحة قوله فيما حكينا عنه من ذلك هو الدليل على خطئه فيه ، وذلك أن الله تعالى أخبر عباده فى غير موضع من [محكَم][1] تنزيله ، أنه خلق السموات والأرض وما بينهما فى ستة أيام ، فقال : ﴿ اللَّهُ الَّذِى خَلَقَ

---

(١) تكملة من ا .

١/٤٣ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ مَا لَكُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴾[١]. وقال تعالى ذكره: ﴿ قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَنْدَادًا ذٰلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ. وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِنْ فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِلسَّائِلِينَ. ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ. فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمٰوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظًا ذٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴾[٢].

* * *

ولا خلاف بين[٣] جميع أهل العلم أن اليومين اللذين ذكرهما الله تبارك وتعالى فى قوله: ﴿ فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمٰوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ ﴾ داخلان فى الأيام الستة اللاتى ذكرهنّ قبل ذلك، فمعلوم إذْ كان الله عزّ وجلّ إنما خلق السموات والأرضينَ وما فيهنّ فى ستة أيام، وكانت الأخبار مع ذلك متظاهرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بأن آخر ما خلق الله من خلقه آدم، وأن خلقه إياه كان فى يوم الجمعة — أن يوم الجمعة الذى فرغ فيه من خلق خلقه داخل فى الأيام الستة التى أخبر الله تعالى ذكره أنه خلق خلقه فيهنّ؛ لأن ذلك لو لم يكن داخلا فى الأيام الستة. كان إنما خلق خلقه فى سبعة أيام، لا فى ستة، وذلك خلاف ما جاء به التنزيل؛ فتبين[٤] إذاً — إذْ كان الأمرُ كالذى وصفنا فى ذلك — أن أوّل الأيام التى ابتدأ الله فيها خلق السموات والأرض وما فيهنّ من خلقه يوم الأحد؛ إذ كان الآخر يوم الجمعة، وذلك ستة أيام، كما قال ربنا جل جلاله. /٤٤

فأما الأخبارُ الواردة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن أصحابه بأنّ الفراغ من الخلق كان يوم الجمعة، فسنذكرها فى مواضعها إن شاء الله تعالى.

---

(١) سورة السجدة ٤
(٢) سورة فصلت ٩ – ١٢.
(٣) ط: «عند».
(٤) ا، س، ن: «فبين».

القول فيما خلق الله فى كل يوم من الأيام الستة التى ذكر الله فى كتابه أنه خلق فيهن السموات والأرض وما بينهما

اختلف السلفُ من أهل العلم فى ذلك :

فقال بعضهم ما حدثنى به المثنّى بن إبراهيم ، قال : حدّثنا عبد الله بن صالح ، حدّثنى أبو معشر ، عن سعيد بن أبى سعيد ، عن عبد الله بن سلاَم ، أنه قال : إن الله بدأ الخلق[1] يوم الأحد ، فخلق الأرَضين فى الأحد والاثنين ، وخلق الأقواتَ والرواسىَ فى الثلاثاء والأربعاء ، وخلقَ السموات فى الخميس والجمعة ، وفرغ فى آخر ساعة من يوم الجمعة ، فخلق فيها آدم على عَجَل ، فتلك الساعة التى تقوم فيها الساعة .

حدثنى موسى بن هارون ، حدثنا عمرو بن حماد ، حدثنا أسباط ، عن السدّى ، فى خبرٍ ذكره عن أبى مالك وعن أبى صالح ، عن ابن عباس — وعن مرة الهمْدانىّ عن ابن مسعود — وعن ناس من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم قالوا : جعل — يعنون ربنا تبارك وتعالى — سبع أرضين فى يومين : الأحد والاثنين ، وجعل فيها رواسى أنْ تميدَ بكم ؛ وخلق الجبال فيها وأقواتَ أهلها ، وشجرَها وما ينبغى لها فى يومين : فى الثلاثاء والأربعاء ، ثم استوى إلى السماء وهى دخان فجعلها سماء واحدة ، ثم فتقها فجعلها سبع سموات فى يومين : الخميس والجمعة .

٤٠ حدثنا تميم بن المنتصر ، قال : أخبرنا إسحاق ، عن شريك ، عن غالب [ابن غلاب][2] ، عن عطاء بن أبى رباح ، عن ابن عباس ، قال : خلق الله الأرض فى يومين . الأحد والاثنين .

فى قول هؤلاء خُلِقت الأرض قبل السماء ؛ لأنها خلقت عندهم فى الأحد[3] والاثنين .

---

(١) ط : « بالخلق » ، وما أثبته عن ا .

(٢) تكلة من ا .

(٣) ا : « يوم الأحد » .

* * *

وقال آخرون : خلق الله عزّ وجلّ الأرض قبل السماء بأقواتها من غير أن يَدْحوَها ، ثم استوى إلى السماء فسواهنّ سبع سموات ، ثم دحا الأرض بعد ذلك .

* ذكر من قال ذلك :

حدثني عليّ بن داود ، قال : حدثنا أبو صالح ، قال : حدثني معاوية ، عن علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس : قوله عزّ وجلّ حيث ذكر خلْق الأرض قبل السماء ، ثم ذكر السماء قبل الأرض ، وذلك أن الله خلق الأرض بأقواتها من غير أن يدحوَها قبل السماء ، ثم استوى إلى السماء فسواهنّ سبع سموات ، ثم دحا الأرضَ بعد ذلك ، فذلك قوله تعالى : ﴿ وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَاهَا ﴾ .

حدثني محمد بن سعد ، قال : حدثني أبي ، قال : حدثني عمي ، قال : حدثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس : ﴿وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَاهَا ۝ أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا ۝ وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا ﴾ [1] ، يعني أنه خلق السموات والأرض ، فلمّا فرغ من السماء قبل أن يخلق أقوات الأرض بثّ أقوات الأرض فيها بعد خلق السماء ، وأرسى الجبالَ - يعني بذلك دحوَها - [2] ولم تكن تصلح أقواتُ الأرض ونباتُها إلا بالليل والنهار ، فذلك قوله عزّ وجلّ : ﴿ وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَاهَا ﴾ ؛ ألم تسمع أنه قال : ﴿ أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا ﴾ ؟

١/٦٤ قال أبو جعفر : والصوابُ من القول في ذلك عندنا ما قاله الذين قالوا : إنّ الله خلق الأرض يومَ الأحد ، وخلق السماء يومَ الخميس ، وخلق النجومَ والشمس والقمر يومَ الجمعة لصحّة الخبر الذي ذكرنا قبلُ عن ابن عباس ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك . وغيرُ مستحيل ما روينا في ذلك عن ابن عباس من القول ، وهو أن يكون الله تعالى ذكره خلقَ الأرض ولم يدحُها ، ثم خلَق السموات فسواهنّ ، ثم دحا الأرض بعد ذلك ، فأخرج منها ماءها

---

(١) سورة النازعات ٣٠ - ٣٢

(٢) ط : « دحاها » ، وما أثبته عن ا والتفسير ٣٠ : ٢٩ (بولاق) .

ومرعاها ، والجبالَ أرساها ، بل ذلك عندى هو الصواب من القول فى ذلك ؛ وذلك أنّ معنى الدَّحْوِ غيرُ معنى الخلق ، وقد قال الله عزّ وجلّ : ﴿أَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاءُ بَنَاهَا • رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّاهَا • وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا • وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا • أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا • وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا﴾(1) .

فإن قال قائل : فإنّك قد علمتَ أن جماعةً من أهل التأويل قد وجهت قول الله : ﴿وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا﴾ إلى معنى «مع ذلك دحاها» ، فما برهانُك على صحةِ ما قلت ، من أنّ «ذلك» بمعنى «بَعْد» التى هى خلاف «قبل» ؟

قيل : المعروف من معنى «بعد» فى كلام العرب هو الذى قلنا من أنها بخلاف معنى «قبل» لا بمعنى « مع » ؛ وإنما تُوَجَّه معانى الكلام إلى الأغلب عليه من معانيه المعروفة فى أهله ، لا إلى غير ذلك .

* * *

وقد قيل : إن الله خلق البيتَ العتيق على الماء على أربعة أركان ، قبل أن يخلق الدنيا بألفْى عام ، ثم دُحيت الأرض من تحته .

١/٤٧

• ذكر من قال ذلك :

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا يعقوب القُمّىّ ، عن جعفر ، عن عِكرمة ، عن ابن عباس قال : وُضِع البيت على الماء على أربعة أركان ، قبل أن يخلق الدنيا بألفْى عام (2) ، ثم دُحيت الأرضُ من تحت البيت .

حدثنا ابن حُميد ، قال : حدثنا مِهران ، عن سُفيان ، عن الأعمش ، عن بُكير بن الأخنس ، عن مجاهد ، عن عبد الله بن عمر (3) ، قال : خلق الله البيتَ قبل الأرض بألفى سنة ، ومنه دحيت الأرض .

وإذا كان الأمرُ كذلك كان خلقُ الأرض قبل خلق السموات ، ودَحْوُ

(1) سورة النازعات ٢٧ — ٣٢ .
(2) س : « بألف عام » .
(3) ا : «عمرو» .

الأرض وهو بسطُها بأقواتها ومراعيها ونباتها ، بعد خلْق السموات ، كما ذكرنا عن ابن عباس .

وقد حدثنا ابنُ حميد ، قال : حدثنى مِهران ، عن أبى سِنان ، عن أبى بكر ، قال :[١] جاء اليهود إلى النبيّ صلى الله عليه وسلم فقالوا : يا محمد، أخبِرْنا : ما خلَق الله من الخلْق فى هذه الأيام الستة ؟ فقال : خلَق الأرض يومَ الأحد والاثنين ، وخلَق الجبال يومَ الثلاثاء ، وخلق المدائن والأقوات والأنهار وعمرانَها وخرابها يومَ الأربعاء ، وخلق السموات والملائكة يوم الخميس ، إلى ثلاث ساعات بقَين من يوم الجمعة[٢] ، وخلق فى أول الثلاث ساعات الآجال ، وفى الثانية الآفة ، وفى الثالثة آدم . قالوا : صدقت إن أتممت ، فعرَف النبيّ صلى الله عليه وسلم ما يريدون ، فغضب ، فأنزل الله تعالى : ﴿ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ . فَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ ﴾[٣]. ١/٤٨

فإن قال قائل : فإن[٤] كان الأمر كما وصفتَ من أن الله تعالى خلق الأرض قبل السماء ، فما معنى قول ابن عباس الذى حدّثكُموه واصل ابن عبد الأعلى الأسدىّ، قال : حدثنا محمد بن فُضَيل ، عن الأعمش ، عن أبى ظَبْيان، عن ابن عباس قال: أولُ[٥] ما خلق الله تعالى من شىء القلم، فقال له : اكتب ، فقال : وما أكتب يارب ؟ قال : اكتب القَدَر ، قال : فجرى القلم بما هو كائن من ذلك إلى قيام الساعة ، ثم رفع بخارَ الماء ففتَق منه السموات ، ثم خلق النون[٦]، فدُحِيت الأرض على ظهره ، فاضطرب النون ، فمادت الأرض فأثبِتت بالجبال ، فإنها لَتفخر[٧] على الأرض .

---

(١) الخبر فى التفسير ٢٦ : ١١١ (بولاق) .
(٢) كذا فى ط ، وفى ا ، ن ، والتفسير : « يعنى من يوم الجمعة » . وفى س : « يعنى يوم الجمعة » .
(٣) سورة ق ٣٨ ، ٣٩ .
(٤) ا : « فإذ » .
(٥) الخبر فى التفسير ٢٩ : ١٠ (بولاق) .
(٦) النون هنا : الحوت .
(٧) س : « لتفتخر » .

حدثني واصل ، قال : حدثنا وكيع ، عن الأعمش ، عن أبي ظَبْيَان ، عن ابن عباس نحوه .

حدثنا ابن المثنى ، قال : حدثنا ابن أبي عديّ ، عن شعبة ، عن سليمان ، عن أبي ظَبْيَان ، عن ابن عباس ، قال : أولُ[1] ما خلق الله تعالى القلم فجرى بما هو كائن ، ثم رفع بخارَ الماء ، فخلقت منه السموات ، ثم خلق النون ، فبُسِطت الأرض على ظهر النون ، فتحرّك النون ، فمادَتِ الأرض فأثبتت بالجبال ، فإن الجبال لَتفخر على الأرض . قال : وقرأ : ﴿ نٓ والقَلَمِ ومَا يَسْطُرُون ﴾[2] .

٤٩/١

حدثني تميم بن المنتصر ، قال : أخبرنا إسحاق ، عن شريك ، عن الأعمش ، عن أبي ظَبيان - أو مجاهد[3] - عن ابن عباس بنحوه ، إلا أنه قال : ففتقت منه السموات .

حدثنا ابن بشار ، قال : حدثنا يحيى ، قال : حدثنا سفيان ، قال : حدثني سليمان ، عن أبي ظَبْيان ، عن ابن عباس قال : أول ما خلق الله تعالى القلم فقال : اكتب ، فقال[4] : ما أكتب ؟ قال : اكتب القدَر ، قال : فجرى بما هو كائن من ذلك اليوم إلى قيام الساعة . ثم خلق النُّون ، ورفع بخار الماء ففتقت منه السماء ، وبسطت الأرض على ظهر النون ، فاضطرب النون ، فمادت الأرض فأثبتتْ بالجبال ، قال : فإنها لَتفخر على الأرض[5] .

حدثنا ابن حميد ، قال ، حدثنا جرير ، عن عطاء بن السائب ، عن أبي الضّحى مسلم بن صُبَيْح ، عن ابن عباس قال : أولُ شيء خلق

---

(١) الخبر في التفسير ٢٩ : ٩ (بولاق) .

(٢) سورة القلم ١ .

(٣) كذا في ا ، والتفسير ٢٩ : ٩ (بولاق) ، وفي ط : « أبي ظبيان عن مجاهد » والأعمش يروى عن أبي ظبيان وعن مجاهد ؛ وهما أيضاً يرويان عن ابن عباس . وانظر تهذيب التهذيب ٤ : ٢٢٢ .

(٤) ا والتفسير : « قال » .

(٥) الخبر في التفسير ٢٩ : ٩ (بولاق) .

الله تعالى القلم ، فقال له : اكتب ، فكتب ما هو كائن إلى أن تقوم الساعة ، ثم خلق النون فوق الماء ، ثم كبَس الأرض عليه .

قيل: ذلك صحيح على ما رُوِى عنه وعن غيره من معنى ذلك مشروحاً مفسَّراً غيرَ مخالف شيئاً مما رويناه عنه فى ذلك .

* * *

فإن قال : وما الذى رُوى عنه وعن غيره من شرح ذلك الدالّ على صحة كلِّ ما رويتَ لنا فى هذا المعنى عنه ؟

قيل له : حدثنى موسى بن هارون الهمْدانىّ وغيره ، قالوا : حدثنا عمرو بن حماد ، حدثنا أسباط بن نصر ، عن السدّى ، عن أبى مالك ، وعن أبى صالح ، عن ابن عباس — وعن مُرَّة الهمْدانىّ عن عبد الله بن مسعود — وعن ناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿ هُوَ الَّذِى خَلَقَ لَكُمْ مَا فِى الْأَرْضِ جَمِيعاً ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمٰوَاتٍ ﴾[1] قال: إن الله تعالى كان عرشُه على الماء ولم يخلق شيئاً غيرَ ما خلق قبل الماء، فلما أراد أن يخلُق الخلْق أخرج من الماء دخاناً فارتفع فوق الماء ، فسما عليه ، فسمَّاه سماءً ، ثم أيبس[2] الماء ، فجعله أرضاً واحدة ، ثم فتقها فجعلها سبع أرَضين فى يومين ، فى الأحد والاثنين ، فخلق الأرض على حوت — والحوت هو النون الذى ذكر الله عز وجلّ فى القرآن: ﴿ نٓ وَالْقَلَمِ ﴾ — والحوت فى الماء ، والماء على ظهر صَفاة ، والصَّفاة على ظهر ملَك ، والملك على صخرة ، والصخرة على الريح[3] — وهى الصخرة التى ذكر لقمان — ليست فى السماء ولا فى الأرض ، فتحرَّك الحوت فاضطرب ، فتزلزلت الأرضُ ، فأرسى عليها الجبال فقرّت ، فالجبال

١/٥٠

(١) سورة البقرة ٢٩

(٢) كذا فى ا ، والتفسير ١ : ٤٣٥ (المعارف) وفى ط : «يبس» .

(٣) كذا فى ا ، وفى ط والتفسير : «فى الريح» .

تفخر على الأرض؛ فذلك قوله تعالى : ﴿ وَأَلْقَى فِى الْأَرْضِ رَوَاسِىَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ ﴾(١).

قال أبو جعفر : فقد أنبأ قولُ هؤلاء الذين ذكرتُ : إنّ الله تعالى أخرج من الماء دخاناً حين أراد أن يخلُق السموات والأرض ، فسما عليه — يَعنون بقولهم : « فسما عليه » علا على الماء ، وكلّ شىء كان فوق شىء عالياً عليه فهو له سَماءُ — ثم أيبس بعد ذلك الماء ، فجعله أرضاً واحدة = أن الله خلق السماء غير مسوّاة قبل الأرض ، ثم خلَق الأرض .

وإن كانَ الأمر كما قال هؤلاء ، فغيرُ محال أن يكون الله تعالى أثارَ من الماء دخاناً فعلاّه على الماء ، فكان له سماء ، ثم أيبس الماء فصار الدخان الذى سما عليه أرضاً ، ولم يدحُها ، ولم يقدّر فيها أقواتها ، ولم يُخرِج منها ماءها ومرعاها ، حتى استوى إلى السماء ؛ التى هى الدخان الثائر من الماء العالى عليه ، فسوّاهنّ سبع سموات ، ثم دحا الأرض التى كانت ماءً فيبّسه ففتقه ، فجعلها سبع أرضين ، وقدّر فيها أقواتها ، و ﴿أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا * وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا﴾ ، كما قال عزّ وجلّ . فيكون كلّ الذى روى عن ابن عباس فى ذلك — على ما رويناه — صحيحاً معناه . ١/٥١

وأما يومُ الاثنين فقد ذكرنا اختلافَ العلماء فيما خلَق فيه ، وما رُوى فى ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قبلُ .

وأما ما خلق فى يوم الثلاثاء والأربعاء ، فقد ذكرنا أيضاً بعضَ ما رُوى فيه ، ونذكر فى هذا الموضع بعضَ ما لم نذكر منه قبل .

فالذى صحّ عندنا أنه خلَق فيهما ما حدثنى به موسى بن هارون ، قال : حدثنا عمرو بن حماد ، حدثنا أسباط ، عن السُّدىّ ، فى خبر ذكره

---

(١) سورة النحل ١٥ .

عن أبي مالك ، وعن أبي صالح ، عن ابن عباس — وعن مرة الهمْدانيّ ، عن عبد الله بن مسعود — وعن ناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم : وخلق الجبال فيها — يعني في الأرض — وأقواتَ أهلها وشجرها وما ينبغي لها في يومين : في الثلاثاء والأربعاء ؛ وذلك حين يقول الله عزّ وجلّ : ﴿ قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَنْدَادًا ذَٰلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ * وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِنْ فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِلسَّائِلِينَ ﴾ [1] ؛ يقول : مَنْ سأل . فهكذا الأمر ، ثم استوى إلى السماء وهي دخان ، وكان ذلك الدخان مِن تنفّس الماء حين تنفس ، فجعلها سماء واحدة ، ثم فتقها فجعلها سبع سموات في يومين في الخميس والجمعة [2] .

حدثني المثنى ، قال : حدثنا أبو صالح ، قال : حدثني أبو معشر ، عن سعيد بن أبي سعيد ، عن عبد الله بن سلاَم ، قال : إن الله تعالى خلق الأقواتَ والرواسيَ في الثلاثاء والأربعاء .

٥٢/١ حدثني تميم بن المنتصر ، قال : أخبرنا إسحاق ، عن شريك ، عن غالب بن غلاّب ، عن عطاء بن أبي رَباح ، عن ابن عباس ، قال : إن الله تعالى خلقَ الجبال يوم الثلاثاء . فذلك قول الناس : هو يوم ثَقيل .

قال أبو جعفر : والصواب من القول في ذلك عندنا ، ما رويناه عن النبي صلى الله عليه وسلم ، قال : «إن الله تعالى خلق يوم الثلاثاء الجبال وما فيهنّ من المنافع ، وخلَق يوم الأربعاء الشجرَ ، والماء ، والمدائن ، والعمران ، والخراب . حدثنا بذلك هنّاد ، قال : حدثنا أبو بكر بن عيّاش ، عن أبي سعد البقّال ، عن عِكْرِمة ، عن ابن عباس ، عن النبي صلى الله عليه وسلم [3] .

وقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أن الله خلق الجبال يوم الأحد ، والشجر يوم الاثنين ، وخلق المكروه يوم الثلاثاء ، والنور يوم الأربعاء ،

---

(١) سورة فصلت ٩ ، ١٠ .

(٢) الخبر في التفسير ٢٤ : ٦٣ (بولاق) .

(٣) ط : بعدها كلمة «مثله» ، صواب حذفها من ا .

حدثنى به القاسم بن بشر بن معروف ، والحسين بن على الصُّدائىّ ، قالا : حدثنا حجاج ، قال ابن جريج : أخبرنى إسماعيل بن أمية ، عن أيوب بن خالد ، عن عبد الله بن رافع مولى أمّ سلمة ، عن أبى هريرة ، عن النبى صلى الله عليه وسلم .

والخبرُ الأولُ أصحُّ مخرجاً ، وأوْلَى بالحق ، لأنه قول أكثر السلف.

وأما يوم الخميس فإنه خلق فيه السموات ، ففتقتْ بعد أن كانت رَتْقاً ، كما حدثنى موسى بن هارون ، قال : حدثنا عمرو بن حماد ، قال : حدثنا أسباط ، عن السُّدىّ ، فى خبر ذكره عن أبى مالك ، وعن أبى صالح عن ابن عباس — وعن مرّة الهمْدانىّ عن عبد اللهِ بن مسعود — وعن ناس من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم : ﴿ ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ ﴾[1] ، وكان ذلك الدخان من تنفُّس الماء حين تنفس وجعلها سماء واحدة ، ثم فتقها فجعلها سبع سموات فى يومين ، فى الخميس والجمعة . ٥٣/١

وإنما سُمّى يوم الجمعة لأنه جمع فيه خلق السموات والأرض ﴿ وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا ﴾[1] قال : خلق فى كل سماء خلْقها من الملائكة ، والخلْق الذى فيها من البحار وجبال البرَد وما لم يُعْلَم ، ثم زيّن السماء الدنيا بالكواكب ، فجعلها زينة وحفظاً ، تحفظ من الشياطين ، فلما فرغ من خلْق ما أحبّ استوى على العرش . فذلك حين يقول : ﴿ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ﴾ ،[2] ويقول : ﴿ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا ﴾[3] .

حدثنى المثنى ، حدثنا أبو صالح ، قال : حدثنى أبو معشر ، عن سعيد بن أبى سعيد ، عن عبد الله بن سلاَم ، قال : إن الله تعالى خلق السموات فى الخميس والجمعة ، وفرغ فى آخر ساعة من يوم الجمعة ،

---

(١) سورة فصلت ١١ ، ١٢

(٢) سورة هود ٧

(٣) سورة الأنبياء ٣٠

فخلق فيها آدم على عَجل ، فتلك الساعةُ التى تقوم فيها الساعة .

حدثنى تميم [بن المنتصر][١] ، قال : أخبرنا إسحاق ، عن شريك ، عن غالب بن غلاَّب ، عن عطاء بن أبى رَبَاح ، عن ابن عباس ، قال : إن الله تعالى خلق مواضع الأنهار والشَّجر يوم الأربعاء ، وخلق الطير والوحوش[٢] والهوامّ والسباع يوم الخميس ، وخلق الإنسان يوم الجمعة ، ففرغ من خلْق كل شىء يوم الجمعة .

وهذا الذى قاله مَنْ ذكرنا قوله ؛ من أن الله عزّ وجلّ خلق السموات والملائكة وآدم فى يوم الخميس والجمعة ، هو[٣] الصحيح عندنا ، للخبر الذى حدثنا به هنّاد [بن السرىّ][١] قال : حدثنا أبو بكر بن عياش ، عن أبى سعد البقال ، عن عِكْرِمة ، عن ابن عباس ، عن النبىّ صلى الله عليه وسلم — قال : هناد ، وقرأتُ سائر الحديث — قال : وخلق يوم الخميس السماء ، وخلق يوم الجمعة النجومَ والشمس والقمر والملائكة إلى ثلاث ساعات بقيت منه ، فخلق فى أوّل ساعة من هذه الثلاث ساعات الآجالَ ؛ مَنْ يحيا ومن يموت ، وفى الثانية ألقى الآفة على كلّ شىء مما ينتفع به الناس ، وفى الثالثة آدم وأسكنه الجنة ، وأمر إبليس بالسجود ، وأخرجه منها فى آخر ساعة .

١/٥٤

حدثنى القاسم بن بشر [بن معروف][١] ، والحسين بن علىّ الصُّدائىّ ، قالا : حدثنا حجاج ، قال ابن جريج : أخبرنى إسماعيل بن أمية ، عن أيوب ابن خالد ، عن عبد الله بن رافع مولى أم سلمة ، عن أبى هريرة ، قال : أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بيدى فقال : « وبثّ فيها — يعنى فى الأرض — الدوابّ يوم الخميس ، وخلق آدم بعد العصر من يوم الجمعة آخر خلْق فى آخر ساعة ، من ساعات الجمعة فيما بين العصر إلى الليل » .

فإذا كان الله تعالى ذكره خلَق الخَلْق من لدن ابتداء خلق السموات والأرض إلى حين فراغه من خلْق جميعهم فى ستة أيام ، وكان كلُّ يوم من

---

(١) ط : « الوحش » وما أثبته من ا .
(٢) تكلة من ا .
(٣) ط : « وهو » ، وما أثبته من ا

الأيام الستة التى خلقهم فيها مقدارُه ألف سنة من أيام الدنيا ، وكان بين ابتدائه فى خلق ذلك وخلق القلم الذى أمره بكتابة [كلّ] (١) ما هو كائن إلى قيام الساعة ألف عام ، وذلك يوم من أيام الآخرة التى قَدْر اليوم الواحد منها ألف عام من أيام الدنيا — كان معلوماً أن قَدْر مدة ما بين أول ابتداء ربنا عز وجلّ فى خلق ما خلق من خلقه إلى الفراغ من آخرهم سبعة آلاف عام (٢). يزيد إن شاء الله شيئاً أو ينقص شيئاً ، على ما قد روينا من الآثار والأخبار التى ١/٥٥ ذكرناها ، وتركنا ذكرَ كثير منها كراهة إطالة الكتاب بذكرها .

وإذا كان ذلك كذلك ، وكان صحيحاً أن مدّة ما بين فراغ ربّنا تعالى ذكره — من خلق جميع خلقه إلى وقت فناء جميعهم بما قد دللنا قبلُ ، واستشهدنا من الشواهد ، وبما سنشرح فيما بعد — سبعة آلاف سنة ، تزيد قليلاً أو تنقص قليلاً (٣) — كان معلوماً بذلك أن مدةَ ما بين أول خلقٍ خلقه الله تعالى إلى قيام الساعة وفناء جميع العالم ، أربعة عشر ألف عام من أعوام الدنيا ؛ وذلك أربعة عشر يوماً من أيام الآخرة ، سبعةُ أيام من ذلك — وهى سبعة آلاف عام من أعوام الدنيا — مدة ما بين أول ابتداء الله جلّ وتقدس فى خلق أول خلقه إلى فراغه من خلق آخرهم — وهو آدم أبو البشر صلوات الله عليه ، وسبعة أيام أخر ، وهى سبعة آلاف عام من أعوام الدنيا ، من ذلك مدّة ما بين فراغه جلّ ثناؤه من خلق آخر خلقه — وهو آدم — إلى فناء آخرهم وقيام الساعة ، وعَوْد الأمر إلى ما كان عليه قبل أن يكون شىء غير القديم البارئ الذى له الخلق والأمر الذى كان قبل كلّ شىء ، فلا شىء كان قبله ، والكائن بعد كلّ شىء فلا شىء يبقى غير وجهه الكريم .

* * *

فإن قال قائل : وما دليلُك على أن الأيامَ الستة التى خلق الله فيهنّ خلْقه كان قدْر كلّ يوم منهنّ قدر ألف عام من أعوام الدنيا دون أن يكون ذلك

(١) تكملة من ا .
(٢) ا : « سنة » .
(٣) ا : « يسيرا » .

كأيام أهل الدنيا التى يتعارفونها بينهم ، وإنما قال الله عزّ وجلّ فى كتابه :
٥٦/١ ﴿الَّذِى خَلَقَ السَّمٰوَاتِ وَالأَرضَ وما بينهمَا فى ستة أيام﴾[١] ، فلمْ يُعلمنا أن ذلك كما ذكرت ، بل أخبرنا أنه خلق ذلك فى ستة أيام ، والأيام المعروفة عند المخاطَبين بهذه المخاطبة هى أيامهم التى أوّلُ[٢] اليوم منها طلوع الفجر إلى غروب الشمس ، ومن قولك : إن خطاب الله عباده بما خاطبهم به فى تنزيله إنما هو موجّه إلى الأشهر والأغلب عليه من معانيه ، وقد وجهتَ خبرَ الله فى كتــابه عن خلقه السموات والأرض وما بينهما فى ستة أيام إلى غير المعروف من معانى الأيام ، وأمرُ الله عزّ وجلّ إذا أراد شيئاً أن يكوّنه أنفذُ وأمضى من أن يوصف بأنه خلق السموات والأرض وما بينهما فى ستة أيام؛ مقدارهنّ ستة آلاف عام من أعوام الدنيا ، وإنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له : كن فيكون ؛ وذلك كما قال ربنا تبارك وتعالى : ﴿ وَمَا أَمْرُنَا إِلا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ ﴾[٤] ؟

قيل له : قد قلنا فيما تقدم من كتابنا هذا إنا إنما نعتمد فى معظم ما نَرسمه فى كتابنا هذا على الآثار والأخبار عن نبينا صلى الله عليه وسلم وعن السلف الصالحين قبلنا دون الاستخراج بالعقول والفِكَر ، إذ أكثره خبرٌ عما مضى من الأمور ، وعما هو كائن من الأحداث ، وذلك غير مدرَك علمه بالاستنباط الاستخراج بالعقول .

فإن قال : فهل من حجة على صحة ذلك من جهة الخبر ؟

قيل : ذلك ما لا نعلم قائلا من أئمة الدين قال خلافه .

٥٧/١ فإن قال : فهل من رواية عن أحد منهم بذلك ؟

قيل : عِلْم ذلك عند أهل العلم من السلف كان أشهر من أن يحتاج فيه إلى رواية منسوبة إلى شخص منهم بعينه ، وقد رُوى ذلك عن جماعة منهم مسمّيْن بأعيانهم .

---

(١) سورة الفرقان ٥٩

(٢) س : « أول يوم » .

(٣) سورة القمر ٥٠

فإن قال : فاذكرهم لنا .

قيل : حدثنا ابن حُميد ، قال: حدثنا حكّام : عن عنبسة[١] ، عن سماك ، عن عكرمة ، عن ابن عباس قال : خلق الله السموات والأرض فى ستة أيام، فكلّ يوم من هذه الأيام كألف سنة مما تعدون أنتم .

حدثنا ابن وكيع ، قال : حدثنا أبى ، عن إسرائيل ، عن سماك ، عن عكرمة ، عن ابن عباس : ﴿ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ﴾[٢]. قال : الستة الأيام التى خلق الله فيها السموات والأرض .

حدثنا عبدة ، حدثنى الحسين بن الفرج ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عُبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله : ﴿ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مما تَعُدُّونَ ﴾ :يعنى هذا اليوم من الأيام الستة التى خلق الله فيهنّ السموات والأرض وما بينهما .

حدثنى المثنى ، حدثنا علىّ ، عن المسيّب بن شريك ، عن أبى رَوْق ، عن الضّحاك : ﴿ وَهُوَ الَّذِى خَلَقَ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضَ فى سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾[٣]. قال : من أيام الآخرة ، كلّ يوم كان مقداره ألف سنة ، ابتدأ فى الخلق يوم الأحد ، واجتمع الخلق يوم الجمعة .

حدثنا ابن حُميد قال : حدثنا جرير ، عن الأعمش ، عن أبى صالح : عن كعب ، قال : بدأ الله خلق السموات والأرض يوم الأحد والاثنين والثلاثاء والأربعاء والخميس ، وفرغ منها يوم الجمعة ، قال : فجعل مكانَ كلّ يوم ألف سنة .

---

(١) فى ط : «عيينة» تصحيف ؛ وهو عنبسة بن سعيد ؛ ذكره ابن حجر فى تهذيب التهذيب ٣ : ٤٢٢ فيمن روى عنهم حكام بن سلم ؛ وذكره الطبرى أيضاً فى ا : ٤٥٩ ، ٥٣٨ : «حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا حكام بن سلم ، عن عنبسة . . » .

(٢) سورة السجدة ٥

(٣) سورة هود ٧

٥٨/١ حدثنى المثنى ، قال : حدثنا الحجاج ، حدثنا أبو عوانة ، عن أبى بِشْر ، عن مجاهد، قال: يوم من الستة الأيام، كألف سنة مما تَعُدّون .

فهذا هذا . وبعد ؛ فلا وجهَ لقول قائل : وكيف يوصف الله تعالى ذكره بأنه خلق السموات والأرض وما بينهما فى ستة أيام قدْر مدتها من أيام الدنيا ستة آلاف سنة ؛ وإنما أمرُه إذا أراد شيئاً أن يقول له : كن فيكون ، لأنه لا شىء يتوهّمه متوهم فى قول قائل ذلك إلا وهو موجود فى قول قائل : خلق ذلك كله فى ستة أيام مدتها مدة ستة أيام من أيام الدنيا ، لأن أمرَه جلّ جلاله إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون[1] .

---

(١) علق ابن الأثير (١ : ٤١) على القول فيما خلق الله فى كل يوم من الأيام الستة بقوله: «أما ما ورد فى هذه الأخبار من أن الله تعالى خلق الأرض فى يوم كذا والسماء فى يوم كذا إنما هو مجاز ؛ وإلا فلم يكن ذلك الوقت أيام وليالٍ ؛ لأن الأيام عبارة عما بين طلوع الشمس وغروبها والليالى عبارة عما بين غروبها وطلوعها ؛ ولم يكن ذلك الوقت سماء ولا شمس ؛ وإنما المراد به أنه خلق كل شىء بمقدار يوم ؛ كقوله تعالى: (ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا) : وليس فى الجنة بكرة وعشى» .

القول فى الليل والنهار أيهما خلق قبل صاحبه
وفى بدء خلق الشمس والقمر وصفتهما إذ كانت الأزمنة بهما تعرف

قد قلنا فى خلق[1] الله عزّ ذكره ما خلق من الأشياء قبل خلقه الأوقات والأزمنة، وبيّنا أن الأوقات والأزمنة إنما هى ساعات الليل والنهار، وأن ذلك إنما هو قَطْع الشمس والقمر درَجات الفلك ؛ فلنقل الآن : بأىّ ذلك كان الابتداء؛ بالليل أم بالنهار[2]؟ إذ كان الاختلاف فى ذلك موجوداً بين ذوى النظر فيه؛ بأن بعضَهم يقول فيه: خلق الله الليل قبل النهار، ويستشهد على حقيقة قوله ذلك بأن الشمس إذا غابت وذهب ضوءها الذى هو نهار هجم الليلُ بظلامه ، فكان معلوماً بذلك أن الضياء هو المتورّد على الليل ، وأن الليل إن لم يُبطله النهار المتورد عليه هو الثابت ، فكان بذلك من أمرهما دلالة على أن الليل هو الأول خَلْقاً ، وأن الشمس هو الآخر منهما خلقاً ، وهذا قولٌ يُروَى عن ابن عباس .

١/٥٩

حدثنا ابن بشار ، حدثنا عبد الرحمن ، عن سُفيان ، عن أبيه ، عن عِكْرمة، عن ابن عباس قال : سئل: هل[3] الليل كان قبل النهار؟ قال : أرأيتم حين كانت السموات والأرض رَتْقاً ، هلْ كان بينهما إلا ظلمة ! ذلك لتعلموا أن الليلَ كان قبل النهار .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق . أخبرنا الثورىّ، عن أبيه، عن عِكْرمة ، عن ابن عباس، قال: إنّ الليل قبل النهار، ثم قال: ﴿كَانَتَا رَتْقاً فَفَتَقْنَاهُمَا﴾.

حدثنا محمد بن بشّار ، قال : حدثنا وهب بن جرير ، حدثنا أبى ، قال : سمعت يحيى بن أيوب يحدث عن يزيد بن أبى حبيب ، عن مَرْثَد

(١) ا : «قول» .
(٢) ا : «أم النهار» .
(٣) ا : «عن الليل» .

ابن عبد الله اليَزَنِىّ، قال: لم يكن عُقْبة بن عامر إذا رأى الهلال — هلال رمضان — يقوم تلك الليلة حتى يصومَ يومها ، ثم يقوم بعد ذلك . فذكرتُ ذلك لابن حُجَيرة فقال : الليل قبل النهار أم النهار قبل الليل ؟

* * *

وقال آخرون : كان النهارُ قبل الليل ، واستشهدوا لصحة قولهم هذا بأن الله عزّ ذكره كان ولا ليلَ ولا نهار ولا شىء غيره ، وأن نورَه كان يضىء به كلّ شىء خلقه بعد ما خلقه حتى خلق الليل .

* ذكر من قال ذلك :

حدثنى على بن سهل ، حدثنا الحسن بن بلال ، قال : حدثنا حماد بن سلمة ، عن الزبير أبى[1] عبد السّلام ، عن أيوب بن عبد الله الفهرىّ أنّ ابن مسعود قال : إن ربكم ليس عنده ليلٌ ولا نهار ، نور السموات من نور وجهه ، وإن مقدار كلّ يوم من أيامكم هذه عنده اثنتا عشرة ساعة .

* * *

قال أبو جعفر : وأوْلى القولين فى ذلك عندى بالصواب قول من قال : كان الليل قبل النهار ، لأن النهار هو ما ذكرتُ من ضوء الشمس ؛ وإنما ١/٦٠ خلق الله الشمس وأجراها فى الفلك بعد ما دحا الأرض فبسطها ، كما قال عزّوجلّ : ﴿أَأَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاءُ بَنَاهَا ۝ رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّاهَا ۝ وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا﴾[2] ، فإذا كانت الشمس خُلقت بعد ما سُمكت السماء ، وأغطش ليلها ، فمعلوم أنها كانت — قبل أن تخلق الشمس ، وقبل أن يُخرج الله من السماء ضحاها — مظلمة لا مضيئة .

وبعد ، فإن فى مشاهدتنا من أمر الليل والنهار ما نشاهده[3] دليلاً بيّناً

---

(١) ط : « الزبير بن عبد السلام » ؛ وصوابه من ا ؛ ذكره ابن حجر فيمن روى عن أيوب بن عبد الله . وانظر تهذيب التهذيب ١ : ٤٠٧ .

(٢) سورة النازعات ٢٧ — ٢٩ .

(٣) ا : « نشاهد » .

على أنّ النهار هو الهاجم على الليل لأنّ الشمس متى غابت فذهب ضوءها ليلاً [أو نهاراً][1] أظلم الجو ، فكان معلوماً بذلك أن النهار هو الهاجم على الليل بضوئه ونوره . والله أعلم .

فأما القول فى بدء خلقهما فإن الخبرَ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بوقت خلق الله الشمس والقمر مختلف .

فأما ابن عبـــاس فرُوى عنه أنه قال : خلق الله يوم الجمعة الشمسَ والقمرَ والنجوم والملائكة إلى ثلاث ساعات بقيت منه ، حدثنا بذلك هنّاد بن السريّ ، قال : حدثنا أبو بكر بن عياش ، عن أبى سعد البقّال ، عن عِكْرِمة ، عن ابن عباس ، عن النبي صلى الله عليه وسلم .

وروى أبو هريرة عن النبيّ صلى الله عليه وسلم أنه قال : « خلَق الله النور يوم الأربعاء » ، حدثنى بذلك القاسم بن بشر والحسين بن علىّ ، قالا : حدثنا حجاج بن محمد ، عن ابن جُرَيْج ، عن إسماعيل بن أمية ، عن أيوب بن خالد ، عن عبد الله بن رافع ، عن أبى هريرةَ ، عن النبيّ صلى الله عليه وسلم.

٦١/١ وأىّ ذلك كان ؛ فقدْ خلق الله قبل خلقه إياهما خلْقاً كثيراً غيرهما ، ثم خلقهما عزّ وجلّ لما هو أعلم به من مصلحة خلْقه ، فجعلهما دائبَىِ الجرى ، ثم فَصَل بينهما ، فجعل إحداهما آية الليل ، والأخرى آية النهار ، فمحا آية الليل ، وجعل آية النهار مبصرة . وقد رُوى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى سبب اختلاف حالتىْ آية[2] الليل وآية النهار أخبارٌ أنا ذاكر منها بعضَ ما حضرنى ذكره . وعن جماعة من السلف أيضاً نحو ذلك .

فممّا[3] روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ذلك ، ما حدثنى محمد بن أبى منصور الآمُلىّ ، حدثنا خلف بن واصل ، قال : حدثنا عمر بن

---

(١) تكلة من ا .

(٢) ر : « حالتى الشمس والقمر وآية الليل » .

(٣) ا : « فما » .

صُبْح[1] أبو نعيم البلخيّ، عن مقاتل بن حيّان، عن عبد الرحمن بن أبْزَى، عن أبي ذَرّ الغِفاريّ، قال: كنتُ آخذُ بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحنُ نَماشَى جميعاً نحو المغرب، وقد طَفَلَت[2] الشمس، فما زلنا ننظر إليها حتّى غابت؛ قال: قلتُ: يا رسول الله، أين تغرُب؟ قال: تغرب في السماء، ثم تُرْفع من سماء إلى سماء حتّى ترفع إلى السماء السابعة العليا؛ حتّى تكونَ تحت العرش، فتخرّ ساجدة، فتسجد معها الملائكة الموكّلون بها، ثم تَقول: يا ربّ، مِنْ أين تأمرني أن أطلع، أمن مغربى أم منْ مطلعى؟ قال: فذلك قوله عزّ وجلّ: ﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا﴾ حيث تحبَس تحت العرش، ﴿ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾[3] قال: يعنى بـ «ذلك»[4] صُنْعَ الربّ العزيز في ملكه العليم بخلقه. قال: فيأتيها جَبرئيل بحُلّة ضوء من نور العرش، على مقادير ساعات النهار، في طوله في الصيف، أو قصره في الشتاء، أو ما بين ذلك في الخريف والربيع. قال: فتلبس تلك الحلة كما يلبسَ أحدكم ثيابه، ثم تَنطلق[5] بها في جو السماء حتّى تطلع من مطلعها[6]، قال النبي صلى الله عليه وسلم: فكأنها قد حُبست مقدار ثلاث ليال ثم لا تُكسى ضوءاً، وتؤمر أن تطلع من مغربها، فذلك قوله عزّ وجلّ: ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾.[7] قال: والقمر كذلك في مطلعه ومجراه في أفق السماء ومغربه وارتفاعه إلى السماء السابعة العليا، ومحبسه تحت العرش وسجوده واستئذانه، ولكن جَبْرائيل عليه السلام يأتيه بالحُلّة من نور الكرسيّ. قال: فذلك قوله عزّ وجلّ: ﴿جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا﴾[8]. قال أبو ذرّ: ثم عدلتُ مع رسول الله صلى

٦٢/١

---

(١) كذا في ا «عمر بن صبح»، ترجم له ابن حجر في تهذيب التهذيب ٧ : ٤٦٣؛ وذكر أنه أخذ عن مقاتل. وفي ط: «صبيح». وانظر خلاصة تذهيب الكمال ٢٤٠.

(٢) طفلت الشمس: مالت للغروب.

(٣) سورة يس ٣٨

(٤) كذا في ا، ر، ك؛ وفي ط: «ذلك».

(٥) ط: «ينطلق»، وما أثبته عن ا، ر، ن.

(٦) ط: «مطالعها»، وما أثبته من ا.

(٧) سورة التكوير ١

(٨) سورة يونس ٥

الله عليه وسلم فصلينا المغرب. فهذا الخبر عن رسول الله [يُنْبِئ] [١] أن سبب اختلاف حالة الشمس والقمر إنما هو أنّ ضوء الشمس من كسوة كسيتْها من ضوء العرش ، وأن نورَ القمر من كسوة كُسِيَتها من نور الكرسيّ .

فأما الخبر الآخر الذى يدلّ على غير هذا المعنى ؛ فما حدثنى محمد ابن أبى منصور ، قال : حدثنا خلف بن واصل ، قال : حدثنا أبو نعيم ، عن مقاتل بن حيان ، عن عِكْرِمة قال : بينا ابن عباس ذاتَ يوم جالس إذْ جاءه رجل ، فقال : يابن عباس ، سمعتُ العجب من كعب الحَبْر [٢] يذكر فى الشمس والقمر . قال : وكان متكئاً فاحتفز [٣] ثم قال : وما ذاك ؟ قال : زعم أنه يُجاء بالشمس والقمر يوم القيامة كأنهما ثوران عَقِيران ، فيُقذَفان فى جهنم . قال عكرمة : فطارت من ابن عباس شِقّة ووقعت أخرى غضبا ، ثم قال : كذَب كعب ! كذب كعب ! كذب كعب ! ثلاث مرات ، بل هذه يهودية يريد إدخالها فى الإسلام ، الله أجلّ وأكرم من أن يعذّب على طاعته ، ألم تسمع لقول الله تبارك وتعالى : ﴿ وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ ﴾ [٤] ، إنما يعنى دءوبهما فى الطاعة ، فكيف يعذب عبدين يُثنى عليهما ؛ أنهما دائبان فى طاعته ! قاتل الله هذا الحَبْر وقبّح حَبْرِيته ! ما أجرأه على الله وأعظم فِرْيته على هذين العبدين المطيعين لله ! قال : ثم استرجع مراراً ، وأخذ عُوَيداً من الأرض ، فجعل ينكته فى الأرض ، فظل كذلك ما شاء الله ، ثم إنه رفع رأسه ، ورمى بالعويد فقال : ألا أحدثكم بما سمعتُ من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يقول فى الشمس والقمر وبدء خلقهما ومصير أمرهما ؟ فقلنا : بلى رحمك الله ! فقال : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن ذلك ، فقال : إن الله تبارك وتعالى لما أبرم خلْقه إحكاماً فلم يبق من خلقه غيرُ آدم خلَق شمسين من نور عرشه ، فأما ما كان فى سابق علمه [٥] أنه يدعها شمساً ، فإنه خلقها مثل الدنيا ما بين مشارقها ومغاربها ،

١/٦٣

(١) ا : « عن أن » .
(٢) ر ، ن : « الأحبار » .
(٣) احتفز : استوى جالساً على وركيه .
(٤) سورة إبراهيم ٣٣ .
(٥) ر ، س : « من سابق علمه » .

وأما ما كان فى سابق علمه [١] أنه يطمسها ويحوّلها قمراً ، فإنه دون الشمس فى العِظَم ؛ ولكن إنما يُرَى صغرهما من شدة ارتفاع السماء وبعدها من الأرض .

قال : فلو ترك الله الشمسين كما كان خلقهما فى بدء الأمر لم يكن يُعرَف الليل من النهار ، ولا النهار من الليل ، وكان لا يدرى الأجير إلى متى يعمل ، ومتى يأخذ أجره . ولا يدرى الصائم إلى متى يصوم ، ولا تدرى المرأة كيف تعتدّ ، ولا يدرى المسلمون متى وقت الحج ، ولا يدرى الدّيّان متى تحلّ ديونهم ، ولا يدرى الناس متى ينصرفون لمعايشهم ، ومتى يسكنون لراحة أجسادهم . وكان الربّ عزّ وجلّ أنظر لعباده وأرحم بهم ، فأرسل جَبرئيل عليه السلام فأمرّ جناحه على وجه القمر — وهو يومئذ شمس — ثلاث مرات ، فطمس عنه الضوءَ ، وبقى فيه النور ، فذلك قوله عزّ وجلّ : ﴿ وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً ﴾[٢] . قال : فالسَّوادالذى ترونه فى القمر شبه الخطوط فيه فهو أثرُ المحو . ثم خلق الله للشمس عجلة من ضوء نور العرش لها ثلثمائة وستون عروة ، ووكل بالشمس وعجلتها ثلثمائة وستين ملكاً من الملائكة من أهل السماء الدنيا ، قد تعلّق كلّ ملك منهم بعروة من تلك العُرَا ، ووكل بالقمر وعجلته ثلثمائة وستينَ ملكاً من الملائكة من أهل السماء ، قد تعلق بكلّ عروة من تلك العُرَا مَلَكٌ منهم .

ثم قال : وخلق الله لهما مشارق ومغارب فى قُطْرَيِ الأرض وكنفيِ السماء ثمانين ومائة عين فى المغرب ، طينة سوداء ، فذلك قوله عز وجلّ : ﴿ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِى عَيْنٍ حَمِئَةٍ ﴾[٣] إنما يعنى [٤] حمأةً سوداء من طين ، وثمانين ومائة عين فى

---

(١) ر : « من سابق علمه » .

(٢) سورة الإسراء ١٢

(٣) سورة الكهف ٨٦

(٤) كذا فى ا ، س وفى ط : « هى حمئة » .

المشرق مثل ذلك طينة سوداء تفور غَلْياً كغلى القِدْر إذا ما اشتد غليُها. قال: فكلّ يوم[وكلّ][1] ليلة لها مطلعٌ جديد ومغرب جديد، ما بين أولها مطلعاً، وآخرها مغرباً أطول ما يكون النهار فى الصيف إلى آخرها مطلعاً، وأولها مغرباً أقصر ما يكون النهار فى الشتاء، فذلك قوله تعالى: ﴿ رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ ﴾[2] يعنى آخرها هاهنا وآخرها ثَمّ، وترك ما بين ذلك من المشارق والمغارب، ثم جمعهما فقال: ﴿ بِرَبِّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ ﴾[3]، فذكر عِدّة تلك العيون كلها.

٦٥/١

قال: وخلق الله بحراً، فجرى دون السماء[4] مقدار ثلاث فراسخ، وهو موج مكفوف قائم فى الهواء بأمر الله عزّ وجلّ لا يقطر منه قطرة، والبحار كلها ساكنة، وذلك البحر جارٍ فى سرعة السّهم ثم انطلاقه فى الهواء مستوياً، كأنه حَبْلٌ ممدود ما بين المشرق والمغرب، فتجرى الشمس والقمر والخُنَّس فى لُجّة غَمْر ذلك البحر؛ فذلك قوله تعالى: ﴿ كُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴾[5]، والفلك دوران العجلة فى لُجّة غمر ذلك البحر. والذى نفس محمد بيده، لو بدت الشمس من ذلك البحر لأحرقت كلّ شىء فى الأرض، حتّى الصخور والحجارة، ولو بدا القمر من ذلك لافتتن أهلُ الأرض حتّى يعبدوه من دون الله، إلا من شاء الله أن يعصم من أوليائه.

قال ابن عباس: فقال على بن أبى طالب رضى الله عنه: بأبى أنت وأمى يا رسول الله! ذكرتَ مجرى الخُنَّس مع الشمس والقمر، وقد أقسم الله بالخُنَّس فى القرآن إلى ما كان من ذكرك، فما الخُنَّس؟ قال: يا علىّ، هنّ خمسةُ كواكب: البِرْجيس[6]، وزُحَل، وعُطارد، وبَهْرام، والزُّهرة،

---

(١) تكملة من ا.

(٢) سورة الرحمن ١٧

(٣) سورة المعارج ٤٠

(٤) كذا فى ط، وفى اللآلىء المصنوعة ١: ٧: «بينه وبين السماء»، وفى ا: «فجرى بين السماء».

(٥) سورة الأنبياء ٣٣

(٦) كذا ضبطه صاحب القاموس بكسر الباء؛ وقال: هو نجم أو هو المشترى.

١/٦٦ فهذه الكواكب الخمسة الطالعات الجاريات، مثل الشمس والقمر ، العاديات[١] معهما ، فأما سائر الكواكب فعلّقات من السماء كتعليق[٢] القناديل من المساجد ، وهى تحومُ مع السماء دوراناً بالتسبيح والتقديس والصلاة لله ، ثم قال النبي صلى الله عليه وسلم: فإن أحببتم أنْ تستبينوا[٣] ذلك، فانظروا إلى دوران الفلك مرة هاهنا ومرة هاهنا، فذلك دوران السماء ، ودوران الكواكب معها كلّها سوى هذه الخمسة ، ودورانها اليوم كما ترون ، وتلك صلاتها ، ودورانُها إلى يوم القيامة فى سرعة دوران الرّحا من أهوال يوم القيامة وزلازله ، فذلك قوله عزّ وجلّ : ﴿ يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا • وَتَسِيرُ الْجِبَالُ سَيْرًا • فَوَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴾[٤].

قال : فإذا طلعت الشمس فإنها تطلع من بعض تلك العيون على عجلتها ومعها ثلثمائةوستون مَلَكاً ناشرى أجنحتهم ، يَجُرّونها فى الفلك بالتسبيح والتقديس والصلاة لله على قدر ساعات الليل وساعات النهار ليلا كان أو نهاراً ، فإذا أحبّ الله أن يبتلىَ الشمس والقمر فيُرِى العباد آية من الآيات فيستعتبهم رجوعاً عن معصيته وإقبالا على طاعته ، خرّت الشمس من العجلة فتقع فى غمر ذلك البحر وهو الفلك، فإذا أحبّ الله أن يُعْظِمَ الآية ويشدّد تخويفَ العباد وقعت الشمس كلّها فلا يبقى منها على العجلة شىء ، فذلك حين يظلم النهار وتبدو النجوم ، وهو المنتهى من كسوفها . فإذا أراد أن يجعل آيةً دون

١/٦٧ آية وقع منها النصف أو الثلث أو الثلثان فى الماء ، ويبقى سائرُ ذلك على العجلة ، فهو كسوف دون كسوف ، وبلاء للشمس أو للقمر ، وتخويفٌ للعباد ، واستعتاب من الربّ عزّ وجلّ ، فأىّ ذلك كان صارت الملائكة الموكلون بعجلتها فرقتين : فرقة منها يُقبلون على الشمس فيجرّونها نحو العجلة ، والفرقة الأخرى

---

(١) ا ، ر ، ن : « الغاديات » وفى اللآلىء المصنوعة : « الغاربات » .

(٢) ر ، س : « كتعلق » .

(٣) ن : « أن تستثبتوا » .

(٤) سورة الطور ٩ — ١١

يُقبلون على العجلة فيجرّونها نحو الشمس ، وهم فى ذلك[١] يقرّونها[٢] فى الفلك بالتسبيح والتقديس والصلاة لله على قدر ساعات النهار أو ساعات الليل ، ليلاً كان أو نهاراً ، فى الصيف كان ذلك أو فى الشتاء ، أو ما بين ذلك فى الخريف والربيع ، لكيلا يزيد فى طولهما شىء ، ولكن قد ألهمهم الله علم ذلك ، وجعل لهم تلك القوة ، والذى ترون من خروج الشمس أو القمر بعد الكسوف قليلاً قليلاً ، من غمر ذلك البحر الذى يعلوهما ، فإذا أخرجوها كلَّها اجتمعت الملائكة كلهم ، فاحتملوها حتّى يضعوها على العجلة ، فيحمدون الله على ما قوّاهم لذلك ، ويتعلقون بعُرَا العجلة ، ويَجُرّونها فى الفلك بالتسبيح والتقديس والصلاة لله حتّى يبلغوا بها المغرب ، فإذا بلغوا بها المغرب أدخلوها تلك العين ، فتسقط من أفق السماء فى العين .

ثم قال النبيّ صلى الله عليه وسلم ، وعجب من خلق الله : ولَلْعجب من القدرة فيما لم نَرَ[٣] أعجب من ذلك ؛ وذلك قول جبرئيل عليه السلام لسارة : ﴿ أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ ﴾[٤] وذلك أن الله عزّ وجلّ خلق مدينتين : إحداهما بالمشرق والأخرى بالمغرب ، أهل المدينة التى بالمشرق من بقايا عاد من نسل مؤمنيهم ، وأهل التى بالمغرب من بقايا ثمود من نسل الذين آمنوا بصالح ، اسم التى بالمشرق بالسريانيّة «مرقيسيا» وبالعربية «جابَلق[٥]» واسم التى بالمغرب بالسريانية «برجيسيا»[٦] وبالعربية «جابَرس» ولكل مدينة منهما عشرة آلاف باب ، ما بين ١/٦٨

---

(١) ن : «مع ذلك» .

(٢) كذا فى ا ، س ، ك ، وفى ط : «يجرونها» .

(٣) ط : «لم يخلق» ، وما أثبته من اللآلئ المصنوعة .

(٤) سورة هود ٧٣

(٥) ضبطها ياقوت بالباء المفتوحة المفتحة وسكون اللام ، ونقل عن ابن عباس أنها مدينة بأقصى المغرب وأهلها من ولد عاد .

(٦) كذا ضبطت بالقلم فى معجم البلدان . ونقل أيضاً عن ابن عباس أنّ أهلها من ولد ثمود .

كل بابين فرسخ، ينوب كلّ يوم على كل باب من أبواب هاتين المدينتين عشرة آلاف [١] رجل من الحراسة ، عليهم السلاح ، لا تَنُوبُهم [٢] الحراسة بعد ذلك إلى يوم ينفخ فى الصور، فوالذى نفس محمد بيده، لولا كثرة هؤلاء القوم وضجيج أصواتهم لسمع الناس من جميع أهل الدنيا هدّة وقعة الشمس حين تطلع وحين تغرب ، ومن ورائهم ثلاث أمم : منسك [٣]، وتافيل، وتاريس [٤]، ومن دونهم يأجوج ومأجوج .

وإن جبْرئيل عليه السلام انطلق بى إليهم ليلة أسرِىَ بى من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى ، فدعوتُ يأجوجَ ومأجوج إلى عبادة الله عزّ وجلّ فأبوْا أن يجيبونى ، ثم انطلق بى إلى أهل المدينتين ، فدعوتهم إلى دين الله عزّ وجلّ وإلى عبادته فأجابوا وأنابوا، فهم فى الدين [إخواننا] [٥]، مَنْ أحسن منهم فهو مع محسنكم ، ومن أساء منهم فأولئك مع المسيئين منكم . ثم انطلق بى إلى الأمم الثلاث ، فدعوتهم إلى دين الله وإلى عبادته فأنكروا ما دعوتهم إليه ، فكفروا بالله عزّ وجلّ وكذبوا رسله، فهم مع يأجوج ومأجوج وسائر مَنْ عصى الله فى النار ؛ فإذا ما غربت الشمس رُفع بها من سماء إلى سماء فى سرعة طيران الملائكة ؛ حتى يُبلَغ بها إلى السماء السابعة العليا، حتى تكون تحت العرش فتخرّ ساجدة، وتسجد معها الملائكة الموكلون بها، فيُحدَر بها من سماء إلى سماء ؛ فإذا وصلت إلى هذه السماء فذلك حين ينفجر الفجر [٦] ، فإذا انحدرت من بعض تلك العيون، فذاك حين يضىء الصبح ، فإذا وصلت إلى هذا الوجه من السماء فذاك حين يضىء النهار .

٦٩/١

قال : وجعل الله عند المشرق حجاباً من الظلمة على البحر السابع ، مقدار

---

(١) كذا فى ا وابن الأثير واللآلىء المصنوعة . وفى ط : «عشرة آلاف ألف» .

(٢) كذا فى ا . وفى ط : «ولما تلحقهم نوبة الحراسة» . وفى ابن الأثير : «ولا تعود الحراسة إليهم» .

(٣) ر ، س : «ثافيل» .

(٤) س : «باريس» ، ا «تاريس» ، وابن الأثير «ثاريس» .

(٥) تكلة من ا واللآلىء المصنوعة .

(٦) ط : «الصبح» ، وما أثبته من ا .

عدة الليالى منذ يوم خلق الله الدنيا إلى يوم تَصرَم، فإذا كان عند الغروب أقبل مَلَك قد وُكل بالليل فيقبض قبضةً من ظُلمة ذلك الحجاب، ثم يستقبلُ المغرِبَ؛ فلا يزال يُرسل من الظلمة من خلل أصابعه قليلاً قليلاً وهو يراعى الشَّفق، فإذا غاب الشفق أرسلَ الظلمة كلَّها ثم ينشر جناحيه، فيبلغان قُطرىِ الأرض وكنَفَيِ السماء، ويجاوزان ما شاء الله عزّ وجلّ خارجاً فى الهواء، فيسوق ظلمة الليل بجناحيه بالتسبيح والتقديس والصلاة لله حتّى يبلغ المغرب ، فإذا بلغ المغرب انفجر الصبح من المشرق ، فضمّ جناحيه ، ثم يضم الظلمة بعضها إلى بعض بكفيه ، ثم يقبض عليها بكف واحدة نحو قبضته إذا تناولها من الحجاب بالمشرق ، فيضعها عند المغرب على البحر السابع من هناك ظلمة الليل . فإذا ما نقل ذلك الحجابُ من المشرق إلى المغرب نفخ فى الصور ، وانقضت الدنيا، فضوء النهار من قِبَل المشرق، وظلمة الليل من قِبَل ذلك الحجاب، فلا تزال الشمس والقمر كذلك من مطالعهما إلى مغاربهما إلى ارتفاعهما، إلى السماء السابعة العليا، إلى محبسهما[1] تحت العرش، حتّى يأتِيَ الوقت الذى ضرب الله لتوبة العباد ، فتكثُر المعاصى فى الأرض ويذهب المعروفُ ، فلا يأمر به أحد ، ويفشو المنكرُ فلا يُنهى عنه أحد .

٧٠/١

فإذا كان ذلك حبِست الشمس مقدار ليلة تحت العرش ، فكلّما سجدت وأستأذنت : من أين تطلع ؟ لم يُحرْ[2] إليها جواب ؛ حتّى يوافيَها القمر ويسجد معها ، ويستأذن: من أين يطلع؟ فلا يحُار إليه جواب ، حتّى يحبسهما مقدار ثلاث ليال للشمس ، وليلتين للقمر ، فلا يَعرِف طول تلك الليلة إلا المتهجدون فى الأرض ؛ وهم حينئذ عِصابة قليلة فى كل بلدة من بلاد المسلمين ؛ فى هوان من الناس وذلة من أنفسهم، فينام أحدُهم تلك الليلة قَدْرَ ما كان ينام قبلها من الليالى، ثم يقوم فيتوضأ ويدخل مصلاّه فيصلى وِرْده، كما كان يصلى

---

(١) ط : « إلى مجلسهما » ، وما أثبته من ا .

(٢) لم يحر إليها جواب ؛ أى لم يرجع إليها جواب ؛ ويقال : ما أحار جواباً ؛ أى ما رجع .

قبل ذلك ، ثم يخرج فلا يرى الصبح ، فينكر ذلك ويظنّ فيه الظنون من الشرّ ثم يقول : فلعلّى خففتُ قراءتى ، أو قصرّت صلاتى ، أو قمت قبل حينى !

قال : ثم يعود أيضاً فيصلّى ورْده كمثل ورْده ، الليلة الثانية ، ثم يخرج فلا يرى الصبح ، فيزيده ذلك إنكاراً ، ويخالطه الخوف ، ويظنّ فى ذلك الظنون من الشرّ ، ثم يقول : فلعلى خففت قراءتى ، أو قصّرت صلاتى ، أو قمت من أوّل الليل! ثم يعود أيضاً الثالثة وهو وجِل مُشفق لما يتوقع من هول تلك الليلة ، فيصلى أيضاً مثل ورْده ، الليلة الثالثة ، ثم يخرج فإذا هو بالليل مكانه والنجوم قد استدارت وصارت إلى مكانها من أول الليل . فيشفق عند ذلك [١] شفقة الخائف العارف بما كان يتوقع من هول تلك الليلة فيستلحمه [٢] الخوف ، ويستخفّه البكاء ، ثم ينادى بعضُهم بعضاً ، وقبل ذلك كانوا يتعارفون ويتواصلون ، فيجتمع المتهجّدون من أهل كلّ بلدة إلى مسجد من مساجدها ، ويجأرون إلى الله عزّ وجلّ بالبكاء والصراخ بقية تلك الليلة ، والغافلون فى غفلتهم ، حتى إذا ما تمّ لهما مقدارُ ثلاث ليال للشمس وللقمر ليلتين ، أتاهما جبرئيل فيقول : إن الرب عزّ وجلّ يأمركما أن ترجعا إلى مغاربكما فتطلعا منها ، وأنّه لا ضوء لكما عندنا ولا نورَ. قال : فيبكيان عند ذلك بكاء يسمعه أهل سبع سموات من دونهما وأهل سرادقات العرش وحملة العرش من فوقهما ، فيبكون لبكائهما مع ما يخالطهم من خوف الموت ، وخوف يوم القيامة .

٧١/١

قال : فبينا الناس ينتظرون طلوعهما من المشرق إذا هما قد طلعا خلْف أقفيتهم من المغرب أسودين مكوّريْن كالغرارتين [٣] ، ولا ضوءَ للشمس ولا نورَ للقمر ، مثلهما فى كسوفهما قبل ذلك ؛ فيتصايح أهلُ الدنيا وتذْهَل الأمهات عن أولادها ، والأحبّة عن ثمرة قلوبها ، فتشتغل كل نفس بما أتاها . قال : فأما الصالحون والأبرار فإنه ينفعهم بكاؤهم يومئذ ، ويكتب ذلك لهم عبادة. وأما الفاسقون والفجار فإنه لا ينفعهم بكاؤهم يومئذ ، ويكتب ذلك عليهم خسارة . قال : فيرتفعان مثل البعيرين القرينين ، ينازع كلٌّ واحد منهما

---

(١) ا : « عندها » .

(٢) استلحمه الخوف : نشب فيه .

(٣) ط : « كالغرابين » ، وما أثبته من ا .

صاحبه استباقاً ، حتى إذا بلغا سُرّة السماء — وهو منصفها — أتاهما جبرئيل
٧٢/١ فأخذ بقرونهما ثم ردّهما إلى المغرب ، فلا يُغربهما فى مغاربهما من تلك العيون ،
ولكن يغربهما فى باب التوبة .

فقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه: أنا وأهلى فداؤك يا رسول الله ! فما باب التوبة ؟ قال : يا عمر ، خلق الله عزّوجلّ باباً للتوبة خلف المغرب ، مصراعين من ذهب ، مكللا بالدّر والجوهر ، ما بين المصراع إلى المصراع [١] الآخر مسيرة أربعين عاماً للراكب المسرع ؛ فذلك الباب مفتوح منذ خلق الله خلقه إلى صبيحة تلك الليلة عند طلوع الشمس والقمر من مغاربهما ، ولم يتبْ عبد من عباد الله توبة نصوحاً من لدن آدم إلى صبيحة تلك الليلة إلا ولجت تلك التوبة فى ذلك الباب ، ثم ترفع إلى الله عزّ وجلّ .

قال معاذ بن جبل : بأبى أنت وأمى يا رسول الله ! وما التوبة النصوح ؟ قال : أن يندم المذنب على الذنب الذى أصابه فيعتذر إلى الله ثم لا يعود إليه ، كما لا يعودُ اللبن إلى الضَّرع . قال : فيردّ جبرئيل بالمصراعين فيلأم [٢] بينهما ويصيّرهما كأنه لم يكن فيما بينهما صَدْعٌ قط ، فإذا أغلِق [٣] باب التوبة لم يقبل بعد ذلك توبة ، ولم ينفع بعد ذلك حسنة يعملها فى الإسلام إلا مَنْ كان قبل ذلك محسناً ، فإنه يجرى لهم وعليهم بعد ذلك ما كان يجرى قبل ذلك ، قال فذلك قوله عزّوجلّ : ﴿ يَوْمَ يَأْتِى بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِى إِيمَانِهَا خَيْرًا ﴾ [٤] .

فقال أُبَىّ بن كعب : بأبى أنت وأمى يا رسول الله ! فكيف بالشمس والقمر بعد ذلك ! وكيف بالناس والدنيا ! فقال : يا أُبىّ ، إن الشمس والقمر

---

(١) ا : « والمصراع »
(٢) ك : « فيلائم » .
(٣) ط : « غلق » وهى لغة رديئة فى « أغلق » .
(٤) سورة الأنعام ١٥٨

بعد ذلك يُكسيان النور والضوء، ويطلعان على الناس ويغرُبان كما كانا[١] قبل ذلك، وأما الناس فإنهم نظروا إلى ما نظروا إليه من فظاعة الآية، فيُلحّون على الدنيا حتى يُجروا فيها الأنهار، ويغرسوا فيها الشجر ، ويبنوا فيها البنيان . وأما الدنيا فإنه لو أنتج رجل مهراً لم يركبه من لدن طلوع الشمس من مغربها إلى يوم ينفخ فى الصور . ٧٣/١

فقال حذيفة بن اليمان : أنا وأهلى فداؤك يا رسول الله ! فكيف هم عند النفخ فى الصور ! فقال : يا حذيفة ، والذى نفس محمد بيده ، لتقومنّ الساعة ولينفخنّ فى الصور والرجل قد لَطّ[٢] حوضه فلا يسقى منه، ولتقومنّ الساعة والثوب بين الرجلين فلا يطويانه ، ولا يتبايعانه . ولتقومنّ الساعة والرجلُ قد رفع لقمته إلى فيه فلا يَطْعَمها ، ولتقومن الساعةُ والرجل قد انصرف بلبن لِقحته[٣] من تحتها فلا يشربه ، ثم تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية :﴿ وَلَيَاتِيَنَّهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾[٤].

فإذا نُفِخ فى الصور، وقامت الساعة ، وميز الله بين أهل الجنة وأهل النار ولما يدخلوهما بعد، إذْ يدعو الله عزّ وجلّ بالشمس والقمر، فيجاء بهما أسودين مكوّرين قد وقعا فى زلزال وبلبال، تُرعَد فرائصهما من هول ذلك اليوم ومخافة الرحمن، حتى إذا كانا حيال العرش خرّا لله ساجدين؛ فيقولان: إلهنا قد علمت طاعتنا ودُءوبنا فى عبادتك، وسرعتَنا للمضىّ[٥] فى أمرك أيام الدنيا ، فلا تُعذبنا بعبادة المشركين إيانا، فإنا لم ندعُ إلى عبادتنا ، ولم نذهَلْ عن عبادتك! قال: فيقول الرب تبارك وتعالى: صدقتما، وإنى قضيت على نفسى أن أبدئ وأعيد ، وإنى معيدكما فيما بدأتكما منه ، فارجعا إلى ما خلقتما منه ،

---

(١) كذا فى ا ، وفى ط : « كان » .

(٢) ا : « لاط » ، ولاط الحوض بالطين ولطه : طينه .

(٣) اللقحة ، بالكسر : الناقة الحلوب .

(٤) سورة العنكبوت ٥٣

(٥) ا : « المضى » ، ن : « بالمضى » .

١/٧٤ قالا : إلهنا ، ومم خلقتنا؟ قال: خلقتكما من نور عرشى ، فارجعا إليه . قال : فيلتمع من كلّ واحد منهما برقة تكاد تَخْطَف الأبصار نوراً ، فتختلط بنور العرش . فذلك قوله عزّ وجلّ : ﴿ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ ﴾[(١)] .

قال عكرمة: فقمت مع النفر الذين حدّثوا به، حتى أتينا كعباً فأخبرناه بما كان من وجْد ابن عباس من حديثه، وبما[(٢)] حدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ فقام كعب معنا حتى أتينا ابن عباس، فقال : قد بلغنى ما كان من وجدك من حديثى ، وأستغفر الله وأتوب إليه ، وإنى إنما حدّثت عن كتاب دارسٍ قد تداولته الأيدى ، ولا أدرى ما كان فيه من تبديل اليهود ، وإنك حدثت عن كتاب جديد حديث العهد بالرّحمن عزّ وجلّ وعن سيد الأنبياء وخير النبيين ، فأنا أحبّ أن تحدّثنى الحديث فأحفظه عنك ، فإذا حدثت به كان مكان حديثى الأول .

قال عكرمة : فأعاد عليه ابن عباس الحديث ، وأنا أستقريه فى قلبى باباً بابا ، فما زاد شيئاً ولا نقص، ولا قدّم شيئاً ولا أخّر ،فزادنى ذلك فى ابن عباس رغبة ، وللحديث حفظاً[(٣)] .

* * *

ومما روى عن السلف فى ذلك ما حدثناه ابن حميد ، قال : حدثنا جرير ، عن عبد العزيز بن رُفَيْع ، عن أبى الطفيل ، قال : قال ابن الكوّاء لعلىّ عليه السلام : يا أمير المؤمنين ، ما هذه اللطخة التى فى القمر؟ فقال : ويحك ! أما تقرأ القرآن:﴿ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ ﴾[(٤)]! فهذه محوُه .

---

(١) سورة البروج ١٣ .

(٢) ط : «وما» .

(٣) أورد ابن الأثير فى الكامل : (١ : ١٤–١٥) هذا الخبر مختصراً ؛ ولم يذكر تفصيل ما فيه من أشياء ؛ ثم قال :«أعرضت عنها لمنافاتها العقول ، ولو صح إسنادها لذكرناها وقلنا به ؛ ولكن الحديث غير صحيح ؛ ومثل هذا الأمر العظيم لا يجوز أن يسطر فى الكتب بمثل هذا الإسناد الضعيف »، ونقله أيضاً السيوطى فى اللآلىء المصنوعة ١ : ٤٥–٦٠ من طريقين آخرين ؛ وقال عنه : «موضوع ، فى إسناده مجاهيل وضعفاء» .

(٤) سورة الإسراء ١٢ .

حدثنا أبو كريب ، قال : حدثنا طلْق ، عن زائدة ، عن عاصم ، عن عليّ بن ربيعة ، قال : سأل ابنُ الكواء عليًّا عليه السلام فقال : ما هذا السوادُ فى القمر؟ فقال عليّ : ﴿فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً﴾ [1]، هو المحو [2] .

١/٧٥

حدثنا ابن بشار ، قال : حدثنا عبد الرحمن ، قال : حدثنا إسرائيل ، عن أبى إسحاق ، عن عبيد بن عمير ، قال : كنت عند عليّ عليه السلام ، فسأله ابن الكوّاء عن السواد الذى فى القمر فقال : ذاك آية الليل محيتْ [3] .

حدثنا ابن أبى الشوارب ، قال : حدثنا يزيد بن زُرَيع ، قال : حدثنا عمران بن حُدير ، عن رفيع [4] ، أبى كثيرة ، قال : قال على بن أبى طالب رضى الله عنه : سلوا عما شئتم ، فقام ابن الكوّاء فقال : ما السواد الذى فى القمر ؟ فقال : قاتلك الله ! هلا سألت عن أمر دينك وآخرتك ! ثم قال : ذاك محو الليل .

حدثنا زكرياء بن يحيى بن أبان المصريّ ، قال : حدثنا ابن عفير ، قال : حدثنا ابن لهيعة ، عن حُيَيّ بن عبد الله ، عن أبى عبد الرحمن ، عن عبد الله بن عمرو بن العاص ، أن رجلا قال لعليّ رضى الله عنه : ما السوادُ الذى فى القمر ؟ قال : إن الله يقول : ﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً﴾ [1] .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : حدثنى أبى ، قال : حدثنى عمى ، قال : حدثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله : ﴿ وَجَعَلْنَا

---

(١) سورة الإسراء ١٢ .
(٢) الخبر فى التفسير ١٥ : ٣٨ (بولاق) .
(٣) الخبر فى التفسير ١٥ : ٣٨ (بولاق) .
(٤) ط : « ابن أبى كثيرة » ، وفى التفسير : « رفيع بن أبى كثير » ؛ والصواب ما أثبته ؛ ذكره أبو حاتم الرازى فى الجرح والتعديل ٥١٠/٢/١ والدولابى فى الكنى ٩٠

اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ﴾، قال : هو السواد بالليل .

حدثنا القاسم ، قال : حدثنا الحسين ، قال : حدثنا حجاج ، عن ابن جريج قال : قال ابن عباس : كان القمرُ يضيء كما تُضيء الشمس ، والقمرُ آية الليل، والشمس آية النهار ،﴿فمحوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ ﴾، السواد الذى فى القمر .

حدثنا أبو كريب ، قال : حدثنا ابن أبى زائدة ، قال : ذكر ابن جُرَيْج عن مجاهد فى قوله تعالى : ﴿ وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ ﴾، قال : الشمس آية النهار ، والقمر آية الليل ،﴿ فمحوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ ﴾،قال: السواد الذى فى القمر ، كذلك خلقه الله .

٧٦/١

حدثنا القاسم ، قال : حدثنى الحسين ، قال : حدثنى حجاج ، عن ابن جريج ،عن مجاهد:﴿وجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ ﴾،قال: ليلاً ونهاراً كذلك خلقهما الله عزّ وجلّ .

قال ابن جريج: وأخبرنا عبد الله بن كثير ، قال :﴿فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً ﴾، قال: ظلمة الليل وسَدَف النهار .

حدثنا بِشْر بن معاذ ، قال : حَدثنا يزيد بن زُرَيْع ، قال : حدثنا سعيد عن قَتادة، قوله عزّ وجلّ: ﴿ وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ ﴾ ،كنا نحدّث أن محْوَ آية الليل سوادُ القمر الذى فيه ، ﴿وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً ﴾،منيرة ، وخلق الشمس أنورَ من القمر وأعظم .

حدثنا محمد بن عمرو ، قال : حدثنا أبو عاصم ، قال : حدثنا عيسى[١]. وحدثنى الحارث[٢]، قال : حدثنا الحسن ، قال : حدثنا ورقاء ، جميعاً عن ابن أبى نَجيح ، عن مجاهد : ﴿ وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ ﴾ ، قال : ليلاً ونهاراً ، كذلك جعلهما الله عزّ وجلّ .

---

(١) هو عيسى بن ميمون الجرشى ، روى عنه أبو عاصم النبيل . تهذيب التهذيب ٨ : ٢٣٥ .
(٢) هو الحارث بن محمد بن أسامة . تاريخ بغداد ٨ : ٢١٨ .

قال أبو جعفر : والصواب من القول فى ذلك عندنا أن يقال : إن الله تعالى ذكره خلق شمس النهار وقمر الليل آيتين ، فجعل آية النهار التى هى الشمس مبصرةً يبصر بها ، ومحا آية الليل التى هى القمر[١] بالسواد الذى فيه .

وجائز أن يكون الله تعالى ذكرُه خلَقهما شمسين من نور عرشه، ثم محا نور القمر بالليل على نحو ما قاله مَنْ ذكرنا قوله، فكان ذلك سبب اختلاف حالتيهما .

١/٧٧ وجائز أن يكون إضاءة الشمس للكسوة التى تُكساها من ضوء العرش ، ونور القمر من الكسوة التى يكساها من نور الكرسى .

ولو صحَّ سندُ أحد الخبرين اللذين ذكرتُهما[٢] لقلنا به ؛ ولكنّ فى أسانيدهما[٣] نظرا؛ فلم نستجز قطع القول بتصحيح ما فيهما من الخبر عن سبب اختلاف حال الشمس والقمر ؛ غير أنا بيقين نعلم[٤] أن الله عزّ وجلّ خالف بين صفتيهما فى الإضاءة لما كان أعلم به من صلاح خلقه باختلاف أمريْهما ، فخالف بينهما ، فجعل أحدهما مضيئاً مُبصراً به، والآخر ممحوّ الضوء .

وإنما ذكرنا قدر ما ذكرنا من أمر الشمس والقمر فى كتابنا هذا ، وإن كنا قد أعرضنا عن ذكر كثير من أمرهما وأخبارهما، مع إعراضنا عن ذكر بدء خلق الله السموات والأرض وصفة ذلك ، وسائر ما تركنا ذكره من جميع خلق الله فى هذا الكتاب ؛ لأنّ قصْدنا فى كتابنا هذا ذكرُ ما قدمنا الخبر عنه أنَّا ذاكروه فيه من ذكر الأزمنة وتأريخ الملوك والأنبياء والرسل، على ما قد شرطنا فى أول هذا الكتاب ، وكانت التأريخات والأزمنة إنما توقّت بالليالى والأيام التى إنما هى مقادير ساعات جريِ الشمس والقمر فى أفلاكهما على ما قد ذكرنا فى الأخبار التى رويناها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان ما كان قبل

---

(١) ا : « قمر » .
(٢) انظر صفحتى ٦٤ ، ٦٥ .
(٣) ا : « ولكن فى أسانيدهما نظر » .
(٤) كذا فى ط ، وفى س : « نعلم بيقين » ، وفى ن : « نتيقن ونعلم » ، وفى ا ، ك « نتيقن بعلم » .

خلق الله عزّ ذكره إياهما من خلقه فى غير أوقات ولا ساعات ولا ليل ولا نهار .

* * *

وإذ كنّا قد بينا مقدار مدة ما بين أول ابتداء الله عزّ وجلّ فى إنشاء ما أراد إنشاءه من خلْقه إلى حين فراغه من إنشاء جميعهم من سنِى الدنيا ومدة أزمانها بالشواهد الّتى استشهدنا بها[1] من الآثار والأخبار ، وأتينا على القول فى مدة ما بعد أن فرغ من خلق جميعه إلى فناء الجميع بالأدلة الّتى دللنا بها على صحة ذلك من الأخبار الواردة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن الصحابة وغيرهم من علماء الأمة ، وكان الغرض فى كتابنا هذا ذكر ما قد بينا أنا ذاكروه من تأريخ الملوك الجبابرة العاصية ربّها عزّ وجلّ والمطيعة ربها منهم ، وأزمان الرسل والأنبياء ، وكنا قد أتينا على ذكر ما به تصحّ التأريخات ، وتعرف به الأوقات والساعات ، وذلك الشمس والقمر اللذان بأحدهما تُدرَك معرفة ساعات الليل وأوقاته ، وبالآخر تُدرك علم ساعات النهار وأوقاته . فلنقل الآن فى أول من أعطاه الله ملكاً ، وأنعم عليه فكفر نعمتَه ، وجحد ربوبيته ، وَعتَا على ربه واستكبر ، فسلبه الله نعمته ، وأخزاه وأذله . ثم نُتْبعه ذكر من استنّ فى ذلك سنّته ، واقتفى فيه أثره ، فأحلّ الله به نقمته ، وجعله من شيعته ، وألحقه به فى الخزى والذلّ . ونذكر منْ كان بإزائه أو بعده من الملوك المطيعة ربها المحمودة آثارها ، أو مِن الرسل والأنبياء إن شاء الله عزّ وجلّ .

١/٧٨

* * *

فأولهم وإمامهم فى ذلك ورئيسهم وقائدهم فيه إبليس لعنه الله .

وكان الله عز وجل قد أحسن[2] خلقه وشرفه وكرّمه وملّكه على سماء[3] الدنيا والأرض فيما ذُكر ، وجعله مَع ذلك من خُزّان الجنة ، فاستكبر على ربه

(١) كذا فى ا ، وفى ط : « استشهدناها » .

(٢) ط : « حسن » .

(٣) كذا فى ا ، وفى ط : « السماء الدنيا » .

وادعى الربوبية، ودعا مَنْ كان تحت يده فيما ذكر إلى عبادته، فسخه الله تعالى شيطاناً رجيما، وشوّه خَلْقه، وسلبه ما كان خوّله، ولعنه وطرده عن سمواته فى العاجل، ثم جعل مسكنه ومسكن أتباعه وشيعته فى الآخرة نارَ جهنم، نعوذ بالله من غضبه، ومن عمل يقرّب من غضبه، ومن الحَوْر بعد الكوْر [١].

٧٩/١

ونبدأ بذكر جمل من الأخبار الواردة عن السلف بما كان الله عزّ وجلّ أعطاه من الكرامة قبل استكباره عليه، وادّعائه ما لم يكن له ادّعاؤه، ثم نُتبع ذلك ما كان من الأحداث فى أيام سلطانه وملكه إلى حين زوال ذلك عنه، والسبب الذى به زال عنه ما كان فيه من نعمة الله عليه، وجميل آلائه [٢]، وغير ذلك من أموره [٣]، إن شاء الله مختصراً.

(١) أصله فى الحديث: «نعوذ بالله من الحور بعد الكور»، قال ابن الأثير أى من النقصان بعد الزيادة، وقيل: من فساد أمورنا بعد صلاحها، وقيل من الرجوع عن الجماعة بعد أن كنا منهم، وأصله من نقض العمامة بعد لفها». النهاية ١ : ٢٦٩.

(٢) ا: «بلائه».

(٣) ط: «أمره»، وما أثبته عن ا.

ذكر الأخبار الواردة بأن إبليس كان له ملك السماء الدنيا والأرض وما بين ذلك

حدثنا القاسم بن الحسن ، قال : حدثنا الحسين بن داود ، قال : حدثني حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال ابن عباس : كان إبليس من أشراف الملائكة وأكرمهم قبيلة ، وكان خازناً على الجنان ، وكان له سلطان سماء الدنيا ، وكان له سلطان الأرض .

حدثنا القاسم ، قال : حدثنا الحسين ، قال : حدثني حجاج ، عن ابن جُريج ، عن صالح مولى التوءمة وشريك بن أبي نَمِر — أحدهما أو كلاهما — عن ابن عباس ، قال : إن من الملائكة قبيلةً من الجنّ وكان إبليس منها ، وكان يسوس ما بين السماء والأرض .

حدثنا موسى بن هارون الهمدانيّ ، قال : حدثنا عمرو بن حَمّاد ، قال : حدثنا أسباط ، عن السديّ ، في خبر ذكره عن أبي مالك ، وعن أبي صالح عن ابن عباس ، وعن مرّة الهمدانيّ عن ابن مسعود ، وعن ناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم : جُعل إبليس على سماء الدنيا ، وكان من قبيلة من الملائكة يقال لهم الجن ، وإنما سموا الجن لأنهم خُزّان الجنة ، وكان إبليس مع مُلْكه خازناً . ١/٨٠

حدثني عبدان المَرْوَزيّ ، حدثني الحسين بن الفرج ، قال : سمعت أبا معاذ الفضل بن خالد قال : أخبرنا عبيد الله بن سليمان ، قال : سمعت الضحاك ابن مزاحم يقول في قوله عزّ وجلّ : ﴿فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ﴾[1] ، قال : كان ابن عباس يقول : إن إبليس كان من أشرف[2] الملائكة وأكرمهم

---

(١) سورة الكهف ٥٠

(٢) كذا في ن وفي ط : « أشراف » .

قبيلة ، وكان خازناً على الجنان ، وكان له سلطان سماء الدنيا ، وكان له سلطان الأرض .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثنا المبارك بن مجاهد أبو الأزهر ، عن شريك بن عبد الله بن أبي نمر ، عن صالح مولى التوءمة ، عن ابن عباس ، قال : إن من الملائكة قبيلا يقال لهم الجن ، فكان إبليس منهم ، وكان يسوس ما بين السماء والأرض فعصى ، فمسخه الله شيطاناً رجيما .

ذكر الخبر عن غمط عدو الله نعمة ربه واستكباره عليه وادعائه الربوبية

حدثنا القاسم ، قال : حدثنا الحسين ، قال : حدثنى حجاج ، عن ابن جريج : ﴿وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّى إِلٰهٌ مِنْ دُونِهِ﴾[1] قال : قال ، ابن جريج : من يقل من الملائكة إنى إله من دونه ، فلم يقله إلا إبليس ، دعا إلى عبادة نفسه ، فنزلت هذه الآية فى إبليس .

حدثنا بشر بن معاذ ، قال : حدثنا يزيد ، قال : حدثنا سعيد ، عن قتادة : ﴿وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّى إِلٰهٌ مِنْ دُونِهِ فَذٰلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ كَذٰلِكَ نَجْزِى الظَّالِمِينَ﴾ ، وإنما كانت[2] هذه الآية خاصة لعدو الله إبليس لما قال ما قال ، لعنه الله وجعله رجيما ، فقال : ﴿فَذٰلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ كَذٰلِكَ نَجْزِى الظَّالِمِينَ﴾[1] . ٨١/١

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة : ﴿وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّى إِلٰهٌ مِنْ دُونِهِ فَذٰلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ﴾[1] ، قال : هى خاصة لإبليس .

---

(١) سورة الأنبياء ٢٩ .
(٢) ا : « وكان » .

القول فى الأحداث التى كانت فى أيام ملك إبليس وسلطانه والسبب الذى به هلك وادعى الربوبية

فمن الأحداث التى كانت فى ملك عدو الله – إذ كان لله مطيعاً – ما ذكر لنا عن ابن عباس فى الخبر الذى حدثناه أبو كُرَيب ، قال : حدثنا عثمان بن سعيد ، قال : حدثنا بشر بن عُمَارة، عن أبى رَوْق ، عن الضحاك ، عن ابن عباس، قال : كان إبليس من حىّ من أحياء الملائكة يقال لهم : الجن[1] خلقوا من نار السَّمُوم من بين الملائكة، قال: وكان اسمه الحارث ، قال : وكان خازناً من خزّان الجنة ، قال : وخلقت الملائكة كلهم من نور غير هذا الحىّ ، قال : وخُلقت الجنّ الذين ذكروا فى القرآن من مَارِج من نار ، وهو لسانُ النار الذى يكون فى طرفها إذا ألهِبَتْ ، قال: وخلق الإنسان من طين ، فأوّل مَنْ سكن الأرض الجنّ فأفسدوا فيها وسفكوا الدماء، وقتل بعضُهم بعضاً ، قال : فبعث الله إليهم إبليس فى جند من الملائكة وهم[2] هذا الحى الذين يقال لهم الجن ، فقتلهم إبليس ومن معه حتى ألحقهم بجزائر البحور وأطراف الجبال، فلما فعل إبليس ذلك اغترّ فى نفسه، وقال: قد صنعت شيئاً لم يصنعه أحد ، قال : فاطّلع الله على ذلك من قلبه ، ولم تطّلع عليه الملائكة الذين كانوا معه . ١/٨٢

حدثنى المثنى ، قال : حدثنا إسحاق بن الحجاج ، قال : حدثنا عبد الله بن أبى جعفر عن أبيه، عن الربيع بن أنس، قال: إن الله خلق الملائكة يوم الأربعاء ، وخلق الجنّ يوم الخميس ، وخلق آدم يوم الجمعة ، قال : فكفر قوم من الجن ، فكانت الملائكة تهبط إليهم فى الأرض فتقتلهم ، فكانت الدماءُ وكان الفساد فى الأرض .

---

(١) كذا فى ا ، ط وابن الأثير ، بالجيم المعجمة ؛ والخبر فى التفسير ١ : ٤٥٥ (المعارف) وانظر حواشيه .

(٢) ط : «فهم» .

ذكر السبب الذى به هلك عدو الله وسولت له نفسه من أجله الاستكبار على ربه عزّ وجلّ

اختلف السلف من الصحابة والتابعين فى ذلك ، وقد ذكرنا أحد الأقوال التى رُويت فى ذلك عن ابن عباس ، وذلك ما ذكر الضحاك عنه ، أنه لما قتَل الجن الذين عصَوُا الله ، وأفسدوا فى الأرض وشرّدهم ، أعجبته نفسه ورأى فى نفسه أن له بذلك من الفضيلة ما ليس لغيره .

* * *

والقول الثانى من الأقوال المرويّة فى ذلك عن ابن عباس ، أنه كان ملَك سماء الدنيا وسائسها ، وسائس ما بينها وبين الأرض ، وخازن الجنة ، مع اجتهاده فى العبادة ، فأعجب بنفسه ، ورأى أن له بذلك الفضل ، فاستكبر على ربه عزّ وجلّ .

* ذكر الرواية عنه بذلك :

حدثنا موسى بن هارون الهمدانىّ ، قال : حدثنا عمرو بن حماد ، قال : حدثنا أسباط ، عن السدىّ ، فى خبر ذكره عن أبى مالك وعن أبى صالح ، عن ابن عباس — وعن مرة الهمدانىّ عن ابن مسعود — وعن ناس من أصحاب النبىّ صلى الله عليه وسلم ، قال : لما فرغ الله عزّ وجلّ من خلْق ما أحبّ استوى على العرش ، فجعل إبليسَ على مُلْك سماء الدنيا وكان من قبيلة[1] من الملائكة يقال لهم الجن ، وإنما سُمّوا الجن لأنهم خزّان الجنة ، وكان إبليس مع مُلكه خازناً ، فوقع فى صدره كبْر ، وقال : ما أعطانى الله هذا إلا لمزيّة ؛ هكذا حدثنى موسى بن هارون . ١/٨٣

(١) كذا فى ط وتاريخ ابن كثير ١ : ٥٥ ، وفى ا : « وكان قبيله » .

وحدثني به أحمد بن أبي خَيْثَمة ، عن عمرو بن حماد ، قال [١] : لمزيّة لى على الملائكة . فلما وقع ذلك الكِبْر فى نفسه اطّلع الله عزّ وجلّ على ذلك منه ، فقال الله للملائكة : ﴿ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾ [٢] .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة بن الفضل ، عن ابن إسحاق ، عن خلّاد بن عطاء ، عن طاوس ، عن ابن عباس ، قال : كان إبليس قبل أن يركب المعصية من الملائكة اسمه عَزَازيل ، وكان من سكان الأرض ، وكان من أشد الملائكة اجتهاداً ، وأكثرهم علماً ، فذلك الذى دعاه إلى الكِبْر ، وكان من حى يسمّون جنًّا .

وحدثنا به ابن حُميد مرة أخرى ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن خلاد بن عطاء ، عن طاوس — أو مجاهد أبى الحجاج — عن ابن عباس وغيره بنحوه ، إلا أنه قال : كانَ مَلَكاً من الملائكة اسمه عَزَازيل ، وكان من سكان الأرض وعُمّارها ، وكان سكان الأرض فيهم يسمَّوْن الجنّ من بين الملائكة .

حدثنا ابن المثنّى ، قال : حدثنا شيبان ، قال : حدثنا سلّام ابن مسكين ، عن قتادة ، عن سعيد بن المسيّب ، قال : كان إبليس رئيس ملائكة سماء الدنيا .

* * *

والقول الثالث من الأقوال المروية عنه أنه كان يقول : السبب فى ذلك أنه كان من بقايا خلق خلقهم الله عزّ وجلّ ، فأمرهم بأمر فأبوْا طاعته [٣] . ١/٨٤

• ذكر الرواية عنه بذلك :

---

(١) ا : « فقال » .

(٢) سورة البقرة ٣٠

(٣) ن : « فأبطئوا عنه » .

حدثنى محمّد بن سنان القزّاز ، قال: حدثنا أبو عاصم ، عن شَبيب ، عن عكرمة، عن ابن عباس، قال : إن الله خلق خلقاً فقال: اسجدوا لآدم ، فقالوا : لا نفعل ، قال : فبعث الله عليهم ناراً تُحرقهم ، ثم خلق خلقاً آخر فقال : إنى خالق بشراً من طين فاسجدوا لآدم، فأبوا ، فبعث الله عليهم ناراً فأحرقتهم ، قال : ثم خلق هؤلاء فقال : ألاّ تسجدوا لآدم[1] ! قالوا : نعم، قال : وكان إبليس من أولئك الذين أبوْا أن يسجدوا لآدم .

* * *

وقال آخرون : بل السبب فى ذلك أنه كان من بقايا الجنّ الذين كانوا فى الأرض، فسفكوا فيها الدماء، وأفسدوا فيها، وعصوْا ربهم؛ فقاتلتهم الملائكة .

• ذكر من قال ذلك :

حدثنا ابن حُميد ، قال : حدثنا يحيى بن واضح ، قال : حدثنا أبو سعيد اليحمَدىّ إسماعيل بن إبراهيم ، قال : حدثنى سَوّار بن الجعْد اليحمَدىّ ، عن شهر بن حَوْشب ، قوله: ﴿ كَانَ مِنَ الْجِنِّ[2] ﴾، قال: كان إبليس من الجنّ الذين طردتهم الملائكة، فأسرَه بعضُ الملائكة فذهب به إلى السماء .

حدثنى على بن الحسن، قال: حدثنى أبو نصر أحمد بن محمد الخلاّل، قال : حدثنى سُنَيد بن داود ، قال : حدثنا هُشَيْم ، قال : أخبرَنا عبد الرحمن بن يحيى ، عن موسى بن نُمَيْر وعثمان بن سعيد بن كامل، عن سعد ابن مسعود، قال : كانت الملائكة تقاتل الجن فسُبِى إبليس، وكان صغيراً ، وكان مع الملائكة يتعبد معهم ، فلما أُمروا أن يسجدوا لآدم سجدوا وأبى إبليس ، فلذلك قال الله عزّ وجلّ : ﴿ إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ ﴾ [2]. ٨٥/١

* * *

(١) ا : « اسجدوا لآدم » .
(٢) سورة الكهف ٥٠

قال أبو جعفر : وأَوْلى الأقوال فى ذلك عندى بالصواب أن يقال كما قال الله عزّ وجلّ : ﴿ وإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إلا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ ﴾(١) ؛ وجائز أن يكون فسوقُه عن أمر ربّه كان من أجل أنه كان من الجنّ ، وجائز (٢) أن يكون من أجْل إعجابه بنفسه لشدة اجتهاده كان فى عبادة ربه ، وكثرة علمه ، وما كان أوتى من مُلك السماء الدنيا والأرض وخَزْن الجنان٢) . وجائزأن يكون كان لغير ذلك من الأمُور ، ولا يُدرَك(٣) علم ذلك إلاّ بخبرٍ تقوم به الحجة ، ولا خبرَ فى ذلك عندنا كذلك ، والاختلاف فى أمره على ما حكينا ورويناه .

وقد قيل : إن سببَ هلاكه كان من أجل أنّ الأرضَ كان فيها قبل آدم الجنّ ؛ فبعث الله إبليسَ قاضياً يقضِى بينهم ، فلم يزل يقضى بينهم بالحق ألف سنة حتّى سمى حَكَماً ، وسمّاه الله به ، وأوحى إليه اسمه ، فعند ذلك دخله الكبر ، فتعظّم وتكبّر ، وألقى بين الذين كان الله بعثه إليهم حَكَماً البأسَ والعداوة والبغضاء ، فاقتتلوا عند ذلك فى الأرض ألْفَىْ سنة فيما زعموا ؛ حتى إن خيولهم تخوض فى دمائهم ، قالوا : وذلك قول الله تبارك وتعالى : ﴿ أَفَعَيِينَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴾(٤) ؛ وقول الملائكة : ﴿ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ ﴾(٥) ! فبعث الله تعالى عند ذلك ناراً فأحرقتهم. قالوا : فلما رأى إبليس ما نزل بقومه من العذاب عرَج إلى السماء ، فأقام عند الملائكة يعبد الله فى السماء مجتهداً لم يعبده شىء من خلقه مثل عبادته ، فلم يزل مجتهداً فى العبادة حتّى خلق الله آدم ، فكان من أمره ومعصيته ربّه ما كان .

١/٨٦

(١) سورة الكهف ٥٠
(٢ – ٢) ساقط من ا .
(٣) ر : « لا يدرى » .
(٤) سورة ق ١٥
(٥) سورة البقرة ٣٠

القول فى خلق آدم عليه السلام

وكان مما حدث فى أيام سلطانه وملكه خلق اللهُ تعالى ذكره أبانا آدم أبا البشر؛ وذلك لما أراد جلّ جلاله أن يطلع ملائكته على ما قد علم من انطواء إبليس على الكِبْر ولم يعلمه الملائكة، وأراد إظهار أمره لهم حين دنا أمره للبوار، وملكه وسلطانه للزوال، فقال عزّ ذكره لما أراد ذلك للملائكة: ﴿ إِنِّى جَاعِلٌ فى الأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾، فأجابوه بأن قالوا [له] [١]: ﴿ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفسِدُ فيها ويَسْفِكُ الدِّمَاءَ ﴾[٢]! فروى عن ابن عباس أن الملائكة قالت ذلك كذلك للذين[٣] قد كانوا عهدوا من أمر الجنّ الذين كانوا سكان الأرض قبل ذلك، فقالوا لربهم جلّ ثناؤه لما قال لهم: ﴿ إِنى جَاعِلٌ فِى الأَرْضِ خَلِيفة ﴾[٢] أتجعلُ فيها من يكون فيها مثل الجن الذين كانوا فيها، فكانوا يسفكون فيها الدماء ويُفسدون فيها ويعصونك، ونحن نُسَبِّحُ بحَمْدك ونُقَدّس لك، فقال الربّ تعالى ذكره لهم: ﴿ إِنِّى أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾[٢]، يقول: أعلم ما لا تعلمون من انطواء إبليس على التكبر، وعزْمِه على خلافه أمرى، وتسويل نفسه له الباطل[٤] واغتراره، وأنا مبدٍ ذلك لكم منه لترَوْا ذلك منه عياناً.

٨٧/١

وقيل أقوال كثيرة فى ذلك، قد حكينا منها جُمَلا فى كتابنا المسمى: «جامع البيان عن تأويل آى القرآن[٥]»، فكرهنا إطالة الكتاب بذكر ذلك فى هذا الموضع.

فلما أراد الله عز وجلّ أن يخلق آدم عليه السلام أمر بتربته أن تؤخذ من الأرض، كما حدثنا أبو كُريب، قال: حدثنا عثمان بن سعيد، قال: حدثنا

(١) تكلة من ا
(٢) سورة البقرة ٣٠
(٣) كذا فى ا، وفى ط: «الذى».
(٤) ك: «بالباطل».
(٥) كذا فى ط، وفى ا، ر، ك: «الفرقان».

بشر بن عمارة ، عن أبي رَوْق ، عن الضحّاك ، عن ابن عباس ؛ قال : ثم أمر — يعني الربّ تبارك وتعالى — بتربة آدم فرفعت ، فخلق الله آدم من طين لازب — واللازب اللّزِج الطيّب — من حَمَإٍ مَسْنونٍ ؛ مُنْتن ، قال : وإنما كان حَمَأً مسنوناً بعد التراب ، قال : فخلق منه آدم بيده .

حدثني موسى بن هارون ، قال : حدثنا عمرو بن حماد ، قال : حدثنا أسباط ، عن السُّدّيّ — في خبر ذكره — عن أبي مالك وعن أبي صالح ، عن ابن عباس — وعن مرة الهَمْدانيّ ، عن ابن مسعود — وعن ناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ، قال : قالت الملائكة : ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاء وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ يعني من شأن إبليس ، فبعث الله جَبرئيل عليه السلام إلى الأرض ليأتيَه بطين منها ، فقالت الأرض : إني أعوذ بالله منك أن تنقص مني شيئاً وتشينني ، فرجع ولم يأخذ ، وقال : يا ربّ إنها عاذت بك فأعذتُها ، فبعث ميكائيل فعاذت منه فأعاذها . فرجع ، فقال كما قال جَبرئيل ، فبعث ملك الموت فعاذت منه ، فقال : وأنا أعوذ بالله أن أرجع ، ولم أنفذ أمره ، فأخذ من وجه الأرض ، وخلَط فلم يأخذ من مكان واحد ، وأخذ من تربة حمراء وبيضاء وسوداء ، فلذلك خرج بنو آدم مختلفين ، فصعد به فبَلّ التراب حتى عاد طيناً لازباً — واللازب هو الذي يلتزق بعضه ببعض — ثم تُرك حتى تغير وأنتن ، وذلك حين يقول : ﴿ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ ﴾[١] ، قال : مُنْتِن .

١/٨٨

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا يعقوب القُمّيّ ، عن جعفر بن أبي المغيرة ، عن سعيد بن جُبَير ، عن ابن عباس ، قال : بعث ربّ العزة عزّ وجلّ إبليس ، فأخذ من أديم الأرض ، من عذبها ومِلْحها[٢] ، فخلق منه آدم ،

(١) سورة الحجر ٢٦

(٢) ا : « ومالحها » .

ومن ثَمّ سُمّىَ آدم ، لأنه خلق من أديم الأرض، ومن ثَمّ قال إبليس : ﴿أأسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِيناً﴾[1] ، أى هذه الطينة أنا جئتُ بها .

حدثنا ابن المثنَّى ، قال : حدثنا أبو داود ، قال : حدثنا شُعْبة ، عن أبى حَصِين ، عن سعيد بن جُبَيْر ، قال : إنما سُمِّىَ آدم لأنه خُلق من أديم الأرض .

حدثنى أحمد بن إسحاق الأهوازىّ ، قال : حدثنا أبو أحمد ، قال : حدثنا مِسْعَر ، عن أبى حَصِين ، عن سعيد بن جُبَيْر ، قال: خُلِق آدم من أديم الأرض فُسمِّى آدمَ .

حدثنى أحمد بن إسحاق ، قال : حدثنا أبو أحمد ، قال : حدثنا عمرو بن ثابت ، عن أبيه ، عن جدّه ، عن علىّ رضى الله عنه ، قال : إن آدم خُلِق من أديم الأرض، فيه الطيِّب والصالح والردىء، فكلّ ذلك أنت راءٍ فى ولده الصالحَ والردىء .

حدثنى يعقوب بن إبراهيم، قال: حدثنا ابن عُلَيّة ، عن عَوْف — وحدثنا محمد بن بَشّار وعمر بن شَبّة ، قالا : حدثنا يحيى بن سعيد ، قال : حدثنا عوف . وحدثنا ابن بَشّار ، قال : حدثنا ابن أبى عدىّ ومحمد بن جعفر وعبد الوهاب الثقفىّ ، قالوا: حدثنا عوف . وحدثنى محمد بن عُمارة الأسدىّ، قال : حدثنا إسماعيل بن أبان، قال : حدثنا عَنْبسة، عن عوف الأعرابىّ — عن قَسامة بن زُهَير ، عن أبى موسى الأشعرىّ،قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «إن الله خلقَ آدم من قبضة قبضها من جميع الأرض ، فجاء بنو آدم على قدر الأرض ؛ جاء منهم الأحمر ، والأسود ، والأبيض ، وبين ذلك . والسهل ، والحَزْن، والخبيث ، والطيب ، ثم بُلَّتْ طينته حتى صارت طينا لازباً، ثم تُرِكت حتى صارت حمأ مسنوناً، ثم تركتْ حتى صارت صلصالا

٨٩/١

(١) سورة الإسراء ٦١ ، والخبر فى التفسير ١٥ : ٨٠ (بولاق) .

كما قال الله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ ﴾[1] .

وحدثنا ابن بَشّار ، قال : حدثنا يحيى بن سعيد وعبد الرحمن بن مهديّ ، قالا : حدثنا سفيان ، عن الأعمش ، عن مسلم البَطِين ، عن سعيد بن جُبَير ، عن ابن عباس ، قال : خُلِق آدم من ثلاثة : من صلصال ، ومن حمإ ، ومن طين لازب . فأما اللازب فالجيّد ، وأما الحمأ فالحمئة ، وأما الصلصال فالتّراب المدقّق ، ويعني تعالى ذكره بقوله : ﴿ مِنْ صَلْصَالٍ ﴾ ؛ من طين يابس له صلصلة ، والصلصلة : الصوت .

* * *

وذكر أن الله تعالى ذكره لما خَمَّرَ طينة آدم تركها أربعين ليلة ، وقيل أربعين عاماً جسداً ملقى .

* ذكر من قال ذلك :

حدثنا أبو كريب ، قال : حدثنا عثمان بن سعيد ، قال : حدثنا بشر بن عُمارة ، عن أبي رَوْق ، عن الضحاك ، عن ابن عباس ، قال : أمر الله تبارك وتعالى بتربة آدم فرفعت ، فخلق آدمَ من طين لازب من حمإ مسنون . قال : وإنما كان حمأ مسنوناً بعد التّراب ؛ قال : فخلقْ منه آدم بيده ، قال : فمكث أربعين ليلة جسداً ملقّى ، فكان إبليس يأتيه فيضربه برجله ، فيصلصل فيصوّت ، قال : فهو قول الله تبارك وتعالى : ﴿ مِنْ صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ ﴾[2] ؛ يقول : كالشيء المنفرج الذى ليس بمصمت ، قال : ثمّ يدخل فى فيه ويخرج من دُبُره ، ويدخل فى دُبُره ويخرج من فيه ، ثم يقول : لست شيئاً للصلصلة ، ولشيء مّا خُلقتَ ، ولئن سُلِّطتُ عليك لأهلكنّك ، ولئن سُلّطتَ عليّ لأعصينك[3] .

١/٩٠

(١) سورة الحجر ٢٦

(٢) سورة الرحمن ١٤

(٣) الخبر فى التفسير ٢٧ : ٧٣ (بولاق) .

حدثني موسى بن هارون ، قال : حدثنا عمرو بن حمّاد ، قال : حدثنا أسباط ، عن السدّيّ — في خبر ذكره — عن أبي مالك وعن أبي صالح ، عن ابن عباس — وعن مُرّة الهمْدانيّ عن ابن مسعود — وعن ناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال الله للملائكة : ﴿ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ طِينٍ . فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ﴾[1] ؛ فخلقه الله عزّ وجلّ بيديه لكيلا يتكبر إبليس عنه[2] ليقول حين يتكبر : [3]تتكبّر عمّا عملتُ بيدي ولم أتكبّر أنا عنه ! فخلقه بشراً ، فكان جسداً من طين أربعين سنة من مقدار يوم الجمعة ، فمرت به الملائكة ففزعوا منه لما رأوه ، وكان أشدّهم فزعا إبليس ، فكان يمرّ به فيضربه فيصوّت الجسد كما يصوّت الفخّار تكون له صلصلة ، فذلك حين يقول : ﴿ مِنْ صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ ﴾ ، ويقول : لأمر ما خُلقت . ودخل من فيه وخرج من دُبُره ، فقال للملائكة : لا ترهبوا من هذا ؛ فإن ربكم صَمَدٌ[4] وهذا أجوف ، لئن سلطت عليه لأُهلكنّه[5] .

١/٩١

وحدثنا عن الحسن بن بلال ، قال : حدثنا حمّاد بن سلمة ، عن سليمان التيميّ ، عن أبي عثمان النَّهْديّ ، عن سلْمان الفارسيّ ، قال : خمّر الله تعالى طينة آدم عليه السلام أربعين يوماً ، ثم جمعه بيديه ، فخرج طيّبه بيمينه ، وخبيثه بشماله ، ثم مسح يديه إحداهما على الأخرى ، فخلط بعضه ببعض ، فمن ثمّ يخرج الطيّب من الخبيث ، والخبيث من الطيّب .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : يقال — والله أعلم : خلق الله آدم ، ثم وضعه ينظر إليه أربعين يوماً[6] قبل أن ينفخ فيه الروح ، حتى عاد صلصالا كالفخّار ، ولم تمسّه نار[7] ، قال : فلما

(١) سورة ص ٧١ ، ٧٢
(٢) ر ، ن : «عليه» .
(٣) ط : «تكبر» .
(٤) الصمد ، بفتحتين : المصمت الذي لا جوف له .
(٥) ر : «لأهلكته» .
(٦) ا : «عاما» .
(٧) ن : «النار» .

مضى له من المدّة ما مضى وهو طين صلصال كالفخّار ؛ وأراد عزّ وجلّ أن ينفخ فيه الروح ؛ تقدّم إلى الملائكة فقال لهم : إذا نفختُ فيه من روحى فقَعُوا له ساجدين .

* * *

فلما نفخ فيه الروح أتته الروح من قِبَل رأسه ، فيما ذكر عن السَّلَف قبْلنا أنهم قالوه .

* ذكر من قال ذلك :

حدثنى موسى بن هارون ، قال : حدثنا عمرو بن حماد ، قال : حدثنا أسباط ، عن السدّى — فى خبر ذكره — عن أبى مالك وعن أبى صالح ، عن ابن عباس — وعن مرّة الهمْدانىّ ، عن ابن مسعود — وعن ناس من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم : فلما بلغ الحين الذى أراد[1] الله عزّ وجلّ أن ينفخ فيه الروح قال للملائكة : إذا نفختُ فيه من روحى فاسجدوا له ، فلما نفخ فيه الروح فدخل الروح ، فى رأسه عطَس ، فقالت الملائكة : قل الحمد لله ، فقال : الحمد لله ، فقال الله عزّ وجلّ له : رحمك ربّك . فلما دخل الروح فى عينيه نظر إلى ثمار الجنة ، فلما دخل فى جوفه اشتهى الطعام ، فوثب قبل أن تبلغ الروح رجليه عَجْلان إلى ثمار الجنة ، فذلك حين يقول : ﴿ خُلِقَ الإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ ﴾[2] ، ﴿فَسَجَدَ ٱلْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ * إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى أَنْ يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ﴾[3] ، ﴿ أَبَى وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾[4] ، فقال الله له : ﴿ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ ﴾[5] لِمَا خلقتُ بيدىّ ، قال : أنا خير منه ، لم أكن لأسجدَ لبشر خلقته من طين ، قال الله له : ﴿ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ ﴾ — يعنى ما ينبغى لك — ﴿ أَنْ تَتَكَبَّرَ

١/٩٢

(١) ا : « يريد » .
(٢) سورة الأنبياء ٣٧
(٣) سورة الحجر ٣١
(٤) سورة البقرة ٣٤
(٥) سورة الأعراف ١٢

﴿فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ﴾[١] ، والصَّغار الذلّ .

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : حدثنا عثمان بن سعيد ، قال : حدثنا بشر بن عُمارة ، عن أبي رَوْق ، عن الضَّحاك ، عن ابن عباس ، قال : فلما نفخ الله عزّ وجلّ فيه — يعني في آدم — مِنْ روحه أتت النفخة من قِبَل رأسه ، فجعل لا يجرى شيء منها في جسده إلا صار لحماً ودماً ، فلما انتهت النفخة إلى سرته نظر إلى جسده فأعجبه ما رأى من حسنه ، فذهب لينهض فلم يقدر ، فهو قول الله عزّ وجلّ ﴿خُلِقَ الإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ﴾[٢] ، قال : ضجراً لا صبر له على سراء ولا ضراء ، قال : فلما تمت النفخة في جسده عطَس فقال : الحمد لله ربّ العالمين ، بإلهام الله ، فقال : يرحمك الله يا آدم ، ثم قال للملائكة الذين كانوا مع إبليس خاصة دون الملائكة الذين في السموات : اسجدوا لآدم ؛ فسجدوا كلّهُم أجمعون إلا إبليس أبى واستكبر ، لما كان حدّث به نفسه من كبره واغتراره ، فقال : لا أسجد ، وأنا خير منه وأكبر سنًّا ، وأقوى خَلْقاً ، ﴿خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾[٣] ، يقول : إن النار أقوى من الطين ، قال : فلما أبى إبليس أن يسجد أبلسه الله تعالى ، أيئسه[٤] من الخير كله ؛ وجعله شيطاناً رجيماً عقوبة لمعصيته . ١/٩٣

حدثنا ابن حميد ، قال ، حدثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، قال : فيقال — والله أعلم — : إنه لما انتهى الروحُ إلى رأسه عطس فقال : الحمد لله ، قال : فقال له ربه : يرحمك ربّك ، ووقعت الملائكة حين استوى سجوداً له ، حفظاً لعهد الله الذي عهد إليهم ، وطاعة لأمره الذي أمرهم به ، وقام عدوّ الله إبليس من بينهم ، فلم يسجد متكبراً[٥] متعظماً بغياً وحسداً ، فقال : ﴿يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ إلى قوله : ﴿لَأَمْلَأَنَّ

---

(١) سورة الأعراف ١٣

(٢) سورة الأنبياء ٣٧

(٣) سورة ص ٧٦

(٤) ن : «وآيسه» ، ا : «آيسه» .

(٥) ا : «مكابرا» .

جَهَنَّمَ مِنْكَ وَمِمَّنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾(١)، قال: فلما فرغ الله تعالى من إبليس ومعاتبته وأبى إلا المعصية أوقع الله تعالى عليه اللعنة، وأخرجه من الجنة.

حدثني محمد بن خلف، قال: حدثنا آدم بن أبي إياس، قال: حدثنا أبو خالد سليمان بن حيّان، قال: حدثني محمد بن عمرو، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة، عن النبي، عليه السلام. قال أبو خالد: [وحدثني الأعمش عن أبي صالح، عن أبي هريرة، عن النبي صلى الله عليه]. قال أبو خالد: وحدثني داود بن أبي هند عن الشعبيّ، عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم. قال أبو خالد: وحدثني ابن أبي ذباب الدوْسيّ، قال: حدثني سعيد المقبُرِيّ، ويزيد بن هرمز عن أبي هريرة، عن النبي صلى الله عليه أنه قال: «خلق الله عزّ وجلّ آدم بيده، ونفخ فيه من روحه، وأمر الملأ من الملائكة فسجدوا له، فجلس فعطّس فقال: الحمد لله، فقال له ربّه: يرحمك ربّك، إيت أولئك الملأ من الملائكة فقل لهم: السلام عليكم. فأتاهم فقال: السلام عليكم، فقالوا له: وعليك السلام ورحمة الله، ثم رجع إلى ربه عزّ وجلّ فقال له: هذه تحيتك وتحية ذرّيتك بينهم. فلما أظهر إبليس من نفسه ما كان له مخفيّا فيهـا من الكبر والمعصية لربه، وكانت الملائكة قد قالت لربها عزّ وجلّ حين قال لهم: إني جاعل في الأرض خليفة: أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك. فقال لهم ربهم: إني أعلم ما لا تعلمون، تبيّن لهم ما كان عنهم مستّراً، وعلموا أن فيهم مَنْ منه المعصية لله عزّ وجلّ والخلاف لأمره.

١/٩٤

* *

ثم علّم الله عزّ وجلّ آدم الأسماء كلّها. واختلف السلف من أهل العلم قبلنا في الأسماء التي علّمها آدم: أخاصًّا من الأسماء علّم، أم عامًّا؟ فقال بعضهم: علّم اسم كل شيء.

---

(١) سورة ص ٧٥ – ٨٥

• ذكر من قال ذلك :

حدثنا أبو كريب ، قال : حدثنا عثمان بن سعيد ، قال : حدثنا بشر ابن عُمارة ، عن أبى رَوْق ، عن الضحاك ، عن ابن عباس ، قال : علم الله تعالى آدم الأسماء كلّها ، وهى هذه الأسماء التى يتعارف بها الناس : إنسان ، ودابة ، وأرض ، وسهل ، وبحر ، وجبل ، وحمار ؛ وأشباه ذلك من الأمم وغيرها . ٩٥/١

حدثنى أحمد بن إسحاق الأهوازىّ ، قال : حدثنا أبو أحمد ، حدثنا شريك ، عن عاصم بن كليب ، عن الحسن بن سعد ، عن ابن عباس ، فى قوله : ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾ ،[1] قال : علمه اسم كلّ شىء ، حتى الفَسْوَة والفُسَيَّة .

حدثنى على بن الحسن ،حدثنا مسلم الجرمىّ[2] ، قال : حدثنا محمد بن مصعب ، عن قيس بن الربيع ، عن عاصم بن كليب ، عن سعيد بن معبد ، عن ابن عباس فى قول الله عز وجل : ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾ قال : علّمه اسم كلّ شىء حتى الهنةَ والهُنَيَّة ، والفَسْوَة والضرطة .

حدثنا محمد بن عمرو ، قال : حدثنا أبو عاصم ، قال : حدثنا عيسى ابن ميمون ، عن ابن أبى نَجيح ، عن مجاهد ؛ فى قول الله عزّ وجلّ : ﴿ وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾ قال : ما خلق الله تعالى كله .

حدثنا ابن وكيع ، قال : حدثنا أبى ، عن سفيان ، عن خَصيف ، عن مجاهد : ﴿ وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾ قال : علّمه اسم كل شىء .

---

(١) سورة البقرة ٣١

(٢) ط : « وحدثنا مسلم » ؛ والصواب ما أثبته عن ا ، والتفسير ١ : ٤٨٤

حدثنا سفيان ، قال : حدثنا أبى ، عن شريك ، عن سالم الأفطس ، عن سعيد بن جُبَيْر ، قال : علّمه اسمَ كلّ شىء ؛ حتى البعير ، والبقرة ، والشاة .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا مَعْمَر ، عن قَتادة فى قوله عزّ وجلّ : ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾ ، قال : علّمه اسمَ كل شىء : هذا جبل ، وهذا بحر ، وهذا كذا ، وهذا كذا ، لكل شىء ، ثم عرضهم [1] على الملائكة ، فقال : ﴿أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [2] .

٩٦/١

حدثنا بشر بن مُعاذ ، حدثنا يزيد بن زُرَيْع ، عن سعيد ، عن قَتادة ، قوله عزّ وجلّ : ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾ حتى بلغ ﴿إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ [3] ، قال : يا آدم أنبئهم بأسمائهم ، فأنبأ كلّ صِنْف من الخلق باسمه ، وألجأه إلى جنسه .

حدثنا القاسم بن الحسن ، قال : حدثنا الحسين [بن داود] [4] ؛ قال : حدثنا حجاج ، عن جرير بن حازم ومبارك ، عن الحسن وأبى بكر ، عن الحسن وقتادة ، قالا : علّمه اسم كل شىء ؛ هذه الخيل ، وهذه البغال ، والإبل ، والجن ، والوحش ، وجعل يسمّى كلّ شىء برسمه .

* * *

وقال آخرون : بل إنما عُلّم اسما خاصًّا من الأسماء [5] ، قالوا : والذى عُلّمه أسماء الملائكة .

* ذكر من قال ذلك :

---

(١) كذا فى ط ، وفى ا ، ر ، س : « ثم عرض تلك الأسماء » .
(٢) سورة البقرة ٣١ .
(٣) سورة البقرة ٣٢
(٤) تكملة من ا
(٥) ن : « الأشياء » .

حدثنى عبدة المرْوَزىّ ، قال : حدثنا عمار بن الحسن ، قال : حدثنا عبد الله بن أبى جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع[1]، قوله تعالى :﴿ وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ﴾ ، قال : أسماء الملائكة .

* * *

وقال آخرون مثلَ قولِ هؤلاء فى أن الذى علّم آدم [من][2] الأسماء [اسما][1]خاصًّا من الأشياء ؛ غير أنهم قالوا: الذى عُلّم من ذلك أسماء ذريته .

٩٧/١

* ذكر من قال ذلك :

حدثنى يونس ، قال : حدثنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد فى قوله عزّ وجلّ : ﴿ وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾ ،قال : أسماء ذريته ، فلما علّم الله آدم الأسماء كلّها عرض الله عزّ وجلّ أهلَ الأسماء على الملائكة ، فقال لهم : ﴿ أَنْبِئُونِى بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ [3] ،وإنما قال ذلك عزّ وجلّ للملائكة — فيما ذكر — لقولهم إذ قال لهم : ﴿ إِنِّى جَاعِلٌ فِى الْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾ : ﴿ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ﴾ [4] فعرض — بعد أن خلق آدم عليه السلام ونفخ فيه الروح ،وعلمه أسماء كلّ شىء — مما[5]خلق من الخلق — عليهم ، فقال لهم: أنبئونى بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين أنّى إن جعلت منكم خليفتى فى الأرض أطعتمونى وسبّحتمونى وقدستمونى ولم تعصونى ، وإن جعلته من غيركم أفسد فيها وسفك ، فإنكم إن لم تعلموا ما أسماؤهم وأنتم مشاهدوهم ومعاينوهم ، فأنتم بألاّ تعلموا ما يكون من أمركم — إن جعلتُ خليفتى فى الأرض منكم ، أو من غيركم إن جعلته من غيركم ، فهم عنْ أبصاركم غُيَّبٌ لا ترونهم ولا تعاينونهم ، ولم تخبروا بما هو كائن منكم ومنهم — أحْرَى .

* * *

(١) هو أبو جعفر الرازى ، والربيع هو ابن أنس ، وانظر تهذيب التهذيب ٣ : ٢٣٨ ، و١٢ : ٥٦ .

(٢) تكلة من ا . (٤) سورة البقرة ٣٠ .

(٣) سورة البقرة ٣١ . (٥) ط « ماخلق » وما أثبته من ا ، ر .

وهذا قول رُوِى عن جماعة من السلف .

١/٩٨ • ذكر بعض من رُوِى ذلك عنه :

حدثنى موسى بن هارون ، قال : حدثنى عمرو بن حماد ، قال : حدثنا أسْباط ، عن السُّدِّى — فى خبر ذكره — عن أبى مالك وعن أبى صالح ، عن ابن عباس — وعن مرة الهمْدانىّ ، عن عبد الله بن مسعود — وعن ناس من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم : ﴿ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ أن بنى آدم يُفْسدون فى الأرض ويسفكون الدماء .

حدثنا أبو كريب ، قال : حدثنا عثمان بن سعيد ، قال : حدثنا بشر بن عُمارة ، عن أبى رَوْق ، عن الضحاك ، عن ابن عباس : ﴿ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ ، إن كنتم تعلمون لِمَ أجْعَلُ فى الأرض خليفة .

* * *

وقد قيل : إن الله جلّ جلاله قال ذلك للملائكة لأنه جلّ جلاله لما ابتدأ فى خلق آدم قالوا فيما بينهم : لِيخلقْ ربُّنا ما شاء أن يخلُق ، فلنْ يخلُقَ خلقاً إلا كنّا أعلم منه ، وأكرمَ عليه منه ، فلما خلق آدمَ عليه السلام وعلَّمَه أسماءَ كلِّ شىء عرَض الأشياء التى علّم آدم أسماءها عليهم ، فقال لهم : أنبئونى بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين فى قيلِكم : إنّ الله لم يخلق خلقاً إلا كنتم أعلمَ منه ، وأكرم عليه منه .

• ذكر من قال ذلك :

حدثنا بشر بن مُعاذ ، قال : حدثنا يزيد بن زُرَيْع ، قال : حدثنا سعيد ، عن قَتادة : قوله : ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى الْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾ ، فاستشار الملائكة فى خلْق آدم عليه السلام فقالوا : ﴿ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ ﴾ ، وقد علمت الملائكة من علْم الله أنه لا شىء أكرهُ إلى الله عزّ وجلّ من سفك الدماء والفساد فى الأرض ،

﴿ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لا تَعْلَمُونَ ﴾ ، ٩٩/١
فكان[١] فى علم الله عزّ وجلّ أنه سيكون من تلك الخليقة[٢] أنبياء ورسلٌ وقومٌ صالحون وساكنو الجنة .

قال : وذُكر لنا أن ابن عباس كان يقول : إن الله تعالى لما أخذ فى خلق آدم قالت الملائكة : ما الله تعالى بخالق خلقاً أكرم عليه منا ، ولا أعلم منا ، فابتُلوا بخلْق آدم عليه السلام — وكلّ خلْق مبتلًى ، كما ابتُليت السموات والأرض بالطاعة - فقال الله تعالى : ﴿ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ ﴾[٣] .

حدثنا القاسم، قال : حدثنا الحسين بن داود ، قال : حدثني حجاج ، عن جرير بن حازم ، ومبارك عن الحسن وأبى بكر عن الحسن وقتادة قالا : قال الله عزّ وجلّ للملائكة : ﴿ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾ قال لهم: إنى فاعل، فعرَضوا برأيهم، فعلّمهم علماً وطوى منهم علماً علِمه لا يعلمونه، فقالوا بالعلم الذى علّمهم : ﴿ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ ﴾ — وقد كانت الملائكة علمت من علم الله تعالى أنه لا ذنب عند الله تعالى أعظم من سفك الدماء — ﴿ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ ، فلما أخذ تعالى فى خلق آدم عليه السلام همست الملائكة فيما بينهم، فقالوا : ليخلقْ ربُّنا عزّ وجلّ ماشاء أن يخلق، فلن يخلُقَ خلقاً إلا كنا أعلمَ منه، وأكرمَ عليه منه، فلما خلقه ونفخ فيه من روحه أمرهم أن يسجدوا له لما قالوا ، ففضّله عليهم ، فعلموا أنهم ليسوا بخير منه ، فقالوا : إن لم نكن خيراً منه، فنحن أعلمُ منه ، لأنا كنّا قبله، وخلِقت الأمم قبله ، ١٠٠/١

---

(١) ط : « وكان » وما أثبته من ا .

(٢) كذا فى ا : وفى ط « من ذلك الخليقة » .

(٣) سورة فصلت ١١

فلما أعجبوا بعلمهم ابتلوا ، فعلّم آدم الأسماء كلّها ثم عرضهم على الملائكة فقال : أنبئونى بأسماء هؤلاء؛ إن كنتم صادقين أنّى لم[١] أخلق خلقاً إلا كنتم أعلمَ منه ، فأخبرونى بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين . قالا[٢] : ففزع القوم إلى التوبة، وإليها يفزع كل مؤمن، فقالوا : ﴿ سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ • قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ ﴾[٣] . لقولهم : ليخلقْ ربنا ماشاء، فلن يخلُقَ خلقاً أكرمَ عليه منّا، ولا أعلمَ منا، قال: علّمه اسمَ كل شيء: هذه الخيل ، وهذه البغال، والإبل، والجن ، والوحش ، وجعلَ يسمّى كلَّ شيء باسمه ، وعرضت عليه أمة أمة، قال : ﴿أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ ﴾ ، قال : أمّا ما أبدوْا فقولهم: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ﴾؛ وأمّا ما كتموا فقولهم[٤] بعضهم لبعض : نحن خير منه وأعلم .

حدثنا عمار بن الحسن ، قال : حدثنا عبد الله بن أبى جعفر ، عن أبيه[٥] ، عن الربيع بن أنس: ﴿ ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هٰؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ إلى قوله: ﴿ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾؛ قال : وذلك حين قالوا : ﴿ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ ﴾ إلى قوله ﴿ وَنُقَدِّسُ لَكَ ﴾ . قال : فلما عرفوا أنه جاعل فى الأرض خليفة قالوا بينهم : لن يخلق الله تعالى خلقاً إلا كنا نحن أعلمَ منه وأكرمَ عليه، فأراد الله تعالى أن يخبرهم أنه قد فضّل عليهم آدم، وعلّمه الأسماء كلها؛ وقال

١٠١/١

(١) ا : « لا أخلق » .
(٢) ط : « قال » وما أثبته عن ا .
(٣) سورة البقرة ٣٢ ، ٣٣
(٤) ا ، ن : « فقول بعضهم » . (٥) هو أبو جعفر الرازى (عيسى بن أبى عيسى).

للملائكة : ﴿ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ إلى ﴿ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ ﴾ ، فكان الذى أبدوا حين قالوا : ﴿ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ ﴾ ، وكان الذى كتموا بينهم [قولهم][١] : لن يخلق ربّنا خلقاً إلا كنّا نحن أعلم منه وأكرم ، فعرفوا أن الله عزّ وجلّ فضّل عليهم آدم فى العلم والكرم .

فلما ظهر للملائكة من استكبار إبليس ما ظهرَ ، ومن خلافه أمر ربه ما كان مستتراً عنهم من ذلك ، عاتبه [٢] ربه على ما أظهر من معصيته إياه بتركه السجود لآدم ، فأصرّ على معصيته ، وأقام على غيه[٣] وطغيانه — لعنه الله — فأخرجه من الجنة ، وطرده منها ، وسلبه ما كان أتاه من ملك السماء الدنيا والأرض ، وعزله عن خزْن الجنة فقال له جلّ جلاله : ﴿ فَاخْرُجْ مِنْهَا ﴾ ، يعنى من الجنة ﴿ فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ۞ وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ ﴾[٤] ، وهو بعد فى السماء لم يهبط إلى الأرض .

وأسكن[٥] الله عزّ وجلّ حينئذ آدم جنّته ؛ كما حدثنى موسى بن هارون ، قال : حدثنا عمرو بن حمّاد ، قال : حدثنا أسباط ، عن السدىّ — فى خبر ذكره — عن أبى مالك وعن أبى صالح ، عن ابن عباس — وعن مرّة الهمْدانىّ عن ابن مسعود — وعن ناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم : فأخرج إبليس من الجنة حين لُعن وأسكن آدم الجنة ، فكان يمشى فيها وحشيّاً[٦] ليس له زوج يسكن إليها ، فنام نومة فاستيقظ ؛ فإذا عند رأسه امرأة قاعدة خلقها الله من ضلعه ، فسألها : ما أنت[٧] ؟ قالت : امرأة ، قال : ولمَ خلقتِ ؟ قالت : ١٠٢/١

(١) تكملة من ا
(٢) ط : « وعاتبه » ؛ وما أثبته عن ا
(٣) س : « عيبه » .
(٤) سورة الحجر ٣٤ ، ٣٥
(٥) ط : « فأسكن » ، وما أثبته عن ا
(٦) كذا فى ا ، س ، وفى ط والتفسير : « وحشا » .
(٧) ر والتفسير : « من أنت ؟ » .

لتسكن[1] إلىّ ، قالت له الملائكة ينظرون ما بلغ علمه : ما اسمها يا آدم ؟ قال : حوّاء ، قالوا : لم سميت حواء ؟ قال: لأنها خلقت من شىء حىّ ، فقال الله تعالى: ﴿ يَا آدَمُ اُسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا ﴾ .[2]

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة [3] ، عن ابن إسحاق، قال : لمّا فرغ الله تعالى من معاتبة إبليس أقبل على آدم عليه السلام وقد علّمه الأسماء كلها، فقال: ﴿ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ ﴾ إلى ﴿ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُون ﴾[4] ، قال: ثم ألقى السِّنَة على آدم — فيما بلغنا عن أهل الكتاب من أهل التوراة وغيرهم من أهل العلم — عن عبد الله بن العباس وغيره، ثم أخذ ضِلَعاً من أضلاعه من شقه الأيسر ، ولأم مكانها لحماً، وآدم عليه السلام نائم لم يهبّ من نومته، حتى خلق الله تعالى من ضِلَعه تلك زوجه حواء ، فسوّاها امرأة ليسكن إليها ، فلما كشف عنه السِّنة وهبّ من نومته رآها إلى جنبه ، فقال — فيما يزعمون والله أعلم : لحمى ودمى وزوجتى ، فسكن إليها، فلما زوّجه الله عزّ وجلّ وجعل له سكناً من نفسه، قال له قُبُلاً[5] : ﴿ يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَداً حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هٰذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ .

١٠٣/١ حدثنا محمد بن عمرو ، قال : حدثنا أبو عاصم، قال: حدثنا عيسى [6] ، عن ابن أبى نَجيح ، عن مجاهد [7] فى قوله عزّ وجلّ : ﴿ وَخَلَقَ مِنْهَا

---

(١) ا ، ر : « تسكن » .
(٢) سورة البقرة ٣٥ ، والخبر فى التفسير ١ : ٥١٣ .
(٣) هو سلمة بن الفضل .
(٤) سورة البقرة ٣٣ ؛ وفى الأصول : إلى (إنك أنت العليم الحكيم) ؛ وهو من الآية التى قبلها .
(٥) قبلا ، أى عيانا ، وانظر تفسير ابن كثير ١ : ٧٨ .
(٦) هو عيسى بن ميمون .
(٧) هو مجاهد بن جبر .

زَوْجَهَا ﴾[١] . قال : حواء من قُصَيْرَى[٢] آدم ، وهو نائم فاستيقظ فقال : « أثا » بالنَّبَطية ، امرأة .

حدثنا المثنَّى[٣] ، قال : حدثنا أبو حذيفة[٤] ، قال : حدثنا شِبْل[٥] ، عن ابن أبي نَجِيح ، عن مجاهد مثله .

حدثنا بشر بن معاذ ، قال : حدثنا يزيد بن زُرَيْع ، قال : حدثنا سعيد[٦] ، عن قتادة : ﴿ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا ﴾ ، يعني حوّاء ، خلقت من آدم من ضِلَع من أضلاعه .

---

(١) سورة النساء ١ .
(٢) القصيرى : أسفل الأضلاع .
(٣) المثنى بن إبراهيم الآملي .
(٤) أبو حذيفة (موسى بن مسعود الهندي) .
(٥) شبل بن عباد المكي .
(٦) سعيد بن أبي عروبة .

القول فى ذكر امتحان الله تعالى أبانا آدم عليه السلام

وابتلائه إياه بما امتحنه به من طاعته، وذكر ركوب آدم معصية ربه بعد الذى كان أعطاه من كرامته وشريف المنزلة عنده، ومكّنه فى جنته من رغد العيش وهنيئه ، وما أزال ذلك عنهُ، فصار من نعيم الجنة ولذيذ رغد العيش إلى نكد عيش أهل الأرض وعلاج الحراثة والعمل بالمَساحى والزراعة فيها .

فلما أسكن الله عزَّ وجلّ آدم عليه السلام وزوجه أطلق لهما أن يأكلا كلّ ما شاء أكله من كل ما فيها من ثمارها، غير ثمر شجرة واحدة ابتلاءً منه لهما بذلك ، وليمضى قضاء الله فيهما وفى ذريتهما ، كما قال عزّ وجلّ :

١٠٤/١ ﴿ وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَداً حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هٰذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾[1]، فوسوس لهما الشيطان حتى زين لهما أكل ما نهاهما ربُّهما عن أكله من ثمر تلك الشجرة ، وحسّن لهما معصية الله فى ذلك ، حتى أكلا منها ؛ فبدت لهما من سوآتهما ما كان مُوَارَّى[2] عنهما منها .

فكان[3] وصول عدوّ الله إبليس إلى تزيين ذلك لهما ما ذكر فى الخبر الذى حدثنى موسى بن هارون الهمدانىّ ، قال : حدثنا عمرو بن حماد ، قال : حدثنا أسباط ، عن السدّى — فى خبر ذكره — عن أبى مالك وعن أبى صالح، عن ابن عباس — وعن مرّة الهمْدانى ، عن ابن مسعود — وعن أناس من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم، قال: لما قال الله عز وجل لآدم: ﴿ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَداً حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هٰذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ ،أراد إبليس أن يدخل عليهما الجنة

(١) سورة البقرة ٣٥
(٢) س : « متواريا » .
(٣) ا : « وكان » .

فمنعه الخزنة، فأتى الحية؛ وهى دابة لها أربع قوائم، كأنها البعير؛ وهى كأحسن الدوابّ فكلمها أن تدخله فى فمها حتى تدخل به إلى آدم، فأدخلته فى فمها، فمرّت الحية على الخزنة [فدخلت][1] وهم لا يعلمون، لما أراد الله عزّ وجلّ من الأمر، فكلّمه من فمها ولم يُبال كلامه، فخرج إليه فقال: ﴿ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَا يَبْلَى﴾[2]، يقول: هل أدلك على شجرة إن أكلت منها كنتَ ملكاً مثل الله تبارك وتعالى أو تكونا[3] من الخالدين فلا تموتان أبداً. وحلف لهما بالله إنى لكما لمن الناصحين، وإنما أراد بذلك أن يبدىَ[4] لهما ما توارى عنهما من سوءاتهما بهتْك[5] لباسهما، وكان قد علم أن لهما سوْءة لما كان يقرأ من كتب الملائكة، ولم يكن آدم يعلم ذلك، وكان لباسهما الظُّفْر، فأبى آدم أن يأكل منها، فتقدمت حواء فأكلت، ثم قالت: يا آدم كُلْ؛ فإنى قد أكلتُ، فلم يضرّنى، فلما أكل بدت لهما سوءاتهما، وطفقا يخْصفان عليهما من ورق الجنة[6].

١٠٥/١

حدثنا ابن حُميد، قال: حدثنا سلَمة، عن ابن إسحاق، عن ليث ابن أبى سُلَيم، عن طاوس اليمانىّ، عن ابن عباس، قال: إن عدوّ الله إبليس عرَض نفسه على دوابّ الأرض: أيها[7] تحمله حتى تدخل به الجنة حتى يكلّم آدم وزوجه، فكلّ الدواب أبى ذلك عليه، حتى كلّمَ الحية، فقال لها: أمنعُك من بنى آدم، فأنت فى ذمّتى إن أنت أدخلتِنى الجنة، فجعلته بين نابيْن من أنيابها ثم دخلت به، فكلمهما من فمها[8] وكانت كاسية تمشى على أربع قوائم، فأعراها الله تعالى وجعلها تمشى على بطنها، قال: يقول ابن عباس: اقتلوها حيث وجدتموها، وأخفِروا ذمة عدوّ الله فيها[9].

---

(١) تكلة من ا

(٢) سورة طه ١٢٠

(٣) ا، س، ن: «أو تكون».

(٤) ا، ن والتفسير: «بذلك ليبدى»، س: «ذلك ليبدى».

(٥) س: «لهتك».

(٦) الخبر فى التفسير ١: ٥٢٧.

(٧) س، ن: «أنها تحمله».

(٨) ا والتفسير: «من فيها».

(٩) الخبر فى التفسير ١: ٥٣٠.

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق [1] ، قال : أخبرنا عمر بن عبد الرحمن بن مُهْرِب [2] ، قال : سمعت وهب بن منبّه يقول : لما أسكن الله تعالى آدم وزوجته الجنة ، ونهاه عن الشجرة ، وكانت شجرة غصونُها متشعب بعضها فى بعض، وكان لها ثمر تأكله الملائكة لخلدهم ، [3] ١٠٦/١ وهى الثمرة التى نهى الله عنها آدم وزوجته، فلما أراد إبليس أن يستزلّهما دخل فى جوف الحية ، وكان للحية أربع قوائم ، كأنها بُختيّة من أحسن دابة خلقها الله تعالى ، فلما دخلت الحية الجنة خرج من جوفها إبليس ، فأخذ من الشجرة التى نهى الله عنها آدم وزوجته ، فجاء بها إلى حواء ، فقال : انظرى إلى هذه الشجرة، ما أطيب ريحها ، وأطيب طعمها ، وأحسن لونها ! فأخذت حوّاء فأكلت منها ، ثم ذهبت بها إلى آدم ، فقالت : انظر إلى هذه الشجرة ما أطيب ريحها ، وأطيب طعمها ، وأحسن لونها ! فأكل منها آدم ، فبدت لهما سوآتهما ، فدخل آدم فى جوف الشجرة، فناداه ربّه : يا آدم، أين أنت؟ قال: أنا هذا يا ربّ ، قال : ألا تخرج ؟ قال: أستحى منك يا ربّ ، قال : ملعونة الأرض التى خلقت منها لعنة حتى يتحول ثمارها شوكاً ! قال : ولم يكن فى الجنة ولا فى الأرض شجرة كانت أفضل من الطلح والسدر. ثم قال : يا حوّاء ، أنت التى غرّرْتِ عبدى ، فإنك لا تحملين حَمْلاً إلا حملتِه كرهاً ، فإذا أردت أن تضعى ما فى بطنك أشرفتِ على الموت مراراً . وقال للحيه : أنت التى دخل الملعون فى بطنك حتى غرّ عبدى ، ملعونة أنت لعنة حتى تتحول قوائمُك فى بطنك، ولا يكنْ لك رزق إلا التراب ، أنتِ عدوّة بنى آدم وهم أعداؤك ، حيث لقيت أحداً منهم أخذتِ بعقبه، وحيث لقيك شدخ رأسك [4] .

---

(١) هو عبد الرزاق بن همام . (٢) فى ط : « معمر بن عبد الرحمن بن مهران » ؛ وصوابه ما أثبته من ا ؛ وهو يوافق ما فى التفسير .

(٣) كذا فى ا والتفسير ؛ وفى ط : « بخلدهم » .

(٤) الخبر فى التفسير ١ : ٥٢٥ ، وانظر حواشيه .

قيل لوهب[١]: وما كانت الملائكة تأكل ؟ قال : يفعل الله ما يشاء .

حدثنا القاسم بن الحسن ، قال : حدثنا الحسين بن داود ، ١٠٧/١
قال : حدثني حجاج ، عن أبي معشر ، عن محمد بن قيس ، قال : نهى الله تعالى آدم وحواء أن يأكلا من شجرة واحدة في الجنة ، ويأكلا منها رغداً حيث شاءا ، فجاء الشيطان فدخل في جوف الحيّة ، فكلّم حواء ، ووسوس إلى آدم فقال : ﴿مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ • وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ﴾[٢] قال : فقطعت حوّاء الشجرة فدميت الشجرة ، وسقط عنهما رياشهما الذي كان عليهما ، ﴿وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ وَأَقُلْ لَكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾[٢] لِمَ أكلتها وقد نهيتك عنها ؟ قال : يا ربّ أطعمتْني حواء ، قال لحواء : لم أطعمتِه ؟ قالت : أمرتْني الحية ، قال للحية : لم أمرتِها ؟ قالت : أمرَني إبليس ، قال : ملعونٌ مدحورٌ ! أما أنت يا حواء ، فكما أدميتِ الشجرة تَدْمَيْنَ في كلّ هلال ، وأما أنتِ يا حية ، فأقطعُ قوائمك فتمشين جرياً على وجهك ، وسيشدَخ رأسكَ مَنْ لقيَكِ بالحجر ، اهبطوا بعضكم لبعض عدو[٣] .

حدثت عن عمّار بن الحسن ، قال : حدثنا عبد الله بن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع ، قال : حدثني محدّث أن الشيطان دخل الجنة في صورةِ دابة ذات قوائم ، فكان يُرَى أنه البعير ، قال : فلُعِن ، فسقطت قوائمه فصار حيّة[٤] .

حدثت عن عمار ، قال : حدثنا عبد الله بن أبي جعفر ، عن

---

(١) التفسير : «قال عمر قيل لوهب . . .»
(٢) سورة الأعراف ٢٠ ، ٢١ ، ٢٢
(٣) الخبر في التفسير ١ : ٥٣٠ .
(٤) الخبر في التفسير ١ : ٥٢٨

/١٠٨ أبيه ، عن الربيع قال : وحدثنى أبو العالية ؛ قال : إنّ من الإبل ما كان أولها من الجنّ. قال: فأبيحت له الجنة كلّها — يعنى آدم — إلا الشجرة ، وقيل لهما : ﴿لَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾[١]، قال : فأتى الشيطان حواء فبدأ بها ، فقال : نُهيتما عن شىء ؟ قالت : نعم ، عن هذه الشجرة ، فقال : ﴿مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ﴾[٢]. قال : فبدتْ[٣] حواء فأكلتْ منها ، ثم أمرت آدم فأكل منها . قال : وكانت شجرة، مَنْ أكل منها أحدث، قال: ولا ينبغى أن يكون فى الجنة حَدَثٌ[٤]، قال : ﴿فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ﴾[٥] ، قال : فأخرج آدم من الجنة[٦] .

حدثنا ابن حُميد ، قال : حدثنا سَلَمة ، قال : حدثنا محمد بن إسحاق ، عن بعض أهل العلم أن آدم عليه السلام حين دخل الجنة ورأى ما فيها من الكرامة ، وما أعطاه الله منها ؛ قال: لو أنا خُلّدنا[٧] ! فاغتمز فيها منه الشيطان لما سمعها منه ، فأتاه من قِبَل الخُلْد[٨] .

حدثنا ابن حُميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال: حُدّثتُ[٩] أن أول ما ابتدأهما به من كيده إياهما أنه ناح عليهما نياحة أحزنتْهما[١٠] حين سمعاها ، فقالا له: ما يُبْكيك ؟ قال: أبكى عليكما ،

---

(١) سورة البقرة ٣٥
(٢) سورة الأعراف ٢٠
(٣) كذا فى الأصول ، وفى التفسير : «فبدأت» .
(٤) ن : «شىء من الحدث» .
(٥) سورة البقرة ٣٦
(٦) الخبر فى التفسير ١ : ٥٢٨
(٧) كذا فى ط ؛ وفى ا ، س ، ن : «لو أن خلدا» ، وفى التفسير : «لو أن خلدا كان» .
(٨) الخبر فى التفسير ١ : ٥٢٨
(٩) الخبر فى التفسير ١ : ٥٢٩
(١٠) ا ، س «حزنتهما» .

تموتان فتفارقان ما أنتما فيه من النعمة والكرامة . فوقع ذلك فى أنفسهما ، ثم أتاهما فوسوس إليهما ، فقال : يا آدم هل أدلُّك على شجرة الخلد وملك لا يبلى ؟ وقال: ﴿ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ * وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ ﴾ ، ١٠٩/١ أى تكونان ملكين أو تخلدان ، أى إن لم تكونا ملكين فى نعمة الجنة فلا تموتان[1] يقول الله عزّ وجلّ : ﴿ فَدَلَّاهُمَا بِغُرُورٍ ﴾ .

حدثنى يونس[2] ، قال أخبرنا ابن وهب[3] ، قال : قال ابن زيد[4] فى قوله سبحانه وتعالى : ﴿ فَوَسْوَسَ ﴾ : وسوس الشيطان إلى حواء فى الشجرة حتى أتى بها إليها ، ثم حسّنها فى عين آدم ، قال : فدعاها آدم لحاجته ، قالت : لا : إلا أن تأتىَ ها هنا ، فلما أتى قالت : لا ، إلاّ أن تأكل من هذه الشجرة ، قال : فأكلا منها ، فبدت لهما سوءاتهما . قال : وذهب آدم هارباً فى الجنة ، فناداه ربُّه : يا آدم ، أمنّى تفرّ ؟ قال : لا ياربّ ، ولكن حياءً منك ، قال : يا آدم ، أنَّى أُتيتَ ؟ قال : من قِبَل حواء يارب ؛ فقال الله عزّوجلّ : فإنّ لها علىّ أن أدميَها فى كلّ شهر مرة ، كما أدمتْ[5] هذه الشجرة ، وأن أجعلها سفيهة ، وقد كنت خلقتُها حليمة ، وأن أجعلها تحمل كرهاً وتضع كرهًا ، وَقَدْ كنت جعلتها تحمل يَسَراً وتضع يَسَراً . قال ابن زيد : ولولا البليّةُ التى أصابت حواء لكان نساءُ أهل الدنيا لايَحِضْنَ ، وَلَكُنَّ حليمات ، ولكُنّ يحملن يسراً ، ويضعن يسراً[6] .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة[7] ، عن محمد بن إسحاق ، عن يزيد بن عبد الله بن قُسَيْط ، عن سعيد بن المسيّب ، قال : سمعته يحلف بالله ما يستثنى : ما أكل آدم من الشجرة وهو يعقل ، ولكن حواءَ سقتْه

---

(١) فى التفسير : « أى تكونا ملكين أو تخلدا إن لم تكونا ملكين » .
(٢) يونس بن عبد الأعلى . (٣) هو عبد الله
(٤) هو عبد الرحمن زيد بن أسلم . (٦) الخبر فى التفسير ١ : ٥٢٩ .
(٥) فى التفسير : « كما أدميت » . (٧) هو سلمة بن الفضل الأبرش .

١١٠/١ الخمر حتى إذا سكر قادته إليها ، فأكل منها[١] . فلما واقع آدم[٢] وحواء الخطيئة ، أخرجهما الله تعالى من الجنة وسلبهما ما كانا فيه من النعمة والكرامة ، وأهبطهما وعدوهما إبليس والحيّة إلى الأرض ، فقال لهم ربهم : اهبطوا بعضكم لبعض عدوّ .

* * *

وكالذى قلنا فى ذلك قال السلف من أهل العلم .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : حدثنا عبد الرحمن ابن مهدىّ ، عن إسرائيل[٣] ، عن إسماعيل السّدىّ ، قال : حدثنى مَنْ سمع ابن عباس يقول : ﴿ اهْبِطُوا بَعْضُكُم لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ﴾[٤] ، قال : آدم وحواء وإبليس والحية .[٥]

حدثنا سفيان بن وكيع ، وموسى بن هارون ، قالا : حدثنا عمرو ابن حماد ، عن أسباط ، عن السدىّ — فى خبر ذكره — عن أبى مالك وعن أبى صالح ، عن ابن عباس — وعن مرّة الهَمْدانىّ ، عن ابن مسعود — وعن ناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم : ﴿ اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ﴾ ، فلعن الحيّة فقطع قوائمها ، وتركها تمشى على بطنها ، وجعل رزقها من التراب ، وأهبط إلى الأرض آدم وحواء وإبليس والحية .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : حدثنا أبو عاصم ، قال : حدثنا عيسى بن ميمون ، عن ابن أبى نَجيح ، عن مجاهد ، فى قول الله عزّ وجلّ : ﴿ اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ﴾ ، قال : آدم وحواء وإبليس والحية[٦] .

---

(١) الخبر إلى هنا فى التفسير ١ : ٥٣٠
(٢) ر : « فلما وقع من آدم » . (٣) إسرائيل بن يونس .
(٤) سورة البقرة ٣٦ .
(٥) الخبر فى التفسير ١ : ٥٣٦ .
(٦) الخبر فى التفسير ١ : ٥٣٥ .

القول فى قدر مكث آدم فى الجنة ووقت خلق الله عزّ وجلّ إياه ووقت إهباطه إياه من السماء إلى الأرض

قَدْ تظاهرت الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بأن الله عزّ وجلّ خلق آدم عليه السلام يوم الجمعة، وأنه أخرجه فيه من الجنة، وأهبطه إلى الأرض فيه، وأنه فيه تاب عليه، وفيه قبضه. ١١١/١

* * *

• ذكر الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك:

حدثنى عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحَكَم، قال: حدثنا علىّ بن مَعْبَد، قال: حدّثنا عبيد الله بن عمرو، عن عبد الله بن محمد بن عَقيل، عن عمرو بن شُرَحْبيل عن سعيد بن سعد بن عُبادة، عن سعد بن عُبَادَة، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: «إن فى الجمعة خمس خلال: فيه خلُق آدم، وفيه أهبط إلى الأرض، وفيه تَوفّى الله آدم، وفيه ساعةٌ لا يَسأل العبدُ فيها ربّه شيئاً إلا أعطاه الله إياه؛ ما لم يسأل إثماً أو قطيعة، وفيه: تقوم الساعة، وما مِن ملَك مقرَّب. ولا سماءٍ ولا جبل ولا أرض ولا ريح؛ إلا مشفِق من يوم الجمعة».

حدثنى محمد بن بشار ومحمد بن مَعمَر، قالا: حدثنا أبو عامر، حدثنا زُهَير بن محمد، عن عبد الله بن محمد بن عَقِيل، عن عبد الرحمن بن يزيد الأنصارىّ؛ عن أبى لُبابة بن عبد المنذر، أن النبى صلى الله عليه وسلم قال: «سيد الأيام يومُ الجمعة، وأعظمُها وأعظم عند الله من يوم الفطر ويوم النحر؛ وفيه خمس خلال: خلق الله تعالى فيه آدم، وأهبطه فيه إلى الأرض، وفيه توفَّى الله تعالى آدم، وفيه ساعة لا يسأل الله العبد شيئاً إلا أعطاه إياه ما لم يكن حراماً. وفيه تقوم الساعة؛ ما من ملك مقرَّب ولا سماء ولا أرض ولا جبال ولا رياح ولا بحر إلا وهو مشفِق من يوم الجمعة، أن تقوم فيه الساعة». ١١٢/١ واللفظ لحديث ابن بشار.

حدثنا محمد بن معمر ، قال : حدثنا أبو عامر ، قال : حدثنا زُهير ابن محمد ، عن عبد الله بن محمد بن عقيل ، عن عمرو بن شرحبيل بن سعيد بن سعد بن عبادة ، عن أبيه ، عن جده ، عن سعد بن عبادة ، أن رجلاً أتى النبي صلى الله عليه وسلم، فقال : يا رسول الله ، أخبرْنا عن يوم الجمعة ، ماذا[1] فيه من الخير؟ فقال : « فيه خُلِق آدم ، وفيه أهبط آدم ، وفيه تُوفّي آدم ، وفيه ساعة لا يسأل العبد فيها شيئاً إلا أعطاه[2] الله إياه؛ ما لم يسأل مأثماً أو قطيعة ، وفيه تقوم الساعة ؛ ما من ملك مقرّب ولا سماء ولا أرض ولا جبال ولا ريح إلا هنّ يُشفِقن من يوم الجمعة » .

حدثني عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحَكَم ، قال : حدثنا أبو زُرْعَةَ ، قال : أخبرني يونس ، عن ابن شهاب ، عن عبد الرحمن الأعرج ، أنه سمع أبا هريرة يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «خير يوم طلعت الشمس عليه يوم الجمعة ؛ فيه خلق آدم ، وفيه أدخل الجنة وأخرج منها » .

١١٣/١ حدثني بحر بن نصر ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرني ابن أبي الزّناد ، عن أبيه ، عن موسى بن أبي عثمان ، عن أبي هريرة ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « سيدُ الأيام يوم الجمعة ، فيه خلق آدم ، وفيه أدخل الجنة ، وفيه أخرج منها ، ولا تقوم الساعة إلا يوم الجمعة » .

حدثنا الربيع بن سليمان ، قال : حدثنا شعيب بن اللَّيْث ، قال : حدثنا اللَّيْث بن سعد ، عن جعفر بن ربيعة ، عن عبد الرحمن بن هُرْمز ، أنه قال : سمعت أبا هريرة يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لم تطلع الشمس على يوم مثل يوم الجمعة ؛ فيه خلق آدم ، وفيه أخرج من الجنة ، وفيه أعيد فيها » .

حدثنا ابن حُميد ، قال : حدثنا جرير ، عن منصور ومغيرة ، عن زياد بن كليب أبي معشر ، عن إبراهيم ، عن القَرْثَع الضَّبيّ — وكان القرثع

---

(١) ا : « ما روى فيه » .
(٢) ا : « آتاه الله » .

من القراء الأولين — قال : قال سلمان : قال لى رسول الله صلى لله عليه وسلم : « يا سلمان، أتدرى ما يوم الجمعة ؟» قلت : الله ورسوله أعلم، يقولها ثلاثاً: « يا سلمان، أتدرى ما يوم الجمعة ؟ فيه جَمّع أبوك » ، أو « أبوكم » .

حدثنى محمد بن عُمَارة الأسدىّ ، قال : حدثنا عبيد الله بن موسى قال : أخبرنا شيبان ، عن يحيى ، عن أبى سلَمة ، أنه سمع أبا هريرة يحدّث أنه سمع كعباً يقول : خيرُ يومٍ طلعت فيه الشمس يوم الجمعة ، فيه خُلِق آدم عليه السلام، وفيه دخل الجنة، وفيه أخرج منها ، وفيه تقوم الساعة . ١١٤/١

حدثنى الحسين بن يزيد الأَدَمىّ[1] ، قال : حدثنا روْح بن عُبادة ، قال : حدّثنا زكرياء بن إسحاق ، عن عمرو بن دينار ، عن عُبَيْد بن عمير ، قال : إنّ أولَ يوم طلعت فيه شمسه يوم الجمعة ، وهو أفضل الأيام: فيه خلق الله تعالى ذكره آدم؛ خلقه على مثل صورته ، فلما فرغ عطس آدم فألقى الله تعالى عليه الحمد، فقال الله : يرحمك ربّك .

حدثنا أبو كرَيْب، قال : حدثنا إسحاق بن منصور ، عن أبى كُدَيْنَة ، عن مغــيرة ، عن زياد ، عن إبراهيم ، عن علقمة ، عن القَرْثع ، عن سلمان ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أتدرى ما يوم الجمعة ؟ هو يوم جَمَّعَ فيه أبوك » ، أو « أبوكم آدم » عليه السلام .

حدثنا أبو كريب، قال: حدثنا عثمان بن سعيد ، عن أبى الأحوص، عن مغيرة ، عن إبراهيم ، عن علقمة[2] ، قال : قال سلمان . قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يا سلمان ، أتدرى ما يومُ الجمعة ؟ » مرتين أو ثلاثا، قال : « هوَ اليوم الذى جمّع فيه أبوكم آدم » ، أو « جمّع فيه أبوكم » .

حدثنا أبو كُريب ، قال : حدثنا حسن بن عطية ، قال : حدثنا قيس ، عن الأعمش ، عن إبراهيم . عن القَرْثع ، عن سلمان ، قال : قال

---

(١) س : « زيد » ، ب : « الحسن بن يزيد الأزدى » ؛ ولم يقع لى وجه الصواب فيما لدى من كتب التراجم . (٢) علقمة بن قيس .

رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أتدرى ما الجمعة[١] » ؟ أو قال : كذا ، « فيها جَمَّعَ أبوكم آدم » .

١١٥/١ حدثنا محمد بن على بن الحسن بن شقيق ، قال : سمعت أبى يقول : أخبرنا أبو حمزة[٢] ، عن منصور[٣] ، عن إبراهيم[٤] ، عن القَرْثع[٥] ، عن سلمان ، قال : قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أتدرى ما يوم الجمعة ؟ » قلت : لا ، قال : « فيه جمع أبوك » .

(١) كذا فى ا ، وفى ط : « ما يوم الجمعة » .
(٢) محمد بن ميمون ابو حمزة السكرى .
(٣) منصور بن المعتمر .
(٤) إبراهيم النخعى .
(٥) القرثع الضبى .

ذكر الوقت الذى فيه خلق آدم عليه السلام من يوم الجمعة والوقت الذى أهبط إلى الأرض

اختلف فى ذلك، فروى عن عبد الله بن سَلاَم وغيره فى ذلك ما حدّثنا أبو كريب ، قال : حدثنا ابن إدريس ، قال : أخبرنا محمد بن عمرو ، عن أبى سلمة، عن أبى هريرة ، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « خير يوم طلعت فيه[1] الشمس يومُ الجمعة ،فيه خُلق آدم، وفيه أسكن الجنة، وفيه أهبط ، وفيه تقوم الساعة، وفيه ساعة – [يقلّلها] –[2] لا يوافقها عبد مسلم يسأل الله تعالى فيها خيراً إلاّ آتاه الله إياه»، فقال عبد الله بن سلام: قد علمت أىّ ساعة هى ، هى آخر ساعات النهار من يوم الجمعة ، قال الله عزّ وجلّ : ﴿ خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ سَأُرِيكُمْ آيَاتِي فَلَا تَسْتَعْجِلُونَ ﴾[3] .

حدثنا أبو كريب ، قال : حدثنا المحاربىّ وعبدة بن سليمان وأسد بن عمرو ؛ عن محمد بن عمرو ، قال : حدثنا أبو سلمة ، عن أبى هريرة، عن النبى صلى الله عليه وسلم نحوه ، وذكر فيه كلام عبد الله بن سَلاَم بنحوه .

حدثنا محمد بن عمرو ، قال : حدثنا أبو عاصم ، قال : حدثنا عيسى ، عن ابن أبى نَجِيح ، عن مجاهد فى قوله عزّ وجلّ : ﴿ خُلِقَ الإنسانُ من عجل﴾ ، قال : قول آدم حينَ خُلِقَ بعد كلّ شىء آخر النهار من يوم [الجمعة][4] ؛ خلق الخلق ، فلما أحيا الروح عينيه ولسانه ورأسه ولم يبلغ أسفله، قال: يا ربّ استعجل بخلقى قبل غروب الشمس . ١١٦/١

---

(١) ن : « عليه » .
(٢) تكملة من ا ، والتفسير ، وفى ابن كثير : « وقبض أصابعه يقللها ».
(٣) سورة الأنبياء ٣٧ ، والخبر فى التفسير ١٧ ، ٢١ (بولاق) . وتفسير ابن كثير ٣ : ١٧٩ .
(٤) تكملة من ا ، س .

حدثنى الحارث ، قال : حدثنا الحسن[1] ، قال : حدثنا ورقاء ، عن ابن أبى نَجِيح ، عن مجاهد مثله .

حدثنا القاسم ، قال : حدثنا الحسين ، قال : حدثنا حجّاج ، عن ابن جُرَيج ، قال: قال مجاهد : ﴿ خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ ﴾ ، قال : آدم حين خُلق بعد كلّ شىء ، ثم ذكره نحوه؛ غير أنه قال فى حديثه : استعجلْ بخلقى ، قد غربت الشمس .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد فى قوله : ﴿ خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ ﴾ ، قال: على عجل خلق آدم آخر ذلك اليوم من ذينْنِك اليومين — يريد يوم الجمعة — وخلقه على عَجَلة[2] وجعله عجولا .

* * *

وقد زعم بعضهم أن الله عزّ وجلّ أسكن آدم وزوجته الفردوس لساعتين مَضتَا من نهار يوم الجمعة ، وقيل لثلاث ساعات مَضيْنَ منه ، وأهبطه إلى الأرض لسبع ساعات مضين من ذلك اليوم ، فكان مقدار مُكْثهما فى الجنة خمس ساعات منه . وقيل : كان ذلك ثلاث ساعات . وقال بعضهم : أخرج آدم عليه السلام من الجنة الساعة التاسعة أو العاشرة

* ذكر من قال ذلك : ١١٧/١

قال أبو جعفر : قرأتُ على عبدان بن محمد المروَزِىّ ، قال : حدثنا عمار بن الحسن ، قال : حدثنا عبد الله بن أبى جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع ، عن أنس عن أبى العالية ، قال : أخرِج آدم من الجنة للساعة التاسعة أو العاشرة ، فقال لى : نعم ؛ لخمسة أيام مضين من نَيْسان .

فإن كان قائل هذا القول أراد الله أن تبارك وتعالى أسكن آدم وزوجته الفردوْس لساعتين مضتا من نهار يوم الجُمعة من أيام أهل الدنيا التى هى على

(١) هو الحارث بن محمد روى عن الحسن بن موسى الأشيب . تاريخ بغداد ٢ : ٢١٨ .
(٢) ا : « عجل » .

ما [هى][١] به اليوم؛ فلم يبعد قوله من الصواب فى ذلك؛ لأن الأخبار إذا كانت واردة عن السّلَف من أهل العلم ، بأن آدم خُلِق فى آخر ساعة من اليوم السادس من الأيام التى مقدار اليوم الواحد منها[٢] ألف سنة من سنيننا . فمعلوم أن الساعة الواحدة من ساعات ذلك اليوم ثلاثة وثمانون عاماً من أعوامنا ، وقد ذكرنا أن آدمَ بعد أن خَمّر ربنا عزّ وجلّ طينته بقىَ قبل أن ينفخ فيه الروح أربعين عاماً ؛ وذلك لا شك أنه عَنَى به من أعوامنا وسنيننا ، ثم [من][١] بعد أن نفخ فيه الروح إلى أن تناهى أمرُه ، وأُسكن الفِرْدَوْس ، وأهبِط إلى الأرض — غير مستنكَر أن يكون كان مقداره من سنيننا قدر خمس وثلاثين سنة . فإن ١١٨/١ كان أراد أنه أُسكن الفِردوس لساعتين مضتا من نهار يوم الجمعة من الأيام التى مقدار اليوم الواحد منها[٢] ألف سنة من سنيننا ، فقد قال غير الحق ، وذلك أن جميعَ مَنْ حُفِظ له قول فى ذلك من أهل العلم ؛ فإنه كان يقول إنّ آدم نفخ فيه الروح فى آخر النهار من يوم الجمعة قبل غروب الشمس من ذلك اليوم . ثم الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم متظاهرة بأن الله تبارك وتعالى أسكنه الجنة فيه ، وفيه أهبطه إلى الأرض . فإن[٣] كان ذلك صحيحاً ، فمعلوم أن آخر ساعة من نهار يوم من أيام الآخرة ومن الأيام التى اليوم الواحد منها مقداره ألف سنة من سنيننا ، إنما هى ساعة بعد مُضىّ إحدى عشرة ساعة ، وذلك ساعة من اثنتَىْ عشرة ساعة ، وهى ثلاث وثمانون سنة وأربعة أشهر من سنيننا ؛ فآدم صلوات الله عليه إذ كان الأمر كذلك ؛ إنما خُلِق لمضىّ إحدى عشرة ساعة من نهار يوم الجمعة من الأيام التى اليوم الواحد منها[٢] ألف سنة من سنيننا ، فمكث جسداً ملقىً لم يُنفخ فيه الروح أربعين عاماً من أعوامنا . ثم نفخ فيه الروح . فكان مكثُه فى السماء بعد ذلك ومُقامه فى الجنة ؛ إلى أن أصاب الخطيئة وأهبط إلى الأرض ثلاثاً وأربعين سنة من سنيننا وأربعة أشهر ، وذلك ساعة من ساعات يوم من الأيام الستة التى خلق الله تعالى فيها الخلق .

---

(١) تكلة من ا

(٢) فى الأصول : « منه » .

(٣) ا : « فإذ » .

١١٩/١ وقد حدثنى الحارث بن محمد ، قال : حدثنا محمد بن سعد ، قال : حدثنا هشام بن محمد ، قال: أخبرنى أبى ، عن أبى صالح ، عن ابن عباس، قال : خرج آدم من الجنة بين الصلاتَيْن : صلاة الظهر وصلاة العصر ، فأنزِل إلى الأرض وكان مكثه فى الجنة نصف يوم يوم من أيام الآخرة ، وهو خمسمائة سنة ، من يومٍ كان مقداره اثنتى عشرة ساعة ، واليوم ألف سنة مما يعدّ أهل الدنيا ، وهذا أيضاً قولٌ خلاف ما وردت به الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وعن السلف من علمائنا .

القول فى الموضع الذى أهبط آدم وحواء إليه من الأرض حين أهبطا إليها

ثم إن الله عزّ وجلّ أهبط آدم قبل غروب الشمس من اليوم الذى خلقه فيه — وذلك يوم الجمعة — من السماء مع زوجته ، وأنزل آدم — فيما قال علماء سلف أمة نبينا صلى الله عليه وسلم — بالهند .

* ذكر من حضرنا ذكره ممن قال ذلك منهم :

٢٢٠ — حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، قال : أهبط الله عزّ وجلّ آدم إلى الأرض ، وكان مهبطه بأرض الهند . ١٢٠/١

حدثنا عمرو بن على ، قال : حدثنا عمران بن عُيَيْنَة ، قال : أخبرنا عطاء بن السائب ، عن سعيد بن جُبَير ، عن ابن عباس ، قال : إن أول ما أهبط الله تعالى آدم أهبطه بدَهْنا أرض الهند .

حدّثت عن عمّار ، قال : حدثنا عبد الله بن أبى جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع بن أنس ، عن أبى العالية ، قال : أهبط آدم إلى الهند .

حدثنى ابن سنان ، قال : حدثنا الحجاج ، قال : حدثنا حماد بن سلمة ، عن علىّ بن زيد ، عن يوسف بن مهران ، عن ابن عباس ، قال : قال على بن أبى طالب عليه السلام : أطيبُ أرضٍ فى الأرض ريحاً أرض الهند ، أهبط بها آدم ، فعلق شجرها من ريح الجنة .

حدثنى الحارث ، قال : حدثنا ابن سعد ، قال : حدثنا هشام بن محمد ، عن أبيه ، عن أبى صالح ، عن ابن عباس ، قال : أُهبط آدم بالهند ، وحواء بجُدّة ، فجاء فى طلبها حتى اجتمعا[1] ، فازدلفت إليه حواء ، فلذلك

---

(١) ا ، ن : « جمعا » ، س : « جمعها » .

سمّيت المزدلفة ، وتعارفا بعرفات ، فلذلك سميت عرفات ، واجتمعا بجَمْع فلذلك سميت جمْعا . قال : وأهبط آدم على جبل بالهند يقال له بَوْذ .

حدثنا أبو همام[1] ، قال : حدثنى أبى ، قال : حدثنا زياد بن خيثمة ، عن أبى يحيى بائع القتّ ، قال : قال لى مجاهد : لقد حدثنا عبد الله بن عباس أنّ آدمَ نزل حين نزل بالهند .

١٢١/١ حدثنا ابن حُمَيد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق، قال : وأما أهلُ التوراة فإنهم قالوا : أهبِط آدم بالهند على جبل يقال له واسم[2] ، عند واد يقال له بهيل[3] بين الدَّهْنَج والمندل : بلدين بأرض الهند . قالوا : وأهبطت حواء بجُدّة من أرض مكة .

* * *

وقال آخرون: بل أهبِط آدم بسَرَنْديب ، على جبل يدعى بَوْذ،وحواء بجُدة من أرض مكة ، وإبليس بمَيْسَان[4] ،والحية بأصبَهان. وقد قيل: أهبِطت الحية بالبرّيّة ، وإبليس بساحل بحر الأُبُلّة[5] .

وهذا مما لا يوصل إلى علم صحته إلا بخبر يجىء مجىء الحجة ، ولا يُعلم خبرٌ فى ذلك ورد كذلك؛ غير ما ورد من خبر هبوط آدم بأرض الهند ؛ فإن ذلك مما لا يدفع صحتَه علماء[6] الإسلام وأهل التوراة والإنجيل ، والحجة قد ثبتت بأخبار بعض هؤلاء

* * *

وذُكِر أن الجبل الذى أهبط عليه آدم عليه السلام ذرْوته من أقرب ذُرَا جبال الأرض إلى السماء ، وأن آدم حين أهبِط عليه كانت رجلاه عليه ورأسه فى السماء يسمع دعاء الملائكة وتسبيحهم ؛ فكان آدم يأنس بذلك ، وكانت

(١) هو أبو همام الوليد بن شجاع ، وشجاع هو ابن الوليد بن قيس .

(٢) واسم ، ذكره ياقوت ، وقال : «جبل بين الدهنج والمندل من أرض الهند» .

(٣) ر : «نهيل» .

(٤) ميسان ، بالفتح ثم السكون : اسم لكورة واسعة بين البصرة وواسط . معجم البلدان ٨ : ٢٢٤ .

(٥) الأبلة ، بضم أوله وتشديد اللام وفتحها : بلد على شاطىء دجلة بالبصرة . معجم البلدان ١ : ٨٩ .

الملائكة تهابه ، فنُقِص من طول آدم لذلك .

* ذكر من قال ذلك :

حدّثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا هشام بن حسان ، عن سَوّار ختَن عطاء ، عن عطاء بن أبي رَباح ، قال : لما أهبط الله عزّ وجلّ آدم من الجنة كان رجْلاه فى الأرض ، ورأسُه فى السماء ، يسمع كلام أهل السماء ودعاءهم ، يأنس إليهم ، فهابته الملائكة حتى شكَتْ إلى الله تعالى فى دعائها وفى صلاتها ، فخفضه إلى الأرض ، فلما فقد ما كان يسمع منهم استوحش حتى شكا ذلك إلى الله عزّ وجلّ فى دعائه وفى صلاته ، فوُجِّه إلى مكة فصار[1] موضع قدمه قرية ، وخُطْوته[2] مفازة ، حتى انتهى إلى مكة ، وأنزل الله تعالى ياقوتة من ياقوت الجنة ، فكانت على موضع البيت الآن ، فلم يزلْ يطوف به حتى أنزل الله تعالى الطوفان ، فرفعت تلك الياقوتة حتى بعث الله تعالى إبراهيم الخليل عليه السلام فبناه ، فذلك قوله تعالى : ﴿ وإذْ بَوَّأنَا لِإبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ ﴾[3] . ١٢٢/١

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا مَعْمَر[4] ، عن قتادة ، قال : وضع الله تعالى البيت مع آدم ، فكان رأسُه فى السماء ورجلاه فى الأرض ، فكانت الملائكة تهابه ، فنُقص إلى ستين ذراعاً ، فحزن آدم إذ فقد أصواتَ الملائكة وتسبيحَهم ، فشكا ذلك إلى الله ، فقال الله : يا آدم ، إنّى أهبطت لك[5] بيتاً تطوف به كما يُطاف حول عرشي ، وتصلّى عنده كما يصلَّى عند عرشي . فانطلق إليه آدم عليه السلام ، فخرج ومُدّ له فى خطوه ، فكان بين كلّ خطوة مفازة ، فلم تزل تلك المفاوز[6] بعد ذلك ، فأتى آدم عليه السلام البيت ، فطاف به ومَنْ بعده [من][7] الأنبياء .

(١) ا : « فكان » .
(٢) ا : « وخطوه » .
(٣) سورة الحج ٢٦
(٤) معمر بن راشد البحراني .
(٥) ن : « اليك » .
(٦) س : « المفازة » .
(٧) تكملة من ا ، ن .

حدثني الحارث ، قال : حدثنا ابن سعد ، قال : حدثنا هشام بن محمد ، قال : أخبرني أبي ، عن أبي صالح ، عن ابن عباس ، قال : لما حُطّ من طول آدم عليه السلام إلى ستين ذراعاً أنشأ يقول : ربِّ ، كنتُ جارَك في دارك؛ ليس لي ربّ غيرك، ولا رقيب دونك ، آكل فيها رغداً ، وأسكن حيث أحببت ، فأهبطتَني إلى هذا الجبل المقدس ، فكنت أسمع أصوات الملائكة، وأراهم كيف يحُفّون بعرشك، وأجِد ريحَ الجنة وطيبها، ثم أهبطتَني إلى الأرض، وحططتني إلى ستين ذراعاً ، فقد انقطع عني الصوتُ والنظر ، وذهب عني ريح الجنة . فأجابه الله عزّ وجلّ : لمعصيتك[1] يا آدم فعلتُ ذلك بك . فلما رأى الله تعالى عُرْيَ آدم وحواء أمره أن يذبح كبشاً من الضأن من الثمانية الأزواج التي أنزل من الجنة ، فأخذ كبشاً فذبحه، ثم أخذ صوفه فغزلتْه حواء ، ونسجه هو وحواء، فنسج آدم جُبّة لنفسه، وجعل لحواء دِرْعاً وخِماراً، فلبسا ذلك، وأوحى[2] الله تعالى إلى آدم أن لي حرماً بحِيَال عرشي ، فانطلق فابن لي فيه بيتاً، ثم حُفَّ به كما رأيت ملائكتي يحُفّون بعرشي ، فهنالك أستجيبُ لك ولولدك؛ مَنْ كان منهم في طاعتي ، فقال آدم : أيْ ربّ ، فكيف لي بذلك، لست أقوى عليه ولا اهتدِي له ! فقيَّض الله له ملَكاً؛ فانطلق به نحو مكة، فكان آدم إذا مرّ بروضة[3] ومكان يُعجبه قال للملَك: انزلْ بنا ها هنا، فيقول له الملَك: مكانك، حتى قدم مكة ، فكان كلُّ مكان نزل به صار عمراناً، وكلّ مكان تعدّاه صار مفاوزَ وقفارا، فبنى البيت من خمسة أجْبُل: من طور سيناء وطور زيتون ولبنان والجوديّ ، وبنى قواعده من حِراء ، فلما فرغ من بنائه خرج به الملكُ إلى عرفات؛ فأراه المناسك كلَّها التي تفعلها الناس اليوم، ثم قدم به مكة؛ فطاف بالبيت أسبوعاً ،[4] ثم رجع إلى أرض الهند، فمات على بَوْذ[5] .

(١) س ، وابن الأثير ١ : ٢٣ (فيما نقل عن الطبري) : « بمعصيتك » .

(٢) ط : « فأوحى » وما أثبته من ا .

(٣) ا : « مرروضة » .

(٤) ر : « أسبوعاً سبعا » .

(٥) كذا ورد في الأصول ؛ وفي معجم البلدان : « نوذ » ، بالفتح ثم السكون وذال معجمة: جبل بسرنديب عنده مهبط آدم عليه السلام، وهو أخصب جبل في الأرض ؛ ويقال : أمرع في =

حدثنا أبو همام ، قال : حدثنى أبى ، قال : حدثنى زياد بن خيثمة ، عن أبى يحيى بائع القتّ ، قال : قال لى مجاهد : لقد حدّثنى عبد الله ابن عباس أن آدم عليه السلام نزل حين نزل بالهند ، ولقد حجّ منها أربعين حجّة على رجليه ، فقلت له : يا أبا الحجاج ، ألاّ كان يركب ؟ قال : فأىّ شىء كان يحمله ! فوالله إن خطوه مسيرة ثلاثة أيام ، وإن كان رأسه ليبلغ السماءَ ، فاشتكت الملائكة نَفَسَه ، فهمزه الرحمن همزةً ؛ فتطأطأ مقدار أربعين سنة .

حدثنى صالح بن حرب أبو معمر مولى بنى هاشم ، قال : حدثنا ثُمامة بن عبيدة السلمىّ ، قال : أخبرنا أبو الزبير ، قال : قال نافع : سمعت ابن عمر ، يقول : إن الله تعالى أوحى إلى آدم عليه السلام وهو ببلاد الهند[1] : أن حُجَّ هذا البيت . فحجّ آدم من بلاد الهند ، فكان كلّما وضع قدمه صار قرية ، وما بين خطوَتيْه مفازة ، حتّى انتهى إلى البيت فطاف به ، وقضى المناسك كلَّها ، ثم أراد الرجوعَ إلى بلاد الهند فمضى ، حتّى إذا كان بمأزمَىْ عرفات ؛ تلقّتْه الملائكة ؛ فقالوا : برَّ حَجُّك يا آدم ! فدخله من ذلك عجب ، فلما رأت الملائكة ذلك منه قالوا : يا آدم ، إنا قد حَجَجْنَا هذا البيت قبل أن تُخْلَق بألفى سنة ، قال : فتقاصرت إلى آدم نفسه .

وذكر أن آدم عليه السلام أهبط إلى الأرض ، وعلى رأسه إكليل من شجر الجنَّة ، فلما صار إلى الأرض ، ويبس الإكليل ؛ تحاتَّ ورقه فنبت[2] منه أنواع الطيب . ١/١٢٥

وقال بعضهم : بل كان ذلك ما أخبر الله عنهما ، أنهما جعلا يخصِفان عليهما من ورق الجنة ، فلما يبس ذلك الورق الذى خصَفاه عليهما تحاتَّ فنبت من ذلك الورق أنواعُ الطيب . والله أعلم .

* * *

= الأرض ؛ ويقال : أمرع من نوذ » . وقال ابن الأثير ١ : ٢٤ « نود ؛ بضم النون وسكون الواو وآخره دال مهملة » ؛ وفى س : « قال الطبرى : الذى حدثنا به فى أمر الجبل أن اسمه نوذ ؛ بالنون ، قال : ولكن اسم الموضع بالباء ؛ وهو بوذ » .

(١) أبو الزبير محمد بن مسلم بن تدرس الأسدى ، ونافع مولى ابن عمر . (٢) ا : « فنبتت » .

وقال آخرون : [بل][١] لما علم آدم أنّ الله عزّ وجلّ مُهبِطُه إلى الأرض، جعل لا يمرّ بشجرة من شجر الجنة إلا أخذ غصناً من أغصانها ، فهبط إلى الأرض وتلك الأغصان معه ، فلما يبس ورقها تحاتّ، فكان ذلك أصل الطيب .

ذكر من قال ذلك :

٢٣٢ ـ حدثنا أبو همام ، قال : حدثنا أبي ، قال : حدثنا زياد بن خيثمة، عن أبي يحيى بائع القتّ قال: قال [لي] [١] مجاهد: لقد حدّثني عبد الله ابن عباس، أن آدم حينَ خرج من الجنة كان لا يمرّ بشيء إلا عبث به ، فقيل للملائكة : دعُوه فليتزودْ منها ما شاء ، فنزل حين نزل بالهند ، وإن هذا الطيب الذى يُجاء به من الهند مما خرج به آدم من الجنة .

* * *

* ذكر من قال : كان على رأس آدم عليه السلام حين أهبط من الجنة إكليل من شجر الجنة :

حُدّثت عن عمار بن الحسن، قال : حدثنا عبد الله بن أبي جعفر ، عن أبيه[٢]، عن الربيع بن أنس ، عن أبي العالية ، قال : خرج آدم من الجنة ، فخرج منها ومعه عصا من شجر الجنة ، وعلى رأسه تاج أو إكليل من شجر الجنة، قال : فأهبِط إلى الهند ، ومنه كلّ طيب بالهند .

حدثنا ابنُ حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : هبط آدم عليه ـ يعنى على الجبل الذى هبط عليه ـ ومعه ورق من ورق الجنة ، فبثّه فى ذلك الجبل ، فمنه كان أصلُ الطيب كلّه ، وكلّ فاكهة لا توجد إلا بأرض الهند .

١٢٦/١

(١) من ا .
(٢) أبو جعفر الرازى التّيمى .

* * *

وقال آخرون : بل زوّده الله من ثمار الجنة ، فثمارنا هذه من تلك الثمار .

* ذكر من قال ذلك :

حدثنا ابن بشار ، قال : حدثنا ابن أبي عدىّ وعبد الوهاب [١] ومحمد بن جعفر ، عن عوف [٢] ، عن قَسامة بن زُهير ، عن الأشعرى [٣] ، قال : إن الله تبارك وتعالى لما أخرج آدم من الجنة زوّده من ثمار الجنة ، وعلّمه صنعة كلّ شىء ، فثماركم هذه من ثمار الجنة ؛ غيرَ أنّ هذه تتغيَّر وتلك لا تتغيّر .

* * *

وقال آخرون : إنما علق بأشجار الهند طيب ريح آدم عليه السلام .

* ذكر من قال إنما صار الطيب بالهند لأن آدم حين أهبط إليها علِق بأشجارها طيب ريحه :

حدثنى الحارث بن محمد ، قال : حدثنا ابن سعد ، قال : أخبرنا هشام بن محمد ، قال : أخبرنى أبى ، عن أبى صالح ، عن ابن عباس ، قال : نزل آدم عليه السلام معه ريحُ الجنة ، فعلِق بشجرها وأوديتها وامتلأ ما هنالك طيباً ، فمن ثَمَّ يُؤتى بالطيب من ريح الجنة .

وقالوا : أنزل معه من طيب الجنة .

وقال : أنزل معه الحجر الأسود ، وكان أشدّ بياضاً من الثلج ، وعصا موسى ، وكانت من آس الجنة ؛ طولها عشرة أذرع على طول موسى ، ومُرّ ولُبان [٤] ، ثم أنزل عليه بعد ذلك العلاةَ والمِطرقة والكلبتان [٥] ، فنظر آدم

---

(١) عبد الوهاب بن عبد المجيد بن الصلت (٢) هو عوف الأعرابى (٣) هو أبو موسى الأشعرى .

(٤) المر : صمغ شجرة تكون ببلاد العرب ؛ شبيهة بالشوكة المصرية ، تشرط فتخرج منها هذه الصمغة . واللبان : هو العلك الذى يمضغ ؛ وشجرته تسمى الكندر ، طولها قدر ذراعين ، تعقر بالفأس فيظهر فى مواضع العقر اللبان فيجتنى . المعتمد فى الأدوية ٣٠٠ ، ٣٤٠ .

(٥) العلاة : السندان ؛ حجراً كان أو حديداً . والمطرقة : من أدوات الحداد أو الصائغ يطرق بها . والكلبتان : ما يأخذ به الحداد الحديد المحمى .

١٢٧/١ حين أهبط على الجبل إلى قضيب من حديد نابت على الجبل ، فقال : هذا من هذا ، فجعل يكسر أشجاراً قد عتقت ويبست بالمطرقة ، ثم أوقد على ذلك الغصن حتى ذاب ، فكان أولَ شيء ضربه مُدْية، فكان يعمل بها ، ثم ضرب التنّور ، وهو الذى ورثه نوح ، وهو الذى فار بالعذاب بالهند . وكان آدم حين هبط يمسح رأسه السماء، فمن ثَمَّ صَلِعَ، وأورث ولده الصَّلَع ونفرت من طوله دوابّ البرّ ، فصارتْ وحشاً من يومئذ ، وكان آدم عليه السلام وهو على ذلك الجبل قائم يسمع أصوات الملائكة ، ويجد ريح الجنة، فحُطَّ من طوله ذلك إلى ستين ذراعاً ، فكان ذلك طوله إلى أن مات . ولم يُجمع حسنُ آدم عليه السلام لأحد من ولده إلا ليوسف عليه السلام .

وقيل : إن من الثمار التى زوّد الله عزّ وجلّ آدم عليه السلام حين أهْبِط إلى الأرض ثلاثين نوعاً؛ عشرة منها فى القشور وعشرة لها نوًى ، وعشرة لا قشورَ لها ولا نوًى. فأما التى فى القشور منها فالجوز ، واللوز ، والفستق ، والبندق ، والخَشخاش، والبلُّوط ، والشاهبلوط ، والرانج ، والرمان، والموزُ . وأما التى لها نوًى منها فالخوخ ، والمشمش ، والإجّاص ، والرُّطَب ، والغبيراء ، والنبق ، والزُّعرور، والعنّاب ، والمُقْل ، والشاهلوج . وأما التى لا قشور لها ولا نوًى فالتُّفّاح ، والسفرجل ، والكمّثرى ، والعنب ، والتوت ، والتين ، والأترجّ ، والخرنوب ، والخيار ، والبِطّيخ .

وقيل : كان مما أخرج آدم معه من الجنة صرّة من حنطة ؛ وقيل : إن الحنطة إنما جاءه بها جبرئيل عليه السلام بعد أن جاع آدم ، واستطعم ربّه، فبعث الله

١٢٨/١ إليه مع جَبْرئيل عليه السلام بسبع حبات من حنطة ، فوضعها فى يد آدم عليه السلام، فقال آدم لجبرئيل : ما هذا ؟ فقال له جبرئيل : هذا الذى أخرجك من الجنة ، وكان وزن الحبة منها مائة ألف درهم وثمانمائة درهم ، فقال آدم : ما أصنع بهذا ؟ قال : انثره فى الأرض ففعل، فأنبته الله عزّ وجلّ من ساعته ، فجرت سنّةً فى ولده البذر فى الأرض ، ثم أمره فحصَده ، ثم أمره فجمعه وفركه بيده ، ثم أمره أن يذرّيَه ، ثم أتاه بحجرين فوضعَ أحدهما على الآخر

فطحنه ، ثم أمره أن يعجنه، ثم أمره أن يخبزه مَلّةً [(١)]، وجمع له جبرئيل عليه السلام الحجر والحديد فقدحه ، فخرجت منه النار ، فهو أول مَنْ خبز المَلّة .

* * *

وهذا [القول] [(٢)] الذى حكيناه عن قائل هذا القول ، خلاف ما جاءت به الروايات عن سلف أمة نبينا صلى الله عليه وسلم ، وذلك أن المثنّى بن إبراهيم حدثنى أن إسحاق[(٣)] حدثه ، قال : حدثنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا سفيان بن عيينة وابن المبارك ، عن الحسن بن عُمارة ، عن المنهال بن عمرو ، وعن سعيد ابن جُبير ، عن ابن عباس ، قال : كانت الشجرةُ التى نهى الله عنها آدمَ وزوجته السنبلة ، فلما أكلا منها بدت لهما سوءاتهما ، وكان الذى وارى عنهما من سوءاتهما أظفارهما، وَطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة، ورق التين يُلصقان[(٤)] بعضها إلى بعض ، فانطلق آدم مولياً فى الجنة ، فأخذت برأسه شجرةٌ من الجنة[(٥)] فناداه: يا آدم، أمنى تفرّ ؟ قال: لا ، ولكنى استحيتك يا ربّ ، قال : أما كان لك فيما منحتك من الجنة وأبحتك منها مندوحة عما حرّمتُ عليك ! قال : بلى يا ربّ ، ولكن وعزّتك ما حسبتُ أن أحداً يحلف ١٢٩/١ بك كاذباً، قال — وهو قول الله تبارك وتعالى : ﴿وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ﴾[(٦)] — قال: فبعزتى لأهبطنَّك إلى الأرض، فلا تنال العيش إلا كداً . قال : فأهبط من الجنة ، وكانا يأكلان فيها رَغدا ، فأهبِط إلى غير رغد من طعام وشراب ، فعلِّم صنعة الحديد ، وأمِر بالحرْث فحرث وزرع ثم سقى ، حتى إذا بلغ حَصَدَه ، ثم داسه، ثم ذرّاه ، ثم طحنه ، ثم عجنه ، ثم خبزه ، ثم أكله ، فلم يبلغه حتى بلغ منه ما شاء الله أن يبلغ[(٧)] .

---

(١) يريد بخبز الملة ما يصنع فى الرماد أو الجمر من الخبز .
(٢) تكلة من ا .
(٣) هو إسحاق بن يوسف الأزرق .
(٤) ا : «يلزقان» .
(٥) س : «فى الجنة» .
(٦) سورة الأعراف ٢١ . (٧) الخبر فى التفسير ١٢ : ٣٥٢ — ٣٥٣ .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا يعقوب ، عن جعفر ، عن سعيد[١] ، قال : أهبط إلى آدم ثور أحمر ، فكان يحدث عليه ، ويمسح العرق عن جبينه ، فهو الذى قال الله عزّ وجلّ : ﴿ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى ﴾ ؛ فكان ذلك شقاؤه .

فهذا الذى قاله هؤلاء هو أولى بالصواب ، وأشبه بما دلّ عليه كتاب ربنا عزّ وجلّ ، وذلك أن الله عزّ ذكره لما تقدم إلى آدم وزوجته حواء بالنهى عن طاعة عدوّهما ، قال لآدم : ﴿ يَا آدَمُ إِنَّ هٰذَا عَدُوٌّ لَكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى • إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَى • وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَضْحَى ﴾[٢] ، فكان معلوماً أنّ الشقاءَ الذى أعلمه أنه يكون إن أطاع عدوّه إبليس ، هو مشقة الوصول إلى ما يُزيل الجوعَ والعُرْىَ عنه ؛ وذلك هى الأسباب التى بها يَصل أولاده إلى الغذاء ، من حراثة وبذر وعلاج وسَقْى ، وغير ذلك من الأسباب الشاقة المؤلمة . ولو كان جَبْرئيل أتاه بالغذاء الذى يصل إليه بِبَدَنه دون سائر المؤن غيره ، لم يكن هناك من الشقاء الذى توعّده به ربه على طاعة الشيطان ومعصية الرحمن كبير خطب[٣] ، ولكن الأمر[٤] كان — والله أعلم — على ما روينا عن ابن عباس وغيره .

١/١٣٠

* * *

وقد قيل : إن آدم عليه السلام نزل معه السَّندان ، والكلبتان ، والميقعة[٥] ، والمِطْرقة .

• ذكر من قال ذلك :

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا يحيى بن واضح ، قال : حدثنا الحسين[٦] ، عن عِلْباء بن أحمر ؛ عن عِكْرمة ؛ عن ابن عباس قال : ثلاثة أشياء نزلت مع آدم عليه السلام : السَّندان ، والكلبتان ، والميقعة ، والمِطْرقة .

---

(١) هو يعقوب القمى ، روى عن جعفر بن أبى المغيرة عن سعيد بن جبير ، وانظر ص ٤٩ ، ٩٠ .
(٢) سورة طه ١١٧ — ١١٩ . (٣) س : « حظ » .
(٤) كذا فى ا ، وفى ط : « لأمر » . (٥) الميقعة : خشبة القصار يدق عليها .
(٦) هو الحسين بن واقد .

ثم إن الله عزّ ذكره فيما ذكر أنزل آدم من الجبل الذى أهبطه عليه إلى سفحه ، وملّكه الأرض كلها ، وجميع ما عليها من الجنّ والبهائم والدوابّ والوحش والطير وغير ذلك ، وأن آدم عليه السلام لما نزل من رأس ذلك الجبل ، وفقد كلام أهل السماء ، وغابت عنه أصوات الملائكة ، ونظر إلى سعة الأرض وبسطها ، ولم ير فيها أحداً غيرَه ، استوحش فقال : يا ربّ ، أما لأرضك هذه عامرٌ يسبّحك غيرى !

فأجيب بما حدثنى المثنى بن إبراهيم ، قال : أخبرنا إسحاق بن الحجاج ، قال : حدثنا إسماعيل بن عبد الكريم ، قال : حدثنى عبد الصمد ابن معقِل ، أنه سمع وهباً يقول : إن آدمَ لما أهبِط إلى الأرض فرأى سعتها ولم ير فيها أحداً غيرَه قال : يا ربّ ، أما لأرضك هذه عامر يسبِّح بحمدك ويقدس لك غيرى ! قال الله : إنى سأجعل فيها من ولدك مَنْ يسبّح بحمدى ويقدّسنى ، وسأجعل فيها بيوتاً تُرفع لذكرى ، ويسبِّح فيها خلقى ، ويُذكر فيها اسمى ، وسأجعل من تلك البيوت بيتاً أخصُّه بكرامتى ، وأوثره باسمى ، وأسمِّيه بيتى ، أُنْطقه بعظمتى ، وعليه وضعتُ جلالى . ثم أنا مع ذلك فى كلّ شىء ومع كلّ شىء ؛ أجعل ذلك البيت حرما آمناً يحرُم بحرمته مَنْ حوله ومن تحته ومن فوقه ، فمن حرَّمه بحرمتى استوجب بذلك كرامتى ، ومن أخاف أهله فيه فقد أخْفَر[1] ذمتى ، وأباح حرمتى[2] . أجعله أوّل بيت وُضع للناس ببطن مكة مباركاً ، يأتونه شُعْثاً غبْرًا على كلّ ضامر ، من كل فجّ عميق ، يرجّون بالتلبية رجيجاً ، ويثُجّون بالبكاء ثجيجاً ، ويعجّون بالتكبير عجيجاً ، فمن اعتمده ولا يريد[3] غيره فقد وَفد إلىّ وزارنى وضافنى[4] ، وَحقٌّ على الكريم أن يكرم وفده وأضيافه ، وأن يُسْعِف كلاًّ بحاجته . تعمره يا آدم ما كنت حيًّا ، ثم تعمره الأمم والقرون والأنبياء من ولدك أمة بعد أمة ، وقرناً بعد قرن .

ثم أمر آدم عليه السلام — فيما ذكر — أن يأتىَ البيت الحرام الذى أهبط

(١) أخفر الذمة ، أى نقضها .

(٢) فى ك بعدها : « واستوجب بذلك عقوبتى » .

(٣) ا : « لا يريد » .

(٤) ضافنى ، أى نزل بى ضيفاً ، وفى ك : « فقد وفى لى وزاد فى ضيافتى » .

١٣١/١

له إلى الأرض ، فيطوف به كما كان يرى الملائكة تطوف حول عرش الله ، وكان ذلك ياقوتة واحدة أو درّة واحدة ؛ كما حدثني الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر[1]، عن أبان ، أن البيت أهبط ياقوتةً واحدة أو درة واحدة ، حتى إذا أغرق الله قوم نوح رفعه وبقى أساسه ، فبوّأه الله عزّ وجلّ لإبراهيم فبناه ، وقد ذكرتُ الأخبار الواردة بذلك فيما مضى قبل . ١٣٢/١

* * *

فذكر أن آدم عليه السلام بكى واشتد بكاؤه على خطيئته ، وندم عليها ، وسأل الله عزّ وجلّ قبول توبته ، وغفران خطيئته ، فقال فى مسألته إياه : ما سأل من ذلك ، كما حدثنا أبو كُرَيب ، قال : حدثنا ابن عطية[2] ، عن قيس ، عن ابن أبى ليلى[3]، عن المنهال ، عن سعيد بن جُبَير ، عن ابن عباس : ﴿ فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ﴾[4] قال : أىْ ربّ، ألم تخلقنى بيدك ؟ قال : بلى، قال: أى ربّ، ألم تنفخ فىّ من روحك ؟ قال: بلى، قال: أىْ ربِّ، ألم تسكنّى جنتك ؟ قال: بلى، قال: أىْ ربّ، ألم تسبق رحمتك غضبَك ؟ قال : بلى، قال : أرأيت إن تبتُ وأصلحت أراجعى أنت إلى الجنة؟ قال: بلى، قال: فهو قوله تعالى: ﴿ فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ ﴾.

حدثنى بشر بن معاذ ، قال : حدثنا يزيد بن زُرَيع ، عن سعيد، عن قتادة، قوله تعالى ﴿ فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ ﴾ ذكر لنا أنه قال : يا ربّ: أرأيت إن أنا تبتُ وأصلحت ! قال : إذًا أرجعك[5] إلى الجنة ، قال: وقال الحسن : إنهما قالا : ﴿ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾[6].

حدثنا أحمد بن إسحاق الأهوازىّ ، قال : حدثنا أبو أحمد ، قال: حدثنا سفيان وقيس[7]، عن خُصَيف ، عن مجاهد ، فى قوله عزّ وجلّ :

(١) معمر بن راشد . (٢) هو الحسن بن عطية .

(٣) هو محمد بن عبد الرحمن بن أبى ليلى ، روى عن المنهال بن عمرو .

(٤) سورة البقرة ٣٧ . (٥) ا : «أراجعك» . (٦) سورة الأعراف ٢٣ .

(٧) سفيان الثورى وقيس بن سليم .

﴿ فَتَلَقَّى آدَمُ مِن رَبِّهِ كَلِمَاتٍ ﴾ قال: قوله: ﴿ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾.

حدثني الحارث ، قال : حدثنا ابن سعد ، قال : أخبرنا هشام بن محمد ، قال : أخبرنا أبي ، عن أبي صالح ، عن ابن عباس ، قال : أنزل آدم معه حين أهبط من الجنة الحجر الأسود[1]، وكان أشدّ بياضاً من الثلج ، وبكى آدم وحواء على ما فاتهما – يعني من نعيم الجنة – مائتي سنة ، ولم يأكلا ولم يشربا أربعين يوماً ، ثم أكلا وشربا ، وهما يومئذ على بَوْذ ؛ الجبل الذي أهبط عليه آدم ولم يقرب حواء مائة سنة .

١٢٢/١

حدثنا أبو همام ، قال : حدثني أبي ، قال : حدثني زياد بن خيثَمة ، عن أبي يحيى بائع القتّ ؛ قال : قال لي مجاهد ، ونحن جلوس في المسجد: هل ترى هذا ؟ قلتُ: يا أبا الحجاج ، الحجَر؟ قال : كذلك تقول ؟ قلت : أوَ ليس حجَراً ! قال : فوالله لحدثني عبدُ الله بن عباس أنها ياقوتة بيضاء، خرج بها آدم من الجنة، كان يمسح بها دموعه ، [و][2] أن آدم لم ترقأ دموعه[3] منذ خرج من الجنة حتى رجع إليها ألفيْ سنة ، وما قدر منه إبليس على شيء ، فقلت له : يا أبا الحجاج ، فمن أيّ شيء اسودّ ؟ قال : كان الحُيَّض يلمسْنه في الجاهلية . فخرج آدم عليه السلام من الهند يؤمّ البيت الذي أمره الله عزّ وجلّ بالمصير إليه ، حتى أتاه، فطاف به ، ونَسَكَ المناسك ، فذكر أنه التقى هو وحوّاء بعرفات ، فتعارفا بها ، ثم ازدلف إليها بالمزدلفة ، ثم رجع إلى الهند مع حواء ، فاتخذا مغارة يأويان إليها في ليلهما ونهارهما ، وأرسل الله إليهما ملكاً يُعلّمهما ما يلبسانه ويستتّران به، فزعموا أن ذلك كان من جلود الضأن والأنعام والسباع . وقال بعضُهم : إنما كان ذلك لباسَ أولادهما، فأما آدم وحواء فإن لباسَهما كان ما كانا خَصَفَا على أنفسهما من وَرَق الجنة . ثم إن الله عزّ ذكره مسح ظهر آدم عليه السلام بِنَعْمان من عرفة ؛ وأخرج

---

(١) ا : « أنزل آدم من الجنة الحجر الأسود » .

(٢) من ا

(٣) رقأ الدمع : جف ، وفي ا : « لم ترقأ عينه » .

١/١٣٤ ذرّيته ، فنثرهم بين يديه كالذرّ ، فأخذ مواثيقهم ، وأشهدَهم على أنفسهم: ألستُ بربكم ؟ قالوا : بلى ، كما قال عزّ وجلّ : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى ﴾[١].

وقد حدثني أحمد بن محمد الطوسيّ ، قال : حدثنا الحسين بن محمد ، قال : حدثنا جرير بن حازم ، عن كُلثوم بن جبر ، عن سعيد ابن جُبَير ، عن ابن عباس ، عن النبي صلى الله عليه وسلم ، قال : أخذ الله الميثاق من ظهر آدم بنَعْمان — يعني عرفة — فأخرج من صلبه كلّ ذرية ذرَأها ، فنثرهم بين يديه كالذّرّ ، ثم كلمهم قُبُلاً[٢] ، وقال : ﴿ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾ إلى قوله : ﴿ بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ ﴾[١].

حدثني عمران بن موسى القزاز ، حدثنا عبد الوارث بن سعيد ، قال : حدثنا كلثوم بن جبر ، عن سعيد بن جُبير ، عن ابن عباس في قوله: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى ﴾ ، قال : مسح ربنا ظهر آدم ، فخرجت كلّ نسمة هو خالقها إلى يوم القيامة بنعْمان هذه — وأشار بيده — فأخذ مواثيقهم ، وأشهدهم على أنفسهم : ألست بربكم ؟ قالوا : بلى[٣] .

حدثنا ابن وكيع ويعقوب بن إبراهيم ، قالا : حدثنا ابن عُليّة ، عن كلثوم بن جبر ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس في قوله عزّ وجلّ : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى

١/١٣٥ أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى ﴾ ، قال : مسح ظهر آدم فخرج كلّ نسمة هو خالقُها إلى يوم القيامة بنعمان ، هذا الذى وراء عرفة ، وأخذ ميثاقهم : ألست بربكم ؟ قالوا : بلى شهدنا ؛ واللفظ لحديث يعقوب .

حدثنا ابن وكيع ، قال : حدثنا عمران بن عيَيْنة ، عن عطاء ،

(١) سورة الأعراف ١٧٢ ، ١٧٣ .

(٢) قبلا ، أي عيانا ومشاهدة ، وانظر اللسان ١٤ : ٥٤

(٣) الخبر في التفسير ١٣ : ٢٢٣

عن سعيد بن جُبَير ، عن ابن عباس ، قال : أهبط آدم حين أهبط فمسح الله ظهره ، فأخرَج منه كلّ نسمة هو خالقها إلى يوم القيامة ، ثم قال : ألست بربكم؟ قالوا : بلى ، ثم تلى : ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾؛ فجفّ القلمُ من يومئذ بما هو كائن إلى يوم القيامة .

حدثنا أبو كريب ، قال : حدثنا يحيى بن عيسى ، عن الأعمش ، عن حبيب بن أبي ثابت ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس [في][1] ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ ، قال : لما خلق الله عزّ وجلّ آدم عليه السلام أخذ ذريته من ظهره مثل الذرّ ، فقبض قبضتين ، فقال لأصحاب اليمين : ادخلوا الجنة بسلام ، وقال للآخرين : ادخلوا النار ولا أبالي.

حدثنا إبراهيم بن سعيد الجوهريّ ، قال : حدثنا روح بن عبادة وسعد بن عبد الحميد بن جعفر ، عن مالك بن أنس ، عن زيد بن أبي أُنَيْسَة ، عن عبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب ، عن مسلم بن يسار الجُهَنيّ ؛ أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه سئل عن هذه الآية : ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ ، فقال عمر : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إن الله خلق آدم ثم مسح على ظهره بيمينه ١٣٦/١ واستخرج منه ذرية ، فقال : خلقت هؤلاء للجنة وبعمل أهل الجنة يعملون ، ثم مسح على ظهره فاستخرج منه ذرية فقال : خلقت هؤلاء للنار وبعمل أهل النار يعملون » ، فقال رجل : يا رسول الله ، ففيم العمل ؟ قال : « إن الله تبارك وتعالى إذا خلق العبد للجنة استعمله بعمل أهل الجنة ، [حتى يموت على عملٍ من عمل أهل الجنة][2] فيدخله الجنة ، وإذا خلق العبد للنار استعمله بعملِ أهل النار حتى يموتَ على عملٍ من عمل أهل النار فيدخله النار »[3] .

* * *

وقيل : إنه أخذ ذرية آدم عليه السلام من ظهره بدَحْنا .

---

(١) تكملة من ا

(٢) تكملة من التفسير .

(٣) الخبر فى التفسير ٣ : ٢٢٣

* ذكر من قال ذلك :

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا حَكَّام [١] ، قال : حدثنا عمرو بن قيس ، عن عطاء ، عن سعيد ، عن ابن عباس : ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾. قال: لما خلق الله عزّ وجلّ آدم مسح ظهره بدَحْنا [٢] فأخرج من ظهره كلّ نسمة هو خالقها إلى يوم القيامة، فقال: ألست بربكم ؟ قالوا : بلى ، قال: فيرونْ يومئذ ، جفّ القلم بما هو كائن إلى يوم القيامة" [٣].

* * *

وقال بعضهم : أخرج الله ذرية آدم من صلبه فى السماء قبل أن يُهبطه إلى الأرض ، وبعد أن أخرجه من الجنة .

ذكر من قال ذلك :

حدثنا ابن وكيع ، قال : حدثنا عمرو بن حماد ، عن أسباط ، عن السدّىّ : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى ﴾، قال : أخرج الله آدم من الجنة ولم يهبطه من السماء، ثم إنه مسح من آدم صفحة ظهره اليمنى ، فأخرج منه ذرية كهيئة الذرّ بيضاء مثل اللؤلؤ ، فقال لهم : ادخلوا الجنة برحمتى ، ومسح صفحة ظهره اليسرى ، فأخرج منه كهيئة الذرّ سوداً ، فقال : ادخلوا النار ولا أبالى . فذلك حين يقول : « أصحاب اليمين » و « أصحاب الشمال » . ثم أخذ الميثاق فقال : ألست بربكم ؟ قالوا بلى ، فأعطاه طائفة طائعين ، وطائفة على وجه التقيّة [٤] .

١٣٧/١

---

(١) حكام بن مسلم .	(٢) معجم البلدان : دحنا : بفتح أوله وسكون ثانيه ونون ، وألفه يروى فيها المد والقصر : أرض خلق الله منها آدم .

(٣) الخبر فى التفسير ١٣ : ٢٢٨

(٤) الخبر فى التفسير ١٣ : ٢٤٢

ذكر الأحداث التى كانتْ فى عهد آدم عليه السلام بعد أن أهبط إلى الأرض

فكان أولُ ذلك قتلَ قابيل بن آدم أخاه هابيل ، وأهلُ العلم يختلفون فى اسم قابيل ، فيقول بعضهم : هو قَيْن بن آدم ، ويقول بعضهم : هو قايِين ابن آدم . ويقول بعضهم : [هو] [1] قاين . ويقول بعضهم : هو قابيل .

واختلفوا أيضًا فى السبب الذى من أجله قتله :

فقال بعضهم فى ذلك ما حدثنى به موسى بن هارون الهمْدانىّ ، قال : حدثنا عمرو بن حماد ، قال : حدثنا أسباط ، عن السدىّ — فى خبر ذكره — عن أبى مالك وعن أبى صالح عن ابن عباس — وعن مرّة الهمْدانىّ عن ابن مسعود — وعن ناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : كان[2] لا يولد لآدم مولودٌ إلا ولد معه جارية ، فكان يزوّج غلامَ هذا البطن جاريةَ هذا البطن[الآخر][3] ويزوج جارية هذا البطن غلام هذا البطن الآخر ، حتى وُلد له ابنان ، يقال لهما قابيل وهابيل ، وكان قابيل صاحب زرْع ، وكان هابيل صاحب ضَرْع ، وكان قابيل أكبرَهما ، وكانت له أخت أحسن من أخت هابيل ، وإن هابيل طلب أن ينكح أخت قابيل ، فأبى عليه وقال : هى أختى وُلدت معى ، وهى أحسن من أختك ، وأنا أحقّ أن أتزوّجها ، فأمره أبوه أن يزوّجها هابيل ، فأبى . وإنهما قرّبا قربانًا إلى الله أيّهما أحق بالجارية ، وكان

١٣٨/١

---

(١) تكملة من ا .

(٢) التفسير : « فكان » .

(٣) تكملة من التفسير .

آدم يومئذ قد غاب عنهما وأتى مكة ينظر إليها ، قال الله لآدم : يا آدم، هل تعلم أن لى بيتاً فى الأرض ؟ قال : اللهم لا ، قال : فإن لى بيتاً بمكة فأته، فقال آدم للسماء : احفظى ولدىّ بالأمانة ، فأبت ، وقال للأرض فأبت ، وقال للجبال : فأبت ، فقال لقابيل ، فقال[1] : نعم ، تذهب وترجع وتجد أهلك كما يسرُّك . فلما انطلق آدم قرّبا قرباناً ، وكان قابيل يفخر عليه فيقول : أنا أحقّ بها منك هى أختى ، وأنا أكبر منك ، وأنا وصىُّ والدى ، فلما قرّبا، قرّب هابيل جذَعة سمينة، وقرّب قابيل حُزمة سنبل، فوجد فيها سنبلة عظيمة ففركها فأكلها ، فنزلت النار فأكلت قربان هابيل ، وتركت قربان قابيل ، فغضب وقال : لأقتلنّك حتى لاتنكح أختى ، فقال هابيل : ﴿ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ • لَئِنْ بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ ﴾ ، إلى قوله: ﴿ فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ ﴾[2] ، فطلبه ليقتله، فراغ الغلام منه فى رءوس الجبال، فأتاه يوماً من الأيام وهو يرعى غنمه فى جبل وهو نائم ، فرفع صخرة فشدخَ بها رأسه ، فمات وتركه بالعراء ، لا يعلم كيف يُدْفن، فبعث الله غرابين أخوين فاقتتلا، فقتل أحدُهما صاحبَه، فحفر له ثم حثا عليه ، فلما رآه قال :﴿ يَاوَيْلَتَى أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَٰذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوْءَةَ أَخِي﴾[2]، فهو قوله عزّوجلّ :﴿فَبَعَثَ ٱللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي ٱلْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوَارِي سَوْءَةَ أَخِيهِ﴾[2] . فرجع آدم فوجد ابنه قد قتل أخاه ، فذلك حين يقول الله عزّ وجلّ : ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَاتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ ﴾ — إلى آخر الآية —﴿إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴾[3] يعنى قابيل حين حمل أمانة آدم ، ثم لم يحفظ له أهله[4] .

١٣٩/١

* * *

(١) ط : « قال » ، وما أثبته عن ا والتفسير .
(٢) سورة المائدة ٢٧ — ٣١
(٣) سورة الأحزاب ٧٢
(٤) الخبر فى التفسير ١٠ : ٢٠٦

وقال آخرون : كان السبب فى ذلك أنّ آدم كان يولد له من حواء فى كلّ بطن ذكر وأنثى ، فإذا بلغ الذكر منهما زوّج منه [ولده] [١] الأنثى التى وُلدت مع أخيه الذى ولد فى البطن الآخر ؛ قبله أو بعده .

فرغب قابيل بتوءمته عن هابيل .

كما حدثنى القاسم بن الحسن ، قال : حدثنا الحسين ، قال : حدثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال : أخبرنى عبد الله بن عثمان بن خُثيم ، قال : أقبلت مع سعيد بن جُبَير أرمى الجمرة ، وهو متقنّع متوكّئ على يدى ؛ حتّى إذا وازينا [٢] بمنزل سمرة الصواف ، وقف يحدّثنى عن ابن عباس ، قال : نُهِيَ أن تنكح المرأة أخاها توءمها ، وينكحها غيرُه من إخوتها ، وكان يولد فى كلّ بطن رجل وامرأة ، فوُلِدت امرأة وسيمة ووُلِدت امرأة قبيحة ، فقال أخو الدميمة : أنكحنى أختك وأنكحك أختى ، قال : لا ، أنا أحق بأختى ، فقربا قرباناً فتُقُبِّل من صاحب الكبش ، ولم يُتَقبَّلْ من صاحب الزرع ، فقتله ، فلم يزل ذلك الكبش محبوساً عند الله عزّ وجلّ حتى أخرجه فداء إسحاق ، فذبحه على هذا الصّفا ، فى ثَبِير ، عند منزل سَمُرة الصواف ، وهو على يمينك حين ترْمى الجِمار . [٣]

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثنا محمد بن إسحاق ، عن بعض أهل العلم من أهل الكتاب الأوّل ، أن آدم عليه السلام كان يغشى حواء فى الجنة قبل أن تصيب الخطيئة ، فحملت له بقيْن بن آدم وتوءمته ، فلم تجد عليهما وحَماً ولا وصَباً ، ولم تجد عليهما طلْقاً حين ولدتهما ، ولم تر معهما دماً لطهر الجنة ، فلما أكلا من الشجرة وأصابا المعصية ، وهبطا إلى الأرض واطمأنا بها تغشّاها ، فحملت بهابيل وتوءمته ، فوجدت عليهما الوحمَ والوصب ، ووجدت حين ولدتهما الطلْق [٤] ورأت معهما الدم ، وكانت حواء — ١٤٠/١

(١) تكملة من ا

(٢) ا ، ر ، س ، ن : «وارينا» .

(٣) الخبر فى التفسير ١٠ : ٢٢٣ .

(٤) الطلق : وجع الولادة

فيما يذكرون – لا تحمل إلا توءماً ذكراً وأنثى ، فولدت حواء لآدم أربعين ولداً لصلبه(١) من ذكر وأنثى فى عشرين بطناً ، وكان الرجل منهم أىّ أخواته شاء تزوج(٢) إلا توءمته التى تولد معه (٣) ، فإنها لا تحلّ له ، وذلك أنه لم يكن نساء يومئذ إلا أخواتهم وأمهم حواء .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، عن بعض أهل العلم بالكتاب الأول(٤) أن آدم أمر ابنه قيناً(٥) أن ينكح توءمته هابيل، وأمر هابيل أن يُنكح أخته توءمته قينا ، فسلّم لذلك هابيل ورضىَ ، وأبى ذلك قين وكره تكرّماً عن أخت هابيل ، ورغب بأخته عن هابيل ، وقال ، نحن ولادة الجنة ، وهما من ولادة الأرض ، وأنا أحق بأختى – ويقول بعض أهل العلم من أهل الكتاب الأول : بل كانت أخت قَيْن من أحسن الناس ، فضنّ بها عن أخيه ، وأرادها لنفسه – والله أعلم أىّ ذلك كان – فقال له أبوه : يا بنىّ إنها لا تحلّ لك ، فأبى قَيْن أن يقبل ذلك من قول أبيه ، فقال له أبوه : يا بنىّ ، فقرِّب قرباناً ، ويقرّب أخوك هابيل قرباناً ، فأيّكما قبل الله قربانه فهو أحقّ بها ، وكان قَين على بَذْر الأرض ، وكان هابيل على رعاية الماشية ، فقرّب قَين قمحاً ، وقرب هابيل أبكاراً من أبكار غَنَمه – وبعضهم يقول : قرّب بقرة – فأرسل الله جلّ وعزّ ناراً بيضاء ، فأكلت قربان هابيل وتركت قربان قين(٦) . وبذلك كان يُقبل القربان إذا قبله الله عزّ وجلّ ؛ فلما قبل الله قربان هابيل – وكان فى ذلك القضاء له بأخت قَيْن – غضب قَيْن ، وغلب عليه الكِبْر واستحوذ عليه الشيطان ، فاتبع أخاه هابيل ، وهو فى ماشيته فقتله ، فهما اللذان قصّ الله خبرهما فى القرآن على محمد صلى الله عليه وسلم ؛ فقال : ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ﴾ يعنى أهل الكتاب ﴿نَبَأَ ابْنَىْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا

١٤١/١

(١) ر : « من صلبه » .
(٢) فى ط : « يتزوج » ، وأثبت ما فى ا وابن الأثير ١ : ٢٥
(٣) فى ط : « ولدت » ، وأثبت ما فى ا وابن الأثير .
(٤) فى جميع الأصول : « عن الكتاب الأول » ، وما أثبته من التفسير .
(٥) فى التفسير « قابيل » ، وكذلك حيث ورد فى باقى الخبر .
(٦) الخبر إلى هنا فى التفسير ١٠ : ٢٠٥ .

فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا ﴾[1] إلى آخر القصة، قال : فلما قتله سُقِط فى يديه، ولم يدر كيف يُواريه، وذلك أنه كان — فيما يزعمون — أولَ قتيل من بنى آدم: ﴿ فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوَارِي سَوْءَةَ أَخِيهِ قَالَ يَا وَيْلَتَى أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوْءَةَ أَخِي. ﴾ إلى قوله : ﴿ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ فِي الْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ ﴾[1]

قال : ويزعم أهل التوراة أن قَيْنًا[2] حين قتل أخاه هابيل، قال الله له : أين أخوك هابيل ؟ قال : ما أدرى، ما كنت عليه رقيباً ؛ فقال الله له : إن صوتَ دم أخيك لَيناديني من الأرض ! الآن أنت ملعون من الأرض التى فتحتْ فاها ، فتلقّتْ دم أخيك من يدك، فإذا أنت عملت فى الأرض ، فإنها لا تعود ١/١٤٢ تعطيك حرثها حتى تكونَ فزعاً تائهاً فى الأرض، فقال قين : عَظُمَتْ خطيئتى من أن تغفرها ، قد أخرجتنى اليوم عن وجه الأرض [وأتوارى][3] من قدامك، وأكون فزعاً تائهاً فى الأرض، وكلّ من لقيَنى ؛ قتلنى. فقال الله عزّ وجلّ : ليس ذلك كذلك ؛ فلا يكون كلّ من قتل قتيلاً يجزى بواحد سبعة ، ولكن من قتل قيناً يجزى سبعة ، وجعل الله فى قين آية لئلا يقتله كلّ مَنْ وجده، وخرج قين من قدام الله عزّ وجلّ من شرقىّ عدن الجنة[4] .

* * *

وقال آخرون فى ذلك : إنما كان قتل القاتل منهما أخاه أن الله عزّ وجلّ أمرهما بتقريب قربان ، فتقبِّل قربان أحدهما ، ولم يتقبل من الآخر ، فبغاه الذى لم يتقبّل قربانه فقتله .

• ذكر من قال ذلك :

حدثنا ابن بشار ، قال : حدثنا محمد بن جعفر ، قال : حدثنا

---

(١) سورة المائدة ٢٧ — ٣٢

(٢) فى التفسير : «قابيل» .

(٣) تكملة من ا والتفسير .

(٤) الخبر فى التفسير ١٠ : ٢٢٨

عوف ، عن أبي المغيرة ، عن عبد الله بن عمرو ، قال : إن ابنَيْ آدم اللذيْن قربا قرباناً فتقبِّل من أحدهما ولم يتقبل من الآخر كان أحدُهما صاحب حرث ، والآخرُ صاحب غنم ، وأنهما أُمِرا أن يقرّبا قرباناً ، وأن صاحب الغنم قَرَّب أكرم غنمه وأسمنها وأحسنها ، طيّبة بها نفسه ، وأن صاحب الحرث قرّب ، شرَّ حرثه : الكوزر[1] والزُّوان ، غير طيبة بها نفسه ، وأن الله عزّ وجلّ تقبل قربان صاحب الغنم ، ولم يتقبل قربان صاحب الحرث ، وكان من قصتّهما ما قصّ الله فى كتابه وقال : ايمُ الله ، إن كان المقتول لأشدّ الرجلين ، ولكن منعه التحرُّج أن ينبسط[2] إلى أخيه[3] .

١٤٣/١

وقال آخرون بمـــا حدثنى به محمد بن سعد ، قال : حدثنى أبى ، قال : حدثنى عمى ، قال : حدثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قال : كان من شأنهما أنه لم يكن مِسكين يُتَصدّق عليه ، وإنما كان القربان يقرّبه الرجل ، فبينا ابنا آدم قاعدان إذ قالا : لو قربنا قرباناً ! وكان الرجلُ إذا قرّب قرباناً فرضيَه الله عزّ وجلّ أرسل إليه ناراً فأكلته ، وإن لم يكن رضيه الله خبت النار ، فقرّبا قرباناً ، وكان أحدهما راعياً والآخر حراثاً ، وإنّ صاحب الغنم قرّب خيرَ غَنَمِه وأسمنها ، وقرّب الآخر بعض زرعه ، فجاءت النار فنزلت [بينهما][4] فأكلت الشاة وتركت الزرع ، وإن ابن آدم قال لأخيه : أتمشى فى الناس ، وقد علموا أنك قرّبت قرباناً فتقبّل منك ورُدّ علىَّ قربانى ! فلا والله لا ينظر الناس إلىّ وإليك وأنت خير منى ، فقال : لأقتلنّك ، فقال له أخوه : ما ذنبى ! إنما يتقبّل الله من المتقين[5] .

* * *

وقال آخرون : لم تكن قصة هذين الرجلين فى عهد آدم ، ولا كان القربان

---

(١) ط : « الكوذر » ، وفى التفسير : « الكوزن » ، وأثبت ما فى ا ، ر ، ك .

(٢) فى ط والتفسير : « يبسط » ، وأثبت ما فى ا

(٣) الخبر فى التفسير ١٠ : ٢٠٢

(٤) الخبر فى التفسير ١٠ : ٢٠٣

(٥) تكملة من ا والتفسير .

فى عصره ، وقالوا : إنما كان هذان رجلين من بنى إسرائيل، وقالوا : إن أوّل ميّت مات فى الأرض آدم عليه السلام، لم يمت قبله أحد .

• ذكر من قال ذلك :

حدثنا سفيان بن وكيع ، قال : حدثنا سهل بن يوسف ، عن عمرو ، عن الحسن ، قال : كان الرجلان اللذان فى القرآن قال الله عزّ وجلّ فيهما : ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ﴾ من بنى إسرائيل ، ولم يكونا ابنىْ آدم لصلبه،وإنما كان القربان فى بنى إسرائيل، وكان آدم أول من مات[1] . ١/١٤٤

• • •

وقال بعضهم : إنّ آدم غشِيَ حواء بعد مهبطهما إلى الأرض بمائة سنة ، فولدت له قابيل وتوءمته قليما فى بطن واحد ، ثم هابيل وتوءمته فى بطن واحد ، فلما شبُّوا أراد آدم عليه السلام أن يزوّج أخت قابيل التى ولدت معه فى بطن واحد من هابيل ، فامتنع من ذلك قابيل، وقرّبا بهذا السبب قرباناً فتقبّل قربان هابيل ، ولم يتقبّل قربان قابيل ، فحسده قابيل ، فقتله عند عقبة حِرى[2] ثم نزل قابيل من الجبل ، آخذاً بيد أخته قليما ، فهرب بها إلى عدن من أرض اليمن .

حدثنى بذلك الحارث ، قال : حدثنا ابن سعد ، قال : أخبرنى هشام ، قال : أخبرنى أبى ، عن أبى صالح ، عن ابن عباس ، قال : لما قتل قابيل أخاه هابيل أخذ بيد أخته ثم هبط بها من جبل بَوْذ إلى الحضيض، فقال آدم لقابيل : اذهب فلا تزال مرعوباً لا تأمن منْ تراه ، فكان لا يمرّ به أحد من ولده إلا رماه، فأقبل ابنٌ لقابيل أعمى ، ومعه ابن له، فقال للأعمى ابنه : هذا أبوك قابيل ، فرمى الأعمى أباه قابيل فقتله ، فقال ابن الأعمى : قتلت

---

(١) الخبر فى التفسير ١٠ : ٢٠٨ .

(٢) كذا فى ا ، ك ، وفى ط : «حراء» .

يا أبتاه أباك، فرفع الأعمى يده، فلطم ابنه فمات ابنه، فقال الأعمى: ويل لى ! قتلتُ أبى برميتى ، وقتلت ابنى بلطمتى !

وذكر فى التوراة أن هابيل قُتل وله عشرون سنة ، وأن قابيل كان له يوم قتله خمس وعشرون سنة .

* * *

والصحيح من القول عندنا أنّ الذى ذكر اللهُ فى كتـــابه أنه قتل أخاه من ابنىْ آدم هو ابن آدم لصلبه ، لنقل الحجّة أن ذلك كذلك ، وأن

١٤٥/١ هنّاد بن السرىّ حدثنا ، قال: حدثنا أبو معاوية ووكيع جميعاً عن الأعمش . — وحدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا جرير . وحدثنا ابن وكيع ، قال : حدثنا جرير وأبو معاوية عن الأعمش — عن عبد الله بن مرة ، عن مسروق ، عن عبدالله[1] ، قال: قال النبى صلى الله عليه وسلم : « ما من نفس تُقتل ظلماً إلا كان على ابن آدم الأوّل كِفلٌ منها » ، وذلك لأنه أولُ مَنْ سَنَّ القتل .

حدثنا ابن بشار ، قال : حدثنا عبد الرحمن بن مهدىّ — وحدثنا ابن وكيع قال : حدثنا أبى — جميعًا عن سفيان[2] ، عن الأعمش ، عن عبد الله بن مرة ، عن مسروق ، عن عبد الله ، عن النبى صلى الله عليه وسلم نحوه[3] .

فقد بيّن هذا الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم صحةَ قول مَنْ قال: إن اللذيْن قصّ الله فى كتابه قصّتهما من ابنى آدم كانا ابنيْه لصلبه ؛ لأنه لاشكّ أنهما لو كانا من بنى إسرائيل — كما رُوِى عن الحسن — لم يكن الذى وُصف منهما بأنه قتل أخاه أوّل منْ سنّ القتل ، إذ كان القتل فى بنى آدم قد كان قبل إسرائيل وولده .

* * *

فإن قال قائل: فما برهانك على أنهما ولدا آدم لصلبه ، وأن لم يكونا من بنى إسرائيل ؟

---

(١) مسروق بن الأجدع ، روى عن عبد الله بن مسعود . (٢) سفيان الثورى .

(٣) الخبر فى التفسير ١٠ : ٢١٤ .

قيل : لا خلافَ بين سلف علماء أمتنا فى ذلك، إذا فسدَ قولُ من قال : كانا من بنى إسرائيل .

* * *

وذكر أن قابيل لما قتل أخاه هابيل بكاه آدم عليه السلام فقال — فيما حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن غياث بن إبراهيم ، عن أبى إسحاق الهمْدانىّ، قال : قال[1] علىّ بن أبى طالب كرم الله وجهه : لما قتل ابن آدم أخاه بكاه آدم ، فقال :

١/١٤٦

تَغَيَّرَتِ الْبِلَادُ وَمَنْ عَلَيْهَا ... فَوَجْهُ الأرضِ مُغْبرٌّ قبيحُ[2]

تَغَيَّرَ كُلُّ ذِى طَعْمٍ وَلَوْنٍ ... وَقَلَّ بَشَاشَةُ الوجه المليحِ

قال : فأجيب آدم عليه السلام :

أبا هابيلَ قَدْ قُتِلا جَميعاً ... وصار الحىُّ كالمْيت الذبيحِ[3]

وجاء بِشِرَّةٍ قَدْ كَانَ مِنْهَـــا ... على خَوْفٍ فجاء بها يَصِيحُ[4]

* * *

وذكر أن حواء ولدت لآدم عليه السلام عشرين ومائة بطن ، أولهم قابيل وتوءمته قليما ، وآخرهم عبد المغيث وتوءمته أمة المغيث .

وأما ابن إسحاق فذُكِر عنه ما قد ذكرتُ قبل؛ وهو أنّ جميعَ ما ولدته حواء لآدم لصلبه أربعون من ذكر وأنثى فى عشرين بطناً ، وقال : قد بلغنا أسماء بعضهم ولم يبلغنا بعض .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : فكان منْ بلغنا اسمه خمسة عشر رجلا وأربع نسوة؛ منهم قين وتوءمته ، وهابيل وليوذا[5] وأشوث بنت آدم وتوءمها ، وشيث[6] وتوءمته ، وحزورة وتوءمها ؛ على

(١) الخبر فى التفسير ١٠ : ٢٠٩

(٢) التفسير : « فلون » .

(٣) ا ، س ، ك : « بالميت » .

(٤) فى الأبيات إقواء .

(٥) ن : « كيوذا » .

(٦) ا : « شث » .

ثلاثين ومائة سنة من عمره . ثم أباد[١] بن آدم وتوءمته ، ثم بالغ[٢] بن آدم وتوءمته ، ثم أثاثى[٣] بن آدم وتوءمته ، ثم توبة[٤] بن آدم وتوءمته ، ثم بنان[٥] ابن آدم وتوءمته ، ثم شبوبة[٦] بن آدم وتوءمته ، ثم حيان بن آدم وتوءمته ، ثم ضرابيس[٧] بن آدم وتوءمته ، ثم هدز[٨] بن آدم وتوءمته ، ثم يحود[٩] بن آدم وتوءمته ، ثم سندل بن آدم وتوءمته ، ثم بارق بن آدم وتوءمته ، كلُّ رجل منهم تولد معه امرأة فى بطنه الذى يُحْمَل به فيه .

١٤٧/١

* * *

وقد زعم أكثر علماء الفرس أن جيُو مَرْت هو آدم ، وزعم بعضهم أنه ابن آدم لصلبه من حواء .

وقال فيه غيرهم أقوالا كثيرة ، يطول بذكر أقوالهم الكتاب ، وتركنا ذكر ذلك إذ كان قصدُنا فى كتابنا هذا ذِكْر الملوك وأيامهم ، وما قد شرطنا فى كتابنا هذا أنّا ذاكروه فيه ، ولم يكن ذكرُ اختلاف المختلِفين فى نسب ملك من جنس ما أنشأنا له صنعةَ الكتاب ، فإن ذكرْنا من ذلك شيئاً فلتعريف من ذكرنا؛ ليعرفه منْ لم يكن به عارفاً؛ فأما ذكر الاختلاف فى نسبة فإنه غير المقصود به فى كتابنا هذا .

* * *

وقد خالف علماءَ الفرس فيما قالوا من ذلك آخرون من غيرهم ممن زعم أنه آدم ، ووافق علماءُ الفرس على اسمه وخالفه فى عينه وصفته ، فزعم أن

---

(١) كذا فى ا ، ن ، وفى ط : « إياد » .
(٢) ك : « بالع » .
(٣) ا : « أثاث » ، ر : « إياثى » .
(٤) ر : « ثوبة » .
(٥) ا ، ن : « بيان » ، ر : « لبنان » .
(٦) ر : « ثوبه » ، ك : « شوبة » ، ن : « سبوبة » .
(٧) س : « صرابيس » .
(٨) ا : « هزر » ، س : « هوز » ، ك : « هرز » ، ن : « هدن » .
(٩) ا : « نجود » ، س : « يحور » ، ن : « بحود » .

جُيومَرْت[١] الذى زعمت الفرس أنه آدم عليه السلام إنما هو جامر[٢] بن يافث ابن نوح ، وأنه كان معمراً سيِّدا ، نزل جبل دُنْبَاوَنْد[٣] من جبال طبَرِستان من أرض المشرق ، وتملَّك بها وبفارس ، ثم عظُم أمره وأمر ولده ، حتى ملكوا بابل ، وملكوا فى بعض الأوقات الأقاليم كلَّها ، وأن جُيومَرْت منع من البلاد ما صار إليه ، وابتنى المدن والحصون وعمَّرها ، وأعدَّ السلاح ، واتخذ الخيل ، وأنه تجبّر فى آخر عمره ، وتسمى بآدم ؛ وقال : مَنْ سمانى بغير هذا الاسم ضربتُ عنقه ، وأنه تزوج ثلاثين امرأة ، فكثر منهن نسلُه ، وأن مارى[٤] ابنه وماريانه[٥] أخته ، ممن كان ولد له فى آخر عمره ، فأعجب بهما وقدّمهما ، فصار الملوك بذلك السبب من نسلهما ، وأن ملكَه اتسع وعظُم .

١٤٨/١

وإنما ذكرت من أمر جيُومَرْت فى هذا الموضع ما ذكرت ، لأنه لا تدافُعَ بين علماء الأمم أن جيومرت هو أبو الفرس من العجم ؛ وإنما اختلفوا فيه : هل هو آدم أبو البشر على ما قاله الذين ذكرنا قولهم أم هو غيره ؟ ثم مع ذلك فلأنّ ملكه وملك أولاده لم يزلْ منتظماً على سياق ، متسقاً بأرض المشرق وجبالها إلى أن قتل يَزْدَجِرْد بن شهريار من ولد ولده بمَرْو – أبعده الله – أيام عثمان بن عفان رضى الله عنه ، فتأريخ ما مضى من سنى العالم على أعمار ملوكهم أسهلُ بياناً ، وأوضح مناراً منه على أعمار ملوك غيرهم من الأمم ؛ إذ لا تُعلم أمة من الأمم الذين ينتسبون إلى[٦] آدم عليه السلام دامت لها المملكة ، واتصل لهم[٧] الملك ، وكانت لهم ملوك تجمعهم ، ورءوس تحامى عنهم من ناوأهم ، وتغالب بهم من عَازَّهم ، وتدفع ظالمهم عن مظلومهم ، وتحملهم من الأمور على ما فيه حظهم

(١) جيومرت ، كذا كتب فى الأصول ، بالجيم والتاء المثناة ، وكذا فى الشاهنامة ١ : ١٣ ، ومعناه عند الفرس اسم الإنسان الأول .

(٢) ر ، وابن الأثير ١ : ٢٨ : « حام بن يافث » .

(٣) دنباوند ، ضبطه ياقوت بضم أوله وسكون ثانيه وبعدها باء موحدة ، وبعد الألف واو ثم نون ساكنة وآخره دال ، قال : « ويقال دباوند : جبل من نواحى الرى » . وفى س : « دبياوند » .

(٤) ك : « أمارى » .

(٥) ر : « ماريانة » ، س : « ماريا » ، ك : « ماربانة » .

(٦) ا : « ينسبون » .

(٧) ا : « بها » .

على اتصال ودوام ونظام، يأخذ ذلك آخرهم عن أولهم، وغابرهم عن سالفهم — سواهم ، فالتأريخ على أعمار ملوكهم أصحُّ مخرجاً ، وأحسن وضوحاً .

* * *

وأنا ذاكر ما انتهى إلينا من القول فى عمر آدم عليه السلام وأعمار مَنْ كان بعده من ولده الذين خلفوه فى النبوة والملك، على قول من خالف قول الفرس الذين زعموا أنه جيُومَرْت، وعلى قول من قال: إنه هو جيومرت أبو الفرس، وذاكر ما اختلفوا فيه من أمرهم إلى الحال التى اجتمعوا عليها ، فاتفقوا على مَنْ ملك منهم فى زمان بعينه أنه كان هو الملك فى ذلك الزمان إن شاء الله ، ولا حول ولا قوة إلا بالله ، ثم سائق ذلك كذلك إلى زماننا هذا .

١٤٩/١

* * *

ونرجع الآن إلى الزيادة فى الإبانة عن خطإ قول من قال : إن أول ميت كان فى أول الأرض آدم ، وإنكاره الذين قصّ الله نبأهما فى قوله : ﴿ وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَاناً ﴾ [1] ، أن يكونا من صُلْب آدم من أجل ذلك .

فحدثنا محمد بن بشار ، قال : حدثنا عبد الصمد بن عبد الوارث ، قال : حدثنا عمر بن إبراهيم، عن قتادة، عن الحسن، عن سَمُرَة بن جُندَب، عن النبي عليه السلام قال : «كانت حواء لا يعيش لها ولد ، فنذرت لئن عاش لها ولد لتسمينّه عبد الحارث ، فعاش لها ولد فسمّته عبد الحارث، وإنما كان ذلك عن وحى الشيطان [2] » .

وحدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن داود بن الحصين ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : كانت حواء تلد لآدم فتُعبِّدهم الله [3] عزّ وجلّ وتسميهم : عبد الله ، وعبيد الله، ونحو ذلك،

---

(١) سورة المائدة ٢٧ .

(٢) الخبر فى التفسير ١٣ : ١٩٠

(٣) ا والتفسير : «لله» .

فيصيبهم الموت ، فأتاها إبليس وآدمَ عليه السلام ؛ فقال: إنكما لو تسمّيانه بغير الذى تسميانه به لعاش، فولدت له ذكراً، فسمّياه عبد الحارث ؛ ففيه أنزل الله عزّ ذكره، يقول الله عزّ وجلّ: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾؛ إلى قوله: ﴿جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا﴾[١] إلى آخر الآية[٢].

١٥٠/١ حدثنا ابن وكيع ، قال : حدثنا ابن فضيل ، عن سالم بن أبى حفصة ، عن سعيد بن جُبير : ﴿فَلَمَّا أَثْقَلَتْ دَعَوَا اللَّهَ رَبَّهُمَا﴾ إلى قوله: ﴿فَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾[١].

قال: ولما حملت حواء فى أول ولد ولدته حين أثقلت أتاها إبليسُ قبل أن تلد فقال : يا حواء ، ما هذا فى بطنك ؟ فقالت: ما أدرى مَنْ ؟ فقال : أين يخرج ؟ من أنفك ؟ أو من عينك ؟ أو من أذنك ؟ قالت : لا أدرى ، قال : أرأيتِ إن خرج سليما أمطيعتى أنتِ فيما آمركِ به ؟ قالت: نعم ، قال : سمّيه عبد الحارث — وقد كان يسمّى إبليس لعنه الله الحارث — فقالت: نعم، ثم قالت بعد ذلك لآدم : أتانى آت فى النوم فقال لى: كذا وكذا، فقال: إن ذاك الشيطان فاحذريه، فإنه عدوّنا الذى أخرجنا من الجنة، ثم أتاها إبليس لعنه الله فأعاد عليها ، فقالت : نعم ، فلما وضعته أخرجه الله سليما فسمّته عبد الحارث ، فهو قوله: ﴿جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا﴾ إلى قوله: ﴿فَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾[٣].

حدثنا ابن وكيع ، قال : حدثنا جرير وابن فضيل [٤] ، عن عبد الملك[٥]، عن سعيد بن جبير ، قال : قيل له : أشْرَكَ آدم ؟ قال : أعوذ بالله أن أزعم أن آدم عليه السلام أشْرَك ! ولكن حواء لما أثقلت أتاها إبليسُ

---

(١) سورة الأعراف ١٨٩ ، ١٩٠
(٢) الخبر فى التفسير ١٣ : ٣٠٩
(٣) الخبر فى التفسير ١٣ : ٣١٣
(٤) محمد بن فضيل بن غزوان .
(٥) عبد الملك بن أبى سليمان .

فقال لها : منْ أين يخرج هذا ؟ من أنفك ، أو من عينك ، أو من فيك ؟ فقنَّطها؛ ثم قال: أرأيت إن خرج سويا – قال ابن وكيع : زاد ابن فضيل : «لم يضرّك ولم يقتلك» – أتطيعني؟ قالت: نعم ، قال: فسمّيه عبد الحارث ، ففعلت – زاد جرير : فإنما كان شركه فى الاسم[1] .

حدثنا موسى بن هارون ، قال : حدثنا عمرو بن حماد ، قال :
١٥١/١ حدثنا أسباط ، عن السدىّ : فولدت – يعنى حواء – غلاماً ، فأتاها إبليس فقال : سمّوه عبدى ، وإلا قتلته، قال له آدم : قد أطعتُك وأخرجتَنى من الجنة . فأبى أن يطيعه ؛ فسماه «عبد الرحمن»، فسلّط عليه إبليس لعنه الله فقتله، فحملت بآخر فلما ولدته ، قال : سميه عبدى وإلا قتلته ، قال له آدم عليه السلام: قد أطعتك فأخرجتنى من الجنة . فأبى فسماه صالحاً ، فقتله ، فلما كان الثالث قال لهما : فإذ غلبتمونى فسمّوه عبد الحارث، وكان اسم إبليس الحارث ، – وإنما سمى إبليس حين أبْلَس (تحيَّر)[2] – فذلك حين يقول الله عزّ وجلّ: ﴿ جَعَلَا لَهُ شُرَكَاء فِيمَا آتَاهُمَا ﴾ – يعنى فى الأسماء[3].

* * *

فهؤلاء الذين ذكرت الرواية عنهم بما ذكرت؛ من أنه مات لآدم وحواء أولاد قبلهما ، ومَنْ لم نذكر أقوالهم ممن عددُهم أكثر من عدد مَنْ ذكرت قوله والرواية عنه، قالوا خلاف قول الحسن الذى روى عنه أنه قال : أول من مات آدم عليه السلام .

وكان آدم مع ما كان الله عزّ وجلّ قد أعطاه من ملك الأرض والسلطان فيها قد نبّأه ، وجعله رسولا إلى ولده ، وأنزل عليه إحدى وعشرين صحيفة كتبها آدم عليه السلام بخطه ، علّمه إياها جبرئيل عليه السلام .

وقد حدثنا أحمد بن عبد الرحمن بن وهب ، قال : حدثنـــا عمّى ،
١٥٢/ قال : حدثنى الماضى بن محمد ، عن أبى سليمان ، عن القاسم بن محمد ، عن

---

(١) الخبر فى التفسير ١٣ : ٣١٣
(٢) ط : «تحيرا» تصحيف .
(٣) الخبر فى التفسير ١٣ : ٣١٣

أبى إدريس الخولانىّ ، عن أبى ذرّ الغفارىّ ، قال : دخلت المسجد فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم جالس وحده، فجلست إليه فقال لى : «يا أبا ذرّ ، إن للمسجد تحية وإن تحيته ركعتان ، فقم فاركعهما»، فلما ركعتهما جلست إليه فقلت : يا رسول الله، إنك أمرتنى بالصلاة فما الصلاة ؟ قال: «خيرُ موضوع ، استكثر أو استقلّ» ، ثم ذكر قصة طويلة قال فيها: قلت : يا رسول الله ، كم الأنبياء؟ قال: «مائة ألف وأربعة وعشرون ألفاً»، قال: قلت: يا رسول الله ، كم المرسل من ذلك؟ قال: «ثلثمائة وثلاثة عشر جمًّا غفيراً» ، يعنى كثيراً طيباً، قال : قلت يا رسول الله ، من كان أولهم ؟ قال : «آدم »، قال: قلت يا رسول الله، وآدم نبىّ مرسل؟ قال : «نعم خلقه الله بيده ، ونفخ فيه من روحه، ثم سواه قُبُلاً» .[1]

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثنى محمد ابن إسحاق ، عن جعفر بن الزبير ، عن القاسم بن عبد الرحمن ، عن أبى أمامة ، عن أبى ذرّ قال: قلت، يانبى الله ، أنبيًّا كان آدم ؟ قال: «نعم، كان نبيًّا ، كلّمه الله قُبُلا » .

وقيل: إنه كان مما أنزل الله تعالى على آدم تحريم الميتة والدم ولحم الخنزير وحروف المعجم فى إحدى وعشرين ورقة .

---

(١) قبلا ، أى عيانا .

ذكر ولادة حواء شيثاً

ولما مضى لآدم صلى الله عليه وسلم من عمره مائة وثلاثون سنة ، وذلك بعد قتل قابيل هابيل بخمس سنين ، ولدت له حواء ابنه شيثاً ، فذكر أهل التوراة أن شيثاً ولد فرداً بغير توءم ، وتفسير « شيث » عندهم « هبة الله » ، ومعناه أنه خلف من هابيل .

حدثني الحارث بن محمد ، قال : حدثني ابن سعد ، قال : أخبرنا هشام ، قال : أخبرني أبي ، عن أبي صالح ، عن ابن عباس ، قال : ولدت حواء لآدم شيثا وأخته عزورا[1] ، فسمّي هبة الله ، اشتُق له من هابيل ، قال لها جبرئيل حين ولدته : هذا هبة الله بدل هابيل ، وهو بالعربية شثّ ، وبالسريانية شاث ، وبالعبرانية شيث ، وإليه أوصى آدم ، وكان آدم يوم ولد له شيث ابن ثلاثين ومائة سنة . ١٥٢/١

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، قال : لما حضرت آدم الوفاة — فيما يذكرون والله أعلم — دعا ابنه شيثا فعهد إليه عهده ، وعلّمه ساعات الليل والنهار ، وأعلمه عبادة الخلق في كلّ ساعة منهنّ ، فأخبره أنّ لكل ساعة صنفاً من الخلق فيها عبادته . وقال له : يا بنيّ إن الطوفان سيكون في الأرض يلبث فيها سبع سنين . وكتب وصيته ، فكان شيث — فيما ذكر — وصيّ أبيه آدم عليه السلام ، وصارت الرياسة من بعد وفاة آدم لشيث ، فأنزل[2] الله عليه فيما روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم خمسين صحيفة .

حدثنا أحمد بن عبد الرحمن بن وهب ، قال : حدثنا عمّي ، قال : حدثنا الماضي بن محمد ، عن أبي سليمان ، عن القاسم بن محمد ، عن أبي إدريس الخولانيّ ، عن أبي ذرّ الغفاريّ ، قال : قلت : يا رسول الله ، كم

(١) كذا في ا ، ن وفي ط : « حزورا » .
(٢) ا : « وأنزل » .

كتاب أنزله الله عزّ وجلّ ؟ قال : « مائة كتاب وأربعة كتب ، أنزل الله على شيث خمسين صحيفة » .

* * *

وإلى شيث أنسابُ بنى آدم كلّهم اليوم ؛ وذلك أن نسل سائر ولد آدم غير نسل شيث ، انقرضوا وبادوا فلم يبق منهم أحد ، فأنسابُ الناس كلهم اليوم إلى شيث عليه السلام .

١٠٤/١

* * *

وأما الفرس الذين قالوا إن جيُومَرْت هو آدم ؛ فإنهم قالوا : ولد لجيومَرْت ابنه ميشى ، وتزوج ميشى[١] أخته ميشانه فولدت له سيامك بن ميشى ، وسيامى ابنة ميشى ، فولد لسيامك بن ميشى بن جيومرت أفرواك ، وديس ، وبراسب ، وأجوب[٢] ، وأوراش[٣] بنو سيامك ، وأفرى ، ودذى[٤] ، وبرى[٥] وأوراشى بنات سيامك ، أمهم جميعاً سيامى بنت ميشى ، وهى أخت أبيهم .

وذكروا أن الأرض كلّها سبعة أقاليم ، فأرض بابل وما يوصل إليه مما يأتيه الناس برًّا أو بحراً فهو إقليم واحد ، وسكانه نسل ولد أفرواك بن سيامك وأعقابهم ، وأما الأقاليم الستة الباقية التى لا يوصل إليها اليوم برا أو بحراً فنسلُ سائر ولد سيامك ، من بنيه وبناته .

فولد لأفرواك بن سيامك من أفرى بنت سيامك هوشَنْك بيشداذ الملك ، وهو الذى خلّف جدّه جيُومَرْت فى الملك ، وأول منْ جمع له ملك الأقاليم السبعة ، وسنذكر أخباره إن شاء الله إذا انتهينا إليه . وكان بعضهم يزعم أن أوشَهنج هذا ، هو ابن آدم لصلبه من حواء .

وأما هشام الكلبىّ فإنه فيما حدّثتُ عنه قال : بلغنا والله أعلم — أول ملك مَلك الأرض أوشهنق بن عابر بن شالخ بن أرفخشذ بن سام بن نوح . قال :

---

(١) كذا فى ا ، والشاهنامة ؛ وفى ط : « مشا ... ميشان » ، وانظر الشاهنامة وحواشيها ١ : ١٤ ، ١٥

(٢) كذا فى ا ، و فى ط : « أجرب » .

(٣) ر ، ك : « أوراس » ، س : « أوراس » .

(٤) ا : « دخرى » .

(٥) ا : « بزى » .

والفرس تدّعيه وتزعم أنه كان بعد وفاة آدم بمائتى سنة، قال : وإنما كان هذا الملك فيما بلغنا بعد نوح بمائتى سنة، فصيّره أهل فارس بعد آدم بمائتى سنة ، ولم يعرفوا ما كان قبل نوح .

١/١٥٥

وهذا الذى قاله هشام قول لا وجه له ، لأن هوشهنك الملك فى أهل المعرفة بأنساب الفرس أشهر من الحجاج بن يوسف فى أهل الإسلام ، وكلّ قوم فهم بآبائهم وأنسابهم ومآثرهم أعلم من غيرهم ؛ وإنما يُرجع فى كل أمر التبس إلى أهله .

وقد زعم بعض نسابة الفرس أن أوشَهنج بيشداذ الملك هذا هو مهلائيل ، وأن أباه فرواك هو قينان أبو مَهْلائيل، وأن سيامك هو أنوش أبو قينان ، وأن ميشى هو شيث أبو أنوش ، وأن جيُومَرت هو آدم صلى الله عليه وسلم .

فإن كان الأمر كما قال ، فلا شك أن أوشَهنج كان فى زمان آدم رجلا ، وذلك أن مَهْلائيل فيما ذكر فى الكتاب الأول كانت ولادة أمه دينة[1] ابنة براكيل ابن محويل بن خَنوخ بن قَيْن بن آدم إياه بعد ما مضى من عمر آدم صلى الله عليه وسلم ثلثمائة سنة وخمس وتسعون سنة ، فقد كان له حين وفاة آدم ستمائة سنة وخمس سنين ، على حساب ما روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى عمر آدم أنه كان عمره ألف سنة .

وقد زعمت علماء الفرس أن مُلْك أوشهنج هذا كان أربعين سنة . فإن كان الأمر فى هذا الملك كالذى قاله النسابة الذى ذكرت عنه ما ذكرت فلم يُبْعِد من قال : إن مُلْكه كان بعد وفاة آدم صلى الله عليه وسلم بمائتى سنة .

---

(١) ا : «ذنبه»

ذكر وفاة آدم عليه السلام

اختلِف فى مدة عمره ، وابن كَمْ كان يوم قبضه الله عز وجل إليه .

١٠٦/١ فأما الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فإنها واردة بما حدثنى محمد بن خلف العسقلانىّ ، قال : حدثنا آدم بن أبى إياس ، قال : حدثنا أبو خالد سليمان بن حيان ، قال : حدثنى محمد بن عمرو ، عن أبى سلمة ، عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم — قال أبو خالد : وحدثنى الأعمش ، عن أبى صالح عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم . قال أبو خالد: وحدثنى داود بن أبى هند، عن الشعبى ، عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم . قال أبو خالد : وحدثنى ابن أبى ذباب الدَّوْسىُّ ، قال: حدثنا سعيد المقبُرىّ ويزيد بن هرمز ، عن أبى هريرة، عن النبى صلى الله عليه وسلم — أنه قال: « خلق الله آدم بيده ونفخ فيه من روحه، وأمر الملائكة فسجدوا له، فجلس فعطَس فقال : الحمد لله، فقال له ربه : يرحمك ربك، إيت أولئك الملأ من الملائكة فقل لهم : السلام عليكم ، فأتاهم فقال [لهم][1] : السلام عليكم . قالوا له : وعليك السلام ورحمة الله ، ثم رجع إلى ربِّه فقال له : هذه تحيتك وتحية ذريتك بينهم، ثم قبض له يديه، فقال له : خذ واختر ، قال : اخترت يمين ربى وكلتا يديه يمين ، ففتحها له ، فإذا فيها صورة آدم وذريته كلّهم ، فإذا كلّ رجل مكتوب عنده أجلُه، وإذا آدم قد كتب له عمر ألف سنة ، وإذا قوم عليهم النور ، فقال : يا ربّ، منْ هؤلاء الذين عليهم النور ، فقال : هؤلاء الانبياء والرسل الذين أرسِل إلى عبادى، وإذا فيهم رجل هو أضوءهم نوراً ، ولم يكتب له من العمر إلا أربعون سنة ، فقال :[يا ربّ ، ما بالُ هذا، من أضوئهم نوراً ولم يكتب له من العمر إلا أربعون سنة ؟ فقال][1] : ذاك ما كتب له ، فقال: يا ربّ، انقص له من عمرى ستين سنة » . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « فلما أسكنه الله الجنة ثم أهبط إلى الأرض كان يَعُدّ ١٠٧/١

(١) تكملة من ا

أيامه ، فلما أتاه ملك الموت ليقبضه قال له آدم: عجّلتَ عليّ يا ملك الموت! فقال : ما فعلت ، فقال : قد بقيَ من عمري ستون سنة ، فقال له ملك الموت : ما بقيَ من عمرك شيء ، قد سألتَ ربّك أن يكتبه لابنك داود ، فقال : ما فعلتُ » . فقال: رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم : « فنسي آدم ، فنسيتْ ذريته ، وجحد آدم فجحدت ذريته ، فيومئذ وَضَع الله الكتاب ، وأمر بالشهود » .

حدثني ابن سنان ، قال : حدثنا موسى بن إسماعيل ، قال : حدثنا حماد بن سلمة ، عن عليّ بن زيد، عن يوسف بن مهران، عن ابن عباس، قال : لما نزلتْ آية الدَّيْن قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « إنّ أولَ منْ جحد آدم عليه السلام ثلاث مرات ، وإن الله تبارك وتعالى لما خلقه مسح ظهره فأخرج منه ما هو ذارٌ إلى يوم القيامة ، فجعل يعرضهم على آدم ، فرأى فيهم رجلا يزهَر ،فقال: أي ربّ ،أي نبيّ هذا ؟ قال: هذا ابنك داود، قال : أي ربّ ، كم عمره ؟ قال: ستون سنة، قال : أيْ ربّ ، زده في عمره، قال : لا ، إلا أن تزيده أنت من عمرك ، وكان عمر آدم ألف سنة ، فوهب له من عمره أربعين عاماً ، فكتب الله عليه بذلك كتاباً وأشهد عليه الملائكة ، فلما احتُضِر آدم أتته الملائكة لتقبض روحه ، قال : إنه قد بقيَ من عمري أربعون سنة ، قالوا : إنك قد وهبتَها لابنك داود، قال : ما فعلت ولا وهبت له شيئاً ، فأنزل الله عليه الكتاب ، وأقام عليه الملائكة شهوداً ، فأكمل لآدم ألف سنة، وأكمل لداود مائة سنة » .

حدثني محمد بن سعد، قال : حدثني أبي ، قال: حدثني عمّي[1]، قال: حدثني أبي ، عن أبيه، عن ابن عباس ، قوله عزّ وجلّ: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ ﴾ إلى قوله : ﴿ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا ﴾[2] ، قال ابن عباس : إن الله عزَ وجلّ لما خلق آدم مسح ظهرَه، وأخرج ذريته

١٥٨/١

(١) ط : حدثني محمد بن سعد ، قال حدثنا هشام ، قال حدثني أبي قال حدثني عمي ، وما أثبته عن ا والتفسير .

(٢) سورة الأعراف ١٧٢

كلّهم كهيئة الذرّ ، فأنطقهم فتكلموا ، وأشهدهم على أنفسهم ، وجعل مع بعضهم النور . وأنه قال لآدم : هؤلاء ذريتك أُخِذ عليهم الميثاق : أنى أنا ربهم لئلا يُشركوا بى شيئاً ، وعلىّ رزقهم . قال آدم : فمن هذا الذى معه النور ؟ قال : هو داود ، قال : يا ربّ ، كم كتبت له من الأجل ؟ قال : ستين سنة ، قال : كم كتبت لى ؟ قال : ألف سنة ، وقد كتبت لكل إنسان منهم : كم يعمَّر ، وكم يلبث ، قال : يا رب زدْه ، قال : هذا الكتاب موضوع فأعطه إن شئت من عمرك ، قال : نعم ، وقد جفّ القلم عن سائر بنى آدم[١] ، فكتب له من أجل آدم أربعين سنة ، فصار أجلُه مائة سنة ، فلما عمِّر تسعمائة سنة وستين سنة جاءه ملك الموت ، فلما أن رآه آدم قال : مالكَ ؟ قال له : قد استوفيتَ أجلك ، قال له آدم : إنما عمِّرت تسعمائة سنة وستين سنة ، وبقى [لى][٢] أربعون سنة ، فلما قال ذلك للملَك ، قال الملك : قد أخبرنى بها ربى ، قال : فارجع إلى ربك فسلْه ، فرجع الملك إلى ربه فقال[٣] : مالك ؟ قال : يا ربّ رجعتُ إليك لما كنت أعلم من تكرمتك إياه ، قال الله عزّ وجلّ : ارجع فأخبره ، أنه قد أعطى ابنه داود أربعين سنة[٤] .

حدثنا ابن بشار ، قال : حدثنا محمد بن جعفر ، قال : حدثنا شعبة ، عن أبى بشر ، عن سعيد بن جبير فى هذه الآية : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ﴾، قال : أخرجهم من ظهر آدم ، وجعل لآدم عمرَ ألف سنة ، قال : فعرضوا على آدم ، فرأى رجلاً من ذريته له نور ، فأعجبه فسأله عنه فقال : هو داود ، وقد جعل عمره ستين سنة ، فجعل له من عمره أربعين سنة ، فلما احتُضِر آدم عليه السلام جعل يخاصمهم فى الأربعين السنة ، فقيل له : إنك قد أعطيتها داود ، قال : فجعل يخاصمهم[٥] .

١٥٩/١

(١) فى التفسير : « عن أجل سائر بنى آدم » .
(٢) تكملة من ا
(٣) فى الأصول : « قال » . وما أثبته من التفسير .
(٤) الخبر فى التفسير ١٣ : ٢٣٧
(٥) الخبر فى التفسير ١٣ : ٢٤٠

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا يعقوب ، عن جعفر ، عن سعيد ، فى قوله عزّ وجلّ : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ ﴾ قال : أخرج ذريته من ظهره فى صورة كهيئة الذّر ، فعرضهم على آدم بأسمائهم وأسماء آبائهم وآجالهم ، قال : فعرض عليه روح داود فى نور ساطع ، فقال : مَنْ هذا ؟ قال : هذا من ذريتك ، نبىٌّ خلقته ، قال : كم عمره ؟ قال : ستون سنة ، قال : زيدوه من عمرى أربعين سنة ، قال : والأقلام[1] رطبة تجرى ، وأثبتت لداود عليه السلام الأربعون ، وكان عمر آدم ألف سنة ، فلما استكملها إلا الأربعين سنة[2] بعث إليه مَلَك الموت قال : يا آدم أمِرتُ أن أقبضك ، قال : ألم يبق من عمرى أربعون سنة ؟ قال : فرجع ملك الموت إلى ربه عزّ وجلّ فقال : إن آدم يدّعى من عمره أربعين سنة ، قال : أخبرْ آدم أنه جعلها لابنه داود . والأقلام رطبة ، وأثبتت لداود [الأربعون][3] .

حدثنا ابن وكيع ، قال : حدثنا أبو داود ، عن يعقوب ، عن جعفر ، عن سعيد ، بنحوه .

وذكر أن آدم عليه السلام مرض قبل موته أحد عشر يوماً ، وأوصى إلى ابنه شيث عليه السلام وكتب وصيتَه ، ثم دفع كتاب وصيته إلى شيث ، وأمره أن يخفيَه من قابيل وولده ، لأن قابيل قد كان قتل هابيل حسداً منه حين خصّه آدم بالعلم ، فاستخفى شيث وولده بما عندهم من العلم ، ولم يكن عند قابيل وولده علم ينتفعون به[4] . ١٦٠/١

ويزعم أهل التوراة أن عمر آدم عليه السلام كله كان تسعمائة سنة وثلاثين سنة .

حدثنـــا الحارث قال : حدثنا ابن سعد ، قال : أخبرنى هشام ابن محمد ، قال : أخبرنى أبى ، عن أبى صالح ، عن ابن عباس ، قال : كان عمر آدم تسعمائة سنة وستاً وثلاثين سنة ؛ والله أعلم .

---

(١) ط : « فالأقلام » ، وما أثبته عن ا والتفسير .
(٢) ا : « السنة » .
(٣) الخبر فى التفسير ١٣ : ٢٤١ ، والتكلة من ا .
(٤) ا : « ينفعون » .

والأخبار الواردة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم والعلماء من سلفنا ما قد ذكرت ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم كان أعلم الخلق بذلك .

* * *

وقد ذكرت الأخبار الواردة عنه أنه قال : كان عمره ألف سنة ، وأنه بعد ما جعل لابنه داود من ذلك ما جعل له ، أكمل الله له عِدّة ما كان أعطاه من العمر قبل أن يهب لداود ما وهب له من ذلك ، ولعلّ ما كان جعل من ذلك ادم عليه السلام لداود عليه السلام لم يُحسَب فى عمر آدم فى التوراة ، فقيل : كان عمره تسعمائة وثلاثين سنة .

فإن قال قائل : فإنّ الأمر وإن كان كذلك ؛ فإن آدم إنما كان جعل لابنه داود من عمره أربعين سنة ، فكان ينبغى أن يكون فى التوراة تسعمائة سنة وستون؛ ليوافق ذلك ما جاءت به الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم.

قيل : قد روينا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ذلك أن الذى كان جعل آدم لابنه داود من عمره ستون سنة ، وذلك فى رواية لأبى هريرة[1] عنه ، وقد ذكرناها قبل. فإن يكن ذلك كذلك ، فالذى زعموا أنه فى التوراة من الخبر عن مدة حياة آدم عليه السلام موافق لما روينا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ذلك .

١٦١/١

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، أنه قال : لما كتب آدم الوصية مات صلوات الله عليه ، واجتمعت عليه الملائكة من أجل أنه كان صفىّ الرحمن، فقبرته الملائكة ، وشيث وإخوته فى مشارق الفردوس ، عند قرية هى أول قرية كانت فى الأرض ، وكسفت عليه الشمس والقمر سبعة أيام ولياليهنّ، فلما اجتمعت عليه الملائكة وجمع الوصية، جعلها فى معراج ، ومعها القرن الذى أخرج أبونا آدم من الفردوس ؛ لكيلا يغفل عن ذكر الله عزّ وجلّ .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن يحيى بن عباد ، عن أبيه ، قال: سمعته يقول: بلغنى أن آدم عليه السلام حين

(١) ط : « أبى هريرة » ، وما أثبته من ا .

مات بعث الله إليه بكفنه وحَنوطه من الجنة ، ثم وليت الملائكة قبره ودفنه حتى غيّبوه .

حدثنا على بن حرب ، قال : حدثنا روح بن أسلم ، قال : حدثنا حماد بن سلمة ، عن ثابت البنانىّ ، عن الحسن ، عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « لما توفى آدم غسلته الملائكة بالماء وِتراً ، وألحدوا[١] له ، وقالت : هذه سنّة آدم فى ولده » .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن الحسن ابن ذكوان ، عن الحسن بن أبى الحسن ، عن أبىّ بن كعب ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن أباكم آدم كان طُوالا كالنخلة السَّحوق ، ستين ذراعاً ، كثير الشعر ، موارَى العورة ، وأنه لما أصاب الخطيئة بدت له سوءته فخرج هارباً فى الجنة فتلقاه شجرة ، فأخذت بناصيته ، وناداه ربّه : أفرارًا منى يا آدم ! قال : لا والله يا ربّ ولكن حياءً منك مما [قد][٢] جنيت ، فأهبطه الله إلى الأرض ، فلما حضرته الوفاة بعث الله إليه بحَنوطه[٣] وكفنه من الجنة ، فلما رأت حواء الملائكة ذهبت لتدخل دونهم إليه ، فقال : خلّى عنى وعن رسل ربى ، فإنى ما لقيت ما لقيتُ إلا منك ، ولا أصابنى ما أصابنى إلا فيك . فلما قبض غسلوه بالسِّدْر والماء وِترا ، وكفنوه فى وِتر من الثياب ، ثم لَحَدوا له فدفنوه ، ثم قالوا : هذه سنة ولد آدم من بعده .

١/١٦٢

حدثنى أحمد بن المقدام ، قال : حدثنا المعتمر بن سليمان ، قال : قال أبى : — وزعم قتادة عن صاحب له حدّث عن أبىّ بن كعب قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « كان آدم رجلا طُوالا كأنه نخلة سَحوق » .

حدثنا الحارث بن محمد ، قال : حدثنا ابن سعد ، قال : أخبرنى هشام [بن محمد][٢] قال : أخبرنى أبى ، عن أبى صالح ، عن ابن عباس قال :

---

(١) ألحدوا له ولحدوا : عملوا له لحداً ؛ وهو القبر.
(٢) تكملة من ا
(٣) الحنوط ، بالفتح : كل طيب يخلط للميت .

لما مات آدم عليه السلام قال شيث لجبرئيل صلى الله عليهما: صلِّ على آدم، قال : تقدم أنت فصلِّ على أبيك ، وكبّر عليه ثلاثين تكبيرة ، فأما خمس فهي الصلاة ، وأما خمس وعشرون فتفضيلا لآدم صلى الله عليه وسلم .

* * *

وقد اختُلف فى موضع قبر آدم عليه السلام، فقال ابن إسحاق ما قد مضى ذكره، وأما غيره فإنه قال: دفن بمكة فى غار أبى قُبَيس، وهو غار يقال له غار الكنز [1].

وروى عن ابن عباس فى ذلك ، ما حدثنى به الحارث ، قال : حدثنا ابن سعد ، قال : حدثنا هشام قال : أخبرنا أبى ، عن أبى صالح ، عن ابن عباس قال: لما خرج نوح من السفينة دَفَنَ آدم عليه السلام ببيت المقدس . ١٦٣/١

* * *

وكانت وفاته يوم الجمعة ، وقد مضى ذكرنا الرواية بذلك ، فكرهنا إعادته .

وروى عن ابن عباس فى ذلك ما حدثنى الحارث ، قال : حدثنا ابن سعد ، قال : أخبرنى هشام بن محمد ، قال : أخبرنى أبى ، عن أبى صالح ، عن ابن عباس ، قال : مات آدم عليه السلام على بَوْذ — قال أبو جعفر يعنى الجبل الذى أُهبط عليه — وذكر أن حواء عاشت بعده سنة ثم ماتتْ رحمهما الله، فدفنت مع زوجها فى الغار الذى ذكرت، وأنهما لم يزالا مدفونين فى ذلك المكان ، حتى كان الطوفان، فاستخرجهما نوح، وجعلهما فى تابوت ، ثم حملهما معه فى السفينة ، فلما غاضت الأرضُ الماء ردّهما إلى مكانهما الذى كانا فيه قبل الطوفان ، وكانت حواء قد غَزَلت — فيما ذكر —

(١) ذكره ياقوت وقال : « غار الكنز : موضع فى جبل أبى قبيس ، دفن فيه آدم كتبه فيما زعموا » . معجم البلدان ٦ : ٢٦١

ونسجت وعجنت وخبزت ، وعملت أعمال النساء كلها .

* * *

ونرجع الآن إلى قصة قابيل وخبره وأخبار ولده وأخبار شيث وخبر ولده — إذ كنا قد أتينا[١] من ذكر آدم وعدوه إبليس وذكر أخبارهما ، وما صنع الله بإبليس إذ تجبر وتعظّم وطغى على ربه عزّ وجلّ فأشِر وبطر نعمَته التى أنعمها الله عليه، وتمادى فى جهله وغيّه، وسأل ربه النظرة، فأنظره[٢] إلى يوم الوقت المعلوم، وما صنع [الله][٣] بآدم صلوات الله عليه إذ خطىء[٤] ونسىَ عهد الله من تعجيل عقوبته له على خطيئته ، ثم تغمده إياه بفضله ورحمته ، إذ تاب إليه من زلّته فتاب عليه وهداه، وأنقذه من الضلالة والردى — حتى نأتىَ على ذكر مَن سلك سبيلَ كلّ واحد منهما ؛ من تباع آدم عليه السلام على منهاجه[٥] وشيعة إبليس والمقتدين به فى ضلالته ، إن شاء الله ، وما كان من صنع الله تبارك وتعالى بكل فريق منهم .

١٦٤/١

فأما شيث عليه السلام فقد ذكرنا بعضَ أمره ، وأنه كان وصىّ أبيه آدم عليه السلام فى مُخَلَّفيه[٦] بعد مضيّه لسبيله ، وما أنزل الله عليه من الصحف .

وقيل: إنه لم يزل مقيما بمكة يحجّ ويعتمر إلى أن مات ، وإنه كان جمع ما أنزل الله عزّ وجلّ عليه من الصحف إلى صحف أبيه آدم عليه السلام، وعمل بما فيها ، وأنه بنى الكعبة بالحجارة والطين .

وأما السلف من علمائنا فإنهم قالوا : لم تزل القبّة التى جعل الله لآدم فى مكان البيت إلى أيام الطوفان ، وإنما رفعها الله عزّ وجلّ حين أرسل الطوفان . وقيل : إن شيثاً لما مرض أوصى ابنه أنوش ومات ، فدفن مع أبويه فى غار أبى قبيس ، وكان مولده لمضى مائتى سنة وخمس وثلاثين سنة ، من عمر آدم

---

(١) ن : «على ذكر آدم» .
(٢) ا ، ك : «فأنظر» بالبناء للمجهول .
(٣) تكملة من ا
(٤) ا : «أخطأ» ، وهما سواء .
(٥) ا : «مناهجه» .
(٦) كذا فى ا ، س ، ن ، ط : «مختلفيه» .

عليه السلام . وكانت وفاته وقد أتت له تسعمائة سنة واثنتا عشرة سنة . وولد لشيث أنُوش[١] ، بعد أن مضى من عمره ستّمائة سنة وخمس سنين ؛ فيما يزعم أهل التوراة .

وأما ابن إسحاق ، فإنه قال فيما حدثنا ابنُ حميد ، قال : حدثنا سلمة بن الفضل ، عنه : نكح شيث بن آدم أخته حزورة ابنة آدم ، فولدت له يانش بن شيث ، ونَعمة ابنة شيث ، وشيث يومئذ ابن مائة سنة وخمس سنين ، فعاش بعد ما وُلد له يانش ثمانمائة سنة وسبع سنين .

١/١٦٥

وقام أنُوش بعد مضىّ أبيه شيث لسبيله بسياسة[٢] الملك ، وتدبير مَنْ تحت يديه من رعيته مقام أبيه شيث ، ولم يزل — فيما ذُكِر — على منهاج أبيه ؛ لا يوقَف منه على تغيير ولا تبديل . وكان جميعُ عمر أنوش — فيما ذكر أهل التوراة — تسعمائة سنة وخمس سنين .

حدثنى الحارث ، قال : حدثنا ابن سعد ، قال : حدثنى هشام ، قال : أخبرنى أبى ، عن أبى صالح ، عن ابن عباس ، قال : ولَد شيث أنُوش ونفراً كثيراً ، وإليه أوصى شيث ، ثمّ وُلد لأنوش بن شيث بن آدم ابنُه قَيْنَان[٣] من أخته نَعمة ابنة شيث بعد مضىّ تسعين سنة من عمر أنوش ، ومن عمر آدم ثلثمائة سنة وخمس وعشرين سنة .

وأما ابن إسحاق فإنه قال فيما حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سَلَمة ، عن ابن إسحاق : نكح يانش بن شيث أختَه نعمة ابنة شيث ، فولدت له قَيْنان ، ويانش يومئذ ابن تسعين سنة ، فعاش يانش بعد ما ولد له قَيْنَان ثمانمائة سنة وخمس عشرة سنة ، وولد له بنون وبنات ، فكان كلُّ ما عاش يانش تسعمائة سنة وخمس سنين . ثم نكح قَيْنان بن يانش — وهو ابن

(١) أنوش كصبور ، كذا ضبطه صاحب تاج العروس فى ٤ : ٢٨٠ ، قال : « ويقال : يانش كصاحب وآدم ، ويقال إنوش ، بكسر الهمزة بمعنى إنسان » .

(٢) ر ، س : « لسياسة » .

(٣) قينان ، كذا ضبطه صاحب اللسان ؛ بفتح القاف ومد النون الأولى ، وفى سفر التكوين ٥ : ١٢ ضبط بكسر القاف . ويقال أيضاً « قينين » بإسقاط الألف ؛ كما نقله صاحب التاج .

سبعين سنة — دينة[1] ابنة براكيل بن محويل بن خَنُوح[2] بن قين[3] بن آدم ، فولدت له مَهلائيل[4] بن قَيْنان ، فعاش قينان بعد ما ولد له مهلائيل ثمانمائة سنة وأربعين سنة ، فكان كلّ ما عاش قَيْنان تسعمائة سنة وعشر سنين .

حدثني الحارث ، قال : حدثنا ابن سعد ، قال : أخبرني هشام ، قال : أخبرني أبي ، عن أبي صالح ، عن ابن عباس ، قال : ولَد أنوش قَيْنَان ، ونفراً كثيراً ، وإليه الوصية ، فولد قينان مَهلائيل ونفراً معه ، وإليه الوصية ، فولد مهلائيل يَرْد[5] —وهو اليارد — ونفراً معه، وإليه الوصية، فولد يَرْد أخْنُوخ وهو إدريس النبي صلى الله عليه وسلم ونفراً معه ، فولد أخْنُوخ مَتُوشَلَخ[6] ونفراً معه وإليه الوصية ، [فولد مَتُوشَلَخ لَمَك[7] ونفرا معه وإليه الوصية].[8] ١/١٦٦

وأما التوراة فما ذكره أهلُ الكتاب أنه فيها أنّ مولِد مهلائيل بعد أن مضت من عمر آدم ثلثمائة سنة وخمس وتسعون سنة ، ومن عمر قَيْنان سبعون سنة .

ونكح مهلائيل بن قَيْنان — وهو ابن خمس وستين سنة ، فيما حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق — خالتَه سمعن ابنة براكيل ابن محويل بن خَنُوخ بن قَيْن بن آدم ، فولدت له يَرْد بن مهلائيل ، فعاش مهلائيل بعد ما ولد له يَرْد ثمانمائة سنة وثلاثين سنة ، فوُلد له بنون وبنات ، فكان كلُّ ما عاش مهلائيل ثمانمائة سنة وخمساً وتسعين سنة ، ثم مات .

وأما في التوراة فإنه ذكر أن فيها أن يَرْد وُلِد لمهلائيل بعد ما مضى من عمر آدم أربعمائة سنة وستون سنة ، وأنه كان على منهاج أبيه قَيْنان ، غير أنّ الأحداث بدتْ في زمانه .

---

(١) في ا « ذنبة » ، وفي ن : « دنبة » بالدال .

(٢) كذا في الأصول ، وفي القاموس : خنوخ بالفتح وأخنوخ بالهمز .

(٣) في القاموس : « قاين ابن لآدم عليه السلام » ، وقال في التاج : « إنه انقرض » . وفي سفر التكوين ٤ : ١ « قايين » .

(٤) في سفر التكوين ٥ : ١٥ « مهللئيل » .

(٥) كذا ورد في الأصول ، وحكى أبو الفدا في ١ : ٩ إعجام الذال أيضاً .

(٦) كذا في الأصول ، وضبطه ابن الأثير في ١ : ٣٦ بفتح الميم وبالتاء المعجمة باثنتين من فوق وبالشين المعجمة وبخاء مهملة ، قال : وقيل خاء معجمة .

(٧) في أبي الفدا : « لامخ » ، ويقال : لامك ولمك أيضاً » . (٨) تكملة من ا

ذكر الأحداث التى كانت فى أيام بنى آدم
من لدن ملك شيث بن آدم إلى أيام يرد

ذُكِر أن قابيل لما قتل هابيل ، وهرب من أبيه آدم إلى اليمن ، أتاه إبليس ، فقال له: إن هابيل إنما قبِل قُربانُه وأكلته النار ، لأنه كان يخدُم النار ويعبدها ، فانصبْ أنت أيضًا ناراً تكون لَكَ ولعقبك . فبنَى بيتَ نار ، فهو أوّلُ مَنْ نَصَبَ النار وعبدها .

١٦٧/١

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : إن قينًا نكح أختَه أشوث بنت آدم ، فولدت له رجلا وامرأة: خَنُوخ بن قين ، وعذب[1] بنت قين ، فنكح خَنوخ بن قين أختَه عذَب بنت قين ، فولدت له ثلاثة نفر وامرأة: عيرد بن خَنُوخ ومحويل بن خَنُوخ وأنوشيل[2] بن خنوخ ، ومَوليث بنت خنوخ ، فنكح أنُوشيل بن خنوخ موليث ابنة خنوخ ، فولدت لأنوشيل رجلاً اسمه لامك ، فنكح لامك امرأتين : اسم إحداهما عَدّى واسم الأخرى صَلّى[3] ، فولدت له عَدّى تولين بن لامك ، فكان أول من سكن القباب ، واقتنى المال ، وتوبيش[4] ، وكان أول من ضرب بالونَج[5] والصَّنْج ، وولدت رجلا اسمه توبلقين ، فكان أول مَنْ عمل النحاس والحديد ، وكان أولادهم جبابرة وفراعنة ، وكانوا قد أعطُوا بسطة فى الخلق ؛ كان الرجل فيما يزعمون يكون ثلاثين ذراعًا . قال : ثم انقرض ولد قَين ، ولم يتركوا عقبًا إلا قليلاً ، وذرية آدم كلهم جهِلتْ[6] أنسابهم وانقطع نسلهم ، إلا ما كان من شيث بن آدم ، فمنه كان النسل ، وأنسابُ الناس اليوم كلهم إليه دون أبيه آدم ، فهو أبو البشر ، إلا ما كان من أبيه وإخوته ممن لم يترك عقبًا .

١٦٨/١

(١) كذا فى ا ، س ، ن ، وابن الأثير ١ : ٣٢ ، وفى ط : « عدن » .

(٢) كذا فى ا ، ك ، وابن الأثير ، وفى ط : « أبوشيل » .

(٣) سفر التكوين : « عادة » و « صلة » ، بتشديد اللام .

(٤) فى ابن الأثير : « توبلين » .

(٥) الونج : المعزف ؛ وهو المزهر أو العود .

(٦) فى الأصول : « فجهلت » ، وما أثبته عن ابن الأثير .

قال : ويقول أهل التوراة : بل نكح قَين أشوث ، فولدت له خَنوخ ، فولد لخنوخ عيرد[1] ، فولد عيرد محويل ، فولد محويل أنوشيل ، فولد أنوشيل ، لامك ، فنكح لامك عدّى وصلّى ، فولدتا له مَنْ سميتُ . والله أعلم .

فلم يذكر ابن إسحاق من أمر قابيل وعقبه إلا ما حكيتُ .

وأما غيره من أهل العلم بالتوراة فإنه ذكر أن الذى اتخذ الملاهىَ من ولد قايين رجل يقال له توبال[2] ، اتخذ فى زمان مهلائيل بن قَيْنان آلات اللهو من المزامير والطبول والعيدان والطنابير والمعازف ، فانهمك ولد قايين فى اللهو ، وتناهى خبرُهم إلى مَنْ بالجبل من نسل شيث ، فهمّ منهم مائة رجل بالنزول إليهم ، وبمخالفة ما أوصاهم به آباؤهم ، وبلغ ذلك يارد ، فوعظهم ونهاهم ؛ فأبوْا إلا تماديًا ، ونزلوا إلى ولد قايين ، فأعجبوا بما رأوْا منهم ، فلما أرادوا الرجوع حيل بينهم وبين ذلك لدعوة سبقتْ من آبائهم ، فلما أبطئوا بمواضعهم ، ظنّ من كان فى نفسه زيغ ممن كان بالجبل أنهم أقاموا اعتباطًا ، فتساللوا[3] ينزلون عن الجبل ، ورأوا اللهو فأعجبهم ، ووافقوا نساء من ولد قايين متسرّعات إليهم ، وصرْن معهم ، وانهمكوا فى الطغيان ، وفشت الفاحشة وشرب الخمر .

* * *

قال أبو جعفر : وهذا القول غير بعيد من الحق ؛ وذلك أنه قول قد رُوى عن جماعة من سلف علماء أمة نبينا صلى الله عليه وسلم نحو منه ، وإن لم يكونوا بيّنوا زمانَ مَنْ حدث ذلك فى ملكه ، سوى ذكرهم أن ذلك كان فيما بين آدم ونوح صلى الله عليهما وسلم . ١/١٦٩

ذكر من رُوى ذلك عنه :

حدثنا أحمد بن زُهَير ، قال : حدثنا موسى بن إسماعيل ، قال : حدثنا داود — يعنى ابن أبى الفرات — قال : حدثنا علباء بن أحمر ، عن عكرمة ،

(١) فى سفر التكوين : « عيراد » .
(٢) كذا فى ا ، وفى ط من غير نقط ، وفى ابن الأثير : « ثوبال » .
(٣) كذا فى ا ، وفى ابن الأثير : « فتسللوا » ، وفى ط : « فتسايلوا » .

عن ابن عباس ، أنه تلا هذه الآية : ﴿وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى﴾ .[١]
قال : كانت فيما بين نُوح وإدريس ، وكانت ألف سنة ، وإن بَطنيْن من ولد آدم ، كان أحدُهما يسكن السهل ، والآخر يسكن الجبل ، وكان رجال الجبل صِباحًا وفى النساء دَمامة[٢] ، وكان نساء السهل صِباحًا وفى الرجال دمامة ، وإن إبليس أتى رجلاً من أهل السهل فى صورة غلام فآجر نفسه منه ، وكان يخدُمه ، واتخذ إبليس لعنه الله شيئًا مثل الذى يزمُر فيه الرِّعاء ، فجاء فيه بصوت لم يسمع الناس مثلَه ، فبلغ ذلك مَنْ حولهم ، فانتابوهم[٣] يسمعون إليه ، واتخذوا عيداً يجتمعون إليه فى السنة ، فتتبرّج النساء للرجال ، قال : ويتزل الرجال لهنّ . وإن رجلاً من أهل الجبَل هجم عليهم وهم فى عيدهم ذلك ، فرأى النساء وصَباحتهنّ ، فأتى أصحابه فأخبرهم بذلك ، فتحولوا إليهن ، فنزلوا عليهن[٤] ، فظهرت الفاحشة فيهنّ ؛ فهو قول الله عزّ وجلّ : ﴿وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى﴾ .[٥]

١٧٠/١ حدثنا ابن وكيع ، قال : حدثنا ابن أبى غَنِيّة ، عن أبيه ، عن الحكَم : ﴿وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى﴾ ، قال : كان بين آدم ونوح ثمانمائة سنة ، وكان[٦] نساؤهم أقبحَ ما يكون من النساء ، ورجالُهم حسان ، فكانت المرأة تريد الرجل على نفسها ، فأنزلت هذه الآية : ﴿وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى﴾ .[٧]

حدثنى الحارث ، قال : حدثنا ابن سعد ، قال : أخبرنى هشام ، قال : أخبرنى أبى ، عن أبى صالح ، عن ابن عباس ، قال : لم يمُتْ آدم حتى بلغ ولدُه وولدُ ولدِه أربعين ألفًا ببَوْذ .

---

(١) سورة الأحزاب ٣٣
(٢) كذا فى ا والتفسير ، وفى باقى الأصول : « ذمامة » .
(٣) ك : « فأتوهم » .
(٤) كذا فى ط ، وفى ا ، ك والتفسير : « معهن » .
(٥) الخبر فى التفسير ٢٢ : ٤ (بولاق)
(٦) ا ، والتفسير : « فكان » .
(٧) الخبر فى التفسير ٢٢ : ٤ (بولاق) .

ورأى آدم فيهم الزنا وشربَ الخمر والفساد ، فأوصى ألاّ يناكِح بنُوشيث بنى قابيل ، فجعل بنو شيث آدم فى مغارة ، وجعلوا عليه حافظاً[١] ، لا يقربه أحد من بنى قابيل[٢] ، وكان الذين يأتونه ويستغفر لهم من بنى شيث[٣] ، فقال مائة من بنى شيث صِباح : لونظرنا إلى ما فعل بنو عمّنا ! يعنون بنى قابيل. فهبطت المائة إلى نساء صباح من بنى قابيل ، فاحتبس النساء الرجال ، ثم مكثوا ما شاء الله . ثم قال مائة آخرون : لو نظرنا ما فعل إخوتنا ! فهبطوا من الجبل إليهم ، فاحتبسهم النساء. ثم هبط بنو شيث كلّهم ، فجاءت المعصية ، وتناكحوا واختلطوا[٤] ، وكثر بنو قابيل حتّى ملئوا[٥] الأرض ، وهم الذين غرقوا أيام نوح .

* * *

وأما نسابو الفرس فقد ذكرت ما قالوا فى مهلائيل بن قينان ، وأنه هو أوشهنْج الذى ملك الأقاليم السبعة ، وبيّنت قول مَنْ خالفهم فى ذلك من نسابى العرب .

فإن كان الأمر فيه كالذى قاله نسابو الفرس ، فإنى حُدِّثت عن هشام ابن محمد بن السائب ، أنه هو أول مَنْ قطع الشجر ، وبنى البناء ، وأول من استخرج المعادن وفطّن الناس لها ، وأمر أهلَ زمانه باتخاذ المساجد ، وبنى مدينتين كانتا أوّلَ ما بُنى على ظهر الأرض من المدائن ، وهما مدينة بابل التى بسواد الكوفة ، ومدينة السوس . وكان[٦] ملكه أربعين سنة .

١٧١/١

وأما غيره فإنه قال : هو أوّلُ مَن استنبط الحديد فى ملكه ، فاتخذ منه الأدوات للصناعات ، وقدر المياه فى مواضع المنافع ، وحضّ الناس على الحراثة والزراعة والحصاد واعتمال الأعمال ، وأمر بقتل السباع الضارية ، واتخاذ الملابس

(١) ك : « حائطا » .
(٢) ط : « من بنى آدم » ، وما ذكرته من ا ، وكذلك فيما يأتى .
(٣) ا : « بنو شيث » .
(٤) ط : « فاختلطوا » .
(٥) ط : « ملكوا » .
(٦) ط : « فكان » .

من جلودها والمفارش ، وبذبح البقر والغنم والوحش والأكل من لحومها ، وأن مُلْكَه كان أربعين سنة ، وأنه بنى مدينة الرَّىّ. قالوا: وهى أوّل مدينة بنيت بعد مدينة جيومَرْت التى كان يسكنها بدُنْبَاوَند من طبرستان .

وقالت الفرس : إن أوشْهَنْج هذا وُلِد ملكًا،وكان فاضلاً محموداً فى سيرته وسياسة رعيّته ، وذكروا أنه أوّل من وَضع الأحكام والحدود ، وكان ملقَّبًا بذلك ، يُدعَى فيشداذ ومعناه بالفارسية أوّلُ مَنْ حكم بالعدل ، وذلك أن « فاش » معناه أوّل ، وأن « داذ » عدل وقضاء ، وذكروا أنه نزل الهند ، وتنقّل فى البلاد ، فلما استقام أمرُه واستوثق له الملك عقد على رأسه تاجًا ، وخطب خطبة، فقال فى خطبته : إنه ورِث الملك عن جده جيُومَرت ، وإنه عذاب ونقمة على مَرَدة الإنس والشياطين . وذكروا أنه قهر إبليس وجنوده ، ومنعهم الاختلاط بالناس ، وكتب عليهم كتابًا فى طِرْس أبيض أخذ عليهم فيه المواثيق ألاّ يعرضوا لأحد من الإنس ، وتوعّدهم على ذلك ، وقتل مردَتهم وجماعة من الغيلان ، فهربوا من خوفه إلى المفاوز والجبال والأودية ، وأنه ملك الأقاليم كلها، وأنه كان بين موت جيومَرت إلى مولد أوشهنْج وملْكه مائتا سنة وثلاث وعشرون سنة . ١٧٢/١

وذكروا أن إبليس وجنوده فرحوا بموت أوشهنج ، وذلك أنهم دخلوا بموته مساكنَ بنى آدم ، ونزلوا إليهم من الجبال والأودية .

* * *

ونرجع الآن إلى ذكر يرد — وبعضهم يقول هو يارد — فولد يرد لمهلائيل من خالته سمعن ابنة براكيل بن محويل بن خَنُوخ بن قين ، بعد ما مضى من عمر آدم أربعمائة وستون سنة ، فكان وصىّ أبيه وخليفتَه فيما كان والد مهلائيل أوصى إلى مهلائيل ، واستخلفه عليه بعد وفاته ، وكانت ولادة أمه إياه بعد ما مضى من عمر أبيه مهلائيل — فيما ذكروا — خمس وستون سنة ،فقام من بعد مَهْلَك أبيه من وصية أجداده وآبائه بما كانوا يقومون به أيام حياتهم .

ثم نكح يَرْد — فيما حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلَمة ، عن ابن

إسحاق، وهو ابن مائة سنة واثنتين وستين سنة — بركنا ابنة الدرمسيل [1] بن محويل بن خَنُوخ بن قين بن آدم. فولدت له أَخْنُوخ بن يرد — وأخنوخ إدريس النبيّ، وكان أوّل بنى آدم أعطِىَ النبوّة — فيما زعم ابن إسحاق — وخطّ بالقلم، فعاش يَرد بعد ما وُلد له أخنوخ ثمانمائة سنة، وولد له بنون وبنات، ١٧٣/١ فكان كلّ ما عاش يرد تسعمائة سنة واثنتين وستين سنة ثم مات.

وقال غيره من أهل التوراة: ولد ليرد أخْنُوخ — وهو إدريس — فنبأه الله عزّ وجلّ، وقد مضى من عمر آدم ستمائة سنة واثنتان وعشرون سنة، وأنزل عليه ثلاثون صحيفة. وهو أول من خطّ بعد آدم وجاهد فى سبيل الله، وقَطّع الثياب وخاطها، وأوّل من سبَى من ولد قابيل، فاسترقّ منهم، وكان وصىّ والده يرْد فيما كان آباؤه أوصوْا به إليه، وفيما أوصى به بعضهم بعضًا، وذلك كلّه من فعله فى حياة آدم.

قال: وتوفِّىَ آدم عليه السلام بعد أن مضى من عمر أخْنُوخ ثلثمائة سنة وثمانىَ سنين، تَتِمّةُ تسعمائة وثلاثين سنة التى ذكرنا أنها عمر آدم. قال: ودعا أخْنوخ قومَه ووعظَهم، وأمرهم بطاعة الله عزّ وجلّ ومعصية الشيطان، وألا يُلابسوا ولَد قابيل، فلم يقبلوا منه، وكانت العصابة بعد العصابة من ولد شيث تنْزل إلى ولد قايين.

قال: وفى التوراة: إن الله تبارك وتعالى رفع إدريس بعد ثلثمائة سنة وخمس وستين سنة مضت من عمره، وبعد خمسمائة سنة وسبع وعشرين سنة مضت من عمرِ أبيه، فعاش أبوه بعد ارتفاعه أربعمائة وخمسًا وثلاثين سنة تمام تسعمائة واثنتين وستين سنة، وكان عمرُ يارد تسعمائة واثنتين وستين سنة، وولد أخْنُوخ وقد مضت من عمر يارد مائة واثنتان وستون سنة.

حدثنى الحارث، قال: حدثنا ابن سعد، قال: أخبرنى هشام، قال: أخبرنى أبى، عن أبى صالح، عن ابن عباس، قال: فى زمان يَرْد عُملت ١٧٤/١ الأصنام، ورَجع مَنْ رجع عن الإسلام.

وقد حدثنا أحمد بن عبد الرحمن بن وهب، قال: حدثنى عمى، قال:

---

(١) س: «الدرسيل».

حدثنى الماضى بن محمد ، عن أبى سليمان ، عن القاسم بن محمد ، عن أبى إدريس الخولانىّ ، عن أبى ذرّ الغفارىّ ، قال : قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يا أبا ذرّ ، أربعة — يعنى من الرسل — سريانيّون : آدم ، وشيث ، ونوح ، وأخْنُوخ ، وهو أوّل من خطّ بالقلم ، وأنزل الله تعالى على أخنوخ ثلاثين صحيفة » .

وقد زعم بعضهم أن الله بعث[1] إدريس إلى جميع أهل الأرض فى زمانه ، وجمع له عِلْم الماضين ، وأن الله عزّ وجلّ زاده مع ذلك ثلاثين صحيفة ، قال : فذلك قول الله عزّ وجلّ : ﴿إِنَّ هَٰذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَىٰ ۞ صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ﴾ [2]

وقال : يعنى بالصحف الأولى [الصحف][3] التى أنزلت على ابن آدم هبة الله وإدريس عليهما السلام .

وقال بعضُهم : ملك بيوَراسب فى عهد إدريس ، وقد كان وقع إليه كلام من كلام آدم صلوات الله عليه ، فاتّخذه فى ذلك الزمان سحراً ، وكان بيوراسب يعمل به ، وكان إذا أراد شيئًا من جميع مملكته أو أعجبته دابّة أو امرأة نفخ بقصبة[4] كانت له من ذهب ، وكان يجىءُ إليه كلّ شىء يريده ، فمن ثَمّ تَنفخ اليهود [فى الشبّورات][5] .

وأما الفرس فإنهم قالوا : ملك بعد موت أوشهنج طهمورث بن ويوَنجهان ابن خُبانداذ بن خُيا يذار[6] بن أوشهنج .

١/١٧٥

وقد اختلف فى نسب طهمورث إلى أوشهنج ، فنسبه بعضهم النسبة التى ذكرت . وقال بعض نسّابة الفرس : هو طهمُورث بن أيونكهان بن أنكهد ابن أسكهد بن أوشهنج .

---

(١) ا : « ابتعث » .

(٢) سورة الأعلى ١٨ — ١٩

(٣) من ا

(٤) ك : « بعصية » .

(٥) تكملة من غرر أخبار ملوك الفرس ص ٢٤ فيما نقله عن الطبرى .

(٦) كذا أورد الاسم مضبوطاً معجماً فى ا ، وفى ط مهمل من الضبط .

وقال هشام بن محمّد الكلبيّ — فيما حُدثتُ عنه : ذكر أهلُ العلم أن أولَ ملوك بابل طهمورث ، قال : وبلغنا — والله أعلم — أن الله أعطاه من القوّة ما خضع له إبليس وشياطينه ، وأنه كان مُطيعًا لله ، وكان ملكه أربعين سنة .

وأما الفرس فإنها تزعم أن طهمورث ملك الأقاليم كلّها ، وعقد على رأسه تاجًا ، وقال يوم ملك : نحن دافعون بعون الله عن خليقته المرَدة الفَسَدة .[1] وكان محموداً فى ملكه ، حَدِبًا على رعيته ، وأنه ابتنى سابور من فارس ونزلها ، وتنقّل فى البلدان ، وأنه وثب بإبليس حتّى ركبه ، فطاف عليه فى أدانى الأرض وأقاصيها ، وأفزعه ومردةَ أصحابه حتّى تطايروا وتفرّقوا ، وأنه أول من اتخذ الصوف والشعر للباس[2] والفُرُش ، وأول من اتخذ زينةَ الملوك من الخيل والبغال والحمير ، وأمر باتخاذ الكلاب لحفظ المواشى وحراستها من السباع والجوارح للصيد ، وكتَبَ بالفارسية ، وأن بيوَراسب ظهر فى أول سنة من ملكه ، ودعا إلى ملّة الصابئين .

١٧٠

ثم رجعنا إلى ذكر أخْنوخ ، وهو إدريس عليه السلام .

ثم نكح — فيما حدثنا به ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق — أخنوخ بن يَرْد هدّانة[3] — ويقال : أدّانة[4] — ابنة باويل[5] ابن محويل بن خَنُوخ بن قَين بن آدم ، وهو ابن خمس وستين سنة ، فولدت له مَتُوشلَخ بن أخْنوخ ، فعاش بعد ما ولد له مَتُوشَلَخ ثلثمائة سنة ، وولد له بنون وبنات ؛ فكان كل ما عاش أخنوخ ثلثمائة سنة وخمسًا وستين سنة ثم مات .

وأما غيره من أهل التوراة فإنه قال فيما ذكر عن[6] التوراة : وُلد لأخْنُوخ بعد ستمائة سنة وسبع وثمانين سنة خَلَتْ من عمر آدم مَتُوشَلَخ ، فاستخلفه

١٧١

(١) ا : « والفسدة » .
(٢) ك ، ن : « للناس » .
(٣) كذا ضبطت فى ا بتشديد الدال .
(٤) ك : « إدابة » .
(٥) ر : « يا ويل » ، ك : « تاويل » ، ن : « واويل » .
(٦) ط : « ذكر أهل التوراة » وما أثبته من ا .

أخْنُوخ على أمر الله ، وأوصاه وأهل بيته قبل أن يُرفع ، وأعلمهم أن الله عزَّ وجل سيعذِّب ولد قايين ومَن خالطهم ومال إليهم ، ونهاهم عن مخالطتهم ، وذُكر أنه كان أول من ركب الخيل ، لأنه اقتفى رسمَ أبيه فى الجهاد ، وسلك فى أيامه فى العمل بطاعة الله طريق آبائه . وكان عمر أخْنُوخ إلى أن رفع ثلثمائة سنة وخمساً وستين سنة . وولد له مَتُوشَلَخ بعد ما مضى من عمره خمس وستون سنة .

ثم نكح — فيما حدثنى ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة عن ابن إسحاق — متُوشلخ بن أخنوخ عربا ابنة عزرائيل[1] بن أنوشيل بن خَنوخ بن قين بن آدم ، وهو ابن مائة سنة وسبع وثلاثين سنة . فولدت له لمك بن مَتُوشلخ ، فعاش بعد ما ولد له لمك سبعمائة سنة ، فولد له بنون وبنات ، وكان كلّ ما عاش مَتُوشلخ تسعمائة سنة وتسع عشرة سنة . ثم مات ونكح لمك بن متُوشلخ بن أخنوخ بتنوس ابنة براكيل بن محويل[2] بن خنوخ بن قَين بن آدم عليه السلام ، وهو ابن مائة سنة وسبع وثمانين سنة . فولدت له نوحاً النبى صلى الله عليه وسلم ، فعاش لمك بعد ما ولد له نوح خمسمائة سنة وخمساً وتسعين سنة ، [وولد له بنون وبنات][3] ، فكان كلُّ ما عاش سبعمائة سنة وثمانين سنة ، ثم مات . ونكح نوح ابن لمك عمذرة[4] ابنة براكيل بن محويل بن خنُوخ بن قين بن آدم ، وهو ابن خمسمائة سنة ، فولدت له بنيه : سام ، وحام ، ويافث ، بنى نوح .

١٧٨/١

وقال أهل التوراة : ولِد لمتُوشلَخ بعد ثمانمائة سنة وأربع وسبعين سنة من عمر آدم لمك ، فأقام على ما كان عليه آباؤه : من طاعة الله وحفظ عهوده . قالوا : فلما حضرت مَتُوشلَخ الوفاة استخلف لمك على أمره ، وأوصاه بمثل ما كان آباؤه يوصون به . قالوا : وكان لمك يَعظ قومه ، وينهاهم عن النزول إلى ولد قايين فلا يتّعظون ، حتى نزل جميع مَن كان فى الجبل إلى ولد قايين .

(١) ا وابن الأثير : « عزازيل » .

(٢) محويل ، ضبطه ابن الأثير ١ : ٣١ : « بحاء مهملة وياء معجمة باثنين من تحت » .

(٣) تكملة من ا .

(٤) أ : « عمزورة » ، ر : « عزررة » ، ك : « عمريزة » ، ابن الأثير ١ : ٣٦ « عزرة » .

وقيل : إنه كان لمتُوشَلَخ ابن آخر غير لَمَك ، يقال له صابئ — وقيل : إن الصابئين به سُمّوا صابئين — وكان عمر مَتُوشَلَخ تسعمائة وستين سنة ، وكان مولد لمَك بعد أن مضى من عمر مَتُوشَلَخ مائة وسبع وثمانون سنة . ثم ولد لَمَك نوحًا بعد وفاة آدم بمائة سنة وست وعشرين سنة ، وذلك لألف سنة وست وخمسين سنة مضت من يوم أهبط الله عزّ وجلّ آدم إلى مولد نوح عليه السلام ، فلما أدرك نوح قال له لمَك : قد علمت أنه لم يبق فى هذا الموضع غيرُنا ، فلا تستوحش ولا تتبع الأمة الخاطئة ؛ فكان نوح يدعو إلى ربّه ، ويعظ قومَه فيستخفّون به ، فأوحى الله عزّ وجلّ إليه أنه قد أمهلهم ؛ [1] فأنظرهم ليراجعوا ويتوبوا مدة ، فانقضت المدة قبل أن يتوبوا ويُنيبوا .

* * *

وقال آخرون غير من ذكرت قوله : كان نوح فى عهد بيوَراسب ، وكان قومه يعبدون الأصنام ، فدعاهم إلى الله جلّ وعزّ تسعمائةوستة وخمسين سنة ؛ كلّما مضى قرنٌ تبعهم قرن ، على ملّةٍ واحدة من الكفر ، حتى أنزل الله عليهم العذاب فأفناهم .

١/١٧٩ حدثنا الحارث ، قال: حدثنا ابن سعد ، قال : حدثنى هشام، قال : أخبرنى أبى ، عن أبى صالح ، عن ابن عباس ، قال : ولَد مَتُوشلَخ لمك ونفرًا معه ، وإليه الوصية، فولَد لمك نوحًا، وكان للَمَك يوم ولد نوح اثنتان وثمانون سنة ، ولم يكن أحد فى ذلك الزمان ينهَى عن منكر ، فبعث الله إليهم نوحًا ؛ وهو ابن أربعمائة سنة وثمانين سنة ، ثم دعاهم فى نبوّته مائة وعشرين سنة ، ثم أمره بصنعة السفينة فصنعَها وركبها وهو ابن ستمائة سنة ، وغرق من غرق ، ثم مكث بعد السفينة ثلاثمائة سنة وخمسين سنة .

* * *

وأما علماء الفرس فإنهم قالوا: ملك بعد طهمورث جم الشيذ — والشيذ معناه عندهم الشعاع ، لقّبوه بذلك فيما زعموا لجماله — وهو جم بن ويَونجهان، وهو أخو طمهورَث . وقيل إنه ملَك الأقاليم السبعة كلّها ، وسُخّر له ما فيها من

---

(١) ط : « أمهلتهم » ، وما أثبته من ا .

الجنّ والإنس ، وعُقِد على رأسه التاج . وقال حين قعد فى ملكه : إن الله تبارك وتعالى قد أكمل بهاءنا وأحسن تأييدنا ، وسنُوسع رعيتنا خيراً . وإنه ابتدع صنعة السيوف والسلاح ، ودلّ على صنعة الإبريْسم والقزّ وغيره مما يُغْزَل ، وأمر بنسج الثياب وصَبْغها ، ونحت السروج والأكُف وتذليل الدوابّ بها .

وذكر بعضُهم أنه توارَى بعد ما مضى من ملكه سمّائة سنة وست عشرة سنة وستّة أشهر ، فخلت البلادُ منه سنة ، وأنه أمر لمُضِىّ سنةٍ من ملكه إلى سنة خمس منه بصنعة السيوف والدروع والبيض وسائر صنوف الأسلحة وآلة الصنّاع من الحديد . ومن سنة خمسين من مُلْكه إلى سنة مائة بغزل الإبريْسم والقزّ والقطن والكتّان وكلّ ما يُستطاع غزلُه وحياكة ذلك وصَبْغته ألوانًا وتقطيعه أنواعًا ولبسه . ومن سنة مائة إلى سنة خمسين ومائة صنّف الناسَ أربع طبقات : طبقة مقاتلة ، وطبقة فقهاء ، وطبقة كتّابًا وصناعًا وحرّاثين ، واتخذ طبقة منهم خدَمًا ، وأمرَ كلّ طبقة من تلك الطبقات بلزوم العمل الذى ألزمها إياه . ومن سنة مائة وخمسين إلى سنة خمسين ومائتين حاربَ الشياطين والجنّ وأثخنهم وأذلّهم وسُخّروا له وانقادوا لأمره . ومن سنة خمسين ومائتين إلى سنة ست عشرة وثلثمائة وكّلَ الشياطين بقطع الحجارة والصخور من الجبال ، وعملِ الرخام والجصّ والكلْس ، والبناء بذلك ، وبالطين البنيان والحمامات ، وصنعة النُّورة ، والنّقْل من البحار والجبال والمعادن والفلوات كلّ ما ينتفع به الناس ، والذهب والفضة وسائر ما يذاب من الجواهر ، وأنواع الطيب والأدوية فنفذوا فى كلّ ذلك لأمره . ثم أمر فصُنِعت له عَجَلة من زجاج ، فصفّد فيها الشياطين وركبها ، وأقبل عليها فى الهواء من بلده ، من دُنْبَاوند إلى بابل فى يوم واحد ، وذلك يوم هرمز أز فروردين ماه[1] ، فاتخذ الناس للأعجوبة التى رأوا من إجرائه ما أجرى على تلك الحال نوروز ؛ وأمرهم باتخاذ ذلك اليوم وخمسة أيام بعده عيداً ، والتنعم والتلذذ فيها ، وكتب إلى الناس اليوم السادس ، وهو خُرْداذروز يخبرهم أنه قد سار فيهم بسيرة ارتضاها الله ، فكان من جزائه

١٨٠/١

(١) هرمز اسم اليوم الأول من السنة الشمسية ، وكلمة «أز» بمعنى «من» ، وفروردين ماه : اسم الشهر الأول منها .

إياه عليها أن جنَّبهم الحرَّ والبردَ والأسقام والهرَم والحسد ، فمكث الناس ثلثمائة سنة بعد الثلثمائة والست عشرة سنة التى خلت من مُلْكِه، لا يصيبهم شىء مما ذكر أن اللهَ جَلَّ وعزَّ جنّبهم إياه . /١٨١

ثم إن جمًّا بَطَر بعد ذلك نعمة الله عنده ، وجمع الإنس والجن، فأخبرهم أنه وليُّهم ومالكهم والدافع بقوته عنهم الأسقام والهرم والموت، وجَحَد إحسان الله عزّ وجلّ إليه ، وتمادى فى غيّه فلم يُحِر[١] أحد ممن حضره له جوابًا، وفقد مكانه بهاءه وعزّه، وتخلّت عنه الملائكة الذين كان الله أمرهم بسياسة أمره ، فأحسّ بذلك بيوَراسب الذى يسمى الضحاك فابتدر إلى جَم لينتهسه[٢] فهرب منه، ثم ظفر به بيوراسب بعد ذلك، فامتلخ أمعاءه واستَرطها[٣]، ونشره بمنشار .

وقال بعض علماء الفرس : إن جمًّا لم يزل محمودَ السيرة إلى أن بقِىَ من ملكه مائة سنة فخلّط حينئذ ، وادّعى الربوبية، فلما فعل ذلك اضطرب عليه أمره ، ووثب عليه أخوه اسفتور[٤] وطلبه ليقتله، فتوارى عنه، وكان فى تواريه ملِكًا ينتقل من موضع إلى موضع ، ثم خرج عليه بيوراسب فغلَبه على ملكه، ونشره بالمنشار .

وزعم بعضُهم أن مُلْك جم كان سبعمائة سنة وست عشرة سنة وأربعة أشهر وعشرين يومًا[٥] .

* * *

وقد ذكرت عن وهب بن منبّه، عن ملك من ملوك الماضين قصة شبيهة بقصّة جَم شاذ الملك، ولولا أنّ تاريخه خلاف تاريخ جَم لقلت إنها قصة جَم .

---

(١) ن : « فلم يجد » .

(٢) كذا فى ا وابن الأثير ، وفى ط : « لينهسه »

(٣) استرطها ، من السرط ؛ وهو « البلع » .

(٤) ا وابن الأثير ١ : ٣٧ : « اسفنور » .

(٥) قال ابن الأثير بعد أن نقل هذا الخبر : « قلت : وهذا الفصل من حديث جم قد أتينا به تاما بعد أنْ كنا عازمين على تركه ؛ لما فيه من الأشياء التى تمجها الأسماع ، وتأباها العقول والطباع : فإنها من خرافات الفرس مع أشياء أخر قد تقدمت قبلها ؛ وإنما ذكرناها ليعلم جهل الفرس ؛ فإنهم كثيراً ما يشنعون على العرب بجهلهم ، وما بلغوا هذا ؛ ولأنا لو تركنا هذا الفصل لخلا من شىء نذكره من أخبارهم » .

وذلك ما حدثني محمد بن سهل بن عسكر ، قال : حدثنا إسماعيل بن عبد الكريم ، قال : حدثني عبد الصمد بن معقل ، عن وهب بن منبّه ، أنه قال : إن رجلا ملك وهو فتًى شاب[1] ، فقال : إني لأجدُ للمُلْك لذة وطعمًا ، فلا أدري : أكذلك كلّ الناس أم أنا وجدتُه من بينهم ؟ فقيل له : بل المُلْك كذلك ، فقال : ما الذي يقيمه لي ؟ فقيل له : يقيمه لك أن تطيعَ الله فلا تعصيه . فدعا ناسًا من خيار مَنْ كان في ملكه فقال لهم : كونوا بحضرتي في مجلسي ؛ فما رأيتم أنه طاعة لله عزّ وجلّ فأمُروني أن أعمل به ، وما رأيتم أنه معصيةٌ لله فازجروني عنه أنزجر ؛ ففعل ذلك هو وهم ، واستقام له ملكه بذلك أربعمائة سنة مطيعًا لله عزّ وجلّ. ثم إن إبليس انتبه لذلك فقال : تركت رجلا يعبد الله ملكًا أربعمائة سنة ! فجاء فدخل عليه فتمثّل له برجل ، ففزع منه الملِك ، فقال : من أنت ؟ قال إبليس : لا تُرَعْ ؛ ولكن أخبرني مَنْ أنت ؟ قال الملك : أنا رجل من بني آدم ، فقال له إبليس : لو كنت من بني آدم لقد متّ كما يموت بنو آدم ؛ ألم ترَ كَمْ قد مات من الناس وذهب من القرون ! لو كنتَ منهم لقد متّ كما ماتوا ؛ ولكنَّك إله ، فادعُ الناس إلى عبادتك . فدخل ذلك في قلبه ، ثم صعد المنبر ، فخطب الناس فقال : أيها الناس ، إني قد كنت أخفيت عنكم أمراً بَانَ لي إظهاره ؛ لَكمْ تعلمون أني ملكتكم منذ أربعمائة سنة ، ولو كنتُ من بني آدم لقد متُّ كما ماتوا ؛ ولكني إلهٌ فاعبدوني . فأرعش مكانه ، وأوحى الله إلى بعض مَنْ كان معه فقال : أخبره أني قد استقمت له ما استقام لي ، فإذا تحول عن طاعتي إلى معصيتي فلم يستقم لي ، فبعزّتي حلفتُ لأسلِّطنّ عليه بخت ناصر ؛ فليضربَنَّ عنقه ، وليأخذنّ ما في خزائنه . وكان في ذلك الزمان لا يسخط الله على أحد إلا سلّط عليه بخت ناصر ؛ فلم يتحول الملك عن قوله ، حتى سلَّط الله عليه بخت ناصر ، فضرب عنقه ، وأوقر من خزائنه سبعين سفينة ذهبًا .

قال أبو جعفر : ولكن بين بخت ناصر وجم دهر طويل ؛ إلا أن يكون الضّحاك كان يُدعى في ذلك الزمان بخت ناصر .

(١) ر : « وهو ذو شباب » ، ن : « وهو شاب » .

وأما هشام بن الكلبيّ فإني حُدِّثت عنه أنه قال: ملك بعد طَهْمورث جم، وكان أصبحَ أهلِ زمانه وجهًا، وأعظمهم جسمًا، قال: فذكروا أنه غبرَ[١] سمائة سنة وتسع عشرة سنة مطيعًا لله مستعليًا أمره مستوثقة له البلاد. ثم إنه طَغى وبغى؛ فسلّط الله عليه الضَّحاك، فسار إليه فى مائتى ألف، فهرب جم منه مائة سنة؛ ثم إن الضحاك ظفِر به فنشره بمنشار. قال: فكان جميع ملك جم، منذ ملك إلى أن قتل سبعمائة وتسع عشرة سنة.

* * *

وقد روى عن جماعة من السلف أنه كان بين آدم ونوح عشرة قرون؛ كلُّهم على ملة الحقّ، وأن الكفر بالله إنما حدث فى القرن الذين بعث إليهم نوح عليه السلام، وقالوا: إن أول نبيّ أرسله الله إلى قوم بالإنذار والدعاء إلى توحيده نوح عليه السلام.

* ذكر من قال ذلك:

حدثنا محمد بن بشار، قال: حدثنا أبو داود، قال: حدثنا همام، عن قَتادة، عن عِكْرِمة، عن ابن عباس، قال: كان بين نوح وآدم عليهما السلام عشرة قرون، كلُّهم على شريعة من الحق؛ فاختلفوا، فبعث الله النبيين مبشِّرين ومنذرين، قال: وكذلك هى فى قراءة عبد الله: ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَاخْتَلَفُوا﴾[٢]. ١/١٨٤

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا مَعْمَر، عن قتادة: قوله عزّ وجلّ: ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾، قال: كانوا على الهُدى جميعًا فاختلفوا، فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين، فكان أول نبيّ بعث نوح عليه السلام[٣].

---

(١) ط: «عمر»، وما أثبته من ا.
(٢) سورة البقرة ٢١٣، والخبر فى التفسير ٤ : ٢٧٥
(٣) الخبر فى التفسير ٤ : ٢٧٥

ذكر الأحداث التي كانت في عهد نوح عليه السلام

قد ذكرنا اختلاف المختلفين في ديانة القوم الذين أرسل إليهم نوح عليه السلام ، وأن منهم مَن يقول : كانوا قد أجمعوا على العمل بما يكرهه الله ، من ركوب الفواحش وشرب الخمور والاشتغال بالملاهي عن طاعة الله عزّ وجلّ ، وأنّ منهم من يقول : كانوا أهلَ طاعة بيوَراسب ، وكان بيوراسب أولَ من أظهر القول بقول الصابئين ؛ وتبعه على ذلك الذين أرسل إليهم نوح عليه السلام ، وسأذكر إن شاء الله خبر بيوراسب فيما بعد .

فأما كتاب الله فإنه ينبِئ عنهم أنهم كانوا أهلَ أوثان ، وذلك أن الله عزّ وجلّ يقول مخبراً عن نوح : ﴿قَالَ نُوحٌ رَبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَاتَّبَعُوا مَنْ لَمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَوَلَدُهُ إِلَّا خَسَارًا * وَمَكَرُوا مَكْرًا كُبَّارًا * وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا ، وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا * وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا﴾(١). فبعث الله إليهم نوحاً يخوّفهم بأسه ، ويحذّرهم سطوته ، وداعياً لهم إلى التوبة والمراجعة إلى الحقّ ، والعمل بما أمر الله به رسلَه وأنزله في صحف آدم وشيث وأخنُوخ . ونوح يوم ابتعثه الله نبيّاً إليهم — فيما ذكر — ابن خمسين سنة . ١/١٨٥

وقيل أيضاً ما حدثنا به نصر بن علي الجهضميّ ، قال : حدثنا نوح بن قيس ، قال : حدثنا عَوْن بن أبي شدّاد ، قال : إن الله تبارك وتعالى أرسل نوحاً إلى قومه وهو ابنُ خمسين وثلثمائة سنة ، فلبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاماً ، ثم عاش بعد ذلك خمسين وثلثمائة سنة .

حدثني الحارث ، قال : حدثنا ابن سعد ، قال : حدثنا هشام ، قال : أخبرني أبي ، عن أبي صالح ، عن ابن عباس ، قال : بعث الله نوحاً إليهم وهو ابن أربعمائة سنة وثمانين سنة ، ثم دعاهم في نبوّته مائة وعشرين سنة ،

(١) سورة نوح ٢١ — ٢٤

وركب السفينة وهو ابن ستمائة سنة ، ثم مكث بعد ذلك ثلثمائة وخمسين سنة .

قال أبو جعفر : فلبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عامًا كما قال الله عزّ وجلّ يدعوهم إلى الله سرًّا وجهراً ، يمضى قرنٌ بعد قرن ، فلا يستجيبون له ، حتى مضى قرون ثلاثة على ذلك من حاله وحالهم ، فلما أراد الله عزّ وجلّ إهلاكهم دعا عليهم نوح عليه السلام فقال: ﴿رَبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِى واتَّبَعُوا مَنْ لَمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَوَلَدُهُ إِلاَّ خَسَاراً﴾ ، فأمره الله تعالى ذكره أن يغرس شجرة فغرسها ، فعظمت وذهبت كلّ مذهب ، ثم أمره بقطعها من بعد ما غرسها بأربعين سنة ، فيتخذ منها سفينة ، كما قال الله له : ﴿وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا﴾[1] ، فقطعها وجعل يعملها .

وحدثنا صالح بن مسمار المروزىّ والمثنى بن إبراهيم ، قالا : حدثنا ابن أبى مريم ، قال : حدثنا موسى بن يعقوب ، قال : حدثنى فائد مولى عبيد الله ابن على بن أبى رافع ، أنّ إبراهيم بن عبد الرحمن بن أبى ربيعة ، أخبره أنّ عائشة زوج النبى صلى الله عليه وسلم أخبرته أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لو رحم الله أحداً من قوم نوح لرحم أم الصبىّ » ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « كان نوح مكث فى قومه ألف سنة إلا خمسين عامًا ، يدعوهم إلى الله عزّ وجلّ ، حتى كان آخر زمانه غرس شجرة فعظمت وذهبت كلّ مذهب ثم قطعها ، ثم جعل يعمل سفينة فيمرّون فيسألونه فيقول : أعملها سفينة ، فيسخرون منه ، ويقولون : تعمل سفينة فى البرّ فكيف تجرى ! فيقول : سوف تعلمون . فلما فرغ منها وفار التنور وكثُر الماء فى السكك خشيتْ أمّ الصبىّ عليه — وكانت تحبّه حبًّا شديداً — فخرجت إلى الجبل حتى بلغت ثلثه ، فلما بلغها الماء خرجت حتى بلغت ثلثى الجبل ، فلما بلغها الماء خرجت حتى استوت على الجبل ، فلما بلغ الماء رقبتها رفعتْه بيدها ، حتى ذهب به الماء ، فلو رحم الله منهم أحداً لرحم أمّ الصبىّ » .

١/١٨٦

حدثنى ابن أبى منصور ، قال : حدثنا علىّ بن الهيثم ، عن المسيّب بن

---

(١) سورة هود ٣٧

شَريك ، عن أبي رَوْق ، عن الضَّحاك ، قال : قال سلْمان الفارسيّ : عمل نوح السفينة أربعمائة سنة ، وأنبت الساج أربعين سنة ، حتى كان طوله ثلثمائة ذراع ، والذراع إلى المنكب .

١/١٨٧ فعمل نوح بوحْيِ الله إليه ، وتعليمه إياه ، عملَها فكانت إن شاء الله كما حدثنا بشر بن معاذ ، قال : حدثنا يزيد بن زريع ، قال : حدثنا سعيد ، عن قتادة ، قال : ذُكِر لنا أن طول السفينة ثلثمائة ذراع ، وعرضها خمسون ذراعًا ، وطولها في السماء ثلاثون ذراعًا ، وبابها في عرضها .

حدثني الحارث ، قال : حدثنا عبد العزيز ، قال : حدثنا مبارك ، عن الحسن ، قال : كان طول سفينة نوح ألف ذراع ومائتيْ ذراع ، وعرضها ستمائة ذراع .

حدثنا القاسم ، قال : حدثنا الحسين ، قال : حدثني حجاج ، عن مفضّل بن فضالة ، عن عليّ بن زيد بن جُدْعان ، عن يوسف بن مِهْران ، عن ابن عباس ، قال : قال الحواريون لعيسى بن مريم : لو بعثت لنا رجلا شهد السفينة فحدّثنا عنها ! فانطلق بهم حتى انتهى إلى كثيب من تراب ، فأخذ كفًّا من ذلك التراب بكفّه ، فقال : أتدرون ما هذا ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم ، قال : هذا قبر حام بن نوح ، قال : فضرب الكثيب بعصاه وقال : قم بإذن الله ، فإذا هو قائم ينفض التراب عن رأسه ، وقد شاب ، فقال له عيسى عليه السلام : هكذا هلكت ؟ قال : لا ، ولكني متّ وأنا شابٌّ ؛ ولكني ظننتُ أنها الساعة ، فمن ثَمَّ شبتُ . قال : حدّثنا عن سفينة نوح ، قال : كان طولها ألف ذراع ومائتَيْ ذراع وعرضها ستمائة ذراع ، وكانت ثلاث طبقات : فطبقة فيها الدوابّ والوحش ، وطبقة فيها الإنس ، وطبقة فيها الطير ، فلما كثُر أرواث الدوابّ أوحى الله إلى نوح أن اغمزْ ذنَب الفيل ، فغمز فوقع منه خنزير وخنزيرة ، فأقبلا على الروث ، فلما وقع الفأر بخرز السفينة يقرضه ، أوحى الله إلى نوح أن اضربْ بين عينَي الأسد ، فخرج من منخره ١/١٨٨ سنّور وسنّورة ، فأقبلا على الفأر . فقال له عيسى : كيف علم نوح أن البلاد قد غرقت ؟ قال : بعث الغراب يأتيه بالخبر ، فوجد جيفة فوقع عليها ، فدعا عليه بالخوف ، فلذلك لا يألف البيوت . قال : ثم بعث الحمامة ، فجاءت

بورق زيتون بمنقارها وطين برجليْها ، فعلم أنّ البلاد قد غرقت . قال : فطوّقها الخضرة التي في عنقها ، دعا لها أن تكون في أنس وأمان ، فمن ثَمّ تألف البيوت . قال : فقالت الحواريون : يا رسولَ الله ، ألا ننطلق به إلى أهلنا ، فيجلس معنا ويحدثنا ؟ قال : كيف يتبعكم من لا رزق له ؟ قال : فقال له : عُدْ بإذن الله ، فعاد ترابًا .

حدثني الحارث ،قال: حدثنا ابن سعد، قال: أخبرني هشام، قال : أخبرني أبي ، عن أبي صالح ،عن ابن عباس، قال : نَجَر[1] نوح السفينة بجبل بَوْذ، من ثَمّ تبدّى الطوفان . قال : وكان طول السفينة ثلثمائة ذراع بذراع جدّ أبي نوح ، وعرضها خمسين ذراعًا ، وطولها في السماء ثلاثين ذراعًا، وخرج منها من الماء ستة أذرع ، وكانت مطبّقة ،وجعل لها ثلاثة أبواب ، بعضها أسفل من بعض .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق، عمّن لا يتّهم ،عن عُبَيْد بن عُمَير الليثيّ ، أنّه كان يحدّث أنه بلغه أنهم كانوا يبطشون به – يعني قوم نوح بنوح – فيخنقونه حتى يُغشى عليه ، فإذا أفاق قال : اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون .

قال ابن إسحاق : حتى إذا تمادوْا في المعصية ، وعظمت في الأرض منهم الخطيئة ، وتطاول عليه وعليهم الشأن ، واشتدّ عليه منهم البلاء ، وانتظر النجل بعد النجل ، فلا يأتي قرن إلا كان أخبثَ من الذى قبله ؛ حتى إن كان الآخر منهم لَيقول : قد كان هذا مع آبائنا ومع أجدادنا ؛ هكذا مجنونًا ! لا يقبلون منه شيئًا ، حتى شكا ذلك من أمرهم نوح إلى الله عزّ وجلّ ، فقال كما قصّ الله عزّ وجلّ علينا في كتابه : ﴿ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا * فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَارًا ﴾ إلى آخر القصة ، حتى قال : ﴿ رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا * إِنَّكَ إِنْ تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا ﴾ ،[2] إلى آخر القصّة . فلما شكا ذلك منهم نوح إلى الله عزّ وجلّ

١/١٨٩

(١) يقال . نجر الخشب ؛ أي نحته وسواه .

(٢) سورة نوح ٥ ، ٦ ، ٢٦ – ٢٧

واستنصره عليهم أوحى الله إليه أن ﴿اصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلَا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُغْرَقُونَ﴾[١] . فأقبل نوح على عمل الفلك ، ولها عن قومه ، وجعل يقطع الخشب ويضرب الحديد ، ويهيّئ عُدة الفلك من القار وغيره مما لا يُصلحه إلاّ هوَ ، وجعل قومه يمرُّون به ، وهو فى ذلك من عمله، فيسخرون منه، ويستهزئون به فيقول: ﴿إِنْ تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ * فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُقِيمٌ﴾[٢] . قال : ويقولون — فيما بلغنى — : يا نوح قد صرت نجّاراً بعد النبوّة ! قال : وأعقم الله أرحام النساء فلا يولَد لهم .

قال : ويزعم أهل التوراة أن الله عزّ وجلّ أمره أن يصنع الفلك من خشب الساج ، وأن يصنعه أزور[٣]، وأن يَطليَه بالقار من داخله وخارجه، وأن يجعل طوله ثمانين ذراعًا وعرضه خمسين ذراعًا ، وطوله فى السماء ثلاثين ذراعًا ، ١/١٩٠ وأن يجعله ثلاثة أطباق: سُفْلا ووسطًا وعلواً، وأن يجعل فيه كُوًّا . ففعل نوح كما أمره الله عزّ وجلّ ، حتى إذا فرغ منه وقد عهد الله إليه: ﴿إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِنْ كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ آمَنَ وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ﴾[٤] . وقد جعل التنّور آية فيما بينه وبينه، فقال : إذا جاء أمرنا وفار التنّور فاسلك فيها من كل زوجين اثنين واركب . فلما فار التنور حمَل نوح فى الفلك مَن أمره الله تعالى به — وكانوا قليلا كما قال — وحمل فيها من كلٍّ زوجين اثنين مما فيه الروح والشجر، ذكرًا وأنثى . فحمل فيه بنيه الثلاثة : سام وحام ويافث ونساءهم، وستة أناس ممن كان آمن به فكانوا عشرة نفر : نوحٌ وبنوه وأزواجهم ، ثم أدخل ما أمره الله به من الدوابّ ، وتخلف عنه ابنه يام، وكان كافراً .

---

(١) سورة هود ٣٧
(٢) سورة هود ٣٨ — ٣٩
(٣) أزور ، أى مائلا .
(٤) سورة هود ٤٠

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن الحسن ابن دينار ، عن على بن زيد، عن يوسف بن مِهْران،عن ابن عباس،قال : سمعته يقول : كان أوّل ما حمل نوح فى الفلك من الدوابّ الذرّة ، وآخرَ ما حمل الحمار . فلما أدخل الحمار ودخل صدره تعلق إبليس لعنه الله بذَنَبه فلم تستقلّ رجلاه ، فجعل نوح يقول : ويحك ! ادخلْ ، فينهض فلا يستطيع ، حتى قال نوح، ويحك ! ادخلْ وإن كان الشيطان معك،قال كلمة زلّت عن لسانه ، فلما قالها نوح خلّى الشيطان سبيلَه، فدخل ودخل الشيطان معه ، فقال له نوح : ما أدخلك علَيّ ياعدو الله ! قال : ألم تقل: « ادخل وإن كان الشيطان معك ! »،قال : اخرج عنى يا عدوّ الله ، فقال: مالك بدٌّ من أن تحملَنى ، فكان – فيما يزعمون – فى ظهر الفُلْك، فلما اطمأنّ نوح فى الفُلْك وأدخَل فيه كلّ من آمن به ، وكان ذلك فى الشهر من السنة التى دخل فيها نوح بعد ستمائة سنة من عمره لسبع عشرة ليلة مضت من الشهر ، فلما دخل وحمل معه من حمل، تحرك ينابيع الغَوْط الأكبر ،وفتِحت أبواب السماء، كما قال الله لنبيه صلى الله عليه وسلم: ﴿ فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ * وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ﴾[1].فدخل نوح ومن معه الفلك وغطّاه عليه وعلى من معه بطبقة ، فكان بين أن أرسل الله الماء وبين أن احتمل الماء الفلك أربعون يومًا وأربعون ليلة . ثم احتمل الماء كما يزعم أهل التوراة ،وكثر واشتدّ وارتفع ؛يقول الله عزّ وجلّ لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: ﴿ وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ * تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَاءً لِمَنْ كَانَ كُفِرَ ﴾[1]. والدُّسُر : المسامير، مسامير الحديد. فجعلت الفلك تجرى به وبمن معه فى موج كالجبال ، ونادى نوح ابنَه الذى هلك فيمن هلك ، وكان فى معزل حين رأى نوح من صدق موعود ربّه ما رأى ، فقال : ﴿ يا بُنَيَّ ارْكَبْ مَعَنَا ولا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ ﴾، وكان شقيًّا قد أضمر كفراً،﴿ قال سَآوِي إلى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ ﴾، وكان عهد الجبال وهى حرز

١٩١/١ ١٩٢/١

---

(١) سورة القمر ١١ ، ١٤

من الأمطار إذا كانت، فظنّ أن ذلك كما كان يكون، قال [نوح][1] : ﴿ لا عاصِمَ اليوم من أمر الله إلاّ مَنْ رَحِمَ وَحَالَ بينهما الموجُ فكَانَ من المغرقين ﴾[2] . وكثر الماء وطغى ، وارتفع فوق الجبال — كما يزعم أهل التوراة — خمسة عشر ذراعاً، فباد ما على وجه الأرض من الخلق، [من][1] كلّ شيء فيه الروح أو شجر، فلم يبق شيء من الخلائق إلا نوحٌ ومن معه فى الفلك ، وإلاّ عوج بن عنق[3] — فيما يزعم أهل الكتاب — فكان بين أن أرسل الله الطوفان وبين أن غاض الماء ستة أشهر وعشر ليال .

حدثنى الحارث ، قال : حدثنا ابن سعد ، قال : أخبرنى هشام ، قال : أخبرنى أبى ، عن أبى صالح، عن ابن عباس، قال : أرسل الله المطر أربعين يوماً وأربعين ليلة ، فأقبلت الوحوش حين أصابها المطر والدوابّ والطير كلّها إلى نوح ، وسُخّرت له ، فحمل منها كما أمره الله عزّ وجل: ﴿مِنْ كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ ﴾ ، وحمل معه جسد آدم ، فجعله حاجزاً بين النساء والرجال ، فركبوا فيها لعشر ليال مضيْنَ من رجب، وخرجوا منها يوم عاشوراء من المحرّم، فلذلك صام مَنْ صام يوم عاشوراء . وأخرج الماء نصفين ، فذلك قول الله عزّوجلّ ﴿فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ ﴾ ، يقول: منصبّ ، ﴿ وَفَجَّرْنَا الأَرْضَ عُيُوناً﴾، يقول: شققنا الأرض ، ﴿فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ﴾ فصار الماء نصفين : نصف من السماء ونصف من الأرض ، وارتفع الماء على أطول جبل فى الأرض خمسة عشر ذراعاً ، فسارت بهم السفينة ، فطافت بهم الأرض كلّها فى ستة أشهر لا تستقرّ على شيء ، حتى أتت الحرَم فلم تدخله ، ودارت بالحرم أسبوعاً ، ورُفع البيت الذى بناه آدم عليه السلام؛ رفع من الغرق ، — وهو البيت المعمور والحجر الأسود — على أبى قبَيس ، فلما دارت بالحرم ذهبت فى الأرض تسير بهم ، حتى انتهت إلى الجوديّ — وهو جبل بالحضيض من

١٩٣/١

(١) تكملة من ا

(٢) سورة هود ٤٣

(٣) كذا فى ا ، وفى ط : « أعنق » .

أرض الموصل ــ فاستقرّت بعد ستة أشهر لتمام السبع ، فقيل بعد السبعة الأشهر : ﴿بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾[١] ، فلما استقرّت على الجودىّ ﴿قِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ﴾ ؛ يقول : أنشفى ماءك الذى خرج منك ، ﴿وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي﴾ ؛ يقول: احبسى ماءك ، ﴿وَغِيضَ الْمَاءُ﴾[١] نشّفته الأرض ، فصار ما نزل من السماء هذه البحور التى ترون فى الأرض ، فآخر ما بقى من الطوفان فى الأرض ماءٌ بحِسْمَى[٢] بقى فى الأرض أربعين سنة[٣] بعد الطوفان ثم ذهب .

وكان التنُّور الذى جعل الله تعالى ذكره آية ما بينه وبين نوح فوران الماء منه تنوراً كان لحوّاء من حجارة ، وصار إلى نوح .

حدثنى يعقوب بن إبراهيم ، قال : حدثنا هُشَيم ، عن أبى محمد ، عن الحسن ، قال : كان تنّوراً من حجارة ، كان لحواء حتى صار إلى نوح ، قال : فقيل له : إذا رأيت الماء يفور من التنور ، فاركب أنت وأصحابك .

* * *

١/١٩٤ وقد اختلف فى المكان الذى كان به التنور الذى جعل الله فوران مائه آية ، ما بينه وبين نوح ، فقال بعضهم : كان بالهند .

* ذكر من قال ذلك :

حدثنا أبو كريب ، قال : حدثنا عبد الحميد الحِمَّانىّ ، عن النضر أبى عمر الخزاز ، عن عكرمة ، عن ابن عباس : فى : ﴿وَفَارَ التَّنُّورُ﴾:[٤] قال : فار بالهند .

* * *

وقال آخرون : كان ذلك بناحية الكوفة .

* ذكر من قال ذلك :

---

(١) سورة هود ٤٤

(٢) حسمى : أرض ببادية الشام ؛ ذكرها ياقوت فى معجم البلدان وقال : آخر ماء نضب من ماء الطوفان حسمى ، فبقيت منه هذه البقية إلى اليوم فلذلك هى أخبث ماء » .

(٣) ا : « يعنى بعد الطوفان » .

(٤) سورة هود ٤٠

حدثنى الحارث ، قال : حدثنا الحسن[١] ؛ قال : حدثنا خَلَف بن خليفة ، عن ليث ، عن مجاهد ، قال : نبعَ الماء فى التنور ، فعلمتْ به امرأتُه فأخبرته ، قال : وكان ذلك فى ناحية الكوفة .

حدثنى الحارث ، قال : حدثنا القاسم ، قال : حدثنا على بن ثابت ، عن السرىّ بن إسماعيل ، عن الشعبىّ ، أنه كان يحلف بالله : ما فار التنّور إلا من ناحية الكوفة .

* * *

واختلِف فى عدد مَنْ ركب الفُلْك من بنى آدم ، فقال بعضهم : كانوا ثمانين نفساً .

* ذكر من قال ذلك :

حدثنى موسى بن عبد الرحمن المسروقىّ ، قال : حدثنا زيد بن الُحبَاب ، قال : حدثنى حسين بن واقد الخراسانىّ ، قال : حدثنا أبو نَهيك ، قال : سمعت ابنَ عباس يقول : كان فى سفينة نوح ثمانون رجلا ، أحدهم جُرْهم . ١/١٩٥

حدثنا القاسم ، قال : حدثنا الحسين ، قال : حدثنى حجاج ، قال : قال ابن جريج : قال ابنُ عباس : حمل نوحٌ معه فى السفينة ثمانين إنساناً .

حدثنى الحارث ، قال : حدثنا عبد العزيز ، قال : قال سفيان : كان بعضهم يقول : كانوا ثمانين — يعنى القليل الذين قال الله عزّ وجلّ : ﴿وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ﴾[٢] .

حدثنى الحارث ، قال : حدثنا ابن سعد ، قال : أخبرنى هشام ، قال : أخبرَنى أبى ، عن أبى صالح ، عن ابن عباس ، قال : حَمَل نوح فى السفينة بنيه : سام ، وحام ، ويافث . وكنائنه ؛ نساء بنيه هؤلاء ، وثلاثة وسبعين من بنى شيث ؛ ممن آمن به ، فكانوا ثمانين فى السفينة .

* * *

(١) كذا فى ط ؛ وفى ا : « حدثنا الحارث ، حدثنا القاسم » ؛ وهو يوافق ما فى التفسير : ١٢ : ٢٥ (بولاق) ، وانظر تاريخ بغداد ٨ : ٢١٨ .

(٢) سورة هود ٤٠

وقال بعضهم : بل كانوا ثمانية أنفس .

* ذكر من قال ذلك :

حدثنا بشر بن معاذ ، قال : حدثنا يزيد بن زُرَيع ، قال : حدثنا سعيد ، عن قتادة، قال: ذكر لنا أنه لم يتم[١] فى السفينة إلا نوح وامرأته وثلاثة بنيه، ونساؤهم ، فجميعهم ثمانية .

حدثنا ابن وكيع والحسن بن عرفة ، قالا : حدثنا يحيى بن عبد الملك ابن أبى غَنِيَّة، عن أبيه، عن الحكم: ﴿ وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ ﴾، قال: نوح ، وثلاثة بنيه ، وأربع كنائنه .

حدثنا القاسم ، قال : حدثنا الحسين ، قال : حدثنى حجاج ، قال : قال ابن جريج : حُدِّثتُ أن نوحًا حمل معه بنيه الثلاثة وثلاث نسوة لبنيه ، وامرأة نوح ، فهم ثمانية بأزواجهم ، وأسماءُ بنيه : يافث ، وحام ، وسام . فأصاب حامٌ امرأتَه فى السفينة ، فدعا نوح أن تُغيَّر[٢] نطفته ، فجاء بالسّودان .

١٩٦/١

* * *

وقال آخرون : بل كانوا سبعة أنفس .

* ذكر من قال ذلك :

حدثنى الحارث ، قال : حدثنى عبد العزيز ، قال : حدثنا سُفيان ، عن الأعمش: ﴿ وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ ﴾، قال : كانوا سبعة : نوح ، وثلاث كنائن ، وثلاثة بنين له .

* * *

وقال آخرون : كانوا عشرة سوى نسائهم .

* ذكر من قال ذلك :

---

(١) س : « لم يبق » ، ك : « لم ينم » .
(٢) ا : « يغير » ، ك : « تغبر » .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : حمل بنيه الثلاثة : سام ، وحام ، ويافث ونساءهم ، وستة أناسيّ ممن كان آمن به[١]، فكانوا عشرة نفر بنوح وبنيه وأزواجهم. وأرسل[٢] الله تبارك وتعالى الطوفان لمضى ستمائة سنة من عمر نوح — فيما ذكره أهل العلم من أهل الكتاب وغيرهم — ولتتمة ألفى سنة ومائتى سنة وست وخمسين سنة من لَدُن أهبط آدم إلى الأرض .

وقيل : إن الله عزّ وجلّ أرسل الطوفان لثلاث عشرة خلت من آب ، وإن نوحاً أقام فى الفُلك إلى أن غاض الماء، واستوت الفُلك على جبل الجوديّ[٣] بقَرْدى[٤] ، فى اليوم السابع عشر من الشهر السادس . فلما خرج نوح منها اتخذ بناحية قَرْدى من أرض الجزيرة موضعاً ، وابتنى هناك قرية سماها ثمانين[٥] ؛ لأنه كان بنَى فيها بيتاً لكل إنسان ممن آمن معه وهم ثمانون ، فهى إلى اليوم تسمى سُوق ثمانين .

١٩٧/١

حدثنى الحارث ، قال : حدثنا ابن سعد ، قال : حدثنى هشام بن محمد ، قال : أخبرنى أبى ، عن أبى صالح ، عن ابن عباس ، قال : هبط نوح عليه السلام إلى قرية[٦] ، فبنى كلُّ رجل منهم بيتاً ، فسميت سوق ثمانين ، فغرق بنو قابيل كلهم ، وما بين نوح إلى آدم من الآباء كانوا على الإسلام .

قال أبو جعفر : فصار هو وأهله فيه ، فأوحى الله إليه أنه لا يعيدُ الطوفانَ إلى الأرض أبداً .

وقد حدثنى عباد بن يعقوب الأسدىّ ، قال : حدثنا المحاربىّ ، عن عثمان

(١) ا : « معه » . (٢) كذا فى ا ، وفى ط : « فأرسل » .

(٣) الجودى ؛ بالتشديد : جبل مطل على جزيرة ابن عمر ، فى الجانب الشرقى من دجلة ، من أعمال الموصل .

(٤) قردى ، بالفتح ثم السكون ، ثم دال مهملة . ياقوت .

(٥) قال ياقوت : « ثمانين ، بليدة عند جبل الجودى ، قرب جزيرة ابن عمر التغلبى فوق الموصل . كان أول من نزله نوح عليه السلام لما خرج من السفينة ومعه ثمانون إنساناً ؛ فبنوا لهم مساكن بهذا الموضع ، وأقاموا به ، فسمى الموضع بهم ، ثم أصابهم وباء ، فمات الثمانون غير نوح عليه السلام وولده ؛ فهو أبو البشر كلهم » . معجم البلدان ٣ : ٢٣ (٦) ا : « فى قرية » .

ابن مطر ، عن عبد العزيز بن عبد الغفور ،عن أبيه ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :«فى أول يوم من رجب ركِب نوح السفينة، فصام هو وجميع مَنْ معه ، وجرت بهم السفينة ستة أشهر ، فانتهى ذلك إلى المحرّم ، فأرست[1] السفينة على الجوديّ يوم عاشوراء ، فصام نوح ، وأمر جميع من معه من الوحش والدواب فصاموا شكراً لله عزّ وجلّ » .

حدثنا القاسم ، قال : حدثنا الحسين ، قال : حدثنى حجاج ، عن ابن جريج، قال : كانت السفينة أعلاها الطير ، ووسطها الناس، وأسفلُها السباع . وكان طولُها فى السماء ثلاثين ذراعاً، ودَفَعَتْ[2] من عين وردة[3] يوم الجمعة لعشر ليال مضيْن من رجب ، وأرستْ على الجوديّ يوم عاشوراء ، ومرّت بالبيت، فطافت به سبعاً، وقد رفعه الله من الغرق، ثم جاءت اليمَن، ثم رجعت.

حدثنا القاسم ، قال : حدثنا الحسين ، قال : حدثنا حجاج ، عن أبى جعفر الرازىّ، عن قَتادة، قال: هبط نوح من السفينة يوم العاشر من المحرم، فقال لمن معه : مَنْ كان منكم صائماً فليتمّ صومه ، ومن كان منكم مُفْطِراً فليَصُم .

١٩٨/١

حدثنا بشر بن معاذ ، قال : حدثنا يزيد ، قال : حدثنا سعيد ، عن قتادة ، قال : ذُكر لنا أنها — يعنى الفُلْك — استقلّتْ بهم فى عشر خلَوْن من رجب ، فكانت فى الماء خمسين ومائة يوم، واستقرّت على الجوديّ شهراً ، وأهبط بهم فى عشر خلَوْن من المحرّم يوم عاشوراء .

حدثنا القاسم ، قال : حدثنا الحسين ، قال : حدثنى حجاج ، عن أبى معشر ، عن محمد بن قيس ، قال : ما كان زمان نوح شبرٌ من الأرض إلا إنسان يدعيه .

(١) رست السفينة وأرست : وقفت .

(٢) كذا فى ا ، ر ، وفى ط : « رفعت » . ، ودفعت من عين وردة ، أى ابتدأ سيرها من هذا المكان .

(٣) عين وردة ، ذكرها ياقوت باسم « عين الوردة » ، وقال : « رأس عين المدينة المشهورة بالجزيرة » .

ثم عاش نوح بعد الطوفان فيما حدثنى نصر بن على الجَهْضَمىّ ، قال : أخبرنا نوح بن قيس، قال : حدثنا عَوْن بن أبى شداد،قال : عاش — يعنى نوحًا — بعد ذلك — يعنى بعد الألف سنة إلا خمسين عامًا التى لبثها فى قومه — ثلثمائة وخمسين سنة .

وأما ابن إسحاق، فإن ابن حُمَيد حدثنا ، قال : حدثنا سلَمة، عنه ، قال : وعُمِّر نوح— فيما يزعم أهل التوراة — بعد أن أهبِط من الفلك ثلثمائة سنة وثمانيًا وأربعين سنة، قال : فكان جميعُ عمر نوح ألف سنة إلا خمسين عامًا، ثم قبضه الله عزّ وجلّ إليه .

وقيل : إن سامًا ولد لنوح قبل الطوفان بثمان وتسعين سنة. وقال بعضُ أهل التوراة : لم يكن التناسل ، ولا ولد لنوح ولدٌ إلا بعد الطوفان، وبعد خروج نوح من الفُلْك .

قالوا : إنما الذين كانوا معه فى الفلك قوم كانوا آمنوا به واتبعوه ، غير أنهم بادوا وهلكوا ، فلم يبق لهم عَقِب، وإنما الذين هم اليوم فى الدنيا من بنى آدم ولد نوح وذريته دون سائر ولد آدم ؛ كما قال الله عزّ وجلّ : ﴿ وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْبَاقِينَ ﴾[1] .

١٩٩/١

وقيل : إنه كان لنوح قبل الطوفان ابنان هلكا جميعًا ؛ كان أحدهما يقال له كنعان ، قالوا : وهو الذى غرق فى الطوفان ، والآخر منهما يقال له عابر[2]، مات قبل الطوفان .

حدثنا الحارث ، قال : حدثنا ابن سعد ، قال : أخبرنى هشام ، قال : أخبرنى أبى ، عن أبى صالح ، عن ابن عباس ، قال : ولد لنوح سام، وفى ولده بياض وأُدْمَة[3]،وحام وفى ولده سواد وبياض قليل،ويافث وفيهم الشُّقرة والحمرة ، وكنعان وهو الذى غرق ، والعرب تسميه يام ؛ وذلك قول العرب : إنما هامّ عمّنا يام ؛ وأمّ هؤلاء واحدة .

(١) سورة الصافات ٧٧ (٢) ن : « غابر » .

(٣) كذا فى ا ، ن ، وفى ط : « أدم » .

فأما المجوس فإنهم لا يعرفون الطوفان ، ويقولون : لم يزل المُلْك فينا من عهد جيُومَرْت ، وقالوا : جيُومَرْت هو آدم يتوارثة آخرٌ عن أول إلى عهد فيروز بن يَزْدجرْد بن شَهْريار ، قالوا : ولو كان لذلك صحة كان نسب القوم قد انقطع ، ومُلْك القوم قد اضمحلّ ، وكان بعضهمُ يقرّ بالطوفان ويزعم أنه كان فى إقليم بابل وما قرب منه ، وأن مساكن ولد جيومَرْت كانت[1] بالمشرق ، فلم يصل ذلك إليهم .

قال أبو جعفر : وقد أخبر الله تعالى ذكره من الخبر عن الطوفان بخلاف ما قالوا ، فقال وقوله الحق : ﴿ وَلَقَدْ نَادَانَا نُوحٌ فَلَنِعْمَ الْمُجِيبُونَ ، وَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ ، وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْبَاقِينَ ﴾ ،[2] فأخبر عزّ ذكره أنّ ذريةَ نوح هم الباقون دون غيرهم .

وقد ذكرتُ اختلافَ الناس فى جيومَرْت ومَن يخالف الفرس فى عينه ، ومن هو ، ومَنْ نسبه إلى نوح عليه السلام .

حدثنا ابن بشار ، قال : حدثنا ابن عَثْمة ، قال : حدّثنا سعيد بن بشير ، عن قَتادة ، عن الحسن ، عن سَمُرة بن جُنْدُب ، عن النبى صلى الله عليه وسلم فى قوله : ﴿ وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْبَاقِينَ ﴾ . قال : « سام وحام ويافث » .

١/٢٠٠

حدثنا بشر ، قال : حدثنا يزيد ، قال : حدثنا سعيد ، عن قتادة ، فى قوله : ﴿ وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْبَاقِينَ ﴾ ، قال : فالناس كلّهم من ذرية نوح .

حدثنى على بن داود ، قال : حدثنا أبو صالح ، قال : حدثنى معاوية ، عن على ، عن ابن عباس فى قوله تعالى : ﴿ وَجَعَلْنا ذريتَه هُمُ الباقين ﴾ . يقول : لم يبق إلا ذرّية نوح .

ورُوِى عن على بن مجاهد ، عن ابن إسحاق ، عن الزهرىّ . وعن محمد بن

---

(١) كذا فى ا ، وفى ط : « كان » .

(٢) سورة الصافات : ٧٥ – ٧٧ .

صالح ، عن الشعبيّ قالا : لما هَبط آدم من الجنة ، وانتشر ولدُه أرّخ بنُوه من هبوط آدم ؛ فكان ذلك التاريخ حتى بعث الله نوحاً فأرّخوا ببعث[١] نوح ، حتى كان الغرق ، فهَلَكَ مَنْ هلك ممن كان على وجه الأرض . فلما هبط نوح وذريته وكلّ من كان فى السفينة إلى الأرض قَسّم الأرض بين ولده أثلاثاً : فجعل لسام وسطا من الأرضْ ، ففيها بيتُ المقدس ، والنيل ، والفُرات ، ودجْلة ، وسَيْحان ، وجيحان ، وفَيْشون ؛ وذلك ما بين فيشون إلى شرقيّ النيل ، وما بين منخر ريح الجنوب[٢] إلى منخر الشمال . وجعل لحام قسمه غربيّ النيل ، فما وراءه إلى منخر ريح الدَّبُور . وجعل قسم يافث فى فيشون[٣] فما وراءه إلى مَنْخَر ريح الصبا ؛ فكان التاريخ من الطوفان إلى نار إبراهيم ، ومن نار إبراهيم إلى مبعث يوسف ، ومن مبعث يوسف إلى مبعث موسى ، ومن مبعث موسى إلى ملك سليمان ، ومن ملك سليمان إلى مبعث عيسى بن مرْيم ، ومن مبعث عيسى بن مريم إلى أن بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم .

١/٢٠١

وهذا الذى ذكر عن الشعبيّ من التاريخ ينبغى أن يكون على تاريخ اليهود ، فأما أهل الإسلام فإنهم لم يؤرخوا إلا من الهجرة ، ولم يكونوا يؤرخون بشىء من قبل ذلك ، غير أن قريشاً كانوا — فيما ذكر — يؤرخون قبل الإسلام بعام الفيل ، وكان سائرُ العرب يؤرخون بأيامهم المذكورة ، كتاريخهم بيوم جَبَلَة ، وبالكُلاب الأول ، والكُلاب الثانى .

وكانت النَّصارى تؤرخ بعهد الإسكندر ذى القرنين ؛ وأحسبهم على ذلك من التاريخ إلى اليوم .

وأما الفرس فإنهم كانوا يؤرِّخون بملوكهم ، وهم اليوم فيما أعلم يؤرخون بعهد يزدجِرْد بن شهريار ، لأنه كان آخر مَنْ كان من ملوكهم له ملك بابل والمشرق[٤] .

---

(١) كذا فى ا ، وهو الصواب، وفى باقى الأصول : « أرخوا مبعث نوح » ؛ وصوبها مصحح ط : « بمبعث » .

(٢) منخر ريح الجنوب ، أى موضع هبوبها .

(٣) ا ، ر ، ن : « قيسون » .

(٤) س : « لأنه كان آخر من ملك من ملوكهم » .

ذكر بيو راسب ، وهو الازدهاق

والعرب تسميه الضحاك ، فتجعل الحرف الذى بين السين والزاى فى الفارسية ضاداً ، والهاء حاءً ، والقاف كافاً ، وإياه عَنَى حبيب بن أوس بقوله :

مَا نَالَ مَا قَدْ نَالَ فِرْعَوْنٌ وَلاَ   هَامَانُ فى الدُّنْيَا وَلاَ قَارُونُ[1]

بَلْ كَانَ كالضَّحَّاكِ فى سَطَوَاتِهِ   بالعالمين ، وأنت أفْرِيدُونُ

وهو الذى افتخر بادعائه أنه منهم الحسن بن هانئ فى قوله :

٢٠٢/١ وَكَانَ مِنَّا الضَّحَّاكُ يَعْبُدُهُ الْ   خَابِلُ والجِنّ فى مَسَارِبِهَا[2]

قال : واليمن تدّعيه .

حدثت عن هشام بن محمد بن السائب — فيما ذكر من أمر الضحاك هذا — قال : والعجم تدّعى الضّحّاك وتزعم أن جما كان زوّجَ أخته من بعض أشراف أهل بيته ، وملّكه على اليمن ، فولدت له الضحاك .

قال : واليمن تدّعيه ، وتزعم أنه من أنفسها ، وأنه الضحاك بن علوان بن عبيد بن عويج ، وأنه ملّكَ على مصر أخاه سنان بن علوان بن عبيد[3] بن عويج ، وهو أولُ الفراعنة ، وأنه كان ملك مصر حين قدمها إبراهيم خليل الرحمن عليه السلام .

وأما الفرس فإنها تنسُب الازدهاق هذا غير النسبة التى ذكر[4] هشام عن أهل اليمن ، وتذكر أنه بِيوَراسب بن أروندراسب بن زينكاو[5] بن ويرَوْشك[6]

(١) ديوانه ٣ : ٣٢١ ؛ من قصيدة يمدح فيها الأفشين .
(٢) ديوانه ١٥٥ ، وروايته : « والوحش فى مساربها » . والخابل : ضرب من الجن .
(٣) س : « عبيدة » .
(٤) ن : « ذكرها » .
(٥) ا : « زينكار » .
(٦) ا : « ريشنك » .

ابن تاز(١) بن فرواك(٢) بن سيامك(٣) بن مشا بن جيومَرت . ٢٠٣/١

ومنهم من ينسُبه هذه النسبة ؛ غير أنه يخالف النطق بأسماء آبائه فيقول : هو الضحاك بن أندرماسب بن زنجدار(٤) بن وندريسج(٥) بن تاج(٦) بن فرياك(٧) بن ساهمك(٨) بن تاذى (٩) بن جيومَرت .

والمجوس تزعم أن تاج هذا هو أبو العرب ، ويزعمون(١٠) أن أم الضحاك كانت ودك بنت ويونجهان(١١) ، وأنه قتل أباه تقرُّبـًا بقتله إلى الشياطين ، وأنه كان كثيرَ المقام ببابل ، وكان له ابنان يقال لأحدهما: سرهوار(١٢) ، وللآخر نفوار(١٣) .

* * *

وقد ذكر عن الشعبيّ أنه كان يقول : هو « قرشت » مسخه الله « ازدهاق » .

* ذكر الرواية عنه بذلك :

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلَمة بن الفضل ، عن يحيى بن العلاء ، عن القاسم بن سلْمان ، عن الشعبيّ ، قال : أبجد ، وهوّز ، وحطّى ، وكَلمن ، وسعفص ، وقرشت ؛ كانوا ملوكـًا جبابرة ، فتفكر(١٤) قرشت يومـًا ، فقال : ٢٠٤/١ تبارك الله أحسن الخالقين ! فمسخه الله فجعله « اجدهاق » ،(١٥) وله سبعة

---

(١) ا ، ن : « تار » .
(٢) ر ، ك : « فردال » ، س : « فروال » ، ن : « عيردال » .
(٣) ر : « سيامل » ، ك : « مسامك » .
(٤) كذا فى ا ، ن ، وفى س : « زنحدار » ، وفى ر : « ريحدان » وفى ط بدون نقط .
(٥) كذا فى ا ، وفى ط بدون نقط .
(٦) س: « باح » ، ر ، ك : « راح » .
(٧) فى ن : « فريال » وفى رس : « فرمال » .
(٨) س: « شاهمك » .
(٩) ر ، س : « مادى » .
(١٠) كذا ا فى ا ، وفى ط : « فيزعمون » .
(١١) ا : « ونوبنجهان » .
(١٢) كذا فى ا ، وفى ن : « سريقوار » ، وفى ط بدون نقط .
(١٣) كذا فى ا ، وفى ط بدون نقط .
(١٤) ر ، ك : « ففكر » .
(١٥) ر ، س ، ك ، ن : « ازدهان » .

أروَس ، فهو الذى بدُنباوَند ، وجميع أهل الأخبار من العرب والعجم تزعم أنه ملَك الأقاليم كلَّها ، وأنه كان ساحراً فاجراً .

وحدثت عن هشام بن محمد ، قال : ملَك الضحاك بعد جم — فيما يزعمون، والله أعلم — ألفَ سنة، ونزل السّواد فى قرية يقال لها نَرْس[1] فى ناحية طريق الكوفة[2] ، وملَك الأرضَ كلها، وسار بالجَوْر والعسف[3] ، وبسط يده فى القتل ، وكان أولَ مَن سنّ الصَّلب والقطع ، وأولَ من وضع العُشور ، وضرب الدراهم، وأول مَنْ تغنّى وغُنِّىَ له ، قال: ويقال إنه خرج فى منكبه سِلْعَتان[4] فكانتا تضربان عليه ، فيشتدّ عليه الوجع حتى يطليَهُما بدماغ إنسان، فكان يقتل لذلك فى كلّ يوم رجلين ويَطْلى سِلْعتيه بدماغيهما ، فإذا فعل ذلك سكَن ما يجد ، فخرج عليه رجل من أهل بابل فاعتقد لواء ، واجتمع إليه بشر كثير ، فلما بلغ الضَّحاكَ خبرُه راعه، فبعث إليه : ما أمرك ؟ وما تريد ؟ قال : ألست تزعم أنك ملك الدنيا ، وأن الدنيا لك ! قال : بلى ، قال: فليكن كَلَبُكَ[5] على الدنيا، ولا يكونَنّ علينا خاصة؛ فإنك إنما تقتلنا دون الناس. فأجابه الضحاك إلى ذلك ، وأمر بالرجلين اللذيْن كان يقتلهما فى كلّ يوم أن يُقسَّما على الناس جميعاً، ولا يخصّ بهما مكان دون مكان. ٢٠٥

قال : فبلغنا أنّ أهل أصبهان من ولد ذلك الرجل الذى رفع اللواء ، وأنّ ذلك اللواء لم يزل محفوظاً عند ملوك فارس فى خزائنهم[6] ، وكان فيما بلغنا جلدَ أسد ، فألبسه ملوكُ فارس الذهبَ[7] والديباجَ تيَمُّناً به .

قال : وبلغنا أنّ الضحاك هو نُمرود ، وأن إبراهيم خليل الرحمن صلى

---

(١) نرس، بفتح أوله وسكون ثانيه ؛ ذكرها ياقوت وقال : « وقيل نرس ، قرية كان ينزلها الضحاك بيوراسب ببابل » .

(٢) ك : « فى ناحية الطريق إلى الكوفة » .

(٣) ر ، ك : « والعنف » .

(٤) السلعة ، بالكسر : زيادة تحدث فى الجسد مثل الغدة ؛ تمور بين الجلد واللحم إذا حركتها .

(٥) ا ، س : « كلك » .

(٦) ر ، ك : « خزائنهم » .

(٧) ك : « من الذهب » .

الله عليه وُلد فى زمانه ، وأنه صاحبه الذى أراد إحراقه .

قال : وبلغنا أن أفريدون —هو[1] من نسل جم الملك الذى كان [من][2] قبل الضحاك ، ويزعمون أنه التاسع من ولده ، وكان مولده بدُنْباوَنْد ، خرج حتى ورد منزلَ الضحاك وهو عنه غائب بالهند ، فحوى[3] على منزله وما فيه ، فبلغ الضحاك ذلك ، فأقبل وقد سلبه الله قوّته ، وذهبت دولتُه ، فوثب[4] به أفريدُون فأوثقه وصيّره بجبال دُنباوَنْد ؛ فالعجمُ تزعم أنه إلى اليوم مُوثَق فى الحديد يُعذَّب هناك .

وذكر غيرُ هشام أنّ الضحاك لم يكن غائبًا عن مسكنه ، ولكن أفريدون ابن أثفيان جاء إلى مسكن له فى حِصْن يُدعَى زرنج ماه مهروز مهر ، فنكح امرأتين له : تسمى إحداهما : أروناز[5] والأخرى سنوار . فوهِل بيوراسب لما عاين ذلك ، وخرّ مُدلَّهًا لا يعقل ، فضرب أفريدون هامتَه بجُرْز[6] له ملتوى الرأس ، فزاده ذلك وَهَلاً وعزوبَ عقل ، ثم توجّه به أفريدُونُ إلى جبل دُنْبَاوند ، وشدّه هنالك وَثاقًا ، وأمر الناس باتخاذ مهرماه مهرروز — وهو المِهرجان اليوم الذى أوثق فيه بيورَاسب — عيدًا ، وعلا أفريدُون سرير الملك . ٢٠٦/١

وذُكر عن الضحاك أنه قال يومَ ملك وعُقد عليه التاج : نحن ملوك الدنيا ، المالكون لما فيها .

والفرس تزعم أن المُلْك لم يكن إلا للبطن الذى منه أوشهنْج وجم وطَهْمُورث ، وأن الضحاك كان غاصبًا[7] وأنه غصَب[8] أهلَ الأرض بسحره وخبثه ، وهوّل عليهم بالحيّتين اللتين كانتا على مَنكِبيْه ، وأنه بنى بأرض بابل مدينة

(١) كذا فى ا ، س ، ن ؛ وفى ط : «وهو» .
(٢) تكلة من ا .
(٣) كذا فى جميع الأصول ، وفى ن : «فاحتوى» .
(٤) ن : «فأقبل عليه» .
(٥) ا : «أرونار» ، س : «أردنان» ، ر ، ك : «أرونا» .
(٦) الجرز : عمود من حديد .
(٧) كذا فى ا ، ر ، س ، وفى ط : «عاصيا» .
(٨) س : «غلب» .

سماها حوب[١] ، وجعل النبَط أصحابَه وبِطانته ، فلقَى الناسُ منه كلَّ جهد ، وذَبَح الصبيان .

ويقول كثير من أهل الكتب : إن الذى كان على منكِبيْه كان لحمتين طويلتين ناتئتين على منكبيه ، كلٌّ واحدة منهما كرأس الثعبان ، وأنه كان بخبثه[٢] ومكره يسترهما بالثياب . ويذكر على طريق التهويل أنهما حيّتان يقتضيانه الطعام ، وكانتا تتحركان تحت ثوبه إذا جاع كما يتحرّك العضو من الإنسان عند التهابه بالجوع والغضب . ومن الناس من يقول : كان ذلك حيّتين ، وقد ذكرتُ ما رُوى عن الشعبيّ فى ذلك ، والله أعلم بحقيقته وصحته .

* * *

٢٠٧/١ وذكر بعضُ أهل العلم بأنساب الفرْس وأمورهم أنّ الناس لم يزالوا من بِيوَراسب هذا فى جَهْد شديد، حتى إذا أراد الله إهلاكه وثب به رجلٌ من العامة من أهل أصبَهان يقال له كابى[٣] ، بسبب ابنين كانا له أخذهما رسل بِيوَراسب بسبب الحيتين اللتين كانتا على منكِبيه . وقيل : إنه لما بلغ الجزع من كابى هذا على ولده أخذ عصًا كانت بيده ، فعلَّق بأطرافها جرابًا كان معه ، ثم نصب ذلك العَلَم ، ودعا الناس إلى مجاهدة بِيوَراسب ومحاربته ، فأسرع إلى إجابته خلق كثير ؛ لما كانوا فيه معه من البلاء وفنون الجَوْر ، فلما غلب كابى تفاءل الناس بذلك العلَم ، فعظَّموا أمره ، وزادوا فيه حتى صار عند ملوك العجم عَلَمهم الأكبر الذى يتبركون به ، وسموه درَفْش كابيان[٤] ، فكانوا لا يسيّرونه[٥] إلا فى الأمور العظام ، ولا يُرفع إلا لأولاد الملوك إذا وجِّهوا فى الأمور العظام .

وكان من خبر كابى أنه شخصَ عن أصبَهان بمن تبعه والتفَّ إليه فى طريقه ، فلما قرب من الضحاك وأشرف عليه ، قُذف فى قلب الضحاك

(١) س : « حوف » ، ك : « تسمى هاحوب » .
(٢) ر : « لحيلته » .
(٣) ر : « كافى »
(٤) أ : « درفتين كابيان» ، ر : « درقين كاينان » ، ك : « دريس كاتبان » ، ن : « دفس كابيان » .
(٥) س : « لا يسيرون به » .

منه الرُّعب، فهرب عن منازله ، وخلّى مكانه ، وانفتح للأعاجم فيه[١] ما أرادوا ، فاجتمعوا إلى كابى وتناظروا ، فأعلمهم كابى أنه لا يتعرض للملْك ؛ لأنه ليس من أهله ، وأمرهم أن يملّكوا بعض ولد جم ، لأنه ابن الملك الأكبر أو شهنْق بن فرواك الذى رسم الملك، وسبق إلى القيام به، وكان أفريدُون بن ٢٠٨/١ أثفيان مستخفياً فى بعض النواحى من الضحاك ، فوافى كابى ومَنْ كان معه ، فاستبشرَ القومُ بموافاته ، وذلك أنه كان مُرشّحاً للملك برواية كانت لهم فى ذلك ، فملّكوه، وصار كابى والوجوه لأفريدُون أعواناً على أمره ، فلما ملك وأحكم ما احتاج إليه من أمر الملك، واحتوى على منازل الضحاك، اتّبعه فأسره بدُنباوند فى جبالها .

وبعض المجوس تزعُم أنه جعله أسيراً حبيساً فى تلك الجبال، موكّلا به قوم من الجنّ .

ومنهم من يقول : إنه قتله ، وزعموا أنه لم يُسمَع من أمور الضحاك شىء يستحسَن غير شىء واحد ؛ وهو أن بَليّته[٢] لما اشتدت ودام جَوْرُه وطالت أيامه ، عظُم على الناس ما لقُوا منه، فتراسل الوجوه فى أمره ، فأجمعوا على المصير إلى بابه ، فوافى بابَه الوجوهُ والعظماء من الكُور والنواحى ، فتناظروا فى الدخول عليه والتظلّم إليه[٣] ، والتأتّى لاستعطافه، فاتفقوا على أن يقدّموا للخطاب عنهم كابى الأصبهانىّ ، فلما صاروا إلى بابه أعلم بمكانهم، فأذِن لهم، فدخلوا وكابى متقدّم لهم[٤] ، فمَثل بين يديه، وأمسك عن السلام، ثم قال : أيها الملك ، أىّ السلام أسلّم عليك ؟ أسلام مَنْ يملك هذه الأقاليم كلّها ، أم سلام مَنْ يملك هذا الإقليم الواحد ؟ يعنى بابل، فقال له الضحاك : بل سلام مَنْ يملك هذه الأقاليم كلّها ، لأنى ملك الأرض . فقال له الأصبهانىّ : فإذا كنت تملك الأقاليم كلّها ، وكانت يدك تنالها أجمع ، فما بالُنا قد خُصصْنا بمؤنتك ٢٠٩/١

---

(١) كذا فى ا ، س ، ن ، وفى ط : « منه » .
(٢) ر : « نكبته » .
(٣) كذا فى ا ، ر ، ك : « منه » .
(٤) ن : « مقدمهم » .

وتحامُلك وإساءتك من بين أهل الأقاليم ! وكيف لم تقسم أمر كذا وكذا بيننا وبين الأقاليم ؟ وعدَّد عليه أشياء كان يُمكنه تخفيفَها عنهم ، وجرّد له الصدق والقول فى ذلك ، فقدح فى قلب الضحّاك قولُه ، وعمِل فيه حتى انخزل وأقرّ بالإساءة ، وتألّف القوْم ووعدهم ما يُحبُّون ، وأمرهم بالانصراف ليتزلوا ويتّدعوا ، ثم يعودوا ليقضىَ حوائجهم ، ثم ينصرفوا إلى بلادهم .

وزعموا أن أمه ودك كانت شرًّا منه وأرْدَى ، وأنها كانت فى وقت مُعاتبة القوم إياه بالقُرْب منه تتعرف ما يقولونه ، فتغتاظ وتُنكره ، فلما خرج القوم دخلت مُستشيطةً مُنكرة عَلى الضحاك احتماله القوم ، وقالت له : قد بلغنى كلّ ما كان وجُرْأةُ هؤلاء القوم عليك حتى قرَّعوك[1] بكذا ، وأسمعوك كذا ،[2] أفلا دمَّرْتَ عليهم ودمدمتهم ، أو قطعت أيديهم[2] !

فلما أكثرتْ على الضحاك قال لها مع عتوّه : يا هذه ، إنك لم تفكّرى فى شىء إلا وقد سبقتُ إليه ؛ إلا أن القوم بدَهونى بالحق ، وقرّعونى[3] به ، فلما هممت بالسطوة بهم والوثوب عليهم تخيّل[4] الحق فمثل بينى وبينهم بمنزلة الجبل ، فما أمكننى فيهم شىء . ثم سكّتها وأخرجها ، ثم جلس لأهل النواحى بعد أيام ، فوفّى لهم بما وعدهم ، وردّهم وقد لان لهم ، وقضى أكثرَ حوائجهم ، ولا يُعرَف للضحاك — فيما ذُكر — فعلة استحسنت [منه][5] غير هذه .

١/٢١٠

وقد ذُكر أن عُمر الأجدهاق[6] هذا كان ألف سنة ، وأن ملكه منها كان ستّمائة سنة ، وأنه كان فى باقى عمره شبيهًا بالملك لقدرته ونفوذ أمره . وقال

(١) فى ط : « فزعوك » ؛ وما أثبته من ا ؛ وابن الأثير ١ : ٤٤

(٢-٢) ا : « أفلا دمر عليهم ودمدم بهم ، أولا قطعت أيديهم ! » . ودمدمهم ودمدم عليهم ؛ أى أهلكهم .

(٣) ط : « فزعونى » .

(٤) ن : « تجبل » ؛ أى صار مثل الجبل .

(٥) من ن .

(٦) ر ، ك : « الازدهاق » .

بعضهم : إنه ملك ألف سنة ، وكان عمره ألف سنة ومائة سنة، إلى أن خرج عليه أفريدون فقهره وقتله .

وقال بعض علماء الفرس: لا نعلم أحداً كان أطول عمراً — ممن لم يُذكر عمره فى التوراة — من الضحاك هذا، ومن جامر بن يافث بن نوح أبى الفرس ؛ فإنه ذُكر أن عمره كان ألف سنة .

وإنما ذكرنا خبر بيورَاسب فى هذا الموضع ؛ لأنّ بعضهم زعم أن نوحاً عليه السلام كان فى زمانه، وأنه إنما كان أرسل إليه وإلى من كان فى مملكته ، ممن دان بطاعته واتبعه على ما كان عليه من العتوّ والتمرّد على الله ، فذكرنا إحسانَ الله وأياديَه عند نوح عليه السلام بطاعته ربّه وصبْره على ما لَقِىَ منه[1] من الأذى والمكروه فى عاجل الدنيا، بأن نجّاه ومن آمن معه واتبعه من قومه، وجعل ذرِّيته هم الباقين فى الدنيا، وأبقى له ذكرَه بالثناء الجميل، مع ماذخر له عنده فى الآجل من النعيم المقيم والعيش الهنىء، وإهلاكه الآخرين بمعصيتهم ١/٢١١ إياه وتَمَرّدهمْ عليه، وخلافهم أمرَه، فسلبهم ما كانوا فيه من النعيم، وجعلهم عبْرة وعظة للغابرين ؛ مع ما ذَخَر لهم عنده فى الآجل من العذاب الأليم .

* * *

ونرجع الآن إلى ذكر نوح عليه السلام والخبر عنه وعن ذريته، إذ كانوا هم الباقين اليوم كما أخبر الله عنهم ؛ وكان الآخرون الذين بُعث نوح إليهم خلا ولده ونسله قد بادوا وذُرِيّتهم ، فلم يبق منهم ولا من أعقابهم أحدٌ .

قد ذكرنا قبلُ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال فى قول الله عزّ وجلّ : ﴿ وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْبَاقِينَ ﴾ : إنهم سام ، وحام ، ويافث .

حدثنى محمد بن سهل بن عسكر ، قال : حدثنا إسماعيل بن عبد الكريم ، قال : حدثنا عبد الصمد بن معقل، قال : سمعت وهب بن منبّه؛ يقول : إن سام بن نوح أبو العرب وفارس والروم ، وإنّ حام أبو السودان، وإنّ يافث أبو الترك وأبو يأجوج ومأجوج ، وهو بنو عمّ الترك .

---

(١) ط : « فيه » ، وما أثبته عن ا .

وقيل : كانت زوجة يافث أربسيسة[١] بنت مرازيل بن الدرمسيل بن محويل بن خَنُوخ بن قَيْن بن آدم عليه السلام، فولَدَت له سبعة نفر وامرأة .

فمَن ولدت له من الذكور جومر بن يافث وهو– فيما حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق – أبو يأجوج ومأجوج ، ومارح[٢] بن يافث ووائل بن يافث ، وحوّان بن يافث ، وتوبيل بن يافث ، وهوشل[٣] بن يافث ، وترس بن يافث ، وشبكة بنت يافث . قال : فمن بنى يافث كانت يأجوج ومأجوج والصقالبة والترك فيما يزعمون . وكانت امرأة حام بن نوح نحلب[٤] بنت مارب بن الدرمسيل بن محويل بن خَنُوخ بن قَين بن آدم . فولدت له ثلاثة نفر : كوش بن حام بن نوح، وقوط بن حام بن نوح، وكنعان بن حام . فنكح كوش بن حام بن نوح قرنبيل ابنة بتاويل بن ترس بن يافث ، فولدت له الحبشة والسند والهند فيما يزعمون . ونكح قوط بن حام بن نوح بخت ابنة بتاويل ابن ترس بن يافث بن نوح ، فولدت له القِبْط – قبط مصر – فيما يزعمون . ونكح كنعان بن حام بن نوح أرتيل[٥] ابنة بتاويل بن ترس بن يافث بن نوح ، فولدت له الأساود : نُوبة ، وفَزّان، والزَّنْج ، والزَّغَاوة ؛ وأجناس السودان كلّها .

* * *

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، فى الحديث قال : ويزعمُ أهل التوراة أنّ ذلك لم يكن إلا عن دَعوة دعاها نوح على ابنه حام ، وذلك أن نوحًا نام فانكشف عن عورته ، فرآها حام فلم يغطّها، ورآها سام ويافث فألقيا عليها ثوبًا فواريا عورتَه ، فلما هبّ من نومته علم ما صنع حام وسام ويافث ، فقال : ملعون كنعان بن حام ؛ عبيداً يكونون لإخوته ، وقال : يبارك الله ربّى فى سام، ويكون حام عبْد أخويه، ويقرض الله يافث[٦] ، ويحُلّ فى مساكن حام، ويكون كنعان عبداً لهم[٦] . قال : وكانت امرأة سام

(١) ا ، س : «أدبسيسة» .
(٢) ا ، ن : «مارج» .
(٣) ا : «هوشنك» ، س : «هوشذ» .
(٤) كذا فى ا ، وفى ط مهمل .
(٥) كذا فى ا ، ك ؛ وفى ط : «أرسل» .
(٦–٦) كذا فى ا ، وفى ط : «ويحل فى مساكن سام ، ويكون حام عبداً لهم» .

ابن نوح صليب ابنة بتاويل بن محويل بن خَنُوخ بن قَيْن بن آدم، فولدت ٢١٣/١
له نفراً : أرفخشد بن سام، وأشوذ بن سام، ولاوذ بن سام، وعويلم بن سام ،
وكان لسام إرم بن سام ، قال : ولا أدرى إرم لأمّ أرفخشد وإخوته أم لا ؟

حدثنى الحارث ، قال : حدثنا ابن سعد ، قال : أخبرنى هشام بن محمد ، قال : أخبرنى أبى ، عن أبى صالح ، عن ابن عباس ، قال : لمّا ضاقت بولد نوح سوق ثمانين تحوّلوا إلى بابل فبنوْها ، وهى بين الفرات والصَّراة ، وكانت اثنى عشر فرسخًا فى اثنى عشر فرسخًا ، وكان بابها موضع دورَان[1] اليوم، فوق جسر الكوفة يَسْرَةً إذا عبرت ، فكثروا بها حتّى بلغوا مائة ألف ، وهم على الإسلام .

ورجع الحديث إلى حديث ابن إسحاق . فنكح لاوذ بن سام بن نوح شبكة ابنة يافث بن نوح ، فولدت له فارس وجُرجان وأجناس فارس ، ووُلد للاوذ مع الفرس طَسْم وعمليق ، ولا أدرى أهو لأمّ الفرس أم لا ؟ فعمليق أبو العماليق . كلهم أمم تفرقت فى البلاد ، وكان أهل المشرق وأهل عُمان وأهل الحجاز وأهل الشام وأهل مصر منهم ، ومنهم كانت الجبابرة بالشام الذين يقال لهم الكنعانيون ، ومنهم كانت الفراعنة بمصر ، وكان أهل البحرَيْن وأهل عمان منهم أمة يُسمَّوْن جاسم، وكان[2] ساكنِى المدينة منهم ، بنو هِفّ وسعد بن هزَّان ، وبنو مطر ، وبنو الأزرق . وأهل نجد منهم بديل وراحل[3] وغِفَار ، وأهل تيماء منهم . وكان ملك الحجاز منهم بتيماء اسمُه الأرقم[4] ، ٢١٤/١
وكانوا ساكنى[5] نجد مع ذلك . وكان ساكنى الطائف بنو عبد بن ضخم ، حىٌّ من عَبْس الأوَل .

قال : وكان بنو أُمَيْم بن لاوذ بن سام بن نوح أهل وَبار بأرض الرمل،

(١) دوران ، بضم أوله : موضع خلف جسر الكوفة . ياقوت .

(٢) ط : « وكانوا » ، والصواب ما أثبته من ا .

(٣) ا ، ن : « راجل » . (٤) ن : « الأذفر » .

(٥) ا : « من ساكنى نجد » .

رمل عالج، وكانوا قد كثروا بها وربلوا[١] ؛فأصابتهم من الله عزّ وجلّ نقمة من معصية أصابوها، فهلكوا وبقيت منهم بقية ، وهم الذين يقال لهم النسناس .

قال : وكان طسم بن لاوذ ساكنَ اليمامة وما حولها، قد كثروا بها وَرَبلُوا إلى البحرين؛ فكانت طسم والعماليق وأميم وجاسم قومًا عربًا، لسانهم الذى جُبِلوا عليه لسانٌ عربىّ . وكانت فارس من أهل المشرق ببلاد فارس، يتكلمون بهذا اللسان الفارسىّ .

قال : وولد إرَم بن سام بن نوح عوْص بن إرم، وغاثر[٢] بن إرم، وحويل بن إرَم . فولد عوص بن إرم غاثر بن عوْص، وعاد بن عوص، وعَبيل ابن عوص . وولد غاثر بن إرم ثمود بن غاثر، وجَديس بن غاثر . وكانوا قومًا عربًا يتكلمون بهذا اللسان المضَرِىّ، فكانت العرب تقول لهذه الأمم : العرب العاربة، لأنه لسانهم الذى جُبِلوا عليه ، ويقولون لبنى إسماعيل بن إبراهيم : العرب المتعرّبة ، لأنهم إنما تكلّموا بلسان هذه الأمم حين سكنوا بين أظهرهم . فعاد وثمود والعماليق وأميم وجاسم وجديس وطسم هم العرب ؛ فكانت عاد بهذه الرمل إلى حَضْرَمَوْتَ واليمن كله ، وكانت ثمود بالحِجْر بين الحجاز والشام إلى وادى القُرَى وما حوله، ولحِقَتْ جديس بطسم، فكانوا معهم باليمامة وما حولها إلى البحرَيْن، واسم اليمامة إذ ذاك جوّ، وسكنت جاسم عُمانَ فكانوا بها .

١/٢١٥

وقال غير ابن إسحاق : إن نوحًا دعا لسام بأن يكون الأنبياء والرسل من ولده ، ودعا ليافث بأن يكون الملوك من ولده ، وبدأ بالدعاء ليافث وقدّمه فى ذلك على سام، ودعا على حام بأن يتغيّر لونه، ويكون ولده عبيداً لولد سام ويافث .

قال : وذكر فى الكتب أنه رقّ على حام بعد ذلك، فدعا له بأن يُرزَق الرأفة من إخوته ، ودعا من ولد ولده لكوش بن حام ولجامر بن يافث بن نوح،

---

(١) ربلوا : كثر عددهم .

(٢) س : « عابر » ، ك : « غابر » .

وذلك أن عدّة من ولد الولد لحقوا نوحًا فخدموه، كما خدمه ولده لصلبه، فدعا لعدّة منهم .

٢١٦/١

قال: فولد لسام عابر وعُلَيم وأشوذ وأرفخشد ولاوَذ وإرم[1]، وكان مقامه بمكة.

قال : فمن ولد أرفخشد الأنبياء والرسل وخيار الناس ، والعرب كلها، والفراعنة بمصر . ومن ولد يافث بن نوح ملوك الأعاجم كلّها من الترك والخَزَر وغيرهم ، والفرس الذين آخرُ مَنْ مَلَكَ منهم يَزْدَجِرْد بن شهريار ابن أبرويز ، ونسبُه ينتهى إلى جيومرت بن يافث بن نوح .

قال : ويقال إن قومًا من ولد لاوذ بن سام بن نوح وغيره من إخوته نَزَعوا إلى جامر هذا ، فأدخلهم جامر فى نعمته ومُلكه ، وأن منهم ماذى بن يافث ، وهو الذى تُنسب السيوف الماذيّة إليه . قال : وهو الذى يقال إن كيرش الماذوىّ قاتل بلشصر[2] بن أولمرودخ بن بختنصر من ولده .

قال: ومن ولد حام بن نوح، النوبة، والحبشة، وفَزّان، والهند، والسند، وأهلُ السواحل فى المشرق والمغرب .

قال : ومنهم نمرود ، وهو نمرود بن كوش بن حام .

قال : وولد لأرفخْشد بن سام ابنه قينان، ولا ذِكْرَ له فى التوراة ، وهو الذى قيل إنه لم يستحقّ أن يذكر فى الكتب المنزلة ، لأنه كان ساحراً، وسمى نفسه إلهًا، فسيقت المواليد فى التوراة على أرفخشد بن سام ثم على شالَخ بن قينان بن أرفخشد من غير أن يذكر قينان فى النسب ، لما ذكر من ذلك .

قال : وقيل فى شالَخ : إنه شالخ بن أرفخشد من ولد لقينان . وولد لشالَخ عابر. وولد لعابر ابنان: أحدهما فالغ ،ومعناه بالعربية قاسم— وإنما سمى بذلك لأن الأرض قسمت والألسن تبلبلت فى أيامه — وسمى الآخر قحطان .

٢١٧/١

فولد لقحطان يعرب ويقطان ابنا قحطان بن عابر بن شالخ ، فنزلا أرضَ اليمن ،وكان قحطان أوّل مَنْ ملك اليمن ،وأول من سُلِّم عليه بـ«أبَيْتَ اللَّعنَ»، كما كان يقال للملوك . وولد لفالغ بن عابر أرغوا — وولد لأرغوا ساروغ ، وولد لساروغ ناحورا ، وولد لناحورا تارَخ — واسمه بالعربية آزر — وولد لتارَخ

(١) فى سفر التكوين ١٠ : ٢١ : « بنو سام عيلام وأشور وأرفكشاد ولوذ وآرام » .

(٢) ن : « تلشصر » ، ل : « بلشهر » .

إبراهيم صلوات الله عليه . وولد لأرفخشد أيضًا نُمرود بن أرفخشد، وكان منزله بناحية الحِجْر . وولد للاوَذ بن سام طسم وجديس ، وكان منزلهما اليمامة . وولد للاوَذ أيضًا عمليق بن لاوذ ، وكان منزله الحرم وأكناف مكة ، ولحق بعض ولده بالشام ؛ فمنهم كانت العماليق ، ومن العماليق الفراعنة بمصر . وولد للاوَذ أيضًا أمَيم بن لاوذ بن سام ، وكان كثير الولَد ، فنزع بعضُهم إلى جامر بن يافث بالمشرق . وولد لإرم بن سام عَوْص بن إرم ، وكان منزله الأحقاف . وولد لعوص عاد بن عوص .

وأما حام بن نوح، فولد له كوش ومصرايم[1] وقوط وكنعان، فمن ولد كوش نُمرود المتجبر الذى كان ببابل، وهو نمرود بن كوش بن حام ، وصارت بقيةُ ولَد حام بالسواحل من المشرق والمغرب والنوبة والحبشة وفَزّان .

قال : ويقال : إن مصرايم ولَدَ القبْط والبربر ، وإن قوطًا صار إلى أرض السند والهند فنزلها ، وإنّ أهلَها من ولده .

٢١١ وأما يافث بن نوح فولد له جامر وموعج[2] وموادى[3] وبوان[4] وثوبال وماشج وتيرش . ومن ولد جامر ملوك فارس. ومن ولد تيرش الترك والخزر . ومن ولد ماشج الأشبان . ومن ولد موعج يأجوج ومأجوج ، وهم فى شرقىّ أرض الترك والخزر . ومن ولد بوان الصّقالبة وبرجان والأشبان ، كانوا فى القديم بأرض الروم قبل أن يقَع بها مَنْ وقع من ولد العيص وغيرهم ؛ وقصد كلٌّ فريق من هؤلاء الثلاثة : سام وحام ويافث أرضا، فسكنوها ودفعوا غيرَهم عنها .

* * *

حدثنى الحارث بن محمد ، قال : حدثنا محمد بن سعد ، قال : أخبرنا هشام بن محمد بن السائب، عن أبيه، عن أبى صالح، عن ابن عباس: قال : أوحى الله إلى موسى عليه السلام: إنك يا موسى وقومك وأهل الجزيرة وأهل العال من ولد سام بن نوح . وقال ابن عباس: والعرب والفرس والنَّبَط والهند والسِّند من ولَد سام بن نوح .

حدثنى الحارث ، قال : حدثنا محمد بن سعد ، قال : أخبرنا هشام بن

---

(١) ن : « مصرام » . (٢) كذا فى ا ، وفى ط : « موعج » .
(٣) ا : « موراى » . ن : « مورالى » . (٤) ط : « يوان » .

محمد ، عن أبيه : قال : الهند والسند بنو توقير [١] بن يقطن بن عابر بن شالخ ابن أرفخشد بن سام بن نوح . ومُكران بن البند ، وجرهم ، اسمه هذرم [٢] بن عابر بن سبأ بن يقطن بن عابر بن شالخ بن أرفخشد بن سام بن نوح . وحضرموت بن يقطن بن عابر بن شالخ . ويقطن هو قحطان بن عابر بن شالَخ ابن أرفخشد بن سام بن نوح ، فى قولِ من نسبَه إلى غير إسماعيل . والفرس بنو فارس بن تيرش [٣] بن ناسور بن نوح . والنَّبَط بنو نبيط بن ماش ابن إرم بن سام بن نوح . وأهل الجزيرة والعال من ولد ماش بن إرم بن سام ابن نوح . وعمليق — وهو عَريب — وطسم وأمَيم بنو لوذ بن سام بن نوح . وعِمْليق هو أبو العمالقة ، ومنهم البربر وهم بنو ثميلا بن مارب بن فاران بن عمرو بن عمليق بن لوذ بن سام بن نوح ، ما خلا صِنهاجة وكُتامة ، فإنهما بنو فريقيش بن قيس بن صيفىّ بن سبأ .

١/٢١٩

ويقال : إن عمليق أول مَنْ تكلّم بالعربية حين ظَعنوا من بابل ؛ فكان يقال لهم وُلجرهم : العربُ العاربة . وثمود وجديس ابنا عابر بن إرم بن سام ابن نوح ، وعاد وعَبِيل ابنا عَوْص بن إرم بن سام بن نوح ، والروم بنو لنطى [٤] ابن يونان بن يافث بن نوح . ونمرود بن كوش بن كنعان بن حام بن نوح ، وهو صاحب بابل ؛ وهو صاحب إبراهيم خليل الرحمن صلى الله عليه .

١/٢٢٠

قال : وكان يقال لعاد فى دهرهم عادُ إرَم ، فلما هلكت عاد قيل لثمود إرم ، فلما هلكت ثمود قيل لسائر بنى إرم : إرمان ؛ فهم النَّبَط ، فكلٌّ هؤلاء كان على الإسلام وهم ببابل ، حتى ملَكَهم نُمرود بن كوش بن كنعان بن حام ابن نوح ، فدعاهم إلى عبادة الأوثان ففعلوا ، فأمسوا وكلامهُم السريانية ، ثم أصبحوا وقد بلبَل الله ألسنَتهم ، فجعل لا يعرف بعضُهم كلامَ بعض ، فصار لبنى سام ثمانية عشر لسانًا ، ولبنى حام ثمانية عشر لسانًا ، ولبنى يافث

---

(١) كذا فى ا وهو يوافق ما فى ابن الأثير ١ : ٤٥ ، وفى ر : « بنوقين » ، وفى ن : « توفين » .

(٢) ا : « هنوم » .

(٣) كذا فى ا ، وفى ر : « نبرس » ، وابن الأثير « تيرش » ، وفى ط مهمل .

(٤) ا : « ليطى » .

ستة وثلاثون لسانًا ، ففهّم الله العربيةَ عادًا وعَبِيل وثمود وجَديس وعِمْليق وطَسْم وأمَيْم وبنى يقطن بن عابر بن شالَخ بن أرفخشد بن سام بن نوح .

وكان الذى عقد لهم الألوية ببابل بوناظر[1] بن نوح ، وكان نوح فيما حدثنى الحارث ، قال : حدثنا ابن سعد ، قال : أخبرنى هشام ، قال : أخبرنى أبى عن أبى صالح عن ابن عباس : تزوج امرأة من بنى قابيل ، فولدت له غلامًا ، فسمّاه بوناظر ، فولده بمدينة بالمشرق يقال لها معلون[2] شمسا ، فنزل بنو سام المِجْدَل[3] سرّة[4] الأرض ، وهو ما بين ساتِيدَمَا[5] إلى البحر ، وما بين اليمن إلى الشام ، وجعل الله النبوةَ والكتاب والجمال والأدْمة والبياض فيهم . ونزل بنو حام مجرى الجنوب والدّبور ، ويقال لتلك الناحية الداروم[6] ، وجعل الله فيهم أدْمة وبياضًا قليلاً ، وأعمَر بلادهم وسماءهم ، ورفع عنهم الطاعون ، وجعل فى أرضهم الأثل والأراك والعُشَر والغار والنخل ، وجرت الشمس والقمر فى سمائهم . ونزل بنو يافث الصّفون مجرى الشمال والصبا ؛ وفيهم الحمرة والشقرة ، وأخلى الله أرضَهم فاشتدّ بردها ، وأخلى سماءهم ، فليس يجرى فوقَهم شىء من النجوم السبعة الجارية ، لأنهم صاروا تحت بنات نعش والجدْى والفرقدين ، فابتُلوا بالطاعون . ثم لحقت عاد بالشِّحْر ، فعليه هلكوا بواد يقال له مغيث ، فلحقتْهم بعدُ مهْرَةُ بالشِّحْر . ولحقت عبيل بموضع يثرب . ولحقت العماليق بصنعاء قبل أن تسمى صنعاء ، ثم انحدر بعضُهم إلى يثرب ، فأخرجوا منها عَبيل ، فنزلوا موضع الجُحفة ، فأقبل السيل فاجتحفهم فذهب بهم فسميت الجُحفة . ولحقت ثمود بالحِجْر وما يليه فهلكوا ثمّ ، ولحقت طسم وجَديس باليمامة فهلكوا ، ولحقت أميم بأرض أبَار فهلكوا بها ، وهى بين اليمامة والشِّحْر ، ولا يصلُ إليها اليوم أحد ، غلبت عليها الجن . وإنما سميت أبار بأبار بن أُمَيم .

٢٢١

(١) ا : « يوناطن » ، ن : « نوياطن » .

(٢) ا : « معلتور » .

(٣) المجدل ، ضبطها ياقوت بكسر الميم وسكون الجيم وفتح الدال .

(٤) ر ، ك : « من الأرض » .

(٥) ساتيدما ، ضبطها ياقوت : « بعد الألف تاء مثناة من فوق مكسورة وياء مثناة من تحت ؛ ودال مهملة مفتوحة ثم ميم وألف مقصورة » .

(٦) ا : « الزاروم » .

ولحقت بنو يقطن بن عابر باليمن، فسمّيت اليمن حيث تيامنوا إليها، ولحق قوم من بنى كنعان بالشأم فسميت الشأم حيث تشاءموا إليها ، وكانت الشأم يقال لها أرض بنى كَنْعان ، ثم جاءت بنو إسرائيل فقتلوهم بها ، ونفوْهم عنها ، فكانت الشأم لبنى إسرائيل . ثم وثبت الروم على بنى إسرائيل فقتلوهم ، وأجلوْهم إلى العراق إلا قليلا منهم ، ثم جاءت العرب فغلبوا على الشأم ، وكان فالغ — وهو فالغ بن عابر بن أرفخشد بن سام بن نوح — هو الذى قسَم الأرض بين بنى نوح كما سمينا . ٢٢٢/١

* * *

وأما الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن علماء سلفنا فى أنساب الأمم التى هى فى الأرض اليوم ، فعلى ما حدثنى أحمد بن بشير بن أبى عبد الله الوراق ، قال : حدثنا يزيد بن زُرَيْع ، عن سعيد، عن قتادة، عن الحسن، عن سَمُرة ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « سام أبو العرب ، ويافث أبو الروم ، وحام أبو الحبش » .

حدثنى القاسم بن بشر بن معروف ، قال : حدثنا روح ، قال : حدثنا سعيد بن أبى عَرُوبة، عن قتادة. عن الحسن ، عن سَمُرة بن جندَب ، عن النبى صلى الله عليه وسلم، قال : « ولد نوح ثلاثة: سام وحام ويافث ، فسام أبو العرب، وحام أبو الزّنج ، ويافث أبو الروم » .

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : حدثنا عثمان بن سعيد ، قال : حدثنا عبّاد بن العوّام ، عن سعيد ، عن قتادة، عن الحسن، عن سَمُرة، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « سام أبو العرب ، ويافث أبو الروم، وحام أبو الحبش » .

حدثنى عبد الله بن أبى زياد، قال : حدثنى روح، قال: حدثنا سعيد بن أبى عَرُوبة، عن قتادة، عن الحسن، عن سمُرة، عن النبى صلى الله عليه وسلم، قال: « ولد نوح سام وحام ويافث » . قال عبد الله : قال رَوْح : أحفظ « يافث » ، وسمعت مرة « يافت » .

وقد روى هذا الحديث عن عبد الأعلى بن عبد الأعلى، عن سعيد ، عن قتادة، عن الحسن، عن سَمُرة وعمران بن حصين ، عن النبى صلى الله عليه وسلم. ٢٢٣/١

حدثني عمران بن بكّار الكَلاعيّ قال : حدثنا أبو اليمان ، قال : حدثنا إسماعيل بن عياش ، عن يحيى بن سعيد ، قال : سمعت سعيد بن المسيّب يقول : ولد نوح ثلاثة ، وولد كلّ واحد ثلاثة : سام ، وحام ، ويافث . فولَد سام العربَ وفارس والروم ؛ وفى كلّ هؤلاء خير . وولد يافث الترك والصقالبة ويأجوج ومأجوج ؛ وليس فى واحد من هؤلاء خير ، وولَد حام القبْط والسودان والبربر .

وروِى عن ضَمْرة بن ربيعة ، عن ابن عطاء ، عن أبيه ، قال : ولَد حام كلّ أسود جَعْد الشعر ، وولَد يافث كلّ عظيم الوجه صغير العينين ، وولد سام كلّ حسن الوجه حَسَن الشعر . قال : ودعا نوح على حام ألاّ يعدوَ شَعرُ ولده آذانَهم ، وحيثما لقى ولده ولدَ سام استعبدوهم .

وزعم أهلُ التوراة أنّ سام ولد لنوح بعد أن مضى من عمره خمسمائة سنة ، ثم ولد لسام أرفخشد بعد أن مضى من عمر سام مائة سنة وسنتان ، فكان[1] جميع عمْر سام — فيما زعموا — ستمائة سنة. ثم ولد لأرفخشد قينان ، وكان عمر أرفخشد أربعمائة سنة وثمانيا وثلاثين سنة . وولد قينان لأرفخشد بعد أن مضى من عمره خمس وثلاثون سنة ، ثم ولد لقينان شالَخ بعد أن مَضَى من عمره تسع وثلاثون سنة ، ولم يذكر مدة عمر قَيْنان فى الكتب فيما ذكر لمَا ذكرنا من أمره قبل . ثم ولد لشالَخ عابر بعد أن مضى من عمره ثلاثون سنة ، وكان عمر شالخ كله أربعمائة سنة وثلاثا وثلاثين سنة .

٢٢٤/١

ثم ولد لعابر فالغ وأخوه قحطان ، وكان مولد فالغ بعد الطوفان بمائة وأربعين سنة ، فلما كثُر الناس بعد ذلك مع قرب عهدهم بالطوفان همّوا ببناء مدينة تجمعهم فلا يتفرّقون ، أو صرْح عالٍ يحرزهم من الطوفان إن كان مرة أخرى فلا يغرقون ، فأراد الله عزّ وجلّ أن يُوهِن أمرَهم ، ويُخلِف ظنَّهم ويعلّمهم أن الحول والقوة له ، فبدّد شملهم[2] ، وشتّت جمعهم ، وفرّق ألسنتهم . وكان عمر عابر أربعمائة سنة وأربعًا وسبعين سنة .

---

(١) ا : « وكان » .

(٢) ط : « وبددهم » ؛ وما أثبته عن ا .

ثم ولد لفالغ أرغوا ، وكان عمر فالغ مائتين وتسعا وثلاثين سنة ، وولد أرغوا لفالغ وقد مضى من عمره ثلاثون سنة ، ثم ولد لأرغوا ساروغ ، وكان عمر أرغوا مائتين وتسعًا وثلاثين سنة، وولد له ساروغ بعد ما مضى من عمره اثنتان وثلاثون سنة . ثم ولد لساروغ ناحور[1] ، وكان عمر ساروغ مائتين وثلاثين سنة . وولد له ناحور ، وقد مضى من عمره ثلاثون سنة .

ثم ولد لناحور تارخ أبو إبراهيم ، صلوات الله عليه ، وكان هذا الاسم اسمه الذى سمّاه أبوه، فلما صار مع نُمرود قيّمًا على خزانة آلهته سماه آزر. وقد قيل : إن آزر ليس باسم أبيه ؛ وإنما هو اسم صنم ؛ فهذا قولٌ يروى عن مجاهد . وقد قيل إنه عيبٌ عابه به بمعنى « معوجّ» ، بعد ما مضى من عمر ناحور سبع وعشرون سنة ، وكان عمر ناحور كله مائتين وثمانيا وأربعين سنة . ٢٢٥/١

وولد لتارَخ إبراهيم ، وكان بين الطوفان ومولد إبراهيم ألف سنة وتسع وسبعون سنة ،وكان بعضُ أهل الكتاب يقول : كان بين الطوفان ومولد إبراهيم ألف سنة ومائتا سنة وثلاث وستون سنة ، وذلك بعد خلْق آدم بثلاثة آلاف وثلثمائة سنة وسبع وثلاثين سنة .

وولد لقحطان بن عابر يَعْرُب ،فولد يعرُب يَشْجُبَ بن يعرُب ، فولد يشجب سبأ بن يشجب ، فولد سبأ حِمْيَرَ بن سبأ وَكَهْلانَ بن سبأ وعمرو ابن سبأ ،والأشعر بن سبأ وأنْمَار بن سبأ ومرّ بن سبأ وعاملة بن سبأ . فولد عمرو ابن سبأ عدىّ بن عمرو ، فولد عدىّ لخم بن عدىّ وجُذَام بن عَدىّ .

* * *

وقد زعم بعضُ نسَّابى الفرس أن نوحًا هو أفريدون الذى قهر الازدهاق ، وسلَبه ملكَه . وزعم بعضُهم أن أفريدون هو ذو القرنين صاحب إبراهيم عليه السلام الذى قضى له ببئر السبع[2] ، الذى ذكر الله فى كتابه . وقال بعضُهم : هو سليمان بن داود .

وإنما ذكرته فى هذا الموضع لما ذكرت فيه من قول من قال : إنه نوح ،

---

(١) ا : « تاحور » ر : « ياحور » ، س : « ياجور » .

(٢) بئر السبع ، نقل القرطبى فى تفسيره ١١ : ٤٧ عن السهيلى أنه موضع بالشام .

وإن قصته شبيهة بقصة نوح فى أولاد له ثلاثة، وعدله وحسن سيرته ، وهلاك
١/٢٢٦ الضحاك على يده . وأنه قيل إن هلاك الضحاك كان على يد نوح وأن[(١]
نوحًا إنما كان أرسل — فى قول من ذكرت عنه أنه قال: كان هلاك الضحاك
على يدى نوح —[١)] حين أرسل إلى قومه ، وهم كانوا قومَ الضحاك .

فأما الفرس فإنهم ينسُبونه النسبة التى أنا ذاكرها ؛ وذلك أنهم يزعمون أن أفريدون من ولد جم شاذ الملك الذى قتله الازدهاق ، على ما قد بيَّنّا من أمره قبلُ ، وأن بينه وبين جم عَشَرة آباء .

وقد حُدِّثت عن هشام بن محمد بن السائب، قال: بلغنا أن أفريدون — وهو من نسل جم الملك الذى كان من قبل الضحاك ، قال : ويزعمون أنّه التاسع من ولَده ، وكان مولده بدُنْباوند — خرج حتى ورد منزلَ الضحاك ، فأخذه وأوثقه ، وملك مائتى سنة ، وردّ المظالم ، وأمرَ الناس بعبادة الله والإنصاف والإحسان، ونظر إلى ما كان الضحاك غَصَب الناس من الأرَضين وغيرها، فردّ ذلك كلّه على أهله، إلا ما لم يجد له أهلا ، فإنه وقَفه على المساكين والعامة . قال : ويقال إنه أوّل مَنْ سمى الصوافى ، وأولُ من نظر فى الطبّ والنجوم ، وإنه كان له ثلاثة بنين: اسم الأكبر سَلْم[(٢)] ، والثانى طوج ، والثالث إيرج ، وأن أفريدُون تخوّف ألا يتفق بنوه، وأن يبغِىَ بعضُهم على بعض، فقسَّم ملكه
١/٢٢٧ بينهم ثلاثًا ، وجعل ذلك فى سهامٍ كتب أسماءهم عليها ، وأمرَ كلَّ واحد منهم فأخذ سهمًا، فصارت الروم وناحية المغرب لسلْم ، وصارت الترك والصين لطوج ، وصارت للثالث — وهو إيرج — العراق والهند ، فدفع التاج والسرير إليه ، ومات أفريدُون ، فوثب بإيرَج أخواه فقتلاه ، وملكا الأرض بينهما ثلثمائة سنة .

قال : والفرس تزعُم أنّ لأفريدُون عشرَة آباء ، كلهم يسمى أثفيان باسم واحد . قالوا : وإنما فعلوا ذلك خوفًا من الضحّاك على أولادهم، لرواية كانت عندهم، بأنّ بعضهم يغلب الضحاك على ملكه، ويُدرك منه ثأر جم ،

(١ — ١) كذا وردت العبارة فى ا .

(٢) فى الأصول : « سرم » ، وانظر ما يأتى .

وكانوا يعرَفون ويميّزون بألقاب لقّبوها ، فكان يقال للواحد منهم : أثفيان صاحب البقر الحمر ، وأثفيان صاحب البقر البُلْق ، وأثفيان صاحب البقر الكدْر[١] . وهو أفريدون بن أثفيان بُوركاو — وتفسيره صاحب البقر الكثير — بن أثفيان نيككاو — وتفسيره صاحب البقر الجياد ، بن أثفيان سيركاو[٢] — وتفسيره صاحب البقر السمان العظام — بن أثفيان بوركاو — وتفسيره صاحب البقر التى بلون حمير الوحش — بن أثفيـــان أخشين كاو — وتفسيره صاحب البقر الصفر — بن أثفيان سياه كاو — وتفسيره صاحب البقر السود — بن أثفيان اسبيذكاو — وتفسيره صاحب البقر البيض — بن أثفيان كيركاو — وتفسيره صاحب البقر الرمادية — بن أثفيان رمين — وتفسيره كلّ ضرب من الألوان والقطعان — بن أثفيان بنفر وسن؛ بن جم الشاذ . ٢٢٨/١

وقيل : إن أفريدُون أوّل من سُمّى بالكيْيّة فقيل له : كَىْ أفريدون ، وتفسير الكييّة أنها بمعنى التنزيه ، كما يقال : روْحانى ، يعنون به أن أمرَه أمر مخلص منزّه يتصل بالروحانية . وقيل إن معنى « كَىْ » أى طالب الدخل[٣] ، ويزعم بعضهم أن « كَىْ » من البهاء ، وأن البهاء تغشّى أفريدُون حين قتل الضحاك ؛

وتذكر العجم من الفُرْس أنه كان رجلاجسيماً وسيماً بهيًّا مجربًا ، وأن أكثر قتاله كان بالجرْز ، وأن جُرْزه كان رأسه كرأس الثور ، وأن ملك ابنه إيرَج العراق ونواحيها كان فى حياته ، وأن أيام إيرَج داخلة فى ملك أفريدون ، وأنه ملك الأقاليم كلّها ، وتنقل فى البلدان ، وأنه لما جلس على سريره يوم الملك قال : نحن القاهرون بعون الله وتأييده للضحّاك ، القامعون للشيطان وأحزابه ، ثم وعظ الناسَ ، فأمرهم بالتناصف وتعاطى الحقّ وبذل الخير بينهم ، وحثّهم على الشكر والتمسك به ، ورتّب سبعة من القوهياريين[٤] — وتفسير ذلك محولو الجبال سبع مراتب — وصيّرَ إلى كلّ واحد منهم ناحية من دُنبَاوند وغيرها على شبيه بالتمليك . قالوا : فلما ظفر بالضّحاك قال له الضحاك : لا تقتلنى بجدّك ٢٢٩/١

(١) كذا فى ا ، وفى ط : « الكذا » .
(٢) ا ، ب ، ك ، ن : « شوكاو » . س « سوكاو » .
(٣) ك : « الجمل » .
(٤) ا : « القوهبارين » . س : « القوهارين » .

جم ، فقال له أفريدُون منكراً لقوله : لقد سمتْ بك همتك ، وعظُمت فى نفسك حين قدّرتها لهذا ، وطمعت لها فيه ! وأعلمه أن جدّه كان أعظم قدراً من أن يكون مثله كفئًا له فى القَود ، وأعلمه أنه يقتله بثور كان فى دار جَدّه.

وقيل إن أفريدُون أول من ذلّل الفيَلة وامتطاها، ونَتّج البغال ، واتخذ الإوزّ والحمام ، وعالج الدّرياق[1] ، وقاتل الأعداء فقتلهم ونفاهم ، وأنه قسّم الأرضَ بين أولاده الثلاثة : طوج وسَلْم وإيرَج ، فملّك طُوجًا ناحية التّرك والخزَر والصين ، فكانوا يسمونها صين بُغَا ، وجمع إليها النواحىَ التى اتصلت بها ، وملّك سَلْماً ابنه الثانى الروم والصقالبة والبُرْجان وما فى حدود ذلك ، وجعل وسط الأرض وعامرها — وهو إقليم بابل ، وكانوا يسمونها خنارث[2] بعد أن جمع إلى ذلك ما اتّصل به من السند والهند والحجاز وغيرها — لأيرج وهو الأصغر من بنيه الثلاثة ، وكان أحبّهم إليه . وبهذا السبب سُمّى إقليم بابل إيرانشهر ، وبه أيضًا نشبت العداوة بين ولد أفريدون وأولادهم بعد، وصار ملوك خنارث والتّرك والروم إلى المحاربة ومطالبة بعضهم بعضًا بالدماء والترات .

٢٣٠

وقيل: إن طوجًا وسَلْمًا لمّا علما أن أباهما قد خصّ إيرَج وقدّمه عليهما أظهرا له البغضاء ، ولم يزل التحاسد ينمِى بينهم إلى أن وثب طُوج وسَلْم على أخيهما إيرَج ، فقتلاه متعاونين[3] عليه ، وأن طوجا رماه بوَهَق[4] فخنقه، فمن أجل ذلك استعملت التّرك الوَهَق، وكان لإيرَج ابنان؛ يقال لهما وندان[5] وأسطوبة[6] ،وابنة يقال لها خوزك[7] ،ويقال خوشك،فقتل سَلْم وطوج الابنين مع أبيهما ، وبقيت الابنة .

وقيل: إن اليوم الذى غلب فيه أفريدون الضحاك كان روزمهر من مهرماه، فاتخذ الناس ذلك اليوم عيداً لارتفاع بليّة الضحاك عن الناس، وسماه المِهرجان؛

(١) ك : « وعالج بالدرياق » .
(٢) ا ، س : « خيارث » ، ك : « حنارث » ، ن : « خنباث » .
(٣) ن : « متقاويين » .
(٤) الوهق : الحبل يرمى فى أنشوطة فتؤخذ به الدابة والإنسان .
(٥) ك : « ويدان » ب : « وبدان » » .
(٦) كذا فى ا ؛ وفى ر : « أستويه » ، وفى ن : « أستوية » وفى ك : « وسطونة » وفى ط مهمل.
(٧) ا : « خورك » .

٢١٥

فقيل : إن أفريدُون كان جباراً عادلاً في ملكه ، وكان طولُه تسعة أرماح ، كلُّ رمح ثلاثة أبواع ، وعرض حُجْرته ثلاثة أرماح ، وعرض صدره أربعة أرماح ، وأنه كان يتبَع مَنْ كان بقيَ بالسودان من آل نمرود والنَّبَط ، وقصدهم حتى أتى على وجوههم ، ومحا أعلامَهم وآثارهم ؛ وكان ملكه خمسمائة سنة .

١/٢٣١

ذكر الأحداث التي كانت بين نوح وإبراهيم خليل الرحمن عليهما السلام

قد ذكرنا قبلُ ما كان من أمر نوح عليه السلام وأمر ولده واقتسامهم الأرضَ بعده ، ومساكنَ كلِّ فريق منهم، وأيَّ ناحية سكن من البلاد . وكان ممن طغا وعتا على الله عزّ وجلّ بعد نوح، فأرسل الله إليهم رسولاً فكذبوه وتمادوا في غيّهم، فأهلكهم الله هذان الحيان من إرم بن سام بن نوح : أحدهما عاد ابن عَوْص بن إرم ابن سام بن نوح ، وهي عاد الأولى، والثاني ثمود بن جاثر بن إرم بن سام بن نوح ، وهم كانوا العربَ العاربة .

* * *

فأما عاد فإنّ الله عزّ وجلّ أرسل إليهم هودَ بن عبد الله بن رباح بن الخلود ابن عاد بن عَوْص بن إرم بن سام بن نوح . ومن أهل الأنساب مَنْ يزعم أن هوداً هو عابر بن شالخ بن أرفَخْشَد بن سام بن نوح ، وكانوا أهلَ أوثان ثلاثة يعبدونها ، يقال لإحداها : صداء، وللآخر صمود، وللثالث الهباء[1]. فدعاهم إلى توحيد الله وإفراده بالعبادة دون غيره ، وتَرْكِ ظلم الناس ، فكذّبوه وقالوا : مَن أشدُّ منا قوّة ! فلم يؤمن بهود منهم إلا قليل ، فوعظهم هود إذ تمادوا في طغيانهم، فقال لهم: ﴿ أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً تَعْبَثُونَ * وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ * وَإِذَا بَطَشْتُمْ بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ * فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ * وَاتَّقُوا الَّذِي أَمَدَّكُمْ بِمَا تَعْلَمُونَ * أَمَدَّكُمْ بِأَنْعَامٍ وَبَنِينَ * وَجَنَّاتٍ وَعُيُونٍ * إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾ . فكان جوابهم له أن قالوا :

١/٢٣٢

(١) ا : « الهناء » .

﴿سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَوَعَظْتَ أَمْ لَمْ تَكُنْ مِنَ الْوَاعِظِينَ﴾[1]. وقالوا له: ﴿يَا هُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِهَتِنَا عَنْ قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ * إِنْ نَقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ[2]﴾، فحبس الله عنهم — فيما ذكر — القَطْرَ سنين ثلاثا؛ حتى جهدوا، فأوفدوا وفداً ليستسقوا لهم.

فكان من قصّتهم ما حدّثنا أبو كريب، قال: حدثنا أبو بكر بن عيّاش، قال: حدثنا عاصم، عن أبي وائل، عن الحارث بن حسّان البكريّ، قال: قدمتُ على رسول الله صلى الله عليه وسلم: فمررت بامرأة بالرَّبَذة، فقالت: هل أنتَ حاملي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قلتُ: نعم، فحملتُها حتى قدمت المدينة، فدخلتُ المسجد، فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم على المنبر، وإذا بلالٌ متقلّد السيف، وإذا[3] رايات سُودٌ، قال: قلت: ما هذا؟ قالوا: عمرو بن العاص قدم من غزْوته، فلمّا نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن منبره أتيتُه فاستأذنته، فأذن لي، فقلتُ: يا رسول الله، إنّ بالباب امرأةً من بني تميم، قد سألتْني أن أحملها إليك، قال: يا بلال، ائذَنْ لها، قال: فدخلتْ، فلما جلستْ قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: هل كان بينكم وبين تميم شيء؟ قلت: نعم، وكانت الدبَرَة[4] عليهم، فإن رأيت أن تجعل الدّهناء بيننا وبينهم فعلت، قال: تقول المرأة فأين تضطر مُضرَك يا رسول الله؟ قال: قلت: مثَلي مثل معزًى حملت حتْفًا، قال: قلت: أو حملتُك تكونين عليّ خصما! أعوذ بالله أن أكون كوفد[5] عاد. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: وما وفد عاد؟ قال: قلت: على الخبير سقطت؛ إن عاداً قحطت، فبعثتْ من يَستَسقِي لها، فمرّوا على بكْر بن معاوية بمكة يَسقيهم الخمر، وتُغنّيهم الجرادتان شهراً، ثم بعثوا رجلاً من عنده، حتى أتى جبال مَهْرة، فدعا، فجاءت سحابات، قال: وكلّما جاءت قال:

٢٣٣/١

---

(١) سورة الشعراء ١٢٨ — ١٣٦

(٢) سورة هود ٥٣، ٥٤

(٣) ط والتفسير «فإذا»، وما أثبته من ا.

(٤) الدبرة عليهم، أي الهزيمة، وفي ا: «الدائرة».

(٥) ا والتفسير: «وافد».

اذهبي إلى كذا ، حتى جاءت سحابة ، فنُودى [منها][١] : خُذها رماداً رِمْدَداً[٢] ، لا تَدعْ من عاد أحدا . قال : فسمعه وكتمهم حتى جاءهم العذاب .

قال أبو كريب : قال أبو بكر بعد ذاك فى حديث عاد ، قال : فأقبل الذى أتاهم ، فأتى جبال مَهْرة فصعد فقال : اللهمّ إنى لم أجئك لأسير فأفاديه ، ولا لمريض أشفيه ، فأسق عاداً ما كنت مُسْقيه ! قال : فرُفعت له سحابات . قال : فنُودى منها : اختر ، فجعل يقول : اذهبي إلى بنى فلان [اذهبي إلى بنى فلان][١] . قال : فمرّت آخرها سحابة سوداء ؛ فقال : اذهبي إلى عاد . قال : فنودىَ منها : خُذها رماداً رِمْدَدًا ، لا تدعْ من عاد أحداً . قال : وكتمهم والقوم عند بكر بن معاوية يشربون . قال : وكره بكر بن معاوية أن يقول لهم من أجل أنهم عنده ، وأنهم فى طعامه . قال : فأخذ فى الغناء وذكّرهم[٣] .

حدثنا أبو كريب ، قال : حدثنا زيد بن حُبَاب ، قال : حدثنا سلاّم أبو المنذر النَّحْوىّ ، قال : حدثنا عاصم ، عن أبى وائل ، عن الحارث بن يزيد البكرىّ ، قال : خرجت لأشكوَ العلاء بن الحضْرَمىّ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فمررت بالرَّبَذة ، فإذا عجوز منقطَع بها من بنى تميم ، فقالت : يا عبد الله ، إن لى إلى رسول الله حاجةً ، فهل أنت مُبْلغى إليه ؟ قال : فحملتُها ، فقدمتُ المدينة — قال أبو جعفر : أظنه أنا قال : « فإذا رايات سود » — قال : قلت : ما شأن الناس ؟ قالوا : يريد أن يبعث بعمرو بن العاص وجْهًا . قال : فجلست حتى فرغ ، قال : فدخل منزله — أو قال رَحْلَه — فاستأذنتُ عليه ، فأذن لى . قال : فدخلت فقعدت ، فقال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم : هل كان بينكم وبين تميم شىء ؟ قال : قلت : نعم ، وكانت الدَّبَرة عليهم ، وقد مررت بالرَّبَذة ، فإذا عجوز منهم منقطَع بها ، فسألَتْنى أن أحملَها إليك ، وها هى بالباب ، فأذن لها رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخلت ، فقلت : يا رسولَ الله ، اجعل بيننا وبين تميم الدَّهناءَ حاجزاً ، فحميت العجوزُ واستوفزت ، وقالت : فأين تضطرّ مضرَك يا رسول الله ؟ قال :

٢٣٤/١

---

(١) تكملة من ا والتفسير .

(٢) الرمدد : المتناهى فى الاحتراق . (٣) الخبر فى التفسير ١٢ : ٥١٣ — ٥١٥ .

قُلت : أنا كما قالوا : «معزَّى حملتْ حَتْفَهَا»(١)، حملتُ هذه ولا أشعر أنها كائنة لى خصماً ، أعوذ بالله ورسوله أن أكون كوافد عاد ! قال : وما وافد عاد ؟ قلت : على الخبير سقطت ، قال : وهو يستطعِمنى(٢) الحديث قلت : إن عاداً قَحِطوا فبعثوا «قَيْلاً» وافداً ، فنزل على بَكْر ، فسقاه الخمر شهراً ، وتغنّيه جاريتان يقال لهما الجرادتان ، فخرج إلى جبال مَهْرة ، فنادى : إنى لم أجئْ لمريض فأداويه ، ولا لأسير فأفاديه ، اللهم أسق عاداً ما كنت تُسقيه ! فمرّت به سحابات سود ، فنودى منها : خذها رماداً رِمْدِدا ، لا تبقِ من عاد أحداً . قال : فكانت المرأة تقول : لا تكن كوافد عاد ، فما بلغنى أنه أرسل عليهم من الريح يا رسول الله إلاّ قدْرَ ما يجرى فى خاتمى . قال أبو وائل : وكذلك بلغنى(٣) .

وأما ابن إسحق فإنه قال كما حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة عنه : ١/٢٣٥ أن عاداً لما أصابهم من القحط ما أصابهم قالوا : جهِّزوا منكم وفداً إلى مكة فيستسقوا لكم ، فبعثوا قَيْل بن عتر ولُقَيم بن هزّال بن هزيل بن عُتَيْل ابن صدّ بن عاد الأكبر ، ومَرْثَد بن سعد بن عُفير — وكان مسلماً يكتم إسلامه — وجُلْهُمَةَ بن الخيبرىّ ، خال معاوية بن بكر أخا أمه ، ثم بعثوا لقمان بن عاد بن فلان بن فلان بن صدّ بن عاد الأكبر ، فانطلق كلٌّ رجل من هؤلاء القوم معه رهط من قومه ، حتى بلغ عدةُ وفدهم سبعين رجلا ، فلما قدموا مكة نزلوا على معاوية بن بكر وهو بظاهر مكة خارجاً من الحرم ، فأنزلهم وأكرمهم ، وكانوا أخوالَه وصهره . وكانت هزيلة ابنة بكر أختَ معاوية بن بكر لأبيه وأمه كلهدة ابنة الخيبرى عند لُقَيْم [بن هزّال بن عُتَيْل بن صد ابن عاد الأكبر(٤)] ، فولدت له عبيد بن لُقَيم بن هزّال وعمرو بن لُقَيم بن هزّال وعامر بن لُقَيم بن هزّال وعُمَير بن لقيم بن هزال ، فكانوا فى أخوالهم بمكة عند آل معاوية بن بكر ، وهم عاد الأخيرة التى بقيَت من عاد الأولى . فلما نزل

---

(١) ط : «حيفا» ، وما أثبته من ا والتفسير ، ومعزى مصروف ؛ لأن الألف للإلحاق وليست للتأنيث ؛ ذكره سيبويه .

(٢) استطعمه الحديث : أغراه أن يحدثه . (٣) الخبر فى التفسير ١٢ : ٥١٦ — ٥١٨ .

(٤) تكلة من ا .

١/٢٣٦ وفد عادٍ على معاوية بن بكر أقاموا عنده شهراً يشربون الخمر ، وتغنّيهم الجرادتان – قينتان لمعاوية بن بكر – وكان مسيرُهم شهراً ، ومقامهم شهراً ، فلما رأى معاوية بن بكر طولَ مقامهم ، وقدْ بعثهم قومُهم يتغوّثون بهم[1] من البلاء الذى أصابهم ، شقّ ذلك عليه فقال : هلك أخوالى وأصهارى وهؤلاء مقيمون عندى ، وهم ضيفى نازلون علىّ ، والله ما أدرى : كيف أصنع بهم ! أستحى أن آمرَهم بالخروج إلى ما بُعثوا إليه ، فيظنّوا أنه ضيقٌ منى بمقامهم عندى ، وقد هلك مَنْ وراءهم من قومهم جهداً وعطشاً ، أو كما قال .

فشكا ذلك من أمرهم إلى قينتيه الجرادتين ، فقالتا : قل شعراً نغنّيهم به لا يدرون مَنْ قاله ، لعلّ ذلك أن يحرّكهم ! فقال معاوية بن بكر حين أشارتا عليه بذلك :

ألا يا قيلُ ، ويْحَك قم فهَيْنِمْ ... لعلَّ الله يَسْقِينَا غَمَامَا[2]

فيسقِى أرضَ عادٍ ، إنّ عادًا ... قد أمسوا لا يُبِينُون الكَلاما

من العطشِ الشّديد، فليس نرجو[3] ... به الشيخَ الكبيرَ ولا الغلاما

وقَدْ كانتْ نساؤُهُمُ بخيرٍ ... فقد أمستْ نِساؤُهُمُ عَيَامَى[4]

وإنّ الوحشَ تأتيهمْ جهارًا ... ولا تخشَى لعادِىّ سِهاما

١/٢٣٧ وأنتم ها هنا فيما اشتَهَيْتُمْ ... نهارَكُمُ وليلَكُمُ التّماما

فقبّح وفدكُمْ من وَفْدِ قومٍ ... ولا لُقّوا التحيّةَ والسلاما !

فلما قال معاوية ذلك الشعر ، غنّتهم به الجرادتان . فلما سمع القوم ما غنّتا به ، قال بعضهم لبعض : يا قوم إنما بعثكم قومُكم يتغوّثون بكم من هذا البلاء الذى نزل بهم ، وقد أبطأتمْ عليهم ، فادخلُوا هذا الحرم فاستسقوا لقومكم ، فقال مَرْثَد بن سعد بن عُفَير : إنكم والله لا تُسْقَوْن بدعائكم ؛ ولكنْ إن أطعتم

(١) ر : « لهم » وفى التفسير : « يتعوذون » .
(٢) ا ، ر ، ك والتفسير : « يصبحنا غماماً » ، والهينمة : الكلام الخفى .
(٣) ط : « يرجى » ، وما أثبته عن ا ، ر ، والتفسير .
(٤) اللسان : المرأة التى مات عنها زوجها ولا مال لها يقال لها : عمى وأيمى ، والجمع عوام .

نبيّكم،وأنبتّم إليه سُقيتم . فأظهر إسلامه عند ذلك ، فقال لهم جُلهُمَة بن الخيبريّ، خال معاوية بن بكر حين سمع قوله، وعرف أنه قد تبع دين هود وآمن به :

أَبَا سَعْدٍ فإنَّكَ مِنْ قَبِيلٍ ذَوِي كرمٍ وأُمُّكَ مِنْ ثَمُودِ
فإنّا لَنْ نُطِيعَك مَا بقِينَا وَلَسْنَا فاعلينَ لِمَا تُرِيدُ
أتأمرنا لنترك آل رِفْدٍ[1] وَزَمْلٍ وآل صُدٍّ والعبُود[2]
ونترك دينَ آباءٍ كرام ذوي رأيٍ ونَتْبَعُ دِينَ هُودِ

ورفد وزمل وصدّ قبائل من عاد ، والعبود منهم . ثم قال لمعاوية بن بكر وأبيه بكر : احبسا عنّا مَرْثد بن سعد فلا يقدمنّ معنا مكة؛فإنه قد اتبع دينَ هود ، وترك ديننا . ثم خرجوا إلى مكة يستسقون بها لعاد،فلماولّوا إلى مكة خرج مَرْثد بن سعد من منزل معاوية ، حتى أدركهم بها قبل أن يدعُوا الله بشيء ١/٢٣٨ مما خرجوا له . فلما انتهى إليهمْ قام يدعو الله، وبها وفد عاد قد اجتمعوا يدعون. فقال : اللهمّ أعطِني سُؤْلي وحدي، ولا تُدخلني فى شيء مما يدعوك به وفد عاد . وكان قَيْل بن عتر رأس وفد عاد . وقال وفد عاد : « اللهمّ أعطِ قيْلا ما سألك ، واجعلْ سُؤْلنا مع سؤله » . وقد كان تخلّف عن وفد عاد لقمان ابن عاد ، وكان سيدَ عاد ،حتى إذا فرغوا من دعوتهم قال : اللهمّ إنى جئتك وحدى فى حاجتى فأعطنى سؤلى . وقال قيل بن عتر حين دعا : يا إلهنا ، إن كان هود صادقًا فاسقِنا فإنا قد هلكنا . فأنشأ الله سحائب ثلاثًا : بيضاء وحمراء، وسوداء ، ثم ناداه مُناد من السحاب : يا قيْل، اخترْ لنفسك وقومك من هذا السحاب . فقال : قد اخترتُ السحابة السوداء ، فإنها أكثرُ السحاب ماءً ، فناداه مناد : اخترت رماداً رِمْدَدًا، لا تُبقى من عاد أحداً، لا والداً تترك ولاولداً، إلاّ جعلته هَمِدًا،إلاّ بنى اللُّوذِيّة المُهْدَى[3]ـــوبنو اللُّوذِيّة

(١) كذا فى ا ، وفى ط والتفسير : « دين رفد » .
(٢) همدا : إلى هالكا . (٣) كذا ضبط فى ا بضم الميم وفتح الدال .

بنو لُقَيْم بن هَزّال بن هُزَيل بن هزيلة ابنة بكر ؛ كانوا سُكانا بمكة مع أخوالهم ، لم يكونوا مع عاد بأرضهم ، فهم عاد الآخرة، ومَن كان من نسلهم الذين بقوا من عاد —

وساق الله السحابة السوداء فيما يذكرون التى اختار قَيْل بن عتر بما فيها من النقمة إلى عاد، حتى خرجت عليهم من واد لهم يقال له المغيثُ . ولما رأوْها استبشروا بها، وقالوا: ﴿هَـٰذَا عَارِضٌ مُمْطِرُنَا﴾، يقول الله عزّوجلّ: ﴿بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ * تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا﴾[1]، أى كلّ شىء أمرت به. فكان أول من أبصر ما فيها أنها ريح — فيما يذكرون — امرأة من عاد يقال لها مَهْدد، لما تبيّنت ما فيها صاحت ثم صَعِقت ، فلما أفاقت قالوا: ماذا رأيت يا مَهْدَد ؟ قالت: رأيت ريحًا فيها كشُهُب النار، أمامها رجال يقودونها. فسخّرها الله عليهم ﴿سَبْعَ ليال وثمانيةَ أيام حُسُومًا﴾، كما قال الله: والحُسُومُ: الدائمة ؛ فلم تَدَعْ من عادٍ أحداً إلا هلك .

١/٢٣٩

فاعتزل هود — فيما ذُكر — ومن معه من المؤمنين فى حظيرة ، ما يُصيبه ومن معه منها إلا ما تَلين عليه الجلود، وتلتذّ الأنفس؛ وإنها لتَمُرّ من عاد بالظعن ما بين السماء والأرض ، وتدمغُهم بالحجارة . وخرج وَفْد عاد من مكّة حتى مرّوا بمعاوية بن بكر وأبيه ، فنزلوا عليه، فبيناهم عنده، إذ أقبل رجل على ناقة له فى ليلة مقمرة مُسْىَ[2] ثالثة من مصاب عاد، فأخبرهم الخبرَ، فقالوا : فأين فارقت هودا وأصحابه ؟ قال : فارقتهم بساحل البحر ؛ فكأنهم شكّوا فيما حدّثهم ، فقالت هزيلة ابنة بكر: صدقَ وربّ مكّة[3] . ومثوّب بن يعفُر بن أخى معاوية بن بكر معهم . وقد كان قيل — فيما يزعمون والله أعلم — لمرثد بن سعد ولقمان بن عاد، وقَيْل بن عتر حين دعوا بمكة : قد أعطيتم مُنَاكم فاختاروا لأنفسكم ، إلا أنه لا سبيلَ إلى الخلد ، فإنه لا بدّ من الموت ، فقال مَرْثَد بن سعد: يا ربّ ، أعطنى برًّا وصدقًا ، فأعطِىَ ذلك ، وقال

١/٢٤٠

---

(١) سورة الأحقاف ٢٤ ، ٢٥ .

(٢) كذا فى ا ، س ، وفى ط : «مساء» .

(٣) الخبر إلى هنا فى التفسير ١٢ : ٥٠٩ — ٥١٣ .

لقمان بن عاد : أعطى عُمْراً ، فقيل له : اختر لنفسك، إلاّ إنه لاسبيل إلى الخُلْد : بقاء أبْعار[1] ضأن عفْر ، فى جبل وعر ، لا يُلْقى به إلا القطر ، أم سبعة أنسر إذا مضى نَسْر حلوتَ إلى نسر ؟ فاختار لقمان لنفسه النسور ، فَعُمِّر — فيما يزعمون — عُمْرَ سبعة أنسر ؛ يأخذ الفرخ حين يخرج من بيضته ، فيأخذ الذكَر منها لقوّته ؛ حتى إذا مات أخذ غيرَه ، فلم يزلْ يفعل ذلك ، حتى أتى على السابع . وكان كلُّ نَسر فيما زعموا يعيش ثمانين سنة ، فلمّا لم يبق غيرُ السابع قال ابن أخ للقمان : أى عمّ ، ما بقى من عمرك إلا عمر هذا النسر ؛ فقال له لقمان : أى ابن أخى : هذا لُبَدٌ — ولُبَد بلسانهم الدهر — فلمّا أدرك نَسر لقمان، وانقضى عمره، طارت النسور غداةً من رأس الجبل، ولم ينهض فيها لُبَد ، وكانت نسور لقمان تلك لا تغيب عنه ؛ إنما هى بعينه[2]. فلما لم ير لقمان لُبداً نهض مع النسور ؛ نهض إلى الجبل لينظر ما فعل لُبَد ، فوجد لقمان فى نفسه وَهْنًا لم يكن يجده قبل ذلك ، فلمّا انتهى إلى الجبل رأى نسره لُبداً واقعًا من بين النسور ، فناداه : انهضْ لُبَد ، فذهب لُبَد لينهض فلم يستطع ، عريت قوادمه وقد سقطت ؛ فماتا جميعًا . ١/٢٤١

وقيلَ لقيل بن عتر حين سمع ما قيل له فى السحاب : اخترْ لنفسك كما اختار صاحباك، فقال : أختارُ أن يصيبَنى ما أصاب قومى، فقيل: إنه الهلاك ، قال :لا أبالى؛لا حاجة لى فى البقاء بعدهم. فأصابه ما أصاب عادًا من العذاب فهلك ، فقال مَرْثَد بن سعد بن عُفَير حين سمع من قول الراكب الذى أخبر عن عاد بما أخبر من الهلاك :

عَصَتْ عادٌ رسولَهُمُ فأمْسَوْا ... عِطاشاً ما تَبُلُّهُمُ السماءْ
وسُيِّرَ وَفْدُهُمْ شهرًا ليُسْقَوْا ... فأرْدَفَهُمْ مع العَطَشِ العَمَاءْ
بكفرِهِمُ بربِّهِمُ جِهارًا ... عَلَى آثارِ عَادِهِمُ العفاءْ
ألَا نَزَعَ الإلهُ حُلومَ عادٍ ... فإنّ قلوبهمْ قفرٌ هَواءْ

---

(١) الأبعار : جمع بعر ؛ وهى الشياه .

(٢) كذا فى ا ، س، ن ، وفى ط : « تتعينه » .

مِنَ الخبرِ المُبيَّنِ أنْ يَعُوهُ ... وما تُغْنِي النصيحةُ والشَّفَاءُ[1]

فنفسي وَابْنَتَايَ وَأُمُّ وُلْدِي ... لِنَفْسِ نَبِيِّنَا هودٍ فداءُ

أتانا والقلوبُ مُصمَّداتٌ ... على ظُلْمٍ ، وقد ذَهَبَ الضِّيَاءُ

لَنَا صَنَمٌ يقالُ له صَمُودٌ ... يُقابله صُـــداءٌ والْهباءُ

فأبصَرَهُ الذينَ له أنابوا ... وأدْرَكَ مَنْ يُكذِّبُ بهِ الشَّقاءُ

فَإِنِّي سَوْفَ أَلْحَقُ آلَ هودٍ ... وإخْوَتَه إذَا جنَّ المَسَاءُ

وقيل : إن رئيسهم وكبيرهم فى ذلك الزمان الخَلَجان .

١/٢٤٢ حدثنى العباس بن الوليد ، قال : حدثنا أبى ، عن إسماعيل بن عياش ، عن محمد بن إسحاق ، قال : لما خرجت الريحُ على عاد من الوادى ، قال سبعة رَهْط منهم ، أحدهم الخَلَجان : تعالوْا حتى نقومَ على شَفِير الوادى فنردها ، فجعلت الريح تدخل تحت الواحد منهم فتحمله ، ثم ترمى به فتندقّ عنقه ، فتتركهم كما قال الله عزّ وجلّ : ﴿ صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ ﴾[2] حتى لم يبق منهم إلا الخَلَجان ، فمال إلى الجبل ، فأخذ بجانب منه ، فهزّه فاهتزّ فى يده ، ثم أنشأ يقول :

لَمْ يَبْقَ إلَّا الخَلَجانُ نفسُهُ ... تالَكَ مِنْ يَوْمٍ دَهَانِي أمْسُهُ

بِثَابِتِ الْوَطْءِ شَديدٍ وَطْسُهُ ... لوْ لم يَجِئْنِي جِئْتُهُ أَجُسُّهُ

فقال له هود : ويحك يا خَلَجان! أسلِمْ تَسْلَمْ ، فقال له : ومالى عند ربك إن أسلمت ؟ قال : الجنة ، قال : فما هؤلاء الذين أراهم فى هذا السحاب كأنهم البُخْت ، قال هود : تلك ملائكة ربى ، قال : فإن أسلمت أيُعيذنى ربك منهم ؟ قال : ويلك ! هل رأيت ملكًا يعيذ من جنده ! قال : لو فعل ما رضيت ، قال : ثم جاءت الريح فألحقته بأصحابه ؛ أو كلامًا هذا معناه .

قال أبو جعفر : فأهلك الله الخَلَجان ، وأفنى عاداً خــلا مَنْ بقيَ

(١) ا ، ك : « من الخير » .

(٢) سورة الحاقة ٧

منهم ، ثم بادوا بعد ، ونجّى الله هودًا ومَن آمن به . وقيل : كان عمر هودٍ مائة سنة وخمسين سنة .

٢٤٣/١ حدثنا محمد بن الحسين ، قال : حدثنا أحمد بن المفضل ، قال : حدثنا أسباط ، عن السدىّ ، قال : ﴿ وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ﴾[1] ؛ إنّ عاداً أتاهم هود ، فوعظهم وذكرهم بما قصّ الله فى القرآن ، فكذّبوه وكفروا ، وسألوه أن يأتيهم العذاب فقال لهم : ﴿ إِنَّمَا الْعِلْمُ عِنْدَ اللَّهِ وَأُبَلِّغُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ ﴾[2] ؛ وإن عاداً أصابهم حين كفروا قَحْط من المطر ، حتى جهدوا لذلك جهداً شديداً ؛ وذلك أن هوداً دعا عليهم ، فبعث الله عليهم الريحَ العقيم ، وهى الريح التى لا تُلقح الشجر ، فلما نظروا إليها قالوا : هذا عارض ممطرنا ، فلما دنتْ منهم نظروا إلى الإبل والرجال ، تطيرُ بهم الريح بين السماء والأرض ، فلما رأوْها تبادروا إلى البيوت ، حتّى دخلوا البيوت دخلت عليهم فأهلكتهم فيها ، ثم أخرجتهمْ من البيوت ، فأصابتهم ﴿فى يَوْمِ نحسٍ﴾ ، والنحس هو الشؤم ﴿مُسْتَمِرٍّ﴾[3] استمرّ عليهم بالعذاب . ﴿سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أيام حسوماً﴾[4] ، حسمت كلّ شىء مرّت به ، حتى أخرجتْهم من البيوت ، قال الله تبارك وتعالى : ﴿ تَنْزِعُ النَّاسَ ﴾ عن البيوت ، ﴿ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُنْقَعِرٍ ﴾[5] ، انقعر من أصوله . ﴿ خَاوِيَةٍ ﴾[6] خوت فسقطت ، فلما أهلكهم الله أرسل عليهم طيرًا سوداً ، فنقلتهم إلى البحر ،

---

(١) سورة هود ٥٠

(٢) سورة الأحقاف ٢٣

(٣) سورة القمر ١٩

(٤) سورة الحاقة ٧

(٥) سورة القمر ٢٠

(٦) من قوله تعالى فى سورة الحاقة ٧ : ﴿ فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ ﴾ .

١/٢٤٤ فألقتهم فيه، فذلك قوله عزّ وجلّ: ﴿ فَأَصْبَحُوا لَا يُرَى إِلا مَسَاكِنُهُمْ ﴾[١].
ولم تخرج الريح قط إلا بمكيال إلا يومئذ، فإنها عتت على الخزنة فغلبتهم،
فلم يعلموا كم كان مكيالها؟ فذلك قوله: ﴿ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ﴾[٢].
والصرصر: ذاتُ الصوْت الشديد.

حدثني محمد بن سهل بن عسكر، قال: حدثنا إسماعيل بن عبد الكريم،
قال: حدثني عبد الصمد، أنه سمع وهباً يقول: إن عاداً لما عذّبهم الله بالريح
التي عُذّبوا بها، كانت تقلع الشجرة العظيمة بعُروقها وتهدم عليهم بيوتهم، فمن
لم يكن في بيتٍ هبَّتْ به الرِّيح حتى تقطعه بالجبال، فهلكوا بذلك كلهم.

* * *

وأما ثمود فإنهم عتوْا على ربّهم، وكفروا به، وأفسدوا في الأرض؛ فبعث
الله إليهم صالح بن عبيد بن أسف بن ماسخ[٣] بن عبيد بن خَادر بن ثمود
ابن جاثر بن إرم بن سام بن نوح، رسولاً يدعوهم إلى توحيد الله وإفراده
بالعبادة.

وقيل: صالح، هو صالح بن أسِف بن كماشج بن إرم بن ثمود بن جاثر
ابن إرم بن سام بن نوح.

فكان من جوابهم له أن قالوا له: ﴿ يَا صَالِحُ قَدْ كُنْتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ
٢٤٥/١ هٰذَا أَتَنْهَانَا أَنْ نَعْبُدَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا وَإِنَّنَا لَفِي شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ
مُرِيبٍ ﴾[٤]. وكان الله عزّ وجلّ قد مدّ لهم في الأعمار، وكانوا يسكنون الحِجْر

---
(١) سورة الأحقاف ٢٥
(٢) سورة الحاقة ٦. (٣) ا: «ماشج».
(٤) سورة هود ٦٢.

إلى وادى القرى ، بين الحجاز والشام ، ولم يزل صالح يدعوهم إلى الله على تمرّدهم وطغيانهم ، فلا يزيدهم دعاؤه إياهم إلى الله إلا مباعدة من الإجابة ، فلما طال ذلك من أمرهم وأمر صالح قالوا له : إن كنت صادقًا فأتنا بآية .

فكان من أمرهم وأمره ما حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : حدثنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا إسرائيل ، عن عبد العزيز بن رُفَيْع ، عن أبى الطفيل ، قال : قالت ثمود لصالح : ائتنا بآية إن كنت من الصادقين . قال : فقال لهم صالح : اخرجوا إلى هَضْبة من الأرض ؛ فإذا هى تتمخّض كما تتمخّض الحامل ، ثم تفرّجت فخرجت من وسطها الناقة ، فقال صالح عليه السلام : ﴿ هَٰذِهِ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ آيَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِى أَرْضِ ٱللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ .[1] ﴿ لَهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَعْلُومٍ ﴾[2] فلما ملّوها عقروها ، فقال لهم : ﴿ تَمَتَّعُوا فِى دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ذَٰلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ ﴾ .[3] قال عبد العزيز : وحدثنى رجل آخر أن صالحًا قال لهم : إن آية العذاب أن تصبحوا غداً حُمْراً ، واليوم الثانى صُفْراً ، واليوم الثالث سُوداً ، فصبّحهم العذاب ، فلما رأوا ذلك تحنّطوا واستعدّوا[4] .

حدثنا القاسم ، قال : حدثنا الحسين ، قال : حدثنى حجاج ، عن أبى بكر بن عبد الله ، عن شهر بن حوشب ، عن عمرو بن خارجة ، قال : قلنا له : حدّثنا حديث ثمود ، قال : أحدّثكم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ثمود . كانت[5] ثمود قوم صالح عمّرهم الله عزّ وجلّ فى الدنيا ، فأطال أعمارهم حتّى جعل أحدهم يبنى المسكن من المَدَر فيتهدّم[6] والرجل منهم حىّ ، فلما رأوْا ذلك اتخذوا من الجبال بيوتًا فرِهين ، فنحتوها وجابوها وجوّفوها ،

١/٢٤٦

(١) سورة الأعراف ٧٣ (٢) سورة الشعراء ١٥٥

(٣) سورة هود ٦٥ (٤) الخبر فى التفسير ١٢ : ٥٢٥ — ٥٢٦ .

(٥) ر ، س : « وكانت » .

(٦) ر : « فيهدم » ، س : « فينهدم » .

وكانوا فى سَعة من معايشهم[١] ، فقالوا : يا صالح ، ادع لنا ربَّك يخرج[٢] لنا آية نعلم أنك رسول الله . فدعا صالح ربَّه ، فأخرج لهم الناقة فكان شربُها يومًا وشربهم يومًا معلومًا[٣] ، فإذا كان يوم شِرْبها خلَّوا عنها وعن الماء ، وحلبوها لبنًا ؛ ملئوا كلَّ إناء ووعاء وسقاء ، فإذا كان يوم شِرْبهم صرَفوها عن الماء ولم تشرب منه شيئًا ، فملئوا كلَّ إناء ووعاء وسقاء ، فأوحى الله عزَّ وجلَّ إلى صالح أنَّ قومَك سيعقرون ناقتك ، فقال لهم ؛ فقالوا : ما كنا لنفعل ، قال : إلاَّ تعقروها أنتم أوشك أن يولَد فيكم مولود يعقرها ، قالوا : ما علامةُ ذلك المولود ؟ فوالله لا نجده إلا قتلناه ، قال : فإنه غلام أشقرُ أزرق أصهب أحمر ، قال : فكان فى المدينة شيخان عزيزان منيعان ، لأحدهما ابن يرغب له عن المناكح ، وللآخر ابنة لا يجد لها كفئًا ، فجمع بينهما مجلس ، فقال أحدهما لصاحبه : ما يمنعك[٤] أن تزوِّج ابنَك ؟ قال : لا أجد له كفئاً ، قال : فإن ابنتى كفءٌ له ، وأنا أزوِّجك ، فزوَّجه فولد منهما[٥] ذلك المولود . /٢٤٧

وكان فى المدينة ثمانية رهط يفسدون فى الأرض ولا يصلحون ، فلما قال لهم صالح : إنما يعقرها مولودٌ فيكم ؛ اختاروا ثمانىَ نسوة قوابل من القرية ، وجعلوا معهنَّ شُرَطًا كانوا يطوفون فى القرية ؛ فإذا وجدوا المرأة تمخَض نظروا ما ولدُها ؟ فإن كان غلامًا قتلنه[٦] ، وإن كانت جارية أعرَضْن[٧] عنها ، فلما وجدوا ذلك المولود صرخ[٨] النسوة ، وقلن : هذا الذى يريد[٩] رسول الله صالح ، فأراد الشُّرَطُ أن يأخذوها ، فحال جدّاه بينه وبينهم . وقالوا : إن أراد صالح هذا قتلناه ، وكان شرَّ مولود ، وكان يشبُّ فى اليوم شباب غيره فى الجمعة ، ويشبُّ

---

(١) س : « العيش » .
(٢) ن : « يظهر » .
(٣) ن : « فكان شربهم يوماً معلوماً وشربها كذلك » .
(٤) ب : « ما منعك » .
(٥) ا ، ن ، وابن الأثير « بينهما » .
(٦) ا ، س ، ن : « قلبنه فنظرن ما هو » .
(٧) ن : « انصرفن » .
(٨) ط : « صرخن » ، والأجود ما أثبته عن ا .
(٩) ن : « أخبر عنه » .

فى الجمعة شباب غيره فى الشهر ، ويشِبّ فى الشهر شبابَ غيره فى السنة ، فاجتمع الثمانية الذين يفسدون فى الأرض ولا يُصلحون، وفيهم الشيخان، فقالوا: استعمل علينا هذا الغلام لمنزلته وشرف جدَّيْه ، فصاروا تسعة ، وكان صالح عليه السلام لا ينام معهم فى القرية، بل كان فى مسجد يقال له مسجد صالح، فيه يبيت بالليل؛ فإذا أصبح أتاهم فوعظهم وذكّرهم، فإذا أمسى خرج إلى مسجده[1] فبات فيه .

قال حجاج : قال ابن جريج : لما قال لهم صالح عليه السلام: إنه سيولد غلام يكون هلاكُهم على يديه، قالوا : فكيف تأمرنا ؟ قال : آمركم بقتلهم ، فقتلوهم إلا واحداً ، قال : فلما بلغ ذلك المولود قالوا : لو كنّا لم نقتل أولادنا ١/٢٤٨ لكان لكلّ واحد منا مثلُ هذا ، هذا عمل صالح ! فأتمروا بينهم بقتله ، وقالوا : نخرج مسافرين والناس يروننا علانية ، ثم نرجع من ليلة كذا وكذا فنرصده عند مصلاّه فنقتله ، فلا يحسب الناس إلا أنا مسافرون كما نحن . فأقبلوا حتى دخلوا تحت صخرة يرصدونه، فأنزل الله عزّ وجلّ عليهم الصخرة فرضختهم فاصبحوا رُضْخاً، فانطلق رجال ممن قد اطلع على ذلك منهم؛ فإذا هم رُضْخ ، فرجعوا يصيحون فى القرية : أى عباد الله ، أما رضِىَ صالح أن أمرهم أن يقتلوا أولادهم حتى قتلهم ! فاجتمع أهل القرية على عَقْر الناقة أجمعون ، فأحجموا عنها إلا ذلك ابن العاشر .

قال أبو جعفر : ثم رجع الحديث إلى حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : فأرادوا أن يمكروا بصالح ، فمشوْا حتى أتوا على سَرَب على طريق صالح ، فاختبأ فيه ثمانية وقالوا : إذا خرج علينا قتلناه وأتينا أهله فبيّتناهم ، فأمر الله عزّ وجلّ الأرضَ فاستوت عليهم ، قال : فاجتمعوا ومشوا إلى الناقة ، وهى على حوضها قائمة ، فقال الشقىّ لأحدهم : ائتها فاعقرها ، فأتاها ، فتعاظمه ذلك ، فأضرب عن ذلك ، فبعث آخر فأعظم ذلك ، فجعل لا يبعث أحداً إلا تعاظمه أمرها ؛ حتى مشى إليها وتطاول ١/٢٤٩

(١) س : « منزله » .
(٢) ا : « فأرسل » .

فضرب عرقوبيْها(١) ، فوقعت تركض . فأتى رجلٌ منهم صالحًا فقال : أدرك الناقة فقد عُقِرت . فأقبل ؛ فخرجوا يتلقَوْنه ويعتذرون إليه : يا نبى الله ، إنما عقرها فلان ؛ إنه لا ذنب لنا ، قال : انظروا هل تُدركون فصيلَها ! فإن أدركتموه فعسى الله أن يرفع عنكم العذاب ! فخرجوا يطلبونه . فلما رأى الفصيلُ أمه تضطرب أتى جبلا ــ يقال له : القارة ــ قصيراً فصعده وذهبوا ليأخذوه ، فأوحى الله عزّ وجلّ إلى الجبل ، فطال فى السماء حتّى ما تناله الطير ، قال : ودخل صالحٌ القرية ، فلما رآه الفصيل بكَى حتّى سالت دموعُه ، ثم استقبل صالحًا ، فرغا رغوة ، ثم رغا أخرى ، ثم رغا أخرى . فقال صالح : لكلّ رغوة أجل يوم ؛ تمتعوا فى داركم ثلاثة أيام ، ذلك وعد غيرُ مكذوب ؛ إلا أن آية العذاب أنّ اليوم الأول تصبح وجوهكم مصفرّة ، واليوم الثانى محمرّة ، واليوم الثالث مسودّة ، فلما أصبحوا إذا وجوهُهم كأنما طُليت بالخَلوق ، صغيرُهم وكبيرهم ، ذكَرهُم وأنثاهم ، فلما أمسَوْا صاحُوا بأجمعهم : ألا قد مضى يومٌ من الأجَل وحضركم العذاب ، فلما أصبحوا اليوم الثانى إذا وجوههم محمرّة ؛ كأنما خضبت بالدماء ، فصاحوا وضجُّوا وبكوا وعرفوا أنه العذاب . فلما أمسوْا صاحوا بأجمعهم : ألا قد مضى يومان من الأجَل ، وحضركم(٢) العذاب ، فلما أصبحوا اليوم الثالث فإذا وجوههم مسودّة كأنما طُليت بالقار ، فصاحوا جميعًا : ألا قد حضركم العذاب ، فتكفّنوا وتحنّطوا ، وكان حَنوطهم الصَّبِر والمقْر(٣) ، وكانت أكفانهم الأنطاع ، ثم ألقوْا أنفسَهم إلى الأرض ، فجعلوا يقلِّبون أبصارهم إلى السماء مرة ، وإلى الأرض مرَّة ، لا يدرون من حيث(٤) يأتيهم العذاب ؛ من فوقهم من السماء ، أو من تحت أرجلهم من الأرض خشعًا وفرقًا ؛ فلما أصبحوا اليوم الرابع أتتهم صيحةٌ من السماء فيها صوت كلّ صاعقة وصوت كلّ شىء له صوتٌ فى الأرض ، فتقطّعت قلوبُهم فى صدورهم فأصبحوا فى ديارهم جاثمين .

١/٢٥٠

---

(١) ا ، س : « عرقوبها » .
(٢) س : « وحضرهم » .
(٣) الصبر : عصارة شجر مر ، والمقر شبيه به .
(٤) ن : « من أين » .

حدثنا القاسم ، قال : حدثنا الحسين ، قال : حدثنا حجاج ، عن ابن جريج ، قال : حُدِّثت أنه لما أخذتهم الصيحة أهلك الله مَنْ بين المشارق والمغارب منهم ، إلا رجلاً واحداً كان فى حَرَم الله ، منعه حرمُ الله من عذاب الله[1] قيل : ومَنْ هو يا رسول الله : ؟ قال : أبو رِغال ، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أتى على قرية ثمود لأصحابه: «لا يدخلنّ أحدٌ منكم القرية، ولا تشربوا من مائهم» ، وأراهم مُرتقَى الفصيل ، حين ارتقى فى القارة[2]

قال ابن جريج : وأخبرنى موسى بن عقبة ، عن عبد الله بن دينار ، عن ابن عمران ، أنّ النبى صلى الله عليه وسلم حين أتى على قرية ثمود قال : «لا تدخلُنّ[3] على هؤلاء المعذبين إلا أن تكونوا باكين ، فإن لم تكونوا باكين فلا تدخلوا عليهم ؛ أن يصيبكم ما أصابهم» .

قال ابن جريج : قال جابر بن عبد الله : إن النبى صلى الله عليه وسلم لما أتى على الحِجْر ، حمد الله وأثنى عليه ثم قال : «أما بعد ، فلا تسألوا رسولَكم الآيات ، هؤلاء قوم صالح سألوا رسولهم الآية ، فبعث الله لهم الناقة ، فكانت تَرِد من هذا الفجّ وتصدُر من هذا الفجّ ، فتشرب ماءهم يوم وِرْدها» . ١/٢٥١

حدثنى إسماعيل بن المتوكل الأشجعىّ ، قال : حدثنا محمد بن كثير ، قال : حدثنا عبد الله بن واقد ، عن عبد الله بن عثمان بن خُثَيْم ، قال : حدثنا أبو الطفيل [قال][4] : لما غزا رسول الله صلى الله عليه وسلم غزاة تبوك ، نزل الحِجْر فقال : «أيها الناس لا تسألوا نبيَّكم الآيات ، هؤلاء قوم صالح سألوا نبيَّهم أن يبعث لهم آية ، فبعث الله تعالى ذكرُه لهم الناقة آية ، فكانت تلِجُ عليهم يوم وِرْدها من هذا الفجّ فتشرب ماءهم ، ويومَ وردهم كانوا يتزودون منه ، ثم يحلبونها مثل ما كانوا يتزوّدون من مائهم قبل ذلك لبنًا ، ثم تخرج من ذلك الفجّ . فعتوْا عن أمر ربهم وعقروها ، فوعدهم الله العذاب بعد ثلاثة أيام ،

---

(١) ن : «منعه من العذاب» .
(٢) ن : «حين ألتى فى المغارة» ، والقارة ، الجبل الصغير .
(٣) ا : «لا تدخلوا» .
(٤) تكملة من ا .

وكان وعداً من الله غير مكذوب ، فأهلك الله مَنْ كان منهم فى مشارق الأرض ومغاربها إلاّ رجلاً[١] واحداً كان فى حرم الله ، فمنعه حرم الله من عذاب الله ، قالوا : ومَنْ ذلك الرجل يا رسول الله ؟ قال : أبو رِغال .

* * *

فأما أهلُ التوراة فإنهم يزعمون أن لا ذكر لعاد ولا[٢] ثمود ولا لهود وصالح فى التوراة ، وأمرهم عند العرب فى الشهرة فى الجاهلية والإسلام كشهرة إبراهيم وقومه .

قال : ولولا كراهة إطالة الكتاب بما ليس من جنسه ، لذكرت من شعر شعراء الجاهلية الذى قيل فى عاد وثمود وأمورهم بعضَ ما قيل . ما يعلَم به مَنْ ظنّ خلاف ما قلنا فى شهرة أمرهم فى العرب صحة ذلك . ١/٢٥٢

ومن أهل العلم من يزعم أن صالحًا عليه السلام توفى بمكة وهو ابن ثمان وخمسين سنة ، وأنه أقام فى قومه عشرين سنة .

* * *

قال أبو جعفر : نرجع الآن إلى :

---

(١) ا : « ليس رجلا » .

(٢) لم يذكر « لا » فى ا .

ذكر إبراهيم خليل الرحمن عليه السلام
وذكر من كان فى عصره من ملوك العجم

إذ كنا قد ذكرنا من بينه وبين نوح من الآباء وتأريخ السنين التى مضت قبل ذلك . وهو إبراهيم بن تارخ بن ناحور بن ساروغ بن أرغوا[1] بن فالغ بن عابر بن شالَخ بن قيْنان بن أرفخْشَد بن سام بن نوح .

واختلفوا فى الموضع الذى كان منه ، والموضع الذى وُلد فيه، فقال بعضهم: كان مولده بالسُّوس من أرض الأهواز ، وقال بعضهم : كان مولده ببابل من أرض السَّوَاد . وقال بعضهم : كان بالسواد بناحية كُوثَى . وقال بعضهم : كان مولده بالوَرْكاء بناحية الزوابى وحدود كَسْكر ، ثم نقله أبوه إلى الموضع الذى كان به نُمْرود من ناحية كُوثَى . وقال بعضهم : كان مولده بحرّان ، ولكن أباه تارخ نقَله إلى أرض بابل . وقال عامة السلف من أهل العلم : كان مولد إبراهيم عليه السلام فى عهد نمرود بن كوش . ويقول عامة أهل الأخبار : كان نمرود عاملاً للازدهاق الذى زعم[2] بعض من زعم أن نوحاً عليه السلام كان مبعوثاً إليه على أرض بابل وما حولها . وأما جماعة من سلف العلماء فإنهم يقولون : كان ملكاً برأسه ، واسمه الذى هو اسمه فيما قيل : زرهى بن طهماسلفان[3] .

١/٢٥٣

وقد حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثنا محمد بن إسحاق — فيما ذكر لنا والله أعلم — أن آزر كان رجلاً من أهل كُوثَى، من قرية بالسواد سواد الكوفة ، وكان إذ ذاك ملكُ المشرق لنمرود الخاطئ ، وكان يقال له الهاصر ، وكان مُلْكه — فيما يزعمون — قد أحاط بمشارق الأرض ومغاربها، وكان ببابل ، قال : وكان ملكه وملك قومه بالمشرق قبل ملك فارس .

قال : ويقال لم يجتمع ملك الأرض ولم يجتمع الناس على ملك واحد إلا

---

(١) س : « أرعوا » ، ن : « أرغو » .

(٢) ر : « يزعم » .

(٣) س : « طهماسفاذ » .

على ثلاثة ملوك : نُمْرود بن أرغوا ، وذى القرنين ، وسليمان بن داود .

* * *

وقال بعضهم : نمرود هو الضحّاك نفسه .

حدّثت عن هشام بن محمد، قال: بلغنا والله أعلم أنّ الضحاك هو نُمرود، وأن إبراهيم خليل الرحمن ولد فى زمانه ، وأنه صاحبه الذى أراد إحراقه .

حدثنى موسى بن هارون ، قال : حدثنا عمرو بن حماد ، قال : حدثنا أسباط ، عن السدىّ فى خبر ذكره عن أبى صالح وعن أبى مالك ، عن ابن عباس — وعن مرّة الهمْدانىّ عن ابن مسعود — وعن ناس من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم: إن أول ملك مَلَكَ فى الأرض شرقها وغربها نُمرود بن كنعان ابن كوش بن سام بن نوح ، وكانت الملوك الذين ملكوا الأرض كلها أربعة : نمرود ، وسليمان بن داود ، وذو القرنين ، وبخت نصرّ : مؤمنان وكافران .

١/٢٥٤

وقال ابن إسحاق فيما حدثنى ابن حميد، قال : حدثنا سَلمة ، عن ابن إسحاق: فلما أراد الله عزّ وجلّ أن يبعث إبراهيم عليه السلام خليل الرحمن حجة على قومه ورسولاً إلى عباده ، ولم يكن فيما بين نوح وإبراهيم عليهما السلام من نبىّ قبله إلا هود وصالح ، فلما تقارب زمان إبراهيم الذى أراد الله تعالى ذكره ما أراد، أتى أصحابُ النجوم نمرود، فقالوا له : تعلَّم أنا نجد فى علمنا أن غلامًا يُولد فى قريتك هذه يقال له إبراهيم ، يفارق دينَكم ، ويكسر أوثانكم، فى شهر كذا وكذا من سنة كذا وكذا . فلما دخلت السنة التى وصف أصحاب النجوم لنمرود ، بعث نمرود إلى كل امرأة حُبلى بقريتِه ، فحبسها عنده ، إلا ما كان من أم إبراهيم امرأة آزر فإنه لم يعلم بحبلها ، وذلك أنها كانت جارية — حَدَثة فيما يذكر — لم يعرف الحبل فى بطنها ، فجعل لا تلد امرأة غلامًا فى ذلك الشهر من تلك السنة إلا أمر به فذبِح ، فلما وجدت أمّ إبراهيم الطَّلْق خرجت ليلا إلى مغارة كانت قريبًا منها، فولدت فيها إبراهيم عليه السلام ، وأصلحت من شأنه ما يُصنع بالمولود ، ثم سَدّت عليه المغارة ، ثم رجعت إلى بيتها ، ثم كانت تطالعه فى المغارة لتنظر ما فعل، فتجده حيًّا

١/٢٥٥

يمصّ إبهامه[1]. يزعمون — والله أعلم — أن الله جعل رزقَ إبراهيم عليه السلام فيها ما يجيئه من مصّه ، وكان آزر فيما يزعمون قد سأل أم إبراهيم عن حملها ما فعل ، فقالت : ولدت غلامًا فمات . فصدّقها فسكت عنها ، وكان اليوم — فيما يذكرون — على إبراهيم فى الشباب كالشهر ، والشهر كالسنة ؛ ولم يمكث إبراهيم عليه السلام فى المغارة إلا خمسة عشر شهراً ، حتّى قال لأمه : أخرجينى أنظر ، فأخرجته عشاء ، فنظر وتفكر فى خلق السموات والأرض ، وقال : إن الذى خلقنى ورزقنى وأطعمنى وسقانى لَرَبّى ، مالى إله غيره . ثم نظر فى السماء ورأى كوكبًا ، فقال : ﴿هَـٰذَا رَبِّى﴾ ، ثم اتبعه ينظر إليه ببصره حتّى غاب ﴿فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ﴾ ، ثم اطلع القمر[2] فرآه بازغًا فقال : ﴿هَـٰذَا رَبِّى﴾ ثم اتبعه ببصره حتى غاب ﴿فلمّا أفَلَ قَالَ لَئِنْ لَمْ يَهْدِنِى رَبِّى لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ﴾ . فلما دخل عليه النهار وطلعت الشمس رأى عظم الشمس ورأى شيئًا هو أعظم نوراً من كلّ شىء رآه قبل ذلك ، فقال : ﴿هَـٰذَا رَبِّى هَـٰذَا أَكْبَرُ ، فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّى بَرِىءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ ۝ إِنِّى وَجَّهْتُ وَجْهِىَ لِلَّذِى فَطَرَ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفاً وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾[3] .

١/٢٥٦ ثم رجع إبراهم إلى أبيه آزر وقد استقامت وجهته ، وعرف ربه وبَرِئَ من دين قومه إلا أنه لم يبادهم[4] بذلك ، فأخبره أنه ابنه ، فأخبرته أمّ إبراهيم عليه السلام أنه ابنه ، فأخبرته بما كانت صنعت فى شأنه ، فسرّ بذلك آزر وفرح فرحًا شديداً ، وكان آزر يصنع أصنام قومه التى يعبدون ، ثم يعطيها إبراهيم يبيعها ، فيذهب بها إبراهيم عليه السلام فيما يذكرون فيقول : مَنْ يشترى ما يضرّه ولا ينفعه ! فلا يشتريها منه أحد ، فإذا بارتْ عليه ذهب بها إلى نهر فصوّب فيه رءوسها ، وقال : اشربى — استهزاء بقومه ، وبما هم[5] عليه من الضلالة — حتّى فشا عيبُه إياها ، واستهزاؤه بها فى قومه وأهل قريته ،

(١) ر : « أصابعه » .

(٢) ط : « أطلع القمر » ، وما أثبته عن ا .

(٣) سورة الأنعام ٧٦ — ٧٩

(٤) يقال : بادى فلان بالعداوة ؛ أى جاهر بها .

(٥) كذا فى ا ، ن ، وفى ط : « وما هم » .

من غير أن يكون ذلك بلغ نمرودَ الملك(١) . ثم إنه لما بدا لإبراهيم أن يباديَ قومه بخلاف ما هم عليه وبأمر الله والدعاء إليه ﴿ نَظَرَ نَظْرَةً فِى النُّجُومِ ۝ فَقَالَ إِنِّى سَقِيمٌ ﴾ ، يقول الله عزّ وجلّ : ﴿ فَتَوَلَّوْا عَنْهُ مُدْبِرِينَ ﴾(١) ، وقوله : ﴿ إِنِّى سَقِيمٌ ﴾(٢) أى طَعين(٣) ، أو لسقم(٤) كانوا يهـربون منه إذا سمعوا به ، وإنما يريد إبراهيم أن يخرجوا عنه ليبلغ من أصنامهم الذى يريد . فلما خرجوا عنه خالفَ إلى أصنامهم التى كانوا يعبدون من دون الله، فقرَّب لها طعامًا؛ ثم قال : ألا تأكلون ! ما لكم لا تنطقون ! تعييراً فى شأنها واستهزاء بها .

١/٢٥٧ وقال فى ذلك غير ابن إسحاق ، ما حدثنى موسى بن هارون ، قال : حدثنا عمرو بن حمّاد ، قال : حدثنا أسباط ، عن السدىّ ، فى خبر ذكره عن أبى صالح ، وعن أبى مالك ، عن ابن عباس — وعن مرة الهمْدانىّ عن ابن مسعود — وعن أناس من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم : كان من شأن إبراهيم عليه السلام أنه طلع كوكب على نمرود ، فذهب بضوء الشمس والقمر ، ففزِع من ذلك فزعًا شديداً، فدعا السحرة والكهنة والقافة والحازة، فسألهم عنه، فقالوا : يخْرُج من ملكك رجل يكون على وجهه هلاكك وهلاك مُلكك — وكان مسكنه ببابل الكوفة — فخرج من قريته إلى قرية أخرى، فأخرج الرجال وترك النساء ، وأمر ألاّ يُولد مولود ذكر إلا ذبحه ، فذبح أولادهم . ثم إنه بدت له حاجة فى المدينة لم يأمن عليها إلا آزر أبا إبراهيم ، فدعاه فأرسله . فقال له : انظر لا تواقعْ أهلك ، فقال له آزر : أنا أضَنّ بدينى من ذلك ، فلما دخل القرية نظر إلى أهله فلم يملك نفسَه أن وقع عليها ؛ فقرّبها إلى قرية بين الكوفة والبصرة، يقال لها أور ، فجعلها فى سَرَب ، فكان يتعاهدها بالطعام

---

(١) إلى هنا الخبر فى التفسير ١١ : ٤٨١ — ٤٨٣

(٢) سورة الصافات ٨٨ — ٩٠

(٣) طعين ، أى أصابه الطاعون . اللسان — طعن .

(٤) ط : « بالسقم » ؛ وما أثبته عن ا ، س ؛ وهو يوافق ما فى التفسير ٢٣ : ٤٤ (بولاق) .

والشراب وما يصلحها . وإن الملك لما طال عليه الأمر قال : قول سحرة كذابين ، ارجعوا إلى بلدكم ، فرجعوا . وولد إبراهيم فكان فى كلّ يوم يمرّ كأنه جمعة ، والجمعة كالشهر ، والشهر كالسنة من سرعة شبابه ، ونسىَ الملك ذلك ، وكبر إبراهيم ولا يرى أنّ أحداً من الخلق غيره وغير أبيه وأمه ، فقال أبو إبراهيم لأصحابه : إن لى ابنًا قد خبأته ، أفتخافون عليه الملك إن أنا جئت به ؟ قالوا : لا ، فأت به . فانطلق فأخرجه ، فلما خرج الغلام من السَّرَب نظر إلى الدوابّ والبهائم والخلق ، فجعل يسأل أباه : ما هذا ؟ فيخبره عن البعير أنه بعير ، وعن البقرة أنها بقرة ، وعن الفرس أنه فرس ، وعن الشاة أنها شاة ، فقال : ما لهؤلاء الخلق بد من أن يكون لهم ربّ ، وكان خروجه حينَ خرج من السَّرب بعد غروب الشمس ، فرفع رأسَه إلى السماء فإذا هو بالكوكب وهو المشترى ، فقال : ﴿هذا ربِّى﴾ ، فلم يلبث أن غاب ، فقَالَ ﴿لاَ أحِبُّ الآفِلِينَ﴾ ، أى لا أحبُّ ربًّا يغيب . قال ابن عباس : وخرَج فى آخر الشهر ، فلذلك لم ير القمر قبل الكواكب ، فلما كان آخر الليل رأى القمر بازغًا قد طلع ، فقال : ﴿هذا ربِّى ، فلَمَّا أفَلَ﴾ يقول : غاب ، ﴿ قال لئنْ لم يهدنى ربى لأكونَنَّ من القوم الضالين﴾ ، فلما أصبح ورأى الشمس بازغة ، قال : ﴿هَذَا ربِّى هَذَا أكْبَرُ﴾ ، فلما غابت قال الله له : أسلِم ، قال : قد أسلمت لرب العالمين . ثمّ أتى قومه فدعاهم فقال : ﴿ يَا قَوْمِ إنِى بَرِىءٌ مِمَّا تُشْرِكُون ، إنِّى وَجَّهْتُ وجْهِىَ لِلَّذِى فَطَرَ السموات والأرضَ حَنِيفاً ﴾[1] . يقول مخلصًا : فجعل يدعو قومَه وينذرهم .

١/٢٥٨

وكان أبوه يصنع الأصنام فيعطيها ولَدَه فيبيعونها ، وكان يعطيه فينادى : مَنْ يشترِى ما يضرّه ولا ينفعه ؟ فيرجع إخوته وقد باعوا أصنامهم ، ويرجع إبراهيم بأصنامه كما هى ، ثم دعا أباه فقال : ﴿ يا أبتِ لِمَ تَعْبُدُ ما لاَ يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِى عَنْكَ شَيْئًا ﴾[2] قال : ﴿ أرَاغِبٌ أنْتَ عَنْ آلِهَتِى يا إبْرَاهِيم لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ لأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِى مَلِيًّا ﴾[3] . قال : أبداً . ثم قال له أبوه :

١/٢٥٩

(١) سورة الأنعام ٧٦ – ٧٩
(٢) سورة مريم ٤٢
(٣) سورة مريم ٤٦

يا إبراهيم، إن لنا عيداً لو قد خرجت معنا لأعجبك ديننا، فلما كان يوم العيد، فخرجوا إليه خرج معهم إبراهيم ، فلما كان ببعض الطريق ألقى نفسه وقال : ﴿ إِنِّى سَقِيمٌ ﴾، يقول : أشتكى رجلىّ ، فتوطئوا رجليه ، وهو صريع ، فلما مضوْا نادى فى آخرهم وقد بقِىَ[١] ضَعْفى الناس :﴿تَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ بَعْدَ أَنْ تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ﴾[٢] فسمعوها منه ، ثم رجع إبراهيم إلى بيت الآلهة ، فإذا هو فى بهْو عظيم ، مستقبل باب البهو صنم عظيم إلى جنبه أصغر منه ، بعضها إلى جنب بعض ، كلّ صنم يليه أصغرُ منه ، حتى بلغوا باب البهو وإذا هم قد صنعوا[٣] طعامًا، فوضعوه بين يدى الآلهة، قالوا : إذا كان حينُ نرجع رجعنا، وقد باركت الآلهة فى طعامنا فأكلنا . فلما نظر إليهم إبراهيم عليه السلام، وإلى ما بين أيديهم من الطعام قال : ألا تأكلون؟ فلما لم تجبه قال : ما لكم لا تنطقون ! فراغ عليهم ضربًا باليمين ، فأخذ حديدةً فبقَر كلَّ صنم فى حافتيْه ، ثم علّق الفأس فى عنق الصنم الأكبر ، ثم خرج فلما جاء القوم إلى طعامهم، ونظروا إلى آلهتهم،قالوا:﴿ مَنْ فَعَلَ هَذَا بِآلِهَتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ * قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ[٤] ﴾.

/٢٦٠ قال أبو جعفر : رجع الحديث إلى حديث ابن إسحاق .

ثم أقبل عليهم كما قال الله عزّ وجلّ: ﴿ضَرْبًا بِالْيَمِينِ ﴾[٥]. ثم جعل يكسرهنّ بفأس فى يده، حتى إذا بقىَ أعظمُ صنم منها ربط الفأس بيده ، ثم تركهنّ ، فلما رجع قومه رأوْا ما صنع بأصنامهم ، فراعهم ذلك ، فأعظموه وقالوا : مَنْ فعل بآلهتنا إنه لمن الظالمين . ثم ذكروا فقالوا : ﴿ قَدْ سَمِعْنَا فَتًى

---

(١) ط : « بقوا » ، والصواب ما أثبته عن ا ، والتفسير .
(٢) سورة الأنبياء ٥٧
(٣) ا ، والتفسير : « جعلوا » .
(٤) سورة الأنبياء ٥٩ ، ٦٠ ، والخبر فى التفسير ١٧ : ٢٩ (بولاق) .
(٥) سورة الصافات ٩٣

يَذْكُرُهُمْ يقالُ لَهُ إبراهيمُ ﴾[١] —يعنون[٢] فتًى يسبها ويعيبها ويستهزئ بها ، لم نسمع أحداً يقولُ ذلك غيرُه ، وهو الذى نظنّ صنع هذا بها . وبلغ ذلك نمرود وأشراف قومه، فقالوا : ﴿ فَأْتُوا بِهِ عَلَى أَعْيُنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ[١] ﴾ ، أى ما يصنع به .

فكان جماعة من أهل التأويل ، منهم قتادة والسُّدىّ يقولون فى ذلك : لعلّهم يشهدون عليه أنه هو الذى فعل ذلك ، وقالوا : كرهوا أن يأخذوه بغير بيّنة

رجع الحديث إلى حديث ابن إسحاق :

قال : فلما أُتى به فاجتمع له قومه عند ملكهم نمرود، قالوا : ﴿ أَأَنْتَ فَعَلْتَ هٰذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ * قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هٰذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ ﴾[١] ، غضب من أن يعبدوا معه هذه الصغار وهو أكبر منها ، فكسرهنّ ، فارعوَوْا ورجعوا عنه فيما ادعوا عليه من كسْرهنّ إلى أنفسهم فيما بينهم ، فقالوا : لقد ظلمناه وما نراه إلا كما قال . ثم قالوا وعرفوا أنها لا تضرّ ولا تنفع ولا تبطش : ﴿ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هٰؤُلَاءِ يَنْطِقُونَ ﴾[٣] ، أى لا يتكلمون فيخبرونا : مَنْ صنع هذا بها ، وما تبطش بالأيدى فنصدقك ، يقول الله عزّ وجلّ : ﴿ ثُمَّ نُكِسُوا عَلَى رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هٰؤُلَاءِ يَنْطِقُونَ ﴾[٣] ، أى نكسوا على رءوسهم فى الحجة عليهم لإبراهيم حين جادلهم ، فقال عند ذلك إبراهيم حين ظهرت الحجة عليهم بقولهم : ﴿ لَقَدْ علمتَ ما هؤلاء يَنْطِقُونَ * قال أَفَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئاً وَلَا يَضُرُّكُمْ * أُفٍّ لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾[٣] .

٢٦١/١

قال : وحاجّهُ قومه عند ذلك فى الله جلّ ثناؤه يستوصفونه إياه ويخبرونه

---

(١) سورة الأنبياء ٦٠ ، ٦٣

(٢) ا : « يعنون : سمعنا فتى » .

(٣) سورة الأنبياء ٦٥ — ٦٧

أن آلهتهم خير مما يعبد، فقال: ﴿ أَتُحَاجُّونِّي فِي ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَانِ ﴾ ، إلى قوله: ﴿ فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾[1] ، يضرب لهم الأمثال ، ويصرِّف لهم العبرَ ، ليعلموا أن الله هو أحقّ أن يُخاف ويُعبد مما يعبدون من دونه .

قال أبو جعفر : ثم إن نمرود — فيما يذكرون — قال لإبراهيم: أرأيت إلهك هذا الذي تعبد وتدعو إلى عبادته ، وتذكره من قدرته التي تعظِّمه بها على غيره ما هو ؟ ﴿ قَالَ إبراهيمُ رَبِّيَ ٱلَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ ﴾ ، فقال نمرود: فأنا ﴿ أُحْيِي وَأُمِيتُ ﴾ ، فقال له إبراهيم: كيف تحيي وتميت ؟ قال: آخذ الرجلَين قد استوجَبا القتل في حكمي ، فأقتل أحدهما فأكون قد أمتُّه ، وأعفو عن الآخر فأتركه فأكون قد أحييته ، فقال له إبراهيم عند ذلك: ﴿ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ ﴾[2] ، فعرف[3] أنه كما يقول ، فبُهت عند ذلك نمرود ولم يرجع إليه شيئاً ، وعرف أنه لا يطيق ذلك . يقول الله عزّ وجلّ: ﴿ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ[2] ﴾ ، يعني وقعت عليه الحجة . /٢٦٢

قال: ثم إن نمرود وقومه أجمعوا في إبراهيم فقالوا : ﴿ حَرِّقُوهُ وَانْصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ ﴾[4] .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثني محمد بن إسحاق ، عن الحسن بن دينار ، عن ليث بن أبي سُلَيم ، عن مجاهد ، قال : تلوتُ هذه الآية على عبد الله بن عمر ، فقال : أتدري يا مجاهد ، مَن الذي أشار بتحريق إبراهيم عليه السلام بالنار ؟ قال : قلت: لا ، قال : رجل من أعراب فارس ، قال : قلت : يا أبا عبد الرحمن ، وهل للفرس أعراب ؟ قال: نعم ، الكُرْدُ هم أعراب فارس ، فرجل منهم هو الذي أشار بتحريق إبراهيم بالنار .

حدثني يعقوب ، قال : حدثنا ابن عُلَيّة ، عن ليث ، عن مجاهد في

---

(١) سورة الأنعام ٨٠ ، ٨١

(٢) سورة البقرة ٢٥٨

(٣) كذا في ا ، وفي ط « أعرف » .

(٤) سورة الأنبياء ٦٨

قوله: ﴿حَرِّقُوه وانْصُرُوا آلهَتَكم﴾ قال : قالها رجل من أعراب فارس — يعنى الأكراد .

وحدثنا القاسم ، قال : حدثنا الحسين ، قال : حدثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال : أخبرنى وَهب بن سليمان، عن شعيب الجُبَّائىّ ، قال : إن اسمَ الذى قال حرّقوه « هينون » ، فخسف الله به الأرض ، فهو يتجلجل فيها إلى يوم القيامة

ثم رجع الحديث إلى حديث ابن إسحاق .

قال : فأمر نمرود ، بجمْع الحطب[1] ، فجمعوا له صلاب الحطب من أصناف الخشب ، حتى أن كانت المرأة من قرية إبراهيم — فيما يُذكر — لتنذر فى بعض ما تطلب مما تحبّ أن تدرك : لئن أصابته لتحطبَنّ فى نار إبراهيم التى يحرَق بها احتسابًا فى دينها ، حتى إذا أرادوا أن يُلقُوه فيها قدّموه وأشعلوا فى كل ناحية من الحطب الذى جمعوا له ، حتى إذا اشتعلت النار ، واجتمعوا[2] لقذفه فيها، صاحت السماء والأرض وما فيها من الخلق إلا الثَّقَلين — فيما يذكرون — إلى الله عزّ وجلّ صيحةً واحدة: أىْ ربنا ! إبراهيم ليس فى أرضك أحدٌ يعبدك غيره، يحرَق بالنار فيك ! فَأْذَنْ لنا فى نُصرته ، فيذكرون — والله أعلم — أن الله عزّ وجلّ حين قالوا ذلك قال: إن استغاث بشىء منكم أو دعاه فلينصُرْه ، فقد أذنت له فى ذلك ، فإنْ لم يدعُ غيرى فأنا وليُّه ، فخلّوا بينى وبينه، فأنا أمنعه ، فلما ألقوْه فيها قال: ﴿ يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ ﴾[3]، فكانت كما قال الله عزّ وجلّ .

٢٦٣/١

وحدثنى موسى بن هارون ، قال : حدثنا عمرو بن حماد ، قال : حدثنا أسباط ، عن السدىّ قال﴿ قَالُوا ابْنُوا لَهُ بُنْيَانًا فَأَلْقُوهُ فِى الجَحِيمِ[4] ﴾،

(١) ط : « فجمع له الحطب » ، وما أثبته عن ا .
(٢) ط : « وأجمعوا » .
(٣) سورة الأنبياء ٦٩
(٤) سورة الصافات ٩٧

قال : فحبسوه فى بيت ، وجمعوا له حطبًا حتى أنْ كانت المرأة لتمرض فتقول : لئن عافانى الله لأجمعنّ حطبًا لإبراهيم ، فلما جمعوا له وأكثروا من الحطب حتى أن كان الطير ليمرّ بها فيحترق من شدة وهَجها وحرّها ، فعمدوا إليه فرفعوه على رأس البنيان ، فرفع إبراهيم رأسه إلى السماء ، فقالت السماء والأرض والجبال والملائكة : ربنا ! إبراهيم يحرَق فيك . فقال : أنا أعلم به ، فإن دعاكم فأغيثوه . وقال إبراهيم حين رفع رأسه إلى السماء : اللهمّ أنت الواحد فى السماء وأنا الواحد فى الأرض ، ليس فى الأرض أحد يعبُدك غيرى ، حسبى الله ونعم الوكيل ! فقذفوه فى النار ، فناداها فقال : ﴿ يا نارُ كُونى بَرْدًا وَسَلَاماً على إبراهيم ﴾ . وكان جبْرئيل هو الذى ناداها . وقال ابن عباس : لو لم يتبع بردها سلامًا لمات إبراهيم من بردها ، فلم تبق يومئذ نار فى الأرض إلا طَفِئَتْ ، ظنت أنها تُعنى . فلما طفئت النار نظروا إلى إبراهيم فإذا هو ورجل آخر معه ، وإذا رأس إبراهيم فى حجْره يمسح عن وجهه العرق ، وذكر أن ذلك الرجل ملك الظلّ ، وأنزل الله ناراً وانتفع بها بنو آدم ، فأخرجوا إبراهيم ، فأدخلوه على الملك ، ولم يكن قبل ذلك دخل عليه[1]

١/٢٦٤

ثم رجع الحديث إلى حديث ابن إسحاق .

قال : وبعَث الله عزّ وجلّ ملك الظلّ فى صورة إبراهيم ، فقعد فيها إلى جنبه يؤنسه ، فمكث نُمرود أيامًا لايشكّ إلا أن النار قد أكلت ابراهيم وفرغت منه ، ثم ركب فمرّ بها وهى تحرق ما جمعوا لها من الحطب ، فنظر إليها ، فرأى إبراهيم جالسًا فيها إلى جنبه رجلٌ مثله ، فرجع من مركبه ذلك ، فقال لقومه : لقد رأيتُ إبراهيم حيًّا فى النار ، ولقد شُبِّه علىّ ، ابنُوا لى صَرْحًا يشرف بى على النار حتى أستثبت ، فبنوْا له صَرْحًا ، فأشرف عليه فاطّلع منه إلى النار ، فرأى إبراهيمَ جالسًا فيها ، ورأى الملك قاعداً إلى جنبه فى مثل صورته ، فناداه نمرودُ : يا إبراهيم ، كبيرٌ إلهك الذى بلغتْ قدرتُه وعزته أنْ حال بين ما أرى وبينك ، حتى لم تضرّك يا إبراهيم ، هل تستطيع أن تخرج منها ؟

١/٢٦٥

(١) الخبر فى التفسير ١٧ : ٣٣ (بولاق) .

قال : نعم ، قال : هل تخشى إن أقمت فيها أن تضرّك ؟ قال : لا ، قال : فقم واخرج منها ، فقام إبراهيم يمشى فيها حتى خرج منها ، فلما خرج إليه قال : يا إبراهيم ، مَن الرجلُ الذى رأيتُ معك فى مثل صورتك قاعداً إلى جنبك ؟ قال : ذلك مَلَكُ الظل ، أرسله إلىّ ربى ليكون معى فيها ليؤنسنى ، وجعلها علىّ برداً وسلاماً . فقال نمرود — فيما حدثت — : يا إبراهم ، إنى مقرّب إلى إلهك قرباناً لما رأيت من عزّته وقدرته ، ولما صنع بك حين أبيت إلا عبادتَه وتوحيده ؛ إنى ذابح له أربعة آلاف بقرة . فقال له إبراهم : إذاً لا يقبَل الله منك ما كنتَ على شىء من دينك هذا حتى تفارقه إلى دينى ! فقال : يا إبراهيم ، لا أستطيع تركَ ملكى ، ولكنّى سوف أذبحها له ، فذبحها نمرود ، ثم كفّ عن إبراهيم ، ومنعه الله عزّ وجلّ منه .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا جرير ، عن مغيرة ، عن الحارث ، عن أبى زُرْعة ، عن أبى هريرة ، قال : إن أحسنَ شىء قاله أبو إبراهيم[1] لما رفع عنه الطبق وهو فى النار وحده يرشحُ جبينه ، فقال عند ذلك : نعم الربُّ ربُّك يا إبراهيم .

حدثنا القاسم ، قال : حدثنا الحسين ، قال : حدثنا مُعْتَمر بن سليمان التيمىّ ، عن بعض أصحابه قال : جاء جَبْرَئيل إلى إبراهيم عليه السلام وهو يُوثَق ويقمَط ليلقَى فى النار ، قال : يا إبراهيم ، ألك حاجة ؟ قال : أمّا إليك فلا . ١/٢٦٦

حدثنى أحمد بن المقدام ، قال : حدثنى المعتمر ، قال : سمعت أبى قال : حدثنا قتادة ، عن أبى سليمان ، قال : ما أحرقَت النار من إبراهيم إلا وثاقه .

قال أبوجعفر : رجع الحديث إلى حديث ابن إسحاق ، قال : واستجاب لإبراهيم عليه السلام رجالٌ من قومه حين رأوا ما صنع الله به على خوف من نمرود

---

(١) كذا فى ا ، ن ، وفى ط : «قاله لإبراهيم» .

وملئهم ، فآمن له لوط – وكان ابن أخيه – وهو لوط بن هاران بن تارخ ، وهاران هو أخو إبراهيم، وكان لهما أخ ثالث يقال له ناحور بن تارخ ، فهاران أبو لوط ، وناحور أبو بتويل ، وبتويل أبو لابان ، وربقا ابنة بتويل امرأة إسحاق بن إبراهيم أم يعقوب ، وليا وراحيل زوجتا يعقوب ابنتا لابان . وآمنت به سارّة وهى ابنة عمه ، وهى سارة بنت هاران الأكبر عمّ إبراهيم ، وكانت لها أخت يقال لها ملكا امرأة ناحور .

* * *

وقد قيل : إن سارّة كانت ابنة ملك حرّان .

* ذكر من قال ذلك :

حدثنى موسى بن هارون ، قال : حدثنا عمرو بن حماد ، قال : حدثنا أسباط ، عن السدىّ ، قال : انطلق إبراهيم ولوط قِبَل الشأم ، فلقى إبراهيم سارة ، وهى ابنة ملك حَرَّان ، وقد طعنت على قومها فى دينهم ، فتزوجها على ألاّ يغيّرها ، ودعا إبراهيم أباه آزر إلى دينه، فقال له : يا أبت لِمَ تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغنى عنك شيئًا ! فأبى أبوه الإجابة إلى ما دعاه إليه . ثم إن إبراهيم ومَنْ كان معه من أصحابه الذين اتبعوا أمره أجمعوا لفراق قومهم، فقالوا: ﴿ إنا بُرَآءُ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ كَفَرْنَا بِكُمْ ﴾ ، أيها المعبودون من دون الله ﴿ وَبَدَا بَيْنَنَا وبينَكُمُ العَدَاوَةُ والبغضاءُ أبدًا ﴾ أيها العابدون ﴿ حَتَّى تُؤْمِنُوا باللهِ وَحْدَهُ ﴾[1]. ثم خرج إبراهيم مهاجراً إلى ربّه وخرج معه لوطٌ مهاجراً، وتزوج سارة ابنة عمه، فخرج بها معه يلتمس الفرار بدينه، والأمان على عبادة ربه[2] حتى نزل حرّان، فمكث بها ما شاء الله أن يمكث ، ثم خرج منها مهاجراً حتى قدم مصر ، وبها فرعون من الفراعنة الأولى . وكانت سارة من أحسن الناس فيما يقال ، وكانت[3] لا تعصى إبراهيم

١/٢٦٧

(١) سورة الممتحنة ٤

(٢) ا « على عبادته » .

(٣) ط : « فكانت » ؛ وما أثبته عن ا .

شيئا ، وبذلك أكرمها الله عزّ وجلّ ، فلما وصفت لفرعون ووصِف له حسنها وجمالها أرسل إلى إبراهيم ، فقال : ما هذه المرأة التى معك ؟ قال : هى أختى ، وتخوّف إبراهيم إن قال هى امرأتى أن يقتلَه عنها . فقال لإبراهيم : زيِّنها ، ثم أرسِلْها إلىّ حتى أنظر إليها ، فرجع إبراهيم إلى سارة وأمرها فتهيأت ، ثم أرسلها إليه ، فأقبلت حتى دخلت عليه ، فلما قعدت إليه تناولها بيده ، فيبست إلى صدره ، فلما رأى ذلك فرعون أعظمَ أمرها ، وقال : ادعِى الله أن يطلق عنى ، فوالله لا أريبك ولأحسِنَنّ إليك ، فقالت : اللهمّ إن كان صادقاً فأطلق يده ، فأطلق الله يده ، فردّها إلى إبراهيم ، ووهب لها هاجر ، جارية كانت له قبطية . ٢٦٨/١

حدثنا أبو كريب ، قال : حدثنا أبو أسامة ، قال : حدثنى هشام ، عن محمد ، عن أبى هريرة ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم : قال : «لم يكذب إبراهيم عليه السلام غير ثلاث : ثنتين فى ذات الله ، قوله: ﴿ إِنِّى سَقِيمٌ ﴾، وقوله: ﴿ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا ﴾ . وبينا هو يسير فى أرض جبّار من الجبابرة ، إذ نزل منزلاً ، فأتى الجبّارَ رجلٌ فقال : إن فى أرضك — أو قال : ها هنا — رجلاً معه امرأة من أحسن الناس، فأرسلَ إليه ، فجاء فقال: ما هذه المرأة منك ؟ قال : هى أختى ، قال : اذهب فأرسلْ بها إلىّ ، فانطلق إلى سارة ، فقال : إن هذا الجبار قد سألنى عنك فأخبرته أنك أختى فلا تكذّبينى عنده ، فإنك اختى فى كتاب الله ، فإنه[1] ليس فى الأرض مسلم غيرى وغيرُك ، قال : فانطلق بها وقام إبراهيم عليه السلام يصلّى قال : فلما دخلت عليه فرآها أهوى إليها [وذهب][2] يتناولها ، فأخِذَ أخذاً شديداً ، فقال : ادعِى الله ولا أضرّك ، فدعت له فأرسل فأهوى إليها [فذهب][2] يتناولها ، فأخِذَ أخذ شديداً ، فقال : ادعِى الله ولا أضرّك ، فدعت له فأرسِل ، ثم

---

(١) ا : «وإنه» .

(٢) تكلة من ا .

فعل ذلك الثالثة ، فأخذ ، فذكر مثل المرتين فأرسل . [قال] :[1] فدعا أدنى حُجّابه فقال : إنكَ لم تأتِني بإنسان ، ولكنك أتيتني بشيطان ، أخرجها وأعْطِها هاجر ، فاخرجت وأعطيت هاجر ، فأقبلتْ بها ، فلما أحسّ إبراهيم بمجيئها انفتل من صلاته ، فقال : مهيم ! فقالت : كفى الله كيد الفاجر الكافر ! وأخدم هاجر[2].

٢٦٩/٠

قال محمد بن سيرين : فكان أبو هريرة إذا حدث هذا الحديث يقول : فتلك أمكم يا بنى ماء السماء .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلَمة ، قال : حدثنا محمد بن إسحاق ، عن عبد الرحمن بن أبي الزناد ، عن أبيه ، عن عبد الرحمن الأعرج ، عن أبي هريرة ، قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « لم يقل إبراهيم شيئًا قطّ « لم يكن » إلا ثلاثا : قوله ﴿ إِنِّي سَقِيمٌ ﴾ لم يكن به سقم ، وقوله : ﴿ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ ﴾ ، وقوله لفرعون حين سأله عن سارة فقال : مَنْ هذه المرأة معك ؟ قال : أختى ، قال : فما قال إبراهيم عليه السلام شيئًا قطّ « لم يكن » إلا ذلك » .

حدثنى سعيد بن يحيى الأمويّ ، قال : حدثنى أبى ، قال : حدثنا محمد ابن إسحاق ، قال : حدثنا أبو الزناد ، عن عبد الرحمن الأعرج ، عن أبي هريرة ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لم يكذب إبراهيم فى شيء قطّ إلا فى ثلاث . . . » ، ثم ذكر نحوه .

حدثنا أبو كريب ، قال : حدثنا أبو أسامة ، قال : حدثنى هشام ، عن محمد ، عن أبي هريرة ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لم يكذب إبراهيم غير ثلاث : ثنتين فى ذات الله ، قوله : ﴿ إِنِّي سَقِيمٌ ﴾ ، وقوله : ﴿ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا ﴾ ، وقوله فى سارة : هى أختى » .

---

(١) تكلة من ا .

(٢) ط : « وأخدم هاجر » ، وما أثبته من ا .

١/٢٧٠ حدثنى ابن حميد ، قال : حدثنا جرير ، عن مغيرة ، عن المسيّب بن رافع ، عن أبى هريرة قال : ما كذب إبراهيم عليه السلام غير ثلاث كذبات : قوله : ﴿ إِنِّى سَقِيمٌ ﴾ ، وقوله : ﴿ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هٰذَا ﴾ ، وإنما قاله موعظة ، وقوله حين سأله الملك فقال : أختى — لسارة — وكانت امرأته .

حدثنى يعقوب ، قال : حدثنى ابن عُليَّة ، عن أيوب ، عن محمد ، قال : إن إبراهيم لم يكذب إلا ثلاث كذبات : ثنتان فى الله ، وواحدة فى ذات نفسه ، وأما الثنتان فقوله : ﴿ إِنِّى سَقِيمٌ ﴾ ، وقوله : ﴿ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هٰذَا ﴾ وقصته فى سارة . وذكر قصتها وقصة الملك

قال أبو جعفر : رجع الحديث إلى حديث ابن إسحاق .

قال : وكانت هاجر جارية ذات هيئة ، فوهبتها سارة لإبراهيم ، وقالت : إنى أراها امرأة وضيئة فخذها ، لعلّ الله يرزقك منها ولداً ، وكانت سارّة قد مُنِعت الولد فلا تلد لإبراهيم حتّى أسنّت ، وكان إبراهيم قد دعا الله أن يَهبَ له من الصالحين ، وأخرت الدعوة حتّى كبِر إبراهيم وعقمت سارة ، ثم إن إبراهيم وقع على هاجر ، فولدت له إسماعيل عليهما السلام .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثنى ابن إسحاق ، عن الزهرىّ ، عن عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب بن مالك الأنصارى ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إذا فتحتم[1] مصر فاستوصوا بأهلها خيراً ، فإنّ لهم ذمة ورَحِما » .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثنى ابن إسحاق ، قال : سألت الزهرىّ : ما الرحم التى ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم لهم ؟ قال : كانت هاجر أم إسماعيل منهم . فيزعمون — والله أعلم — أن سارة حزنت عند ١/٢٧١ ذلك على ما فاتها من الولد حزناً شديداً ، وقد كان إبراهيم خرج من مصر إلى الشأم ، وهاب ذلك الملك الذى كان بها ، وأشفق من شرّه حتّى قدمها ، فنزل السَّبْعَ من أرض فلسطين ، وهى بريّة الشأم ، ونزل لوط بالمؤتفكة ، وهى من

(١) ا : « افتتحتم » .

السَّبْعُ على مسيرة يوم وليلة . وأقرب من ذلك ، فبعثه الله عز وجل نبيًّا ، وأقام إبراهيم فيما ذكر لى بالسَّبع ، فاحتفر به بئراً واتخذ به مسجداً ، فكان ماء تلك البئر معينًا طاهراً ، فكانت غنمه ترِدُها . ثم إن أهلها آذوه فيها ببعض الأذى ، فخرج منها حتى نزل بناحية من أرض فلسطين بين الرَّملة وإيليا ، ببلد يقال له قَطّ — أو قِط(١) — فلما خرج من بين أظهرهم نضب الماء فذهب . واتبعه أهلُ السبع ، حتى أدركوه وندموا على ما صنعوا ، وقالوا : أخرجْنا من بين أظهرنا رجلاً صالحًا ، فسألوه أن يرجع إليهم ، فقال : ما أنا براجع إلى بلد أخرِجت منه ، قالوا له : فإن الماء الذى كنت تشرب منه ونشرب معك منه قد نضِب فذهب ، فأعطاهم سبع أعنز من غنمه ، فقال : اذهبوا بها معكم ، فإنكم لو قد أوردتموها البئر ، قد ظهر الماء ، حتى يكون مَعينًا طاهراً كما كان ، فاشربوا منها ، فلا تَغترفن منها امرأةٌ حائض ، فخرجوا بالأعنز ، فلما وقفت على البئر ظهر إليها الماء ، فكانوا يشربون منها وهى على ذلك ، حتى أتت امرأة طامث ، فاغترفتْ منها ، فنكص ماؤها إلى الذى هو عليه اليوم ، ثم ثبت.

١/٢٧٢

قال : وكان إبراهيم يُضيف من نزل به ، وكان الله عزّ وجلّ قد أوسع عليه ، وبسط له فى الرزق والمال والخدم ، فلما أراد الله عزّ وجلّ هلاك قوم لوط ، بعث إليه رسلَه يأمرونه بالخروج من بين أظهرهم ، وكانوا قد عملوا من الفاحشة ما لم يسبقهم به أحدٌ من العالمين ، مع تكذيبهم نبيهم ، وردّهم عليه ما جاءهم به من النصيحة من ربهم ، وأمرت الرسل أن ينزلوا على إبراهيم ، وأنْ يبشّروه وسارة بإسحاق ، ومنْ وراء إسحاق يعقوب ، فلما نزلوا على إبراهيم وكان الضيفُ قد حُبِس عنه خمس عشرة ليلة حتى شقّ ذلك عليه — فيما يذكرون — لا يضيفه أحد ، ولا يأتيه ، فلما رآهم سرّ بهم رأى ضيفًا لم يضفه مثلهم حسنًا وجمالاً ، فقال : لا يخدم هؤلاء القوم أحدٌ إلا أنا بيدى ، فخرج إلى أهله ، فجاء كما قال الله عزّ وجلّ : ﴿ بعِجْلٍ سَمِينٍ ﴾(٢) قد حَنَذه — والحناذ :(٣) الإنضاج يقول الله جل ثناؤه : ﴿ جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ ﴾(٤) فقرّبه إليهم ، فأمسكوا أيديهم

(١) ذكرها ياقوت ، وقال : « بلد بفلسطين ، بين الرملة وبيت المقدس » .

(٢) سورة الذاريات ٢٦ .

(٣) ط : « التحناذ » ؛ وما ذكرته من ا ، والتفسير : ١٢ : ٤٣ . (٤) سورة هود ٦٩

عنه ، ﴿ فَلَمَّا رَأَى أَيْدِيَهُمْ لاَ تَصِلُ إليه نَكِرَهُمْ وأَوْجَسَ منهم خِيفَةً ﴾ حين لم يأكلوا من طعامه ، ﴿ قالُوا لا تَخَفْ إنا أُرسلنا إلى قوم لوط . وَامْرَأَتُهُ ﴾ سارة ﴿ قائمةٌ فضحِكَتْ ﴾ لما عرفت من أمر الله عزّ وجلّ ، ولما تعلم من قوم لوط ، فبشّروها ﴿ بإسْحَاق ومِنْ وَرَاءِ إسحاقَ يعقوب ﴾[1] بابن ، وبابن ابن ، فقالت — وَصَكّتْ[2] وَجْهَهَا ، يقال : ضربت على جبينها : ﴿ يَا وَيْلَتى أأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ ﴾ إلى قوله : ﴿ إنّهُ حَمِيدٌ مجِيدٌ ﴾[3] . وكانت سارةَ يومئذ — فيما ذكر لى بعض أهل العلم — ابنةَ تسعين سنة ، وإبراهم ابن عشرين ومائة سنة ، فلما ذهب عن إبراهم الروع وجاءته البشرى بإسحاق ويعقوب ولد من صلب إسحاق وأمنَ ما كان يخاف ، قال : ﴿ الْحَمْدُ لِلّهِ الَّذِى وَهَبَ لِى عَلَى الْكِبَرِ إسماعيلَ وإسحاقَ إنَّ رَبِّى لَسَمِيعُ الدُّعاءِ ﴾[4] .

١/٢٧٣

* * *

حدثنا القاسم ، قال : حدثنا الحسين ، قال : حدثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال : أخبرنى وهب بن سليمان ، عن شعيب الجبائىّ ، قال : أُلقِىَ إبراهيمُ فى النار وهو ابن ست عشرة سنة ، وذبح إسحاق وهو ابن سبع سنين ، وولدته سارة وهى ابنة تسعين سنة ، وكان مذبحه من بيت إيليا على ميلين ، فلما علمتْ سارة بما أراد بإسحاق مرضت يومين ، وماتت اليوم الثالث ، وقيل : ماتت سارة وهى ابنة مائة وسبع وعشرين سنة .

حدثنى موسى بن هارون ، قال : حدثنا عمرو بن حماد ، قال : حدثنا

---

(١) سورة هود ٦٩ ، ٧١

(٢) من قوله تعالى فى سورة الذاريات ٢٩ : ﴿ فَأَقْبَلَتِ امْرَأَتُهُ فِى صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ ﴾ .

(٣) سورة هود ٧٢ ، ٧٣

(٤) سورة إبراهيم ٣٩ ؛ وهذا آخر حديث ابن إسحاق الذى بدأ به فى ص ٢٣٤ .

أسباط ، عن السديّ ، قال : بعث الله الملائكة لتهلك قومَ لوط ، فأقبلت تمشي فى صورة رجال شباب ، حتى نزلوا على إبراهيم ، فتضيّفوه ، فلما رآهم إبراهيمُ أجلّهم ، فراغ إلى أهله ، فجاء بعجل سمين فذبحه ، ثم شواه فى الرَّضْف[1] وهو الحنيذ حين شواه ، وأتاهم فقعد معهم ، وقامت سارة تخدمهم ، فذلك حين يقول جلّ ثناؤه : ﴿وَامْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ وَهُوَ جَالِسٌ﴾[2] فى قراءة ابن مسعود ، /٢٧٤ فلما قرّبه إليهم قال : ألا تأكلون ! قالوا : يا إبراهيم ، إنا لا نأكل طعاماً إلا بثمن ، قال : فإن لهذا ثمناً ، قالوا : وما ثمنه ؟ قال : تذكرون اسم الله على أوّله وتحمدونه على آخره ، فنظر جبرئيل إلى ميكائيل ، فقال : حق لهذا أن يتخذه ربه خليلا ، ﴿فَلَمَّا رَأَى أَيْدِيَهُمْ لا تَصِلُ إِلَيْهِ﴾ يقول : لا يأكلون ، ﴿نَكِرَهُمْ وأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً﴾[3] ؛ فلما نظرت إليه سارة أنه قد أكرمهم وقامت هى تخدمهم ضحكت وقالت : عجباً لأضيافنا ! هؤلاء إنا نخدمهم بأنفسنا تكرمة لهم ، وهم لا يأكلون طعامنا !

---

(١) الرضف : الحجارة التى حميت بالشمس أو النار .

(٢) سورة هود ٧١

(٣) سورة هود : ٧٠ .

ذكر أمر بناء البيت*

قال : ثم إن الله عزّ وجلّ أمر إبراهيم بعد ما ولد له إسماعيل وإسحاق – فيما ذكر – ببناء بيت له يعبد فيه، ويذكر . فلم يدر إبراهيم فى أىّ موضع يبنى ؛ إذ لم يكن بيّن له ذلك ، فضاق بذلك ذرعًا ، فقال بعضُ أهل العلم : بعث الله إليه السكينة لتدلّه على موضع البيت ، فمضت به السكينة ، ومع إبراهيم هاجر زوجته وابنه إسماعيل ، وهو طفل صغير .

وقال بعضهم : بل بعث الله إليه جبرَئيل عليه السلام ، حتى دلّه على موضعه ، وبيّن له ما ينبغى أن يعمل .

* * *

* ذكر من قال : الذى بعثه الله إليه لذلك السكينة : ١/٢٧٥

حدثنا هنّاد بن السرىّ ، قال : حدثنا أبو الأحوص، عن سماك بن حرب ، عن خالد بن عرعرة : أن رجلاً قام إلى على بن أبى طالب ، فقال : ألا تخبرنى عن البيت ، أهو أول بيت وضع فى الأرض ؟ فقال : لا ، ولكنه أول بيت وضع فى البركة مقام إبراهيم ، ومَنْ دخله كان آمنًا ، وإن شئت أنبأتك كيف بُنِىَ . إن الله عزّ وجلّ أوحى إلى إبراهيم أن ابن لى بيتًا فى الأرض ، فضاق إبراهيم بذلك ذرعًا ، فأرسل عزّ وجلّ السكينة ، وهى ريح خَجُوج[1] ولها رأسان ، فاتبع أحدُهما صاحبه حتى انتهت إلى مكة فتطوّتْ على موضع البيت كتطوّى الحية ، وأمر إبراهيم أن يبنىَ حيث تستقرّ السكينة ، فبنى إبراهيم وبقىَ حجَر ، فذهب الغلام يبنى شيئًا ، فقال إبراهيم : أبْغِنى[2] حجراً كما آمرك؛ فانطلق الغلام يلتمس له حجراً ، فأتاه به ، فوجده قد ركّب الحجر الأسود فى مكانه ، فقال : ياأبت ، مَن أتاك بهذا الحَجَر؟ فقال : أتانى به مَنْ لم يتّكل على بنائك ، أتانى به جبرئيل من السماء . فأتمّاه[3] .

---

* لم يرد فى ا ، ر ، س .

(١) الخجوج : الريح الشديدة المر .

(٢) كذا فى ا ؛ يقال : أبغاه الشىء ؛ إذا أعانه على طلبه .

(٣) الخبر فى التفسير ٣ : ٧٠ .

حدثنا ابن بشار وابن المثنى ، قالا : حدثنا مؤمّل، قال : حدثنا سفيان ، عن أبي إسحاق ، عن حارثة بن مضرّب ، عن عليّ عليه السلام قال : لما أمرَ إبراهيمُ ببناء البيت خرج معه إسماعيل وهاجر ، فلما قدم مكة رأى[1] على رأسه فى موضع البيت مثل الغمامة فيه مثل الرأس ، فكلّمه؛ وقال: يا إبراهيم ، ابن على ظلّى — أو على قَدْرِى — ولا تزد ولا تنقص، فلما بنى خرج وخلف إسماعيل وهاجر ، فقالت هاجر : يا إبراهيم ، إلى[2] مَنْ تَكِلُنَا ؟ قال : إلى الله ، قالت : انطلق فإنه لا يُضيعنا ، قال : فعطش إسماعيل عطشًا شديدًا، فصعدت هاجرَ الصفا ، فنظرتْ فلم تر شيئًا، ثم أتت المرْوَة فنظرتْ فلم تر شيئًا ، ثم رجعتْ إلى الصَّفَا ، فنظرتْ فلم تر شيئًا ، حتى فعلتْ ذلك سبع مرات، فقالت : يا إسماعيل ، مُتْ حيث لا أراك . فأتته وهو يفحص[3] برجله من العطش ، فناداها جبرائيل ، فقال : مَنْ أنت ؟ قالت : أنا هاجر ، أم ولد إبراهيم ، قال : إلى مَنْ وَكَلَكما ؟ قالت : وكلَنا إلى الله ، قال : وكَلَكما إلى كافٍ، قال: ففحص الغلام الأرضَ بإصبعه، فنبعت زمزم ، فجعلت تحبس الماء ، فقال : دعيه ، فإنها رَوَاء[4] .

٢٧٦/١

حدثنى موسى بن هارون ، قال : حدثنا عمرو بن حماد ، قال : حدثنا أسباط ، عن السدىّ، قال : لما عهد الله إلى إبراهيم وإسماعيل: أن طهّرا بيتى للطائفين، انطلق إبراهيم حتى أتى مكة ، فقام هو وإسماعيل ، وأخذ المعاول لا يدريان أين البيت، فبعث الله عز وجل ريحًا يقال لها ريح الخَجُوج ، لها جناحان ورأس فى صورة حية ، فكنَسَت لهما ما حول الكعبة عن أساس البيت الأول ، واتبعاها بالمعاول يحفران حتى وضعا الأساس ، فذلك حين يقول عزّوجل: ﴿ وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ ﴾[5].

٢٧٧/١

---

(١) ر : « أتى » .
(٢) ر : « على » .
(٣) يفحص برجله ، أى يبحث ويزيل التراب عن حفرة .
(٤) الرواء : الماء العذب ، والخبر فى التفسير ٣ : ٦٨ .
(٥) سورة الحج ٢٦ .

وحدثنا ابن حُميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثنى محمد بن إسحاق ، عن الحسن بن عُمارة ، عن سماك بن حرب ، عن خالد بن عرعرة ، عن علىّ ابن أبى طالب عليه السلام أنه كان يقول : لما أمر الله إبراهيمَ بعمارة البيت والأذان بالحج فى الناس خرَج من الشأم ومعه ابنه إسماعيل ، وأم إسماعيل هاجَر ، وبعث الله معه السكينة ، وهى ريح[1] لها لسان تكلّم به ، يغدو معها إبراهيم إذا غدت ، ويروح معها إذا راحت ، حتّى انتهت به إلى مكة ، فلما أتت موضع البيت استدارت به ، ثم قالت لإبراهم : ابن علىَّ ، ابن علىّ ، ابن علىّ ، فوضع إبراهيم الأساس ورفع البيت هو وإسماعيل ، حتّى انتهيا[2] إلى موضع الركن ، قال إبراهيم لإسماعيل : يا بنىّ ، ابغ لى حجَراً أجعله علماً للناس ، فجاءه بحجَر ، فلم يرضَه وقال : ابغنى غير هذا ، فذهب إسماعيل ليلتمس[3] له حَجَراً ، فجاءه وقد[4] أُتِىَ بالركن ، فوضعه فى موضعه ، فقال : يا أبت ، مَنْ جاءك بهذا الحجر ؟ قال : مَنْ لم يكلنّى إليك يا بُنىّ .

* * *

وقال آخرون : إنّ الذى خرج مع إبراهيم من الشام لدلالته على موضع البيت جبرَئيل عليه السلام ، وقالوا : كان إخراجه هاجر وإسماعيل إلى مكة لما كان من غيرةِ سارَة بسبب ولادة هاجر منه إسماعيل .

* ذكر من قال ذلك :

حدثنى موسى بن هارون ، قال : حدثنا عمرو بن حماد ، قال : حدثنا أسباط ، عن السدى بالإسناد الذى قد ذكرناه أن سارَة قالت لإبراهيم : تسرّ هاجر[5] ، فقد أذنت لك فوطئها ، فحملت بإسماعيل ، ثم إنه وقع على سارة فحملت بإسحاق ، فلما ولدته[6] وكبر اقتتل هو وإسماعيل ، فغضبت سارة ١/٢٧٨

---

(١) كذا فى ا ، وفى ط : « ريح » ، وفى ب : « وريحاً » .
(٢) ر ، س ، ن : « انتهى » .
(٣) ب ، ر : « يلتمس » .
(٤) ط : « فقد » ، وما أثبته عن ا .
(٥) ط : « بهاجر » ، وما أثبته عن ا ، ر ، ن .
(٦) ا ، س : « ولد له » .

على أمّ إسماعيل ، وغارت عليها ، فأخرجتها ، ثم إنها دعتها فأدخلتها . ثم غضبت أيضًا فأخرجتها ثم أدخلتها، وحلفت لتقطعنّ منها بَضْعة؛ فقالت: أقطع أنفها ، أقطع أذنها، فيشينها ذلك، ثم قالت : لا بل أخفضها[1] ، فقطعت ذلك منها ، فاتخذت هاجر عند ذلك ذيلا تعفى به عن الدم ، فلذلك خفضت النساء، واتخذت ذيولاً ،ثم قالت : لا تساكنيني فى بلد . وأوحى الله إلى إبراهيم أن يأتىَ مكة ، وليس يومئذ بمكة بيت ، فذهب بها إلى مكة وابنها فوضعهما، وقالت له هاجَر: إلى من تركتنا[2] هاهنا ؟ ثم ذكر خبرها ، وخبر ابنها .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمَة ، عن ابن إسحاق ، قال : حدثنا عبد الله بن أبى نَجِيح ، عن مجاهد وغيره من أهل العلم أن الله عزّ وجلّ لما بوّأ لإبراهيم مكانَ البيت ومعالمَ الحرَم، فخرج وخرج معه جبرَئيل ، يقال : كان لا يمرّ بقرية إلاقال: بهذه أمرت يا جبرَئيل ؟ فيقول : جبرَئيل : امضه ، حتى قدم به مكة ، وهي إذ ذاك عِضاه سَلَم وسَمُر ، وبها أناس يقال لهم العماليق ، خارج مكة وما حولها ، والبيت يومئذ رَبْوة حمراء مَدِرة ، فقال إبراهيم لجبرَئيل: أها هنا أمرت أن أضعهما ؟ قال : نعم ، فعمد بهما إلى موضع الحِجْر ، فأنزلهما فيه، وأمر هاجر أم إسماعيل أن تتخذ فيه عريشًا فقال: ﴿ رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ ﴾ إلى – ﴿ لَعَلَّهُمْ يشكرون ﴾[3]. ثم انصرف إلى أهله بالشأم وتركهما عند البيت ، قال : فظمئ إسماعيل ظمأ شديداً، فالتمست له أمه ماء فلم تجده، فاستسمعتْ[4] : هل تسمع صوتًا ؟ لتلتمس له شرابًا، فسمعت كالصوت عند الصفا، فأقبلت حتى قامت عليه فلم تر شيئًا، ثم سمعت صوتًا نحو المرْوة،

١ / ٢٧٩

(١) الخفض للجارية، مثل الختان للصبى .

(٢) ر : «تتركنا» .

(٣) سورة إبراهيم ٣٧ .

(٤) فى كذا ا ، ن ، وفى ط : «فاستمعت» .

فأقبلت حتّى قامت عليه فلم تر شيئًا ، ويقال : بل قامت على[1] الصفا تدعو الله وتستغيثه لإسماعيل ، ثم عمدت إلى المرْوة ففعلت ذلك . ثم إنها سمعت أصواتَ سباع الوادى نحو إسماعيل حيث تركتْه ، فأقبلت إليه تشتدّ ، فوجدته يفحص الماء بيده من عين قد انفجرت من تحت يده ، فشرب منها، وجاءتها أمّ إسماعيل فجعلتها[2] حِسْيًا ، ثم استقت منها فى قربتها تذخَره لإسماعيل ، فلولا الذى فعلت ما زالت زمزم مَعينًا طاهراً ماؤها أبداً . قال مجاهد : ولم نزل نسمع أن زمزم هَزْمَةُ[3] جبرَئيل بعقبه لإسماعيل حين ظمئ .

حدثنى يعقوب بن إبراهيم والحسن بن محمد ، قالا : حدثنا إسماعيل بن إبراهيم، عن أيوب ، قال : نُبِّئْتُ عن سعيد بن جبير أنه حدث عن ابن ١/٢٨٠ عباس أن أوّلَ منْ سعى بين الصفا والمروة لأمّ إسماعيل ، وأنّ أوّل مَنْ أحدث من نساء العرب جرّ الذيول لأمّ إسماعيل . قال : لما فرّت من سارة أرْخَتْ ذيلَها[4] لتعفّى أثرها ، فجاء بها إبراهيم ومعها إسماعيل حتّى انتهى بهما إلى موضع البيت ، فوضعهما ثم رجع ، فاتبعته فقالت : إلى أىّ شىء تكِلنا؟ إلى طعام تكِلنا ؟ إلى شراب تكلنا ؟ لا يرد عليها شيئًا ، فقالت : آلله أمرك بهذا ؟ قال : نعم ، قالت : إذاً لا يضيعنا، قال : فرجعت ومضى حتّى إذا استوى على ثنيّة كَدَاء، أقبل على الوادى فقال: ﴿ رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ ...﴾ الآية . قال : ومع الإنسانة[5] شنّةٌ فيها ماء ، فنفذ الماء ، فعطشت فانقطع لبنُها ، فعطِش الصبىّ فنظرت : أىّ الجبال أدنى إلى الأرض ، فصعدت الصفا فتسمّعت : هل تسمع صوتًا ، أو ترى أنيسًا ؟[6] فلم تسمع شيئًا فانحدرت ، فلما

(١) ا : « عند » .

(٢) ن : « فوجدتها » ، والحسى : حفيرة قريبة القعر ؛ ولا يكون إلا فى أرض أسفلها حجارة وفوقها رمل ؛ فإذا مطرت نشفه الرمل ؛ فإذا انتهى إلى الحجارة أمسكته ، وجمعه أحساء .

(٣) هزمة جبريل ؛ أى ضرب برجله فانخفض المكان فنبع الماء . النهاية لابن الأثير ٤ : ٢٤٨

(٤) ا : « أرخت من ذيلها » .

(٥) ر : « هاجر » .

(٦) س : « إنسا » .

أتت على الوادى سعت — وما تريد السَّعْى — كالإنسان المجهود الذى يَسْعى وما يريد السعى ، فنظرت أىّ الجبال أدنى إلى الأرض ، فصعِدت المرْوَة ، فتسمَّعت : هل تسمع صوتًا أو ترى أنيسًا[١] ؟ فسمعت صوتًا ، فقالت كالإنسان الذى يكذِّب سمعه: صه ! حتّى استيقنت ، فقالت : قد أسمعتنى صوتك فأغثنى ، فقد هلكت وهَلك مَنْ معى ، فجاء الملك بها حتّى انتهى بها إلى موضع زمزم ، فضرب بقدمه ففارت عينًا ، فعجلت[٢] الإنسانة تُفرغ فى شنَّتها[٣] ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « رحم الله أمّ إسماعيل، لولا أنها عَجِلت لكانتْ زمزم عينًا معينًا » .

٢٨١/١

وقال لها الملَك: لا تخافى الظمأ على أهل هذا البلد؛ فإنها عين يشرب[٤] ضيفان الله منها، وقال : إن أبا هذا الغلام سيجئ فيبنيان لله بيتًا هذا موضعه .

قال : ومرّت رُفقة من جُرْهم تريد الشأم، فرأوا الطيرَ على الجبل ، فقالوا: إن هذا الطير لعائف[٥] على ماء ، فهل علمتم بهذا الوادى من ماء ؟ فقالوا : لا ، فأشرفوا فإذا هم بالإنسانة ، فأتوْها فطلبوا إليها أن ينزلوا معها ، فأذنت لهم ، قال : وأتى عليها ما يأتى على هؤلاء الناس من الموت ، فماتت وتزوج إسماعيل امرأة منهم ، فجاء إبراهيم فسأل عن منزل إسماعيل حتّى دُلّ عليه فلم يجده ، ووجد امرأة له [٦]فَظّة غليظة، فقال لها: إذا جاء زوجك فقولى له: جاء[٧] ها هنا شيخ من صفته كذا وكذا ، وأنه يقول لك : إنى لا أرضَى لك عتبَة بابك فحوّلها ، وانطلق[٨] . فلما جاء إسماعيل أخبرته فقال : ذلك أبى ، وأنت عتبَة بابى . فطلقها ، وتزوج امرأة أخرى منهم[٩] ، وجاء إبراهيم حتّى

٢٨٢/١

---

(١) س : « إنسيًا » .
(٢) ا : « فجعلت » .
(٣) ر : « شنها » ، والشن والشنة : القربة .
(٤) ط : « لشرب » ، وما أثبته من ؟
(٥) قال أبو عبيدة : « العائف هنا : الذى يتردد على الماء ويحوم ولا يمضى » . وانظر اللسان ٦٣ : ١٦٩ .
(٦) ن : « امرأته » .
(٧) ر : « كان »
(٨) كذا فى ا ، ن ، وفى ط : « فانطلق » .
(٩) ن : « منهن » .

انتهى إلى منزل[١] إسماعيل فلم يجده ووجد امرأة له سهلة طليقة[٢] فقال لها : أين انطلق زوجك ؟ فقالت : انطلق إلى الصيد ، قال : فما طعامكم ؟ قالت : اللحم والماء ، قال : اللهمّ بارك لهم فى لحمهم ومائهم ، ثلاثاً . وقال لها : إذا جاء زوجك فأخبريه؛ قولى[٣] له جاء هاهنا شيخ من صفته كذا وكذا، وإنه يقول لك : قد رضيتُ لك عتبة بابك ، فأثبتْها ، فلما جاء إسماعيل أخبرته ، قال : ثم جاء الثالثة ، فرفعا القواعد من البيت[٤] .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : حدثنا يحيى بن عباد ، قال : حدثنا حماد بن سَلَمة ، عن عطاء بن السائب ، عن سعيد بن جُبير ، عن ابن عباس قال : جاء إبراهيم نبى الله بإسماعيل وهاجر فوضعهما بمكة فى موضع زمزم ، فلما مضى نادته هاجر : يا إبراهيم ، إنما[٥] أسألك ثلاث مرات : مَنْ أمرك أن تضعنى بأرض ليس فيها زرع ولا ضرع ولا أنيس ولا ماء ولا زاد ؟ قال : ربى أمرنى ، قالت : فإنه لن يضيعنا ، قال : فلما قفا إبراهيم قال : ﴿ رَبَّنَا إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِي وَمَا نُعْلِنُ ﴾ يعنى من الحزن ﴿ وَمَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ ﴾[٦] . فلما ظمئ إسماعيل جعل يدحص[٧] الأرض بعقبه فذهبت هاجر حتى علت الصفا ، والوادى يومئذ لاخٍ - يعنى عميق - فصعدت الصفا ، فأشرفت لتنظر : هل ترى شيئاً ؟ فلم تر شيئاً ، فانحدرت فبلغت الوادى ، فسعت فيه حتى خرجت منه ، فأتت المروة فصعدت فاستشرفت : هل ترى شيئاً ؟ فلم تر شيئاً ، ففعلت ذلك سبع مرات ، ثم جاءت من المرْوة إلى إسماعيل ، وهو يدحص الأرض بعقبه ، وقد نبعت العين

٢٨٣/١

(١) ن : « موضع » .
(٢) ا ، « طليقة » ، والطلقة والطليقة : المستبشرة .
(٣) ط : « فقولى » وما أثبته عن ا والتفسير .
(٤) الخبر فى التفسير ٣ : ١٥٢ (بولاق) .
(٥) ط : « أنا » وما أثبته من ا والتفسير .
(٦) سورة إبراهيم ٣٨ .
(٧) دحص الأرض : أثار غبارها ؛ وفى ا والتفسير : « دحض » ، وهما بمعنى .

وهى زمزم ، فجعلت تفحص الأرض بيدها عن الماء ، وكلما[1] اجتمع ماء أخذته بقدحها ، فأفرغته فى سقائها ، قال : فقال النبى صلى الله عليه وسلم : « يرحمها الله ! لو تركتْها لكانت عيناً سائحة تجرى إلى يوم القيامة » .

قال : وكانت جُرْهم يومئذ بواد قريب من مكة ، قال : ولزمت الطير الوادى حين رأت الماء ، فلما رأت جُرْهم الطير لزمت الوادى ، قالوا . ما لزمتْه إلا وفيه ماء ، فجاءوا إلى هاجر ، فقالوا : لو شئت كنا معك وآنسناك والماء ماؤك ، قالت : نعم ! فكانوا معها حتى شبّ إسماعيل وماتت هاجر ، فتزوج إسماعيل امرأة من جُرْهم ، قال : فاستأذن إبراهيم سارة أن يأتى هاجر ، فأذنت له ، وشرطت عليه ألاّ ينزل ، وقدم إبراهيم — وقد ماتت هاجر — إلى بيت إسماعيل ، فقال لامرأته : أين صاحبك ؟ قالت : ليس ها هنا ، ذهب يتصيّد ، وكان إسماعيل يخرج من الحرم فيتصيّد ثم يرجع ، فقال إبراهيم : هل عندك[2] ضيافة ؟ هل عندك طعام أو شراب ؟ قالت : ليس عندى وما عندى أحد ، قال إبراهيم : إذا جاء زوجُك فأقرئيه السلام ، وقولى له : فليغيّر عتبة بابه ، وذهب إبراهيم وجاء إسماعيل ، فوجد ريحَ أبيه فقال لامرأته : هل جاءك أحد[3] ؟ قالت : جاءنى شيخ صفته كذا — وكذا كالمستخفّة بشأنه — قال : فما قال لك ؟ قالت : قال لى : أقرئى زوجك السلام ، وقولى له : فليغيّر عتبة بابه ، فطلّقها وتزوّج أخرى ، فلبث إبراهيم ما شاء الله أن يلبث ، ثم استأذن سارة أن يزور إسماعيل ، فأذنت له واشترطت عليه ألا ينزل ، فجاء إبراهيم حتى انتهى إلى باب[4] إسماعيل ، فقال لامرأته : أين صاحبك ؟ قالت : ذهب يتصيّد وهو يجىء الآن إن شاء الله ، فانزل يرحمك الله ! قال لها : هل عندك ضيافة ؟ قالت : نعم ، قال : هل عندك خبز أو بُرّ أو شعير أو تمر ؟ قال : فجاءت باللبن واللحم ، فدعا لهما[5] بالبركة ، فلو جاءت يومئذ بخبز

٢٨٤/١

---

(١) ط والتفسير : « فكلما » وما أثبته من ا .

(٢) س : « عندكم » .

(٣) ن : « شيخ » .

(٤) س : « مكان » .

(٥) ر ، س : « لها » .

أو بُرّ أو شعير أو تمر لكانت أكثر أرض الله برًّا وشعيراً وتمراً ، فقالت [1] : انزل حتى أغسل رأسك ، فلم ينزل ، فجاءته بالمقام فوضعته عن شقه الأيمن ، فوضع قدمه عليه فبقي أثر قدمه عليه ، فغسلت شقّ رأسه الأيمن ، ثم حولت المقام إلى شقّه الأيسر ، فغسلت شقّه الأيسر ، فقال لها : إذا جاء زوجك فأقرئيه السلام ، وقولي له : قد استقامت عتبةُ بابك . فلما جاء إسماعيل وجد ريح أبيه ، فقال لامرأته : هل جاءك أحد ؟ قالت : نعم ، شيخ أحسنُ الناس وجهًا وأطيبهم ريحًا ، فقال لي : كذا وكذا ، وقلت له : كذا وكذا ، وغسلت رأسه ، وهذا موضع قدميه على المقام ، قال : وما قال لك ؟ قالت : قال لي : إذا جاء زوجُك فأقرئيه السلام ، وقولي له : قد استقامت عتبة بابك ، قال ذلك إبراهيم ، فلبث ما شاء الله أن يلبث وأمره [2] الله عز وجل ببناء البيت ، فبناه هو وإسماعيل ، فلما بناه قيل : ﴿ أَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ ﴾ [3] ، فجعل لا يمرّ بقوم إلا قال : يأيها الناس ، إنه قد بُني لكم بيت فحجوه ، فجعل لا يسمعه أحد ؛ لا صخرة ولا شجرة ولا شيء إلا قال : لبيك اللهم لبيك . قال : وكان بين قوله : ﴿ رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ ﴾ ، وبين قوله : ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ ﴾ [4] كذا وكذا عامًا ؛ لم يحفظ عطاء [5] .

١/٢٨٥

حدثني محمد بن سنان ، قال : حدثنا عبيد الله بن عبد المجيد أبو علي الحنفي ، قال : أخبرنا إبراهيم بن نافع ، قال : سمعت كثير بن كثير يحدّث عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : جاء – يعني إبراهيم – فوجد إسماعيل يُصْلِح نَبْلا له من وراء زمزم ، فقال إبراهيم : يا إسماعيل ، إن ربك قد أمرني أن أبنيَ له بيتًا ، فقال له إسماعيل : فأطع ربك فيما أمرك ، فقال إبراهيم :

١/٢٨٦

(١) ر : « على » .
(٢) ط : « فأمره » ؛ وما أثبته من ا والتفسير .
(٣) سورة الحج ٢٧
(٤) سورة إبراهيم ٣٧ ، ٣٩ .
(٥) الخبر في التفسير ١٣ : ١٥٢ – ١٥٣ (بولاق) .

قد أمرك أن تُعينَنى عليه قال : إذاً أفعل ، قال : فقام معه ، فجعل إبراهيم يبنيه وإسماعيل يناوله الحجارة ويقولان: ﴿ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ [١] ، فلما ارتفع البنيان وضُعف الشيخ عن رفع الحجارة قام على حجر ، وهو مقام إبراهيم ، فجعل يناوله ويقولان: ﴿ تَقَبَّلْ مِنَّا إنكَ أَنْتَ السَّمِيع العليم ﴾ [٢].

فلما فرغ إبراهيم من بناء البيت الذى أمره الله عزّ وجلّ ببنائه ، أمره الله أن يؤذّن فى الناس بالحج ، فقال له: ﴿ وَأَذِّنْ فِى النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴾ [٢]. فقال إبراهيم – فيما ذكر لنا – ما حدثنا به ابن حُمَيد قال: حدثنا جرير ، عن قابوس بن أبى ظَبْيان ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قال: لما فرغ إبراهيم من بناء البيت ، قيل له: أذّن فى الناس بالحجّ ، قال : يارب ، وما يبلغ صوتى ؟ قال : أذّن وعلىّ البلاغ ، فنادى إبراهيم: يأيها الناس كتب عليكم الحجُّ إلى البيت العتيق ، قال : فسمعه ما بين السماء والأرض : أفلا ترى الناس يَجيئون من أقصى الأرض يُلبُّون !

حدثنا الحسن بن عرفة ، قال : حدثنا محمد بن فضيل بن غَزْوان الضّبى ، عن عطاء بن السائب ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، قال : لما بنى إبراهيم البيتَ أوحى الله عزّ وجلّ إليه : أن أذِّنْ فى الناس بالحج ، قال : فقال إبراهيم: ألاَ إن ربَّكم قد اتخذ بيتًا ، وأمركم أن تحجُّوه ، فاستجاب له ما سمعه من شىء ؛ من حجر أو شجر أو أكة أو تراب أو شىء : لَبَّيْك اللهم لبَّيك [٣] !

١/٢٨٧

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا يحيى بن واضح ، قال : حدثنا الحسين ابن واقد ، عن أبى الزبير ، عن مجاهد ، عن ابن عباس ، قوله: ﴿ وأَذِّنْ فِى النَّاسِ بالْحَجِّ ﴾ ، قال: قام إبراهيم عليه السلام خليل الله على الحجَر فنادى:

(١) سورة البقرة ١٢٧ والخبر فى التفسير ٣ : ٦٨ .

(٢) سورة الحج ٢٧ .

(٣) الخبر فى التفسير ١٧ : ١٠٦ (بولاق) .

يأيها الناس ، كتب عليكم الحجّ ، فأسمَع مَنْ فى أصلاب الرجال وأرحام النساء ، فأجابه مَنْ آمن ممن سبق فى علم الله أن يحجّ إلى يوم القيامة : لبّيك اللهم لبّيك [١] !

حدثنا ابن بشار ، قال : حدثنا عبد الرحمن ، قال : حدثنا سُفيان ، عن سلمة ، عن مجاهد ، قال : قيل لإبراهيم : أذن فى الناس بالحج ، فقال : يا ربّ ، كيف أقول ؟ قال : قل : لبّيك اللهم لبيك ، قال : فكانت أولَ التلبية [٢] .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، عن عمر ابن عبد الله بن عروة ؛ أنّ عبد الله بن الزبير قال لعبيد بن عمير الليثىّ : كيف بلغك أن إبراهيم دعا إلى الحجّ ؟ قال : بلغنى أنه لما رفع هو وإسماعيل قواعد البيت ، وانتهى إلى ما أراد الله من ذلك ، وحضر الحجّ استقبل اليمن ، فدعا إلى الله وإلى حجّ بيته فأجيب : أن لبيك اللهم لبيك ! ثم استقبل المشرق فدعا إلى الله وإلى حجّ بيته فأجيب : أن لبّيك اللهمّ ! ثم إلى المغرب فدعا إلى الله وإلى حجّ بيته ، فأجيب : أن لبيك اللهم لبيك ! ثم إلى الشأم فدعا إلى الله عزّ وجلّ وإلى حج بيته فأجيب أن لبّيك اللهمّ لبيك ؛ ثم خرج بإسماعيل وهو معه يوم التروية ، فنزل به منىً ومن معه من المسلمين ، فصلّى بهم الظهر والعصر والمغرب والعشاء الآخرة ، ثم بات بهم حتى أصبح ، فصلّى بهم صلاة الفجر ، ثم غدا بهم إلى عرفة ، فقالَ بهم هنالك ، حتى إذا مالت الشمس جمَع بين الصلاتين : الظهر والعصر ، ثم راح بهم إلى الموقف من عرفة ، فوقف بهم على الأراك [٣] ، وهو الموقف من عرفة الذى يقف عليه الإمام يُريه ويعلّمه ، فلما غرَبت الشمس دفع به وبمن معه حتى أتى المزدلفة ، فجمع فيها بين الصلاتين : المغرب والعشاء الآخرة ، ثم بات بها [٤] وبمن معه ، حتى إذا طلع الفجر صلّى بهم صلاة الغداة ، ثم وقف به على قُزَح من المزدلفة فيمن معه ، وهو الموقف

١/٢٨٨

---

(١) الخبر فى التفسير ١٧ : ١٠٦ (بولاق) .

(٢) الخبر فى التفسير ١٧ : ١٠٦ (بولاق) .

(٣) الأراك : من مواقف عرفة ، بعضه من جهة الشام و بعضه من اليمن .

(٤) كذا فى ا ، فى ط : « به » .

الذى يقف به الإمام حتى إذا أسفر دفع به وبمن معه يُريه ويعلّمه كيف يصنع ، حتى رمى الجمرةَ الكبرى ، وأراه المنحَر من منى ، ثم نحر وحلق ، ثم أفاض به من منًى ليُريَه كيف يطوف ، ثم عاد به إلى منًى ليُريَه كيف يرمى الجمار ، حتى فرغ له من الحج وأذن به فى الناس .

• • •

قال أبو جعفر : وقد رُوِىَ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن بعض أصحابه أن جبرْئيل هو الذى كان يُرِى إبراهيم المناسك إذا حجّ . ٢٨٩/١

ذكر الرواية بذلك عن رسول الله :

حدثنا أبو كريب ، قال : حدثنا عبيد الله بن موسى — وحدثنا محمد بن إسماعيل الأحمسى ، قال : حدثنا عبيدالله بن موسى — قال : أخبرنا ابن أبى ليلى ، عن ابن أبى مليكة ، عن عبدالله بن عمرو ، عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : أتى جبرئيل إبراهيم يوم التروية فراحَ به إلى منًى ، فصلى به الظهر والعصر والمغرب والعشاء الآخرة والفجر بمنى ، ثم غدا به إلى عرفات ، فأنزله الأراكَ — أو حيث ينزل الناس — فصلّى به الصلاتين جميعًا : الظهر والعصر ، ثم وقف به حتى إذا كان كأعجل ما يصلّى أحدٌ من الناس المغرب ، أفاض حتى أتى به جمعًا ، فصلّى به الصلاتين جميعًا : المغرب والعشاء ، ثم أقام حتى إذا كان كأعجل ما يصلّى أحد من الناس الفجر صلّى به ، ثم وقفَ حتى إذا كان كأبطأ ما يصلّى أحد من المسلمين الفجر أفاض به إلى منًى ، فرمى الجمرة ، ثم ذبح وحلق ، ثم أفاض إلى البيت ، ثم أوحى الله عزّ وجلّ إلى محمد صلى الله عليه وسلم : ﴿ أَنِ ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾[1] .

حدثنا أبو كريب ، قال : حدثنا عمْران بن محمد بن أبى ليلى ، قال : حدثنى أبى ، عن عبد الله بن أبى مليكة ، عن عبد الله بن عمرو ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم نحوه .

• • •

(١) سورة النحل ١٢٣ .

ثم إن الله تعالى ذكره ابتلى خليله إبراهيم عليه السلام بذبح ابنه .

واختلف السَّلَف من علماء أمة نبينا صلى الله عليه وسلم فى الذى أمرَ إبراهيم بذبحه من ابنيه ، فقال بعضهم : هو إسحاق بن إبراهيم ، وقال بعضهم: هو إسماعيل بن إبراهيم، وقد روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم كلا القولين ، لو كان فيهما صحيح لم نَعْدُه إلى غيره ، غيرَ أنّ الدليلَ من القرآن على صحة الرواية التى رويت عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : «هو إسحاق» أوضح وأبين منه على صحة الأخرى .

٢٩٠/١

والرواية التى رويت عنه أنه قال : «هو إسحاق» حدثنا بها أبو كريب ، قال : حدثنا زيد بن الحباب ، عن الحسن بن دينار ، عن على بن زيد بن جُدْعان، عن الحسن، عن الأحنف بن قيس، عن العباس بن عبد المطلب ، عن النبى صلى الله عليه وسلم فى حديث ذكر فيه : ﴿ وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ ﴾[1] قال: «هو إسحاق»[2] .

* * *

وقد روى هذ الخبر عن غيره من وجه أصلح من هذ الوجه ، غير أنه موقوف على العباس غير مرفوع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ذكر من قال ذلك :

حدثنا أبو كريب قال : حدثنا ابن يمان ، عن مبارك ، عن الحسن ، عن الأحنف بن قيس، عن العباس بن عبد لمطلب: ﴿ وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ ﴾ قال : «هو إسحاق»[3]

وأما الرواية التى رُوِيت عنه أنه هو إسماعيل ، فما حدثنا محمد بن عمار الرازى ، قال: حدثنا إسماعيل بن عبيد بن أبى كريمة، قال : حدثنا عمر بن عبد الرحيم الخطابىّ ، عن عبد الله بن محمد العُتْبىّ من ولد عُتْبة بن أبى سفيان، عن أبيه ، قال: حدثنى عبد الله بن سعيد، عن الصُّنابحى ، قال: كنا عند معاوية

(١) سورة الصافات ١٠٧ .

(٢) الخبر فى التفسير ٢٣ : ٥١ (بولاق) . (٣) الخبر فى التفسير ٢٣ : ٥١ (بولاق) .

ابن أبي سفيان ، فذكروا الذبيح : إسماعيل أو إسحاق ؟ فقال : على الخبير سقطتم ، كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فجاءه رجل فقال : يا رسول الله ، عُدْ عليّ مما أفاء الله عليك يا بن الذبيحين ، فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقيل له : وما الذبيحان يا رسول الله ؟ فقال : (إنّ عبد المطلب لما أمِر بحفر زمزم نَذَر لله : لئن سهَّل الله له أمرَها ليذبحنّ أحد ولده) ، قال : فخرج السهم على عبد الله ، فمنعه أخوالُه وقالوا : افْدِ ابنَك بمائة من الإبل ، ففداه بمائة من الإبل وإسماعيل الثانى [1].

* * *

ونذكر الآن من قال من السلف إنه إسحاق ، ومن قال إنه إسماعيل .

* ذكر من قال هو إسحاق :

حدثنا أبو كريب ، قال : حدثنا ابن يمان ، عن مبارك ، عن الحسن ، عن الأحنف بن قيس ، عن العباس بن عبد المطلب : ﴿ وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ ﴾ قال : هو إسحاق .

حدثنا الحسين بن يزيد الطَّحَّان ، قال : حدثنا ابن إدريس ، عن داود ابن أبي هند ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : الذى أمر بذبحه إبراهيم هو إسحاق .

٢٩١/١

حدثني يعقوب ، قال : حدثنا ابن علية ، عن داود ، عن عكرمة ، قال : قال ابن عباس : الذبيح هو إسحاق .

حدثنا ابن المثنى ، قال : حدثنا ابن أبي عدى ، عن داود ، عن عكرمة ، عن ابن عباس : ﴿ وفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ ﴾ قال : هو إسحاق .

حدثنا ابن المثنى ، قال : حدثنا محمد بن جعفر ، قال : حدثنا شعبة ، عن أبي إسحاق ، عن أبي الأحوص ، قال : افتخر رجل عند ابن مسعود ، فقال : أنا فلان ابن فلان ابن الأشياخ الكرام ، فقال عبد الله : ذاك يوسف بن يعقوب بن إسحاق ، ذبيح الله بن إبراهيم خليل الله .

(١) الخبر في التفسير ٢٣ : ٥٤ (بولاق) .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا إبراهيم بن المختار ، قال : حدثنا محمد ابن إسحاق ، عن عبد الرحمن بن أبى بكر، عن الزهرىّ ، عن العلاء بن جارية الثقفىّ ، عن أبى هريرة، عن كعب ، فى قوله : ﴿وفَدَيْناهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ﴾ قال : من ابنه إسحاق .

حدثنا ابن حُمَيد ، قال : حدثنا سلَمة ، قال : حدثنى محمد بن إسحاق ، عن عبد الله بن أبى بكر ، عن محمد بن مسلم الزهرى ، عن أبى سفيان بن العلاء بن جارية الثقفى ، حليف بنى زهرة ، عن أبى هريرة ، عن كعب الأحبار ، أن الذى أمِر بذبحه إبراهيم من ابنيه إسحاق .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرنى يونس ، عن ابن شهاب ، أن عمرو بن أبى سفيان بن أسيد بن جارية الثقفىّ ، أخبره أن كعبًا قال لأبى هريرة : ألا أخبرك عن إسحاق بن إبراهيم النبىّ ؟ قال أبو هريرة : بلَى ، قال كعب : لما أرِىَ[1] إبراهيمُ ذبحَ إسحاق ، قال الشيطان : والله لئن لم أفتن عند هذا آل إبراهيم لا أفتن أحداً منهم أبداً ، فتمثّل الشيطان لهم رجلاً يعرفونه ، فأقبل حتّى إذا خرج إبراهيم بإسحاق ليذبحه دخل على سارة امرأة إبراهيم ، فقال لها : أين أصبح إبراهيم غاديًا بإسحاق ؟ قالت : غدا لبعض حاجته ، قال الشيطان : لاوالله ما لذلك غدا به ، قالت سارة : فلِمَ غدا به ؟ قال : غدا به ليذبحه ، قالت سارة : ليس من ذلك شىء ، لم يكن ليذبح ابنه ، قال الشيطان : بلى والله ، قالت سارة : فلِم يذبحه ؟ قال : زعم أن ربّه أمره بذلك ، قالت سارَة : فهذا حسنٌ[2] بأن يطيعَ ربه إن كان أمره بذلك . فخرج الشيطان من عند سارّة حتّى أدرك إسحاق وهو يمشى على أثر أبيه ، فقال له : أين أصبح أبوك غاديًا بك ؟ قال : غدا بى لبعض حاجته ، قال الشيطان : لاوالله ، ما غَدا بك لبعض حاجته ، ولكنه[3] غدا بك ليذبحك .

٢٩٣/١

---

(١) ب ، ن : « لما أرى » .

(٢) كذا فى ا ، ن ، وفى ط : « فهذا أحسن » .

(٣) ن : « وإنما » .

قال إسحاق : ما كان أبى ليذبحنى ، قال : بلى ، قال : لم ؟ قال : زعم أن ربَّه أمره بذلك ، قال إسحاق : فوالله لئن أمره بذلك ليُطيعنَّه ، فتركه الشيطان وأسرع إلى إبراهيم ، فقال : أين أصبحت غاديًا بابنك ؟ قال : غدوت به لبعض حاجتى ، قال : أما والله ما غدوتَ به إلا لتذبحه ، قال : لم أذبحه ؟ قال : زعمت أن ربَّك أمرك بذلك ، قال : فوالله لئن كان أمرنى ربى لأفعلنّ ، قال : فلما أخذ إبراهيم إسحاق ليذبحَه وسلّم إسحاق أعفاه الله ، وفداه بذبح عظيم . قال إبراهيم لإسحاق : قم أى بُنَىَّ ، فإن الله قد أعفاك ، فأوحى الله إلى إسحاق : إنى أعطيك دعوة أستجيب لك فيها ، قال إسحاق : اللهمّ فإنى أدعوك أن تستجيب لى : أيما عبدٍ لقيَك من الأولين والآخرين لا يشرك بك شيئًا فأدخِلْه الجنة[1] .

١/٢٩٤

حدثنى عمرو بن على ، قال ، حدثنا أبو عاصم ، قال : حدثنا سفيان ، عن زيد بن أسلم ، عن عبد الله بن عبيد بن عمير ، عن أبيه ، قال : قال موسى : يا ربّ ، يقولون يا إلَه إبراهيم وإسحاق ويعقوب ، فيم قالوا ذلك؟ قال : إن إبراهيم لم يعدل بى شيئًا قطّ إلا اختارنى عليه ، وإن إسحاق جادَ لى بالذبح وهو بغير ذلك أجود ، وإن يعقوب كلّما زدتُه بلاء زادنى حسنَ ظن .

حدثنا ابن بشار ، قال : حدثنا مؤمّل ، قال : حدثنا سفيان ، عن زيد ابن أسلم ، عن عبد الله بن عبيد بن عمير ، عن أبيه قال : قال موسى : أى ربّ بمَ أعطيت إبراهيم وإسحاق ويعقوب ما أعطيتهم ؟ فذكر نحوه .

حدثنا أبو كريب ، قال : حدثنا ابن يمان ، عن إسرائيل ، عن جابر ، عن ابن سابط ، قال : هو إسحاق .

١/٢٩٥

حدثنا أبو كريب ، قال : حدثنا ابن يمان عن سفيان ، عن أبى سنان الشيبانىّ ، عن ابن أبى الهذيل ، قال : الذبيح هو إسحاق .

حدثنا أبو كريب ، قال : حدثنا سفيان بن عقبة ، عن حمزة الزيات ، عن أبى إسحاق ، عن أبى ميسرة ، قال : قال يوسفُ للملك فى وجهه ترغب

(١) الخبر فى التفسير ٢٣/٥٥ (بولاق) .

أن تأكل معى ، وأنا والله يوسف بن يعقوب نبى الله بن إسحاق ذبيح الله ابن إبراهيم خليل الله !

حدثنا أبو كريب ، قال : حدثنا وكيع ، عن سفيان ، عن أبى سنان ، عن ابن أبى الهذيل ، قال : قال يوسف للملك ، فذكر نحوه .

حدثنى موسى بن هارون ، قال : حدثنا عمرو بن حماد ، قال : حدثنا أسباط ، عن السدىّ ، فى خبر ذكَره عن أبى مالك وعن أبى صالح ، عن ابن عباس — وعن مرة الهمدانىّ ، عن ابن مسعود — وعن ناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، أن إبراهيم عليه السلام أرِىَ فى المنام فقيل له: أوْفِ نذرك[1] الذى نذرت : إن رزقك الله غلامًا من سارَة أن تذبحه .

حدثنى يعقوب ، قال : حدثنا هشيم ، قال : حدثنا زكرياء وشعبة ، عن أبى إسحاق، عن مسروق فى قوله: ﴿ وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ ﴾ قال : هو إسحاق .

• • •

• ذكر من قال هو إسماعيل :

حدثنا أبو كريب وإسحاق بن إبراهيم بن حبيب بن الشهيد، قال: حدثنا يحيى بن يمان ، عن إسرائيل، عن ثُوَيْر[2] ، عن مجاهد، عن ابن عمر ، قال : الذبيح إسماعيل . ٢٩٦/١

حدثنا ابن بشار ، قال : حدثنا يحيى ، قال : حدثنا سفيان ، قال : حدثنا بيان ، عن الشعبى ، عن ابن عباس: ﴿ وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ ﴾، قال : إسماعيل .

حدثنا ابن حُميد ، قال : حدثنا يحيى بن واضح ، قال : حدثنا أبو حمزة محمد بن ميمون السكرىّ عن عطاء بن السائب، عن سعيد بن جُبير ، عن ابن عباس

---

(١) ا : « بنذرك » .

(٢) وهو ثوير من أبى فاختة أبو الجهم الكوفى ؛ ذكر ابن حجر فى التهذيب ٢ : ٣٦ أن إسرائيل ممن روى عنه . وفى ب : « ثور » وهو خطأ .

قال : إن الذى أمِر بذبحه إبراهيم إسماعيل .

حدثنى يعقوب ، قال: حدثنا هشيم ، عن على بن زيد، عن عمار مولى بنى هاشم ، وعن يوسف بن مِهران، عن ابن عباس قال: هو إسماعيل، يعنى : ﴿ وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ ﴾ .

حدثنى يعقوب ، قال: حدثنا ابن عليّة ، قال: حدثنا داود، عن الشعبى ، قال : قال ابن عباس : هو إسماعيل .

وحدثنى به يعقوب مرة أخرى ، قال : حدثنا ابن عُلَيّة ، قال : سئل داود بن أبى هند: أىّ ابنىْ إبراهيم أُمِر بذبحه ؟ فزعم أن الشعبىّ قال : قال ابن عباس : هو إسماعيل .

حدثنا ابن المثنّى ، قال : حدثنا محمد بن جعفر ، قال : حدّثنا شعبة ، عن بَيان ، عن الشعبىّ ، عن ابن عباس، أنه قال فى الذى، فداه الله بذبح عظيم ، قال : هو إسماعيل . ٢٩٧/١

حدثنا يعقوب ، قال : حدثنا ابن عُلَيّة ، قال: حدثنا ليث، عن مجاهد عن ابن عباس، قوله: ﴿ وَفَدَيْنَاه بِذِبْحٍ عظيمٍ ﴾ ، قال : هو إسماعيل .

وحدثنى يونس بن عبد الأعلى، قال: ، حدثنا ابن وهب ، قال : أخبرنى عمر بن قيس، عن عطاء بن أبى رباح ، عن عبد الله بن عباس، أنه قال: المفدىّ إسماعيل ، وزعمت اليهود أنه إسحاق ، وكذبت اليهود .

وحدثنى محمد بن سنان القزاز ، قال : حدّثنا أبو عاصم ، عن مبارك ، عن على بن زيد، عن يوسف بن مهران، عن ابن عباس: الذى فداه الله عز وجل قال : هو إسماعيل .

حدثنى محمد بن سنان ، قال : حدثنا حجاج ، عن حماد ، عن أبى عاصم الغنوىّ ، عن أبى الطفيل ، عن ابن عباس مثله .

حدثنى إسحاق بن شاهين ، قال : حدثنى خالد بن عبدالله، عن داود ، عن عامر ، قال : الذى أراد إبراهيم ذبحه إسماعيل .

حدثنا ابن المثنىّ ، قال : حدثنى عبد الأعلى ، قال : حدثنا داود ، عن عامر أنه قال فى هذه الآية ﴿ وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ ﴾، قال : هو إسماعيل، قال : وكان قَرْنا الكبش مَنُوطين بالكعبة .

٢٩٨/١

حدثنا أبو كريب ، قال : حدثنا ابن يمان ، عن إسرائيل عن جابر ، عن الشعبىّ ، قال : الذبيحُ إسماعيل .

حدثنا أبو كريب ، قال : حدثنا ابن يمان ، عن إسرائيل ، عن جابر ، عن الشعبىّ ، قال : رأيتُ قرنى الكبش فى الكعبة .

حدثنا أبو كريب ، قال : حدثنا ابن يمان ، عن مبارك بن فَضالة ، عن على بن زيد بن جُدعان ، عن يوسف بن مِهران ، قال : هو إسماعيل.

حدثنا أبو كريب ، قال : حدثنا ابن يمان ، قال : حدثنا سفيان ، عن ابن أبى نَجيح ، عن مجاهد، قال : هو إسماعيل .

حدثنى يعقوب ، قال: حدثنا هشيم ، قال : أخبرنا عوف ،عن الحسن: ﴿ وَفَدَيناه بذِبْح عظيم﴾ ،قال : هو إسماعيل .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدّثنا سلمة، عن ابن إسحاق، قال : سمعت محمد بن كعب القرظىّ وهو يقول : إن الذى أمر اللهعزّ وجلّ إبراهيمَ بذبحه من ابنيه إسماعيل، وإنّا لنجدُ ذلك فى كتاب الله عزّ وجلّ فى قصة الخبر عن إبراهيم وما أمر به من ذبح ابنه ، أنه إسماعيل، وذلك أن الله عزّ وجلّ يقول حين فَرغ من قصة المذبوح من ابنى إبراهيم قال :﴿وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ﴾(١) ويقول :﴿فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ

(١) سورة الصافات ١١٢

يَعْقُوبَ﴾[1]، يقول : بابن وابن ابن ، فلم يكن يأمره بذبح إسحاق ، وله فيه
١/٢٩٩ من الله من الموعود ما وَعده ، وما الذى أُمِر بذبحه إلا إسماعيل[2] .

حدثنا ابن حُميد، قال: حدثنا سَلَمة، قال : حدثنا محمد بن إسحاق، عن بُرَيدة بن سفيان بن فروة الأسلميّ، عن محمد بن كعب القرظيّ، أنه حدّثهم أنه ذكر ذلك لعمر بن عبد العزيز ، وهو خليفة إذ كان معه بالشأم ، فقال له عمر : إن هذا لشيء ما كنتُ أنظر فيه ، وإنى لأراه كما قلت ، ثم أرسل إلى رجل كان عنده بالشام كان يهوديًّا فأسلم ، فحسن إسلامه، وكان يرى أنه من علماء اليهود . فسأله عمر بن عبد العزيز عن ذلك . قال محمد بن كعب القرظى: وأنا عند عمر بن عبد العزيز ، فقال له عمر : أىّ ابنَىْ إبراهيمَ أُمِر بذبحه ؟ فقال : إسماعيل ؛ والله يا أمير المؤمنين ، إن يَهود لَتعلم بذلك ، ولكنهم يحسدونكم معشر العرب على أن يكون أباكم الذى كان من أمر الله فيه ، والفضل الذى ذكره الله منه لصبره على ما أُمِر به ، فهم يجحدون ذلك ، ويزعمون أنه إسحاق ، لأنّ إسحاق أبوهم[3] .

حدثنا ابن حميد، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق، عن الحسن بن دينار وعمرو بن عبيد ، عن الحسن بن أبي الحسن البصريّ، أنه كان لا يشكّ فى ذلك أن الذى أمر بذبحه من ابنَىْ إبراهيم إسماعيل .

حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، قال: قال محمد بن إسحاق: سمعت
١/٣٠٠ محمد بن كعب القرظيّ يقول ذلك كثيراً .

• • •

وأما الدلالة من القرآن التى قلنا إنها على أن ذلك إسحاق أصحّ، فقوله تعالى مخبراً عن دعاء خليله إبراهيم حين فارق قومَه مهاجراً إلى ربّه إلى الشام مع زوجته

(١) سورة هود ٧١
(٢) الخبر فى التفسير ١٣ : ٥٤ (بولاق)
(٣) الخبر فى التفسير ٢٣ : ٥٢ (بولاق)

سارة، فقال :(١)﴿إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي سَيَهْدِينِ ۝ رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ﴾(٢)، وذلك قبل أن يعرف هاجر، وقبل أن تصير له أمّ إسماعيل، ثم أتبع ذلك ربنا عزّ وجلّ الخبر عن إجابته دعاءه، وتبشيره(٣) إياه بغلام حليم، ثم عن رؤيا إبراهيم أنه يذبح ذلك الغلام حين بلغ معه السعْيَ، ولا يُعْلَم فى كتاب ذكرٌ(٤) لتبشير إبراهيم بولَد ذكَر إلا بإسحاق، وذلك قوله : ﴿ وامرأتُه قائمةٌ فضحِكتْ فبشَّرْناها بإسحاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إسْحَاقَ يَعْقُوبُ﴾(٥) وقوله: ﴿ فأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قالوا لاَ تَخَفْ وَبَشَّرُوهُ بغلام عليم ۝ فأقبلتْ امرأتُه فى صَرَّة فصكّت وجهَها وقالت عجوز عقيم﴾(٦) ثم ذلك كذلك فى كلّ موضع ذُكر فيه تبشير إبراهيم بغلام؛ فإنما ذكر تبشير الله إياه به من زوجتِه سارَة، فالواجبُ أن يكون ذلك فى قوله :﴿ فَبَشَّرْنَاهُ بغلامٍ حليم﴾ (٨) نظير(٩) ما فى سائر سور القرآن من تبشيره إياه به من زوجته سارة .

• • •

وأما اعتلال من اعتلّ بأن الله لم يكن يأمر إبراهيم بذبح إسحاق، وقد أتته البشارة من الله قبْل ولادته بولادته وولادة يعقوب منه من بعده، فإنها علّة غير موجبة صحةَ ما قال، وذلك أن الله إنما أمر إبراهيم بذبح إسحاق بعد إدراك إسحاق السعْيَ. وجائز(١٠) أن يكون يعقوب وُلد له قبل أن يؤمر أبوه بذبحه، ٣٠١/١ وكذلك لا وجه لاعتلال من اعتلّ فى ذلك بقرْن الكبش أنه رآه معلقًا فى الكعبة، وذلك أنه غيرُ مستحيل أن يكون حُمِل من الشأم إلى الكعبة فعلّق هنالك .

---

(١) ا : « قال » .
(٢) سورة الصافات ٩٩ ، ١٠٠ .
(٣) ن : « بتبشيره » .
(٤) ط : « فى كتاب الله عز وجل تبشير لإبراهيم » .
(٥) سورة هود ٧١ .
(٦) سورة الذاريات ٢٨ ، ٢٩ .
(٧) ر : « ذكر »
(٨) سورة الصافات ١٠١ .
(٩) ر : « نظيرها » .
(١٠) ر : « وجاز » .

ذكر الخبر عن صفة فعل إبراهيم
وابنه الذى أمر بذبحه فيما كان أمر به من ذلك
والسبب الذى من أجله أمر إبراهيم بذبحه

والسبب فى أمر الله عزّ وجلّ إبراهيم بذبح ابنه الذى أمره بذبحه فيما ذُكر أنه إذ فارق قومَه هاربًا بدينه مهاجراً إلى ربه متوجّهًا إلى الشأم من أرض العراق دعا[1] الله أن يهب له ولداً ذكراً صالحًا من سارَة فقال: ﴿ رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ ﴾ [يعنى بذلك ولداً صالحًا من الصالحين[2]] كما أخبر الله تعالى عنه فقال: ﴿ وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي سَيَهْدِينِ ۞ رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ ﴾. فلما نزل به أضيافُه من الملائكة الذين كانوا أرسلوا إلى المؤتفكة قوم لوط بشّروه بغلام حليم عن أمر الله تعالى إياهم بتبشيره، فقال إبراهيم إذ بشر به: هو إذاً لله ذبيحٌ. فلما ولد الغلام وبلغ السعَى قيل له: أوْفِ بنذرك الذى نذرتَ لله.

* ذكر من قال ذلك:

١/٣٠٢ حدثنى موسى بن هارون، قال: حدثنى عمرو بن حماد، قال: حدثنا أسباط، عن السدىّ فى خبر ذكره عن أبى مالك. وعن أبى صالح، عن ابن عباس — وعن مرة الهمْدانى، عن عبدالله — وعن ناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: قال جبرئيل عليه السلام لسارة: أبشرى بولد اسمه إسحاق، ومن وراء إسحاق يعقوب، فضربتْ جبينها عجبًا، فذلك قوله: ﴿ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا ﴾[3]. وقالت: ﴿ أَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ ۞ قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ رَحْمَتُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ

---

(١) ر: «إلى الله».
(٢) تكملة من ا.
(٣) سورة الذاريات ٢٩

﴿ ٱلْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ ﴾[١] . قالت سارة لجبرائيل : ما آية ذلك ؟ فأخذ بيده عوداً يابساً فلواه بين أصابعه فاهتزّ أخضر ، فقال إبراهم : هو إذاً لله ذبيح ، فلما كبر إسحاق أتى[٢] إبراهيم فى النوم فقيل له : أوْف بنذرك الذى نذرتَ ، إن رزقك الله غلاماً من سارة أن تذبحه . فقال لإسحاق : انطلق فقرّبْ قرباناً إلى الله . وأخذ سكيناً وحبلاً ، ثم انطلق معه حتى إذا ذهب به بين الجبال قال له الغلام : يا أبت ، أين قربانك ؟ قال : يا بنىّ إنى أرى فى المنام أنى أذبحك فانظر ماذا ترى . قال : يا أبت افعل ما تؤمر ستجدنى إن شاء الله من الصابرين ، قال له إسحاق : اشدد رباطى حتى لا أضطرب واكفف عن[٣] ثيابك حتى لا ينتضح عليها من دمى شىء فتراه سارة فتحزن ، وأسرعْ مرّ السكين على حلقى ليكون أهونَ للموت علىّ ، وإذا أتيتَ سارة فاقرأ عليها السلام . فأقبل عليه إبراهيم عليه السلام يقبّله وقد ربطه وهو يبكى ، وإسحاق يبكى ، حتى استنقع الدموع تحت خدّ إسحاق ، ثم إنه جرّ السكين على حلقه فلم يُحِك[٤] السكين ، وضرب الله عزّ وجلّ صفيحة من نحاس على حلق إسحاق ، فلما رأى ذلك ضرب به على جبينه ، وحزّ فى قفاه قوله عزّ وجلّ : ﴿ فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ ﴾[٥] . يقول : سلما لله الأمر ، فنودى : يا إبراهيم قد صدّقت الرؤيا بالحق . التفت ، فإذا بكبش ، فأخذه وخلّى عن ابنه ، فأكبّ على ابنه يقبّله وهو يقول : يا بنىّ اليوم وُهبتَ لى ، فذلك قوله عزّ وجلّ : ﴿ وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ ﴾ . فرجع إلى سارة فأخبرها الخبر ، فجزعت سارة وقالت : يا إبراهيم ، أردت أن تذبح ابنى ولا تعلمنى[٦] !

٣٠٣/١

حدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، قال : كان إبراهيم فيما يقال إذا زارها — يعنى هاجر — حُمِل على البراق يغدُو من

---

(١) سورة هود ٧٢ ، ٧٣
(٢) ط : « أرى » ، وما أثبته عن ا ، ن .
(٣) ا : « عنى » .
(٤) لم يحك : لم يقطع .
(٥) سورة الصافات ١٠٣
(٦) الخبر فى التفسير ٢٣ : ٤٩ (بولاق) .

الشأم ، فيقبل بمكة ، ويروح من مكة ، فيبيت عند أهله بالشأم ، حتى إذا بلغ معه السعْيَ ، وأخذ بنفسه ورجاه لما كان يأمل فيه من عبادة ربه وتعظيم حرماته أرى فى المنام أن يذبحه .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق عن بعض أهل العلم أن إبراهيم حين أمِر بذبح ابنه قال له : يا بنيّ خذ الحبل والمُدْية ، ثم انطلق بنا إلى هذا الشِّعب ليحطب[١] أهلك منه ، قبل أن يذكر له شيئًا مما أمر به . ١/٣٠٤ فلما وجه إلى الشِّعب اعترضه عدوّ الله إبليس ليصدّه عن أمر الله فى صورة رجل ، فقال : أين تريد أيها الشيخ ؟ قال : أريد هذا الشعب لحاجة لى فيه ، فقال : والله إنى لأرى الشيطان قد جاءك فى منامك ، فأمرك بذبح بنيّك هذا ، فأنت تريد ذبحه ، فعرفه إبراهيم ، فقال : إليك عنّى ، أى عدوّ الله ، فوالله لأمضينّ لأمر ربى فيه ، فلما يئس عدو الله إبليس من إبراهيم اعترض إسماعيل وهو وراءَ إبراهيم يحمل الحبل والشَّفرة ، فقال له : يا غلام هل تدرى أين يذهب بك أبوك ؟ قال : يحطب[٢] أهلنا من هذا الشِّعب ، قال : والله ما يريد إلا أنْ يذبحك ، قال : لِمَ ؟ قال : زعم أن ربه أمره بذلك ، قال : فليفعل ما أمره به ربه ، فسمعًا وطاعةً . فلما امتنع منه الغلام ذهب إلى هاجر أم إسماعيل وهى فى منزلها ، فقال لها : يا أمّ إسماعيل ، هل تدرين أين ذهب إبراهيم بإسماعيل ؟ قالت : ذهب به يحطبنا[٣] من هذا الشِّعب ، قال : ما ذهب به إلا ليذبحه ، قالت : كلاّ هو أرحمُ به وأشد حبًّا له من ذلك ، قال : إنّه يزعم أن الله أمره بذلك ، قالت : إن[٤] كان ربه أمره بذلك فتسليماً لأمر الله . فرجع عدوّ الله بغيظه لم يصب من آل إبراهيم شيئًا مما أراد ، وقد امتنع[٥] منه إبراهيم وآل إبراهيم بعون الله ، وأجمعوا[٦] لأمر الله بالسمع والطاعة ،

---

(١) ن : « لنحتطب لأهلك » .
(٢) ر ، ن : « يحطب لأهلنا » .
(٣) ن : « ليحتطب لنا » .
(٤) ا : « فإن » .
(٥) ط : « قد امتنع » ، وما أثبته عن ا .
(٦) ر : « واجتمعوا » .

فلما خلا إبراهيم بابنه فى -الشِّعب وهو فيما يزعمون شعب ثَبير- قال له : يابنىّ ، إنى أرى فى المنام أنى أذبحك قال : يا أبت افعل ما تؤمر ، ستجدنى إن شاء الله من الصابرين .

قال ابن حميد : قال سلمة : قال محمد بن إسحاق عن بعض أهل العلم : إن إسماعيل قال له عند ذلك : يا أبتِ إن أردت ذبحى فاشدد رباطى لا يُصيبْك[1] منّى شىءٌ فينقص أجرى ، فإن الموت شديد ، وإنى لا آمن أن أضطربَ عنده إذا وجدت مسّه ، واشحذْ شفرتك حتى تُجهزَ علىّ فتريحنى ، وإذا أنت أضجعتَنى لتذبحنى فكبَّنى لوجهى على جبينى ولا تُضجعنى لشقّ ، فإنى أخشى إن أنت نظرت فى وجهى أن تدركك رقةٌ تحولُ بينك وبين أمر الله فىّ ، وإن رأيت أن تردَّ قميصى على أمّى فإنه عسى أن يكون هذا أسلَى لها عنّى ، فافعل . قال : يقول له إبراهيم : نعمَ العونُ أنت يا بنىّ على أمر الله . قال : فربَطه كما أمره إسماعيل فأوثقه ، ثم شحذ شفرته ثم تلّه للجبين واتّقى النظر فى وجهه ، ثم أدخل الشَّفرة لحلقه فقلبها الله لقفاها فى يده ، ثم اجتذبها إليه ليفرغ منه ، فنودى . أن يا إبراهيم قد صدَّقتَ الرؤيا ، هذه ذبيحتك فداء لابنك فاذبحها دونه ، يقول الله عزّ وجلّ : ﴿فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ﴾ ، وإنما تتَلّ الذبائح على خدودها ، فكان مما صدق عندنا هذا الحديث عن إسماعيل فى إشارته على أبيه بما أشار إذ قال : كبنى على وجهى قوله : ﴿ وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ • وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ • قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى الْمُحْسِنِينَ • إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ • وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ ﴾[2] . ٣٠٦/١

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن الحسن بن دينار ، عن قَتادة بن دِعامة ، عن جعفر بن إياس ، عن عبد الله بن عباس ، قال : خرج عليه كبش من الجنة قد رعاها قبل ذلك أربعين خريفًا ، فأرسل إبراهيم ابنه فاتّبع الكبش ، فأخرجه إلى الجمرة الأولى فرماه بسبع حصيات ،

(١) ن : « حتى لا يصبك » .

(٢) سورة الصافات ١٠٣ - ١٠٧ .

فأفلته عنده ، فجاء الجمرة الوسطى ، فأخرجه عندها ، فرماه بسبع حصيات ، ثم أفلته فأدركه عند الجمرة الكبرى ، فرماه بسبع حصيات ، فأخرجه عندها ، ثم أخذه فأتى به المنحر من منى فذبحه ، فوالذى نَفَسُ ابن عباس بيده ، لقد كان أول الإسلام ، وإن رأسَ الكبش لمعلَّق بقرنيه فى ميزاب الكعبة ، وقد وَخُش – يعنى قد يبس .

حدثنى محمد بن سنان القزاز ، قال : حدثنى حجاج ، عن حماد ، عن أبى عاصم الغنوى ، عن أبى الطُّفَيل ، قال : قال ابن عباس : إن إبراهيم لما أمِر بالمناسك عرَض له الشيطان عند المسْعى[1] فسابقه ، فسبقه إبراهيم ، ثم ذهب به جَبرئيل عليه السلام إلى جمرة العقبة ، فعرض له الشيطان ، فرماه بسبع حصيات ، حتى ذهب ، ثم عرض له عند الجمرة الوسطى ، فرماه بسبع حصيات حتى ذهب ، ثم تلّه للجبين ، وعلى إسماعيل قميص أبيض ، فقال له : يا أبت إنه ليس لى ثوب تكفّنى[2] فيه غير هذا فاخلعه عنى ، فأكفِنّى فيه ، فالتفت إبراهيم عليه السلام فإذا هو بكبشٍ أعْيَن أبيض أقرن فذبحه ، فقال ابن عباس : لقد رأيتنا نتبع هذا الضربَ من الكباش[3] .

٢٠٧/١

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : حدثنى أبو عاصم ، قال : حدثنا عيسى وحدثنى الحارث ، قال : حدثنا الحسن ، قال ، حدثنا ورقاء ، جميعًا عن ابن أبى نَجيح ، عن مجاهد ، قوله : ﴿ وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ ﴾ ، قال : وضع وجهه للأرض قال : لا تذبحنى وأنت تنظر إلى وجهى عسى أن ترحمنى ؛ فلا تجهز علىّ ؛ اربط يدىّ إلى رقبتى ، ثم ضع وجهى للأرض .

حدثنا أبو كريب ، قال : حدثنا ابن يمان ، عن سفيان ، عن جابر ، عن أبى الطفيل ، عن علىّ عليه السلام: ﴿ وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ ﴾ ، قال : كبش أبيض أقرن أعيَن مربوط بِسَمُر[4] فى ثبير .

---

(١) ر : « السّعْى » . (٢) ر : « تكفنى » .

(٣) الخبر فى التفسير ٢٣ : ٥١ (بولاق) .

(٤) سمر ، كرجل : من شجر العضاه .

حدثنى يونس ، قال: أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرنى ابن جُريج ، عن عطاء بن أبى رباح ، عن ابن عباس: ﴿وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ﴾، قال : كبش . قال عبيد بن عمَير : ذبح بالمقام ، . وقال مجاهد : ذبح بمنًى فى المنحر .

حدثنا ابن بشار ، قال : حدثنا عبد الرحمن ، قال : حدثنا سفيان ، عن ابن خُثَيم ، عن سعيد بن جُبير ، عن ابن عباس ، قال : الكبش الذى ذبحه إبراهيم عليه السلام هو الكبش الذى قرَّبه ابن آدم فتُقبِّل منه .

حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا يعقوب ، عن جعفر، عن سعيد بن جبير : ﴿وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ﴾، قال : كان الكبش الذى ذبحه إبراهيم رعى فى الجنة أربعين سنة ، وكان كبشًا أملحَ ، صوفه مثل العهن الأحمر .

حدثنا أبو كريب ، قال : حدثنا معاوية بن هشام ، عن سفيان ، عن رجل، عن أبى صالح، عن ابن عباس: ﴿وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ﴾ ،قال : كان وعِلا . ٣٠٨/١

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن عمرو ابن عبيد ، عن الحسن أنه كان يقول : ما فُدِىَ إسماعيلُ إلا بتيس كان من الأرْوَى ، أهبِط عليه من ثَبير ، وما يقول الله : ﴿وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ﴾ لذبيحته فقط ، ولكنه الذبح على دينه ، فتلك السنَّة إلى يوم القيامة ، فاعلموا أن الذبيحةَ تدفع ميتة السوء ، فضحُّوا عباد الله .

وقَدْ قال أميَة بن أبى الصَلْت فى السبب الذى من أجله أمِر إبراهيم بذبح ابنه شعرًا ، ويحقق بقيله ماقال فى ذلك الرواية التى رويناها عن السدىّ ، وأن ذلك كان من إبراهيم عن نذرٍ كان منه ، فأمره الله بالوفاء به ، فقال :

وَلإِبْرَاهِيمَ المُوَفِّى بالنَّـــذْ ... رِ احْتِسَابًا وَحَامِلِ الأَجْزَالِ[1]

---

(١) الأبيات فى خزانة الأدب ٢ : ٥٤٢ مع اختلاف فى الرواية .

بِكُرْهٍ لم يكن لِيَصْبِرَ عنه أوْ يَرَاهُ فِي مَعْشَرٍ أَقْيَالِ
أَيْ بُنَيَّ إِنِّي نَذَرْتُكَ لِلَّهِ شَحِيطًا فَاصْبِرْ فِدًى لك خالِي[1]
وَاشْدُدِ الصَّفْدَ لا أَحِيدُ عَنِ السِّكِّينِ حَيْدَ الأَسِيرِ ذِي الأَغْلَالِ
وَلَهُ مُدْيَةٌ تَخَايَلُ فِي اللَّحْمِ جُذَامٌ حَنِيَّةٌ كَالْهِلَالِ
بَيْنَمَا يَخْلَعُ السَّرَابِيلَ عَنْهُ فَكَّهُ رَبُّهُ بِكَبْشٍ جُلَالِ
فَخُذَنْ ذا فَأَرْسِلِ ابْنَكَ إِنِّي لِلَّذِي قد فَعَلْتُمَا غَيْرُ قَالِ
وَالِدٌ يَتَّقِي وَآخَرُ مَوْلُو دٌ فَطَارَا مِنْهُ بِسِمْعٍ فَعَالِ[2]
رُبَّمَا تَجْزَعُ النُّفُوسُ مِنَ الأَمْرِ لَهُ فَرْجَةٌ كَحَلِّ الْعِقَالِ

/٣٠٩

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا يحيى بن واضح ، قال : حدثنا الحسين – يعنى ابن واقد – عن زيد، عن عكرمة: قوله عزّ وجلّ: ﴿ فَلَمَّا أَسْلَمَا ﴾: قال : أسلما جميعًا لأمر الله؛ رضى الغلام بالذبح ورضى الأب بأن يذبحه . قال : يا أبت اقذفنى للوجه كيلا تنظر إلىّ فترحمنى ، وأنظر أنا إلى الشفرة فأجزع ، ولكن أدخل الشفرة من تحتى ، وامض لأمر الله ، فذلك قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ ﴾ ، فلما فعل ذلك ناديناه ﴿ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِى الْمُحْسِنِينَ ﴾ .

* * *

[ذكر ابتلاء الله إبراهيم بكلمات]

وكان ممن امتحن الله به إبراهيم عليه السلام وابتلاه به – بعد ابتلائه إياه بما كان من أمره وأمر نُمرود بن كوش ، ومحاولته إحراقه بالنار وابتلائه بما كان من أمره إياه بذبح ابنه ، بعد أن بلغ معه السعى ورجا نفعه ومعونته على ما يقرّبه من ربه عزّ وجلّ ورفعه القواعد من البيت ، ونسكه المناسك – ابتلاؤه جلّ جلاله بالكلمات التى أخبر الله عنه أنه ابتلاه بهنّ فقال : ﴿ وَإِذِ ابْتَلَى

(١) كذا فى ا ، ر ، وفى ط : « حالى » .
(٢) السمع : الذكر الجميل . وفى الخزانة : « بسمع معال » .

إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ﴾(١)

• • •

وقد اختلف السَّلف من علماء الأمة فى هذه الكلمات التى ابتلاه الله بهنَّ فأتمهنَّ ، فقال بعضهم : ذلك ثلاثون سهمًا ، وهى شرائع الإسلام . ٣١٠/١

• ذكر من قال ذلك :

حدثنا محمد بن المثنّى ، قال : حدثنا عبد الأعلى ، قال : حدثنا داود ، عن عكرمة : عن ابن عباس فى قولِه تعالى : ﴿ وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ ﴾ ، قال : قال ابن عباس : لم يُبْتَلَ أحد بهذ الدين فأقامه إلا إبراهيم عليه السلام ، ابتلاه الله تعالى بكلماتٍ فأتمهنَّ ، قال : فكتب الله تعالى له البراءة فقال : ﴿ وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِى وَفَّى ﴾(٢) : عَشْرٌ منها فى الأحزاب ، وعشر منها فى بَرَاءَةَ ، وعَشْر منها فى المؤمنين ، وسأل سائل ، وقال : إنَّ هذا الإسلام ثلاثون سهمًا .

حدثنا إسحاق بن شاهين الواسطىّ ، قال : حدثنا خالد الطحان ، عن داود ، عن عكْرمة ، عن ابن عباس ، قال : ما ابتُلِىَ أحد بهذا الدين فقام به كلّه غير إبراهيم عليه السلام ؛ ابتُلى بالإسلام فأتمّه ، فكتب الله له البراءة فقال : ﴿ وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِى وَفَّى ﴾ ، فذكر عشراً فى براءة ﴿ التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ ... ﴾(٣) وعشراً فى الأحزاب : ﴿ إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ ... ﴾(٤) وعشراً فى سورة «المؤمنين» إلى قوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴾(٥) ، وعشراً فى سأل سائل : ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴾(٦) .

---

(١) سورة البقرة ١٢٤ (٢) سورة النجم ٣٧
(٣) سورة التوبة ١١٢ (٤) سورة الأحزاب ٣٥
(٥) سورة المؤمنين ٩ (٦) سورة المعارج ٣٤

٢١١/١ وحدثني عبد الله بن أحمد المروزيّ، قال: حدثنا عليّ بن الحسن، قال: حدثنا خارجة بن مصعب، عن داود بن أبي هند، عن عكرمة، عن ابن عباس، قال: الإسلام ثلاثون سهمًا، وما ابتُلي أحد بهذا الدين فأقامه إلا إبراهيم، قال الله تعالى: ﴿وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى﴾، فكتب الله له براءة من النار.

* * *

وقال آخرون: ذلك عشر خصال من سنن الإسلام، خمس منهنّ في الرأس، وخمس في الجسد.

• ذكر من قال ذلك:

حدثني الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمَر، عن ابن طاوس، عن أبيه، عن ابن عباس: ﴿وَإِذِ ابْتَلَى إِبراهيمَ ربُّهُ بكلمات﴾، قال: ابتلاه الله عزّ وجلّ بالطهارة: خمس في الرأس، وخمس في الجسد؛ في الرأس قصُّ الشارب، والمضمضة، والاستنشاق، والسِّواك، وفرْق الرأس. وفي الجسد تقليم الأظفار، وحلْق العانة، والختان، ونتف الإبط، وغسْل أثر الغائط والبول بالماء.

حدثني المثنى، قال: حدثنا إسحاق، قال: حدثنا عبد الرزاق، عن مَعْمَر، عن الحكم بن أبان، عن القاسم بن أبي بزّة، عن ابن عباس بمثله، غير أنه لم يذكر أثر البول.

حدثنا ابن بشار، قال: حدثنا سليمان بن حرب، قال: حدثنا أبو هلال، قال: حدثنا قتادة في قوله تعالى: ﴿وَإِذِ ابْتَلَى إبراهيمَ رَبُّهُ بكلمات﴾، قال: ابتلاه بالختان، وحلْق العانة، وغسل القُبُل والدُّبر، والسواك، وقصّ الشارب، وتقليم الأظفار، ونتف الإبط. قال أبو هلال: ونسيت خَصْلة.

٢١/١ حدثني عبدان المروزيّ، قال: حدثنا عمار بن الحسن، قال: حدثنا عبدالله بن أبي جعفر، عن أبيه، عن مطر، عن أبي الجَلْد[1]، قال: ابتُلي

(١) ط «أبو خالد» تصحيف، والصواب ما أثبته من ا والتفسير ٣ : ٩.

إبراهيم عليه السلام بعشرة أشياء هن فى الإنسان[1] سنّة : المضمضة ، والاستنشاق ، وقصّ الشارب ، والسواك ، ونتف الإبط ، وتقليم الأظفار ، وغسل البراجم ، والختان ، وحلق العانة ، وغسل الدّبر والفرج .

* * *

وقال آخرون نحو قول هؤلاء ، غير أنهم قالوا : ستٌّ من العشر فى جَسد الإنسان ، وأربع منهن فى المشاعر .

* ذكر من قال ذلك :

حدثنى المثنى ، قال : حدثنا إسحاق ، قال : حدثنا محمد بن حرب ، قال : حدثنا ابن لَهيعَة ، عن ابن هبيرة ، عن حَنَش ، عن ابن عباس فى قوله عزّ وجلّ : ﴿وإذِ ابْتَلَى إبرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فأتَمَّهُنَّ﴾ ، قال : ست فى الإنسان وأربع فى المشاعر ، فالتى فى الإنسان : حلْق العانة ، والختان ، ونتف الإبط ، وتقليم الأظفار ، وقصّ الشارب ، والغُسل يوم الجمعة . وأربع فى المشاعر : الطواف ، والسعى بين الصفاء والمروة ، ورمى الجمار ، والإفاضة .

* * *

وقال آخرون : [بل][2] ذلك قوله : ﴿إنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إمَاماً﴾ ، ومناسك الحج .

ذكر من قال ذلك :

حدثنا أبو كُرَيْب ، قال : حدثنا ابن إدريس ، قال : سمعت إسماعيل ابن أبى خالد ، عن أبى صالح : قوله : ﴿ وَإذِ ابْتَلَى إبراهيمَ ربُّهُ بكلمات فأتَمَّهُنَّ ﴾ ، ٣١٣/١ منهنّ إنى جاعلك للناس إماماً وآيات النسك[3]

حدثنى أبو السائب ، قال : حدثنا ابن إدريس قال : سمعت إسماعيل بن أبى خالد ، عن أبى صالح ، مولى أم هانئ فى قوله : ﴿ وَإذِ ابْتَلَى إبراهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ﴾ ، قال : منهن ﴿إنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إمَاماً﴾ ، ومنهن آيات النسك

(١) ط : « الإسلام » وما أثبته من ا والتفسير .

(٢) من ا ، ن والتفسير ٣ : ١٠ .

(٣) ر : « ومناسك الحج » .

﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبراهِيمُ القَوَاعِدَ مِنَ البَيْتِ ﴾[١] .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : أخبرنا أبو عاصم ، قال : حدثني عيسى ابن أبي نَجيح ، عن مجاهد في قوله : ﴿ وإذِ ابْتَلى إبراهِيمَ رَبُّهُ بكَلِمَاتٍ فأتَمَّهُنَّ ﴾[٢] قال : قال الله لإبراهيم : إني مبتليك بأمر فما هو ؟ قال : تجعلني للناس إماماً ، قال : نعم ، ﴿ قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لاَ يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ ﴾ ، قال : تجعل البيت مثابة للناس ، قال : نعم ، قال : وتجعل هذا البلد أمْناً ، قال : نعم ، [قال][٣] : وتجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمَّةً مسلمة لك ، قال : نعم ، [قال][٣] : وترينامناسكنا وتتوب علينا ، قال : نعم ، [قال][٣] : وترزق أهله من الثمرات من آمن [منهم][٣] ؟ قال : نعم[٤] .

حدثني القاسم ، قال : حدثنا الحسين ، قال : حدثني حجاج ، عن ابن جُريج ، عن مجاهد بنحوه . قال ابن جريج : فاجتمع على هذا القول مجاهد وعِكْرِمة .

حدثنا ابن وكيع ، قال : حدثنا أبي ، عن سفيان ، عن ابن أبي نَجيح ، عن مجاهد : ﴿ وَإِذ ابتلى إبراهِيمَ رَبُّهُ بكَلِمَاتٍ فأتَمَّهُنَّ ﴾ ، قال : ابتلى بالآيات التي بعدها : ﴿ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَاماً قال وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لا ينالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ ﴾[٢] .

حدثني المثنى بن إبراهيم ، قال : حدثنا أبو حذيفة ، قال : حدثنا شِبْل ، عن ابن أبي نَجيح ، قال : أخبرني به عكرمة ، قال : فعرضته على مجاهد فلم ينكره .

٣١٤/١

حدثني موسى بن هارون ، قال : حدثنا عمرو بن حماد ، قال : حدثنا أسباط ، عن السُّدِّيّ : الكلمات التي ابتلى بهن إبراهيم : ﴿ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ

(١) سورة البقرة ١٢٧ .
(٢) سورة البقرة ١٢٤ .
(٣) من التفسير .
(٤) الخبر في التفسير ٣ : ١١

أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ * رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ * رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ ﴾(١).

حدثت عن عمار بن الحسن ، قال : حدثنا عبد الله بن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع ، في قوله : ﴿ وَإِذِ ابتلى إبراهيمَ ربُّه بكلمات ﴾(٢) قال : الكلمات : ﴿ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ﴾(٢)، وقوله : ﴿ وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِلنَّاسِ وأمنا ﴾، وقوله : ﴿ واتخذوا من مقام إبراهيم مُصَلًّى ﴾(٢) وقوله: ﴿ وَعَهِدْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ ﴾(٢) الآية ، وقوله: ﴿ وإذْ يرفعُ إبْرَاهيمُ القواعدَ مِنَ البيت.. ﴾(٢) الآية . قال فذلك كلُّه من الكلمات التي ابتلى بهنَّ إبراهيم .

حدثني محمد بن سعد ، قال : حدثني أبي ، قال : حدثني عمي ، قال : حدثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿ وَإِذِ ابْتَلَى إبراهيمَ ربُّه بكلمات فَأَتَمَّهُنَّ ﴾ ، قال: منهن ﴿ إني جاعِلُكَ للنَّاسِ إماماً ﴾(٢)، ومنهنَّ: ﴿ وإذ يرفعُ إبراهيمُ القواعدَ مِنَ الْبَيْتِ ﴾، ومنهنَّ الآيات في شأن المنسك والمقام الذي جعل لإبراهيم ، والرزق الذي رزق ساكن البيت ، ومحمد صلى الله عليه وسلم بعث في ذريتهما .

* * *

وقال آخرون : بل ذلك مناسك الحجّ خاصّة .

* ذكر من قال ذلك : ٣١٥/١

حدثنا ابن بشار ، قال : حدثنا سَلْم بن قتيبة ، قال : حدثنا عمر بن نبهان، عن قَتادة، عن ابن عباس في قوله: ﴿ وَإِذِ ابتلَى إبراهيمَ ربُّه بكلماتٍ ﴾ قال : مناسك الحج .

---

(١) سورة البقرة ١٢٧ – ١٢٩

(٢) سورة البقرة ١٢٤ ، ١٢٥ ، ١٢٧ .

حدثنا بشر بن معاذ ، قال : حدثنا يزيد ، قال : حدثنا سعيد ، عن قتادة ، قال : كان ابن عباس يقول فى قوله : ﴿ وإذ ابتلى إبراهيمَ ربُّهُ بكلماتٍ ﴾ قال : هى المناسك .

حُدثت عن عمار بن الحسن ، قال : حدثنا ابن أبى جعفر ، عن أبيه قال : بلغنا عن ابن عباس أنه قال : إنَّ الكلمات التى ابتلى بهنّ إبراهيمُ هى المناسك .

حدثنى أحمد بن إسحاق الأهوازىّ ، قال : حدثنا أبو أحمد الزبيرىّ ، قال : حدثنا إسرائيل ، عن أبى إسحاق ، عن التميمىّ ، عن ابن عباس قوله : ﴿ وإذِ ابتلَى إبراهيمَ ربُّهُ بكلماتٍ فأتمهنَّ ﴾ ، قال : مناسك الحجّ .

حدثنى ابن المثنى ، قال : حدثنى الحِمَّانىّ ، قال : حدثنا شريك ، عن أبى إسحاق ، عن التميمىّ ، عن ابن عباس مثله .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، قال : قال ابن عباس : ابتلاه بالمناسك . ٢١٦/١

* * *

وقال آخرون : بل ابتلاه بأمور ، منهنَّ الختان .

• ذكر من قال ذلك :

حدثنا ابن بشار ، قال : حدثنا سلْم بن قتيبة ، عن يونس بن أبى إسحاق، عن الشعْبىّ : ﴿ وإذِ ابتلَى إبراهيمَ ربُّهُ بكلماتٍ ﴾ ، قال : منهن الختان .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا يحيى بن واضح ، قال: حدثنا يونس ابن أبى إسحاق ، قال : سمعتُ الشعبىّ يقول . . . فذكر مثله .

حدثنى أحمد بن إسحاق ، قال : حدثنا أبو أحمد ، قال : حدثنا يونس بن أبى إسحاق ، قال : سمعتُ الشعبى — وسأله أبو إسحاق عن قوله

عزّ وجلّ : ﴿ وإذِ ابْتلَى إبْرٰهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ ﴾ — قال : منهنّ الختان يا أبا إسحاق .

* * *

وقال آخرون : ذلك الخلالُ الستّ : الكوكب ، والقمر ، والشمس ، والنار ، والهجرة ، والختان ، التى ابتلى بهنّ أجمع فصبرَ عليهنّ .

ذكر من قال ذلك :

حدثنى يعقوب بن إبراهيم ، قال : حدثنا ابن عُلَيَّة ، عن أبى رَجَاء ، قال : قلتُ للحسن : ﴿ وإذِ ابْتلَى إبرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ﴾ ، قال : ابتلاه بالكوكب فرضى عنه ، وابتلاه بالقمر فرضى عنه ، وابتلاه بالشمس فرضى عنه ، وابتلاه بالنار فرضى عنه ، وابتلاه بالهجرة ، وابتلاه بالختان .

حدّثنا بشر ، قال : حدثنا يزيد بن زُرَيْع ، قال : حدثنا سَعيد ، عن قَتادة ، قال : كان الحسنُ يقول : إن الله ابتلاه بأمرٍ فصبر عليه ؛ ابتلاه بالكوكب والشمس والقمر ، فأحسن فى ذلك ، وعرَفَ أن ربّه دائم لا يزول ، فوجَّه وجهه للذى فطر السموات والأرض حنيفًا وما كان من المشركين ؛ وابتلاه بالهجرة فخرج من بلاده وقومه حتّى لحق بالشام مهاجراً إلى الله تعالى ؛ ثم ابتلاه بالنار قبل الهجرة فصَبر على ذلك ، وابتلاه بذبح ابنه وبالختان[1] ، فصَبر على ذلك . ٣١٧/١

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرَّزّاق ، قال : أخبرنا مَعْمَر ، عمّن سمع الحسن يقول فى قوله : ﴿ وإذِ ابْتَلَى إبراهيمَ رَبُّه بكلِمَاتٍ ﴾ ، قال : ابتلاه [بذبح ولده ، وبالنار و][2] بالكوكب ، وبالشمس ، وبالقمر .

حدثنا ابن بشار ، قال : حدثنا سَلْم بن قُتَيْبَة ، قال : حدثنا أبو هلال عن الحسن : ﴿ وَإذِ ابْتَلَى إبراهيمَ ربُّه بكلمات ﴾ ، قال : ابتلاه بالكوكب ، وبالشمس وبالقمر ، فوجده صابراً .

(١) ط : « والختان » ، وما أثبته من ا ، والتفسير ٣ : ١٤

(٢) تكملة من التفسير ٣ : ١٤

حدثنا أحمد بن إسحاق بن المختار ، قال : حدثني غسّان بن الربيع ، قال : حدثنا عبد الرحمن — وهو ابن ثَوْبَان — عن عبد الله بن الفضل ، عن عبد الرحمن الأعرج ، عن أبي هُرَيْرة ، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اختتن إبراهيم بعد ثمانين سنة بالقَدُوم » .

* * *

وقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم فى الكلمات التى ابتلى بهن إبراهيم خبران :

أحدهما: ما حدثنا أبو كريب ، قال: حدثنا الحسن بن عطية ، قال : حدثنا إسرائيل ، عن جعفر بن الزبير ، عن القاسم ، عن أبي أمامة، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿ وإبراهيمَ الَّذِى وَفَّى﴾ قال : « أتدرون ما وفَّى ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم ، قال: « وفَّى عملَ يومه أربعَ ركعات فى النهار » .

٢١٨/١

والآخر منهما ما حدّثنا به أبو كريب، قال : حدثنا رِشْدين بن سعد ، قال : حدثنا زبان بن فائد ، عن سَهْل بن مُعاذ بن أنس، عن أبيه، قال : كان النبيّ صلى الله عليه وسلم يقول : « ألا أخبرُكم لم سمى الله إبراهيم خليله ﴿الَّذِى وَفَّى﴾ ؟ لأنه كان يقول كلَّما أصبح وكلّما أمسى : ﴿ فَسُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ...﴾ [1] حتى ختم الآية » [2].

فلما عرف الله تعالى من إبراهيم الصبرَ على كلّ ما ابتلاه به، والقيام بكلّ ما ألزمه من فرائضه ، وإيثاره طاعتَه على كلّ شىء سواها، اتخذه خليلا ، وجعلَه لمن بعده من خلقه إمامًا ، واصطفاه إلى خلقه رسولا ، وجعل فى ذرّيّته النبوةَ والكتاب والرسالة ، وخصّهم بالكتب المنزلة ، والحِكَم البالغة ، وجعل منهم الأعلام والقادة والرؤساء والسادة، كلّما مضى منهم نجيبٌ خلفه سيد رفيع ، وأبقى لهم ذكراً فى الآخرين ، فالأمم كلها تتولاه وتُثْنى عليه ، وتقول بفضله إكرامًا من الله له بذلك فى الدنيا ، وما ادّخر له فى الآخرة من الكرامة

---

(١) سورة الروم ١٧ (٢) الخبران فى التفسير ٣ : ١٥ ، ١٦ .

أجلُّ وأعظمُ من أن يحيط به وصف واصف .

* * *

[أمر نمرود بن كوش بن كنعان]

١/٢١٩ ونرجع الآن إلى الخبر عن عدوّ الله وعدو إبراهيم الذى كذّب بما جاء به من عند الله ، وردّ عليه النصيحة التى نَصحها له جهلا منه ، واغتراراً بحلم الله تعالى عنه ، نمرود بن كوش بن كنعان بن حام بن نوح ، وما آل إليه أمره فى عاجل دنياه حين تمرّد على ربه ، مع إملاء الله إياه ، وتركه تعجيل العذابَ له على كفره به ، ومحاولته إحراق خليله بالنار حين دعاه إلى توحيد الله والبراءة من الآلهة والأوثان ، وأنّ نمرودَ لما تطاول عتُوُّه وتمرّده على ربّه مع إملاء[1] الله تعالى له — فيما ذكر — أربعمائة عام ، لا تزيده حججُ الله التى يحتجّ بها عليه ، وعبرُه التى يُريها إياه إلا تماديًا فى غيّه ، عذبه الله — فيما ذكر — فى عاجل دنياه قدر إملائه إياه من المدة بأضعف خلْقه ، وذلك ببعوضة سلطها عليه [توغلت فى خياشيمه فمكث أربعمائة سنة يعذب بها فى حياته الدنيا][2].

* * *

* ذكر الأخبار الواردة عنه بما ذكرت من جهله وما أحلّ الله به من نقمته :

حدثنى الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزّاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن زيد بن أسلم ، أنّ أولَ جبار كان فى الأرض نُمرود ، وكان الناس يخرجون فيمتارون من عنده الطعام ، فخرج إبراهيم يمتارُ مع من يمتارُ ، فإذا مرّ به ناس قال : مَنْ ربُّكم ؟ قالوا : أنت ، حتى مرّ به إبراهيم ، قال : من ربك ؟ قال : ﴿ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وأُمِيتُ قَالَ إبْرَاهِيمُ ١/٢٢٠

---

(١) ا : « إملاء الله إياه » . (٢) تكملة من ا ، ن .

فإنّ اللهَ يأتي بالشّمسِ مِنَ المشرق فأتِ بها من المغرب فبُهِتَ الذى كفر﴾.[١]

قال : فردّه بغير طعام، قال: فرجع إبراهيمُ إلى أهله فمرّ على كثيبٍ أعفر[٢] ، فقال : هلاّ آخذُ من هذا فآتيَ به أهلى فتطيبَ أنفسهم حين أدخل عليهم ! فأخذ منه ، فأتىَ أهلَه . قال: فوضع متاعه ثم نام، فقامت امرأتُه إلى متاعه ففتحته فإذا هى بأجود طعام رآه أحدٌ ، فصنعت له منه، فقربته إليه— وكان عهدَ أهله ليس عندهم طعام —فقال : منْ أين هذا ؟ قالت : من الطعام الذى جئتَ به ، فعلم أن الله قد رزقه ، فحمِد الله .

ثم بعث الله إلى الجبار مَلَكًا : أن آمنْ بى وأتركك على ملكك ، قال : فهل ربّ غيرى ؟ فجاءه الثانية فقال له ذلك، فأبى عليه ، ثم أتاه الثالثة فأبى عليه ، فقال له المَلَك : اجمع جموعك إلى ثلاثة أيام ، فجمع الجبّار جموعَه ، فأمر الله الملك ، ففتح عليهم بابًا من البَعوض ، فطلعت الشمس فلم يروها من كثرتها[٣]، فبعثها الله عليهم، فأكلت لحومَهم وشربت دماءهم ، فلم يبق إلا العظام ،والملك كما هو لم يُصبْه من ذلك شىء ، فبعث الله عليه بعوضةً فدخلتْ فى منخره ، فمكث أربعمائة سنة يُضرب رأسه بالمطارق ، وأرحم الناس به مَنْ جمع يديه ثم ضرب بهما رأسه . وكان جبّارًا أربعمائة عام ، فعذبه الله أربعمائة سنة كملكه وأماته الله ، وهو الذى بنى صرحًا إلى السماء ، فأتى الله بنيانه من القواعد ، وهو الذى قال الله : ﴿فَأَتَى اللهُ بُنْيَانَهُمْ مِنَ القَوَاعِدِ﴾[٤]

٣٢١/١ حدثنا موسى بن هارون ، قال : حدثنا عمرو بن حماد ، قال : حدثنا أسباط ، عن السدّى فى خبر ذكره عن أبى مالك وعن أبى صالح ، عن ابن عباس—وعن مرّة عن ابن مسعود ، وعن ناس من أصحاب النبي صلى الله

(١) سورة البقرة ٢٥٨ .
(٢) الكثيب الأعفر : الرمل الأحمر .
(٣) ن : «كثرته» .
(٤) سورة النحل ٢٦ ، والخبر فى التفسير ٥ : ٤٣٣ — ٤٣٤ .

عليه وسلم، قال: أمر الذى حاجّ إبراهيم فى ربه بإبراهيم، فأخرج -يعنى من مدينته- قال: فأخرج فلقى لوطًا على باب المدينة - وهو ابن أخيه - فدعاه فآمن به، وقال: ﴿ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّي ﴾(١)، وحلف نمرود أن يطلب إله إبراهيم، فأخذ أربعة أفرُخ من فراخ النسور؛ فربّاهن باللحم والخمر، حتى إذا كبرن وغلظن واستعلجن، قرنهنّ بتابوت، وقعد فى ذلك التابوت، ثم رفع رجلاً من لحم لهنّ، فطرن به؛ حتى إذا ذهبن فى السماء أشرف ينظر إلى الأرض، فرأى الجبال تدبّ كدبيب النمل، ثم رفع لهنّ اللحم، ثم نظر فرأى الأرض محيطًا بها بحر كأنها فَلْكة فى ماء، ثم رفع طويلا فوقع فى ظلمة؛ فلم ير ما فوقه ولم ير ما تحته، ففزع فألقى اللحم فاتبعته منقضّات، فلما نظرت الجبال إليهنّ وقد أقبلن منقضّات وسمعن حفيفهنّ فزعت الجبال، وكادت أن تزول من أمكنتها ولم يفعلن، وذلك قوله عزّ وجلّ: ﴿ وَقَدْ مَكَرُوا مَكْرَهُمْ وَعِندَ اللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ ﴾(٢)، وهى فى قراءة ابن مسعود: ﴿ وإن كَادَ مَكْرُهُمْ ﴾ فكان طيرانهنّ(٣) به من بيت المقدس، ووقوعهنّ فى جبل الدخان، فلما رأى أنه لا يطيق شيئًا أخذ فى بناء الصرح، فبنى حتى إذا أسنده إلى السماء ارتقى فوقه ينظر - بزعمه - إلى إله إبراهيم، فأحدث ولم يكن يُحدِث، وأخذ الله بنيانه من القواعد: ﴿ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِن فَوْقِهِمْ وَأَتَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴾(٤)، يقول: من مأمنهم، وأخذهم من أساس الصرح، فتنقض [بهم](٥). ثم سقط فتبلبلت ألسن الناس من يومئذ من الفزع، فتكلموا بثلاثة وسبعين لسانًا، فلذلك سميت بابل، وإنما كان لسان الناس قبل ذلك السُّريانية(٦).

٣٢٢/١

---

(١) سورة العنكبوت ٢٦

(٢) سورة إبراهيم ٤٦

(٣) ا والتفسير: «طيرورتهن»؛ وهما بمعنى.

(٤) سورة النحل ٢٦

(٥) تكلة من ا والتفسير.

(٦) الخبر فى التفسير ١٤: ٦٦، ٦٧ (بولاق).

حدثنا ابنُ وكيع ، قال : حدثنا أبو داود الحفَرِىّ ، عن يعقوب ، عن حفص بن حميد -أو جعفر- عن سعيد بن جُبير : ﴿ وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الجِبَالُ ﴾ ، قال : نمرود صاحب النسور ، أمر بتابوت فجُعل وجَعَل معه رجلا . ثم أمر بالنسور فاحتملته ، فلمّا صعد قال لصاحبه : أىّ شىء ترى ؟ قال : أرَى الماء والجزيرة - يعنى الدنيا - ثم صعد وقال لصاحبه : أىّ شىء ترى ؟ قال : ما نزداد من السماء إلا بعداً ، قال : اهبط ، وقال غيره : نُودى : أيها الطاغية ، أين تريدُ ؟ فسمعت الجبال حفيفَ النسور ، وكانت ترى أنه أمر من السماء فكادت تزول ، فهو قوله تعالى : ﴿ وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الجِبَالُ ﴾(١) .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : حدثنا محمد بن أبى عدىّ ، عن شُعْبة ، عن أبى إسحاق ، قال : حدثنا عبد الرحمن بن دانيل ، أن عليّاً عليه السلام قال فى هذه الآية : ﴿ وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الجِبَالُ ﴾ ، قال : أخذ ذلك ١/٢٢٣ الذى حاجّ إبراهيم فى ربه نَسْرَيْن صغيرين ، فربّاهما حتى استغلظا واستعلجا فشبّا ، قال : فأوثق رجلَ كلّ واحد منهما بوتر إلى تابوت ، وجوّعهما وقعد هو ورجُل آخر فى التابوت ، قال : ورفع فى التابوت عصًا على رأسه اللحم ، فطارا ، وجعل يقول لصاحبه : انظر ماذا ترى ؟ قال : أرى كذا وكذا ، حتى قال : أرى الدنيا كأنها ذباب ، فقال : صوِّبْ ، فصوّبها ، فهبطا . قال : فهو قوله عزّ وجلّ : ﴿ وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ ﴾ . قال أبو إسحاق : ولذلك هى فى قراءة عبد الله : ﴿ وَإِنْ كَادَ مَكْرُهُمْ ﴾(٢) .

فهذا ما ذكر من خبر نمرود بن كوش بن كنعان .

* * *

وقد قال جماعة : إن نمرود بن كوش بن كنعان هذا ملَك مشرق الأرض ومغربها ، وهذا قول يدفعُه أهل العلم بسيَر الملوك وأخبار الماضين ، وذلك أنهم

(١) الخبر فى التفسير ١٣ : ١٦١ (بولاق) .
(٢) الخبر فى التفسير ١٣ : ١٦٠ (بولاق) .

لا يدفعون ولا ينكرون أن مولد إبراهيمَ كان فى عهد الضحاك بن أندرماسب الذى قد ذكرنا بعضَ أخباره فيما مضى ، وأن ملك شرق الأرض وغربها يومئذ كان الضحاك . وقد قال بعض مَنْ أشكل عليه أمر نمرود ممن عرف زمان الضحاك وأسبابه فلم يدر كيف الأمر فى ذلك مع سماعه ما انتهى إليه من الأخبار عمن رُوِى عنه أنه قال : ملك الأرض كافران ومؤمنان ، فأمّا الكافران فنمرود وبختنصّر ، وأما المؤمنان فسليمان بن داود وذو القرنين . وقولَ القائلين من أهل الأخبار إن الضحاك كان هو ملك شرق الأرض وغربها فى ١ / ٣٢٤ عهد إبراهيم نمرود : هو[1] الضحاك . وليس الأمر فى ذلك عند أهل العلم بأخبار[2] الأوائل ، والمعرفة بالأمور السوالف ، كالذى ظَنّ ، لأن نسب نمرودَ فى النَّبَط معروف ، ونسب الضحاك فى عَجَم الفرس مشهور ، ولكنّ ذوى العلم بأخبار الماضين وأهل المعرفة بأمور السالفين من الأمم ذكروا أن الضّحاك كان ضمّ إلى نمرود السَّواد وما اتصل به يمنة ويَسرة ، وجعله وولده عُمّاله على ذلك ، وكان هو يتنقّل[3] فى البلاد ، وكان وطنه الذى هو وطنُه ووطن أجداده[4] دُنْباوند ، من جبال طَبَرستان ، وهنالك رمى به أفريدُون حين ظفر به وقهره موثقًا بالحديد . وكذلك بختنصّر كان أصبهبذ ما بين الأهواز إلى أرض الروم من غربى دجلة من قبل لهُراسب ، وذلك أنّ لهُراسب كان مشتغلا بقتال الترك ، مقيماً بإزائهم ببلْخ ، وهو بَناها - فيما قيل - لمّا تطاول مكثُه هنالك لحرب الترك ، فظنّ مَنْ لم يكن عالمًا بأمور القوم بتطاول مدة ولايتهم أمرَ الناحية لمن ولوا له أنهم كانوا هم الملوك . ولم يدَّع أحدٌ من أهل العلم بأمور الأوائل وأخبار الملوك الماضية وأيام الناس فيما نعلمه أن أحداً من النَّبط كان ملكًا برأسه على شِبْرٍ من الأرض ، فكيف يملكُ شرق الأرض وغربها ! ولكنّ العلماء من أهل الكتاب وأهل المعرفة بأخبار الماضين ومن قد عانى النظر فى كتب التأريخات ، يزعمون أنّ ولاية نمرود إقليمَ بابل من قبَل الازدهارق بيوراسب دامت أربعمائة سنة ، ثم نرجل من نسله من بعد هلاك نمرود ، يقال ١ / ٣٢٥

---

(١) ر : « وهو » . (٢) ط : « بالأخبار » ، وما أثبته عن ا ، ر ، ن .
(٣) كذا فى ا ، وفى ط : « ينتقل » . (٤) ن : « أولاده » .

له نَبطَ بن قعود مائة سنة ، ثم لداوص[١] بن نبط من بعد نبط ثمانين سنة ، ثم من بعد داوص بن نبط لبالش بن داوص مائة وعشرين سنة، ثم لنمرود بن بالش من بعد بالش سنة وأشهراً . فذلك سبعمائة سنة وستة وأشهر ، وذلك كله فى أيام الضحاك ، فلما ملك أفريدُون وقهر الازدهاق قتل نمرود بن بالش وشرّد النَّبَطَ وطردهم، وقتل منهم مقتلة عظيمة ، لما كان منهم من معاونتهم بيورَاسب على أموره ، وحَمَل نمرود وولده له .

وقد زعم بعض أهل العلم أن بيوراسب قد كان قبل هلاكه تنكَّر لهم . وتغيَّر عما كان لهم عليه .

* * *

[ذكر لوط بن هاران وقومه]

ونعود الآن إلى ذكر الخبر عن بقية الأحداث التى كانت فى أيام إبراهيم صلى الله عليه وسلم .

وكان من الكائن أيام حياته من ذلك ما كان من أمر لوط بن هاران ابن تارخ ، ابن أخى إبراهيم عليهما السلام وأمر قومه من سَدُوم . وكان من أمره فيما ذكر أنه شخص من أرض بابل مع عمّه إبراهيم خليل الرحمن ، مؤمناً به ، متبعاً له على دينه ، مهاجراً إلى الشام ، ومعهما سارَة بنت ناحور .

وبعضهم يقولُ : هى سارة بنت هيبال[٢] بن ناحور. وشخص معهم — فيما قيل — تارخ أبو إبراهيم مخالفاً لإبراهم فى دينه ، مقيماً على كفره حتى صاروا إلى حرّان ، فمات تارخ وهو[آزر][٣] أبو إبراهيم بحرّان على كفره وشَخَص إبراهيم ولوط وسارة إلى الشام، ثم مضوْا إلى مصر ، فوجدوا بها فرعوناً من فراعنتها ، ذُكر أنه كان سنان بن علوان بن عبيد بن عويج[٤] بن عملاق بن لاوذ[٥] ابن سام بن نوح . وقد قيل إن فرعون مصر يومئذ كان أخاً للضحاك ، كان

٣٢٦/١

(١) ن : « ولداوص » ر « ولداوس » .
(٢) كذا فى ا ، وفى ط : « هنال » .
(٣) تكلة من ا .
(٤) ر : « عوج » .
(٥) ب : « لاوى » .

الضّحاك وجّهه إليها عاملا عليها من قِبَله — وقد ذكرتُ بعض قصته مع إبراهيم فيما مضى قبلُ — ثم رجعوا عَوْداً على بدئهم إلى الشأم. وذكر أن إبراهيم نزل فلسطين، وأنزل ابنَ أخيه لوطًا الأردنَّ، وأن الله تعالى أرسل لوطًا إلى أهل سَدوم، وكانوا أهلَ كفرٍ بالله وركوب فاحشة ، كما أخبر الله عن قوم لوط : ﴿ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ • أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ السَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ الْمُنْكَرَ ﴾ .[1]

* * *

وكان قطعهم السبيل — فيما ذكر — إتيانهم[2] الفاحشة إلى مَنْ ورد بلدهم .

• ذكر من قال ذلك :

حدثني يونس بن عبد الأعلى ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد فى قوله تعالى: ﴿ وَتَقْطَعُونَ السَّبِيلَ ﴾، قال : السبيل طريقُ المسافر إذا مرّ بهم ، وهو ابن السبيل قطعوا به وعملوا به ذلك العمل الخبيث .

* * *

وأما إتيانهم ما كانوا يأتونه من المنكر فى ناديهم ، فإن أهلَ العلم اختلفوا فيه ، فقال بعضهم : كانوا يحذفون مَنْ مرّ بهم .

١/٣٢٧

وقال بعضهم : كانوا يتضارَطون فى مجالسهم .

وقال بعضهم : كان بعضهم ينكح بعضًا فيها .

• ذكر من قال كانوا يحذفون من مرّ بهم :

حدثنا ابنُ حميد ، قال : حدثنا يحيى بن واضح ، قال : حدثنا عمر ابن أبى زائدة ، قال : سمعتُ عكرمة يقول فى قوله : ﴿ وتَأْتُون فى نَادِيكُمُ الْمُنْكَرَ ﴾، قال : كانوا يؤذون أهلَ الطريق ، يحذِفون مَنْ مرّ بهم[3] .

(١) سورة العنكبوت ٢٨ ، ٢٩ .

(٢) ب : « اتباعهم » .

(٣) الخبر فى التفسير ٢٠ : ٩٣ (بولاق)

حدثنا ابن وكيع ، قال : حدثنا أبى ، عن عمر بن أبى زائدة[1] ، قال : سمعت عكرمة ، قال : الحذف .

حدثنا موسى بن هارون ، قال : حدثنا عمرو بن حماد ، قال : حدثنا أسباط ، عن السدىّ فى خبر ذكره عن أبى مالك وعن أبى صالح ، عن ابن عباس – وعن مُرة الهَمدانىّ عن ابن مسعود – وعن ناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم : ﴿ وَتَأْتُونَ فِى نَادِيكُمُ الْمُنْكَرَ ﴾ ، قال : كانوا كلّ من مرّ بهم حذفوه ، وهو المنكر .

• ذكر من قال : كانوا يتضارطون فى مجالسهم :

حدثنى عبد الرحمن بن الأسود الطّفاوىّ ، قال : حدثنا محمد بن ربيعة ، قال : حدثنا رَوْح بن غُطَيف الثقَفىّ[2] ، عن عمرو بن مُصعَب ، عن عُرْوة ابن الزبير ، عن عائشة فى قوله تعالى : ﴿ وتأتُونَ فى نَادِيكُمُ المنْكَرَ ﴾ ، قالت : الضراط .

٣٢٨/١ • ذكر من قال كان يأتى بعضهم بعضًا فى مجالسهم :

حدثنا ابن وكيع وابنُ حميد ، قالا : حدثنا جرير ، عن منصور ، عن مجاهد فى قوله : ﴿ وَتَأْتُونَ فِى نَادِيكُمُ الْمُنْكَرَ ﴾ ، قال : كان بعضُهم يأتى بعضا فى مجالسهم .

حدثنا سليمان بن عبد الجبار ، قال : حدثنا ثابت بن محمد الليثى ، قال : حدثنا فضَيْل بن عياض ، عن منصور بن المعتمر ، عن مجاهد فى قوله : ﴿ وَتَأْتُونَ فِى نَادِيكُمُ الْمُنْكَرَ ﴾ ، قال : كان يجامع بعضهم بعضًا فى المجالس .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا حكّام ، عن عمرو ، عن منصور ، عن مجاهد مثله .

---

(١) ط : « عمران بن زيد » ، والصواب ما أثبته من ا .

(٢) كذا فى ا ، وفى ط : « الطفارى » ، وانظر تهذيب التهذيب ٦ : ١٤٠ .

حدثنا ابن وكيع ، قال : حدثنا أبى، عن سفيان ، عن منصور ، عن مجاهد ، قال : كانوا يجامعون الرجال فى مجالسهم .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : حدثنا أبو عاصم ، قال : حدثنا عيسى . وحدثنى الحارث ، قال : حدثنا الحسن ، قال : حدثنا ورقاء ، جميعًا عن ابن أبى نَجيح ، عن مجاهد: ﴿ وَتَأتون فِى نَادِيكُم المُنكر ﴾، قال : المجالس، والمنكر إتيانهم الرجال .

حدثنا بشر ، قال : حدثنا يزيد ، قال: حدثنا سعيد، عن قَتادة، قوله : ﴿ وَتَأتُونَ فِى نَادِيكُم المنكر﴾ ، قال : كانوا يأتون الفاحشة فى ناديهم.

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب، قال : قال ابن زيد فى قوله: ﴿ وَتَأتُونَ فِى نَادِيكُمُ الْمُنْكَرَ﴾ قال : ناديهم المجالس، والمنكر عملهُم الخبيث الذى كانوا يعملونه، كانوا يعترضون الراكب فيأخذونه فيركبونه، وقرأ: ﴿ أَتَأتُونَ الفاحِشَةَ وأَنْتمْ تُبْصِرُونَ﴾[1] وقرأ: ﴿مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ العَالَمِينَ﴾[2]. ٣٢٩/١

وقد حدثنا ابن وكيع ، قال : حدثنا إسماعيل بن عُلَيَّة ، عن ابن أبى نَجيح، عن عمرو بن دينار : قوله: ﴿مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ﴾، ما نزا ذَكرٌ على ذكر حتى كان قوم لوط .

• • •

قال أبو جعفر : والصواب من القول فى ذلك عندى قول من قال : عَنَى بالمنكَر الذى كانوا يأتونه فى ناديهم فى هذا الموضع حذفُهم مَنْ مَرَّ بهم وسخريتهم منه ، للخبر الوارد بذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، الذى حدثناه أبو كريب وابن وكيع ، قالا : حدَّثنا أبو أسامة ، عن حاتم بن أبى صغيرة، عن سماك بن حَرْب ، عن أبى صالح مولى أمّ هانئ، عن أم هانئ

(١) سورة النمل ٥٤ . (٢) سورة الأعراف ٨٠ .

عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قوله تعالى:﴿وتأتُونَ فى نَادِيكُمُ المنكر ﴾، قال : كانوا يحذِفون أهلَ الطريق ويسخرون منهم ، وهو المنكر الذى كانوا يأتونه[١]

حدثنا أحمد بن عبدة الضَّبىّ ، قال : حدثنا سليمان بن حيّان ، قال : أخبرنا أبو يونس القُشَيرىّ ، عن سماك بن حرب ، عن أبى صالح ، عن أمّ هانئ ، قالت : سألت النبى صلى الله عليه وسلم عن قوله : ﴿ وتَأْتُونَ فِى نَادِيكُمُ الْمنْكَرَ﴾،قال : كانوا يحذِفون أهلَ الطريق ويسخرون منهم »

٢٣٠/١

حدثنا الربيع بن سليمان ، قال : حدثنا أسد بن موسى ، قال : حدثنا سعيد بن زيد ، قال : حدثنا حاتم بن أبى صغيرة ، قال : حدثنا سماك بن حرب ، عن باذام أبى صالح ، مولى أم هانئ ، عن أم هانئ ، قالت : سألت النبى صلى الله عليه وسلم عن هذه الآية:﴿ وَتَأْتُونَ فِى نَادِيكُم الْمنْكَرَ﴾، فقال : كانوا يجلسون بالطريق فيحذفون أبناءَ السبيل ويسخرون منهم ، فكان لوط عليه السلام يدعوهم إلى عبادة الله ، وينهاهم بأمر الله إياه عن الأمور التى كرهها الله تعالى لهم من قطع السبيل وركوب الفواحش وإتيان الذكور فى الأدبار ، ويتوعَّدهم – على إصرارهم على ما كانوا عليه مقيمين من ذلك وتركهم التوبة منه – العذاب الأليم فلا يزجرهم عن ذلك وعيدُه ولا يزيدهم وعظُه إلا تماديًا وعتوًّا واستعجالاً لعذاب الله، إنكاراً منهم وعيده، ويقولون له: ﴿ ائْتِنَا بِعَذَابِ اللهِ إِن كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِين ﴾[٢]،حتى سأل لوط ربّه عزّ وجلّ النصرة عليهم لما تطاول عليه أمره وأمرهم وتماديهم فى غيهم ، فبعث الله عزّ وجلّ لما أراد خزيهم وهلاكهم ونصرة رسوله لوط عليهم جبْرئيل عليه السلام وملَكَيْن آخرين معه .

وقد قيل : إن الملكين الآخرين كان أحدهما ميكائيل والآخر إسرافيل

---

(١) الخبر فى التفسير ٢٠ : ٩٢ (بولاق) ، وفيه : « يأتون » .

(٢) سورة العنكبوت ٢٩ .

فأقبلوا – فيما ذكر – مُشاةً فى صورة رجال شباب . ٣٢١/١

• ذكر بعض من قال ذلك :

حدثنا موسى بن هارون ، قال : حدثنا عمرو بن حماد ، قال : حدثنا أسباط ، عن السُّدى فى خبر ذكره ، عن أبى مالك وعن أبى صالح ، عن ابن عباس – وعن مرة الهمْدانىّ عن ابن مسعود – وعن ناس من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم : بعث الله الملائكة لتُهلك قومَ لوط ، فأقبلت[1] تمشى فى صورة رجال شباب ؛ حتى نزلوا على إبراهيم فتضيَّفوه ، فكان من أمرهم وأمر إبراهيم ما قد مضى ذكرنا إياه فى خبر إبراهيم وسارَة . فلما ذهب عن إبراهيم الروع جاءتْهُ البشرى ، وأطلعته[2] الرسل على ما جاءوا له ، وأنّ الله أرسلَهم لهلاك قوم لوط ناظرهم إبراهيم وحاجَّهم فى ذلك كما أخبر الله عنه [فقال] :[3] ﴿فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ وَجَاءَتْهُ الْبُشْرَى يُجَادِلُنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ﴾.[4]

وكان جداله إياهم فى ذلك – فيما بلغنا – ما حدثنا به ابن حميد ، قال : حدثنا يعقوب القمىّ ، قال : حدثنا جعفر ، عن سعيد ﴿يُجَادِلُنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ﴾ قال : لما جاءه جبرئيل ومن معه ، قالوا لإبراهيم : ﴿إِنَّا مُهْلِكُو أَهْلِ هَذِهِ الْقَرْيَةِ إِنَّ أَهْلَهَا كَانُوا ظَالِمِينَ﴾[5] . قال لهم إبراهيم : أتهلكون قريةً فيها أربعمائة مؤمن ؟ قالوا : لا ، قال : أفتهلكون قريةً فيها ثلثمائة مؤمن ؟ قالوا : لا ، قال : أفتهلكون قريةً فيها مائتا مؤمن ؟ قالوا : لا ، قال : أفتهلكون قرية فيها مائة مؤمن ؟ قالوا : لا ، قال : أفتهلكون قريةً فيها أربعون مؤمناً ؟ قالوا : لا ، قال : أفتهلكون قريةً فيها أربعة عشر مؤمناً ؟ قالوا : لا ، وكان إبراهيم يعدّهم أربعة عشر بامرأة لوط ، فسكت عنهم ، واطمأنّت نفسُه . ٣٢٢/١

---

(١) فى جميع الأصول : « أقبلت » .
(٢) ط : « فأطلعته » ، وما أثبته من ا .
(٣) من ا .
(٤) سورة هود ٧٤
(٥) سورة العنكبوت ٣١

حدثنا أبو كريب، قال : حدثنا الحِمّانىّ ، عن الأعمش ، عن المنهال، عن سَعيد بن جُبير ، عن ابن عباس، قال : قال المَلَك لإبراهيم: إن كان فيها خمسة يصَلُّون رُفع عنهم العذاب .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : حدثنا محمد بن ثَور ، عن معمر ، عن قتادة: ﴿يُجَادِلُنَا فِى قَوْمِ لُوطٍ﴾ قال : بلغنا أنه قال لهم يومئذ : أرأيتم إن كان فيهم خمسون من المسلمين ؟ قالوا : إن[1] كان فيهم خمسون لن نعذّبهم[2]، قال: وأربعون ؟ قالوا :وأربعون،قال: وثلاثون ؟ قالوا : وثلاثون ، حتى بلغ عشرة، قالوا : وإن كانوا عشرة ؟ قال : ما من قوم لا يكون فيهم عشرة فيهم خير ، فلما علم إبراهيمُ حالَ قوم لوط بخبر الرسل قال للرسل : ﴿ إِنَّ فِيهَا لُوطًا ﴾[3] إشفاقًا منه عليه،فقالت الرسل: ﴿ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَنْ فِيهَا لَنُنَجِّيَنَّهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ ﴾[3].

* * *

ثم مضت رسلُ الله نحو أهل سَدوم، قرية قوم لوط، فلما انتهوا إليها ذُكر أنهم لَقُوا لوطا فى أرض له يعمل فيها ، وقيل إنهم لَقُوا عند نهرها ابنةَ لوط تستقى الماء .

• ذكر من قال لقوا لوطا :

حدثنا بشر بن معاذ ، قال : حدثنا يزيد ، قال : حدثنا سعيد ، عن قَتادة ، عن حُذيفة أنه لما جاءت الرسل لوطًا أتوه وهو فى أرض له يعمل فيها ، وقد قيل لهم– والله أعلم:لا تُهلكوهم حتى يشهد عليهم لوط ، قال : فأتوه فقالوا : إنا مُضيِّفوك[4] الليلة . فانطلق بهم فلما مشى ساعة التفت فقال: أما تعلمون ما يعمل أهل هذه القرية ؟ والله ما أعلم على ظهر

١/٣٢٣

(١) فى ط : «وإن» ، وما أثبته عن ا .
(٢) ب ، ن : «يعذبهم» .
(٣) سورة العنكبوت ٣٢
(٤) كذا فى ا ، ب ، وفى ر : «نتضيفك» ، وفى ط : «متضيفوك» .

الأرض[١] أناساً[٢] أخبثَ منهم . قال : فمضى معهم ثم قال الثانية مثل ما قال ، فانطلق بهم ، فلما بصرت بهم عجوز السوء امرأته انطلقت فأنذرتهم .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا الحكم بن بشير ، قال : حدثنا عمرو ابن قيس الملائىّ ، عن سعيد بن بشير ، عن قَتادة ، قال : أتت الملائكةُ لوطاً وهو فى مزرعة له ، وقال الله تعالى للملائكة : إن شهد لوط عليهم أربعَ شهادات ، فقد أذنت لكم فى هَلَكتهم[٣] ، فقالوا : يا لوط ، إنا نريد أن نضيّفك الليلة ، قال : وما بلغكم[٤] أمرهم ؟ قالوا : وما أمرهم ؟ فقال : أشهد بالله أنها لشرُّ قرية فى الأرض عملا ، يقول ذلك أربع مرّات ، فشهد عليهم لوط أربع شهادات ، فدخلوا معه منزله .

• ذكر من قال إنما لقيت الرسل أول ما لقيت حين دنت من سَدُوم ابنة لوط دون لوط[٥] :

حدثنى موسى بن هارون ، قال : حدثنا عمرو بن حماد ، قال : حدثنا أسباط ، عن السّدى فى خبر ذكره عن أبى مالك ، وعن أبى صالح ، عن ابن عباس — وعن مرة الهمْدانىّ عن ابن مسعود — وعن ناس من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم ، قال : لما خرجت الملائكة من عند إبراهيم نحو قرية لوط ، فأتوْها نصف النهار ، فلما بلغوا نهر سَدوم لقُوا ابنةَ لوط تستقى من الماء لأهلها — وكانت له ابنتان : اسم الكبرى ريثا واسم الصغرى[٦] رعزيا[٧] — فقالوا

١/٣٢٤

(١) ر : « وجه الأرض » ، ب : « ظهر هذه الأرض » .
(٢) ن : « أحداً » .
(٣) كذا فى ا ، ر ، وفى ط : « مهلكتهم » ، ن : « هلاكهم » .
(٤) ابن الأثير : « أو ما بلغكم » .
(٥) ن : « قيل » .
(٦) ب ، ر : « والصغرى » .
(٧) كذا فى ا ، ب ، وفى ن : « رعرثا » ، وفى ر : « دعريا » ، وفى ط من غير نقط .

لها : يا جارية ، هل من منزل ؟ قالت : نعم ، فمكانَكم لا تدخلوا حتى آتيَكم ؛ فرِقَتْ[(١)] عليهم من قومها ، فأتتْ أباها ، فقالت : يا أبتاه ، أرادك فتيان على باب المدينة ، ما رأيت وجوهَ[(٢)] قوم هي أحسنُ منهم ، لا يأخذهم قومُك فيفضحوهم ـ وقد كان قومُه نهوْه أن يُضيِّف رجلا ـ فقالوا له : خلِّ عنا فلنضيف الرجال ، فجاء بهم فلم يعلمْ أحد إلا أهلَ بيت لوط ، فخرجت امرأتُه فأخبرت قومَها فقالت : إنَّ فى بيت لوط رجالا ما رأيت مثلهم ومثل وجوههم حسنًا قطّ ، فجاءه قومُه يهرعون إليه .

قال أبو جعفر : فلما أتوْه قال لهم لوط : يا قوم اتقوا الله ﴿ ولا تخزونِ فى ضَيْفِى أَلَيْسَ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ ﴾[(٣)] ؛ هؤلاء بناتى هنَّ أطهرُ لكم مما تريدون . فقالوا له : أو لم ننهك أن تضيِّف الرجال ! لقد علمت ما لَنا فى بناتك من حق ، وإنك لتعلم ما نريد ! فلما لم يقبلوا منه شيئًا مما عرضه عليهم قال : ﴿ لَوْ أَنَّ لِى بِكُمْ قُوَّةً أَوْ آوِى إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ ﴾[(٤)] . يقول عليه السلام : لو أنَّ لى أنصاراً ينصروننى عليكم أو عشيرة تمنعنى منكم ، لحُلْت بينكم وبين ما جئتم تريدونه من أضيافى ! ١/٣٣٥

حدثنى المثنى ، قال : حدثنا إسحاق بن الحجاج ، قال : حدثنا اسماعيل ابن عبد الكريم ، قال : حدثنى عبد الصمد بن معقِل ، أنه سمع وهبًا يقول : قال لوط لهم : ﴿ لَوْ أَنَّ لِى بِكُمْ قُوَّةً أَوْ آوِى إِلَى رُكْنٍ شَدِيد ﴾ ، فوجَد عليه الرسل وقالوا : إنَّ ركنك لشديد. فلما يئس[(٥)] لوط من إجابتهم إياه إلى شىء مما دعاهم إليه وضاق بهم ذَرْعًا ، قالت الرسل له حينئذ : ﴿ يَا لُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَنْ يَصِلُوا إِلَيْكَ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلَّا امْرَأَتَكَ

(١) ابن الأثير ١ : ٧٩ : « خافت » .
(٢) ابن الأثير : « ما رأيت أصبح وجوها منهم » .
(٣) سورة هود ٧٨
(٤) سورة هود ٨٠
(٥) ر : « أيس » .

إنَّهُ مُصِيبُهَا مَا أَصَابَهُمْ ﴾[١] ،فذكَر أن لوطًا لما علم أن أضيافه رسل الله ، وأنها أرسلت بهلاك قومه قال لهم : أهلكوهم الساعة .

* ذكر من روى ذلك عنه أنه قاله من أهل العلم :

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا يعقوب ، عن جعفر،عن سعيد،قال : مضت الرسل من عند إبراهيم إلى لوط ، فلما أتوا لوطًا وكان من أمرهم ما ذكر الله قال جبرئيل للوط : يا لوط ، إنا مهلكو أهل هذه القرية ، إنّ أهلَها كانوا ظالمين . فقال لهم لوط : أهلكوهم الساعة، فقال جبرئيل عليه السلام: ﴿ إنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ ﴾[١] فأنزلت على لوط :﴿أليسَ الصُّبْح بقريب ﴾[١] .

قال : وأمره أن يُسرىَ بأهله بقطْع من الليل ولا يلتفت منهم أحدٌ إلا امرأته ، قال : فسار فلما كانت الساعة[٢] التي أهلكوا فيها أدخل جبرئيل جناحه في أرضهم فقلعها ورفعها حتى سمع أهلُ السماء صياحَ الديكة ، ونُبَاح الكلاب ، فجعل عالَيها سافلَها ، وأمطر عليهم حجارة من سجِّيل ، قال : وسمعت امرأة لوط الهدّة فقالت : وا قوماه ! فأدركها حجر فقتلها . ٢٣٦/١

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا يعقوب ، عن حفص بن حميد ، عن شِمْر بن عطية ، قال : كان لوط أخذ على امرأته ألاّ تذيع شيئًا من سرّ أضيافه ، قال : فلما دخل عليه جَبْرئيلُ ومن معه ورأتهم في صورة لم تر مثلها قطّ انطلقتْ تسعَى إلى قومها ، فأتت الناديَ فقالت بيدها هكذا ، فأقبلوا يُهرَعون مشيًا بين الهرولة والجمْز ،فلما انتهوا إلى لوط قال لهم لوط ما قال الله تعالى في كتابه . قال جبرئيل : يا لوط إنا رُسُل ربك لن يصلوا إليك ، قال: فقال بيده، فطمس أعينهم، قال: فجعلوا يطلبونهم، يلتمسون[٣] الحيطان وهم لا يبصرون [٤] .

---

(١) سورة هود ٨١ .

(٢) ب : « الليلة » . ن : « كان في الساعة » .

(٣) كذا في ا ، ب ؛ وفي ط : « يطلبون يلتمسون » .

(٤) الخبر في التفسير ١٢ : ٥٤ (بولاق) .

حدثنا بشر بن معاذ ، قال : حدثنا يزيد ، قال : حدثنا سعيد ، عن قتادة ، عن حُذَيفة ، قال : لما بصرتبهم — يعنى بالرسل — عجوز السوء، امرأته ، انطلقت فأنذرتهم فقالت : قد تضيّف لوطاً قومٌ ما رأيت قوماً أحسنَ منهم وجوهاً ـ قال : ولا أعلمُه إلا قالت : وأشدّ بياضاً وأطيب ريحاً منهم — قال : فأتوه ﴿يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ﴾[1]، كما قال الله عز وجل، فأصفق[2] لوط الباب. قال : فجعلوا يعالجونه ، قال : فاستأذن جبرئيل ربه عزّ وجلّ فى عقوبتهم ، فأذن له ، فصفقهم بجناحه ، فتركهم عمياناً يترددون فى أخبث ليلة أتتْ عليهم قطّ ، فأخبروه إنا رسل ربك، فأَسْرِ بأَهْلِكَ بقطعٍ من الليل، قال: ولقد ذكر لنا أنه كانت مع لوط حين خرج من القرية امرأته ، ثم سمعت الصوت فالتفتت ، فأرسل الله تعالى عليها حجراً فأهلكها[3] .

٣٣٧/١

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا الحكَم بن بشير ، قال : حدثنا عمرو ابن قيس المُلائىّ ، عن سعيد بن بشير ، عن قتادة، قال : انطلقت امرأتُه — يعنى امرأة لوط ـ حين رأتهم — يعنى حين رأت الرسل — إلى قومها فقالت : إنه قد ضافه الليلةَ قوم ما رأيت مثلهم قطّ أحسن وجوهاً، ولا أطيب ريحاً. فجاءوا يهرعون إليه فبادرهم لوط إلى أن يزحمهم على الباب فقال: ﴿هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِي إِنْ كُنْتُمْ فاعِلِينَ﴾[4]، فقالوا: ﴿أَوَلَمْ نَنْهَكَ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾[5]، فدخلوا على الملائكة فتناولتهم الملائكة ، فطمست أعينهم فقالوا : يا لُوط جئتنا بقوم سَحَرة ؛ سحرونا كما أنت حتى نصبح. قال : فاحتمل جبْرَئيل قريات لوط الأربع ، فى كلّ قرية مائة ألف ، فرفعهم على جناحه بين السماء والأرض حتى سمع أهلُ السماء الدنيا أصواتَ ديكتهم ثم قلبهم ، فجعل الله عاليَها سافلَها[6] .

٣٣٨/١

---

(١) سورة هود ٧٨ .
(٢) أصفق الباب : أغلقه .
(٣) ر : «فقتلها» ، والخبر فى التفسير ١٢ : ٥٤ — ٥٥ (بولاق) .
(٤) سورة الحجر ٧١ .
(٥) سورة الحجر ٧٠ .
(٦) الخبر فى التفسير ١٢ : ٥٥ (بولاق) .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : حدثنا محمد بن ثَور . وحدّثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرَّزّاق ، جميعًا عن مَعْمَر ، عن قتادة، قال : قال حُذيفة: لما دخلوا عليه ذهبت عجوزُه ، عجوزُ السوء ، فأتت قومها فقالت : قد تضيَّفَ لوطًا [الليلة] [1] قوم ما رأيت قومًا قطّ أحسن وجوهًا منهم ، قال : فجاءوا يهرعون إليه ، فقام مَلَكٌ فلزّ الباب ـــ يقول : فسدَّه ـــ فاستأذن جبرئيل فى عقوبتهم ، فأذن له ، فضربهم [2] جبرئيل بجناحه ، فتركهم عميانًا ، فباتوا بشرّ ليلة ، ثم قالوا : إنا رسُل ربّك لن يصلوا إليك ، فأسر بأهلك بقطْع من الليل ، ولا يلتفتْ منكم أحدٌ إلا امرأتَك ، قال : فبلغنا أنها سمعت صوتًا ، فالتفتت فأصابها حجر وهى شاذّة من القوم معلوم مكانها [3] .

حدثنى موسى بن هارون ، قال : حدثنا عمرو بن حماد ، قال : حدثنا أسباط ، عن السّدىّ فى خبر ذكره ، عن أبى مالك وعن أبى صالح ، عن ابن عباس ـــ وعن مُرَّة الهمْدانىّ عن ابن مسعود ـــ وعن ناس من أصحاب النبى صلى الله عليه : لما قال لوط : ﴿ لَوْ أَنَّ لِى بِكُمْ قُوَةً أَوْ آوِى إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ ﴾، بسط حينئذ جبرئيل جناحَه ففقأ أعينهم ، وخرجوا يدوس بعضهم فى آثار بعض عميانًا ، يقولون : النجاء النجاء ! فإنّ فى بيت لوط أسحر قوم فى الأرض ؛ فذلك قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ رَاوَدُوهُ عَنْ ضَيْفِهِ فَطَمَسْنَا أَعْيُنَهُمْ ﴾ [4] ١/٣٣٩ وقالوا للوط : ﴿ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لن يصلوا إليكَ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ ﴾ ، يقول : سرْ بهم فامضوا حيث تؤمرون، فأخرجهم الله تعالى إلى الشأم. وقال لوط : أهلكوهم الساعة، فقالوا: إنا لم نؤمر إلا بالصبح ، أليس الصبح بقريب! فلما أن كان السَّحَر خرج لوط وأهله معه إلا امرأته ، وذلك قوله تعالى : ﴿ إِلَّا آلَ لُوطٍ نَجَّيْنَاهُمْ بِسَحَرٍ ﴾ [5] .

---

(١) من ا والتفسير . (٢) ط : « فصفقهم فضربهم » ، وما أثبته من ا ، والتفسير .
(٣) الخبر فى التفسير ١٢ : ٥٥ (بولاق)
(٤) سورة القمر ٣٧ . (٥) سورة القمر ٣٤ .

حدثنا المثنّى، قال : أخبرنا إسحاق، قال : حدثنا إسماعيل بن عبدالكريم، قال : حدثني عبد الصمد أنه سمع وهب بن مُنَبِّه يقول : كان أهل سَدوم الذين فيهم لوط قومَ سوْء قد استغنْوا عن النساء بالرجال ، فلما رأى الله ذلك منهم بعث الملائكة ليعذّبوهم ، فأتوا إبراهيم ، فكان من أمره وأمرهم ما ذكره الله تعالى فى كتابه ، فلما بشروا سارة بالولد قاموا ، وقام معهم إبراهيم يمشى ، فقال : أخبرونى لمَ بعثتم ؟ وما خَطْبكم ؟ قالوا : إنا أرسلنا إلى قوم سَدُوم لندمّرها فإنهم قوم سوء ، قد استغنوْا بالرجال عن النساء . قال إبراهيم : أرأيتم إن كان فيهم خمسون رجلاً صالحًا ؟ قالوا : إذاً لا نعذبهم ،فلم يزل [ينقص] [1] حتّى قال أهل البيت ، قالوا : فإن كان فيهم بيت صالح، قال : فلوط وأهل بيته ،قالوا : إن امرأته هواها معهم ، فلما يئس إبراهيم انصرف ومضوْا إلى أهل سَدوم فدخلوا على لوط ، فلما رأتهم امرأته أعجبها حسنُهم وجمالُهم ، فأرسلت إلى أهل القرية أنه قد نزل بنا قومٌ لم نر قومًا قطّ أحسنَ منهم ولا أجمل ؛ فتسامعوا بذلك،فغشُوا دارَ لوط من كل ناحية ، وتسوّروا عليهم الجدران[2] ، فلقيَهم لوط فقال: يا قوم لا تفضحون فى ضيفى وأنا أزوّجكم بناتى فهن أطهرُ لكم.،فقالوا: لو كنا نريد بناتك لقد عرفنا مكانهنّ،فقال : لو أنّ لى بكم قوة أو آوى إلى ركن شديد . فوجَد عليه الرسل فقالوا : إن ركنك لشديد ، وإنهم آتيهم عذاب غير مردود ، فمسح أحدهم أعينهم بجناحه ، فطمس أبصارهم ، فقالوا : سحرنا ، انصرفوا بنا حتّى نرجع إليه ، فكان من أمرهم ما قد قَصَّ الله تعالى فى القرآن ،فأدخل ميكائيل وهو صاحب العذاب جناحَيه حتى بلغ أسفلَ الأرضين ، فقلبها فنزلت حجارة من السماء ، فتتبعت من لم يكن منهم فى القرية حيث كانوا فأهلكهم الله ، ونجّى لوطًا وأهله إلا امرأته .[3]

١/ ٣٤٠

حدثنا أبوكريب، قال : حدثنا جابر بن نوح، قال: حدثنا الأعمش، عن مجاهد، قال : أخذ جبرئيل قوم لوط من سَرْحهم ودورهم، حملهم بمواشيهم وأمتعتهم ، حتى سمع أهل السماء نباح كلابهم ثم كفأها .

---

(١) من ا والتفسير .

(٢) ط ، ا : « الجدارات » ، وما أثبته من ا التفسير .

(٣) الخبر فى التفسير ١٢ : ٥٥ (بولاق) .

وحدثنا . أبو كريب مرة أخرى ، عن مجاهد، فقال : أدخل جبرئيل جناحَيه[١] تحت الأرض السفلى من قوم لوط ، ثم أخذهم بالجناح الأيمن ، وأخذهم من سرحهم ومواشيهم ثم رفعها .

حدثني المثنى ، قال : حدثنا أبو حذيفة ، قال : حدثنا شبْلٌ ، عن ابن أبي نَجيح ، عن مجاهد، قال : كان يقول: ﴿فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا﴾[٢] ، قال : لما أصبحوا غدا جبرئيل على قريتهم ففتقها من أركانها ثم أدخل جناحيه[١] ، ثم حملها على خوافي جناحيه[٣] . ٣٤١/١

حدثني المثنى ، قال : حدثنا أبو حذيفة ، قال : حدثنا شبل ، قال : وحدّثني هذا ابن أبي نجيح ، عن إبراهيم بن أبي بكر ، قال : ولم يسمعه ابن أبي نجيح من مجاهد قال: فحملها على خوافي جناحيه[٤] بما فيها، ثم صعد بها إلى السماء حتى سمع أهلُ السماء نباح كلابهم، ثم قَلَبَها، فكان أول ما سقط منها شرافها، فذلك قوله تعالى: ﴿فَجَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً من سجِّيلٍ﴾[٥]

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : حدثنا محمد بن ثَوْر ، عن معمر ، عن قتادة ، قال : بلغنا أن جبرئيل عليه السلام أخذ بعروة القرية الوسطى ثم ألوى بها إلى السماء ، حتى سمع أهلُ السماء ضواغيَ[٦] كلابهم، ثم دمَّر بعضَها على بعض ، فجعل عالِيَها سافلها، ثم أتبعتهم[٧] الحجارة .قال قتادة : وبلغنا أنهم كانوا أربعة آلاف ألف . ٣٤٢/١

حدثنا بشر بن معاذ ، قال : حدثنا يزيد ، قال : حدثنا سعيد ، عن

---

(١) ط : « جناحه » ، وما أثبته من ا .
(٢) سورة هود ٨٢ .
(٣) ا : « ثم حملها فى جناحيه » .
(٤) ط : « جناحه » ، وما أثبته من ا
(٥) سورة الحجر ٧٤ .
(٦) ضواغى الكلاب : نباحها .
(٧) ا : « تبعهم » .

قتادة ، قال : وذكر لنا أن جبرئيل أخذ بعروتها الوسطى ، ثم ألوى بها إلى جوّ السماء حتى سمعت الملائكة ضواغيَ كلابهم ثم دمّر بعضها على بعض ، ثم أتبع شُذّان[1] القوم صخراً، قال : وهى ثلاث قرى يقال لها سَدوم ، وهى بين المدينة والشأم ، قال : وذكر لنا أنه كان فيها أربعة آلاف ألف ، قال : وذكر لنا أن إبراهيم كان يُشرف ثم يقول : سَدُوم يوماً هالك .

حدثنى موسى بن هارون ، قال : حدثنا عمرو بن حماد ، قال : حدثنا أسباط ، عن السدىّ بالإسناد الذى قد ذكرناه : لما أصبحوا — يعنى قوم لوط — نزل جبرئيل عليه السلام واقتلع الأرض من سبع أرضين ، فحملها حتى بلغ بها السماء الدنيا ، حتى سمع أهلُ السماء نباحَ كلابهم وأصواتَ ديوكهم ، ثم قلبها فقتلهم ، فذلك حين يقول : ﴿وَالْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَى﴾[2] ؛ المنقلبة حين أهوى بها جبرئيل عليه السلام الأرض فاقتلعها بجناحيه ، فمن لم يمت حين أسقط[3] الأرض أمطر الله تعالى عليه وهو تحت الأرض الحجارة ، ومن كان منهم شاذّاً فى الأرض ، وهو قول الله تعالى : ﴿فَجَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ﴾ ، ثم تتبّعهم فى القرى ، فكان الرجل يتحدث فيأتيه الحجر فيقتله ، فذلك قوله تعالى : ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ﴾[4] .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثنى ابن إسحاق ، قال : حدثنى محمد بن كعب القرظىّ ، قال : حُدِّثت أن الله تعالى بعث جبرئيل إلى المؤتفكة (قرية قوم لوط التى كان لوط فيهم) ، فاحتملها بجناحيه ثم أصعد[5] بها حتى إن أهل السماء[6] الدنيا ليسمعون[7] نابحة كلابها وأصوات دجاجها ، ثم كفأها على وجهها ثم أتبعها الله عز وجل بالحجارة ، يقول الله تعالى : ٣٤٣/١

(١) شذان القوم : المتفرقون منهم . (٢) سورة النجم ٥٣ .
(٣) فى الأصول « سقط » وما أثبته من التفسير .
(٤) الخبر فى التفسير ١٢ : ٥٩ بولاق
(٥) كذا فى ا ، ن ، وفى ط : « صعد » .
(٦) ساقطة من ا وفى ن : « أهل سماء الدنيا » .
(٧) ط : « يسمعون » وما أثبته من ا والتفسير .

﴿فَجَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ﴾ ، فأهلكها الله تعالى وما حولها من المؤتفكات ، وكُنَّ خمس قريات : صبعة[١] ، وصعرة[٢] ، وعمرة[٣] ، ودوما[٤] ؛ وسَدوم هى القرية العظمى ، ونجّى الله تعالى لوطًا ومَنْ معه من أهله ، إلا امرأته كانت فيمن هلك[٥] .

---

(١) ن : « صيعة » (٢) ن : صعوة » .
(٣) ب : « غمرة » . (٤) ب : « ورما » .
(٥) الخبر فى التفسير ١٢ : ٥٦ (بولاق) .

ذكر وفاة سارة بنت هاران، وهاجر أم إسماعيل وذكر أزواج إبراهيم عليه السلام وولده

قد ذكرنا فيما مضى قبل ما قيل فى مقدار عمر سارة أمّ إسحاق؛ فأما موضع وفاتها فإنه لا يدفع أهلُ العلم من العرب والعجم أنها كانت بالشأم.

وقيل: إنها ماتت بقرية الجبابرة من أرض كَنْعان فى حَبْرون، فدفنت فى مزرعة اشتراها إبراهيم. وقيل إن هاجر عاشت بعد سارة مدة.

فأما الخبر فبغيْر ذلك ورد. حدثنى موسى بن هارون، قال: حدثنا عمرو بن حماد، قال: حدثنا أسباط، عن السدىّ، بالإسناد الذى قد ذكرناه قبل.

١/٣٤٤ ثم إن إبراهيم اشتاق إلى إسماعيل، فقال لسارة: ائذنى لى أنطلق إلى ابنى فأنظر إليه، فأخذت عليه عهداً ألاّ ينزل حتى يأتيَها، فركب البُراق، ثم أقبل وقد ماتت أمّ إسماعيل، وتزوج إسماعيلُ امرأة من جُرْهُم.

وإن إبراهيم عليه السلام كثُر ماله ومواشيه. وكان سبب ذلك فيما حدثنا به موسى بن هارون، قال: حدثنا عمرو بن حماد، قال: حدثنا أسباط، عن السدىّ بالإسناد الذى قد ذكرناه قبل، أن إبراهيم عليه السلام احتاج — وقد كان له صديق يعطيه[1] ويأتيه — فقالت له سارة: لو أتيت خُلَّتك[2] فأصبت لنا منه طعامًا! فركب حماراً له، ثم أتاه، فلما أتاه تغيّب منه، واستحيا إبراهيم أن يرجع إلى أهله خائبًا، فمرّ على بطحاء، فملأ منها خُرْجه، ثم أرسل الحمار إلى أهله، فأقبل الحمار وعليه حنْطة جيدة، ونام إبراهيم عليه السلام فاستيقظ، وجاء إلى أهله، فوجد سارة قد جعلت له طعامًا، فقالت: ألا تأكل؟ فقال: وهل من شىء؟ فقالت: نعم من الحنطة التى جئت بها من عند خليلك، فقال: صدقت

---

(١) ر: «يقرضه». (٢) ط: «خليلك»؛ وهما سواء.

من عند خليلي جئت بها ، فزرعها فنبتت له ، وزكا زرْعه وهلكت زروع الناس ؛ فكان أصلُ ماله منها ، فكان الناس يأتونه فيسألونه فيقول : مَنْ قال : لا إله إلا الله فليدخل فليأخذ ؛ فمنهم من قال فأخذ ، ومنهم من أبى فرجع ،وذلك قوله تعالى : ﴿ فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ بِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ صَدَّ عَنْهُ وَكَفَى بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا ﴾(١). فلما كثر مالُ إبراهيم ومواشيه احتاج إلى السعة فى المسكن والمرعى ، وكان مسكنه ما بين قرية(٢) مدين – فيما قيل – والحجاز إلى أرض الشأم ، وكان ابن أخيه لوط نازلا معه ، فقاسم(٣) ماله لوطًا ، فأعطى لوطًا شطره فيما قيل، وخيّره مسكنًا يسكنه ومنزلا ينزله غير المنزل الذى هو به نازل ، فاختار لوط ناحية الأردنّ فصار إليها ، وأقام إبراهيم عليه السلام بمكانه ، فصار ذلك فيما قيل سببًا لآثاره بمكة وإسكانه إياها إسماعيل ، وكان ربما دخل أمصار الشأم . ١/٣٤٥

ولما ماتت سارة بنت هاران زوجة إبراهيم تزوج إبراهيم بعدها – فيما حدثنا ابن حميد، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق – قطورا بنت يقطن ؛ امرأة من الكنعانيين ، فولدت له ستة نفر: يقسان(٤) بن إبراهيم ، وزمران بن إبراهيم ؛ ومديان بن إبراهيم ، ويسبق بن إبراهيم ، وسوح بن إبراهيم ، وبسر بن إبراهيم ، فكان جميع بنى إبراهيم ثمانية بإسماعيل وإسحاق ، وكان إسماعيل بكْره أكبر ولده . قال : فنكح يقسان بن إبراهيم رعوة بنت زمر بن يقطن بن لوذان بن جرهم بن يقطن بن عابر ، فولدت له البربر ولِفّها. وولد زمران بن إبراهيم المزامير الذين لا يعقلون(٥) . وولد لمديان أهل مدين قوم شعيب بن ميكائيل النبى ، فهو وقومه من ولده بعثه الله عزّ وجلّ إليهم نبيًّا . ١/٣٤٦

حدثنى الحارث بن محمد ، قال : حدثنا محمد بن سعد ، قال : حدثنا

---

(١) سورة النساء ٥٥

(٢) كذا فى ا ، ر وفى ط : « برية » .

(٣) ب : « فاقتسم » . ن : « وقاسم » .

(٤) ا : بقشان » ، ن وابن الأثير : « نفسان » .

(٥) كذا فى ا ، ر ، وفى ط : « يعلمون » .

هشام بن محمد بن السائب، عن أبيه، قال: كان أبو إبراهيم من أهل حران، فأصابته سَنة من السنين، فأتى هُرمزجرد بالأهواز، ومعه امرأته أم إبراهيم، واسمها توتا[١] بنت كرينا[٢] بن كوثى، من بنى أرفخشد بن سام بن نوح.

وحدثنى الحارث، قال: حدثنا محمد بن سعد، قال: حدثنا محمد بن عمر الأسلمىّ عن غير واحد من أهل العلم قال: اسمها أنموتامن ولد أفراهم بن أرغوا بن فالغ بن عابر بن شالخ بن أرفخشد بن سام بن نوح. وكان بعضهم يقول: اسمها انمتلى بنت يكفور[٣].

حدثنى الحارث، قال: حدثنا محمد بن سعد، قال: أخبرنا هشام بن محمد، عن أبيه، قال: نهر كُوثَى كَرَاه كرينا جدّ إبراهيم من قبل أمه، وكان أبوه على أصنام الملك نمرود، فولد إبراهيم بهُرمزجرد، ثم انتقل إلى كُوثَى من أرض بابل، فلما بلغ إبراهيم وخالف قومه، دعاهم إلى عبادة الله، وبلغ[٤] ذلك الملك نمرود فحبسه فى السجن سبع سنين، ثم بنى له الحير[٥] بجصّ، وأوقد له الحطب الجزل، وألقى إبراهيم فيه، فقال: حسبى الله ونعم الوكيل! فخرج منها سليمًا لم يكلَم. /٣٤٧

حدثنى الحارث، قال: حدثنا محمد بن سعد، قال: حدثنا هشام بن محمد، عن أبيه، عن أبى صالح، عن ابن عباس، قال: لما هرب إبراهيم من كُوثَى، وخرج من النار ولسانه يومئذ سريانىّ، فلما عبرَ الفرات من حرّان غيّر الله لسانه فقيل: عبرانىّ، أى حيث عبر الفرات، وبعث نمرود فى أثره، وقال: لا تَدَعوا أحداً يتكلّم بالسريانية إلا جئتمونى به، فلقُوا إبراهيم عليه السلام فتكلم بالعبرانية، فتركوه ولم يعرفوا لغته.

حدثنى الحارث، قال: حدثنا ابن سعد، قال: أخبرنا هشام، عن أبيه قال: فهاجر إبراهيم من بابل إلى الشأم فجاءته سارة، فوهبت له نفسَها

---

(١) كذا فى ن (٢) كذا فى ر.
(٣) ا: «نكفور» (٤) ط: «بلغ».
(٥) ر: «الحفر».

فتزوجها ، وخرجت معه وهو يومئذ ابن سبع وثلاثين سنة ، فأتى حرّان، فأقام بها زمانًا ، ثم أتى الأردنّ فأقام بها زمانا ، ثم خرج إلى مصر فأقام بها زمانًا ، ثم رجع إلى الشأم فنزل السبع (أرضٌ بين إيليا وفلسطين) واحتفر بئرًا ، وبنى مسجداً . ثم إن بعض أهل البلد آذاه فتحوّل من عندهم ، فنزل منزلا بين الرملة وإيليا ، فاحتفر به بئراً أقام[1] به ، وكان قد وُسّع عليه فى المال والخدم ، وهو أوّل من أضاف الضيف، وأوّل من ثرَد الثريد ، وأوّل من رأى الشيب.

قال : وولد لإبراهيم عليه السلام إسماعيل وهو أكبر ولده – وأمه هاجر وهى قبْطية ،وإسحاق ،وكان ضرير[2] البصر ،وأمه سارة ابنة بتويل بن ناخور بن ساروع بن أرغوا بن فالغ بن عابر بن شالخ بن أرفخشد بن سام بن نوح– ١/٣٤٨ ومدن ، ومدين ، ويقسان، وزمران، وأسبق ، وسوح ؛ وأمهم قنطورا بنت مقطور[3] من العرب العاربة .

فأما يقسان فلحق بنوه بمكة ، وأقام مدن ومدين بأرض مدين ، فسميت به، ومضى سائرهم فى البلاد وقالوا لإبراهيم : يا أبانا أنزلت إسماعيل وإسحاق معك، وأمرتنا أن ننزل أرض الغربة والوحشة ! فقال: بذلك أمرت ، قال : فعلّمهم اسمًا من أسماء الله تبارك وتعالى، فكانوا يستسقون به ويستنصرون، فمنهم من نزل خراسان ، فجاءتهم الخزر فقالوا : ينبغى للذى علمكم هذا أن يكونَ خير أهل الأرض ، أو ملك الأرض ، قال : فسموا ملوكهم خاقان .

قال أبو جعفر : ويقال فى يسبق : يسباق ، وفى سوح : ساح .

وقال بعضهم : تزوج إبراهيم بعد سارة امرأتين من العرب ، إحداهما قَنْطورا بنت يقطان ، فولدت له ستة بنين ، وهم الذين ذكرنا ، والأخرى منهما حجور بنت أرهير ، فولدت له خمسة بنين : كيسان ، وشورخ ، وأميم ، ولوطان ، ونافس .

---

(١) ط : « فأقام » ، وما أثبته من ا .

(٢) ط : « وهو ضرير » ، وما أثبته من ا .

(٣) ط : « مفطور » ، وما أثبته من ا .

ذكر وفاة إبراهيم عليه السلام

فلما أراد الله تبارك وتعالى قبض روح إبراهيم صلى الله عليه وسلم، أرسل إليه[1] ملك الموت فى صورة شيخ هرم .

١/٣٤٩

فحدثنى موسى بن هارون ، قال : حدثنا عمرو بن حماد ، قال : حدثنا أسباط ، عن السدىّ بالإسناد الذى ذكرته قبل : كان إبراهيم كثير الطعام يطعم الناس ، ويضيفهم، فبينا هو يطعم الناس إذا هو بشيخ [كبير][2] يمشى فى الحَرّة[3] ، فبعث إليه بحمار، فركبه حتى إذا أتاه أطعمه ، فجعل الشيخ يأخذ اللقمة يريد أن يدخلها فاه ، فيدخلها عينَه وأذنَه ثم يدخلها فاه ، فإذا دخلت جوفه خرجت من دبره . وكان إبراهيم قد سأل ربه عزّ وجلّ ألاّ يقبض روحه حتى يكون هو الذى يسأله الموت ، فقال للشيخ حين رأى مِنْ حاله ما رأى : ما بالك يا شيخ تصنع هذا ؟ قال : يا إبراهيم ، الكِبَر ، قال : ابن كم أنت ؟ فزاد على عمر إبراهيم سنتين ، فقال إبراهيم : إنما بينى وبينك سنتان ، فإذا بلغت ذلك صرت مثلك ! قال : نعم ، قال إبراهيم : اللهم اقبضنى إليك قبل ذلك ، فقام الشيخ فقبض روحَه ، وكان ملك الموت .

ولما مات إبراهيم عليه السلام — وكان موته وهو ابن مائتى سنة ، وقيل ابن مائة وخمس وسبعين سنة — دفن عند قبر سارة فى مزرعة حبْرُون .

وكان مما[4] أنزل الله تعالى على إبراهيم عليه السلام من الصحف فيما قيل عشر صحائف ، كذلك حدثنى أحمد بن عبد الرحمن بن وهب ، قال : أخبرنى عمى عبد الله بن وهب ، قال : حدثنى الماضى بن محمد ، عن أبى سليمان، عن القاسم بن محمد، عن أبى إدريس الخولانىّ، عن أبى ذرّ الغفارىّ، قال : قلت : يا رسول الله ، كم كتاب أنزله الله ؟ قال : مائة كتاب وأربع

١/٣٥٠

---

(١) ر : « أرسل الله تعالى » (٢) من ا .
(٣) ا : « الحره » .
(٤) ن : « فيما » وفى ا : « كذلك حدثنى » .

كتب : أنزل الله عزّ وجلّ على آدم عليه السلام عشر صحائف ، وعلى شيث خمسين صحيفة ، وأنزل على أخنوخ ثلاثين صحيفة ، وأنزل على إبراهم عشر صحائف ، وأنزل جلّ وعزّ التوراة والإنجيل والزبور والفرقان . قلت : يا رسول الله، فما كانت صحف إبراهيم ؟ قال : كانت أمثالا كلها .

أيها الملك المسلّط المبتلَى المغرور ، إنى لم أبعثك لتجمع الدنيا بعضها إلى بعض ، ولكن بعثتك لتردّ عنى دعوةَ المظلوم ؛ فإنى لا أردّها[1] وإن كانت من كافر .

وكانت فيها أمثال : وعلى العاقل ما لم يكن مغلوبًا على عقله أن يكون له ساعات ؛ ساعة يناجى فيها ربّه ، وساعة يفكر فيها فى صنع الله عزّ وجلّ ، وساعة يحاسب فيها نفسه فيما قدم وأخر ، وساعة يخلو فيها لحاجته من الحلال فى المطعم[2] والمشرب . وعلى العاقل ألاّ يكون ظاعنًا إلاّ فى ثلاث : تزوّد لمعاده ، ومرمّة لمعاشه ، ولذة فى غير محرّم . وعلى العاقل أن يكون بصيراً بزمانه ، مقبلا على شانه ، حافظًا للسانه . ومَنْ حسب كلامه من عمله قل كلامه إلاّ فيما يعنيه .

٣٥١/١

* * *

وكان لإبراهيم — فيما ذكر — أخوَان يقال لأحدهما هاران — وهو أبو لوط ، وقيل إن هاران هو الذى بنى مدينة حرّان ، وإليه نسبت[3] — والآخر منهما ناحورا وهو أبو بتويل وبتويل[4] هو أبو لابان[5] ورفقا ابنة بتويل ، ورفقا امرأة إسحاق بن إبراهيم أم يعقوب ابنة بتويل ، وليّا وراحيل امرأتا يعقوب ابنتا لابان .

---

(١) فى ط : « لأردها » تصويب من مصححه ؛ والصواب ما فى الأصول .
(٢) ر : « من الحلال من المطعم » .
(٣) ط : « تنسب » ، وما أثبته من ا .
(٤) ا : « بويل » ، ر : « نبويل »
(٥) ا ، ن : « لا يان » .

ذكر خبر ولد إسماعيل بن إبراهيم
خليل الرحمن عليه السلام

قد مضى [1] ذكرُنا سبب مصير إبراهيم بابنه إسماعيل، وأمه هاجر إلى مكة وإسكانه إياهما بها . ولما كبر إسماعيل تزوج امرأة من جُرْهم ، فكان من أمرها ما قد تقدم ذكره ، ثم طلقها بأمر أبيه إبراهيم بذلك ، ثم تزوج أخرى يقال لها السيدة بنت مُضاض بن عمرو الجُرْهميّ ، وهي التي قال لها إبراهيم إذ قدم مكة، وهي زوجة إسماعيل: قولي لزوجك إذا جاء: قد رضيتُ لك عتبة بابك .

فحدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، عن ابن إسحاق، قال: ولد لإسماعيل ابن إبراهيم اثنا عشر رجلا ، وأمهم السيدة بنت مضاض بن عمرو الجرهميّ : نابت بن إسماعيل، وقيدر بن إسماعيل، وأدبيل بن إسماعيل، ومبشا بن إسماعيل، ومسمع بن إسماعيل، ودما بن إسماعيل، وماس بن إسماعيل ، وأدد بن إسماعيل ، ووطور بن إسماعيل، ونفيس بن إسماعيل، وطما بن إسماعيل، وقيدمان بن إسماعيل. ١/٣٥٢

قال : وكان عمر إسماعيل فيما يزعمون ثلاثين ومائة سنة ، ومن نابت وقيدر نشر الله العرب ، ونبّأ الله عزّ وجلّ إسماعيل، فبعثه إلى العماليق — فيما قيل — وقبائل اليمن .

وقد يُنطق أسماء أولاد إسماعيل بغير الألفاظ التي ذكرت عن ابن إسحاق ، فيقول بعضهم في قيدر : ،قيدار ، وفي أدبيل : أدبال ،وفي مبشا : مبشام، وفي دما : ذوما ومسا ، وحداد ، وتيم ، ويطور ، ونافس ، وقادمن [2] .

وقيل : إن إسماعيل لما حضرْته الوفاة أوصى إلى أخيه إسحاق وزوّج ابنته من العيص بن إسحاق ، وعاش إسماعيل فيما ذكر مائة وسبعا وثلاثين سنة ، ودفن في الحِجْر عند قبر أمه هاجر .

---

(١) ا ، ن : « ذكرنا قبل » .

(٢) وأسماؤهم في سفر التكوين ٢٥ : ١٣ : ينابوت ، وقيدار ، وأدبئيل ، ومبسام ، ومشماع ، ودومة ، ومسا ، وحدار ، وتيما ، ويطور ، ونافيس ، وقدمة .

٣١٥

حدثني عبدة بن عبد الله الصفار ، قال : حدثنا خالد بن عبد الرحمن المخزوميّ ، عن مبارك بن حسّان صاحب الأنماط ، عن عمر بن عبد العزيز، قال : شكا إسماعيل إلى ربه تبارك وتعالى حرَّ مكة فأوحى الله تعالى إليه : إنى فاتح لك بابًا من الجنة يجرى عليك روْحها إلى يوم القيامة . وفى ذلك المكان تدفن .

* * *

ونرجع الآن إلى :

إذ كان التأريخ غيرَ متصل على سياق معروف لأمة بعد الفرس غيرهم ؛ وذلك أن الفرس كان مُلْكهم متصلاً دائمًا من عهد جيومَرت الذى قد وصفت شأنه وخبره ، إلى أن زال عنهم بخير أمة أخرجت للناس، أمة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم . وكانت النبوة والملك متصليْن بالشأم ونواحيها لولد إسرائيل بن إسحاق إلى أن زال ذلك عنهم بالفرس والروم بعد يحيى بن زكرياء وبعد عيسى بن مريم عليهما السلام. وسنذكر إذا نحن انتهينا إلى الخبر عن يحيى وعيسى عليهما السلام سبب زوال ذلك عنهم إن شاء الله .

فأما سائر الأمم غير الفرس ، فإنه غير ممكن الوصول إلى علم التأريخ بهم ؛ إذ لم يكن لهم ملك متَّصل فى قديم الأيام وحديثه إلا مالا يمكن معه سياق التأريخ عليه وعلى أعمار ملوكهم، إلا ما ذكرنا من ولد يعقوب إلى الوقت الذى ذكرت[1] ، فإن ذلك وإن كانت مدته انقطعت بزواله عنهم ؛ فإن قدر مدة زواله عنهم إلى غايتنا هذه معلوم مبلغه . وقد كان لليمن ملوك لهم ملْك ، غير أنه كان غَير متصل ، وإنما كان يكون منهم الواحد بعد الواحد ، وبين الأول والآخر فترات طويلة ، لا يقف على مبلغها العلماء ، لقلة عنايتهم كانت بها ، ومبلغ عمر الأول منهم والآخر ، إذا لم يكن من الأمر الدائم، فإن /٣٥٤ دام منه شىء فإنما يدوم لمن دام له منهم بأنه عاملٌ لغيره فى الموضع الذى هو به لا يملكه[2] بنفسه ، وذلك كدوامه لآل نصر بن ربيعة بن الحارث بن مالك ابن عمرو بن نمارة بن لخم ؛ فإنهم كانوا على فرْج ثغر العرب للفرس من الحيرة إلى حدّ اليمن طولا وإلى حدود[3] الشأم وما اتصل بذلك[4] عرضًا، فلم يزل ذلك دائمًا لهم من عهد أردشير بابكان إلى أن قتل كسرى أبرويز بن هرمز بن أنوشروان النعمانَ بن المنذر ، فنقل عنهم ما كان إليهم من العمل على ثغر العرب إلى إياس بن قَبيصة الطائىّ .

(١) ا : « وصفت » .
(٢) ط : « لا يملك » وما أثبته من ا
(٣) ط : « حد » ، وما أثبته من ا .
(٤) ط : « به » ، ما أثبته من ا .

فحدثنا ابن حُميد، قال: حدثنا سلمة، عن ابن إسحاق، قال: نكح إسحاق بن إبراهيم رفقا بنت بتويل بن إلياس، فولدت له عيص بن إسحاق، ويعقوب ابن إسحاق، يزعمون أنهما كانا تَوْءمَيْن وأن عيصا كان أكبرهما. ثم نكح عيص بن إسحاق ابنة عمه بسمة ابنة إسماعيل بن إبراهيم، فولدت له الروم بن عيص، فكلُّ بنى الأصفر من ولده. قال: وبعض الناس يزعم أن الأشبان من ولده، ولا أدرى أمن ابنة إسماعيل أم لا.

ونكح يعقوب بن إسحاق — وهو إسرائيل — ابنة خاله ليّا ابنة لبان بن بتويل بن إلياس، فولدت له روبيل بن يعقوب، وكان أكبرَ ولده، وشمعون ابن يعقوب، ولاوى بن يعقوب، ويهوذا بن يعقوب، وزبالون[1] بن يعقوب، ويسحر بن يعقوب، ودينة ابنة يعقوب. وقد قيل فى يسحر إن اسمه «يشحر». ثم توفيت ليا بنت لبان فخلف يعقوب على أختها راحيل بنت لبان بن بتويل بن إلياس، فولدت له يوسف بن يعقوب، وبنيامين بن يعقوب — وهو بالعربية شداد — وولد له من سُرِّيَّتَيْن؛ اسم إحداهما زلفة، واسم الأخرى بلهة، أربعة نفر: دان بن يعقوب، ونفثالى[2] بن يعقوب، وجاد[3] بن يعقوب، وأشر[4] بن يعقوب، فكان بنو يعقوب اثنى عشر رجلا.

١/٣٥٥

وقد قال بعض أهل التوراة إن رفقا زوجة إسحاق هى ابنة ناهر بن آزر عمّ إسحاق، وإنها ولدت له ابنيه عيصا ويعقوب فى بطن واحد، وإن إسحاق أمر ابنه يعقوب ألاّ ينكح امرأةً من الكنعانيين، وأمره أن ينكح امرأةً من بنات خاله لبان بن ناهر، وأن يعقوب لما أراد النكاح مضى إلى خاله لبان ابن ناهر خاطبًا، فأدركه الليل فى بعض الطريق، فبات متوسِّداً حجراً، فرأى فيما يرى النائم أن سلمًا منصوبًا إلى باب من أبواب السماء عند رأسه، والملائكة تنزل وتعرج فيه، وأن يعقوب صار إلى خاله فخطب إليه ابنته راحيل، وكانت له ابنتان: ليا وهى الكبرى، وراحيل وهى الصغرى، فقال له: هل من مال أزوجك عليه؟ فقال يعقوب: لا، إلا أنى أخدُمك أجيراً حتى تستوفىَ صداق

١/٣٥٦

(١) ا، ب، ن: «ربالون». (٢) ن: «يفتالى».
(٣) ر: «وحادر». (٤) ن: «وأسر».

ابنتك ، قال : فإنّ صداقها أن تخدمنى سبع حجج. قال يعقوب : فزوجنى راحيل وهى شرطى ، ولها أخدُمك ، فقال له خاله : ذلك بينى وبينك ، فرعَى له يعقوب سبع سنين ، فلما وفّى له[1] شرطه دفع إليه ابنته الكبرى ليا . وأدخلها عليه ليلا ، فلما أصبح وجد غير ما شرط ، فجاءه يعقوب وهو فى نادى قومه فقال له : غررتَنى وخدعتنى واستحللت[2] عملى سبع سنين ، ودلّست علىّ غير امرأتى ، فقال له خاله : يا بن أختى ، أردت أن تُدخِل على خالك العار والسُّبَّة ، وهو خالُك ووالدك ، ومتى رأيتَ الناسَ يزوّجون الصغرى قبل الكبرى ! فهلمّ فاخدُمنى سبع حجج أخرى ، فأزوّجك أختَها — وكان الناس يومئذ يجمعون بين الأختين إلى أن بعث موسى عليه السلام وأنزل عليه التوراة — فرعى له سبعًا ، فدفع إليه راحيل ، فولدت له ليا أربعة أسباط : روبيل ، ويهوذا ، وشمعان ، ولاوى . وولدت له راحيل يوسف وأخاه بنيامين وأخوات لهما ، وكان لابان دفع إلى ابنتيه حين جهزهما إلى يعقوب أمَتَيْن فوهبتا الأمتين ليعقوب ، فولدت كلٌّ واحدة منهما له ثلاثة رهط من الأسباط ، وفارق يعقوب خاله ، وعاد حتى نازل أخاه عيصا .

١/٣٥٧ وقال بعضهم : ولد ليعقوب دان ونفتالى من زلفة جارية راحيل ؛ وذلك أنها وهبتها له وسألته أن يطلب منها الولد حين تأخر الولد عنها ، وأن ليا وهبت جاريتها بلهة ليعقوب منافسة لراحيل فى جاريتها ، وسألته أن يطلب منها الولد ، فولدت له جاد ، وأشير ، ثم ولد له من راحيل بعد اليأس يوسف وبنيامين ، فانصرف يعقوب بولده هؤلاء وامرأتيه المذكورتين إلى منزل أبيه من فلسطين على خوف شديد من أخيه العيص . فلم ير منه إلا خيراً ، وكان العيص فيما ذكر لحق بعمه إسماعيل ، فتزوج إليه ابنته بسمة وحملها إلى الشام ، فولدت له عدة أولاد فكثروا حتى غلبوا الكنعانيين بالشأم ، وصاروا إلى البحر وناحية الإسكندرية ثم إلى الروم . وكان العيص فيما ذكر يسمَّى آدم لأدْمته . قال : ولذلك سمى ولده

---

(١) ا : « فلما وفاه » ، وفى ر : « فلما تم » .

(٢) ر : « واشترطت على » .

ولد الأصفر ،وكانت[1] ولادة رفقا بنت بتويل لإسحاق بن إبراهم ابنيه العيص ويعقوب — بعد أن خلا من عمر إسحاق ستون سنة — توءمين فى بطن واحد، والعيص المتقدم منهما خروجا من بطن أمه ، فكان إسحاق فيما ذكر يختص العيص، وكانت[1] رفقا أمهما تميل إلى يعقوب،فزعموا أن يعقوب ختل العيص فى قربان قرّباه بأمر أبيهما إسحاق بعد ما كبرت سنّ إسحاق ، وضعف بصره، فصار أكثر دعاء إسحاق ليعقوب ، وتوجهت البركة نحوه بدعاء أبيه إسحاق له ، فغاظ ذلك العيص وتوعّده بالقتل ، فخرج يعقوب هاربًا منه إلى خاله لابان ببابل، فوصله لابان وزوّجه ابنتيه ليا وراحيل ، وانصرف بهما وبجاريتيهما وأولاده الأسباط الاثنى عشر وأختهم دينا إلى الشأم إلى منزل آبائه، وتألف أخاه العيص حتى نزل[2] له البلاد وتنقل فى الشأم ، حتى صار إلى السواحل.ثم عبر[3] إلى الروم فأوطنها[4]، وصار الملوك من ولده وهم اليونانية — فيما زعم هذا القائل .

١/٣٥٨

حدثنا الحسين بن عمرو بن محمد العنقزىّ [5] ، قال : حدثنا أبى، قال : أخبرنا أسباط ، عن السدىّ ، قال : تزوج إسحاق امرأة فحملت بغلامين فى بطن ، فلما أرادت أن تضعهما اقتتل الغلامان فى بطنها ، فأراد يعقوب أن يخرج قبل عيص ، فقال عيص : والله لئن خرجتَ قبلى لأعترضنّ فى بطن أمى ولأقتلنّها ، فتأخّر يعقوب ، وخرج عيص قبله ، وأخذ يعقوب بعقب عيص ، فخرج فسمى عيصًا لأنه عصى ، فخرج قبل يعقوب ، وسمى يعقوب لأنه خرج آخذاً بعقِب عيص ، وكان يعقوب أكبرهما فى البطن ، ولكنّ عيصًا خرج قبله ، وكبر الغلامان ، فكان عيص أحبّهما إلى أبيه ، وكان يعقوب أحبهما إلى أمه ، وكان عيص صاحب صيد ، فلما كبر إسحاق

---

(١) ط : « فكانت » وما أثبته من ا .

(٢) كذا فى ا ، ر وفى ط : « حتى ترك » .

(٣) ن : « حتى عبر » .

(٤) يقال : أوطن بمكان كذا ؛ إذا اتخذه وطناً .

(٥) فى الأصول : « العبقرى » ، تصحيف ؛ منسوب إلى بيع العنقز ، ذكره ابن الأثير فى اللباب ، ٢ : ١٥٦ .

وعمىَ، قال لعيص : يا بنىّ أطْعمنى لحم صيد واقترب منى أدع لك بدعاء دعا لى به أبى ، وكان عيص رجلاً أشعر ، وكان يعقوب رجلاً أجْرَد، فخرج عيص يطلب الصيد ، وسمعت أمه الكلام فقالت ليعقوب : يا بنىّ، اذهب إلى الغنم فاذبح منها شاة ثم اشوه ، والبس جلده وقدّمه إلى أبيك ، وقل له : أنا ابنك عيص ، ففعل ذلك يعقوب ، فلما جاء قال : يا أبتاه كُلْ ، قال : مَنْ أنت ؟ قال : أنا ابنكِ عيص، قال : فمسَّه، فقال: المسُّ مسُّ عيص، والريحُ ريح يعقوب، قالت أمه: هو ابنك عيص فادع له، قال: قدّم طعامك، فقدّمه فأكل منه ، ثم قال : ادن منى ، فدنا منه ، فدعا له أن يجعل فى ذريته الأنبياء والملوك ، وقام يعقوب ، وجاء عيص فقال : قد جئتك بالصيد الذى أمرتَنى به[1] ، فقال : يا بنى قد سبقك أخوك يعقوب ، فغضب عيص وقال: والله لأقتلنّه، قال: يا بنى قد بقيت لك دعوة ، فهلمّ أدع[2] لك بها ، فدعا له فقال : تكونَ ذريتُك عدداً كثيراً كالتراب ولا يملكهم أحدٌ غيرهم ، وقالت أم يعقوب ليعقوب : الحق بخالك فكن عنده خشية أن يقتلك عيص ، فانطلق إلى خاله، فكان يسرى بالليل ويكمن بالنهار، ولذلك سمى إسرائيل ، وهو سرىّ الله، فأتى خالَه وقال عيص: أما إذْ غلبتنى على الدعوى فلا تغلبنى على القبر ، أن أدفَن عند آبائى : إبراهيم وإسحاق ، فقال : لئن فعلتَ لتُدفننّ معه .

ثم إن يعقوب عليه السلام هوى ابنَة خاله ــ وكانت له ابنتان ــ فخطب إلى أبيهما الصغرى منهما ، فأنكحها إياه على أن يرعَى غنَمه إلى أجل مسمّى، فلما انقضى الأجل زفّ إليه أختها ليا ، قال يعقوب : إنما أردت راحيل ، فقال له خاله : إنا لا ينكح فينا الصغير قبل الكبير ، ولكن ارعَ لنا أيضًا وانكحها[3] ، ففعل . فلما انقضى الأجل زوّجه راحيل أيضًا ، فجمع يعقوب بينهما، فذلك قول الله: ﴿ وَأَن تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ﴾[4].

يقول : جمع يعقوب بين ليا وراحيل ، فحملت ليا فولدت يهوذا ،

---

(١) ر : « أردت » . (٢) : « أدعو » وكلاهما جائز .

(٣) ر : وانكحهما جميعاً » . (٤) سورة النساء ٢٣ .

وروبيل ، وشمعون . وولدت راحيل يوسف ، وبنيامين ، وماتت راحيل فى نفاسها ببنيامين ، يقول : من وجع النفاس [الذى ماتت فيه][١] .

وقطع خال يعقوب ليعقوب قطيعًا من الغنم ، فأراد الرجوع إلى بيت المقدس ، فلما ارتحلوا لم يكن له نفقة ، فقالت امرأة يعقوب ليوسف : خذ من أصنام أبى لعلنا نستنفق منه فأخذ ، وكان الغلامان فى حجْر يعقوب ، فأحبهما وعطف عليهما ليُتْمهما من أمهما ، وكان أحبَّ الخلق إليه يوسف عليه السلام ، فلما قدموا أرض الشأم ، قال يعقوب لراع من الرعاة : إن أتاكم أحدٌ يسألكم : مَنْ أنتم ؟ فقولوا : نحن ليعقوب عبد عيص ، فلقيهم عيص فقال : من أنتم ؟ قالوا : نحن ليعقوب عبْد عيص ، فكفَّ عيص عن يعقوب ، ونزل[٢] يعقوب بالشام ، فكان همّه يوسف وأخوه ، فحسده إخوته لما رأوا من حب أبيه له .

ورأى يوسف فى المنام كأنّ أحد عشر كوكبًا والشمس والقمر رآهم ساجدين له ، فحدث أباه بها فقال: ﴿ يا بُنىَّ لَا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى إخوتِك فيكِيدُوا لكَ كيدًا إنّ الشيطانَ لِلإنسانِ عَدُوٌّ مُبين﴾[٣] .

---

(١) تكملة من ا .

(٢) ا : « وترك »

(٣) سورة يوسف ٥

ذكر أيوب عليه السلام

٣٦١/ ومن ولده — فيما قيل — أيوب نبي الله؛ وهو فيما حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عمّن لا يُتّهم ، عن وهب بن منبّه ، أن أيوب كان رجلاً من الروم ، وهو أيوب بن موص بن رازح بن عيص بن إسحاق بن إبراهيم .

وأما غير ابن إسحاق فإنه يقول : هو أيوب بن موص بن رغويل بن العيص ابن إسحاق بن إبراهيم .

وكان بعضهم يقول : هو أيوب بن موص بن رعويل[1] . ويقول : كان أبوه ممن آمن بإبراهيم عليه السلام يوم أحرقه[2] نمرود ، وكانت زوجته التي أمر بضربها بالضِّغْث ابنةً ليعقوب بن إسحاق ، يقال : لها ليا ؛ كان يعقوب زوّجها منه .

وحدثني الحسين بن عمرو بن محمد ، قال : حدثنا أبي ، قال : أخبرنا غياث بن إبراهيم ، قال : ذكر — والله أعلم — أن عدوّ الله إبليس لقيَ امرأة أيوب — وذكر أنها كانت ليا بنت يعقوب — فقال : يا ليا ابنة الصدّيق وأخت الصدّيق . وكانت أم أيوب ابنة للوط بن هاران .

وقيل : إن زوجته التي أمِر بضربها بالضِّغْث هي رحمة بنت أفرائيم بن يوسف بن يعقوب ، وكانت لها البَثَنيّة[3] من الشام كلها بما فيها ، وكان — فيما ٣٦٢/ ذكر — عن وهب بن منبه في الخبر الذي حدثنيه محمد بن سهل بن عسكر البخاريّ ، قال : حدثنا إسماعيل بن عبد الكريم أبو هشام ، قال : حدثني عبد الصمد ابن معقل ، قال : سمعت وهب بنْ منبّه يقول : إن إبليس لعنه الله سمع تجاوب الملائكة[4] بالصلاة على أيوب ، وذلك حين ذكره الله تعالى وأثنى عليه ، فأدركه

---

(١) كذا في ا ، وفي ط : « رغويل » . (٢) ط : « إحراقه » ؛ وما أثبته عن ا .

(٣) البثنية ؛ ويقال البثنة ؛ ذكرها ياقوت وقال « اسم ناحية من نواحي دمشق ، وقال : وقيل : هي قرية بين دمشق وأذرعات ، عن الأزهري . وكان أيوب النبي عليه السلام منها » .

(٤) ر : « ملائكة السموات » .

البغيُ والحسد ، فسأل الله أن يسلِّطه عليه ليفتنه عن دينه[١] ، فسلَّطه الله على ماله دون جسده وعقله ، وجمع إبليس عفاريت الشياطين وعظماءهم ، وكان لأيوب البثَنيَّة من الشام كلّها بما فيها بين شرقها وغربها ، وكان بها ألف شاة برعاتها[٢] ، وخمسمائة فدّان يتبعها خمسمائة عبد، لكل عبد امرأة وولد ومال ، ويحمل آلة كل فدّان أتان، لكل أتان ولد؛ بين اثنين[٣] وثلاثة وأربعة وخمسة وفوق ذلك . فلما جمعهم إبليس، قال : ماذا عندكم من القوة والمعرفة ؟ فإني قد سُلِّطت على مال أيوب ؛ فهي المصيبة الفادحة والفتنة التي لا يصبر عليها الرجال . فقال كلُّ مَنْ عنده قوة على إهلاك شيء ما عنده[٤] . فأرسلهم فأهلكوا ماله كلّه ، وأيوب في كلّ ذلك يحمد الله ولا يَثنيه شيء أصيب به من ماله عن الجدّ في عبادة الله تعالى والشكر له على ما أعطاه ، والصبر على ما ابتلاه به . فلما رأى ذلك من أمره إبليس لعنه الله سأل الله تعالى أن يسلّطه على ولده ، فسلّطه عليهم ، ولم يجعل له سلطاناً على جسده وقلبه وعقله ، فأهلك ولده كلّهم، ثم جاء إليه متمثلا بمعلّمهم الذي كان يعلمهم الحكمة جريحاً مشدوخا يُرقِّقه حتى رقّ أيوب فبكى ، فقبض قبضة من تراب فوضعها على رأسه ، فَسُرّ بذلك إبليس، واغتنمه من أيوب عليه السلام .

٢٦٣/١

ثم إنّ أيوب تاب واستغفر ، فصعدت قرناؤه من الملائكة بتوبته فبدروا إبليس إلى الله عزّ وجلّ . فلما لم يثْن أيوب عليه السلام ما حلّ به من المصيبة في ماله وولده عن عبادة ربه ، والجدّ في طاعته ، والصبر على ما ناله ، سأل الله عزّ وجلّ إبليسُ أن يسلِّطه على جسده، فسلطه على جسده خلا لسانَه وقلبه وعقله ؛ فإنه لم يجعل له على ذلك منه سلطانا ، فجاءه[٥] وهو ساجد ، فنفخ في منخره نفخة اشتعل[٦] منها جسده ، فصارَ من جملة أمره إلى أن أنتن

(١) ن : « في دينه » .
(٢) ن : « يرعاها » .
(٣) كذا في ط ، وفي ا : « بين اثنين » .
(٤) ر : « ما عندهم » .
(٥) ط : « فجاء » ، وما أثبته من .
(٦) ن : « أشعل » .

جسده ، فأخرجه أهلُ القرية من القرية إلى كُناسة خارج القرية لا يقرَبه أحد إلا زوجته . وقد ذكرت اختلاف الناس فى اسمها ونسبها قبل .

ثم رجع الحديث إلى حديث وهب بن منبّه :

وكانت زوجته تختلف إليه بما يصلحه وتلزمه ، وكان قد اتبعه ثلاثة نفر على دينه . فلما رأوا ما نزل به من البلاء رفضوه واتّهموه من غير أن يتركوا دينه ؛ يقال لأحدهم بلدد ، وللآخر اليفز[1] وللثالث صافر[2]. فانطلقوا إليه وهو فى بلائه فبكّتوه ، فلما سمع أيوب عليه السلام كلامَهم أقبل على ربّه يستغيثه ويتضرّع إليه ، فرحمه ربُّه ورفع عنه البلاء ، وردّ عليه أهله ومَاله ومثلهم معهم ، وقال له : ﴿ارْكُضْ بِرِجْلِكَ هَٰذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ﴾[3]؛ فاغتسل به فعاد كهيئته قبل البلاء فى الحسن والجمال .

/٣٦٤

فحدثنى يحيى بن طلحة اليربوعىّ ، قال : حدثنا فُضيل بن عياض ، عن هشام ، عن الحسن ، قال : لقد مكث أيوب عليه السلام مطروحًا على كُناسة لبنى إسرائيل سبعَ سنين وأشهرا ، ما يسأل الله عزّ وجلّ أن يكشف ما به ، قال : فما على وجه الأرض أكرم على الله من أيوب ، فيزعمون أن بعض الناس قال : لو كان لربّ هذا فيه حاجة ما صنع به هذا ! فعند ذلك دعا .

حدثنى يعقوب بن إبراهيم ، قال : حدثنا ابن عُلَيَّة ، عن يونس ، عن الحسن ، قال : بقىَ أيوب عليه السلام على كُناسة لبنى إسرائيل سبع سنين وأشهرا اختلف فيها[4] الرواة .

فهذه جملة من خبر أيوب صلى الله عليه وسلم ، وإنما قدمنا ذكر خبره وقصته قبل خبر يوسف وقصته لما ذكر من أمره ، وأنه كان نبيًّا فى عهد يعقوب أبى يوسف عليهم السلام .

وذُكر أن عُمْر أيوب كان ثلاثًا وتسعين سنة ، وأنه أوصى عند موته إلى

---

(١) ا : « اليفر » ، ن : « النفر » . (٢) ا : « صافن » .

(٣) سورة ص ٤٢ . (٤) فى الأصول : « فيه » .

ابنه حومل[١] ، وأن الله عزّ وجلّ بعث بعده ابنه بشر بن أيوب نبيًّا ، وسماه ذا الكِفْل وأمره بالدعاء إلى توحيده ، وأنه كان مقيماً بالشأم عُمْرَه حتى مات ، وكان عمرُه خمسًا وسبعين سنة ، وأن بشرًا أوصى إلى ابنه عبدان ، وأن الله عزّ وجلّ بعث بعده شُعَيْبَ بن صيفون[٢] بن عيفا[٣] بن نابت[٤] بن مدين ابن إبراهيم إلى أهل مدين . ١/٣٦٥

وقد اختُلف فى نسب شُعَيْب فنسبه أهل التوراة النسب الذى[٥] ذكرت.

وكان ابن إسحاق يقول : هو شعيب بن ميكائيل من ولد مدين ، حدثنى بذلك ابن حُميد ، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق .

وقال بعضهم : لم يكن شعيب من ولد إبراهيم ، وإنما هو من ولد بعض مَنْ كان آمن بإبراهيم واتبعه على دينه ، وهاجر معه إلى الشأم ، ولكنه ابن بنت لوط ؛ فجدة شعيب ابنة لوط .

* * *

ذكر خبر شعيب صلى الله عليه

وقيل إن اسم شعيب يزون[٦] ، وقد ذكرت نسبه واختلاف أهل الأنساب فى نسبه ، وكان – فيما ذكر – ضرير البصر .

حدثنى عبد الأعلى بن واصل الأسدىّ ، قال : حدثنا أسيد بن زيد الجصاص ، قال : أخبرنا شريك ، عن سالم ، عن سعيد بن جُبَيْر فى قوله : ﴿وَإِنَّا لَنَرَاكَ فِينَا ضَعِيفاً﴾[٧] قال : كان أعمى .

---

(١) ن : « حرمل » .
(٢) ا « صيغون » .
(٣) ط : « عنقا » ، وما أثبته عن ا وابن الأثير .
(٤) كذا فى ا ، ن ، وفى ط : « ثابت » .
(٥) ن : « النسبة التى » .
(٦) كذا فى ا ، وفى ر : « بيروز » ، وفى ط : « يترون » .
(٧) سورة هود ٩١ .

حدثنا أحمد بن الوليد الرَّمْلىّ ، قال : حدثنا إبراهيم بن زياد وإسحاق ابن المنذر وعبد الملك بن يزيد ، قالوا : حدثنا شريك ، عن سالم ، عن سعيد ، ١/٣٦٦ مثــله .

حدثنى أحمد بن الوليد ، قال : حدثنا عمرو بن عون ومحمد بن الصباح ، قالا : سمعنا شريكا يقول فى قوله : ﴿وإِنَّا لَنَرَاكَ فِينَا ضَعِيفًا﴾ ، قال : أعمى .

حدثنى أحمد بن الوليد ، قال : حدثنا سعدويه ، قال : حدثنا عباد ، عن شريك ، عن سالم ، عن سعيد بن جبير ، مثله .

حدثنى المثنى ، قال : حدثنا الحِمَّانىّ ، قال : حدثنا عبَّاد ، عن شريك ، عن سالم ، عن سعيد : ﴿وإِنَّا لَنَرَاكَ فِينَا ضَعِيفًا﴾ ، قال : كان ضرير البصر .

حدثنى العباس بن أبى طالب ، قال : حدثنا إبراهيم بن مهدى المِصِّيصىّ ، قال : حدثنا خلف بن خليفة ، عن سفيان ، عن سالم ، عن سعيد بن جبير : ﴿وإِنَّا لَنَرَاكَ فِينَا ضَعِيفًا﴾ ، قال : كان ضعيف البصر[1]

حدثنى المثنى ، قال : حدثنا أبو نعَيْم ، قال : حدثنا سفيان ، قوله تعالى : ﴿ وإِنَّا لَنَرَاكَ فينا ضَعيفاً ﴾ ، قال : كان ضعيف البصر . قال سفيان : وكان يقال له خطيب الأنبياء ، وإن الله تبارك وتعالى بعثه نبيًّا إلى أهل مدين ، وهم أصحاب الأيكة — والأيكة الشجر الملتفّ — وكانوا أهلَ كفر بالله وبخس للناس فى المكاييل والموازين وإفساد لأموالهم ، وكان الله عزّ وجلّ وسَّع عليهم فى الرزق ، وبسط لهم فى العيش استدراجًا منه لهم ، مع كفرهم به ، فقال لهم شعيب عليه السلام : ﴿يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ وَلَا تَنْقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِنِّي أَرَاكُمْ بِخَيْرٍ وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُحِيطٍ﴾[2] .
١/٣٦٧ فكان من قول شعيب لقومه وجواب قومه له ما ذكره الله عزّ وجلّ فى كتابه .

---

(١) ا ، ن : «كان أعمى» .

(٢) سورة هود ٨٤

فحدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : قال ابن إسحاق : فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم — فيما ذكر لى يعقوب بن أبى سلمة — إذا ذكره قال : «ذاك خطيب الأنبياء». لحسْن مراجعته قومَه فيما يرادّهم به .

فلما طال تماديهم فى غَيّهم وضلالهم ، ولم يردّهم تذكير شُعيب إياهم ، وتحذيرهم عذاب الله [لهم] [1] وأراد الله تبارك وتعالى هلاكهم [2] ، سلط عليهم — فيما حدثنى الحارث — قال : حدثنا الحسن بن موسى الأشيب ، قال : حدثنى سعيد بن زيد أخو حماد بن زيد ، قال : حدثنا حاتم بن أبى صَغيرة ، قال : حدثنى يزيد الباهلىّ ، قال : سألتُ عبد الله بن عباس عن هذه الآية : ﴿فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ الظُّلَّةِ إِنَّهُ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ [3] ، فقال عبد الله بن عباس : بعث الله وَبَدةً [4] وحرًّا شديداً ، فأخذ بأنفاسهم فدخلوا أجواف البيوت ، فدخل [عليهم] [1] أجواف البيوت فأخذ بأنفاسهم ، فخرجوا من البيوت هرّاباً [5] إلى البرّية فبعث الله عزّ وجلّ سحابة ، فأظلتهم من الشمس ، فوجدوا لها برداً ولذة ، فنادى بعضُهم بعضًا ، حتى إذا اجتمعوا تحتها أرسل [6] الله عليهم ناراً ، قال عبد الله ابن عباس : فذاك عذابُ يوم الظلة ؛ ﴿إِنَّهُ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ .

حدثنى يونس بن عبد الأعلى ، قال : حدثنا ابن وهب ، قال : حدثنى جرير بن حازم أنه سمع قتادة يقول : بُعث شعيب إلى أمتين : إلى قومه أهل مدين ، وإلى أصحاب الأيكة ، وكانت الأيْكة من شجر ملتفّ ، فلما أراد الله عزّ وجلّ أن يعذّبهم بعث عليهم حرًّا شديداً ، ورفع لهم العذاب كأنه سحابة ، فلما دنت منهم خرجوا إليها رجاء بَرْدها ، فلما كانوا تحتها أمطرت [7] ٣٦٨/١

---

(١) من ا . (٢) ا : « إهلاكهم » .
(٣) سورة الشعراء ١٨٩
(٤) ابن الأثير : « وقدة » ؛ وهما بمعنى .
(٥) ر : « هربا » .
(٦) ن : « أرسلها » .
(٧) كذا فى ا وابن الأثير ، وهو أجود ؛ قال فى اللسان : «أمطرهم الله ، فى العذاب خاصة» ، وفى ط : « مطرت » .

عليهم ناراً، قال: فذلك قوله تعالى: ﴿ فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ الظلةِ ﴾.

حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: حدثنى أبو سفيان، عن معمَر بن راشد، قال: حدثنى رجل من أصحابنا عن بعض العلماء، قال: كانوا — يعنى قوم شعيب — عطَّلوا حدًّا، فوسع الله عليهم فى الرزق، ثم عطَّلوا حدًّا فوسع الله عليهم فى الرزق، فجعلوا كلما عطَّلوا حدًّا وسع الله عليهم فى الرزق، حتى إذا أراد الله هلاكهم سلَّط عليهم حرًّا لا يستطيعون أن يتقارُّوا، ولا ينفعهم ظل ولا ماء، حتى ذهب ذاهب منهم فاستظلّ تحت ظلة فوجدَ روْحا، فنادى أصحابَه: هلمُّوا إلى الروْح، فذهبوا إليه سراعًا؛ حتى إذا اجتمعوا ألهبها الله عليهم ناراً، فذلك عذاب يوم الظلة. ٣٦٩/١

حدثنا ابن بشار، قال: حدثنا عبد الرحمن، قال: حدثنا سفيان، عن أبى إسحاق، عن زيد بن معاوية فى قوله تعالى: ﴿فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ الظُّلَّةِ﴾، قال: أصابهم حرٌّ فاقلهم فى بيوتهم، فنشأت سحابة كهيئة الظُّلَّةِ فابتدروها، فلما ناموا تحتها أخذتهم الرَّجفة.

حدثنى محمد بن عمرو، قال: حدثنا أبو عاصم، قال: حدثنا عيسى. وحدثنى الحارث، قال: حدثنا الحسن، قال: حدثنا ورقاء، جميعًا عن ابن أبى نَجيح، عن مجاهد فى قوله: ﴿عَذَابُ يومِ الظُّلَّةِ﴾، قال: ظلال العذاب.

حدثنى القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: حدثنى حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد فى قوله: ﴿ فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ الظُّلَّةِ ﴾، قال: أظلّ العذابُ قوم شُعيب. قال ابن جريج: لما أنزل الله تعالى عليهم أول العذاب أخذهم منه حرٌّ شديد، فرفع الله لهم غمامة، فخرج إليها طائفة منهم ليستظلوا بها، فأصابهم منها برد وَروْح وريح طيبة، فصبَّ الله عليهم من فوقهم من تلك الغمامة عذابًا، فذلك قوله: ﴿عَذَابُ يَوْمِ الظُّلَّةِ إِنَّهُ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾.

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد في قوله : ﴿ فَأَخَذَهُمْ عذابُ يومِ الظُّلَّةِ إنه كَانَ عَذَابَ يومٍ عَظِيمٍ ﴾، قال : بعث الله عزّ وجلّ إليهم ظلة من سحاب ، وبعث الله إلى الشمس فأحرقت ما على وجه الأرض ، فخرجوا كلهم إلى تلك الظلة ؛ حتى إذا اجتمعوا كلُّهم كشف الله عنهم الظلة ، وأحمَى عليهم الشمس ، فاحترقوا كما يحترق الجراد في المِقْلَى .

١/٣٧٠

حدثنا القاسم ، قال : حدثنا الحسين ، قال : حدثنا أبو تُمَيْلة ، عن أبي حمزة ، عن جابر ، عن عامر ، عن ابن عباس ، قال : مَنْ حدّثك من العلماء ، ما عذاب يوم الظلة ، فكذّبه .

حدثني محمود بن خداش ، حدثنا حماد بن خالد الخياط ، قال ، حدثنا داود بن قيس ، عن زيد بن أسلم في قوله عزّ وجلّ : ﴿ أَصَلاَتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ ﴾[1]، قال : كان مما ينهاهم عنه حذف الدراهم — أو قال : قطع الدراهم ، الشكّ من حماد .

حدثنا سهل بن موسى الرازيّ ، قال : حدثنا ابن أبي فُدَيْك ، عن أبي مودود قال : سمعت محمد بن كعب القرظيّ يقول : بلغني أن قومَ شعيب عُذّبوا في قطع الدراهم ، ثم وجدت ذلك في القرآن : ﴿ أَصَلاَتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرُكَ ما يعبدُ آباؤنا أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ ﴾ .

حدثنا ابن وكيع ، قال : حدثنا زيد بن حُبَاب ، عن موسى بن عبيدة ، عن محمد بن كعب القرظيّ ، قال : عذب قوم شعيب في قطعهم الدراهم ، فقالوا : ﴿ يا شعيبُ أصلاتُك تأمُرك أنْ نترُكَ ما يعبد آباؤنا أو أن نفعلَ في أموالنا ما نشاء ﴾ .

١/٣٧١

* * *

ونرجع الآن إلى :

(١) سورة هود ٨٧ .

ذكر يعقوب وأولاده

ذكروا والله أعلم أن إسحاق بن إبراهيم عاش بعد ما ولد له العيص ويعقوب مائة سنة ، ثم توفى وله مائة وستون سنة فقبرَه ابناه : العيص ويعقوب عند قبر أبيه إبراهيم فى مزرعة حَبْرون [1] ، وكان عمر يعقوب بن إسحاق كله مائة وسبعًا وأربعين سنة ، وكان ابنهُ يوسف قد قُسِم له ولأمّه من الحسن ما لم يقسم لكثير من أحد من الناس .

وقد حدثنى عبدالله بن محمد وأحمد بن ثابت الرازيان، قالا : حدثنا عفان بن مسلم، قال : أخبرنا حماد بن سلمة، قال : أخبرنا ثابت [البنانىّ] [2] عن أنس عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، قال : «أعطى يوسف وأمّه شَطْر الحسن».

وأن أمه راحيل لما ولدتْه دفعه زوجها يعقوب إلى أخته تحضنه ، فكان من شأنه وشأن عمّته التى كانت تحضنه ما حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة، عن ابن إسحاق، عن عبد الله بن أبى نَجيح، عن مجاهد، قال: كان أول ما دخل على يوسف من البلاء فيما [3] بلغنى أن عمته ابنة إسحاق ، وكانت ١/٣٧٢ أكبر ولد إسحاق ، وكانت إليها صارت مِنْطقة إسحاق ، وكانوا يتوارثونها بالكِبَر ، فكان من اختانها مَن وليها كان له سَلَمًا [4] لا ينازَع فيه ، يصنع فيه ما شاء ، وكان يعقوب حين ولد له يوسف قد كان حضنتْه [5] عمته ، فكان معها وإليها ، فلم يحبّ أحد شيئًا من الأشياء حبَّها إياه ، حتى إذا ترعرع

---

(١) فى الأصول : «جيرون» ؛ وفى ياقوت : «حبرون» ، بالفتح ثم السكون وضم الراء وسكون الواو ونون : اسم القرية التى فيها قبر إبراهيم الخليل عليه السلام بالبيت المقدس» .

(٢) من ا .

(٣) كذا فى أ ، ح ، وفى ط : «مابلغنى» .

(٤) السلم هنا : الأسير .

(٥) كذا فى ا ن والتفسير ، وفى ط : «حضنه» .

وبلغ سنوات ، ووقعت نفس يعقوب عليه، أتاها فقال : يا أخيَّة[1] سلِّمِي إلىّ يوسف ، فوالله ما أقدر على أن يغيب عنى ساعة ، قالت : والله[2] ما أنا بتاركته ؛ قال : فوالله ما أنا بتاركه . قالت : فدعه عندى أياماً أنظر إليه وأسكن عنه ، لعلّ ذلك يسلّينى عنه — أو كما قالت — فلما خرج من عندها يعقوب عمدت إلى منطقة إسحاق فحزمتها على يوسف من تحت ثيابه، ثم قالت : لقد فقدت منطقة إسحاق، فانظروا مَنْ أخذها ومن أصابها ، فالتُمست ثم قالت : كَشِّفوا أهل البيت ، فكشَّفوهم فوجدوها مع يوسف ، فقالت : والله إنه لى لَسَلَم أصنع فيه ما شئت. قال : وأتاها يعقوب فأخبرته الخبر ، فقال لها : أنت وذاك ، إن كان فعل ذلك فهو سَلَم لك، ما أستطيع غير ذلك فأمسكته ، فما قدر عليه يعقوب حتى ماتت . قال : فهو الذى يقول إخوة يوسف حين صنع بأخيه ما صنع حين أخذه : ﴿ إِنْ يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَهُ مِنْ قَبْلُ ﴾[3] . ٢٧٢/١

قال أبو جعفر : فلما رأت إخوة يوسف شدةَ حبِّ والدهم يعقوب إياه فى صباه وطفولته وقلّة صبره عنه حسدوه على مكانه[4] منه ، وقال بعضهم لبعض: ﴿ لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَى أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ ﴾، يعنون بالعصبة الجماعة، وكانوا عشرة: ﴿ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴾[5] .

ثم كان من أمره وأمر يعقوب ما قد قصّ الله تبارك وتعالى فى كتابه من مسألتهم إياه إرساله إلى الصحراء معهم ، ليسعى وينشط ويلعب ، وضمانِهم[6] له حفظَه ، وإعلام يعقوب إياهم حزنَه بمغيبه عنه ، وخوفه عليه من الذئب ، وخداعهم والدهم بالكذب من القول والزور عن يوسف ، ثم إرساله معهم

---

(١) ح : « يا أختاه » .
(٢) ط : « فوالله » ، وما أثبته من ا .
(٣) سورة يوسف ٧٧ ، والخبر فى التفسير ١٣ : ٢١ (بولاق) .
(٤) ح : « لمكانه » . وفى ر : « حسدوا مكانه » .
(٥) سورة يوسف ٨ .
(٦) ح : « فى ضمانهم » .

وخروجهم به وعزمهم حين برزوا به إلى الصحراء على إلقائه فى غيابة الجب ، فكان من أمره حينئذ — فيما ذُكر — ما حدثنا ابنُ وكيع ، قال : حدثنا عمرو بن محمد العنقزىّ ، عن أسباط ، عن السدىّ قال : أرسله — يعنى يعقوبُ يوسفَ — معهم ، فأخرجوه وبه عليهم كرامة ، فلما برزوا إلى البرّيّة أظهروا له العداوة ، وجعل أخوه يضربه فيستغيث بالآخر فيضربه ، فجعل لا يرى منهم رحيماً ، فضربوه حتّى كادوا يقتلونه ، فجعل يصيح ويقول : يا أبتاه يا يعقوب! لو تعلم[1] ما يصنع بابنك بنو الإماء ! فلما كادوا يقتلونه[2] ، قال يهوذا : أليس قد أعطيتمونى موثقًا ألاتقتلوه ! فانطلقوا به إلى الجبّ ليطرحوه ، فجعلوا يُدْلونه فى البئر فيتعلق بشفيرها[3] ، فربطوا يديه ، ونزعوا قميصه ، فقال : يا إخوتاه ، ردُّوا علىّ قميصى أتوارَى به فى الجبّ ! فقالوا : ادع الشمس والقمر والأحد عشر كوكبًا تؤنسك ، قال : إنى لم أر شيئًا ، فدلّوه فى البئر حتّى إذا بلغ نصفَها ألقوه إرادةَ أن يموت ، فكان فى البئر ماء ، فسقط فيه ، ثم أوى إلى صخرة فيها ، فقام عليها ، فلما ألقَوْه فى الجبّ جعل يبكى ، فنادوْه ، فظنّ أنّها رحمة أدركتهم ، فأجابهم ، فأرادوا أن يرضخوه بصخرة[4] فيقتلوه ، فقام يهوذا ، فمنعهم وقال : قد أعطيتمونى موثِقًا ألاّ تقتلوه ، وكان يهوذا يأتيه بالطعام .

٣٧٤/١

ثم خبره تبارك وتعالى عن وحيه إلى يوسف عليه والسلام وهو فى الجب ليُنَبِّئَنّ إخوته الذين فعلوا به ما فعلوا بفعلهم ذلك وهم لا يَشْعُرونَ بالوحى الذى أوحىَ إلى يوسف . كذلك روى ذلك عن قتادة . حدثنا محمد بن عبد الأعلى الصنعانىّ ، قال : حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة : ﴿ وأوحينا إليه لَتُنَبِّئَنَّهُمْ بِأَمْرِهِمْ هٰذَا ﴾ ، قال : أوحى إلى يوسف وهو فى الجبّ أن ينبّئهم بما صنعوا به ﴿ وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ ﴾[5] بذلك الوحى .

---

(١) ط : « لم تعلم » ومنه أثبته من ا .
(٢) ر ، ن : « أن يقتلوه » .
(٣) شفير البئر : أعلاها ، وفى ب ، ن : « بشفير البئر » .
(٤) ا : « بالحجارة » .
(٥) سورة يوسف ١٥ .

حدثنى المثنّى ، قال : حدثنا سويد ، قال : أخبرنا ابن المبارك ، عن معمر ، عن قتادة بنحوه ، إلا أنه قال : أن سينبئُهم . ١/٣٧٥

وقيل معنى ذلك : وهم لا يشعرون أنه يوسف ، وذلك قول يروى عن ابن عباس ؛ حدثنى بذلك الحارث ، قال : حدثنا عبد العزيز ، قال : حدثنا صدقة بن عبادة الأسدىّ ، عن أبيه ، قال : سمعت ابن عباس يقول ذاك[1] ، وهو قول ابن جريج .

ثم خبره تعالى عن إخوة يوسف ومجيئهم إلى أبيه عشاءً يبكون ، يذكرون له أن يوسف أكله الذئب ، وقول والدهم : ﴿بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ﴾[2] .

ثم خبّره جلّ جلاله عن مجىء السيارة ، وإرسالهم واردهم ، وإخراج الوارد يوسف وإعلامه أصحابه به بقوله : ﴿يَا بُشْرَاىٰ هَذَا غُلَامٌ﴾[3] يبشرهم[4] .

حدثنا بِشْر بن مُعَاذ ، قال : حدثنا يزيد ، قال : حدثنا سعيد ، عن قتادة ، قال : ﴿يَا بُشْرَاىٰ هَذَا غُلَامٌ﴾ ، تباشروا به حين أخرجوه — وهى بئر بأرض بيت المقدس معلوم مكانها .

* * *

وقد قيل : إنما نادى الذى أخرج يوسف من البئر صاحبًا له يسمى بُشْرى ، فناداه باسمه الذى هو اسمه . كذلك ذكر عن السُّدّىّ . حدثنا الحسن بن محمد ، حدثنا خلف بن هشام ، قال : حدثنا يحى بن آدم ، عن قيس بن الربيع ، عن السدىّ فى قوله : ﴿يا بُشْراى﴾ ، قال : كان اسم صاحبه بشرى . ١/٣٧٦

---

(١) ا : « ذلك » .

(٢) سورة يوسف ١٨ .

(٣) سورة يوسف ١٩ .

(٤) ح : « فبشرهم » .

حدثنى المثنّى ،قال : حدثنا عبد الرحمن بن أبى حماد ، قال : حدثنا الحكم بن ظهير ، عن السدّى فى قوله: ﴿يَا بُشْرَاىَ هَذَا غُلَامٌ﴾ ،قال: اسم الغلام بشرى ، كما تقول: يا زيد .

* * *

ثم خبره عزّ وجلّ عن السيارة وواردهم الذى استخرج يوسف من الجبّ إذ اشتروه من إخوته ﴿بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ﴾[1] ،على زُهْد فيه وإسرارهم إياه بضاعة ، خيفة ممن معهم من التجار مسألتهم الشركة فيه ، إن هم علموا أنهم اشتروه .

كذلك قال فى ذلك أهل التأويل :

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : حدثنا أبو عاصم ، قال : حدثنا عيسى [عن][2] ابن أبى نَجيح ،عن مجاهد :﴿وَأَسَرُّوهُ بِضَاعَةً﴾[1] ، قال: صاحب الدلو ومن معه قالوا لأصحابهم : إنا استبضعناه[3] خيفة أن يستشركوهم فيه إن علموا بثمنه ، وتبعهم إخوته يقولون للمُدلى وأصحابه : استوثقوا منه لا يأبَق ، حتى وقفوه بمصر فقال : مَنْ يبتاعنى ويبشّر! فاشتراه الملك ، والملك مُسلم[4] .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : حدثنا شبابة ، قال : حدثنا ورقاء ، عن ابن أبى نَجيح ، عن مجاهد بنحوه ؛ غير أنه قال : خيفة أن يستشركوهم إن علموا به ،واتبعهم إخوته ، يقولون للمدلى وأصحابه : استوثقوا منه لا يأبق حتى وقفوه بمصر . /٢٧٧

حدثنا ابن وكيع ، قال ، حدثنا عمرو بن حماد ، عن أسباط ، عن السدىّ: ﴿وَأَسَرُّوهُ بِضَاعَةً﴾ ، قال : لما اشتراه الرجلان فرقوا من الرفقة أن يقولوا: اشتريناه فيسألونَهم الشركة فيه فقالوا: إن سألونا : ما هذا ؟ قلنا: بضاعة، استبضعناه[3] أهل الماء، فذلك قوله :﴿وَأَسَرُّوهُ بِضَاعَةً﴾ .

---

(١) سورة يوسف ٢٠ (٢) تكملة من ا والتفسير .

(٣) كذا فى ا ، ح والتفسير ،وفى ط : « استبضعناها » .

(٤) الخبر فى التفسير ١٢ : ١٠٠ (بولاق) .

فكان بيعهم إياه ممن باعوه منه بثمن بخس ، وذلك الناقص القليل من الثمن الحرام .

وقيل إنهم باعوه بعشرين درهمًا ، ثم اقتسموها — وهم عشرة — درهمَين درهمين، وأخذوا العشرين معدودة بغير وزن؛ لأن الدراهم حينئذ — فيما قيل — إذا كانت أقلّ من أوقية وزنها أربعون درهمًا لم تكن توزن ، لأن أقلّ أوزانهم يومئذ كانت أوقية .

وقد قيل : إنهم باعوه بأربعين درهمًا . وقيل : باعوه باثنين وعشرين درهمًا .

وذكر أن بائعه الذى باعه بمصر كان مالك بن دعر بن يوبب[٢] ابن عفقان بن مديان بن إبراهيم الخليل عليه السلام . حدثنا بذلك ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة، عن ابن إسحاق، عن محمد بن السائب ، عن أبي صالح، عن ابن عباس .

وأما الذى اشترّاه بها وقال : ﴿لِامْرَأَتِهِ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ﴾[٣]؛فإن اسمه — فيما ذكر عن ابن عباس — قُطْفير[٤] . حدثني محمد بن سعد، قال : حدثني أبي ، قال : حدثني عمي ، قال : حدثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قال : كان اسم الذى اشترّاه قطفير. ٣٧٨/١

وقيل إن اسمه أطفير ، بن رُوحيب[٥] ، وهو العزيز ، وكان على خزائن مصر ، والملك يومئذ الرَّيان بن الوليد ، رجل من العماليق ، كذلك حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة، عن ابن إسحاق .

فأما غيره فإنه قال : كان يومئذ الملك بمصر وفرعونها الريَّان بن الوليد بن ثروان بن أراشة بن قاران بن عمرو بن عملاق بن لاوذ بن سام بن نوح .

---

(١) : « ذعر » .

(٢) ا ، ن : يويب ، ر : « تويب » . (٣) سورة يوسف ٢١ .

(٤) كذا فى ط وهو يوافق ما فى ابن الأثير : ١ : ٨٠ ، وفى ا : « قطفين» ، وفى ن : «قطمين» ، واسمه فى سفر التكوين ٣٩ : ١ : « فوطيفار » .

(٥) ا : « رحيب » ، ر : « روحيت » .

وقد قال بعضهم : إن هذا الملك لم يمت حتى آمن واتّبع يوسف على دينه ، ثم مات ويوسف بعدُ حىٌّ ، ثم ملك بعده قابوس بن مُصعب بن معاوية بن نمير بن السلواس بن قاران بن عمرو بن عملاق بن لاوذ بن سام بن نوح عليه السلام ، وكان كافراً، فدعاه يوسف إلى الإسلام فأبى أن يقبل .

وذكر بعضُ أهل التوراة أن فى التوراة: أنّ الذى كان من أمر يوسف وإخوته والمصير به إلى مصر ، وهو ابن سبع عشرة سنة يومئذ ، وأنه أقام فى منزل العزيز الذى اشتراه ثلاث عشرة سنة ، وأنه لما تمّتْ له ثلاثون سنة استوزره فرعون مصر ؛ الوليد بن الرّيان ، وأنه مات يوم مات وهو ابن مائة سنة وعشر[1] سنين وأوصى إلى أخيه يهوذا ، وأنه كان بين فراقه يعقوب واجتماعه معه بمصر اثنتان وعشرون سنة ، وأن مقام يعقوب معه بمصر بعد موافاته بأهله سبع عشرة سنة ، وأن يعقوب صلى الله عليه وسلم أوصى إلى يوسف عليه السلام .

/٣٧٩

وكان دخول يعقوب مصر فى سبعين إنسانًا من أهله ، فلما اشترى أطفير يوسف ، وأتى به منزله، قال لأهله واسمها — فيما حدثنا ابن حميد، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق — راعيل : ﴿ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا ﴾ فيكفينا إذا هو بلغ وفهم الأمورَ بعضَ ما نحن بسبيله من أمورنا : ﴿ أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَداً ﴾، وذلك أنه كان — فيما حدثنا به ابن حميد، قال: حدثنا سلمة عن ابن إسحاق — رجلاً لا يأتى النساء، وكانت امرأته راعيل حسناء ناعمة فى مُلك ودنيا ، فلما خلا من عمْر يوسف عليه السلام ثلاث وثلاثون سنة أعطاه الله عزّ وجلّ الحكم والعلم .

حدثنى المثنى ، قال : حدثنا أبو حذيفة ، قال : حدثنا شبل ، عن ابن أبى نَجيح ،عن مجاهد: ﴿ آتَيْنَاهُ حُكْماً وَعِلْماً ﴾[2] :قال : العقل والعلم قبل النبوة .

* * *

(١) ح : « وعشرين سنة » .

(٢) سورة يوسف ٢٢ .

﴿ وَرَاوَدَتْهُ ﴾ حين بلغ من السنّ أشدّه [١] ﴿ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ ﴾ – وهى راعيل امرأة العزيز أطفير – ﴿ وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ ﴾ [٢] عليه وعليها للّذى أرادت منه ، وجعلت – فيما ذكر – تذكر ليوسف محاسنه تشوقه بذلك إلى نفسها .

* . ذكر من قال ذلك .

١/٣٨٠ حدثنا ابن وكيع ، قال : حدثنا عمرو بن محمد ، عن أسباط ، عن السدىّ: ﴿ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا ﴾ [٣] ، قال : قالت له يا يوسف : ما أحسن شعرَك! قال : هو أول ما ينتثر من جسدى ، قالت : يا يوسف ما أحسن عينيك ! قال : هى أولُ ما يسيل إلى الأرض من جَسدى ، قالت : يا يوسف ما أحسنَ وجهك ! قال : هو للتّراب يأكله ، فلم تزل حتّى أطمعته فهمّت به وهمّ بها ، فدخلا البيتَ وغلّقت الأبواب ، وذهب ليحلّ سراويله فإذا هو بصورة يعقوب قائمًا فى البيت قد عضّ على إصبعه يقول : يا يوسف لا تواقعها ، فإنما مثَلُك ما لم تواقعها مثلُ الطير فى جوّ السماء لا يطاق ، ومثلك إن واقعتَها مثَله إذا مات وقع فى الأرض لا يستطيع أن يدفع عن نفسه . ومثَلك ما لم تواقعها مثلُ الثور الصَّعْب الذى لا يعمل عليه ، ومثَلك إن واقعتها مثل الثور حين يموت فيدخل النمل فى أصل قرنيه لا يستطيع أن يدفع عن نفسه . فربط سراويله ، وذهب ليخرج يشتدّ ، فأدركته فأخذت بمؤخر قميصه من خلْفه فخرقته حتّى أخرجته منه ، وسقط وطرحه يوسف ، واشتدّ نحو الباب .

وقد حدثنا أبو كريب وابن وكيع وسهل بن موسى ، قالوا : حدثنا ابن عيينة عن عثمان بن أبى سليمان ، عن ابن أبى مليْكة ، عن ابن عباس : سئل عن همّ يوسف ما بلغ ؟ قال : حلّ الهميان ، وجلس منها مجلس الخائن [٤] . ١/٣٨١

(١) ا ، ن ، : « بلغ السن الأشد » . (٢) سورة يوسف ٢٣

(٣) سورة يوسف ٢٥ ، والخبر فى التفسير ١٢ : ١٠٨ (بولاق) .

(٤) ا : « الخاتن » . وكذلك فى التفسير ١٢ : ١٠٩ (بولاق) .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : حدثنا حجاج بن محمد، عن ابن جريج، قال : أخبرنا عبد الله بن أبي مُلَيكة ، قال : قلت لابن عباس : ما بلغ من همّ يوسف ؟ قال : استلقتْ له وجلس بين رجليها ينزع ثيابَه، فصرف الله تعالى عنه ما كان همّ به من السوء بما رأى من البرهان الذى أراه الله، فذلك[1] — فيما قال بعضُهم — صورة يعقوب عاضًّا على إصبعه .

وقال بعضهم : بل نودى من جانب البيت : أتزنى فتكون كالطير وقع ريشه، فذهب يطير ولا ريش له !

وقال بعضهم: رأى فى الحائط مكتوبًا : ﴿ وَلاَ تَقْرَبُوا الزِّنَا إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلاً ﴾[2] فقام حين رأى بُرْهان ربه هاربًا يريد باب البيت ، فراراً مما أرادته ، واتبعته راعيل فأدركتْه قبل خروجه من الباب ، فجذبته بقَميصه من قِبَل ظهره، فقدّت قميصَه وألفى يوسف وراعيل سيّدها — وهو زوجها أطفير — جالسًا عند الباب ، مع ابن عمّ لراعيل .

كذلك حدثنا ابن وكيع ، قال : حدثنا عمرو بن محمد ، عن أسباط ، عن السدىّ ، : ﴿وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَى الْبَابِ ﴾ .[3] قال :كان جالسًا عند الباب وابن عمها معه، فلما رأته قالت: ﴿ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلَّا أَنْ يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾[4]؛ إنه راودنى عن نفسى ، فدفعته عن نفسى فأبيت فشققت قميصه . قال يوسف : بل هى رَاوَدَتْنِى عَنْ نَفْسِى ، فأبيت وفررت منها ، فأدركتنى فشقّتْ قميصى . فقال ابن عمها : تبيان هذا فى القميص ، فإن كان القميص ﴿ قُدَّ مِن قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴾[5]، وإن كان القميص ﴿قُدَّ مِنْ دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾[5]، فأتى بالقميص ، فوجده قدّ من دُبر، قال : ﴿ إِنَّهُ مِنْ كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ

٣٨٢/١

---

(١) ا : « أراه الله به، وذلك » . (٢) سورة الإسراء ٣٢ .
(٣) سورة يوسف ٢٥ . (٤) سورة يوسف ٢٦ .
(٥) سورة يوسف ٢٧ .

عَظِيمٌ * يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَا وَٱسْتَغْفِرِي لِذَنبِكِ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ ٱلْخَاطِئِينَ ﴾(١).

حدثني محمد بن عمارة ، قال : حدثنا عبيد الله بن موسى ، قال : أخبرنا شيبان ، عن أبي إسحاق ، عن نوْف الشاميّ ، قال : ما كان يوسف يريد أن يذكره حتى قالت: ﴿ ما جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلَّا أَنْ يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾(٢)، قال : فغضب وقال : ﴿ هِيَ رَاوَدَتْنِي عَنْ نَفْسِي ﴾ .

* * *

وقد اختلف في الشاهد الذي شهد من أهلها ﴿ إِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴾، فقال بعضهم: ما ذكرت عن السديّ .

وقال بعضهم : كان صبيًّا في المهد ، وقد روى في ذلك عن رسول الله ما حدثنا الحسن بن محمد ، قال : حدثنا عفان بن مسلم ، قال : حدثنا حماد، قال : أخبرنا عطاء بن السائب ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال : « تكلم أربعة وهم صغار » ، فذكر فيهم شاهد يوسف .

٣٨٣/١ حدثنا ابن وكيع ، قال : حدثنا العلاء بن عبد الجبار ، عن حماد بن سلمة ، عن عطاء بن السائب ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس، قال : تكلّم أربعة وهم صغار : ابنُ ماشطة ابنة فرعون ، وشاهد يوسف ، وصاحب جريج ، وعيسى بن مريم .

* * *

وقد قيل إن الشاهد كان هو القميص وقدّه من دبره .

* ذكر بعض من قال ذلك :

حدثني محمد بن عمرو ، قال : حدثنا أبو عاصم ، قال : حدثنا عيسى ، عن ابن أبي نَجيح ، عن مجاهد في قول الله عزّ وجلّ : ﴿ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ أَهْلِهَا ﴾

---

(١) سورة يوسف ٢٨ ، ٢٩ .

قال : قميصه مشقوق من دُبره فتلك الشهادة ، فلما رأى زوجُ المرأة قميص يوسف قُدّ من دبر قال لراعيل زوجته : ﴿إنه من كَيْدِكُنّ إنّ كَيْدَكُنّ عَظِيمٌ﴾، ثم قال ليوسف : أعرض عن ذكر ما كان منها من مراودتها إياك عن نفسها فلا تذكره لأحد، ثم قال لزوجته: ﴿استغفِرِى لِذَنْبِكِ إنَّكِ كُنْتِ من الخاطئين﴾.

وتحدثْ النساء بأمر يوسف وأمر امرأة العزيز بمصر ومراودتها إياه على نفسها فلم ينكتم، وقلن: ﴿امْرَأَةُ العَزِيزِ تُرَاوِدُ فتَاهَا عَنْ نَفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا﴾،[1] قد وصل حبّ يوسف إلى شغاف قلبها فدخل تحته حتى غلب على قلبها . وشغاف القلب : غلافه وحجابه .

حدثنا ابن وكيع ، قال : حدثنا عمرو بن محمد ، عن أسباط ، عن السدىّ: ﴿قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا﴾ قال : والشغاف جلدة على القلب[2] يقال لها لسان القلب ؛ يقول : دخل الحبّ الجلد حتى أصاب القلب ، فلما سمعت امرأة العزيز بمكرهن وتحدثهن بينهنّ بشأنها وشأن يوسف ، وبلغها ذلك أرسلت إليهنّ وأعتدت لهن مُتكأ يتّكئن عليه إذا حضرنها من وسائد . وحضرنها فقدّمت إليهنّ طعامًا وشرابًا وأترُجًّا، وأعطتْ كُلّ واحدة منهن سكينًا تقطع به الأترجّ .

١/٣٨٤

حدثنى سليمان بن عبد الجبار ، قال : حدثنا محمد بن الصلت ، قال : حدثنا أبو كُدَيْنَة ، عن حُصَين ، عن مجاهد ، عن ابن عباس: ﴿وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَأً وَآتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ سِكِّيناً﴾ ، قال : أعطتهن أترُجًّا، وأعطت كلّ واحدة منهن سكينًا .

فلما فعلت امرأةُ العزيز ذلك بهنّ ، وقد أجلست يوسف فى بيت ومجلس غير المجلس الذى هنّ فيه جلوس ، قالت ليوسف : ﴿اُخْرُجْ عَلَيْهِنَّ﴾،

---

(١) يوسف ٣٠ .
(٢) ن : « فى القلب » .

فخرج يوسف عليهن ، فلما رأينه أجللنه وأكبرنه وأعظمنه ، وقطّعن أيديهن بالسكاكين التي في أيديهن ، وهن يحسبن أنهن يقطعن بها الأترج ، وقلن : معاذ الله ما هذا إنس، ﴿ إِنْ هَٰذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴾(١) . فلما حلّ بهن ما حلّ من قطع أيديهن من أجل نظرة نظرتها إلى يوسف وذهاب عقولهن ، وعرفتهن خطأ قيلهن : ﴿ امرأةُ العزيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَن نَّفْسِهِ ﴾ ، وإنكارهن ما أنكرن من أمرها أقرّت عند ذلك لهن بما كان من مراودتها إياه على نفسها ، فقالت : ﴿ فَذَٰلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ وَلَقَدْ رَاوَدتُّهُ عَن نَّفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ ﴾ ، بعد ما حلّ سراويله .

١٩٣٨٥ – حدثنا ابن وكيع ، قال : حدثنا عمرو بن محمد ، عن أسباط ، عن السدي : ﴿ قَالَتْ فَذَٰلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ وَلَقَدْ رَاوَدتُّهُ عَن نَّفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ ﴾ ، تقول : بعد ما حلّ السراويل استعصم ، لا أدري ما بدا له ! ثم قالت لهن : ﴿ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَا آمُرُهُ ﴾ من إتيانها ﴿ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِّنَ الصَّاغِرِينَ ﴾ ، فاختار السجن على الزنا ومعصية ربه ، فقال : ﴿ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ ﴾(٢) .

حدثنا ابن وكيع ، قال : حدثنا عمرو بن محمد ، عن أسباط ، عن السدي : ﴿ قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مما يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ ﴾ من الزنا ، واستغاث بربه عزّ وجلّ فقال : ﴿ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ الْجَاهِلِينَ ﴾(٣) . فأخبر الله عزّ وجلّ أنه استجاب له دعاءه ، فصرف عنه كيدهن ونجاه من ركوب الفاحشة ، ثم بدا للعزيز من بعد ما رأى من الآيات ما رأى من قدّ القميص من الدبر ، وخمش في الوجه ، وقطع النسوة أيديهن وعلمه

(١) سورة يوسف ٣١ .
(٢) سورة يوسف ٣٢ .
(٣) سورة يوسف ٣٣

ببراءة يوسف مما قُرِف[1] به فى ترك يوسف مطلقاً .

* * *

وقد قيل : إن السبب الذى من أجله بدا له فى ذلك ، ما حدثنا به ابن وكيع، قال : حدثنا عمرو بن محمد، عن أسباط عن السدىّ: ﴿ ثم بَدَا لَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا رَأَوُا الْآيَاتِ لَيَسْجُنُنَّهُ حَتَّى حِينٍ ﴾[2]، قال : قالت المرأة لزوجها : إنّ هذا العبد العبرانىّ قد فضحنى فى الناس يعتذر إليهم ويخبرهم أنى راودته عن نفسه ، ولست أطيق أن أعتذر بعذرى ، فإما أن تأذن لى فأخرج فاعتذر ، وإما أن تحبسه كما حبستنى ، فذلك قول الله عزّ وجلّ : ﴿ ثُمَّ بَدَا لَهُمْ مِنْ بَعْدِ ما رأوا الآيات لَيسجُنُنّه حَتَّى حين ﴾ ،فذكر أنهم حبسوه سبع سنين .

٣٨٦/١

* ذكر من قال ذلك :

حدثنا ابن وكيع ، قال : حدثنا المحاربىّ ،عن داود ،عن عكرمة : ﴿ لَيَسْجُنُنَّهُ حَتَّى حِينٍ ﴾ ، قال : سبع سنين ؛ فلما حبس يوسف فى السجن صاحبه العزيز ، أدخِل معه السجن الذى حبس فيه فتيان من فتيان الملك صاحب مصر الأكبر ؛ وهو الوليد بن الريّان؛ أحدهما كان صاحبَ طعامه ، والآخر كان صاحب شرابه .

حدثنا ابن وكيع ، قال : حدثنا عمرو ، عن أسباط ، عن السدىّ ، قال : حبسه الملك ، وغضب على خبّازه ؛ بلغه أنه يريد أن يَسُمَّه فحبسه ، وحبس صاحب شرَابه ؛ ظن أنه مالأه على ذلك ، فحبسهما جميعاً ، فذلك قول الله عزّ وجلّ : ﴿ وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانِ ﴾ .[3]

فلما دخل يوسف قال فيما حدثنى به ابن وكيع ، قال : حدثنا عمرو ، عن أسباط ، عن السدىّ، قال : لما دخل يوسف السجن ، قال : إنى أعبِّر الأحلام ، فقال أحدُ الفتيين لصاحبه : هَلُمَّ فلنجرّب هذا العبد العبرانىّ ، فتراءيا له ، فسألاه من غير أن يكونا رأيا شيئاً ، فقال الخباز : ﴿ إِنِّي أَرَانِي أَحْمِلُ

٣٨٧/١

---

(١) ح : « قذف به » . (٢) سورة يوسف ٣٥ . (٣) سورة يوسف ٣٦ .

فَوْقَ رَأْسِي خُبْزاً تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ ﴾ ، وقال الآخر : ﴿ إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْراً ﴾ ، ﴿ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴾[١] .

فقيل : كان إحسانه ما حدثنا به إسحاق بن أبي إسرائيل ، قال : حدثنا خلف بن خليفة ، عن سلمة بن نبيط ، عن الضحاك قال : سأل رجل الضحاك عن قوله : ﴿ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ : ما كان إحسانه ؟ قال : كان إذا مرض إنسان فى السجن قام عليه ، وإذا احتاج جمع له ، وإذا ضاق عليه المكان وسّع له ، فقال لهما يوسف : ﴿ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ ﴾ فى يومكما[٢] هذا ﴿ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِ[١] ﴾ فى اليقظة . فكره[٣] صلى الله عليه أن يعبِّر لهما ما سألاه عنه ، وأخذ فى غير الذى سألا عنه لما فى عبارة ما سألا عنه من المكروه على أحدهما فقال : ﴿ يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَأَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴾.[٤]

وكان اسم أحد الفتيين اللذين أدخلا السجن مجلب — وهو الذى ذكر أنه رأى فوق رأسه خبزاً — واسم الآخر نبو[٥] ، وهو الذى ذكر أنه رأى كأنه يعصر خمراً ، فلم يَدَّعاه والعدول عن الجواب عما سألاه عنه حتى أخبرهما بتأويل ما سألاه عنه فقال: ﴿ أَمَّا أَحَدُكُمَا فَيَسْقِي رَبَّهُ خَمْراً ﴾ — وهو الذى ذكر أنه رأى كأنه يعصر خمراً ، ﴿ وَأَمَّا الْآخَرُ فَيُصْلَبُ فَتَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْ رَأْسِهِ[٦] ﴾. ١/ ٣٨٨ فلما عبّر لهما ماسألاه تعبيره ، قالا : ما رأينا شيئاً .

حدثنا ابن وكيع ، قال : حدثنا ابن فضيل ، عن عمارة — يعني ابن القعقاع — عن إبراهيم ، عن علقمة ، عن عبد الله ، فى الفتيين اللذين أتيا يوسف

(١) سورة يوسف ٣٦ ، ٣٧ .
(٢) ا : « نومكما » .
(٣) ط : «وكره» وما أثبته من ا .
(٤) سورة يوسف ٣٩ .
(٥) كذا فى ا ، وفى ط مهمل .
(٦) سورة يوسف ٤١ .

في الرؤيا إنما كانا تحالما ليختبراه[١] ، فلما أوّل رؤياهما قالا : إنما كنا نلعب ، فقال[٢] : ﴿قُضِيَ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ﴾[٣] ثم قال لنبو — وهو الذي ظن يوسف أنه ناج منهما : ﴿اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ﴾ يعني عند الملك ، وأخبره[٤] أني محبوس ظلمًا ، ﴿فَأَنْسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ﴾[٥] ، غفلة عرضت ليوسف من قِبَل الشيطان .

فحدثني الحارث ، قال : حدثنا عبد العزيز ، قال : حدثنا جعفر بن سليمان الضبعيّ ، عن بسطام بن مسلم ، عن مالك بن دينار ، قال : قال يوسف للساقي : ﴿اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ﴾ ، قال : قيل : يا يوسف ، اتخذتَ من دوني وكيلا ! لأطيلنَّ حبسَك . قال : فبكى يوسف وقال : يا ربّ أنسى قلبي كثرة البلوى فقلت كلمة ، فويل لإخوتي !

حدثنا ابن وكيع ، قال : حدثنا عمرو بن محمد ، عن إبراهيم بن يزيد ، عن عمرو بن دينار ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم : « لو لم يقل يوسف — يعني الكلمة التي قال — ما لبث في السجن طول ما لبث حيث يبتغي الفرج من عند غير الله عزّ وجلّ » .

فلبث في السجن ، فيما حدثني الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا عمران أبو الهُذَيل الصنعانيّ ، قال : سمعت وهبا يقول : أصاب أيوب البلاء سبعَ سنين ، وتُرِك يوسف في السجن سبع سنين ، وعذّب بختنصَّر فحوّل في السباع سبع سنين . ١/٣٨٩

* * *

ثم إن ملك مصر رأى رؤيا هالته .

---

(١) ا : « ليجرباه » .
(٢) ط : « قال » ، وما أثبته من ا
(٣) سورة يوسف ٤١ .
(٤) ط : « فأخبره » ، وما أثبته من ا .
(٥) سورة يوسف ٤٢ .

فحدثنا ابن وكيع ، قال : حدثنا عمرو بن محمد ، عن أسباط ، عن السدىّ، قال : إن الله عزّ وجلّ أرىَ الملك فى منامه رؤيا هالتْه ، فرأى : ﴿ سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنْبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ ﴾[1] ، فجمع السحرة ، والكهنة والحازة[2] والقافة ، فقصّها عليهم ، فقالوا : ﴿ أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ وما نحنُ بتأويل الأحلام بعالمين * وَقَالَ الَّذِى نَجَا مِنْهُمَا ﴾ من الفتيين وهو نبو ، ﴿ وادّكَر ﴾ حاجة يوسف ﴿ بَعْدَ أُمَّةٍ ﴾ ، يعنى بعد نسيان : ﴿ أنا أنبئكمْ بتأويله فأرْسِلُونِ ﴾[3] ، يقول : فأطلقون . فأرسلوه فأتى يوسف فقال : ﴿ أيها الصِّديقُ أفْتِنَا فِى سَبْع بقراتٍ سِمَانٍ يأكُلُهُنَّ سَبْعٌ عجاف وسبعِ سنبلاتٍ خضر وأُخَرَ يَابِساتٍ ﴾[3] ؛ فإن الملكَ رأى ذلك فى نومه .

فحدثنا ابن وكيع ، قال ، حدثنا عمرو ، عن أسباط ، عن السدىّ ، قال : قال ابن عباس : لم يكن السجنُ فى المدينة ، فانطلق الساقى إلى يوسف ، فقال : ﴿ أَفْتِنَا فى سَبْعِ بَقَرَاتٍ سمان . . . ﴾ الآيات .

فحدثنا بشر بن معاذ ، قال : حدثنا يزيد ، قال : حدثنا سعيد ، عن قتادة ، ﴿ أَفْتِنَا فى سَبْعِ بَقَرَاتٍ سمانٍ ﴾ فالسمان المخاصيب ، والبقرات العجاف هُنّ السنون المحول الجدوب . قوله : ﴿ وسبعِ سُنبلاب خُضْر وأخَرَ يابسات ﴾ أما الخضر فهنّ السنون المخاصيب ، وأما اليابسات فهن الجدوب المحول .

١ / ٣٩٠

فلما أخبر يوسف نبو بتأويل ذلك ، أتى نبو الملك ، فأخبره بما قال له يوسف ، فعلم الملك أنّ الذى قال يوسف من ذلك حقّ ، قال : ائتونى به .

فحدثنا ابن وكيع ، قال : حدثنا عمرو ، عن أسباط ، عن السدىّ ، قال : لما أتى الملك رسوله فأخبره ، قال : ائتونى به ، فلما أتاه الرسول ودعاه إلى

---

(١) سورة يوسف ٤٣ .

(٢) زاد ا : « والحازى : المتخرص » .

(٣) سورة يوسف ٤٤ – ٤٦

الملك أبى يوسف الخروج معه، وقال: ﴿ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ مَا بَالُ النِّسْوَةِ اللَّاتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ﴾(١) .

قال السدىّ: قال ابن عباس: لو خرج يوسف يومئذ قبل أن يعلم الملك بشأنه ما زالت فى نفس العزيز منه حاجة، يقول: هذا الذى راود امرأتى . فلما رجع الرسول إلى الملك من عند يوسف جمع الملك أولئك النسوة ، فقال لهنّ : ماخطبكنّ إذ راودتنّ يوسف عن نفسه! قلن – فيما حدثنا ابن وكيع ، قال : حدّثنا عمرو ، عن أسباط ، عن السدىّ قال: لما قال الملك لهنّ : ﴿مَا خَطْبُكُنَّ إذ راودتُنَّ يوسفَ عَنْ نفسِهِ قُلْنَ حَاشَ لله ماعَلِمْنَا عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ﴾؛ ولكن امرأة العزيز أخبرتنا أنها راودته عن نفسه ، ودخل معها البيت ، فقالت امرأة العزيز حينئذ : ﴿الآنَ حَصْحَصَ الحقُّ أنا رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ وإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ﴾(٢) . فقال يوسف : ذلك هذا الفعل الذى فعلت من ترديدى رسول الملك بالرسالات التى أرسلت فى شأن النسوة ، ليعلم أطفير سيدى ﴿أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ﴾ فى زوجته راعيل ، ﴿وأَنَّ اللهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ﴾(٣) .

٣٩١/٠ فلما قال ذلك يوسف قال له جَبْرَئيل : ما حدّثنا أبو كريب ، قال : حدثنا وكيع ، عن إسرائيل ، عن سماك ، عن عكرمة ، عن ابن عباس، قال: لما جمع الملك النسوة ، فسألهنّ : هل راودتُنَّ يوسفَ عن نفسه ؟ ﴿ قُلْنَ حَاشَ لِلهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ قالتِ امرأةُ العزيز الآن حَصْحَصَ الحقُّ أنا رَاوَدْتُه عَنْ نَفْسِه وإِنَّهُ لمنَ الصَّادِقين﴾ قال يوسف: ﴿ذلك ليعلمَ أَنِّى لم أَخُنْه بالغيب وأنَّ الله لا يَهْدِى كَيدَ الخائنين﴾ . قال : فقال له جَبْرَئيل :

---

(١) سورة يوسف ٥٠ .

(٢) سورة يوسف ٥١ .

(٣) سورة يوسف ٥٢ .

ولايوم هممتَ بها؟ فقال: ﴿ وَمَا أُبرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ ﴾[(١)].

فلما تبين للملك عذرُ يوسف وأمانته قال: ﴿ائْتُونِي بِهِ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي فَلَمَّا﴾ أُتِي به ﴿كَلَّمَهُ قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ﴾[(١)]. فقال يوسف للملك: ﴿اجْعَلْنِي على خزائن الأرض﴾ .

فحدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد فى قوله: ﴿اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الأَرْضِ﴾ قال: كان لفرعون خزائن كثيرة غير الطعام، فسلّم سلطانه كلّه إليه، وجعل القضاء إليه أمره، وقضاؤه نافذ.

حدثنا ابن حميد قال: حدثنا إبراهيم بن المختار، عن شيبة الضبيّ فى قوله: ﴿اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الأَرْضِ﴾، قال: على حفظ الطعام. ﴿إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾[(١)] يقول: إنى حفيظ لما استودعتنى، عليمٌ بسنى المجاعة، فولاه الملك ذلك.

وقد حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، عن ابن إسحاق، قال: لما قال يوسف للملك: ﴿اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾ قال الملك: قد فعلت، فولاه — فيما يذكرون — عملَ إطفير، وعزَل إطفير عما كان عليه، يقول الله تبارك وتعالى: ﴿وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَنْ نَشَاءُ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾[(١)] ٣٩٢/١

قال: فذُكر لى — والله أعلم — أن إطفير هلك فى تلك الليالى، وأن الملك الرّيان بن الوليد زوّج يوسفَ امرأة إطفير راعيل، وأنها حين دخلت عليه قال: أليس هذا خيراً مما كنت تريدين! قال: فيزعمون أنها قالت: أيها الصدّيق لا تلمنى، فإنى كنت امرأةً — كما ترى — حسناء[(٢)] جميلة ناعمة، فى ملك ودنيا، وكان صاحبي لا يأتى النساء، وكنتَ كما جعلك الله فى حسنك وهيئتك، فغلبتْنى نفسى على ما رأيت. فيزعمون أنه وجدها عذراء، وأصابها فولدت له رجلين: أفرايم بن يوسف ومنشا بن يوسف.

حدثنا ابن وكيع، قال: حدثنا عمرو، عن أسباط، عن السدى:

---

(١) سورة يوسف ٥٣ — ٥٦. (٢) ح: «حسنا وجمالا».

﴿وكذلك مكّنّا ليوسفَ فى الأرض يتبوأ منها حيثُ يشاء﴾[1] قال : استعمله الملك على مصر ، وكان صاحبَ أمرها ، وكان يلى البيع والتجارة وأمرها كله ، فذلك قوله : ﴿وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِى الْأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ﴾.

فلما ولىَ يوسف للملك خزائن أرضه واستقرّ[2] به القرار فى عمله ، ومضت السنون السبع المخصبة التى كان يوسف أمرَ بتركِ ما فى سنبل ما حصدوا من الزرع فيها فيه ، ودخلت السنون المجدبة وقَحط الناس ، أجدبت بلاد فلسطين فيما أجدب من البلاد ، ولحق مكروه ذلك آل يعقوب فى موضعهم الذى كانوا فيه ، فوجه يعقوب بنيه .

١/٣٩٣

فحدثنا ابن وكيع ، قال : حدثنا عمرو ، عن أسباط ، عن السدىّ ، قال : أصاب الناس الجوع حتى أصاب بلاد يعقوب التى هو بها ، فبعث بنيه إلى مصر ، وأمسك أخا يوسف بنيامين ، فلما دخلوا على يوسف عرفهم وهم له منكرون ، فلما نظر إليهم قال : أخبرونى : ما أمرُكم ؟ فإنى أنكر شأنكم ! قالوا : نحن قوم من أرض الشأم ، قال : فما جاء بكم ؟ قالوا : جئنا نمتار طعامًا ، قال : كذبتم ، أنتم عيون ! كم أنتم ؟ قالوا : عشرة ، قال : أنتم عشرة آلاف ، كلُّ رجل منكم [أمير][3] ألف . فأخبرونى خبركم ، قالوا : إنا إخوة ، بنو رجل صدِّيق ، وإنا كنا اثنى عشر ، وكان أبونا يحب أخًا لنا ، وإنه ذهب معنا إلى البرّية فهلك فيها ، وكان أحبَّنا إلى أبينا . قال : فإلى مَنْ سكن أبوكم بعده ؟ قالوا : إلى أخ لنا أصغر منه . قال : فكيف تخبرونى أن أباكم صدِّيق وهو يحب الصغير منكم دون الكبير ! ائتونى بأخيكم هذا حتى أنظرَ إليه : ﴿فَإِنْ لَمْ تَأْتُونِى بِهِ فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِنْدِى وَلَا تَقْرَبُونِ * قَالُوا سَنُرَاوِدُ عَنْهُ أَبَاهُ وَإِنَّا لَفَاعِلُونَ﴾[4] .

---

(١) سورة يوسف ٥٦ .

(٢) ط : « واستقر » ، وما أثبته من ا .

(٣) تكلة من ا والتفسير .

(٤) سورة يوسف ٦٠ ، ٦١ ، والخبر فى التفسير ١٣ : ٦ (بولاق) .

قال : فضعوا بعضكم رهينة حتى ترجعوا . فوضعوا شمعون . ١/٣٩٤

وحدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : كان يوسف حين رأى ما أصاب الناسَ من الجهد قد آسى بينهم . فكان لا يحمّل للرجل إلا بعيراً واحداً ، ولا يحمّل الواحد بعيريْن تقسيطًا بين الناس ، وتوسيعًا عليهم ، فقدم عليه إخوتُه فيمن قدِم عليه من الناس يلتمسون الميرة من مصر ، فعرفهم وهم له منكرون لما أراد الله تعالى أن يبلغ بيوسف[1] فيما أراد . ثم أمر يوسف بأن يوقِر لكلِّ رجل من إخوته بعيرَه ، فقال لهم : ائتونى بأخيكم من أبيكم ، لأحمِّل لكم بعيراً آخر ، فتزدادوا به حمل بعير : ﴿ألا ترَوْنَ أَنِّى أُوفِ الْكَيْلَ﴾ فلا أبخسه أحداً ، ﴿وأَنَا خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ﴾[2] . وأنا خيرُ من أنزل ضيفًا على نفسه من الناس بهذه البلدة ، فأنا أضيفكم ﴿فإِنْ لَمْ تَأْتُونِى﴾[2] بأخيكم من أبيكم فلا طعامَ لكم عندى أكيله ، ولا تقربوا بلادى . وقال لفتيانه الذين يكيلون الطعام لهم : ﴿اجْعَلوا بِضَاعَتَهُمْ﴾ — وهى ثمن الطعام الذى اشتروه به — ﴿فى رِحَالِهِمْ﴾ .

حدثنا بشر ، قال : حدثنا يزيد بن زريع ، قال : حدثنا سعيد ، عن قتادة : ﴿اجْعَلُوا بِضَاعَتَهُمْ فِى رِحَالِهِمْ﴾[3] ، أى وَرِقهم ، فجعلوا ذلك فى رحالهم وهم لا يعلمون .

فلما رجع بنو يعقوب إلى أبيهم ، قالوا : ما حدثنا به ابن وكيع ، قال : ١/٣٩٥ حدثنا عمرو ، عن أسباط ، عن السدىّ : فلما رجعوا إلى أبيهم قالوا : يا أبانا ، إن ملكَ مصر أكرمنا كرامةً ؛ لو كان رجلا من ولد يعقوب ما أكرمنا كرامته ، وإنه ارتهن شمعون وقال : ائتونى بأخيكم هذا الذى عطف عليه أبوكم بعد

---

(١) ا : « ليوسف » ، ن : « من يوسف » .

(٢) سورة يوسف ٥٩ ، ٦٠ .

(٣) سورة يوسف ٦٢ .

أخيكم الذى هلك ؛ فإن لم تأتونى به فلا كيل لكم عندى ولا تقربوا بلادى[١] أبداً. قال يعقوب : ﴿ هَلْ آمَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَا أَمِنْتُكُمْ عَلَى أَخِيهِ مِنْ قَبْلُ فَاللهُ خَيْرٌ حَافِظاً وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴾[٢]. قال : فقال لهم يعقوب : إذا أتيتم ملك مصر فأقرءوه منى السلام وقولوا له : إن أبانا يصلّى عليك ، ويدعو لك بما أوليتنا .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : خرجوا حتى إذا قدموا على أبيهم ، وكان منزلهم — فيما ذكر لى[٣] بعضُ أهل العلم — بالعربات من أرض فلسطين بغَوْر الشأم . وبعضهم يقول : بالأولاج[٤] من ناحية الشِّعب أسفل من حِسْمى فلسطين ، وكان صاحب بادية ، له إبل وشاء . فلما رجع إخوة يوسف إلى والدهم يعقوب قالوا له : يا أبانا مُنع منا الكيل فوق حمل أباعرنا ، ولم يكل لكلٍّ واحد منا إلا كيل بعير ، فأرسل معنا أخانا بنيامين يكتَلْ لنفسه ، وإنا له لحافظون ، فقال لهم يعقوب : ﴿هَلْ آمَنُكُمْ عليه إلا كما أَمِنْتُكُمْ على أخيه مِنْ قبلُ فالله خيرٌ حافظاً وهو أرْحَمُ الرَّاحِمين﴾. ١/٢٩٦

ولما فتح ولد يعقوب الذين كانوا خرجوا إلى مصر للميرة متاعَهم الذى قدموا به من مصر ، وجدوا ثمن طعامهم الذى اشتروه به رُدَّ إليهم ، فقالوا لوالدهم : ﴿ يَا أَبَانَا مَا نَبْغِى هٰذِهِ بِضَاعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا وَنَمِيرُ أَهْلَنَا وَنَحْفَظُ أَخَانَا وَنَزْدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ ﴾[٥] آخرَ على أحمال إبلنا .

وقد حدثنى الحارث ، قال : حدثنا القاسم ، قال : حدثنا حجاج ، عن

(١) ط : « ولا تقربونى » . وفى ح : « فإن لم تأتونى بأخيكم هذا فلا تقربوا بلادى » ؛ وما أثبته من ا .

(٢) سورة يوسف ٦٤ .

(٣) ط : « ذكرنى » ؛ وما أثبته عن ا .

(٤) الأولاج : موضع ذكره ياقوت ؛ ولم يعين موضعه .

(٥) سورة يوسف ٦٥ .

ابن جريج، ﴿ وَنَزْدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ ﴾ ، قال : كان لكل رجل منهم حمل بعير ، فقالوا : أرسل معنا أخانا نزدد حمل بعير . قال ابن جريج : قال مجاهد : كيل بعير حمل حمار . قال : وهى لغة ؛ قال الحارث : قال القاسم : يعنى مجاهد أن الحمار يقال له فى بعض اللغات « بعير » .

فقال يعقوب : ﴿ لَنْ أُرْسِلَهُ مَعَكُمْ حَتَّى تُؤْتُونِ مَوْثِقًا مِنَ اللهِ لَتَأْتُنَّنِي بِهِ إِلَّا أَنْ يُحَاطَ بِكُمْ ﴾ يقول : إلا أن تهلكوا جميعًا ، فيكون حينئذ ذلك لكم عذراً عندى، فلما وثقوا له بالأيمان قال يعقوب : ﴿ اللهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴾[1] .

ثم أوصاهم بعد ما أذن لأخيهم من أبيهم بالرحيل معهم ، ألا تدخلوا من باب واحد من أبواب المدينة خوفًا عليهم من العين ، وكانوا ذوى صورة حسنة ، وجمال وهيئة ، وأمرهم أن يدخلوا من أبواب متفرّقة ، كما حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة : ﴿ وَادْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُتَفَرِّقَةٍ ﴾[1] ، قال : كانوا قد أوتوا صورة وجمالاً ، فخشى عليهم أنفس الناس ، فقال الله تبارك وتعالى: ﴿ وَلَمَّا دَخَلُوا مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُمْ مَا كَانَ يُغْنِي عَنْهُمْ مِنَ اللهِ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا حَاجَةً فِي نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَاهَا ﴾ ، [وكانت الحاجة التى فى نفس يعقوب فقضاها][2] ما تخوّف على أولاده أعينَ الناس لهيئتهم وجمالهم . ١/٣٧٩

ولما دخل إخوة يوسف على يوسف ضمّ إليه أخاه لأبيه وأمه، فحدثنا ابن وكيع ، قال: حدثنا عمرو ، عن أسباط ، عن السدىّ: ﴿ وَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ آوَى إِلَيْهِ أَخَاهُ ﴾،[1] قال : عرف أخاه ، وأنزلهم منزلاً ، وأجرى عليهم الطعام والشراب ، فلما كان الليل جاءهم بمُثُل فقال : ليَنَم كلّ أخوين

(١) سورة يوسف ٦٦ – ٦٩ .
(٢) تكملة من ا .

منكم على مِثال[١]، فلما بقى الغلام وحده قال يوسف: هذا ينام معى على فراشى، فبات معه، فجعل يوسفَ يَشَمُّ ريحه، ويضمّه إليه حتى أصبح؛ وجعل روبيل يقول: ما رأينا مثل هذا إن نجونا منه.

وأما ابن إسحاق فإنه قال ما حدثنا به ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، عن ابن إسحاق، قال: لما دخلوا — يعنى ولد يعقوب — على يوسف قالوا: هذا أخونا الذى أمرتَنا أن نأتيَك به، قد جئناك به. فذكر لى أنه قال لهم: قد أحسنتم وأصبتم، وستجدون جزاء ذلك عندى، أو كما قال.

ثم قال: إنى أراكم رجالا، وقد أردت أن أكرمكم، فدعا صاحب ضيافته فقال: أنزل كلَّ رجلين على حدة، ثم أكرمْهما وأحسنْ ضيافتَهما. ٣٩٨/١

ثم قال: إنى أرى هذا الرجل الذى جئتم به ليس معه ثان، فسأضمه إلىّ فيكون منزله معى، فأنزلهم رجلين رجلين فى منازل شتى، وأنزل أخاه معه فآواه إليه، فلما خلا به قال: إنى أنا أخوك أنا يوسف فلا تبتئس بشىء فعلوه بنا فيما مضى؛ فإن الله قد أحسن إلينا فلا تعلمهم مما أعلمتك؛ يقول الله عزّ وجلّ: ﴿وَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ آوَى إِلَيْهِ أَخَاهُ قَالَ إِنِّى أَنَا أَخُوكَ فَلَا تَبْتَئِسْ بما كانوا يعملون﴾[٢]، يقول له: ﴿فلا تبتئس﴾، فلا تحزن.

فلما حمّل يوسف إبل إخوته ما حمّلها من الميرة وقضى حاجتهم ووفّاهم كيلهم، جعل الإناءَ الذى كان يكيل به الطعام — وهو الصُّواع — فى رحل أخيه بنيامين.

حدثنا الحسن بن محمد، قال: حدثنا عفان، قال: حدثنا عبدالواحد، عن يونس، عن الحسن أنه كان يقول: الصُّوَاع والسقاية سواء، هما الإناء الذى يشرب فيه، وجعل ذلك فى رَحْل أخيه، والأخ لا يشعر فيما ذكر.

حدثنا ابن وكيع، قال: حدثنا عمرو، عن أسباط، عن السدىّ: ﴿فَلَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجَهَازِهِمْ جَعَلَ السِّقَايَةَ فى رَحْلِ أخيه﴾، والأخ لا يشعر، فلما ارتحلوا أذّن مؤذن قبل أن ترتحل العير: ﴿إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ﴾[٢].

(١) المثال: الفراش ينام عليه. (٢) سورة يوسف ٦٩، ٧٠.

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : حمّل لهم بعيراً بعيراً ، وحمل لأخيه بنيامين بعيراً باسمه كما حمل لهم ، ثم أمر بسقاية الملك — وهو الصُّوَاع — وزعموا أنها كانت من فضة ، فجُعلت فى رحل أخيه بنيامين ، ثم أمهلهم حتى إذا انطلقوا فأمعنوا من القرية ، أمر بهم فأدركوا واحتُبِسوا ، ثم نادى منادٍ : أيتها العير إنكم لسارقون ، [قفوا] [1] . وانتهى إليهم رسوله فقال لهم — فيما يذكرون — : ألم نكرم ضيافتكم ، ونوفّكم كيلكم ، ونحسن منزلكم ، ونفعل بكم ما لم نفعل بغيركم ، وأدخلناكم علينا فى بيوتنا ، وصار لنا عليكم حرمة ! أو كما قال لهم . قالوا : بلى ، وما ذاك ؟ قال : سقاية الملك فقدناها ، ولا يُتَّهموا عليها غيركم . قالوا : ﴿تَاللهِ لقدْ عَلِمْتُمْ ما جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِى الْأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَارِقِينَ﴾ [2] . وكان مجاهد يقول . كانت العير حميراً . ١/٣٩٩

حدثنى بذلك الحارث ، قال : حدثنا عبد العزيز ، قال : حدثنا سفيان ، قال : أخبرنى رجل ، عن مجاهد : وكان فيما نادى به منادى يوسف : مَنْ جاء بصُواع الملك فله حِمْلُ بعير من الطعام ، وأنا بإيفائه ذلك زعيم — يعنى « كفيل » [3] — وإنما قال القوم : ﴿لَقَدْ عَلِمْتُمْ ما جِئْنَا لِنُفْسِدَ فى الأرْضِ وَمَا كُنَّا سَارِقِينَ﴾ ، لأنهم ردوا ثمن الطعام الذى كان كيل لهم المرة الأولى فى رحالهم . فردوه إلى يوسف ، فقالوا : لو كنا سارقين [4] لم نردد ذلك إليكم — وقيل إنهم كانوا معروفين بأنهم لا يتناولون ما ليس لهم ، فلذلك قالوا ذلك — فقيل لهم : فما جزاء من كان سرق ذلك ؟ فقالوا : جزاؤه فى حكمنا بأن يسلَّم لفعله ذلك إلى مَنْ سرقه حتى يسترقّه . ١/٤٠٠

حدثنا ابن وكيع ، قال : حدثنا عمرو ، عن أسباط ، عن السدىّ ، قال : ﴿قالوا فما جَزَاؤه إن كنتمْ كاذِبِين * قالوا جزاؤه مَنْ وُجِدَ فِى رَحْلِهِ

---

(١) تكلة من ا ، ن ، والتفسير .
(٢) سورة يوسف ٧٣ ، والخبر فى التفسير ١٢ : ١٢ (بولاق) .
(٣) ن : « كفيلا » .
(٤) ح : « سراقاً » .

فهوَ جزاؤه ﴾[١] تأخذونه ؛ فهو لكم . فبدأ يوسف بأوعية القوم قبل وعاء أخيه بنيامين ، ففتّشها ثم استخرجها من وعاء أخيه لأنه أخّر تفتيشه .

حدثنا بشر بن معاذ ، قال : حدثنا يزيد بن زُريع ، قال : حدثنا سعيد ، عن قتادة ، قال : ذكر لنا أنه كان لا ينظر فى وعاء إلا استغفر الله تأثّمًا مما قرفَهم به ، حتى بقِىَ أخوه — وكان أصغر القوم — قال : ما أرى هذا أخذ شيئًا . قالوا : بلى فاستبرئه ، ألا وقد علموا حيث وضعوا سقايتهم . ﴿ ثُمَّ اسْتَخْرَجَهَا مِنْ وِعاءِ أخيه كذلك كِدْنا ليوسفَ ما كانَ ليأخذَ أخاه فى دِينِ المَلِكِ ﴾[٢] ، يعنى فى حكم الملك ، ملك مصر ، وقضائه لأنه لم يكن من حكم ذلك الملك وقضائه أن يُسْتَرَقّ السارق بما سرق ، ولكنّه أخذه بكيد الله له حتى أسلمه رفقاؤه وإخوته بحكمهم عليه وطيب أنفسهم بالتسليم .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : حدثنا شبابة ، قال : حدثنا ورقاء ، عن ابن أبى نَجيح ، عن مجاهد : قوله : ﴿ مَا كَانَ لِيأْخُذَ أَخَاهُ فِى دِينِ الْمَلِكِ ﴾ إلا بعلّة كادها الله له ، فاعتلّ بها يوسف ، فقال إخوة يوسف حينئذ : ﴿ إِنْ يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَهُ مِنْ قَبْلُ ﴾[٣] — يعنون بذلك يوسف . ٤٠١/١

* * *

وقد قيل إن يوسف كان سرق صنمًا لجده أبى أمه ، فكسره ، فعيّروه بذلك .

* ذكر من قال ذلك :

حدثنى أحمد بن عمرو البصرىّ ، قال : حدثنا الفيض بن الفضل ، قال : حدثنا مِسْعَر ، عن أبى حَصين[٤] ، عن سعيد بن جبير : ﴿ إِنْ يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَهُ مِنْ قَبْلُ ﴾ ، قال : سرق يوسف صنمًا لجده أبى أمه فكسره وألقاه فى الطريق ، فكان إخوته يعيبونه بذلك .

---

(١) سورة يوسف ٧٤ ، ٧٥ . (٢) سورة يوسف ٧٦ . (٣) سورة يوسف ٧٧ .
(٤) أبو حصين ، بفتح المهملة ، وهو عثمان بن عاصم بن حصين الأسدى . تهذيب التهذيب .

وقد حدثنا أبو كريب ، قال : حدثنا ابن إدريس ، قال : سمعت أبى قال : كان بنو يعقوب على طعام، إذ نظر يوسف إلى عَرْق[1] فخبأه فعيّروه بذلك ﴿ إنْ يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَهُ مِنْ قَبْلُ﴾، فأسرّ فى نفسه يوسف حين سمع ذلك منهم، فقال : ﴿أنتم شَرٌّ مَكَانًا واللهُ أعلمُ بما تَصِفون﴾[2] به أخا بنيامين من الكذب ، ولم يُبْدِ ذلك لهم قولا .

فحدثنا ابن وكيع ، قال : حدثنا عمرو ، عن أسباط ، عن السدىّ ، قال: لما استخرِجت السرِقة من رحْل الغلام انقطعت ظهورُهم ، وقالوا: يا بنى راحيل، ما يزال لنا منكم بلاء! متى أخذتَ هذا الصواع ؟ فقال بنيامين : بل بنو راحيل الذين لا يزال لهم منكم بلاء ، ذهبتم بأخى فأهلكتموه فى البرّية[3] ، وَضَعَ هذا الصُّواع فى رَحْلى الذى وضع الدراهم فى رحالكم . فقالوا : لا تذكر الدراهم فتؤخذ بها . فلما دخلوا على يوسف دعا بالصُّواع ، فنقر فيه ثم أدناه من أذنه ، ثم قال : إن صُواعى هذا ليخبرنى أنكم كنتم اثنى عشر رجلا ، وأنكم انطلقتم بأخ لكم فبعتموه . فلما سمعها بنيامين قام فسجد ليوسف ثم قال : أيها الملك ، سل صُواعك هذا عن أخى أين هو؟ فنقره، ثم قال : هو حىّ ، وسوف تراه . قال : فاصنع بى ما شئت ، فإنه إن علم بى فسوف يستنقذنى . قال : فدخل يوسف فبكى ثم توضأ ، ثم خرج فقال بنيامين : أيها الملك ، إنى أريد أن تضرب صواعك هذا فيخبرك بالحقّ من الذى سرقه فجعله فى رحلى . فنقره، فقال : إن صواعى هذا غضبان ، وهو يقول : كيف تسألنى : مَنْ صاحبى ؟ فقد رأيتَ مع من كنت ! قالوا : وكان بنو يعقوب إذا غضبوا لم يُطاقوا ، فغضب روبيل وقال : أيها الملك ، والله لتتركنا أو لأصيحنّ صيحة لا تبقى بمصر حامل إلا ألقتْ ما فى بطنها ، وقامت كلُّ شعرة فى جسد روبيل ، فخرجت من ثيابه . فقال يوسف لابنه : قم إلى جنب روبيل فمسّه — وكان بنو يعقوب إذا غضب أحدهم فمسّه الآخر ذهب غضبه — فقال روبيل : مَنْ

٤٠٢/١

(١) العرق والعراق : العظم أكل لحمه .

(٢) سورة يوسف ٧٧ .

(٣) ن : « بالبرية » .

هذا ؟ إن فى هذا البلد لَبَزْرا من بزْر يعقوب ، فقال يوسف : من يعقوب ؟ فغضب روبيل وقال : أيها الملك ، لا تذكر يعقوب فإنه إسرائيل الله بن ذبيح الله بن خليل الله . قال يوسف : أنت إذن كنت صادقًا .

١/٤٠٣ قال : ولما احتبس يوسف أخاه بنيامين ، فصار بحكم إخوته أولى به منهم ، ورأوا أنه لاسبيلَ لهم إلى تخليصه[1] صاروا إلى مسألته تخليتَه ببذلٍ منهم يعطونه إياه ، فقالوا : ﴿يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ إِنَّ لَهُ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ فى أفعالك . فقال لهم يوسف : ﴿مَعَاذَ اللهِ أَن نَّأْخُذَ إِلَّا مَنْ وَجَدْنَا مَتَاعَنَا عِنْدَهُ إِنَّا إِذًا لَظَالِمُونَ﴾[2] أن نأخذ بريئًا بسقيم !

فلما يئس إخوة يوسف من إجابة يوسف إياهم إلى ما سألوا من إطلاق أخيه بنيامين وأخذ بعضهم مكانه ، خلَصوا نجيًّا لايفترق منهم أحد ، ولا يختلط بهم[3] غيرهم . فقال كبيرهم : — وهو روبيل ، وقد قيل إنه شمعون — : ألم تعلموا أن أباكم قد أخذ عليكم موثقًا من الله أن نأتيَه بأخينا بنيامين إلاّ أن يحاط بنا أجمعين ! ومن قبل هذه المرة ما فرطتم فى يوسف ﴿فَلَنْ أَبْرَحَ الْأَرْضَ﴾ التى أنا بها ﴿حَتَّى يَأْذَنَ لِي أَبِي﴾ فى الخروج منها وترك أخى بنيامين بها ﴿أَوْ يَحْكُمَ اللهُ لِي وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ﴾[4] — وقد قيل معنى ذلك : أو يحكم الله لى بحرب مَنْ منعنى من الانصراف بأخى — ﴿ارجعوا إِلَى أَبِيكُمْ فَقُولُوا يَا أَبَانَا إِنَّ ابْنَكَ سَرَقَ﴾ ، فأسلمناه بجريرته ، ﴿وَمَا شَهِدْنَا إِلَّا بما علمنا﴾ ؛ لأن صُواع الملك لم يوجد إلافى رحله ، ﴿وما كنا للغيب حافظين﴾[4] ، يعنون بذلك أنا إنما ضمنّا لك أن نحفظه مما لنا إلى حفظه ١/٤٠٤

(١) ن : « تخليته » .
(٢) سورة يوسف ٧٨، ٧٩ .
(٣) ن : « معهم » .
(٤) سورة يوسف ٨٠ ، ٨١ .

سبيل، ولم نكن نعلم أنه يسرق فيُستَرقّ بسرقته ، واسأل أهل القرية التى كنا فيها فسرق ابنك فيها ، والقافلة التى كنا فيها مقبلة من مصر معنا عن خبر ابنك ، فإنك تخبر بحقيقة ذلك .

فلما رجعوا إلى أبيهم فأخبروه خبر بنيامين ، وتخلُّف روبيل قال لهم[1] : بل سَوَّلتْ لكم أنفسكم أمراً أردتموه ، فصبرٌ جميل لاجزع فيه على ما نالنى منْ فقد ولدى ، عسى الله أن يأتينى بهم جميعًا بيوسف وأخيه وروبيل .

ثم أعرض عنهم يعقوب وقال : ﴿ يا أَسَفا عَلَى يُوسُفَ ﴾ يقول الله عزّ وجلّ : ﴿ وابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيم ﴾[2] ، مملوء من الحزن والغيظ . فقال له بنوه الذين انصرفوا إليه من مصر حين سمعوا قوله ذلك : تالله لا تزال تذكر يوسف فلا تفتر[3] من حبّه وذكره حتى تكون دنفَ الجسم ، مخبولَ العقل من حبّه وذكره ، هرما باليًا أو تموت !

فأجابهم يعقوب فقال : إنما أشكو بثى وحزنى إلى الله لا إليكم ، وأعلم من الله ما لا تعلمون من صدق رؤيا يوسف ؛ أنّ تأويلها كائن ، وأنى وأنتم سنسجد له .

وقد حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا حَكّام ، عن عيسى بن يزيد ، عن الحسن ، قال : قيل : ما بلغ وَجْد يعقوب على ابنه ؟ قال : وجْد سبعين ثكْلى ، قال : فما كان له من الأجر ؟ قال : أجر مائة شهيد ، قال : وما ساء ظنّه بالله ساعة قطّ من ليل ولا نهار . ١/٤٠٥

وحدثنا ابن حميد مرّة أخرى ، قال : حدثنا حَكّام ، عن أبى معاذ ، عن يونس ، عن الحسن ، عن النبي صلى الله عليه وسلم مثله .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن المبارك بن مجاهد ، عن رجل من الأزد ، عن طلحة بن مُصرِّف اليامىّ ، قال : أنبئت أن يعقوبَ ابن إسحاق دخل عليه جار له فقال : يا يعقوب ، مالى أراك قد انهشمت

---

(١) ا « قال لهم أبوهم » . (٢) سورة يوسف ٨٤ .

(٣) كذا فى ا ، وفى ط : « لا تفتأ » .

وفنيت ولم تبلغ من السنّ ما بلغ أبوك ؟ قال : هشمنى وأفنانى ما ابتلانى الله به من همّ يوسف وذكره . فأوحى الله عزّ وجلّ إليه : يا يعقوب[1] أتشكونى إلى خلقى ! قال : يارب خطيئة أخطأتها فاغفرها[2] لى . قال : فإنى قد غفرت لك ، فكان بعد ذلك إذا سئل قال : إنما أشكو بثى وحزنى إلى الله ، وأعلم من الله ما لا تعلمون .

حدثنا عمرو بن عبد الحميد الآمُلىّ ، قال : حدثنا أبو أسامة ، عن هشام عن الحسن ، قال : كان منذ خرج يوسف من عند يعقوب إلى أن رجع ثمانون سنة لم يفارق الحزن قلبه ، ولم يزل يبكى حتى ذهب بصره . قال الحسن : والله ما علَى الأرض خليقةٌ أكرم على الله من يعقوب .

ثم أمر يعقوب بنيه الذين قدموا عليه من مصر بالرجوع إليها وتحسّس الخبر عن يوسف وأخيه ، فقال لهم : اذهبوا فتحسسوا من يوسف وأخيه ولا تيئسوا من روح الله ، يفرج به عنا وعنكم الغمّ الذى نحن فيه . فرجعوا إلى مصر فدخلوا على يوسف فقالوا له حين دخلوا عليه : ﴿ أيُّها العزيزُ مَسَّنَا وأهلَنا الضُّرُّ وجئْنَا ببضاعةٍ مُزْجَاةٍ فأوفِ لَنَا الْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ علينا إنّ اللهَ يجزى المتصدِّقين ﴾[3] . وكانت بضاعتهم المزجاة التى جاءوا بها معهم — فيما ذكر — دراهم رديئة زُيوفا لا تؤخذ إلا بوضيعة[4] . وكان بعضهم يقول : كانت حلَق الغرارة والحبل ونحو ذلك . وقال بعضهم : كانت سمنًا وصوفًا . وقال بعضهم : كانت صنوبراً وحبة الخضراء . وقال بعضهم : كانت قليلة دون ما كانوا يشترون به قبل ، فسألوا يوسف أن يتجاوز لهم ويُوفيَهم بذلك من كيل الطعام مثل الذى كان يعطيهم فى المرتين قبل ذلك ، ولا ينقصهم . فقالوا له : ﴿ فَأَوْفِ لَنَا الْكَيْلَ وتَصدَّقْ عَلَيْنَا إنَّ اللهَ يَجزِى المتصدِّقينَ ﴾ .

١/٤٠٦

---

(١) ن : « فأوحى الله إلى يعقوب » .
(٢) ح : « فاغفر لى » .
(٣) سورة يوسف ٨٨ .
(٤) الوضيعة هنا : الحط من الثمن .

حدثنا ابن وكيع ، قال : حدثنا عمرو ، عن أسباط ، عن السدىّ : ﴿ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا ﴾ ، قال : بفضل ما بين الجياد والرديّة . وقد قيل : إن معنى ذلك : وتصدق علينا برد أخينا إلينا ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ ﴾ .

حدّثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : ذكر أنهم لما كلّموه بهذا الكلام ، غلبتْه نفسه فارفضّ دمعُه باكيًا ، ثم باح لهم بالذى كان يكتم منهم ، فقال : ﴿ هَلْ عَلِمْتُمْ مَا فَعَلْتُمْ بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنْتُمْ جَاهِلُونَ ﴾[1] . ولم يعن بذكر أخيه ما صنعه هو فيه حين أخذه ، ولكن التفريق بينه وبين أخيه إذ صنعوا بيوسف[2] ما صنعوا . فلما قال لهم يوسف ذلك قالوا له : ها أنت يوسف ! قال : ﴿ أَنَا يُوسُفُ وهذا أخى قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا ﴾ بأن جمع بيننا بعد تفريقكم بيننا ، ﴿ إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لاَ يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴾[1] . ١/٤٠٧

حدثنا ابن وكيع قال : حدثنا عمرو ، عن أسباط ، عن السدىّ ، قال : لما قال لهم يوسف : ﴿ أَنَا يُوسُفُ وَهَذَا أَخِي ﴾ اعتذروا وقالوا : ﴿ تَاللَّهِ لَقَدْ آثَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا وَإِنْ كُنَّا لَخَاطِئِينَ ﴾[3] . قال لهم يوسف : ﴿ لاَ تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴾[3] . فلما عرّفهم يوسف نفسه سألهم عن أبيه .

حدثنا ابن وكيع ، قال : حدثنا عمرو ، عن أسباط ، عن السدىّ ، قال : قال يوسف : ما فعل أبى بعدى ؟ قالوا : لما فاته بنيامين عمىَ من الحزن فقال : ﴿ اذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَذَا فَأَلْقُوهُ عَلَى وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا وَأْتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ * وَلَمَّا فَصَلَتِ الْعِيرُ ﴾ عير بنى يعقوب ، قال يعقوب :

---

(١) سورة يوسف ٨٩ ، ٩٠ .

(٢) ن : « فيه » .

(٣) سورة يوسف ٩١ ، ٩٢ .

﴿ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ ﴾[1] .

فحدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : حدثني ابن شريح ،
عن أبي أيوب الهوزنيّ ، حدّثه ، قال : استأذنت الريح بأن تأتيَ يعقوب بريح ٤٠٨/٠
يوسف حين بعث بالقميص إلى أبيه قبل أن يأتيَه البشير ، ففعلت ، فقال يعقوب :
﴿ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَا أَن تُفَنِّدُونِ ﴾[1] .

حدثنا أبو كريب ، قال : حدثنا وكيع ، عن إسرائيل ، عن ابن سنان ،
عن ابن أبي الهذيل ، عن ابن عباس في ﴿ وَلَمَّا فَصَلَتِ الْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّي
لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ ﴾ قال : هاجت ريحٌ فجاءت بريح يوسف من مسيرة
ثمان ليال ، فقال : ﴿ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَا أَنْ تُفَنِّدُونِ ﴾ .

حدثنا بشر بن معاذ ، قال : حدثنا يزيد بن زُرَيع ، قال ، حدثنا سعيد ،
عن قتادة ، عن الحسن ، قال : ذُكر لنا أنه كان بينهما يومئذ ثمانون فرسخًا ،
يوسف بأرض مصر ويعقوب بأرض كنعان ، وقد أتى لذلك زمان طويل .

حدثنا القاسم ، قال : حدثنا الحسين ، قال : حدثنا حجاج ، عن ابن
جريج . قوله : ﴿ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ ﴾ قال : بلغنا أنه كان بينهم يومئذ
ثمانون فرسخًا ، وقال : ﴿ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ ﴾ وقد كان فارقه قبل ذلك سبعًا
وسبعين سنة . ويعني بقوله : ﴿ لولا أن تفنِّدون ﴾ لولا أن تسفّهوني فتنسبوني إلى الهرم
وذهاب العقل . فقال له مَنْ حضره من ولده حينئذ : تالله إنك من
ذكر يوسف وحبّه ﴿ لَفِي ضَلَالِكَ الْقَدِيمِ ﴾[2] — يعنون في خطئك القديم .
﴿ فلما أن جَاءَ الْبَشِيرُ ﴾[2] — يعني البريد الذي أبرده يوسف إلى يعقوب —
يبشر بحياة يوسف وخبره ، وذكر أن البشير كان يهوذا بن يعقوب . ٤٠٩/١

حدثنا ابن وكيع ، قال : حدثنا عمرو ، عن أسباط ، عن السُّديّ ، قال :

---

(١) سورة يوسف ٩٣ ، ٩٤ .
(٢) سورة يوسف ٩٥ ، ٩٦

قال يوسف: ﴿ اذْهَبُوا بِقَمِيصِي هذا فَأَلْقُوه على وَجْه أَبِي يأْت بصيراً وأْتُونِي بِأَهْلِكُمْ أجمعين ﴾ (١) . قال يهوذا : أنا ذهبت بالقميص ملطخاً بالدم إلى يعقوب فأخبرته أن يوسف أكله الذئب ، وأنا أذهب اليوم بالقميص فأخبره بأنه حيّ ، فأقرّ عينه كما أحزنته ؛ فهو كان البشير .

فلما أن جاء البشيرُ يعقوبَ بقميص يوسف ألقاه على وجهه ، فعاد بصيراً بعد العمى ، فقال لأولاده: ﴿ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعلمُ من اللهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ ﴾ (٢) . وذلك أنه كان قد علم — من صدق تأويل رؤيا يوسف التي رآها أنّ الأحد عشر كوكباً والشمس والقمر ساجدون — ما لم يكونوا يعلمون . فقالوا ليعقوب : ﴿ يا أَبانا اسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا خَاطِئِين ﴾ (٢) . فقال لهم يعقوب : ﴿ سوفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي ﴾ (٢) . قيل: إنه أخّر الدعاء لهم إلى السَّحَر . وقيل إنه أخّر ذلك إلى ليلة الجمعة .

حدثنا أحمد بن الحسن الترمذيّ ، قال : حدثنا سليمان بن عبد الرحمن الدمشقيّ ، قال: حدثنا الوليد بن مسلم ، قال : حدثنا ابن جريج ، عن عطاء وعكرمة مولى ابن عباس ، عن ابن عباس ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « قال يعقوب : ﴿ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي ﴾ ، يقول: حتى تأتيَ ليلة الجمعة » .

١/٤١٠ فلما دخل يعقوب وولده وأهاليهم على يوسف آوى إليه أبويه ، وكان دخولهم عليه قبل دخولهم مصر — فيما قيل — لأن يوسف تلقاهم . حدثنا ابن وكيع ، قال : حدثنا عمرو ، عن أسباط ، عن السديّ ، قال : حملوا إليه أهليهم وعيالهم ، فلما بلغوا مصر كلّم يوسف الملك الذي فوقه فخرج هو والملك يتلقونهم ، فلما بلغوا مصر قال : ﴿ ادْخُلُوا مِصْرَ إِنْ شَاءَ اللهُ آمِنِين ﴾ (٢) . فلما دخلوا على يوسف آوى إليه أبويه .

---

(١) سورة يوسف ٩٣

(٢) سورة يوسف ٩٦ — ٩٩

حدثنى الحارث ، قال : حدثنا عبد العزيز ، قال : حدثنا جعفر بن سليمان، عن فرقد السبَخيّ، قال: لما أُلقِيَ القميص على وجهه ارتدَّ بصيراً ، وقال: ائتونى بأهلكم أجمعين ، فحمِل يعقوب وإخوة يوسف، فلما دنا يعقوب أخبرَ يوسف أنه قد دنا منه ، فخرج يتلقاه . قال: وركب معه أهلُ مصر — وكانوا يعظّمونه — فلما دنا أحدهما من صاحبه — وكان يعقوب يمشى وهو يتوكأ على رجل من وَلده ، يقال له يهوذا — قال : فنظر يعقوب إلى الخيل والناس ، فقال[1] : يا يهوذا ، هذا فرعون مصر ، فقال : لا ، هذا ابنك يوسف ، قال : فلما دنا كلٌّ واحد منهما من صاحبه ذهب[2] يوسف يبدؤه بالسلام ، فمنع ذلك؛ وكان يعقوب أحقّ بذلك منه وأفضل. فقال : السلام عليك يا مذهب الأحزان ، فلما أن دخلوا مصر رفع أبويه على السرير وأجلسهما عليه .

* * *

وقد اختلف فى اللذين رفعهما يوسف على العرش ، وأجلسهما عليه، فقال بعضهم : كان أحدهما أبوه يعقوب، والآخر أمه راحيل . وقال آخرونَ : بلْ كان الآخر خالته ليا وكانت أمه راحيل قد كانت ماتت قبل ذلك . وخرّ له يعقوب وأمه وولد يعقوب سجّداً .

١/٤١١

حدثنا محمد بن عبد الأعلى، حدثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن قتادة: ﴿ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّداً ﴾[3] قال : كانت تحية الناس أن يسجد بعضهم لبعض ، وقال يوسف لأبيه: ﴿ يا أبتِ هذا تأويلُ رُؤْيَاىَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّى حَقًّا﴾،[3] يعنى بذلك: هذا السجود منكم ، يدل على تأويل رؤياى التى رأيتها من قبل، صنع إخوتى بى ما صنعوا ، وتلك الكواكب الأحد عشر والشمس والقمر ﴿ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّى حَقًّا ﴾ . يقول : قد حقق الرؤيا بمجىء تأويلها .

* * *

وقيل كان بين أن أُرِىَ يوسف رؤياه هذه ومجىء تأويلها أربعون سنة .

• ذكر بعض من قال ذلك :

---

(١) ط : « قال » وما أثبته من ا . (٢) ا : « فذهب » .

(٣) سورة يوسف ١٠٠ .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : حدثنا معتَمر ، عن أبيه ، قال : حدثنا أبو عثمان ، عن سلمان الفارسىّ ، قال : كان بين رؤيا يوسف إلى أن رأى تأويلها أربعون سنة .

وقال بعضهم : كان بين ذلك ثمانون سنة .

• ذكر بعض من قال ذلك :

حدثنا عمرو بن على ، قال : حدثنا عبد الوهاب الثقفىّ ، قال : حدثنا هشام ، عن الحسن ، قال : كان منذ فارق يوسف يعقوب إلى أن التقيا ثمانون سنة ، لم يفارق الحزنُ قلبَه ودموعُه تجرى على خدّيه ، وما على الأرض يومئذ أحبٌّ إلى الله عزّ وجلّ من يعقوب . ١/٤١٢

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : حدثنا داود بن مِهْران ، قال : حدثنا عبد الواحد بن زياد ، عن يونس ، عن الحسن، قال: أُلْقِىَ يوسف فى الجبّ وهو ابن سبع عشرة سنة، وكان بين ذلك وبين لقائه يعقوب ثمانون سنة ، وعاش بعد ذلك ثلاثاً وعشرين سنة ، ومات وهو ابن عشرين ومائة سنة .

حدثنى الحارث ، قال : حدثنا عبد العزيز ، قال : حدثنا مبارك بن فَضَالة ، عن الحسن ، قال: أُلْقِىَ يوسف فى الجبّ، وهو ابن سبع عشرة سنة ، فغاب عن أبيه ثمانين سنة ، ثم عاش بعد ما جمع الله شمله ، ورأى تأويل رؤياه ثلاثا وعشرين سنة ، فمات وهو ابن عشرين ومائة سنة .

وقال بعض أهل الكتاب : دخل يوسف مصر وله سبع عشرة سنة ، فأقام فى منزل العزيز ثلاث عشرة سنة ، فلما تمت له ثلاثون سنة استوزره فرعون ملك مصر ، واسمه الريان بن الوليد بن ثروان بن أراشة بن قاران بن عمرو بن عملاق بن لاوذ بن سام بن نوح ، وأنّ هذا الملك آمن ، ثم مات ، ثم ملك بعده قابوس بن مصعب بن معاوية بن نمير بن السلواس[١] بن قاران بن عمرو ابن عملاق بن لاوذ بن سام بن نوح . وكان كافراً ، فدعاه يوسف إلى الإيمان بالله فلم يستجب إليه ، وأن يوسف أوصَى إلى أخيه يهوذا ، ومات وقد أتت له مائة وعشرون سنة، وأنّ فِراق يعقوب إياه كان اثنتين وعشرين سنة ، وأن ١/٤١٣

(١) ا ، ن : « البيلواس »

مقام يعقوب معه بمصر كان بعد موافاته بأهله سبع عشرة سنة ، وأن يعقوب لما حضرته الوفاة أوصى إلى يوسف — وكان دخول يعقوب مصر فى سبعين إنسانًا من أهله . وتقدم إلى يوسف عند وفاته أن يحمّل جسده حتّى يدفنه بجنب أبيه إسحاق ، ففعل يوسف ذلك به ومضى به حتّى دفنه بالشأم ، ثم انصرف إلى مصر ، وأوصى يوسف أن يحمّل جسده حتّى يدفَن إلى جنب آبائه ، فحمل موسى تابوت جسده عند خروجه من مصر معه .

وحدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : ذُكر لى — والله أعلم — أن غيبة يوسف عن يعقوب كانت ثمانىَ عشرة سنة .

قال : وأهلُ الكتاب يزعمون أنها كانت أربعين سنة أو نحوها ، وأنّ يعقوب بقىَ مع يوسف بعد أن قدم عليه مصر سبع عشرة سنة ، ثم قبضه الله إليه . قال : وقبر يوسف — كما ذكر لى فى صندوق من مرمر فى ناحية من النيل فى جوف الماء .

وقال بعضهم : عاش يوسف بعد موت أبيه ثلاثا وعشرين سنة ، ومات وهو ابن مائة وعشرين سنة. قال : وفى التوراة أنه عاش مائة سنة وعشر سنين .

١/٤١٤ وولد ليوسف أفرايم بن يوسف ومنشا بن يوسف ، فولد لإفرايم نون ، فولد لنون بن إفرايم يوشع بن نون وهو فتى موسى ، وولد لمنشا موسى بن منشا .

وقيل : إن موسى بن منشا نبّئ[1] قبل موسى بن عمران .

ويزعم أهل التوراة أنه الذى طلب الخضر .

(١) ط : « نبي » ، وما أثبته من ا .

قصة الخضر وخبره وخبر موسى وفتاه يوشع عليهم السلام

قال أبو جعفر : كان الخضر ممن كان فى أيام أفريدون الملك بن أثفيان فى قول عامّة أهل الكتاب الأوّل، وقبل[1] موسى بن عمران صلى الله عليه وسلم . وقيل إنه كان على مقدمة ذى القَرْنين الأكبر ، الذى كان أيام إبراهيم خليل الرحمن صلى الله عليه وسلم ، وهو الذى قضى له ببئر السبع — وهى بئر كان إبراهيم احتفرها لماشيته فى صحراء الأردنّ — وإنّ قومًا من أهل الأردنّ ادّعوا الأرض التى كان احتفر بها إبراهيم بئره ، فحاكمهم إبراهيم إلى ذى القرنين الذى ذكر أن الخَضِر كان على مقدمته أيامَ سَيْره فى البلاد، وإنه بلغ مع ذى القرنين نهرَ الحياة ، فشرب من مائه وهو لا يعلم ، ولا يعلم به ذو القرنين ومن معه ، فخلّد ، فهو حىّ عندهم إلى الآن .

١/٤١٥ وزعم بعضهم أنه من ولد مَن كان آمن بإبراهيم خليل الرحمن ، واتبعه على دينه ، وهاجر معه من أرض بابل حين هاجر إبراهيم منها . وقال : اسمه بليا بن ملكان بن فالغ بن عابر بن شالخ بن أرفخشد بن سام بن نوح ، قال : وكان أبوه ملكًا عظيماً .

وقال آخرون: ذو القرنين الذى كان على عهد إبراهيم صلى الله عليه وسلم هو أفريدون بن أثفيان ، قال : وعلى مقدمته كان الخضر .

وقال عبد الله بن شَوْذب فيه، ما حدثنا عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم المصرىّ قال : حدثنا محمد بن المتوكل ، قال : حدثنا ضَمْرة بن ربيعة ، عن عبد الله بن شَوْذب ، قال : الخضر من ولد فارس، وإلياس من بنى إسرائيل، يلتقيان فى كلّ عام بالموسم .

وقال ابن إسحاق فيه ما حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة، قال : حدثنى ابن إسحاق ، قال : بلغنى أنه استخلف الله عزّ وجلّ فى بنى إسرائيل

(١) كذا فى ا وابن الأثير ، وهو الصواب ، وفى ط : « وقيل » .

رجلا منهم ، يقال له ناشية بن أموص ، فبعث الله عزّ وجلّ لهم الخضر نبيًّا .
قال : واسم الخضر — فيما كان وهب بن منبّه يزعم عن بنى إسرائيل — أورميا بن
١/٤١٦ خلقيا ، وكان من سِبْط هارون بن عمران . وبين هذا الملك الذى ذكره ابن
إسحاق وبين أفريدون أكثر من ألف عام .

وقول الذى قال : إن الخضر كان فى أيام أفريدون وذى القرنين الأكبر وقبل[1] موسى بن عمران أشبه بالحق إلا أن يكون الأمر كما قاله مَنْ قال إنه كان على مقدمة ذى القرنين صاحب إبراهيم ، فشرب ماء الحياة ، فلم يبعث فى أيام إبراهيم صلى الله عليه وسلم نبيًّا ، وبعث أيام ناشية بن أموص ؛ وذلك أنّ ناشية بن أموص الذى ذكر ابن إسحاق أنه كان ملكًا على بنى إسرائيل ، كان فى عهد بشتاسب بن لهراسب ، وبين بشتاسب وبين أفريدون من الدهور[2] والأزمان ما لا يجهله ذو علم بأيام الناس وأخبارهم ، وسأذكر مبلغَ ذلك إذا انتهينا إلى خبر بشتاسب إن شاء الله تعالى .

وإنما قلنا : قول من قال : كان الخضر قبل موسى بن عمران صلى الله عليه وسلم أشبهُ بالحق من القول الذى قاله ابن إسحاق وحكاه عن وهب بن منبّه ، للخبر الذى رَوَى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أبىّ بن كعب ، أنّ صاحب موسى بن عمران — وهو العالم الذى أمره الله تبارك تعالى بطلبه إذ ظن أنه لا أحدَ فى الأرض أعلم منه — هو الخضر ، ورسول الله صلى الله عليه كان أعلمَ خلق
١/٤١٧ الله بالكائن من الأمور الماضية ، والكائن منها الذى لم يكن بعد .

والذى روى أبىّ بن كعب فى ذلك عنه صلى الله عليه وسلم ما حدثنا أبو كريب ، قال : حدثنا يحيى بن آدم ، قال : حدثنا سفيان بن عيينة ، عن عمرو بن دينار ، عن سعيد ، قال[3] : قلت لابن عباس : إن نوفاً يزعم أن الخضر ليس

---

(١) ط : « قبل » من غير واو ، وما أثبتة من ا .
(٢) ح : « الدهر » .
(٣) رواه البخارى فى كتاب التفسير بسنده عن سعيد بن جبير ؛ مع اختلاف فى ألفاظ الحديث .

بصاحب موسى ، فقال : كذبَ عدو الله ، حدثنا أبيّ بن كعب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : إن موسى قام فى بنى إسرائيل خطيبًا فقيل : أىّ الناس أعلم ؟ فقال : أنا ، فعتب الله عليه حين لم يردّ العلم إليه ، فقال : بل عبدٌ لى[١] عند مجمع البحرين ، فقال : يا ربّ ، كيف به ؟ قال[٢]: تأخذ حوتًا فتجعله فى مكتل فحيث تفقده فهو هناك . قال : فأخذ حوتًا فجعله فى مكتل، ثم قال لفتاه : إذا فقدتَ هذا الحوت فأخبرنى . فانطلقا يمشيان على ساحل البحر حتّى أتيا صخرة ، فرقد موسى فاضطرب الحوت فى المكتل ، فخرج فوقع فى البحر ، فأمسك الله عنه جرْية الماء فصار مثل الطاق ، فصار للحوت سربًا ، وكان لهما عجبًا . ثم انطلقا ، فلما كان حين الغداء قال موسى لفتاه : ﴿ آتِنَا غَدَاءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبًا ﴾[٣] قال : ولم يجد موسى النصَب[٤] حتى جاوز حيث أمرَه الله[٥] ، قال : فقال: ﴿ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّى نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنْسَانِيهُ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِى الْبَحْرِ عَجَبًا ﴾[٣] قال : فقال : ﴿ ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ فَارْتَدَّا عَلَى آثَارِهِمَا قَصَصًا ﴾[٣]. قال : يقصّان آثارهما[٦] . قال : فأتيا الصخرة ، فإذا رجل نائم مسجًّى بثوبه ، فسلّم عليه موسى فقال : وأنّى بأرضنا السلام ! قال : أنا موسى ، قال : موسى بنى إسرائيل ؟ قال : نعم ، قال : يا موسى ، إنى على علْم من علم الله ، علّمنيه الله لا تعلمه ، وأنت على علم من علم الله علّمكه الله لا أعلمه ، قال: فإنى أتبعك على أن تعلمنى ممّا عُلّمتَ رُشْداً . ﴿ قال فَإِنِ اتَّبَعْتَنِى فَلَا تَسْأَلْنِى عَنْ شَىْءٍ حَتَّى أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا ﴾[٧]. فانطلقا يمشيان على الساحل ، فإذا بملاح فى سفينة ، فعرف الخضر ، فحمله

١٨/١

---

(١) البخارى : « فأوحى الله إليه إن لى عبداً » .

(٢) ط : « فقال » ؛ وما أثبته عن ا والبخارى .

(٣) سورة الكهف ٦٢ — ٦٤ .

(٤) ح : « التعب » .

(٥) لفظ البخارى : « المكان الذى أمر الله به » .

(٦) ن : « أثرهما » ، ولفظ البخارى : « رجعاً يقصان آثارهما حتى انتهيا إلى الصخرة » .

(٧) سورة الكهف ٧٠ .

بغير نَوْل ، فجاء عصفور فوقع على حرفها فنقر — أو فنقد(١) — فى الماء ، فقال الخضر لموسى : ما ينقص علمى وعلمك من علم الله إلا مقدار مانقر — أو نقد — هذا العصفور من البحر .

قال أبو جعفر : أنا أشكُّ ، وهو فى كتابى هذا « نقر » . قال : فبينما هم فى السفينة لم يُفجأ موسى إلا وهو يتِد وتداً أو ينزع تختًا منها ، فقال له موسى : حملنا بغير نَوْل وتخرقها لتُغْرِقَ أهلَها(٢)! ﴿لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا * قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا * قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ﴾ (٣) — قال : فكانت الأولى من موسى نسيانًا — قال : ثم خرجا فانطلقا يمشيان ، فأبصرا غلامًا يلعب مع الغلمان ، فأخذ برأسه فقتله ، فقال له موسى : ﴿أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَاكِيَةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا * قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا * قَالَ إِنْ سَأَلْتُكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَاحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّي عُذْرًا﴾(٤) .

١/٤١٩

فانطلقا حتى إذا أتيا أهلَ قرية استطعما أهلها ، فلم يجدا أحداً يطعمهم ولا يسقيهم ، فوجدا فيها جداراً يريد أن ينقضّ فأقامه بيده — قال : مسحه بيده — فقال له موسى : لم يُضيفونا ولم ينزلونا ، ﴿لَوْ شِئْتَ لَاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾(٥) . ﴿قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ﴾(٥) قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لوددت أنه كان صبَر حتى يقصّ علينا قصصهم(٦) » .

حدثنى العباس بن الوليد ، قال : أخبرنى أبى قال : حدثنا الأوزاعى ،

---

(١) ط : « نقد » ، وما أثبته عن ا ، ونقر ونقد بمعنى واحد .

(٢) لفظ البخارى : « فقال له موسى : قوم حملونا بغير نول عمدت إلى سفينتهم فخرقتها لتغرق أهلها » .

(٣) سورة الكهف ٧١ — ٧٣ .

(٤) سورة الكهف ٧٤ — ٧٦ ، و « زاكية » قراءة الجمهور ، وقراءة الكوفيين وابن عامر : « زكية » ، بتشديد الياء ، وهى التى فى المصحف . وقال البخارى : «كان ابن عباس قرأها : زكية وزاكية» .

(٥) سورة الكهف ٧٧ ، ٧٨

(٦) لفظ البخارى : وددت أن موسى كان صبر حتى يقص الله علينا من خبرهما .

قال : حدثني الزهريّ ، عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود ، عن ابن عباس: أنه[١] تمارَى هو والُحرّ بن قيس بن حصن الفزاريّ فى صاحب موسى ، فقال ابن عباس : هو الخضر ، فرَّ بهما أُبيّ بن كعب ، فدعاه ابن عباس فقال : إنى تماريت أنا وصاحبي هذا فى صاحب موسى عليه السلام الذى سأل السبيلَ إلى لقائه ، فهل سمعتَ رسول الله يذكر شأنه ؟ قال : نعم إنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : «بينا موسى عليه السلام فى ملإ من بنى إسرائيل ، إذ جاءه رجل فقال : تعلم مكان أحد أعلم منك ؟ قال موسى : لا ، فأوحى الله إلى موسى : بلَى عبدنا الخَضِر ، فسأل موسى السبيلَ إلى لقائه ، فجعل الله الحوت آية ، وقال له : إذا افتقدت الحوت فارجع فإنك ستلقاه ، فكان موسى يتبع أثر الحوت ، [فى البحر ، فقال فتى موسى لموسى : ﴿أرأيتَ إذْ أوَيْنَا إلى الصَّخْرَةِ فإنى نسيتُ الحوتَ ﴾][٢]، قال موسى : ﴿ ذلك ما كُنَّا نَبْغِ فارتدَّا على آثارهما قصَصاً﴾، فوجدا الخضر[٣]، فكان من شأنهما ما قصَّ الله فى كتابه » .

١/٤٢٠

حدثني محمد بن مرزوق قال ، حدثنا حجاج بن المنهال ، قال : حدثنا عبد الله بن عمر النميريّ ، عن يونس بن يزيد ، قال : سمعت الزهريّ يحدث قال : أخبرنى عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود ، عن ابن عباس : أنه تمارى هو والُحرّ بن قيس بن حصن الفزاريّ فى صاحب موسى ، فذكر نحو حديث العباس عن أبيه .

حدثنا محمد بن سعد ، قال : حدثنى أبى ، قال : حدثنى عمى ، قال : حدثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ؛ قوله: ﴿ وَإِذْ قالَ مُوسَى لِفَتَاهُ

---

(١) نقله ابن كثير فى تفسيره ٣ : ٩٦

(٢) تكلة من ا وتفسير ابن كثير .

(٣) ا : « فوجدا عبدنا الخضر » .

﴿لاَ أَبْرَحُ حَتَّى أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ...﴾[1] الآية ، قال : لما[2] ظهر موسى وقومه على مصر نزل قومه مصر ، فلما استقرّت بهم الدار ، أنزل الله عزّ وجلّ عليه : أن ذكِّرهم بأيام الله . فخطب قومه ، فذكّر ما آتاهم الله من الخير والنعمة ، وذكَّرهم إذ أنجاهم الله من آل فرعون ، وذكّرهم هلاك عدوهم ، وما استخلفهم [الله][3] فى الأرض، فقال : وكلم الله موسى نبيكم تكليماً ، واصطفانى لنفسه ، وأنزل علىّ محبة منه ، وآتاكم الله من كلّ ما سألتموه ، فنبيكم أفضلُ أهل الأرض وأنتم تقرءون التوراة . فلم يترك نعمةً أنعمها الله عليهم إلا ذكرها وعرّفها إياهم ، فقال له رجل من بنى إسرائيل : هو كذلك يا نبىّ الله ، وقد عرفْنا الذى تقول، فهل على الأرض أحدٌ أعلم منك يا نبىّ الله ؟ قال : لا ، فبعث الله عزّ وجلّ جبرئيل عليه السلام إلى موسى عليه السلام فقال : إن الله تعالى يقول: وما يدريك أين أضع علمى ؟ بلى إن على شطّ البحر رجلا أعلم منك — قال ابن عباس : هو الخضر — فسأل موسى ربه أن يريَه إياه ، فأوحى الله إليه أن ائت البحر ، فإنك تجد على شطّ البحر حوتاً فخذه فادفعه إلى فتاك ثم الزم شطّ البحر ، فإذا نسيت الحوت وهلك منك ، فثمّ تجد العبد الصالح الذى تطلب .

٤٢١/١

فلما طال سفر موسى نبى الله صلى الله عليه ونصب فيه ، سأل فتاه عن الحوت، فقال له فتاه وهو غلامه: ﴿أرأيت إذْ أوَيْنَا إلى الصَّخْرَةِ فإنِّى نسيتُ الحوتَ وَمَا أنْسَانِيه إلَّا الشيطانُ أنْ أذْكُرَهُ﴾ لك . قال الفتى : لقد رأيت الحوت حين اتخذ سبيله فى البحر سربا. فأعجب ذلك موسى فرجع حتى أتى الصخرة فوجد الحوت، فجعل الحوت يضرب فى البحر ويتبعه موسى ، وجعل موسى يقدّم عصاه يفرج بها عنه الماء ، يتبع الحوت ، وجعل الحوت لا يمس شيئاً من الماء[4] إلا يبس حتى يكون صخرة، فجعل نبى الله صلى الله عليه يعجب من ذلك حتى انتهى به الحوت إلى جزيرة من جزائر البحر ، فلقى الخضر بها، فسلّم

٤٢٢/١

---

(١) سورة الكهف ٦٠ .
(٢) نقله ابن كثير فى التفسير ٣ : ٩٥ .
(٣) من تفسير ابن كثير.
(٤) ط : « البحر » ، وما أثبته من ا .

عليه ، فقال الخضر : وعليك السلام ، وأنى يكون هذا السلام بهذه الأرض ! ومن أنت ؟ قال : أنا موسى ، فقال له: الخضر صاحبُ[(١)] بنى إسرائيل ؟ قال : نعم ، فرحّب به وقال : ما جاء بك ؟ قال : جئت على أن تعلّمنى مما علمت رشداً ، قال : ﴿ إنكَ لن تستطيعَ مَعِيَ صَبْراً ﴾[(٢)]، يقول : لا تطيق ذلك ، قال موسى : ﴿ سَتَجِدُنِي إنْ شَاء اللهُ صَابِراً وَلاَ أَعْصِي لَكَ أَمْراً ﴾[(٣)] . قال : فانطلق به ، وقال له : لا تسألنى عن شىء أصنعهُ حتى أبين لك شأنه، فذلك قوله : ﴿ حَتَّى أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْراً ﴾[(٣)]. فركبا فى السّفينة يريدان أن يتعديا إلى البرّ ، فقام الخضر ، فخرق السفينة فقال له موسى : ﴿ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئاً إِمْراً ﴾[(٣)] ... ثم ذكر بقية القصّة

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا يعقوب القُمّىّ ، عن هارون بن عنترة عن أبيه ، عن ابن عباس قال : سأل موسى عليه السلام ربه عزّ وجلّ فقال: أى ربّ ؛ أىّ عبادك أحبُّ إليك ؟ قال : الذى يذكرنى ولا ينسانى ، قال : فأىّ عبادك أقضى ؟ قال : الذى يقضى بالحق ولا يتبع الهوى ، قال أىّ ربّ ، أىُّ عبادك أعلم ؟ قال : الذى يبتغى علْمَ الناس إلى علمه ، عسى أن يُصيب ١/٤٢٣ كلمة تهديه إلى هدى ، أو تردّه عن ردًى ، قال : ربّ فهل فى الأرض أحد — قال أبو جعفر أظنه قال : أعلم منى ؟ قال : نعم ، قال : ربّ ، فمن هو ؟ قال : الخضر ، قال : وأين أطلبه ؟ قال : على الساحل[(٤)]، عند الصخرة التى ينفلت عندها الحوت ، قال : فخرج موسى يطلبه حتى كان ما ذكره الله عزّ وجلّ وانتهى موسى إليه عند الصخرة ، فسلّم كلٌّ واحد منهما على صاحبه ، فقال له موسى : إنى أريد أن تستصحبنى[(٥)] ، قال: لن تطيق

---

(١) ا ، ن : « أصاحب بنى إسرائيل ؟ » .

(٢) سورة الكهف ٦٧

(٣) سورة الكهف ٦٩ — ٧١

(٤) ح : « بالساحل »

(٥) ن : « أصحبك » .

صحبتى ، قال : بلى ، قال : فإن صحبتنى ﴿ فَلَا تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّى أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْراً * فانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئاً إِمْراً * قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْراً * قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْراً * فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا لَقِيَا غُلَاماً فَقَتَلَهُ قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْساً زَاكِيَةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئاً نُكْراً ﴾، إلى قوله: ﴿ لَاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْراً ﴾[١].

قال : فكان قول موسى فى الجدار لنفسه ولطلب شىء من الدنيا ، وكان قوله فى السفينة وفى الغلام لله عزّ وجلّ. ﴿قال هذا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْراً ﴾[١] ، فأخبره بما قال الله : ﴿ أما السفينة فكانتْ لِمَسَاكِين ... ﴾ الآية ، ﴿ وَأَمَّا الْغُلَامُ ...﴾[١] الآية ، ﴿ وَأَمَّا الْجِدَار . . . ﴾[١] الآية. قال : فسار به فى البحر حتّى انتهى به إلى مجمع البحرين[٢]، وليس فى الأرض مكان أكثر[٣] ماءً منه ، قال : وبعث ربك الخُطّاف ، فجعل يستقى منه بمنقاره ، فقال لموسى : كم ترى هذا الخُطّاف رزأ من هذا الماء؟ قال : ما أقلّ ما رزأ ! قال : يا موسى فإنّ علمى وعلمك فى علم الله كقدر ما استقى هذا الخُطّاف من هذا الماء . وكان موسى عليه السلام قد حدّث نفسه أنه ليس أحدٌ أعلمَ منه، أو تكلم به؛ فمن ثَمّ أمر أن يأتى الخضر .

١/٤٢٤

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثنى محمد بن إسحاق، عن الحسن بن عُمارة، عن الحكم بن عتيبة ، عن سعيد بن جبير ، قال : جلست عند ابن عباس وعنده نفرٌ من أهل الكتاب، فقال بعضهم: يا أبا العباس إن نَوْفا ابن امرأة كعب ، ذكر[٤] عن كعب أن موسى النبى عليه

---

(١) سورة الكهف ٧٠ — ٨٠

(٢) ا : « البحور »

(٣) ح « أكبر »

(٤) ا : « يزعم »

السلام الذى طلب العالم إنما هو موسى بن منشا . قال سعيد : فقال ابن عباس: أنوفٌ يقول هذا ؟ قال سعيد : فقلت له : نعم ، أنا سمعت نوْفا يقول ذلك ، قال : أنت سمعته يا سعيد ؟ قال : قلت : نعم ، قال : كذب نوْف . ثم قال ابن عباس : حدثنى أبيّ بن كعب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أن موسى نبيّ إسرائيل سأل ربه تبارك وتعالى فقال : أىّ رب ، إن كان فى عبادك أحدٌ هو أعلم منى فادللنى عليه ، فقال له : نعم فى عبادى مَنْ هو أعلم منك، ثم نعَت له مكانه ، وأذن له فى لقائه ، فخرج موسى عليه السلام ومعه فتاه ، ومعه حوت مليح قد قيل له : إذا حَيِىَ هذا الحوت فى مكان فصاحبك هنالك، وقد أدركتَ حاجتك . ٤٢٥/١

فخرج موسى ومعه فتاه ، ومعه ذلك الحوت يحملانه ، فسار حتّى جهده السير، وانتهى إلى الصخرة وإلى[1] ذلك الماء وذلك الماء، ماء الحياة، مَنْ شرب منه خُلِّد ، ولا يقاربه شيء ميت إلا أدركته الحياة[2] وحي . فلما نزلا منزلا ومسّ الحوتُ الماءَ حيي ، فاتخذ سبيله فى البحر سربًا ، فانطلق فلما جاوزا بمنقلة[3] قال موسى لفتاه : ﴿ آتِنَا غَدَاءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا ﴾ .قال الفتى وذكر: ﴿ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّى نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنْسَانِيهِ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِى الْبَحْرِ عَجَبًا ﴾ . قال ابن عباس: وظهر موسى على الصخرة حتّى انتهيا إليه ، فإذا رجل متلفّف[4] فى كساء له ، فسلم عليه موسى ، فرد عليه السلام ، ثم قال له : ومَنْ أنت ؟ قال : أنا موسى ابن عمران ، قال : صاحب بنى إسرائيل ؟ قال : نعم أنا ذلك، قال: وما جاء بك إلى هذه الأرض ؛ أنْ لك فى قومك لَشُغْل ! قال له موسى : جئتك لتعلّمنى مما عُلّمتَ رشداً ، قال : إنك لن تستطيع معى صبراً ، وكان رجلا يعمل على الغيب قد علم ذلك، فقال موسى : بلى، قال: ﴿ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَى مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ

(١) ن : « إلى » .

(٢) ا ، ح : « ميت إلا حى » .

(٣) المنقلة هنا : المرحلة .

(٤) كذا فى ا ، ح، وفى ط : « ملتف » .

٤٢٦/١ خُبْرًا ﴾، أى إنما تعرف ظاهر ما ترى من العدل ولم تُحِطْ من علم الغيب بما أعلم . ﴿ قَالَ سَتَجِدُنِى إِنْ شَاءَ اللهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِى لَكَ أَمْرًا ﴾ وإن رأيتُ ما يخالفنى . قال : ﴿ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِى فلا تسألنى عَنْ شَىْءٍ حَتَّى أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا ﴾، أى فلا تسألنى عن شىء وإن أنكرتَه حتى أحدث لك منه ذكراً ، أى خبراً . فانطلقا يمشيان على ساحل البحر يتعرّضان الناس ، يلتمسان مَنْ يحملهما حتى مرّت بهما سفينة جديدة وثيقة ، لم يمرّ بهما شىء من السفن أحسنُ ولا أجمل ولا أوثق منها ، فسألا أهلَها أن يحملوهما ، فحملوهما ، فلما اطمأنّا فيها ، ولجّجت بهما مع أهلها ، أخرج منقاراً له ومطرقة ، ثم عمد إلى ناحية منها فضرب فيها بالمنقار حتى خرقها ، ثم أخذ لوحًا فطبّقه عليها، ثم جلس عليها يرقعها ، قال له موسى : فأىّ أمر أفظعُ من هذا ![1] ﴿ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا ﴾! حملونا وآوونا إلى سفينتهم ، وليس فى البحر سفينة مثلها ، فلم خرقتها ! قال : ﴿ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا ۝ قال لا تؤاخِذْنى بِمَا نَسِيتُ ﴾، أى بما تركت من عهدك ﴿ وَلَا تُرْهِقْنِى مِنْ أَمْرِى عُسْرًا ﴾. ثم خرجا من السفينة ، فانطلقا حتى أتيا أهلَ قرية ، فإذا غلمان يلعبون، فيهم غلامٌ ليس فى الغلمان غلام أظرفُ ولا أترفُ ولا أوضأ منه ، فأخذ بيده ، وأخذ حجراً فضرب به رأسه حتى دمغه فقتله . قال : فرأى موسى

٤٢٧/١ أمراً فظيعًا لا صبرَ عليه ، صبىّ صغير قتله[2] بغير جناية ولا ذنب له ! فقال : ﴿ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَاكِيَةً بِغَيْرِ نَفْسٍ ﴾ ، أى صغيرة بغير نفس ، ﴿ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا ۝ قال أَلَمْ أَقُلْ لك إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا ۝ قال إن سألتُك عن شىء بَعْدَهَا فَلَا تُصَاحِبْنِى قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّى عُذْرًا ﴾ ، أى قد أعذرت فى شأنى . ﴿ فانطَلَقَا حَتَّى إذا أتيَا أهلَ قرية اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا فأَبَوْا أن يُضَيِّفُوهُما فَوَجَدا فيها جداراً يريدُ أن ينقضّ فأقامَه ﴾ ، فهدمه ثم قعد يبنيه ،

(١) ا : « ورأى أمراً فظع به » .
(٢) ط : « أخذ صبيا صغيراً بغير جناية » ، وما أثبته من ا .

فضجر موسى مما رآه يصنع من التكلف لما ليس عليه صبر ، فقال : ﴿ لو شئتَ لاتَّخذتَ عليه أجرًا ﴾ أى قد استطعمناهم فلم يُطعمونا ، واستضفناهم فلم يُضيفونا ، ثم قعدتَ تعمل فى غير صنيعة(١) ، ولو شئت لأعطيت عليه أجراً [فى عمله](٢) ﴿ قالَ هذا فِراقُ بيني وَبَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا . أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ — وفى قراءة أبىّ بن كعب : كُلَّ سَفِينَةٍ صَالِحَةٍ — غَصْبًا ﴾ ، وإنما عيبتها لأردّه عنها ، فسلمتْ منه حين رأى العيبَ الذى صنعتُ بها . ﴿ وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَنْ يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا . فَأَرَدْنَا أَنْ يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا . وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا ﴾ — إلى — ﴿ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا ﴾ . ٤٢٨/١
فكان ابن عباس يقول : ما كان الكنز إلا علماً(٣) .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلَمة ، قال : حدثنى محمد بن إسحاق ، عن الحسن بن عُمارة ، عن أبيه ، عن عكرمة ، قال : قيل لابن عباس : لم نسمع لفتى موسى بذكر من حديث وقد كان معه ! فقال ابن عباس فيما يذكر من حديث الفتى ، قال : شرب الفتى من ماء الخلد فخلّد ، فأخذه العالم فطابق به سفينة ، ثم أرسله فى البحر ، فإنها لتموج به إلى يوم القيامة ، وذلك أنه لم يكن له أن يشرب منه فشرب .

حدثنا بشر بن معاذ ، قال : حدثنا يزيد ، عن شعبة ، عن قتادة ، قوله : ﴿ فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا ﴾ ، ذُكر لنا أن نبىّ الله موسى لما قطع البحر وأنجاه الله من آل فرعون ، جمع بنى إسرائيل فخطبهم فقال :

(١) كذا فى ا والتفسير ، وفى ط : « ضيمة » . (٢) من ا والتفسير .
(٣) الخبر فى التفسير ١٥ : ١٨٠ — ١٨٣ (بولاق) .

أنتم خيرُ أهل الأرض وأعلمُهم قد أهلك الله عدوكم ، وأقطعكم البحر وأنزل عليكم التوراة ، قال : فقيل له : إن ها هنا رجلا هو أعلم منك[١] قال : فانطلق هو وفتاه يوشع بن نون يطلبانه ، فتزودا مملوحة فى مكتل لهما ، وقيل لهما : إذا نسيتما ما معكما لقيتما رجلا عالمًا يقال له الخضر ، فلما أتيا ذلك المكان ، رد الله إلى الحوت روحه فسرَّب له من الجُدّ[٢] حتى أفضى إلى البحر ، ثم سلك فجعل لا يسلك فيه طريقًا إلا صار ماء جامداً ، قال : ومضى موسى وفتاه ، يقول الله ١/٤٢٩ عزّ وجلّ : ﴿فلما جاوزا قال لفتاه آتنا غداءنا لقد لقينا من سفرنا هذا نَصَباً﴾ — إلى قوله — : ﴿وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْماً﴾ ، فلقيا رجلا عالمًا يقال له الخِضر ، فذُكر لنا أن نبيّ الله قال : إنما سمى الخِضر خضرا لأنه قعد على فروة بيضاء فاهتزّت به خضراء .

* * *

فهذه الأخبار التى ذكرناها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن السلف من أهل العلم تنبئ عن أن الخِضرَ كان قبل موسى وفى أيامه ، ويدلّ على خطإ قول من قال : إنه أورميا بن خلقيا ، لأن أورميا كان فى أيام بختنصَّر ، وبين عهدى موسى وبختنصّر من المدة ما لا يشكل قدرها على أهل العلم بأيام الناس وأخبارهم ؛ وإنما قدمنا ذكره وذكر خبرة لأنه كان فى عهد أفريدون فيما قيل ؛ وإن كان قد أدرك على هذه الأخبار التى ذكرت من أمره وأمر موسى وفتاه أيام منُوشهر وملكه ، وذلك أن موسى [إنما][٣] نُبّئ فى عهد منوشهر ، وكان ملك منوشهر بعد ما ملك جده أفريدون ، فكلّ ما ذكرنا من أخبار مَنْ ذكرنا أخباره من عهد إبراهيم إلى الخبر عن الخضر عليهما السلام ، فإن ذلك كله — فيما ذكر — كان فى ملك بيوَراسب وأفريدون ، وقد ذكرنا فيما مضى قبلُ أخبارَ أعمارهما ومبلغهما ومدة كل واحد منهما[٤] .

* * *

ونرجع الآن إلى الخبر عن :

(١) ط : « منكم » ؛ وما أثبته من ا .
(٢) الجد ، بضم الجيم : شاطىء البحر ، وفى ح : « الحد » .
(٣) من ا (٤) ا : « مبلغ أعمارهما ومدة ملك كل واحد منهما » .

ثم ملك بعد أفريدُون بن أثفيان بركاو[١] مِنُوشِهْر ، وهو من ولد إيرَج بن أفريدُون .

وقد زعم بعضهم أن فارس سميت فارس بمنوشهر هذا ، وهو منوشهر كيازيه[٢] — فيما يقول نسابة الفرس — بن منشخورنر[٣] بن منشخوا ربغ[٤] ابن ويرك بن سروشنك[٥] بن أبوك بن بتك[٦] بن فرزشك[٧] بن زشك[٨] ٤٣١/١ ابن فركوزك[٩] بن كوزك[١٠] بن إيرَج بن أفريدون بن أثفيان بركاو .

وقد ينطق بهذه الأسماء بخلاف هذه الألفاظ .

وقد يزعم بعض المجوس أن أفريدون وطئ ابنةً لابنه إيرَج ، يقال لها كوشك ، فولدت له جارية يقال لها فركوشك[١١] ، ثم وطئ فركوشك هذه فولدت له جارية يقال لها زوشك[١٢] ، ثم وطئ زوشك هذه ، فولدت له جارية يقال لها فرزوشك[١٣] ، ثم وطئ فرزوشك هذه فولدت له جارية يقال لها بيتك[١٤] ،

(١) ح وابن الأثير : « بن كاو » .
(٢) كذا فى ن ، وفى ا ، ح : « كان به » ، وفى ط من غير نقط .
(٣) ا : « متشجور » ن : « مشجورين » .
(٤) ا : « متشجوارمع » .
(٥) ن : « شروشنك » .
(٦) ن : « تبك » .
(٧) ا : « فرشك » ، ح : « ورشك » .
(٨) ا : « رشنك » ، ن : « رشك » .
(٩) ا ، فركوذك « ن : « فركوذل » .
(١٠) ن : « كوذل » .
(١١) ا : « خركوشك » .
(١٢) ا : « روشنك » .
(١٣) ا : « فرونشك » .
(١٤) ا : « تبتك » .

١/٤٣٢ ثم وطئ بيتك هذه فولدت له جارية يقال لها إيرك(١) ، ثم وطئ إيرك فولدت له إيزك ، ثم وطئ إيزك فولدت له ويرك ، ثم وطئ ويرك فولدت له منشخر فاغ(٢). ويقول بعضهم : منشخوا ربغ(٣) وجارية يقال لها : منشجرك(٤) ، وأن منشخر فاغ وطئ منشجرك فولدت له منشخرنر ، وجارية يقال لها منشراروك ، وأن منشخرنر وطئ منشراروك فولدت له منو شهر .

فيقول بعضهم كان مولده بدُنْباوند .

ويقول بعض : كان مولده بالرّىّ ، وإن منشخرنر ومنشراروك لما ولد لهما منوشهر أسرًّا أمرَه خوفًا من طوج وسَلْم عليه ، وإن منوشهر لما كبر صار إلى جده أفريدون ، فلما دخل عليه توسَّم فيه الخير ، وجعل له ما كان

١/٤٣٣ جعل لجده إيرَج من المملكة ، وتوّجه بتاجه .

وقد زعم بعض أهل الأخبار أن منوشهر هذا هو منوشهر بن منشخرنر ابن أفريقيس بن إسحاق بن إبراهيم ؛ وأنه انتقل إليه الملك بعد أفريدون وبعد أن مضى ألف سنة وتسعمائة سنة واثنتان وعشرون سنة ، من عهد جيومرت ، واستشهد لحقيقة ذلك بأبيات لجرير بن عطية ، وهو قوله(٥) .

وأبْناه إسْحَاقَ اللُّيوثُ إذا ارْتَدَوْا ... حَمَائِلَ موتٍ لَابِسِينَ السَّنَوَّرا(٦)

إذا انتَسبُوا عَدُّوا الصَّبَهْبَذَ منْهُمُ ... وكِسْرَى وعَدُّوا الْهُرْمُزَانَ وَقَيْصَرَا(٧)

وكان كتـــابٌ فِيهِمُ وَنُبُوَّةٌ ... وكانوا بِإصْطَخْرَ الْمُلُوكَ وَتُسْتَرَا(٨)

---

(١) كذا فى ن ، وفى ط ، ا مهمل .

(٢) ا : « منشجرفاغ » .

(٣) ا : «منشجواربع» .

(٤) كذا فى ا ، وفى ط مهمل .

(٥) من قصيدة يمدح بها هلال بن أحوز المازنى ويفخر بأبناء إسماعيل وإسحاق ، ويهجو الفرزدق وبنى طهية ، فى ديوانه ٢٤٢ . والنقائض ٩٩٥

(٦) السنور : الدروع .

(٧) الصبهبذ : قائد العسكر ، بالفارسية .

(٨) قال فى شرح النقائض : « إى كان الملوك ينزلون إصطخر وتستر » .

فَيَجْمَعُنَا وَالْغُرُّ أَبْنَاءُ فارس أبٌ لَا نُبَالِي بَعْدَهُ مَنْ تَأَخَّرَا
أَبُونَا خَلِيلُ اللهِ ، وَاللهُ رَبُّنَا رَضِينَا بِمَا أَعْطَى الإِلٰهُ وَقَدَّرَا

وأما الفرس فإنها تنكر هذا النسب ، ولا تعرف لها مُلْكًا إلا فى أولاد أفريدون ، ولا تقرُّ بالملك لغيرهم ، وترى أن داخلا إن كان دخل عليهم فى ذلك من غيرهم فى قديم الأيام [قبل الإسلام][1] ، فإنه دخل فيه بغير حق[2] .

وحدِّثت عن هشام بن محمد ، قال : مَلَك طوج وسلْم الأرضَ بينهما بعد قتلهما أخاهما إيرَج ثلثمائة سنة ، ثم ملك مِنوُشهر بن إيرَج بن أفريدُون مائة وعشرين سنة ، ثم إنه وثب به ابن لابن طوج التركى [على رأس ثمانين سنة][1] فنفاه عن بلاد العراق ثنتى عشرة سنة ، ثم أديل منه منوشهر ، فنفاه عن بلاده ، وعاد إلى ملكه ، وملك بعد ذلك ثمانيا وعشرين سنة . ١/٤٣٤

قال : وكان منُوشهْر يُوصف بالعدل والإحسان ، وهو أول من خَندق الخنادق ، وجمع آلة الحرب ، وأول مَنْ وضع الدهقنة فجعل لكل قرية دِهقانا ، وجعل أهلها له خوَلاً وعبيداً ، وألبسهم لباس المذلّة ، وأمرهم بطاعته. قال : ويقال إن موسى النبى صلى الله عليه وسلم ظهر فى سنة ستين من ملكه .

وذكر غير[3] هشام أن مِنوشهر لما ملك تُوِّج بتاج الملك وقال يوم ملك: نحن مقوّون مقاتلينا ، ومُعِدّوهم للانتقام لأسلافنا ، ودفع العدو عن بلادنا . وأنه سار نحو بلاد الترك طالبًا بدم جده إيرَج بن أفريدون ، فقتل طوج بن أفريدون وأخاه سَلْما ، وأدرك ثأره وانصرف ، وأن فرَاسياب بن فشنج ابن رستم بن ترك — الذى تنسب إليه الأتراك ، بن شهراسب . ويقال : ابن ١/٤٣٥

---

(١) من ا (٢) قال ابن الأثير : « قلت : والحق ما قاله الفرس فإن أسماء ملوكهم قبل الإسكندر معروفة ، وبعد أيامه ملوك الطوائف ؛ وإذا كان منوجهر أيام موسى ، وكان ما بين موسى وإسحاق خمسة آباء معروفون ولم يزالوا بمصر ؛ ففى أى زمان كثروا وانتشروا وملكوا بلاد الفرس ! ومن أين لجرير هذا العلم حتى يكون قوله حجة ؛ لا سيما وقد جعل الجميع أبناء إسحاق ! » . الكامل ١ : ٩٣ .

(٣) ط : « عن » ، وما أثبته عن ا وابن الأثير .

إرشسب بن طوج بن أفريدون الملك . وقد يقال لفشك[١] فشنج بن زاشمين — حارب منُوشهر ، بعد أن مضى لقتله طوجا وسَلْما ستون سنة ، وحاصره بطبرِستان .

ثم إن منُوشِهْر وفَراسياب اصطلحا على أن يجعلا حدًّ ما بين مملكتيهما منتهى رمْية سهم رجل من أصحاب منوشهر يدعى أرِشَّبَاطير — وربما خفف اسمه بعضهم فيقول : إيرش — فحيث ما وقع سهمه من موضع رميته تلك مما يلي بلاد التّرك فهو الحدُّ بينهما لا يجاوز ذلك واحد منهما إلى الناحية الأخرى . وإن أرشّباطير نزع بسهم فى قوسه ، ثم أرسله — وكان قد أعطى قوة وشدة — فبلغت رميته من طبرِستان إلى نهر بلْخ ووقع السهم هنالك[٢] ، ١/٤٣٦ فصار نهر بَلخْ حدًّ ما بين التّرك وولد طوج وولد إيرَج وعمل الفرس ، فانقطع بذلك من رمية أرشّباطير حروب ما بين فراسياب ومنوشهر .

وذكروا أن منُوشهْر اشتَقّ من الصّراة ودِجلة ونهر بلْخ أنهارًا عظامًا . وقيل إنه هو الذى كَرا الفُرات الأكبر ، وأمر الناس بحراثة الأرض وعمارتها ، وزاد فى مهنة المقاتِلة الرمى ، وجعل الرياسة فى ذلك لأرشّباطير لرميتِه التى رماها .

وقالوا : إن مِنُوشهْر لما مضى من ملكه خمس وثلاثون سنة تناولت التّرك من أطراف رعيته ، فوبّخ قومه وقال لهم : أيها الناس ، إنكم لم تلدوا الناس كلّهم ، وإنما الناس ناسٌ ما عقلوا من أنفسهم ودفعوا العدوّ عنهم ، وقد نالت التّرك من أطرافكم ، وليس ذلك إلامن ترككم جهادَ عدوكم ، وقلة المبالاة ، وإن الله تبارك وتعالى أعطاناهذا الملكليبلوَنا أنشكرُ فيزيدنا ، أم نكفر فيعاقبنا ! ونحن أهل بيت عزّ[٣] ومَعدن الملك لله؛ فإذا كان غداً فاحضروا ، قالوا : نعم واعتذروا ، فقال : انصرفوا، فلما كان من الغد أرسلَ إلى أهل المملكة وأشراف

---

(١) ا : « لفشنك بن برز بن تشمين » .

(٢) قال ابن الأثير : « وهذا من أعجب ما يتداوله الفرس فى أكاذيبهم أن رمية سهم تبلغ هذا كله » .

(٣) ا : « غير » ، بضمتين .

الأساورة ، فدعاهم وأدخل الرؤساء من الناس ، ودعا موْبذ موبذان ، فأقعد على كرسىّ مقابل سريره ، ثم قام على سريره ، وقام أشراف أهل بيت المملكة وأشراف الأساورة على أرجلهم ، فقال : اجلسوا فإنى إنّما قمت لأسمعكم كلامى . فجلسوا فقال : أيها الناس ، إنما الخلق للخالق ، والشكر للمنعم ، والتسليم للقادر ، ولا بدّ مما هو كائن ، وإنه لا أضعف من مخلوق طالبًا كان أو مطلوبًا ، ولا أقوى من خالق ، ولا أقدر ممن طلبته فى يده ، ولا أعجز ممن هو فى يد طالبه ، وإن التفكّر نور ، والغفلة ظلمة ، والجهالة ضلالة ، وقد ورد الأول ولا بد للآخر من اللحاق[1] بالأول ، وقد مضت قبلنا أصول نحن فروعها ، فما بقاء فرع بعد ذهاب أصله ! وإن الله عزّ وجلّ أعطانا هذا الملك فله الحمد ، ونسأله إلهام الرشد والصدق واليقين ، وإن للملك على أهل مملكته حقًّا ، ولأهل مملكته عليه حقًّا ، فحقّ الملك على أهل المملكة أن يُطيعوه ويناصحوه ويقاتلوا عدوّه ، وحقهم على الملك أن يعطيَهم أرزاقهم فى أوقاتها ، إذ لا معتمَد لهم على غيرها ، وإنها تجارتهم . وحق الرعية على الملك أن ينظر لهم ، ويرفُق بهم ، ولا يحملهم على ما لا يطيقون ، وإن أصابتهم مصيبة تنقص من ثمارهم من آفة من السماء أو الأرض أن يُسقط عنهم خراج ما نقص ، وإن اجتاحتهم مصيبة أن يُعوّضهم ما يقوّيهم على عماراتهم ، ثم يأخذ منهم بعد ذلك على قدر ما لا يجحف بهم[3] فى سنة أو سنتين ، وأمْر الجند للملك بمنزله جناحىِ الطائر ، فهم أجنحة الملك متى قُصّ من الجناح ريشة كان ذلك نقصانًا منه ؛ فكذلك الملك إنما هو بجناحه وريشه . ألا وإن الملك ينبغى أن يكون فيه ثلاث خصال : أولها أن يكون صدوقًا لا يكذب ، وأن يكون سخيًّا لا يبخل ، وأن يملك نفسه عند الغضب ؛ فإنه مسلّط ويده مبسوطة ، والخراج يأتيه ، فينبغى ألا يستأثر عن جنده ورعيته بما هم أهل له ، وأن يكثر العفو ؛ فإنه لا ملكَ أبقى من ملك فيه العفو ، ولا أهلكَ مَنْ ملك فيه العقوبة . ألاَ

١/٤٣٧ ، ١/٤٣٨

(١) ا : « اللحوق » .
(٢) ن : « بقاء » .
(٣) ط : « به » وما أثبته عن ا ، وابن الأثير .

وإنّ المرء إن يخطئْ فى العفو فيعفو، خير من أن يخطئْ فى العقوبة . فينبغى للملك أن يتثبّت فى الأمر الذى فيه قتل النفس وبوارها . وإذا رفع إليه من عامل من عماله ما يستوجب به العقوبة فلا ينبغى له أن يحابيَه ، وليجمع بينه وبين المتظلّم ؛ فإن صحّ عليه للمظلوم حقٌّ خرج إليه منه ، وإن عجز عنه أدى عنه الملكُ وردّه إلى موضعه ، وأخذه بإصلاح ما أفسد ؛ فهذا لكم علينا . ألا ومَنْ سفك دما بغير حق ، أو قطع يداً بغير حقّ ، فإنى لا أعفو عن ذلك إلا أن يعفوَ[1] عنه صاحبُه فخذوا هذا عنى . وإن الترك قد طمعت فيكم فاكفونا ،

١/٤٣٩ فإنما تكفون أنفسكم ، وقد أمرت لكم بالسلاح والعدة وأنا شريككم فى الرأى ، وإنما لى من هذا الملك اسمه مع الطاعة منكم . ألا وإن الملك ملك إذا أطيع ، فإذا خولف فذلك مملوك ليس بملك . ومهما بلغنا من الخلاف فإنا لانقبله من المُبلِّغ له حتى نتيقّنه ، فإذا صحت معرفة ذلك وإلاّ أنزلناه منزلةَ المخالف . ألاَ وإن أكمل الأداة عند المصيبات الأخْذ بالصبر والراحة إلى اليقين ؛ فمن قُتِل فى مجاهدة العدوّ رجوتُ له الفوز برضوان الله . وأفضل الأمور التسليم لأمر الله والراحة إلى اليقين والرضا بقضائه ، وأيْن المَهْرب مما هو كائن ! وإنما يتقلّب فى كفّ الطالب ، وإنما هذه الدنيا سَفَر لأهلها لا يحلّون عَقْد الرحال إلا فى غيرها ؛ وإنما بُلغتهم فيها بالعوارىّ ، فما أحسن الشكر للمنعم والتسليم لمن القضاءُ له ! ومن أحقُّ بالتسليم لمن فوقه ممن لا يجد مهربًا إلا إليه ، ولا معوَّلاً إلا عليه ! فثقوا بالغلَبة إذا كانت نياتكم أن النصر من الله ، وكونوا على ثقة من دَرك الطلِبة إذا صحت نياتكم . واعلموا أن هذا الملك لا يقوم إلا بالاستقامة وحسن الطاعة وقمع العدوّ وسدّ الثغور والعدل للرعية وإنصاف المظلوم ، فشفاؤكم عندكم ، والدواءُ الذى لا داءَ فيه الاستقامة ، والأمر بالخير والنهى عن الشرّ ، ولا قوّةَ إلا بالله . انظروا للرعية فإنها مطعمكم ومشربكم ، ومتى

١/٤٤٠ عدلتم فيها رغبوا فى العمارة ، فزاد ذلك فى خراجكم ، وتبين فى زيادة أرزاقكم ، وإذا حِفتم على الرعية زهدوا فى العمارة ، وعطّلوا أكثر الأرض فنقص ذلك

---

(١) ط : « حتى يعفو » ، وما أثبته من ا .

من خراجكم ، وتبيَّن فى نقص أرزاقكم ، فتعاهدوا الرعية بالإنصاف ، وما كان من الأنهار والبثوق مما نَفقة ذلك من السلطان فأسرعوا فيه قبل أن يكثر ، وما كان من ذلك على الرعيَّة فعجزوا عنه فأقرضوهم من بيت مال الخراج ، فإذا حان[1] أوقات خراجهم ، فخذوا من خراج غَلاّتهم على قدر ما لا يجحف ذلك بهم ، رُبْع فى كلّ سنة أو ثلث أو نصف ، لكيلا يشقّ[2] ذلك عليهم . هذا قولى وأمرى يا موبذ موبذان ، الزم هذا القول ، وخذ[3] فى هذا الذى سمعت فى يومك ؛ أسمعتم أيها الناس ! فقالوا: نعم ، قد قلت فأحسنت ، ونحن فاعلون إن شاء الله : ثم أمر بالطعام فوضع فأكلوا وشربوا ، ثم خرجوا وهم له شاكرون . وكان مُلكه مائة وعشرين سنة .

• • •

وقد زعم هشام بن الكلبى فيما حدِّثت عنه أن الرائش بن قيس بن صيفىّ ابن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان كان من ملوك اليمن بعد يعرب بن قحطان بن عابر بن شالخ وإخوته ، وأن الرائش كان ملكه باليمن أيام [ملك][4] منو شهر ، وأنه إنما سمى الرائش — واسمه الحارث بن أبى شدد[5] — لغنيمة غنمها من قوم غزاهم فأدخلها اليمن ، فسُمى لذلك الرائش ، وأنه غزا الهند فقتل بها وسبَى وغنم الأموال ، ورجع إلى اليمن ثم سار منها ، فخرج على جبلَىْ طيئ ثم على الأنبار ، ثم على الموصل ، وأنه وجّه منها خيله وعليها رجل من أصحابه ، يقال له : شمر بن العطاف ، فدخل على الترك أرض أذْرَبيجان وهى فى أيديهم يومئذ ، فقتل المقاتلة وسبى الذرّية ، وزَبَر ما كان من مسيره فى حَجَرَيْن ، فهما معروفان ببلاد أذربيجان . قال: وفى ذلك يقول امرؤ القيس[6] : ١/٤٤١

أَلَمْ يُخْبِرْكَ أَنَّ الدَّهْرَ غُولٌ[7] خَتُورُ الْعَهْدِ يَلْتَقِمُ الرِّجَالَا

(١) ا : «جاءت».
(٢) ط : «يتبين» وما أثبته من ا .
(٣) ا : «وجد».
(٤) من ا .
(٥) كذا فى ا ، ح ، وفى ط : «سدد» .
(٦) ديوانه ٣٠٩
(٧) ا ، والديوان : «ألم يحزنك» .

أَزَالَ عَنِ الْمَصَانِعِ ذَا رِيَاشٍ ... وَقَدْ مَلَكَ السُّهُولَةَ وَالْجِبَالَا

وَأَنْشَبَ فِى الْمَخَالِبِ ذَا مَنَارٍ[١] ... وَلِلزُّرَّادِ قَدْ نَصَبَ الْحِبَالَا

قال : وذو منار الذى ذكره الشاعر هو ذو منار بن رائش، الملك بعد أبيه ، واسمه أبْرهَة بن الرائش ، قال : وإنما سمّى ذا منار لأنه غزا بلاد المغرب فوغل فيها برًّا وبحراً ، وخاف على جيشه الضلال عند قفوله ، فبنى المنار ليهتدوا بها . قال : ويزعم أهلُ اليمن أنه كان وجّه ابنه العبد بن أبرهة فى غزوته[٢] هذه إلى ناحية من أقاصى بلاد المغرب ، فغنم وأصاب مالاً وقدم عليه بنَسْنَاس[٣] لهم خلْق وحشيَّة منكرة ، فذعر الناس منهم ، فسموه ذا الأذعار . ١/٤٤٢

قال : فأبرهة أحدُ ملوكهم الذين توغلوا فى الأرض ؛

* * *

وإنما ذكرتُ منْ ذكرت من ملوك اليمن فى هذا الموضع لما ذكرت من قول من زعم أن الرائش كان ملكًا باليمن أيام منوشهر ، وأن ملوك اليمن كانوا عمالا لملوك فارس[٤] بها ، ومن قبَلهم كانت ولايتهم[٥] بها .

(١) الديوان : « ذاخليل » .

(٢) ح وابن الأثير : « غزواته » .

(٣) فى القاموس : « النسناس : جنس من الخلق يثب أحدهم على رجل واحدة » ، وفى ا وابن الأثير : « بسبى » .

(٤) ح : « الفرس » .

(٥) « ولاياتهم » .

ذكر نسب موسى بن عمران وأخباره وما كان فى عهده وعهد منوشهر بن منشخورنر الملك من الأحداث

قد ذكرنا أولاد يعقوب إسرائيل الله وعددهم ومواليدهم[١] . فحدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة بن الفضل ، عن محمد بن إسحاق ، قال : ثم إن لاوى بن يعقوب نكح نابتة ابنة مارى بن يشخر ، فولدت له عَرشون بن لاوى ومرزى[٢] بن لاوى [ومردى بن لاوى][٣] وقاهث ابن لاوى . فنكح قاهث بن لاوى فاهى[٤] ابنة مسين[٥] بن بتويل بن إلياس . فولدت له يصهر بن قاهث، فتزوج يصهر شميث ابنة بتاديت بن بركيا[٦] ابن يقسان[٧] بن إبراهيم . فولدت له عمران بن يصهر ، وقارون بن يصهر ؛ فنكح عمران يحيب ابنة شمويل بن بركيا بن يقسان بن إبراهيم . فولدت له هارون بن عمران وموسى بن عمران .

١/٤٤٣

وقال غير ابن إسحاق : كان عمرُ يعقوب بن إسحاق مائة وسبعاً وأربعين سنة ، وولد لاوى له ، وقد مضى من عمره تسع وثمانون سنة ، وولد للاوى قاهث بعد أن مضى من عمر لاوى ست وأربعون سنة ، ثم ولد لقاهث يصهر ، ثم ولد ليصهر عمرم — وهو عمران — وكان عمر يصهر مائة وسبعاً وأربعين سنة ، وولد له عمران بعد أن مضى من عمره ستون سنة ، ثم ولد لعمران موسى ، وكانت أمه يوخابد[٨] — وقيل : كان اسمها باختة[٩] — وامرأته صفورا ابنة يثرون[١٠] ، وهو

---

(١) ح : « ومواليدهم » .
(٢) كذا فى ا ، وفى ط : « مرزى » .
(٣) من ا .
(٤) ا : « قاهى » ، ن : « ما هى » .
(٥) كذا فى ح ، وفى ا : « متنين » ، وفى ن : « متدير » .
(٦) ا ، ن : « بركنا » .
(٧) ا : « يغشان » .
(٨) ا : « يوخايذ » ، ن : « بوخايد » .
(٩) كذا فى ا .
(١٠) ا : « تبزون » .

شعيب النبىّ صلى‌الله‌عليه وسلم . وولد موسى جرشون[١] وإيليعازر[٢] ، وخرج
إلى مدين خائفاً وله إحدى وأربعون سنة ، وكان يدعو إلى دين إبراهيم ، ١/٤٤٤
وتراءى[٣] الله بطور سيناء ، وله ثمانون سنة .

وكان فرعون مصر فى أيامه قابوس بن مصعب بن معاوية صاحب يوسف
الثانى ، وكانت امرأته آسية ابنة مزاحم بن عبيد بن الريان بن الوليد ، فرعون
يوسف الأول . فلما نودى موسى أُعلم أن قابوس بن مصعب قد مات ، وقام
أخوه الوليد بن مصعب مكانه ، وكان أعتى[٤] من قابوس وأكفر[٥] وأفجر[٦] ،
وأمِر بأن يأتيَه هو وأخوه هارون بالرسالة .

قال : ويقال إن الوليد تزوج آسية ابنة مزاحم بعد أخيه وكان عمر عمران
مائة سنة وسبعاً وثلاثين سنة ، وولد موسى وقد مضى من عمر عمران سبعون
سنة[٧] ، ثم صار موسى إلى فرعون رسولا مع هارون ، وكان من مولد موسى إلى
أن خرج ببنى[٨] إسرائيل عن مصر ثمانون سنة ، ثم صار إلى التيه بعد أن عبَر
البحر ، فكان مقامهم هنالك إلى أن خرجوا مع يوشع بن نون أربعين سنة ، فكان
ما بين مولد موسى إلى وفاته فى التيه مائة وعشرين سنة .

وأما ابن إسحاق فإنه قال فيما حدثنا ابن حميد، قال : حدثنا سلمة ،
عن ابن إسحاق ، قال : قبض الله يوسف ، وهلَك الملك الذى كان معه
الريان بن الوليد ، وتوارثت الفراعنة من العماليق ملْك مصر ، فنشر الله بها
بنى إسرائيل ، وقبر يوسف حين قبض — كما ذكر لى — فى صندوق من مرمر فى
ناحية من النيل فى جوف الماء ، فلم يزل بنو إسرائيل تحت أيدى الفراعنة وهم ١/٤٤٥
على بقايا من دينهم مما كان يوسف ويعقوب وإسحاق وإبراهيم شرعوا فيهم

---

(١) ا ، ن : « جوشون » ، ح : « حوشون » .
(٢) ا : « إيلعان » ، ن : « إبليغان » .
(٣) ح : « ورأى النار » .
(٤) ا : « أغنى » . (٥) ا ، ن : « أكبر » ، ح : « أكرم » .
(٦) كذا فى ا ، وفى ط : « وأفخر » .
(٧) ح : « مائة وسبع سنين » . (٨) ا : « بنو » .

من الإسلام ، متمسّكين به حتى كان فرعون موسى الذى بعثه الله إليه ، ولم يكن منهم فرعون أعتى منه على الله ولا أعظم قولا ولا أطول عمراً فى ملكه منه . وكان اسمه — فيما ذكروا لى — الوليد بن مصعب ، ولم يكن من الفراعنة فرعون أشدّ غلظة ، ولا أقسى قلباً ، ولا أسوأ ملكة لبنى إسرائيل منه ، يعذّبهم فيجعلهم خدَماً وخوَلا ، وصنّفهم فى أعماله ، فصنف يبنون ، وصنف يحرثون ، وصنف يزرعون له ، فهم فى أعماله ، ومَنْ لم يكن منهم فى صنعة له من عمله فعليه الجزية ، فسامهم كما قال الله: ﴿ سُوءَ الْعَذَابِ ﴾، وفيهم مع ذلك بقايا من أمر دينهم لا يريدون فراقه، وقد استنكح منهم امرأة يقال لها آسية ابنة مزاحم، من خيار النساء المعدودات ، فعمّر فيهم وهم تحت يديه عمراً طويلا يسومهم سوء العذاب ، فلما أراد الله أن يفرج عنهم وبلغ موسى الأشُدّ أعطى الرسالة .

قال : وذكر لى أنه لما تقارب زمان موسى أتى منجّمو فرعون وحُزاته إليه، فقالوا: تعلّم أنا نجد فى علمنا أن مولوداً من بنى إسرائيل قد أظلّك زمانه الذى يُولد فيه ، يسلبك ملكك ، ويغلبك على سلطانك ، ويخرجك من أرضك ، ويبدّل دينك . فلما قالوا له ذلك أمر بقتل كلّ مولود يولد من بنى إسرائيل من الغلمان وأمر بالنساء يُستحيَين ، فجمع القوابل من نساء أهل مملكته فقال لهن: لا يسقطنّ على أيديكنّ غلام من بنى إسرائيل إلا قتلتموه، فكنّ يفعلن ذلك ، وكان يذبح مَنْ فوق ذلك من الغلمان ، ويأمر بالحبالى فيعذّبن حتى يطرحن ما فى بطونهنّ . ١/٤٤٦

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، عن عبد الله بن أبى نَجيح ، عن مجاهد ، قال : لقد ذُكر لى أنه كان يأمر بالقصب فيُشَقّ حتى يجعل أمثال الشفار ، ثم يصفّ بعضه إلى بعض ، ثم يأتى بالحبالى من بنى إسرائيل فيوقفهنّ[1] عليه فيحزّ أقدامهنّ ، حتى إن المرأة منهن لتمصع[2] بولدها فيقع بين رجليها ، فتظلّ تطؤه تتّقى به حزّ القصب عن رجليها ، لما بلغ من جهدها ، حتى أسرف فى ذلك ، وكاد يُفنيهم ، فقيل له : أفنيتَ

---

(١) ا : « فيوقفن » .

(٢) تمصع بولدها ، أى تلقيه .

الناس، وقطعتَ النَّسْل،وإنهم خوَلك وعُمَّالك . فأمر أن يقتَل الغلمان عامًا ويستحيوْا عاماً ، فولد هارون فى السنة الّتى يُسْتَحيا فيها الغلمان ، وولد موسى فى السنة الّتى فيها يُقتلون ، فكان هارون أكبرَ منه بسنة .

* * *

وأما السدىّ فإنه قال ما حدثنا موسى بن هارون ، قال : حدثنا أسباط ، عن السدىّ فى خبر ذكره عن أبى مالك وعن أبى صالح ، عن ابن عباس — وعن مرة الهمدانىّ عن ابن مسعود — وعن ناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلّم [أنه][1] كان من شأن فرعون أنه رأى رؤيا فى منامه أن ناراً أقبلت من بيت المقدس حتّى اشتملت على بيوت مصر ، فأحرقت القِبْط وتركت بنى إسرائيل ، وأخربت بيوت مصر ، فدعا السحرة والكهنة والقافة والحازة ، فسألهم عن رؤياه فقالوا له : يخرج من هذا البلد الذى جاء بنو إسرائيل منه — يعنون بيت المقدس — رجل يكون على وجهه[2] هلاكُ مصر . فأمر ببنى إسرائيل ألاّ يولد لهم غلام إلا ذبحوه ، ولا يولد لهم جارية إلا تركت . وقال للقبط : انظروا مملوكيكم[3] الذين يعملون خارجًا فأدخلوهم واجعلوا بنى إسرائيل يلون تلك الأعمال القذرة . فجعل بنى إسرائيل فى أعمال غلمانهم وأدخلوا غلمانهم ، فذلك حين يقول الله: ﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلاَ فِي الْأَرْضِ ﴾ يقول : تجبَّر فى الأرض، ﴿ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعاً ﴾ — يعنى بنى إسرائيل حين جعلهم فى الأعمال القذرة —﴿يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ﴾،[4] فجعل لا يولد لبنى إسرائيل مولود إلا ذبح ، فلا يكبر الصغير ، وقذف الله فى مشيخة بنى إسرائيل الموتَ ، فأسرع فيهم ، فدخل رءوس القبط على فرعون فكلَّموه، فقالوا : إن هؤلاء القوم قد وقع فيهم الموت ، فيوشك أن يقع العمل على غلماننا نذبح أبناءهم فلا يبلغ الصغار ، ويَفنى الكبار ، فلو أنك تبقى من أولادهم ! فأمر أن يذبحوا سنة ويتركوا سنة ؛ فلما كان فى السنة التى لا يذبحون فيها ولد هارون فترك ، فلما كان فى السنة الّتى يذبحون فيها حملت أم موسى بموسى[5] فلما أرادت وضعه

١/٤٤٧ ١/٤٤٨

(١) من ا (٢) ن : « يديه » . (٣) كذا فى ا ح ، وفى ط : « ممالبكم » .
(٤) سورة القصص ٤ (٥) ا : « حملت بموسى أمه » .

حزنت من شأنه ، فأوحى الله إليها : ﴿ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ ﴾ وهو النيل، ﴿ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴾[١] . فلما وضعته أرضعته ، ثم دعت له نجاراً فجعل له تابوتاً ، وجعل مفتاح التابوت من داخل ، وجعلته فيه وألقته فى اليم ، ﴿ وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ ﴾ تعنى قُصِّى أثره ﴿ فَبَصُرَتْ بِهِ عَنْ جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾[٢] ، أنها أخته . فأقبل الموج بالتابوت يرفعه مرة ، ويخفضه أخرى ، حتى أدخله بين أشجار عند بيت فرعون ، فخرج جوارى آسية امرأة فرعون يغتسلن ، فوجدن التابوت فأدخلنه إلى آسية ، وظنن[٣] أنَّ فيه مالا ، فلما نظرت إليه آسية وقعت عليه رحمتُها وأحبته . فلما أخبرَت به فرعون أراد أن يذبحه ، فلم تزل آسية تكلِّمه حتى تركه لها ، قال : إنى أخاف أن يكون هذا من بنى إسرائيل ، وأن يكون هذا الذى على يديه[٤] هلاكنا ، فذلك قول الله تعالى : ﴿ فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا ﴾[٥] . فأرادوا له المرضعات ، فلم يأخذْ من أحد من النساء ، وجعل النساء يطلبن ذلك لينزلن عند فرعون فى الرضاع ، فأبى أن يأخذ ، فذلك قول الله : ﴿ وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِنْ قَبْلُ فَقَالَتْ ﴾ أخته ﴿ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ ﴾[٦] ، فأخذوها ، وقالوا : إنكِ قد عرفتِ هذا الغلام فدلينا على أهله . فقالت[٧] : ما أعرفه ، ولكنى إنما قلت : هم للملك ناصحون .

١ / ٤٤٩

ولما جاءت أمه أخذ منها ثديها فكادت أن تقول : هو ابنى ! فعصمها

---

(١) سورة القصص ٧

(٢) سورة القصص ١١

(٣) ط : « وظنوا » ؛ وما أثبته عن ا .

(٤) ا : « يده » .

(٥) سورة القصص ٨

(٦) سورة القصص ١٢

(٧) ا : « قالت » .

الله، فذلك قول الله : ﴿ إِن كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلَا أَنْ رَبَطْنَا عَلَى قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾[١] ، وإنما سُمّى موسى لأنهم وجدوه فى ماء وشجر ، والماء بالقبطية « مو » والشجر « شا » . فذلك قول الله عزّوجلّ : ﴿ فَرَدَدْنَاهُ إِلَى أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ ﴾[٢] . فاتخذه فرعون ولداً فدعىَ ابن فرعون . فلما تحرك الغلام أرته أمه آسية صبيًّا ، فبينما هى ترقّصه وتلعب به إذ ناولته فرعون ، وقالت : خذه قرة عين لى ولك ، قال فرعون : هو قرة عين لك ولا لى[٣]. قال عبد الله بن عباس: لو أنه قال: وهو لى قرة عين إذاً لآمن به ؛ ولكنه أبى ، فلما أخذه إليه أخذ موسى بلحيته فنتَفها ، فقال فرعون: علىّ بالذباحين، هذا هو! قالت آسية : ﴿ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَى أَنْ يَنفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا ﴾[٤]، إنما هو صبى لا يعقل ؛ وإنما صَنع هذا من صباه ، وقد علمت أنه ليس فى أهل مصر امرأة أحلى منى ؛ أنا أضع له حليًّا من الياقوت ، وأضع له جمراً[٥]، فإن أخذ الياقوت فهو يعقل فاذبحه ، وإن أخذ الجمر فإنما هو صبىّ ، فأخرجت له ياقوتها فوضعت له طستا من جمر ، فجاء جبرئيل فطرح فى يده جمرة فطرحها موسى فى فيه فأحرق لسانه ، فهو الذى يقول الله عزّ وجلّ : ﴿وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي * يَفْقَهُوا قَوْلِي﴾[٦]. فزالت عن موسى من أجل ذلك . وكبر[٧] موسى فكان يركب مراكب فرعون ، ويلبس[مثل][٨] مايلبس ، وكان إنما يدعى موسى بن فرعون . ثم إن فرْعون ركب مركبًا وليس عنده موسى ، فلما جاء موسى قيل له : إن فرعون قد ركب ، فركب فى أثره فأدركه المقيل بأرض يقال لها مَنْف ، فدخلها نصف النهار ،

١/٤٥٠

(١) سورة القصص ١٠

(٢) سورة القصص ١٣

(٣) فى الأصول : « ولى لا » .

(٤) سورة القصص ٩

(٥) ن : « جمر نار » .

(٦) سورة طه ٢٧ ، ٢٨

(٧) ط : « فكبر » ، وما أثبته من ا .

(٨) من ا

وقد تغلّقت أسواقُها ، وليس فى طرقها أحد، وهو قول الله عزّ وجلّ : ﴿ وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَى حِينِ غَفْلَةٍ مِنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هٰذَا مِنْ شِيعَتِهِ ﴾ يقول: هذا من بنى إسرائيل، ﴿ وَهٰذَا مِنْ عَدُوِّهِ ﴾ يقول: من القبط ﴿ فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِى مِنْ شِيعَتِهِ على الَّذِى مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَزَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ قال هٰذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ * قال رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى فَاغْفِرْ لِى فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ * قال رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيراً لِلْمُجْرِمِينَ * فَأَصْبَحَ فِى الْمَدِينَةِ خَائِفاً يَتَرَقَّبُ ﴾ خائفاً أن يؤخذ، ﴿ فَإِذَا الَّذِى اسْتَنْصَرَهُ بِالْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُه ﴾ يقول: يستغيثه ﴿ قالَ لَهُ مُوسَى إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُبِينٌ ﴾[1]. ثم أقبل [موسى][2] لينصره، فلما نظر إلى موسى قد أقبل نحوه ليبطش بالرجل الذى يقاتل الإسرائيلى، قال الإسرائيلى — وفرق من موسى أن يبطش به من أجل أنه أغلظ الكلام — يا موسى ﴿ أَتُرِيدُ أَنْ تَقْتُلَنِى كَمَا قَتَلْتَ نَفْساً بِالْأَمْسِ إِنْ تُرِيدُ إِلَّا أَنْ تَكُونَ جَبَّاراً فِى الْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْمُصْلِحِينَ ﴾.[1] فتركه وذهب القبطىّ ، فأفشى عليه أن موسى هو الذى قتل الرجل ، فطلبه فرعون وقال : خذوه فإنه صاحبنا ، وقال للذين يطلبونه : اطلبوه فى بُنَيَّات[3] الطريق، فإن موسى غلام لا يهتدى إلى الطريق ، وأخذ موسى فى بُنَيَّات الطريق وجاءه الرجل وأخبره ﴿ إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّى لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ * فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفاً يَتَرَقَّبُ قال رَبِّ نَجِّنِى مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾[1] . فلما أخذ موسى فى بُنَيَّات الطريق جاءه ملك على فرس بيده عنزةٌ، فلما رآه موسى سجد له من الفرق، فقال : لا تسجد لى ، ولكن اتبعنى ، فاتبعه فهداه نحو مدين ، وقال موسى وهو متوجه نحو مدين : ﴿ عَسَى رَبِّى أَنْ يَهْدِيَنِى سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴾[1]. فانطلق به الملك حتى انتهى به إلى مدين .

٤٥١/١

---

(١) سورة القصص ١٥ — ٢٢ (٢) من ا

(٣) بنيات الطريق : هى الطرق الصغار التى تتفرع من الجادة .

حدثنى العباس بن الوليد ، قال : حدثنا يزيد بن هارون ، قال : حدثنا أصبغ بن زيد الجُهَنىّ ، قال : حدثنا القاسم ، قال : حدثنى سعيد ابن جبير ، قال : [سألت عبد الله بن عباس عن قول الله لموسى : ﴿ وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا ﴾[١] ، فسألته عن الفتون ما هى ؟ فقال لى : استأنف النهار يا بن جبير ، فإن لها حديثًا طويلا ، قال : فلما أصبحت غدوت على ابن عباس لأنتجز منه ما وعدنى][٢]. قال : فقال ابن عباس : تذاكر فرعون وجلساؤه ما وعد الله إبراهيمَ من أن يجعلَ فى ذريته أنبياء وملوكًا ، فقال بعضهم : إن بنى إسرائيل لينتظرون ذلك ما يشكّون[٣] ، ولقد كانوا يظنون أنه يوسف بن يعقوب ، فلما هلك قالوا : ليس هكذا كان الله[٤] وعد إبراهيم ، قال فرعون : فكيف ترون ؟ قال : فائتمروا بينهم ، وأجمعوا أمرَهم على أن يبعث رجالا معهم الشِّفار ، يطوفون فى بنى إسرائيل فلا يجدون مولوداً ذكراً إلا ذبحوه ، فلما رأوا أن الكبار من بنى إسرائيل يموتون بآجالهم ، وأن الصغار[٥] يُذبحون قالوا : توشكون أن تفنُوا بنى إسرائيل فتصيروا إلى أن تباشروا من الأعمال والخدمة التى كانوا يكفونكم ، فاقتلوا عاماً كلّ مولود ذكر ، فيقلّ أبناؤهم ، ودعوا عاماً لا تقتلوا منهم أحداً ، فيشبّ الصغار مكان مَنْ يموت من الكبار ؛ فإنهم لن يكثُروا بمن تستحيون منهم فتخافوا مكاثرتهم إياكم ، ولن يقلّوا بمن تقتلون . فأجمعوا أمرهم على ذلك فحملت أم موسى بهارون فى العام الذى لا يذبح فيه الغلمان فولدته علانية آمنة حتّى إذا كان العام المقبل حملت بموسى فوقع فى قلبها الهمّ والحزن — وذلك من الفتُون يا بن جبير — مما دخل عليه فى بطن أمه مما يراد به ، فأوحى الله إليها : ﴿ أَلاَّ تَخَافِى وَلاَ تَحْزَنِى إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴾ . وأمرَها إذا ولدته أن تجعلَه فى تابوت ، ثم تلقيه فى اليمّ . فلما ولدتْه فعلت ما أمرت به ، حتّى إذا توارَى عنها ابنها أتاها إبليس ، فقالت فى نفسها : ما صنعت بابنى ؟ لو ذبح عندى فواريته وكفّنته كان أحبَّ إلىّ من أن ألقيَه بيدى إلى حيتان

١/٤٥٢ — ١/٤٥٣

(١) سورة طه ٤٠

(٢) تكملة من التفسير وتاريخ ابن كثير .

(٣) ن ، والتفسير : « وما يشكون » .

(٤) ن : « كان وعد الله » .

(٥) ن وابن كثير : « والصغار » .

البحر ودوابه . فانطلق به الماء حتى أوفى[1] بهعند فُرْضة[2] مُسْتَقَى جوارى آل فرعون ، فرأينه فأخذنه ، فهممن أن يفتحنَ التابوت ، فقال بعضهنَّ لبعض : إن فى هذا مالاً ؛ وإنا إن فتحناه لم تصدقنا امرأة فرعون بما وجدنا فيه ، فحملنه كهيئته لم[3] يحرّكن منه شيئاً حتى دفعنه إليها ، فلما فتحته رأت فيه[4] الغلام، فألقى عليه منها محبة لم يلق مثلها منها على أحد من الناس، ﴿ وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَى فَارِغاً ﴾ من ذكر كلّ شىء ، إلا من ذكر موسى. فلما سمع الذباحون بأمره أقبلوا[5] إلى امرأة فرعون بشفارهم يريدون أن يذبحوه—وذلك من الفُتُون يا بن جبير — فقالت : للذباحين : انصرفوا ، فإن هذا الواحد لا يزيد فى بنى إسرائيل ، فآتى فرعون فأستوهبَه إياه ، فإن وهبه لى كنتم قد أحسنتم وأجملتم ،وإن أمر بذبحه لم ألمكم. فلما أتت به فرعون قالت: ﴿ قُرَّةُ عَيْنٍ لِى وَلَكَ لاَ تَقْتُلُوهُ ﴾، قال فرعون : يكون لك ، فأما أنا فلا حاجة لى فيه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « والذى يُحْلَف به ، لو أقرّ فرعون أن يكونَ له قرةَ عين كما أقرت به لهداه الله به ، كما هدى به امرأته ، ولكن الله حرمه ذلك » .

١/٤٥٤ فأرسلت إلى مَنْ حولها من كلّ أنثى لها لبن لتختار له ظئراً ، فجعل[6] كلّما أخذته امرأة منهن لترضعه لم يقبل ثديها[7] ، حتى أشفقت امرأةُ فرعون أن يمتنع من اللبن فيموتَ ، فحزنها ذلك ، فأمرت به فأخرج إلى السوق ،

---

(١) كذا فى ا ، والتفسير وتاريخ ابن كثير ، وفى ك : « وافى » ، وفى ط : « وأرفأ » .

(٢) الفرضة من النهر : ثلمة يستقى منها .

(٣) ح ، « ولم » ، وابن كثير : « لم يخرجن » .

(٤) ح ، ك : « وجه » .

(٥) ن ، وابن كثير : « جاءوا » .

(٦) ح : « فكان » .

(٧) ح : « ثدييها » ، وابن كثير : « على ثديها » .

مجمع الناس ترجو أن تُصيب له ظئراً يأخذ منها ، فلم يقبل من أحد ، وأصبحت أمُّ موسى فقالت لأخته: قصّيه واطلبيه هل تسمعين له ذكراً ! أحيّ ابنى أم قد أكلته دوابّ البحر وحيتانه ؟ ونسيت الذى كان الله وعدها ، فبصُرت به أخته عن جنُب وهم لا يشعرون ، فقالت من الفرح حين أعياهم الظئورات : ﴿هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى أَهْلِ بيتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ﴾ . فأخذوها فقالوا: وما يدريكِ مانصحهم له! هل تعرفينه ؟ حتى شكّوا فى ذلك — وذلك من الفتون يا بن جبير — فقالت : نصحهُم له ، وشفقتُهم عليه ، ورغبتُهم[١] فى ظئورة الملك ، ورجاءُ منفعته . فتركوها ، فانطلقت إلى أمها فأخبرتْها الخبر ، فجاءت فلما وضعته فى حجرها نزا إلى ثديها حتى امتلأ جنباه ، فانطلق البشراء إلى امرأة فرعون يبشرونها أنْ قد وجدنا لابنك ظئراً ، فأرسلت إليها فأتيت بها وبه ، فلما رأت ما يصنع بها قالت ; امكثى عندى ترضعين ابنى هذا فإنى لم أحبّ حبّه شيئًا قطّ . قال : فقالت : لا أستطيع أن أدع بيتى وولدى فيضيع ، فإن طابتْ نفسُك أن تعطينيه[٢] فأذهب به إلى بيتى ، فيكون معى لا آلوه خيراً فعلت ، وإلا فإنى غيرُ تاركة بيتى وولدى . وذكرت أم موسى ما كان الله وعدها ، فتعاسرت على امرأة فرعون ، وأيقنت أن الله عزّ وجلّ منجز وعده ، فرجعت بابنها إلى بيتها مِنْ يومها ، فأنبته الله نباتًا حسنًا ، وحفظه لما قضى فيه ، فلم تزل بنو إسرائيل وهم مجتمعون فى ناحية المدينة يمتنعون به من الظلم والسُّخَر التى كانت فيهم ، فلما ترعرع قالت امرأة فرعون لأم موسى : أريد أن تريني موسى[٣] ، فوعدتْها يوماً تريها إياه فيه ، فقالت لحواضنها وظئورها[٤] وقهارمتها : لا يبقينّ أحد منكم إلا استقبل ابنى بهدية وكرامة ، ليرى ذلك ، وأنا باعثة أمينة[٥] تحصى ما يصنع كلُّ إنسان منكم . فلم تزل الهدية والكرامة والتحف تستقبله

١/٤٥٥

(١) كذا فى ح ، ك ، وتاريخ ابن كثير ، وفى ط : « رغبتهم » .
(٢) كذا فى ا وابن كثير والتفسير ، وفى ط : « تعطينى » .
(٣) ك : « ولدى » .
(٤) ك : « وظئورتها » .
(٥) ابن كثير : « وأنا باعثة أميناً يحصى » .

من حين خرج من بيت أمه إلى أن دخل على امرأة فرعون ، فلما دخل عليها بجّلته[1] وأكرمته وفرحت به وأعجبها ما رأت من حسن أثرها عليه ، وقالت: انطلقن به إلى فرعون فليبجِّله وليكرمه[2]. فلما دخلن به على فرعون وضعنَه فى حجره ، فتناول موسى لحية فرعون حتى مدّها ، فقال: عدو من أعداء الله ! ألا ترى ما وَعد الله إبراهيمَ أنه سيصرعك ويعلوك ! فأرسل إلى الذبّاحين ليذبحوه — وذلك من الفتون يا بن جبير — بعد كلِّ بلاء ابتلى به وأريد به. فجاءت امرأة ١/٤٥٦ فرعون تسعى إلى فرعون فقالت: ما بدا لك فى هذا الصبى الذى وهبتَه لى ؟ قال : ألا ترينه يزعم أنه سيصرَعنى ويعلُونى! فقالت : اجعل بينى وبينك أمراً يعرف[3] فيه الحق ؛ ائت بجمرتين ولؤلؤتين فقرِّبهن إليه ، فإنْ بطش باللؤلؤتين واجتنب الجمرتين علمت أنه يعقل ، وإن تناول الجمرتين ولم يرد اللؤلؤتين فاعلم أن أحداً لا يؤثر الجمرتين على اللؤلؤتين وهو يعقل ، فقرِّب ذلك إليه فتناول الجمرتين فنزعوهما منه مخافة أن تحرقا يده ، فقالت المرأة : ألا ترى ! فصرفه الله عنه بعد ما كان قد همَّ به ، وكان الله بالغًا فيه أمره ، فلما بلغ أشدّه وكان[4] من الرجال لم يكن أحدٌ[5] من آل فرعون يخلص إلى أحد من بنى إسرائيل بظلم ولا سخرة ، حتى امتنعوا كلَّ امتناع ، فبينما هو يمشى ذات يوم فى ناحية المدينة إذا هو برجلين يقتتلان ؛ أحدهما من بنى إسرائيل والآخر من آل فرعون ، فاستغاثه الإسرائيلىّ على الفرعونىّ ، فغضب موسى واشتدَّ غضبُه لأنه تناوله وهو يعلم منزلة موسى من بنى إسرائيل وحفظَه لهم ، ولا يعلم الناس إلا أنما ذلك من قبل الرضاعة غير أم موسى ؛ إلا أن يكون الله عزّ وجلّ أطلع موسى من ذلك ١/٤٥٧ على ما لم يطلع عليه غيره ، فوكز موسى الفرعونىّ فقتله ، وليس يراهما إلا الله عزّوجلّ والإسرائيلىّ ، فقال موسى حين قتل الرجل : ﴿ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ

---

(١) التفسير وابن كثير : « نحلته » .

(٢) كذا فى ا ، وفى ط . « فليكرمه » ، وفى التفسير وابن كثير : « فلينحله » .

(٣) ن : « تعرف » .

(٤) كذا فى ا ، والتفسير وتاريخ ابن كثير ، وفى ط : « فكان » .

(٥) ط : « لم يكن أحداً » ، وما أثبته عن ا والتفسير وتاريخ ابن كثير .

إنَّهُ عَدُوٌّ مُضِلٌّ مبينٌ ﴾[(1)]، ثم قال: ﴿رَبِّ إنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إنَّه هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾[(1)]. فأصبح فى المدينة خائفًا يترقّب الأخبار، فأتى فرعون فقيل له: إن بنى إسرائيل قد قتلوا رجلا من آل فرعون فخذْ لنا بحقنا، ولا ترخّص لهم فى ذلك، فقال: ابغونى قاتله، ومن يشهد عليه؛ لأنه لا يستقيمُ أن نقضىَ بغير بيّنة ولا ثبت[(2)]. فطلبوا له ذلك، فبينما هم يطوفون لا يجدون بينة، إذ مرّ موسى من الغد، فرأى ذلك الإسرائيلىّ يقاتل فرعونيًّا، فاستغاثه الإسرائيلىّ على الفرعونىّ، فصادف موسى وقد ندم على ما كان منه بالأمس، وكره الذى رأى، فغضب موسى فمدّ يده وهو يريد أن يبطش بالفرعونىّ، فقال للإسرائيلىّ لما فعل بالأمس واليوم: ﴿إنَّكَ لَغَوِيٌّ مُبِينٌ ﴾[(3)].

فنظر الإسرائيلىّ إلى موسى بعد ما قال [ماقال][(4)]، فإذا هو غضبان كغضبه بالأمس الذى قتل فيه الفرعونىّ، فخاف أن يكون بعد ما قال له: ﴿إنَّكَ لَغَوِيٌّ مُبِين ﴾، أن يكون إياه أراد — ولم يكن أراده، وإنما أراد الفرعونى — فخاف الإسرائيلى فحاجز الفرعونىّ، وقال: يا موسى ﴿ أَتُرِيدُ أَنْ تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْساً بِالأَمْسِ ﴾! وإنما قال ذلك مخافة أن يكون إياه أراد موسى ليقتله، فتتاركا، فانطلق الفرعونىّ إلى قومه فأخبرهم بما سمع من الإسرائيلىّ من الخبر، حين يقول: ﴿ أَتُرِيدُ أَنْ تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْساً بِالأَمْسِ ﴾! فأرسل فرعون الذّباحين، وسلك موسى الطريق الأعظم وطلبوه وهم لا يخافون أن يفوتهم، وكان رجلٌ من شيعة موسى من أقصى المدينة، فاختصر طريقًا قريبًا حتى سبقهم إلى موسى، فأخبره الخبر؛[(5)] وذلك من الفتون يا بن جبير[(6)].

١/٥٨؛

* * *

ثم رجع الحديث إلى حديث السدىّ. قال: ﴿ فَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ

(١) سورة القصص ١٥، ١٦ (٢) الثبت هنا: الحجة.
(٣) سورة القصص ١٨، ١٩ (٤) تكملة من ا والتفسير وابن كثير.
(٥) ن: «بالخبر». (٦) الخبر فى التفسير ١٦: ١٢٥، ونقله ابن كثير فى التاريخ ١: ٣٠٠ — ٣٠٢، بسنده عن أبى عبد الرحمن النسائى.

عَلَيْهِ أُمَّةً مِنَ النَّاسِ يَسْقُونَ ﴾[1] يقول : كثرةً من الناس يسقون .

وقد حدثنا أبوعمار المروزىّ ، قال : حدثنا الفضل بن موسى ، عن الأعمش ، عن المنهال بن عمرو ، عن سعيد بن جبير ، قال : خرج موسى من مصر إلى مدين ، وبينهما[2] مسيرة ثمان ليال — قال : وكان يقال نحو من الكوفة إلى البصرة — ولم يكن له طعام إلا ورق الشجر ، فخرج حافيًا ، فما وصل إليها حتى وقع خف قدمه .

حدثنا أبو كريب ، قال : حدثنا عثّام ، قال : حدثنا الأعمش ، عن المنهال ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس بنحوه .

رجع الحديث إلى حديث السدىّ . ﴿ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ ﴾ يقول : تحبسان غنمهما ، فسألهما : ﴿ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لاَ نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴾[1] ، فرحمهما موسى فأتى البئر فاقتلع صخرة على البئر ، كان النفرُ من أهل مدين يجتمعون عليها حتى يرفعوها ، فسقى لهما موسى دلواً فأروتا[3] غنمهما ، فرجعتا سريعًا ، وكانتا إنما تسقيان من فضول الحياض ، ثم تولّى موسى إلى ظل شجرة من السَّمُر[4] فقال : ﴿ رَبِّ إِنِّى لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَىَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴾[1] ، قال : قال ابن عباس : لقد قال موسى ، ولو شاء إنسان أن ينظر إلى خُضْرة أمعائه من شدة الجوع ما يسأل الله إلا أكلة .

١/ ٤٥٩

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا حكّام بن سلْم ، عن عنبسة ، عن أبى حَصين ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس فى قوله عز وجلّ : ﴿ وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ ﴾ ، قال : ورد الماء وإنه ليتراءى خضرة البقل فى بطنه من

---

(١) سورة القصص ٢٢ — ٢٤
(٢) ن : « وبينه وبينها » .
(٣) ط : « فأرويتا » ، وما أثبته عن ا ، س .
(٤) س ، ن : شجرة سمرة » .

الهُزال فقال: ﴿ رَبِّ إِنِّى لِمَا أَنزَلْتَ إِلَىَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴾ قال : شَبْعة .

رجع الحديث إلى حديث السدىّ . فلما رجعت الجاريتان إلى أبيهما سريعاً ، سألهما فأخبرتاه خبر موسى ، فأرسل إحداهما فأتته ﴿ تَمْشِى عَلَى اسْتِحْيَاءٍ ﴾ [وهى تستحيى منه] [١] ، ﴿قَالَتْ إِنَّ أَبِى يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا ﴾ فقام معها ، وقال لها : امضى ، فشت [٢] بين يديه ، فضربتها الرياح فنظر إلى عجيزتها ، فقال لها موسى : امشى خلفى ودليني على الطريق إن أخطأت ، فلما أتى الشيخ ﴿وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ * قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ ﴾ . وهى الجارية التى دعته. قال الشيخ : هذه القوة قد رأيت حين اقتلع الصخرة ، أرأيت أمانته ما يدريك ما هى ؟ قالت: إنى مشيت قدامه فلم يحبّ أن يخوننى فى نفسى ، وأمرنى أن أمشىَ خلفه ، قال له الشيخ: ﴿ إِنِّى أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَىَّ هَاتَيْنِ عَلَى أَنْ تَأْجُرَنِى ﴾ — إلى — ﴿ أَيَّمَا الْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ ﴾ ، إما ثمانيا وإما عشرا ، ﴿ وَاللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴾ [٣] .

١/٤٦٠

قال ابن عباس : الجارية التى دعته هى التى تزوج بها . فأمر إحدى ابنتيه أن تأتيه بعصا فأتته بعصا ، وكانت تلك العصا [عصا] [٤] استودعها [٥] إياه ملك فى صورة رجل ، فدفعها إليه . فدخلت الجارية فأخذت العصا فأتته بها ، فلما رآها الشيخ قال لها: لا ، إيتيه بغيرها ، فألقتها ، فأخذت تريد أن تأخذ غيرها فلا يقع فى يدها إلا هى ، وجعل يرددها ، فكل ذلك [٦] لا يخرج فى يدها غيرها [٧] ، فلما رأى ذلك عمد إليها فأخرجها معه ، فرعى بها . ثم إن الشيخ قدم وقال : كانت وديعة . فخرج يتلقى موسى فلما لقيه قال: أعطنى العصا ، فقال [٨] موسى :

١/٤٦١

(١) تكملة من ا . (٢) ن : « فضت » .
(٣) سورة القصص ٢٥ – ٢٨ (٤) من ا
(٥) س : « أودعها » . (٦) ا : « وكل » .
(٧) ن : « إلا هى » .
(٨) كذا فى ا ، وفى ط : « قاله» .

هى عصاى ، فأبى أن يعطيه ، فاختصما بينهما ثم تراضيا أن يجعلا بينهما أول رجل يلقاهما ، فأتاهما ملك يمشى فقضى بينهما فقال : ضعاها فى الأرض فمن حملها فهى له ، فعالجها الشيخ فلم يطقها ، وأخذها موسى بيده فرفعها ، فتركها له الشيخ ، فرعى له عشر سنين .

قال عبد الله بن عباس : كان موسى أحقّ بالوفاء .

حدثنى أحمد بن محمد الطوسىّ ، قال : حدّثنا الحُمَيْدىّ عبد الله ابن الزبير[1] ، قال : حدثنا سفيان ، قال : حدثنى إبراهيم بن يحيى بن أبى يعقوب ، عن الحكم بن أبان ، عن عكْرمة ، عن ابن عباس ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : «سألت جبرئيل : أىّ الأجلين قَضَى موسى ؟ قال : أتمهما وأكملهما» .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثنى ابن إسحاق ، عن حكيم بن جبير ، عن سعيد بن جبير ، قال : قال لى يهودىّ بالكوفة — وأنا أتجهّز للحج — : إنى أراك رجلا يتبع العلم ، أخبرنى أىّ الأجلين قضى موسى ؟ قلت : لا أعلم وأنا الآن قادم على حَبْر العرب — يعنى ابن عباس — فسأسأله عن ذلك ، فلما قدمت مكة سألت ابن عباس عن ذلك وأخبرته بقول اليهودىّ ، فقال ابن عباس : قضى أكثرَهما وأطيبهما ؛ إنّ النبىّ إذا وَعد لم يُخلف . قال سعيد : فقدمت العراق فلقيت اليهودىّ فأخبرته ، فقال : صدق ، وما أنزل الله على موسى هذا . والله العالم .

١ / ٤٦٢

حدثنا ابن وكيع ، قال : حدثنا يزيد ، قال : أخبرنا الأصبغ بن زيد ، عن القاسم بن أبى أيوب ، عن سعيد بن جبير ، قال : سألنى رجل من أهل النصرانية : أىّ الأجلين قضى موسى ؟ قلت : لا أعلم — وأنا يومئذ لا أعلم — فلقيت ابن عباس ، فذكرت له الذى سألنى عنه النصرانىّ ، فقال : أما كنت تعلم أن ثمانيًا واجبة عليه ، لم يكن نبى لينقص منها شيئًا ، وتعلم أن الله كان قاضيًا عن موسى عدتَه التى وعده ، فإنه قضى عَشْر سنين .

---

(١) هو عبد الله بن الزبير بن عيسى الحميدى ؛ وفى الأصول : «الحميدى بن عبد الله ...» ، والصواب ما أثبته من تهذيب التهذيب ٥ : ٢١٥ .

حدثنا القاسم بن الحسن ، قال : حدثنا الحسين ، قال : حدثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال: أخبرنى وهب بن سليمان الذمارىّ،عن شعيب الجَبَائىّ قال : اسم الجاريتين ليا وصفورة . وامرأة موسى صفورة ابنة يَترون ، كاهن مدين ، والكاهن حَبْر .

حدثنى أبو السائب . قال : حدثنا أبومعاوية ، عن الأعمش ، عن عمرو ابن مرّة ، عن أبىعُبيدة، قال : كان الذى استأجر موسى يترون، ابن أخى شعيب النبىّ .

حدثنا ابن وكيع ، قال : حدثنا العلاء بن عبد الجبار ، عن حماد بن سلمة ، عن أبىجمْرة ، عن ابن عباس،قال:الذى استأجر موسى اسمه يثرى صاحب مدين .

١/٤٦٣ حدثنى إسماعيل بن الهيثم أبو العالية ، قال : حدثنا أبوقتيبة ، عن حماد ابن سلمة، عن أبىجمْرة، عن ابن عباس، قال : اسم أبىامرأة موسى يثرى.

رجع الحديث إلى حديثالسدى.﴿ فَلَمَّا قَضَى مُوسَى الأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ﴾ فضلّ الطريق . قال عبد الله بن عباس : كان فى الشتاء ، ورفعت له نار ، فلما ظنّ أنها نار– وكانت من نورالله – ﴿ قَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّى آنَسْتُ نَاراً لَعَلِّى آتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ ﴾ ، فإن لم أجدْ خبراً أتيتُكمنها بشهاب قبَس، ﴿ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴾–قال: من البرد –﴿ فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِىَ مِنْ شَاطِئِ الْوَادِى الأَيْمَنِ فِى الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ ﴾[1] . ﴿ أَنْ بُورِكَ مَنْ فِى النَّارِ وَمَنْ حولها﴾[2]. فلما سمع موسى النداء فزع وقال : الحمد لله رب العالمين. فنودى : ﴿ يَا مُوسَى إِنِّى أَنَا اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾[3] . ﴿ وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى * قَالَ هِىَ عَصَاىَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِى ﴾ ، يقول

(١) سورة القصص ٢٩ (٢) سورة النمل ٨
(٣) سورة القصص ٣٠

أضرب بها الورق ، فيقع للغنم من الشجر ﴿ وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَى ﴾، يقول: حوائج أخرى أحمل عليها المزود والسقاء، فقال له: ﴿ أَلْقِهَا يَامُوسَى * فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى ﴾[1] . ﴿ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِراً وَلَمْ يُعَقِّبْ ﴾ ، يقول : لم ينتظر . فنودىَ: ﴿ يا مُوسَى لاَ تَخَفْ إِنِّي لاَ يَخَافُ لَدَيَّ الْمُرْسَلُون ﴾[2]. ﴿أَقْبِلْ وَلاَ تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ الآمِنِين ﴾[3]، ﴿ واضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهْبِ فذانِكَ بُرْهَانَانِ مِنْ رَبِّكَ ﴾[3] العصا واليد آيتان، ١/٤٦٤ فذلك[4] حين يدعو موسى ربه، فقال: ﴿ رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْساً فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ * وَأَخِي هَارُونَ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَاناً فَأَرْسِلْهُ مَعِي رِدْءاً يُصَدِّقُنِي ﴾، يقول: كيما يصدقنى ﴿إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ ﴾[3] قال : ﴿وَلَهُمْ عَلَيَّ ذَنْبٌ فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلونِ ﴾ –يعنى بالقتيل– ﴿ قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَاناً ﴾– والسلطان الحجة– ﴿فَلاَ يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا بِآيَاتِنَا أَنْتُمَا وَمَنِ اتَّبَعَكُمَا الْغَالِبُونَ ﴾[3]، ﴿ فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولاَ إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالِمِينَ ﴾[5] .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة : ﴿ فَلَمَّا قَضَى مُوسَى الْأَجَلَ ﴾، خرج – فيما ذكر لى ابن إسحاق ، عن وهب بن منبّه اليمانىّ–فيما ذكر له – عنه، ومعه غنم له، ومعه زند له وعصاه فى يده يهشّ بها على غنمه نهاره، فإذا أمسى اقتدح بزنده ناراً، فبات عليها هو وأهله وغنمه، فإذا أصبح غدا بأهله وبغنمه يتوكأ على عصاه، وكانت – كما وُصف لى عن وهب بن منبّه – ذات شعبتين فى رأسها ، ومحجن فى طرفها .

حدثنا ابن حميد، قال : حدثنا سلمة عن ابن إسحاق، عمن لا يتّهم من أصحابه ، أن كعب الأحبار قدم مكة وبها عبد الله بن عمرو بن العاص ،

---

(١) سورة طه ١٧ – ٢٠ (٢) سورة النمل ١٠ (٣) سورة القصص ٣١–٣٥ .
(٤) ن : « فذلك » . (٥) سورة الشعراء ١٦

فقال كعب : سلوه عن ثلاث ، فإن أخبركم فإنه[١] عالم، سلوه عن شىء من الجنة وضعه الله للناس فى الأرض ، وسلوه ما أوّلُ ما وضع فى الأرض ؟ وما أوّل شجرة غرست فى الأرض ؟ فسئل عبد الله عنها فقال : أما الشىء الذى وضعه الله للناس فى الأرض من الجنة فهو هذا الركن الأسود ، وأما أوّل ما وضع فى الأرض فبَرهوت[٢] باليمن يردُه هام الكفار ، وأمّا أوّلُ شجرة غرسها الله فى الأرض فالعوسجة التى اقتطع منها موسى عصاه . فلما بلغ ذلك كعباً قال : صدق الرجل، عالم والله !

١/٤٦٥

قال : فلما كانت الليلة التى أراد الله بموسى كرامتَه ، وابتدأه فيها بنبوّته وكلامه ، أخطأ فيها الطريقَ حتّى لا يدرى أين يتوجه ، فأخرج زنده ليقدح ناراً لأهله ليبيتوا عليها حتّى يصبح ، ويعلم وجه سبيله ، فأصلد عليه زنده فلا يورى له نارا ، فقدح حتّى [إذا[٣]] أعياه لاحت النار فرآها، ﴿فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّى آنَسْتُ نَاراً لَعَلِّى آتِيكُمْ مِنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى النَّارِ هُدًى﴾[٤]، بقبس تصطلون ، وهدى : عن علم الطريق الذى أضللنا بنعت من خبير . فخرج نحوها ، فإذا هى فى شجرة من العُلَّيْق . وبعض أهل الكتاب يقول : فى عوْسجة ، فلما دنا استأخرت عنه ، فلما رأى استئخارها رجع عنها ، وأوجس فى نفسه منها خيفة ، فلما أراد الرجعة دنَتْ منه ، ثم كُلِّم من الشجرة ، فلما سمع الصوت استأنس ، وقال الله: يا موسى ﴿اخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى﴾[٥] . فألقاهما ثم قال: ﴿مَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى . قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِى وَلِىَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَى﴾، أى منافع أخرى، ﴿قَالَ أَلْقِهَا يَا مُوسَى . فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِىَ حَيَّةٌ تَسْعَى﴾[٦] قد صار شُعْبتاها فما وصار محجنها عُرْفًا لها ، فى ظهر تهتزّ ، لها أنياب ، فهى كما شاء الله أن تكون. فرأى

١/٤٦٦

(١) س : « فهو » .
(٢) س : « فبرهود » (٣) من ا
(٤) سورة طه : ١٠
(٥) سورة طه : ١٢
(٦) سورة طه ١٧ — ٢٠

أمراً فظيعًا فولى مدبراً ولم يعقّب ، فناداه ربه: أن يا موسى أقبل ولا تخف، ﴿ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَى ﴾[1]،أى سيرتها عصا كما كانت . قال : فلما أقبل قال :﴿خُذْهَا وَلَا تَخَفْ﴾[1]، أدخلْ يدك فى فها ، وعلى موسى جبّة من صوف ، فلفّ يده بكمّه وهو لها هائب ، فنودى أن ألق كمك عن يدك ، فألقاه عنها ، ثم أدخل يده بين لحيَيْها ، فلما أدخلها قبض عليها فإذا هى عصاه فى يده ، ويده بين شعبتيها حيث كان يضعها ، ومحجنها بموضعه الذى كان لا ينكر منها شيئًا . ثم قيل : ﴿ أَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ ﴾[2] أى من غير برَص — وكان موسى عليه السلام رجلا آدم أقنى جعْداً طُوالا — فأدخل يده فى جيبه ثم أخرجها بيضاء مثل الثلج ، ثم ردّها فى جيبه ، فخرجت كما كانت على لونه ، ثم قال :﴿ فَذَانِكَ بُرْهَانَانِ مِنْ رَبِّكَ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ * قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ * وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي ﴾، أى يبين لهم عنى ما أكلّمهم به ، فإنه يفهم عنى ما لا يفهمون .﴿ قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَانًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا بِآيَاتِنَا أَنْتُمَا وَمَنِ اتَّبَعَكُمَا الْغَالِبُونَ ﴾[3] .

١/٤٦٧

رجع الحديث إلى حديث السُّدّى . فأقبل موسى إلى أهله فسار بهم نحو مصر حتى أتاها ليلا ، فتضيّف على أمه وهو لا يعرفهم، فأتاهم فى ليلة كانوا يأكلون فيها الطّفَيْشَل[4]، فنزل فى جانب الدار ، فجاء هارون فلما أبصر ضيفه سأل عنه أمه فأخبرته أنه ضيف ، فدعاه فأكل معه ، فلما أن قعدا تحدّثا ، فسأله هارون : مَنْ أنت ؟ قال : أنا موسى ، فقام كلّ واحد منهما إلى صاحبه فاعتنقه ، فلما أن تعارفا قال له موسى : يا هارون

---

(١) سورة طه ٢١ .
(٢) سورة النمل ١٢ .
(٣) سورة القصص ٣٢ — ٣٥ .
(٤) الطفيشل : نوع من المرق ، قاله صاحب القاموس .

انطلق معى إلى فرعون ، إن الله قد أرسلنا إليه ، فقال هارون : سمعٌ وطاعة ، فقامت أمّهما فصاحت وقالت : أنشدكما الله ألاّ تذهبا إلى فرعون فيقتلكما فأبيا . فانطلقا إليه ليلا ، فأتيا الباب فضرباه ففزع فرعون، وفزع البواب ، وقال فرعون : مَنْ هذا الذى يضرب بابى فى هذه الساعة ؟ فأشرف عليهما البواب ، فكلّمهما ، فقال له موسى : ﴿إِنِّى رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[1] ففزع البواب فأتى فرعون فأخبره فقال : إن هاهنا إنسانًا مجنونًا يزعم أنه رسول ربّ العالمين ، قال : أدخله ، فدخل فقال : إنى رسول رب العالمين ؛ أن أرسل معى بنى إسرائيل ، فعرفه فرعون فقال : ﴿أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيداً وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ * وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ الَّتِى فَعَلْتَ وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ . ٤٦٨/١ معناعلى ديننا هذا الذى تعيب! ﴿قَالَ فَعَلْتُهَا إِذاً وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ * فَفَرَرْتُ مِنْكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِى رَبِّى حُكْماً﴾ — والحكم النبوة — ﴿وَجَعَلَنِى مِنَ الْمُرْسَلِينَ * وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَىَّ أَنْ عَبَّدْتَ بَنِى إِسْرَائِيلَ﴾ وربيتنى قبل وليداً! ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾[2] . ﴿فَمَنْ رَبُّكُمَا يَا مُوسَى * قَالَ رَبُّنَا الَّذِى أَعْطَى كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى﴾[3] . يقول : أعطى كل دابة زوجها[4] ثم هدى للنكاح ، ثم قال له : ﴿إِنْ كُنْتَ جِئْتَ بِآيَةٍ فَأْتِ بِهَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾[5] ، وذلك بعد ما قال له من الكلام ما ذكر الله تعالى . قال موسى : ﴿أَوَ لَوْ جِئْتُكَ بِشَىْءٍ مُبِينٍ * قَالَ فَأْتِ بِهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ * فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ﴾[6] — والثعبان الذكر من الحيّات — فاتحة

(١) سورة الزخرف ٤٦

(٢) سورة الشعراء ١٨ — ٢٣

(٣) سورة طه ٤٩ ، ٥٠

(٤) ا : « خلقها : زوجاً »

(٥) سورة الأعراف ١٠٦

(٦) سورة الشعراء ٣٠ — ٣٢

فاها ، واضعةً لَحْيَيْها الأسفل فى الأرض والأعلى على سور القصر ، ثم توجهت نحو فرعون لتأخذه ، فلما رآها ذعر منها ووثب ، فأحدث — ولم يكن يُحدث قبل ذلك — وصاح : يا موسى خذها وأنا أومن بك وأرسلُ معك بنى إسرائيل . فأخذها موسى فعادت عصا ، ثم نزع يده وأخرجها[1] من جيبه ، فإذا هى بيضاء للناظرين . فخرج موسى من عنده على ذلك ، وأبى فرعون أن يؤمن به ، أو[2] يرسل معه بنى إسرائيل ، وقال لقومه : ﴿ يَأَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِى فَأَوْقِدْ لِى يَا هَامَانُ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَلْ لِى صَرْحاً لَعَلِّى أَطَّلِعُ إِلَى إِلَهِ مُوسَى ﴾ .[3] فلما بنى له الصرح ارتقى فوقه ؛ فأمر بنُشّابة فرمى بها نحو السماء فردت إليه ، وهى ملطّخة دماً ، فقال : قد قتلت إله موسى .

١/٤٦٩

حدثنا بشر بن معاذ ، قال : حدثنا يزيد بن زُرَيع ، قال : حدثنا سعيد ، عن قتادة : ﴿ فَأَوْقِدْ لِى يَا هَامَانُ عَلَى الطِّينِ ﴾ ، قال : كان أول مَن طبخ الآجرّ يبنى به الصرح .

وأما ابن إسحاق ، فإنه قال ما حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلَمة ، عن ابن إسحاق ، قال : خرج موسى لما بعثه الله عزّ وجلّ حتى قدم مصر على فرعون هو وأخوه هارون ، حتى وقفا على باب فرْعون يلتمسان الإذنَ عليه ، وهما يقولان : إنا رسولا ربّ العالمين ، فآذِنوا بنا هذا الرجل . فمكثا — فيما بلغنا — سنتين يغدوَان على بابه ، ويرُوحان لا يعلم بهما ، ولا يجترئ أحد على أن يخبره بشأنهما ، حتى دخل عليه بَطّال له يلعّبه ويضحكه ، فقال له : أيها الملك ، إنّ على الباب رجلا يقول قولا عجيباً ، يزعم أنّ له إلهاً غيرَك ، قال : أدْخِلوه ، فدخل ومعه هارون أخوه ، وبيده عصاه ، فلما وقف على فرعون قال له : إنى رسول رب العالمين ، فعرفه فرعون فقال : ﴿ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيداً وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ * وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ الَّتِى فَعَلْتَ وَأَنْتَ

---

(١) كذا فى ا ، وفى ط : « أخرجها » من غير واو .

(٢) كذا فى ا ، س ، وفى ط : « وأن » . (٣) سورة القصص ٣٨ .

مِنَ الْكَافِرِينَ * قَالَ فَعَلْتُهَا إِذاً وأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ ﴾ أى خطأ لا أريد ذلك . ثم أقبل عليه موسى ينكر عليه ما ذكر بن يده عنده ، فقال: ﴿وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدْتَ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴾! أى اتخذتهم عبيداً تنتزع [١] أبناءهم من أيديهم ، فتسترقَّ منْ شئت ، وتقتل مَنْ شئت . إنى إنما صيرنى إلى بيتك وإليك ذلك. ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [٢] ، أى يستوصفه إلهه الذى أرسله إليه، أى ما إلهك هذا ! ﴿قَالَ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ * قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ﴾ مِنْ ملئه ﴿أَلاَ تَسْتَمِعُونَ ﴾ أى إنكاراً لما قال : ليس له إله غيرى. ﴿قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الأَوَّلِينَ﴾ الذى خلق آباءكم الأولين وخلقكم من آبائكم. قال فرعون: ﴿إِنَّ رَسُولَكُمُ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ ﴾، أى ما هذا بكلام صحيح إذ يزعم أن لكم إلهًا غيرى، ﴿قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ أى خالقُ المشرق والمغرب وما بينهما من الخلق إن كنتم تعقلون. ﴿قَالَ لَئِنِ اتَّخَذْتَ إِلَهاً غَيْرِي﴾ لتعبد غيرى وتترك عبادتى ﴿لأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ * قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُبِينٍ ﴾ [٢] ، أى بما تعرف بها صدقى وكذبك وحقى وباطلك! ﴿قَالَ فَأْتِ بِهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ * فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ ﴾ [٢] ، فملأت ما بين سِمَاطَىْ فرعون ، فاتحة فاها ، قد صار محجنُها عرفًا على ظهرها. فارفضَّ عنها الناس ، وحال فرعون عن سريره يُنشده بربه.

١/٤٧٠

ثم أدخل يده فى جيبه فأخرجها بيضاء مثل الثلج ، ثم ردها كهيئتها ، وأدخل موسى يده فى جيبه فصارت عصا فى يده ، يده بين شعبتيها ، ومحجنها فى أسفلها كما كانت ، وأخذ فرعون بطنه ، وكان فيما يزعمون يمكث الخمس والست ما يلتمس المذهب ـ يريد الخلاء ـ كما يلتمسه الناس، وكان ذلك مما زين له أن

١/٤٧١

(١) ا ، ن : « تنتزع » .

(٢) سورة الشعراء ١٧ — ٣٢ .

يقول ما يقول[١] : إنه ليس من الناس بشبه[٢] .

فحدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : حدّثت عن وهب بن منبّه اليمانىّ ، قال : فمشى بضعا وعشرين ليلة ، حتى كادت نفسه أن تخرج ، ثم استسمك[٣] فقال لملئه : ﴿إِنَّ هَٰذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ﴾ أى ماساحر أسحر منه ، ﴿يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ﴾[٤] أقتله ؟ فقال مؤمن من آل فرعون — العبد الصالح وكان اسمه فيما يزعمون حبرك : ﴿أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُم بِالْبَيِّنَاتِ مِن رَّبِّكُمْ﴾ بعصاه ويده ! ثم خوّفهم عقاب الله وحذرهم ما أصاب الأمم قبلهم ، وقال : ﴿يَا قَوْمِ لَكُمُ الْمُلْكُ الْيَوْمَ ظَاهِرِينَ فِي الْأَرْضِ فَمَن يَنصُرُنَا مِن بَأْسِ اللَّهِ إِن جَاءَنَا قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَىٰ وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ﴾[٥]. وقال الملأ من قومه — وقد[٦] وهنهم من سلطان الله ما وهنهم : ﴿أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَابْعَثْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ • يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ﴾[٧] ، أى كاثره بالسحرة لعلك أن تجد فى السحرة من جاء بمثل ما جاء به . وقد كان موسى وهارون خرجا من عنده حين أراهم من سلطان الله ما أراهم ، وبعث فرعون مكانه فى مملكته ، فلم يترك فى سلطانه ساحراً إلا أتى به ؛ فذكر لى — والله أعلم — أنه جمع له خمسةَ عشرَ ألف ساحر ، فلما اجتمعوا إليه أمرهم أمره ، فقال لهم : قد جاءنا ساحر ما رأينا مثله قطّ ، وإنكم إن غلبتموه أكرمتكم وفضّلتكم وقرّبتكم على أهل مملكتى ، قالوا : إن لنا ذلك [عليك][٨] إن

٤٧٢/١

(١) كذا فى ا س ، وفى ط : « ما قال » .
(٢) ا : « بشبيه » .
(٣) ا ، س : « استبل » .
(٤) سورة الشعراء ٣٤ ، ٣٥ .
(٥) سورة غافر ٢٨ ، ٢٩
(٦) ط : « قد » من غير واو ، وما أثبته من ا .
(٧) سورة الشعراء ٣٦ ، ٣٧
(٨) من ا

غَلَبْناه! قال: نعم، قالوا: فعدْ لنا موعداً نجتمع نحن وهو، فكان[١] رءوس السحرة الذين جمع فرعون لموسى: ساتور[٢]، وعادور[٣]، وحطحط[٤]، ومصفى[٥]؛ أربعة، وهم الذين آمنوا حين رأوا ما رأوْا من سلطان الله، فآمنت السحرةُ جميعًا وقالوا لفرعون حين توعدهم القتلَ والصلب: ﴿ لَنْ نُؤْثِرَكَ على مَا جَاءَنَا مِنَ البيِّنات والَّذِي فَطَرَنَا فاقْضِ مَا أنْتَ قَاضٍ ﴾.[٦] فبعث فرعون إلى موسى: أن اجعل ﴿ بَيْنَنَا وبَيْنَكَ موعداً لا نُخْلِفُهُ نَحْنُ ولا أنتَ مَكَاناً سُوًى * قَالَ مَوْعِدُكُمْ يومُ الزينة ﴾، يوم عيد كان فرعون يخرج إليه[٧]، ﴿ وأَنْ يُحْشَرَ النَّاسُ ضُحًى ﴾[٨]، حتى يحضروا أمري وأمرك، فجمع فرعون الناس لذلك الجمع، ثم أمر السحرة فقال: ﴿ ائْتُوا صَفًّا وقَدْ أفْلَحَ اليَوْمَ مَنِ اسْتَعْلَى ﴾[٩]، أي قد أفلح من استعلى اليوم على صاحبه. فصفَّ خمسة عشر ألف ساحر، مع كلّ ساحر حباله وعصيه، وخرج موسى ومعه أخوه يتكىء على عصاه، حتى أتى الجمع وفرعون في مجلسه ومعه[١٠] أشراف أهل مملكته، وقد استكفَّ له الناس، فقال موسى للسحرة حين جاءهم: ﴿ وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا عَلَى اللهِ كَذِباً فَيُسْحِتَكُمْ بِعَذَابٍ وَقَدْ خَابَ مَنِ افْتَرَى ﴾[١١]، فترادّ السحرة بينهم، وقال بعضهم لبعض: [ما هذا بقول ساحر، ثم قالوا وأشار بعضهم إلى بعض][١٢] بتناجٍ: ﴿ إنْ هذانِ لَسَاحِرَانِ يُرِيدَانِ أنْ يُخْرِجَاكُمْ مِنْ أرْضِكُمْ بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبا بِطَرِيقَتِكُمُ المُثْلَى ﴾[١٣]. ثم قالوا: ﴿ يَا مُوسَى إمَّا أن تُلْقِيَ

٤٧٢/١

(١) كذا في ا، وفي ط: «فكانوا».
(٢) كذا في ا، وفي س: «شانور»، ن: «سالور»، وفي ط من غير نقط.
(٣) ا: «عاذو ر»، س: «غاذور»
(٤) س: «حطحطه». (٥) ن: «مضعى».
(٦) سورة طه: ٧٢. (٧) س: «له».
(٨) سورة طه: ٥٨، ٥٩.
(٩) سورة طه: ٦٤
(١٠) ط: «معه»، وما أثبته من ا
(١١) سورة: طه ٦١ (١٢) تكملة من ا
(١٣) سورة طه: ٦٣

وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَى * قَالَ بَلْ أَلْقُوا فَإِذَا حِبالُهم وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّها تَسْعَى ﴾ (١). فكان أول ما اختطفوا بسحرهم بصرَ موسى وبصرَ فرعون ، ثم أبصار الناس بعد ، ثم ألقى كلُّ رجل منهم ما فى يده من العصىّ والحبال ، فإذا هى حيّات كأمثال الجبال ، قد ملأت الوادىَ يركب بعضها بعضًا . ﴿ فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خيفةً مُوسى ﴾ (١)، وقال : والله إن كانت لَعِصيًّا فى أيديهم ، ولقد عادت حيّات ، وما تعدو عصاىَ هذه — أو كما حدّث نفسه — فأوحى الله إليه : ﴿ وألقِ مَا فِي يمينِك تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا إِنَّما صَنَعُوا كيدُ ساحرٍ ولَا يُفْلِحُ السَّاحرُ حَيْثُ أتى ﴾ (٢). وفُرِج عن موسى فألقى عصاه من يده ، فاستعرضت ما ألقوْا من حبالهم وعصيهم — وهى حيّات فى عين فرعون وأعين الناس تسعى — فجعلت تَلْقفها (٣)، تبتلعها حية حية ، حتى ما يُرى فى الوادى (٤) قليل ولا كثير مما ألقوْا ، ثم أخذها موسى فإذا هى عصاه فى يده كما كانت ، ووقع السَّحرة سجداً ﴿ قالوا آمنَّا بربِّ هَارُونَ وَمُوسَى ﴾ ، لو كان هذا سحراً ما غلبنا. قال لهم فرعون — وأسف ورأى الغلبة البيِّنة : ﴿ آمَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ ﴾ ، [أى لعظيم السَّحّار الذى علمكم] (٥) ﴿ فلأقطِّعنَّ أيديَكُمْ وأرْجُلَكُمْ مِنْ خلاف ﴾ — إلى قوله — ﴿ فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ ﴾ ، [أى لن نؤثرك على الله وعلى ما جاء نا من الحجج مع نبيه فاقض ما أنت قاض] (٥)، أى فاصنع ما بدالك ، ﴿ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ

١/٧٤٤

---

(١) سورة طه ٦٥ — ٦٧

(٢) سورة طه ٦٩

(٣) كذا فى ا ، وفى ط « تتلقفها » .

(٤) ا ، ن : « بالوادى » .

(٥) تكلة من ا .

الحياةَ الدنيا ﴾التي ليس لك سلطان إلا فيها ، ثم لا سلطان لك بعدها ،﴿ إنَّا آمنَّا بِرَبِّنا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَايانا وَمَا أَكْرَهْتَنَا عليهِ من السِّحْرِ واللهُ خَيْرٌ وَأَبْقَى ﴾،[١] أى خير منك ثوابًا ، وأبقى عقابًا . فرجع عدوُّ الله مغلوبًا ملعونًا[٢] ثم أبى إلا الإقامة على الكفر، والتمادى فى الشر ، فتابع الله عليه بالآيات ، وأخذه بالسنين ، فأرسل عليه الطوفان .

رجع الحديث إلى حديث السدىّ . وأما السدّىّ فإنه قال فى خبره : ذُكر أن الآيات التى ابتَلى الله بها قوم فرعون كانت قبل اجتماع موسى والسحرة ، وقال : لما رجع إليه السهم ملطخًا بالدم قال : قد قتلنا[٣] إله موسى . ثم إن الله أرسل عليهم الطوفان — وهو المطر — فغرق كلُّ شىء لهم ، فقالوا : يا موسى ادع لنا ربك يكشفْ عنا ، ونحن نؤمن لك ونرسل معك بنى إسرائيل . فكشفه الله عنهم ، ونبتت زروعهم ، فقالوا : ما يسرُّنا أنا لم نُمْطَر . فبعث الله عليهم الجراد فأكل حروثهم ، فسألوا موسى أن يدعوَ ربَّه فيكشفه ويؤمنوا به ، فدعا فكشفه ، وقد بقى من زروعهم بقية ، فقالوا : لن نؤمن وقد بقى لنا من زروعنا بقية ، فبعث الله عليهم الدّبا — وهو القُمّل — ، فلحس الأرض كلَّها ، وكان يدخل بين ثوب أحدهم وبين جلده فيعضّه ، وكان أحدُهم يأكل الطعام فيمتلىء دبًا حتى إنّ أحدهم ليبنى الأسطوانة بالجصّ والآجرّ ، فيزْلقها[٤] حتى لا يرتقى فوقها شىء [من الذباب ، ثم][٥] يرفع فوقها الطعام ، فإذا صَعِد إليه ليأكله وجده ملآن دبًا ، فلم يصبهم بلاء كان أشدّ عليهم من الدبا ؛ وهو الرِّجز الذى ذكره الله فى القرآن[٦] أنه وقع عليهم . فسألوا موسى أن يدعوَ ربه فيكشفَه عنهم ويؤمنوا به ، فلما كُشف[٧] عنهم أبوْا أن يؤمنوا ، فأرسل الله عليهم الدم ، فكان الإسرائيلىّ

١/٤٧٥

---

(١) سورة طه : ٧٠ - ٧٣ (٢) ا ، س : « مغلولا »

(٣) ا : « قتلت » .

(٤) ط : « فيزلقه » ، ما أثبته من ا . (٥) تكلة من ا

(٦) وهو قوله تعالى فى سورة الأعراف ١٣٤ : ﴿ وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيهِمُ الرِّجْزُ قَالُوا يَامُوسَى ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ ﴾ .

(٧) ط : « كشفه » ؛ والأجود ما أثبته من ا .

يأتى هو والقبطى فيستقيان[١] من ماء واحد، فيخرج ماء هذا القبطى دمًا، ويخرج للإسرائيلىّ ماء . فلما اشتدّ ذلك عليهم سألوا موسى أن يكشفه ويؤمنوا به فكُشِف ذلك عنهم، فأبوْا أن يؤمنوا ، فذلك حين يقول الله: ﴿ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ العذابَ إِذَا هُمْ يَنْكُثُونَ ﴾[٢] ما أعطوْا من العهود ، وهو حين يقول : ﴿ ولقد أَخَذْنَا آل فِرْعَوْنَ بِالسِّنِين﴾ــ وهو الجوع ــ﴿ وَنَقْصٍ مِنَ الثَّمرات لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴾[٣] . ٤٧٦/١

ثم إن الله عزّ وجلّ أوحى إلى موسى وهارون[٤] أن: ﴿ قُولَا لَهُ قولًا لَيِّنًا لعلّه يَتَذَكَّرُ أو يَخْشَى﴾[٥]، فأتياه فقال له موسى : هل لك يا فرعون فى أن أعطيَك شبابك ولا تهرم[٦] ، وملكك لا ينزع منك ، ويردّ[٧] إليك لذّة المناكح والمشارب والركوب ، فإذا متّ دخلت الجنة ؟ تؤمن بى[٨]! فوقعت فى نفسه هذه الكلمات ، وهى اللينة[٩]، فقال: كما أنت حتى يأتى هامان . فلما جاء هامان قال له: [أشعرت][١٠] أن ذلك الرجل أتانى ؟ قال: من هو ؟ — وكان قبل ذلك إنما يسمّيه الساحر ، فلما كان ذلك اليوم لم يسمّه الساحر — قال فرعون : موسى ، قال : وما قال لك ؟ قال : قال لى : كذا وكذا ، قال هامان : وما رددت عليه ؟ قال : قلت : حتى يأتىَ هامان فأستشيره ، فعجّزه هامان وقال : قد كان ظنّى بك خيراً من هذا ، تصير عبداً يَعبد بعد أن كنتَ ربا يُعبد ! فذلك حين خرج عليهم فقال لقومه وجمعهم فقال: ﴿ أنا ربُّكُمُ الأَعْلَى ﴾[١١]. وكان بين كلمته ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِى﴾[١٢] وبين قوله:

(١) كذا فى ا ، وفى ط : « يستقيان » . (٢) سورة الزخرف ٥٠

(٣) سورة الأعراف ١٣٠ . (٤) كذا فى ا ، وفى ط : « إليهما »

(٥) سورة طه ٤٤. (٦) ط : «ولا يهرم» ، ا : « شيئاً لا تهرم» ، وفى ابن الأثير ١ : ١٠٢ : « فلا تهرم » . (٧) ابن الأثير : « وأرد » .

(٨) ا ، ن ، وابن الأثير : « وتؤمن بى » . (٩) ا : « اللينات » .

(١٠) تكلة من ا . (١١) سورة النازعات ٢٤ (١٢) سورة القصص : ٣٨ .

﴿ أنا رَبُّكم الأعْلَى ﴾ أربعون سنة . وقال لقومه : ﴿ إنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ * يُرِيدُ أن يُخرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكم بِسِحرِهِ فماذا تأمُرون * قالوا أرْجِهْ وَأَخَاهُ وابعَثْ فى المدائِنِ حاشِرِين * يأتوك بكل سَحَّارٍ عليم ﴾[1]. قال فرعون : ﴿ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنا من أرْضِنا بسحرِكَ يا مُوسَى * فلنأتينَّك بسحرٍ مِثله فاجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لا نُخْلِفهُ نَحْنُ ولا أنْتَ مَكانًا سُوًى ﴾ — يقول : عدلا ، قال موسى : ﴿ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ الزِّينَةِ وأنْ يُحْشَرَ النَّاسُ ضُحًى ﴾ — وذلك يوم عيد لهم — ﴿ فَتَوَلَّى فِرْعَونُ فجمعَ كيدَه ثم أَتَى ﴾[2]. وأرسل فرعون فى المدائن حاشرين ؛ فحشَروا عليه السحرة ، وحشروا الناس ينظرون ، يقول : ﴿ هَلْ أنتُمْ مُجْتَمِعُون * لَعَلَّنا نَتَّبِعُ السَّحَرَةَ إنْ كَانُوا هُمُ الغَالِبِين ﴾ — إلى قوله : ﴿ أئِنَّ لنا لأجْرًا إنْ كُنَّا نحنُ الغالبين ﴾ — يقول : عطيّة تعطينا — ﴿ قَالَ نَعَمْ وَإنَّكُمْ إذًا لَمِنَ المُقَرَّبِينَ ﴾[3]. فقال لهم موسى : ﴿ وَيْلَكُمْ لا تَفْتَرُوا عَلَى اللهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُمْ بِعَذَابٍ ﴾ ، يقول : يهلككم بعذاب . ﴿ فَتَنَازَعُوا أمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ وَأسَرُّوا النَّجْوَى ﴾ من دون موسى وهارون ، وقالوا فى نجواهم : ﴿ إنْ هَذَانِ لَسَاحِرَانِ يريدانِ أنْ يُخْرِجَاكُمْ مِنْ أرضِكُمْ بِسِحْرِهِما وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ المُثْلَى ﴾[4] ، يقول : يذهبا بأشراف قومكم .

١/٤٧٧

فالتقى موسى وأمير السحرة ، فقال له موسى : أرأيتك إن غلبتُك أتؤمنُ بى وتشهد أن ما جئت به حق ؟ قال : نعم ، قال الساحر : لآتينّ غداً بسحر لا يغلبه سحر ، فوالله لئن غلبتَنى لأومننّ بك ، ولأشهدنّ أنك على حق — وفرعون ينظر إليهما — وهو قول فرعون : ﴿ إنَّ هَذَا لَمَكْرٌ مَكَرْتُمُوهُ فى المَدِينَةِ ﴾ ،

---

(١) سورة الشعراء ٣٤ — ٣٧

(٢) سورة طه ٤٧ — ٦٠

(٣) سورة الشعراء ٣٩ — ٤٢

(٤) سورة طه ٦١ — ٦٣ .

إذ التقيتما لتتظاهرا ﴿ لِتُخْرِجُوا مِنْهَا أَهْلَهَا ﴾(١). فقالوا: ﴿ يَا مُوسَى إِمَّا أَنْ تُلْقِيَ وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ نَحْنُ الْمُلْقِينَ ﴾(٢)، قال لهم موسى : ألقوا فألقوا حبالهم ١/٤٧٨ وعصيّهم — وكانوا بضعة وثلاثين ألف رجل ، ليس منهم رجل إلا ومعه حبل وعصا — ﴿ فَلَمَّا أَلْقَوْا سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ ﴾(٢) يقول: فرّقوهم. ﴿ فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَى ﴾(٣)، فأوحى الله إليه: ألاّ تخف، ﴿ وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا ﴾(٤). فألقى موسى عصاه فأكلت كلّ حية لهم، فلما رأوا ذلك سجدوا، وقالوا: ﴿ آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ ﴾.(٥) قال فرعون : ﴿ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ ﴾(٦) فقتّلهم وقطّعهم — كما قال عبد الله بن عباس — حين قالوا : ﴿ رَبَّنَا أَفْرِغْ علينا صَبْرًا وتوفَّنا مُسْلِمِين ﴾(٧). قال(٨): كانوا فى أول النهار سَحرة ، وفى آخر النهار شهداء .

* * *

ثم أقبل على بنى إسرائيل فقال له قومه : ﴿ أَتَذَرُ مُوسَى وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَآلِهَتَكَ ﴾(٩)، وآلهتُه — فيما زعم ابن عباس — كانت البقر ، كانوا إذا رأوا بقرة حسناء أمرهم أن يعبدوها ، فلذلك أخرج لهم عجلا بقرة .

ثم إن الله تعالى ذكره أمر موسى أن يخرج ببنى إسرائيل فقال : ﴿ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي ﴾ ليلًا ﴿ إِنَّكُمْ مُتَّبَعُونَ ﴾(١٠). فأمر موسى بنى إسرائيل أن يخرجوا ، وأمرهم

---

(١) سورة الأعراف ١٢٣.
(٢) سورة الأعراف ١١٥ ، ١١٦ .
(٣) سورة طه ٦٧ .
(٤) سورة طه ٦٩ .
(٥) سورة الشعراء ٤٧ ، ٤٨
(٦) سورة طه ٧١ .
(٧) سورة الأعراف ١٢٦ .
(٨) ط : « قالوا » ، وصوابه من ر .
(٩) سورة الأعراف ١٢٧ .
(١٠) سورة الشعراء ٥٢ .

أن يستعيروا الحلىَّ من القبْط ، وأمر ألاَّ ينادى إنسان صاحبَه، وأن يُسرجوا فى بيوتهم حتّى الصبح ،وأنَّ من خرج إذا قال : موسى ،قال : «عمرو» . وأمر مَنْ خرج يلطخ بابه بكفّ من دم حتّى يعلم أنه قد خرج . وإن الله أخرج كلَّ ولد زنا فى القِبْط من بنى إسرائيل إلى بنى إسرائيل ، وأخرج كلَّ ولد زنا فى بنى إسرائيل من القِبْط إلى القِبط ، حتّى أتوْا آباءهم . ١/٤٧٩

ثم خرج موسى ببنى إسرائيل ليلاً والقِبْط لا يعلمون ، وقد دعوا قَبْل ذلك على القبط ،فقال موسى : ﴿رَبَّنَا إِنكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلأَهُ زِينةً وَأَمْوَالًا فِى الْحَيَاةِ الدُّنْيا﴾ إلى قوله: ﴿ حَتَّى يَرَوُا الْعَذابَ الأَلِيمِ﴾[١] ، فقال الله تعالى :﴿ قَدْ أُجِيبَتْ دَعْوَتُكُمَا ﴾ فزعم السدىّ أن موسى هو الذى دعا وأمَّن هارون ، فذلك حين يقول الله : ﴿ قَدْ أُجِيبَتْ دَعْوَتُكُمَا ﴾[١] .

وقوله: ﴿ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ ﴾[١] فذكِرَ أن طمْس الأموال أنه جعل دراهمهم ودنانيرهم حجارة ، ثم قال لهما استقيما ، فخرجا فى قومهما ، وألقِىَ على القِبْط الموتَ ، فمات كل بِكْر رجل ، فأصبحوا يَدفنونهم ، فشُغلوا عن طلبهم حتّى طلعت الشمس ؛ فذلك حين يقول الله : ﴿ فَأَتْبَعُوهُمْ مُشْرِقِينَ ﴾[٢] .

وكان موسى على سَاقة[٣] بنى إسرائيل ، وكان هارون أمامَهم يقدمهم ، فقال المؤمن لموسى : يا نبىَّ الله ، أين أمِرت ؟ قال : البحر ، فأراد أن يقتحم فمنعه موسى. وخرج موسى فى ستّمائة ألف وعشرين ألف مقاتل ، لا يُعُدُّون ابن العشرين لصغره ولا ابنَ الستين لِكبَره ، وإنما عَدُّوا ما بين ذلك سوى الذريّة ، وتبعهم فرعون ، وعلى مقدمته هامان ، فى ألف ألف وسبعمائة ألف حصان ، ليس[٤] فيها ماذيانة، وذلك حين يقول الله : ﴿ فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِى الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ * إِنَّ هَؤُلَاءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ * وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَائِظُونَ ﴾ — يعنى بنى إسرائيل — ﴿ وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَاذِرُونَ ﴾[٥] ،يقول : قد حذِرنا فأجمعنا أمرنا ، ١/٤٨٠

(١) سورة يونس ٨٨ ، ٨٩ .
(٢) سورة الشعراء ٦٠ .
(٣) ساقة الجيش : مؤخرهم .
(٤) ن : « وليس » .
(٥) سورة الشعراء ٥٣ — ٥٦

﴿ فَلَمَّا تَرَاءَى الْجَمْعَانِ ﴾، فنظرت بنو إسرائيل إلى فرعون قد ردفهم، قالوا : ﴿ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ﴾[1]. قالوا : يا موسى ، أوذينا من قبل أن تأتينا ، كانوا يذبّحون أبناءنا، ويستحيُون نساءنا ، ومن بعد ما جئتنا اليوم يدركنا فرعون فيقتلنا ! إنا لمدركُون ، البحرُ من بين أيدينا وفرعون من خلفنا ، قال موسى : ﴿ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴾[1]، يقول : سيكفيني ، ﴿ قَالَ عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴾[2]. فتقدم هارون فضرب البحر فأبى البحر أن ينفتح، وقال: مَنْ هذا الجبّار الذى يضربنى ! حتى أتاه موسى فكناه أبا خالد ، وضربه، ﴿ فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ ﴾[3] ، يقول : كالجبل العظيم ، فدخلت بنو إسرائيل ، وكان فى البحر اثنا عشر طريقًا ، فى كل طريق سِبْط ، وكأنّ الطرق إذ انفلقت بجدران . فقال كلّ سبط : قد قتل أصحابنا، فلما رأى ذلك موسى دعا الله فجعلها لهم قناطر كهيئة الطيقان ، فنظر آخرُهم إلى أولهم ، حتى خرجوا جميعًا ؛ ثم دنا فرعون وأصحابه ، فلما نظر فرعون إلى البحر منفلقًا قال: ألا ترون البحر فرق منى ،وقد تفتّح لى حتى أدرك أعدائى فأقتلهم ! فذلك قول الله : ﴿ وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ الْآخَرِينَ ﴾[4] ، يقول : قرّبنا ثَمّ الآخرين ؛ هم آل فرعون . ١/٤٨١

فلما قام فرعون على أفواه الطرق أبت خيلُه أن تقتحم ، فنزل جبرئيل على ماذيانة، فشمّت[5] الحُصُن ريحَ الماذيانة فاقتحمت فى أثرها حتى إذا همّ أوّلُهم أن يخرج ودخل آخرُهم ، أمر البحر أن يأخذهم فالتطم عليهم ،

(١) سورة الشعراء ٦١ ، ٦٢ .

(٢) سورة الأعراف ١٢٩ .

(٣) سورة الشعراء ٦٣ .

(٤) سورة الشعراء : ٦٤ .

(٥) كذا فى ح وابن الأثير ، وفى ا ، ط : « فشامت » .

وتفردجبرئيل بفرعون بمَقْلَة من مَقل(١) البحر ، فجعل يُدسُّها في فيه ، فقال حين أدركه الغرق : ﴿ آمَنتُ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ ، فبعث الله إليه ميكائيل يعيّره، قال :﴿ آلْآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴾(٢) . فقال جبرئيل : يا محمد، ما أبغضت أحداً من الخلق ما أبغضتُ رجلين : أما أحدهما فمن الجنّ وهو إبليس حين أبى أن يسجد لآدم ، وأما الآخر فهو فرعون حين قال : ﴿ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَىٰ ﴾، ولو رأيتني يا محمد، وأنا آخذ مَقْل البحر فأدخله في فم فرعون مخافة أن يقول كلمة يرحمه الله بها ! وقالت بنو إسرائيل : لم يغرق فرعون ، الآن يدركنا فيقتلنا ، فدعا الله موسى : فأخرج فرعون في ستمائة ألف وعشرين ألفًا ، عليهم الحديد فأخذته بنو إسرائيل يمثّلون به ، وذلك قول الله لفرعون : ﴿ فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً ﴾(٢) ؛ يقول : لبني إسرائيل آية . فلما أرادوا أن يسيروا ضُرب عليهم تيهٌ ؛ فلم يدروا أين يذهبون ، فدعا موسى مشيخة بني إسرائيل فسألهم : ما بالُنا ؟ فقالوا له : إن يوسف لما مات بمصر أخذ على إخوته عهداً ألاّ تخرجوا من مصر حتى تخرجوني معكم ، فذلك هذا الأمر ، فسألهم : أين موضع قبره ؟ فلم يعلموا ، فقام موسى ينادي : أنشد الله كلّ مَنْ كان يعلم أين موضع قبر يوسف إلا أخبرني به ، ومن لم يعلم فصَمَّتْ أذناه عن قولي ! وكان يمرّ بين الرجلين ينادي فلا يسمعان صوته ، حتى سمعته عجوز لهم فقالت : أرأيتكَ إن دللتُك على قبره أتعطيني كلّ ما سألتك ؟ فأبى عليها وقال : حتى أسأل ربي ، فأمره الله عزّ وجلّ أن يعطيَها ، فأتاها فأعطاها ، فقالت : إني أريد ألا تنزلَ غُرْفة من الجنة إلا نزلتُها معك ، قال : نعم ، قالت : إني عجوز كبيرة لا أستطيع أن أمشيَ فاحملْني ، فحملها، فلما دنا من النيل ، قالت : إنه في جوف الماء ، فادعُ الله أن يُحسِر عنه الماء، فدعا الله فحسر الماءَ عن القبر ، فقالت : احفرْه ، ففعل فحمل عظامه ، ففتح

٤٨٢/١

٤٨٣/١

---

(١) في اللسان : مقل البحر : موضع المغاص منه .

(٢) سورة يونس: ٩٠ ، ٩٢ .

لهم الطريق، فساروا، ﴿ فَأَتَوْا عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لَهُمْ قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ • إِنَّ هَٰؤُلَاءِ مُتَبَّرٌ مَا هُمْ فِيهِ ﴾ – يقول: مهلك ماهم فيه – ﴿ وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾[1] .

فأما ابنُ إسحاق، فإنه قال – فيما حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة عنه – فتابع الله عليه بالآيات – يعني على فرعون – وأخذه بالسنين إذ أبى أن يؤمن بعد[2] ما كان من أمره وأمر السحرة ما كان ، فأرسل عليه الطوفان، ثم الجراد ، ثم القمَّل ، ثم الضفادع ، ثم الدم آيات مفصَّلات ، أى آية بعد آية، يتبع بعضُها بعضًا ، فأرسل الطوفانَ وهو الماء ، ففاض على وجه الأرض ثم ركد ، لا يقدرون على أن يحرثوا ، ولا يعملوا شيئًا ، حتى جهدوا جوعًا. فلما بلغهم ذلك قالوا: يا موسى ادع لنا ربك، ﴿ لَئِنْ كَشَفْتَ عَنَّا الرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴾[3]. فدعا موسى ربه فكشفه عنهم فلم يفوا له بشىء مما قالوا ، فأرسل الله عليهم الجراد فأكل الشجر – فيما بلغنى حتى إنه كان ليأكل مسامير الأبواب من الحديد حتى تقع دورهم ومساكنهم، فقالوا مثل ما قالوا ، فدعا ربه فكشَفه عنهم فلم يفوا له بشىء مما قالوا ، فأرسل الله عليهم القمَّل . فذكر لى أن موسى أمِر أن يمشِيَ إلى كثيب فيضربه[4] بعصاه فمشى إلى كثيب أهيَل عظيم فضربه بها فانثال عليهم قمَّلا حتى غلبَ على البيوت والأطعمة ، ومنعهم النوم والقرار ، فلما جهدهم قالوا له مثل ما قالوا، فدعا ربَّه فكشف عنهم فلم يفوا له بشىء مما قالوا ، فأرسل الله عليهم الضفادع ، فملأت البيوت والأطعمة والآنية فلا يكشفُ أحد منهم[5] ثوبًا ولا طعامًا ولا إناء إلا وجدَ فيه الضفادع قد غلبتْ عليه ، فلما جهدهم ذلك قالوا له مثل ما قالوا ، فدعا ربه فكشف عنهم فلم يفُوا له بشىء مما قالوا ، فأرسل الله

٤٨٤/١

(١) سورة الأعراف ١٣٨ ، ١٣٩

(٢) ح : «من بعد» .

(٣) سورة الأعراف ١٣٤ .

(٤) ن : «حتى يضربه» .

(٥) ح ، ن : «أحدهم» .

عليهم الدم فصارت مياه آل فرعون دمًا، لا يستقون من بئر ولا نهر ولا يغترفون من إناء إلا عادت دمًا عبيطًا .

حدثنا محمد بن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : فحدثني محمد بن إسحاق، عن محمد بن كعب القرظيّ أنه حدّث أن المرأة من آل فرعون كانت تأتي المرأةَ من بني إسرائيل حين جهدهم العطش ، فتقول : اسقيني من مائك ، فتغرف لها من جرّتها أو تصُبّ لها من قربتها ، فيعود في الإناء دمًا ، حتى إن كانت لتقول لها : اجعليه في فيك ثم مجّيه في فيّ ، فتأخذ في فيها ماء، فإذا مجّته في فيها صار دمًا، فمكثوا في ذلك سبعة أيام، فقالوا: ﴿ ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ لَئِنْ كَشَفْتَ عَنَّا الرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴾[1] . فلما كشف عنهم الرجزُ نكثوا ولم يفُوا بشيء مما قالوا، فأمر الله موسى أن يسير ، وأخبره أنه منجّيه ومَنْ معه ، ومهلكُ فرعون وجنوده ، وقد دعا موسى عليهم بالطّمْسة ؛ فقال: ﴿ رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالًا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِكَ ﴾ — إلى — ﴿ وَلَا تَتَّبِعَانِّ سَبِيلَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾[2] . فمسخ الله أموالهم حجارة: النخل والرقيق والأطعمة، فكانت إحدى الآيات التي أراهنّ[3] الله فرعون .

١/٤٨٥

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق، عن بُرَيْدة ابن سفيان بن فروة الأسلميّ ، عن محمد بن كعب القرظيّ ، قال : سألني عمر بن عبد العزيز عن التسع الآيات التي أراهنّ الله فرعون، فقلت : الطوفان، والجراد ، والقمّل ، والضفادع ، والدم ، وعصاه ، ويده ، والطمسة ، والبحر. فقال عمر : فأنّى عرفت أن الطمسة إحداهنّ ؟ قلت : دعا عليهم موسى وأمّن هارون، فمسخ الله أموالهم حجارة ، فقال : كيف يكون الفقه إلا هكذا ! ثم

---

(١) سورة الأعراف ١٣٤.

(٢) سورة يونس ٨٨، ٨٩ .

(٣) ط : « أراها »، وما أثبته من ا .

دعا بخريطة فيها أشياء مما كان أصيب لعبد العزيز بن مروان بمصر ؛ إذ كان عليها من بقايا أموال آل فرعون، فأخرج البيضة مقشورةً نصفين ؛ وإنها لحجر، والجوزة مقشورة وإنها لحجر ، والحمصة، والعدسة .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ،عن محمد ، عن رجل من أهل الشأم كان بمصر ، قال : قد رأيت النخلة مصروعة ، وإنها لحجَر ، وقد رأيت إنسانًا ما شككت أنه إنسان وإنه لحجَر، من رقيقهم ، فيقول الله عزّ وجلّ : ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ ﴾ إلى قوله ﴿ مَثْبُوراً ﴾[1] يقول : شقيًّا. ٤٨٦/١

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق، عن يحيى بن عروة بن الزبير ، عن أبيه، أن الله حين أمر موسى بالمسير ببنى إسرائيل أمرَه أن يحتمل يوسفَ معه حتى يضعه بالأرض المقدسة ، فسأل موسى عمّن يعرف موضعَ قبره ، فما وجد إلا عجوزاً من بنى إسرائيل ، فقالت : يا نبيّ الله ، أنا أعرف مكانه . إن أنت أخرجتَنى معك[2] ، ولم تخلّفنى بأرض مصر دللتك عليه . قال : أفعل، وقد كان موسى وعَد بنى إسرائيل أن يسير بهم إذا طلع الفجر ، فدعا ربّه أن يؤخّر طلوعه حتى يفرغ من أمر يوسف، ففعل، فخرجت به العجوز حتى أرته إياه فى ناحية من النيل فى الماء ، فاستخرجه موسى صندوقًا من مرمر ، فاحتمله معه . قال عروة : فمن ذلك تحمل اليهود موتاها من كلّ أرض إلى الأرض المقدسة .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدّثنا سلمة، عن ابن إسحاق ، قال : كان — فيما ذُكِر لى — أن موسى قال لبنى إسرائيل فيما أمره الله به : استعيروا منهم الأمتعة والحُلِيّ والثياب فإنى منفّلكم أموالَهم مع هلاكهم ؛ فلما أذّن فرعون فى الناس كان مما يحرّض به على بنى إسرائيل أن قال حين ساروا : لم يرضَوا أن خرجوا بأنفسهم حتى ذهبوا بأموالكم معهم .

---

(١) سورة الإسراء ١٠١ ، ١٠٢

(٢) ا ، ن : « خرجت بى » .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن محمد ابن كعب القرظيّ، عن عبد الله بن شداد بن الهاد ، قال : لقد ذُكِرَ لى أنه خرج فرعون فى طلب موسى على سبعين ألفًا من دُهْم الخيل سوى ما فى جنده ٤٨٧/١ من شيات[1] الخيل ، وخرج موسى حتّى إذا قابله البحر ولم يكن عنهمنصَرف طلع فرعون فى جنده من خلفهم ، ﴿ فَلَمَّا تَرَاءَى الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرَكُونَ * قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴾،[2] أى للنجاة، وقد وعدنى ذلك ولا خُلْفَ لموعوده[3].

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثنا محمد بن إسحاق قال: فأوحى الله تبارك وتعالى — فيما ذكر لى — إلى البحر : إذا ضربَك موسى بعصاه فانفلقْ له ، فبات البحر يضربُ بعضه بعضًا فرَقًا من الله وانتظاراً لأمره، فأوحى الله عزّ وجلّ إلىموسى : أن اضرب بعصاك البحر ،فضربه بها وفيهاسلطانالله الذى أعطاه، ﴿ فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ ﴾[4]، أى كالجبل على نَشَز من الأرض . يقول الله لموسى عليه السلام: ﴿ فَاضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَبَسًا لَا تَخَافُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَى ﴾[5]. فلما استقرّ له البحر على طريق قائمة يبَس سلك فيه موسى ببنى إسرائيل،واتبعه فرعون بجنوده.

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثنى محمد بن إسحاق، عن محمد بن كعب القرظىّ ، عن عبد الله بن شداد بن الهاد الليثىّ ، قال : حُدِّثت أنه لما دخلتْ بنو إسرائيل فلم يبق منهم أحدٌ أقبل فرعون وهو على حصان له من الخيل ، حتّى وقف على شفير البحر وهو قائم على حاله، فهاب الحصان أن يتقدم[6] ، فعرض له جبرئيل على فرس أنثى وديق[7]،فقرّبها منه ٤٨٨/١

(١) كذا فى ا ، وفى التفسير : « شية » ، وفى ط: « شهب »من تصرف مصححه .

(٢) سورة الشعراء ٦١ ، ٦٢

(٣) الخبر فى التفسير ١٩ : ٤٩ (بولاق) .

(٤) سورة الشعراء ٦٣

(٥) سورة طه ٧٧

(٦) ا ، ح : « أن ينفذ » .

(٧) الفرس الوديق :التى تريدالفحل .

فشمَّها الفحل ، ولما شمَّها قدمها ، فتقدم معه الحصان عليه فرعون، فلما رأى جند فرعون أنّ فرعون قد دخل دخلوا معه ، وجبرئيل أمامه ، فهم يتبعون فرعون، وميكائيل على فرس خلف القوم يشحذهم يقول : الحقوا بصاحبكم ، حتّى إذا فصل جبرئيل من البحر ليس أمامه أحدٌ ، ووقف ميكائيل على الناحية[1] الأخرى ليس خلفه أحد، طبّق عليهم البحر، ونادى فرعون حين رأى من سلطان الله وقدرته ما رأى ، وعرف ذلّه وخذلته نفسه ، نادى : أن لا إله إلا الذى آمنت به بنو إسرائيل ، وأنا من المسلمين .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا أبو داود البصريّ ، عن حماد بن سلمة ، عن على بن زيد، عن يوسف بن مهران ، عن ابن عباس، قال : جاء جبرئيل إلى النبي عليه السلام فقال : يا محمد ، لقد رأيتنى وأنا أدسّ من حمإ البحر فى فم[2] فرعون مخافة أن تدركه الرحمة ! يقول الله: ﴿ آلْآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ * فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ﴾، أى سواءٌ لم يذهب منك شىء، ﴿ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً ﴾[3] أى عبرة وبينة. فكان يقال : لو لم يخرجه الله ببدنه حتّى عرفوه لشكَّ فيه بعضُ الناس .

١/٤٨٩ ولما جاوز ببنى إسرائيل البحر أتوا على قوم يعكفون على أصنام لهم، ﴿ قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ * إِنَّ هَؤُلَاءِ مُتَبَّرٌ مَا هُمْ فِيهِ وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ * قَالَ أَغَيْرَ اللهِ أَبْغِيكُمْ إِلَهًا وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾[4]. ووعد الله موسى حين أهلك فرعون وقومَه ونجاه وقومَه ثلاثين ليلة .

رجع الحديث إلى حديث السديّ . ثم إن جبرئيل أتى موسى يذهب به إلى

---

(١) ا : «ناحيته الأخرى» ، ح ، س : «ناحية أخرى» .

(٢) ا : «فى فرعون» .

(٣) سورة يونس ٩١، ٩٢ .

(٤) سورة الأعراف : ١٣٨ — ١٤٠ .

الله عزّ وجلّ ، فأقبل على فرس فرآه السامرىّ فأنكره، ويقال: إنه فرس الحياة، فقال حين رآه : إنّ لهذا لشأنًا ، فأخذ من تربة الحافر حافر الفرس ، فانطلق موسى واستخلف هارون على بنى إسرائيل ، وواعدهم ثلاثين ليلة ، وأتمها الله بعشر ، فقال لهم هارون : يا بنى إسرائيل ، إنّ الغنيمة لا تحلّ لكم ، وإن حُلِىَّ القِبْط إنما هو غنيمة ، فاجمعوها جميعًا فاحفروا لها حفرة فادفنوها فيها ، فإن جاء موسى فأحلّها أخذتموها ، وإلاّ كان شيئًا لم تأكلوه ، فجمعوا ذلك الحلىّ فى تلك الحفرة ، وجاء السامرىّ بتلك القبضة فقذفها ، فأخرج الله من الحلىّ عجلا جسداً له خُوار ، وعدَّت بنو إسرائيل موعدَ موسى ، فعدُّوا الليلة يومًا واليوم يومًا ، فلما كان العشر[1] خرج لهم العجلُ فلما رأوه قال لهم السامرىّ : ﴿ هٰذَا إِلٰهُكُمْ وإلٰهُ مُوسَى فَنَسِيَ ﴾[2]. يقول : ترك موسى إلهه هاهنا ، وذهب يطلبه

١/٤٩٠ فعكفوا عليه يعبدونه، وكان يخور ويمشى ، فقال لهم هارون: ﴿ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنَّمَا فُتِنْتُمْ بِهِ ﴾ يقول: إنما ابتليتم به، يقول: بالعجل ،﴿وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمٰنُ فَاتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوا أَمْرِي﴾[3]، فأقام هارون ومن معه من بنى إسرائيل لا يقاتلونهم، وانطلق موسى إلى إلهه يكلمه ، فلما كلّمه قال له: ﴿وَمَا أَعْجَلَكَ عَنْ قَوْمِكَ يَا مُوسَى * قَالَ هُمْ أُولَاءِ عَلَى أَثَرِي وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى * قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنْ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ﴾[4].فلما أخبره خبرهم قال موسى : يا رب هذا السامرىّ أمرهم أن يتّخذوا العجل ، أرأيتَ الروحَ مَنْ نفخها فيه ؟ قال الربّ : أنا . قال : رَبِّ أنتَ إذاً أضللتهم .

ثم إن موسى لما كلمه ربّه أحبّ أن ينظر إليه ، ﴿ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ تَرَانِي وَلَكِنِ انْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ

(١) كذا فى ا ، ن : وفى ط : « العشرين » .
(٢) سورة طه ٨٨ .
(٣) سورة طه ٩٠ .
(٤) سورة طه ٨٣ — ٨٥ .

فَسَوْفَ تَرَانِي﴾[١] ، فحف حول الجبل الملائكة ، وحف حول الملائكة بنار ، وحف حول النار بملائكة ، وحول الملائكة بنار ، ثم تجلى ربه للجبل .

فحدثني موسى بن هارون ، قال : حدثنا عمرو بن حماد ، قال : حدثنا أسباط ، قال : حدثني السدي ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، أنه قال : تجلى منه مثل طرف الخنصر ، فجعل الجبل دكًّا وخر موسى صعقًا ، فلم يزل صعقا ما شاء الله ، ثم انه أفاق فقال : ﴿ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾[٢] ، يعني أول المؤمنين من بني إسرائيل ، فقال : ﴿ يَا مُوسَى إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالاَتِي وَبِكَلاَمِي فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ * وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَاحِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلاً لِكُلِّ شَيْءٍ ﴾ من الحلال والحرام ﴿ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ ﴾ ، يعني بجد واجتهاد ﴿ وأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا ﴾[٢] أي بأحسن ما يجدون فيها . فكان موسى بعد ذلك لا يستطيع أحد أن ينظر في وجهه[٣] ، وكان يلبس وجهه بحريرة ، فأخذ الألواح ثم رجع إلى قومه ﴿ غَضْبَانَ أَسِفًا ﴾ يقول : حزينًا ﴿ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْدًا حَسَنًا ﴾ — إلى — ﴿ قَالُوا مَا أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلْكِنَا ﴾ يقولون : بطاقتنا ، ﴿ وَلَكِنَّا حُمِّلْنَا أَوْزَارًا مِنْ زِينَةِ الْقَوْمِ ﴾ يقول : من حلي القبط ﴿ فَقَذَفْنَاهَا فَكَذَلِكَ أَلْقَى السَّامِرِيُّ ﴾[٤] ، ذلك حين قال لهم هارون : احفروا لهذا الحلي حفرة ، واطرحوه فيها ، فطرحوه فقذف السامري تربته ، فألقى موسى الألواح وأخذ برأس أخيه يجره إليه ، ﴿ قَالَ يَا بْنَ أُمَّ لاَ تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلاَ بِرَأْسِي إِنِّي خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي ﴾[٥] . فترك موسى هارون ، ومال إلى السامري ، فقال :

١/٤٩١

---

(١) سورة الأعراف ١٤٣ . (٢) سورة الأعراف ١٤٣ — ١٤٥ .

(٣) ا : « إلى وجهه » .

(٤) سورة طه ٨٦ ، ٨٧ .

(٥) سورة طه ٩٤

﴿ فَمَا خَطْبُكَ يَاسَامِرِيُّ ﴾[١]، قال السامرىّ: ﴿ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ ﴾ إلى : ﴿ فِي الْيَمِّ نَسْفاً ﴾[١] . ثم أخذه فذبحه ، ثم حرقه بالمبرد ثم ذراه فى البحر ، فلم يبق بحر يجرى إلا وقع فيه شىءٌ منه ، ثم قال لهم موسى : اشربوا منه فشربوا ، فمن كان يحبه خرج على شاربه الذهب ، فذلك حين يقول: ﴿وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ ﴾[٢]. فلما سُقِط فى أيدى بنى إسرائيل حين جاء موسى ﴿ وَرَأَوْا أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا قَالُوا لَئِنْ لَمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾[٣]. فأبى الله أن يقبل توبةَ بنى إسرائيل إلا بالحال التى كرهوا أن يقاتلوهم حين عبدوا العجل ، فقال لهم موسى : ﴿ يَا قَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ فَتُوبُوا إِلَى بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ﴾[٤] ،فاجتلد الذين عبدوه والذين لم يعبدوه بالسيوف ، فكان من قُتِل من الفريقين شهيداً ، حتى كثر القتل حتى كادوا أن يهلكوا ، حتى قتل بينهم سبعون ألفاً ،حتى دعا موسى وهارون: ربّنا هلكتْ بنو إسرائيل ! ربّنا البقية البقية ! فأمرهم أن يضعوا السلاح ، وتاب عليهم، فكان من قُتِل كان شهيداً ، ومن بقى كان مُكفَّراً عنه، فذلك قوله: ﴿ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴾[٤] .

٤٩٢/١

حدثنا ابن حميد، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثنى محمد بن إسحاق، عن حكيم بن جبير ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس، قال : كان السامرىّ رجلاً من أهل باجَرْما[٥] ،وكان من قوم يعبدون البقر ، فكان حبُّ عبادة

---

(١) سورة طه ٩٥ — ٩٧
(٢) سورة البقرة ٩٣ .
(٣) سورة الأعراف ١٤٩
(٤) سورة البقرة ٥٤
(٥) باجرما ، بفتح الجيم وسكون الراء وميم وألف مقصورة : قرية ، قرب الرقة من أعمال الجزيرة . ياقوت .

البقر فى نفسه ، وكان قد أظهر الإسلام فى بنى إسرائيل ، فلما فصل هارون فى بنى إسرائيل ، وفصل موسى معهم[(١)] إلى ربه تبارك وتعالى قال لهم هارون : إنكم قد تحملتُم[(٢)] أوزاراً من زينة القوم آل فرعون ، وأمتعة وحلياً ، فتَطهَّروا منها فإنها نجس ، وأوقد لهم ناراً ، وقال : اقذفوا ما كان معكم من ذلك فيها ، قالوا : نعم ، فجعلوا يأتون بما كان فيهم من تلك الحلىّ وتلك الأمتعة فيقذفون به فيها ، حتى إذا انكسرت الحلىّ فيها ، رأى[(٣)] السامرى أثر فرس جَبْرَئيل ، فأخذ تراباً من أثر حافره ، ثم أقبل إلى الحفرة فقال لهارون : يا نبىّ الله ، ألقى ما فى يدى ؟ قال : نعم ، ولا يظن هارون إلاّ أنه كبعض ما جاء به غيره من تلك الأمتعة والحلىّ ، فقذفه فيها ، وقال : كن عجلا جسداً له خوار ، فكان للبلاء والفتنة ، فقال : هذا إلهكم وإله موسى ، فعكفوا عليه وأحبوه حبّاً لم يحبوا مثله شيئاً قطّ ، فقال الله عزّ وجلّ : ﴿ فَنَسِيَ ﴾[(٤)] ، أى ترك ما كان عليه من الإسلام ، — يعنى السامرىّ — ﴿أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلاً وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعاً ﴾[(٤)] .

١/٤٩٣

قال : وكان اسمُ السامرىّ موسى بن ظفر[(٥)] ، وقع فى أرض مصر ، فدخل فى بنى إسرائيل ، فلما رأى هارون ما وقعوا فيه قال : ﴿ يَا قَوْمِ إِنَّمَا فُتِنْتُمْ بِهِ ﴾ — إلى قوله — ﴿ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَى ﴾[(٦)] . فأقام هارون فيمن معه من المسلمين ممن لم يفتتن ، وأقام مَنْ يعبد العجل على عبادة العجل ، وتخوّف هارون إن سار بمن معه من المسلمين أن يقول له موسى : ﴿ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي ﴾[(٧)] ، وكان له هائباً مطيعاً ، ومضى موسى ببنى إسرائيل إلى الطور ، وكان الله عزّ وجلّ وعدَ بنى إسرائيل حين أنجاهم وأهلك عدوّهم جانب الطور الأيمن ، وكان موسى حين سار ببنى إسرائيل

---

(١) كذا فى ا ، ح ، ن ؛ وفى ط : « عنهم » . (٢) س : « حملتم »
(٣) فى الأصول : « ورأى » . (٤) سورة طه ٨٨ ، ٨٩ .
(٥) ح : « الظفر » . (٦) سورة طه ٩٠ ، ٩١ .
(٧) طه : ٩٤

١/٤٩٤ من البحر قد احتاجوا إلى الماء، فاستسقى موسى لقومه ، فأمر أن يضرب بعصاه الحجر ، فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا ، لكل سبط عين يشربون منها قد عرفوها ، فلما كلّم الله موسى طمع فى رؤيته ، فسأل ربه أن ينظر إليه ، فقال له : إنك ﴿لَنْ تَرَانِي وَلَكِنِ انْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ﴾ إلى قوله : ﴿وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ﴾(١).

ثم قال الله لموسى : ﴿إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَاتِي وَبِكَلَامِي فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ﴾ إلى قوله : ﴿سَأُرِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ﴾(١). وقال له : ﴿وَمَا أَعْجَلَكَ عَنْ قَوْمِكَ يَا مُوسَى﴾ إلى قوله : ﴿فَرَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا﴾(٢)، ومعه عهد الله فى ألواحه .

ولما انتهى موسى إلى قومه فرأى ما هم فيه من عبادة العجل ألقى الألواح من يده، وكانت —فيما يذكرون— من زبرجد أخضر ، ثم أخذ برأس أخيه ولحيته ويقول: ﴿مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا * أَلَّا تَتَّبِعَنِ﴾ إلى قوله: ﴿وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي﴾(٣). فقال: ﴿يَا بْنَ أُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضْعَفُونِي وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِي فَلَا تُشْمِتْ بِيَ الْأَعْدَاءَ وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾(٤) ، فارعوى موسى وقال: ﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِأَخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾(٤).

وأقبل على قومه فقال: ﴿يَا قَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْدًا حَسَنًا﴾ إلى قوله: ﴿عِجْلًا جَسَدًا لَهُ خُوَارٌ﴾(٥). وأقبل على السامرى فقال : ﴿فَمَا خَطْبُكَ يَا سَامِرِيُّ * قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ﴾ إلى قوله: ﴿وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾(٦). ثم

(١) سورة الأعراف ١٤٣-١٤٥
(٢) سورة طه ٨٣ – ٨٦ .
(٣) سورة طه ٩٢ – ٩٤
(٤) سورة الأعراف ١٥٠ ، ١٥١
(٥) سورة طه ٨٦ – ٨٨
(٦) سورة طه ٩٥ – ٩٨

أخذ الألواح، يقول الله : ﴿ أَخَذَ الْأَلْوَاحَ . وَفِي نُسْخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ ﴾[1] . ١/٤٩٥

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن صدقة ابن يسار ، عن سعيد بن جُبَير ، عن ابن عباس، قال : كان الله تعالى قد كتب لموسى فيها موعظة وتفصيلا لكلّ شيء وهدى ورحمة ، فلما ألقاها رَفع الله ستةَ أسباعها وأبقى سبعًا، يقول الله عزّ وجلّ : ﴿ وَفِي نُسْخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ ﴾ ، ثم أمر موسى بالعجل فأحرِق، حتى رجع رماداً، ثم أمر به فقذف في البحر .

قال ابن إسحاق : فسمعت بعض أهل العلم يقول : إنما كان أحرقه[2] ثمّ سَحَلَه ثم ذرّاه في البحر . والله أعلم .

* * *

ثم اختار موسى منهم سبعين رجلا : الخيِّر فالخيِّر ، وقال : انطلقوا إلى الله فتوبوا إليه مما صنعتم وسلُوه التوبة على من تركتم وراءكم من قومكم، صوموا وتطهَّروا وطهِّروا ثيابكم ، فخرج بهم إلى طور سيناء لميقات وقّته له ربه ، وكان لا يأتيه إلا بإذن منه وعلم، فقال له السبعون ــ فيما ذكر لي ــ حين صنعوا ما أمرهم به ، وخرجوا معه للقاء ربه: اطلب لنا نسمع كلام ربنا ، فقال : أفعل، فلما دنا موسى من الجبل وقع عليه عمود الغمام حتى تغشّى الجبل كلّه ، ودنا موسى فدخل فيه ، وقال للقوم : ادنوا ، وكان موسى إذا كلّمه وقع على جبهته نور ساطع لا يستطيع أحد من بني آدم أن ينظر إليه ، فضُرِب دونه بالحجاب ، ودنا القوم حتى إذا دخلوا في الغمام وقعوا سجوداً ، فسمعوه وهو يكلّم موسى يأمره وينهاه : افعل ولا تفعل ، فلما فرغ إليه من أمره انكشف عن موسى الغمام[3] ، فأقبل إليهم فقالوا لموسى : ﴿ لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللهَ جَهْرَةً ﴾[4] ، ﴿ فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ ﴾[5] ، وهي الصاعقة، فانفلتت أرواحهم فماتوا جميعا ، ١/٤٩٦

---

(١) سورة الأعراف : ١٥٤
(٢) كذا في ا ، ح ، وفي ط : « إحراقه سحله » .
(٣) ن : « الحجاب » .
(٤) سورة البقرة ٥٥ .
(٥) سورة الأعراف ٧٨

وقام موسى يناشد ربه ويدعوه ، ويرغب إليه ويقول : ﴿ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُمْ مِنْ قَبْلُ وَإِيَّايَ ﴾[١] قد سفهوا ، أفتهلك[٢] مَنْ ورائى من بنى إسرائيل بمافعل السفهاء منا ! إنّ هذا هلاك لهم . اخترت منهم سبعين رجلاً الخيّر فالخيّر ، أرجع إليهم وليس معى رجل واحد ، فما الذى يصدقوننى به ! فلم يزل موسى يناشد ربّه ، ويسأله ويطلب إليه حتى ردّ إليهم أرواحهم ، وطلب إليه التوبة لبنى إسرائيل من عبادة العجل ، فقال : لا ، إلاّ أن يقتلوا أنفسهم . وقال : فبلغنى أنّهم قالوا لموسى : نصبر لأمر الله ، فأمر موسى مَنْ لم يكن عبد العجل أن يقتل مَنْ عبده ، فجلسوا بالأفنية ، وأصلتَ عليهم القوم السيوف ، فجعلوا يقتلونهم ، وبكى موسى وبهش[٣] إليه الصبيان والنساء يطلبون العفو عنهم ، فتاب عليهم وعفا عنهم ، وأمر موسى أن يرفع عنهم السيف .

وأما السدىّ فإنه ذكر فى خبره الذى ذكرت إسناده قبلُ أن مصيرَ موسى إلى ربه بالسبعين الذين اختارهم من قومه بعد ما تاب الله على عبدة العجل من قومه ، وذلك أنه ذكر بعد القصة التى قد ذكرتها عنه بعد قوله : ﴿ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴾[٤] . قال : ثم إن الله أمرَ موسى أن يأتيه فى ناس من بنى إسرائيل يعتذرون إليه من عبادة العجل ، ووعدهم موعداً ، فاختار موسى قومه سبعين رجلا على عينه ، ثم ذهب بهم ليعتذروا ، فلما أتوا ذلك المكان قالوا : ﴿ لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً ﴾[٤] ، فإنك قد كلّمته فأرناه ، فأخذتهم الصاعقة فماتوا ، فقام موسى يبكى ويدعو الله ويقول : رب ماذا أقول لبنى إسرائيل إذا أتيتُهم وقد أهلكتَ خيارَهم ! ربِّ لو شئتَ أهلكتَهم من قبل وإياى ، أتهلكنا بما فعل السفهاء منا ! فأوحى الله عزّ وجلّ إلى موسى : إن هؤلاء السبعين ممّن اتّخذ العجل ، فذلك حين يقول موسى : ﴿ إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَنْ تَشَاءُ وَتَهْدِي مَنْ تَشَاءُ ﴾ إلى قوله : ﴿ إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ ﴾[٥] ، يقول :

١/٤٩٧

(١) سورة الأعراف ١٥٥
(٢) ط : « فيهلك » ؛ وما أثبته عن ا .
(٣) بهش الصبيان إليه : أقبلوا .
(٤) سورة البقرة ٥٤ ، ٥٥
(٥) سورة الأعراف ١٥٥ ، ١٥٦

تبنا إليك، وذلك قوله تعالى:﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ﴾[1]، والصاعقة نار . ثم إن الله أحياهم، فقاموا وعاشوا[2] رجلا رجلا ، ينظر بعضهم إلى بعض : كيف يحيَوْن ؟ فقالوا : يا موسى ، أنتَ تدعو الله فلا تسأله شيئًا إلا أعطاك، فادعُه يجعلنا أنبياء ، فدعا الله فجعلهم أنبياء،فذلك قوله :﴿ثُمَّ بَعَثْنَاكُمْ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ﴾،[1] ولكنّه قدّم حرفًا وأخّر حرفًا . ١/٤٩٨

ثم أمرهم بالسير إلى أريحا[3]، وهي أرض بيت المقدس ، فساروا حتى إذا كانوا قريبًا منها [4] بعث موسى اثنى عشر نقيبًا من جميع أسباط بني إسرائيل، فساروا يريدون أن يأتوه بخبر الجبّارين، فلقيَهم رجل من الجبارين يقال له عاج ، فأخذ الاثنى عشر فجعلهم فى حُجزته وعلى رأسه حملة حطب، فانطلق بهم إلى امرأته فقال: انظرى إلى هؤلاء القوم الذين يزعمون[5] أنهم يريدون أن يقاتلونا ، فطرحهم بين يديها ، فقال : ألا أطحنُهم برجلى ! فقالت امرأته: لا ، بل خلّ عنهم حتى يخبروا قومَهم بما رأوْا ، ففعل ذلك ، فلما خرج القومُ قال بعضهم لبعض : يا قوم ، إنكم إن أخبرتُم بنى إسرائيل بخبر القوم ارتدّوا عن نبي الله ، ولكن اكتموهم وأخبروا نبيَّ الله ، فيكونان هما يريان رأيهما ، فأخذ بعضهم على بعض الميثاق بذلك ليكتموه ، ثم رجعوا فانطلق عشرة فنكثوا العهد ، فجعل الرجل منهم يخبر أخاه وأباه بما رأوا من أمر عاج، وكتَم رجلان منهم ، فأتوا موسى وهارون فأخبروهما الخبر ، فذلك حين يقول الله:﴿وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا﴾[6]. فقال لهم موسى : ﴿يَا قَوْمِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا﴾[7]، يملك الرجل منكم نفسه وأهله ومَاله . ﴿يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ﴾ ، يقول : التى أمركم الله بها ١/٤٩٩

---

(١) سورة البقرة ٥٥ ، ٥٦

(٢) كذا فى ا ، وفى أصول ط : « فعاش »

(٣) أريحا، بالفتح ثم الكسر وياء ساكنة .

(٤) كذا فى ا ، ح ، وفى ط : « منهم » .

(٥) ح ، س : « زعموا » .

(٦) سورة المائدة ١٢

(٧) سورة المائدة ٢٠

﴿وَلاَ تَرْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ * قَالُوا﴾ مما سمعوا من العشرة : ﴿إِنَّ فِيهَا قَوْماً جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَنْ نَدْخُلَهَا حَتَّى يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ * قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِمَا﴾ ، وهما اللذان كتما ، وهما يوشع بن نون فتى موسى وكالوب بن يوفنَّة — وقيل : كلاب بن يوفَنّة ختن موسى — فقالا[1] : يا قوم ﴿ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ﴾ . ﴿قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّا لَنْ نَدْخُلَهَا أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلاَ إِنَّا هٰهُنَا قَاعِدُونَ﴾ . فغضب موسى ، فدعا عليهم ، فقال : ﴿رَبِّ إِنِّي لاَ أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي فَافْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾ وكانت عجلة من موسى عجلها ، فقال الله: ﴿فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ﴾[2]. فلما ضُرب عليهم التيه ، ندم موسى وأتاه قومه الذين كانوا معه يطيعونه ، فقالوا له : ما صنعت بنا يا موسى ؟ فلما ندم أوحى الله عزّ وجلّ إليه : ألاّ تأسَ ، أى لا تحزن على القوم الذين سميتهم فاسقين . فلم يحزن ، فقالوا : يا موسى ، فكيف لنا بماء ها هنا ؟ أين الطعام؟ فأنزل الله عليهم المنّ والسلوى، فكان يَسقط على الشجر الترنجبين[4] والسَّلْوى — وهو طير يشبه السُّمانَى — فكان يأتى أحدهم فينظر إلى الطير ، فإن كان سميناً ذَبحه وإلا أرسله ، فإذا سمن أتاه ، فقالوا: هذا الطعام فأين الشراب ؟ فأمر موسى فضرب[5] بعصاه الحجر فانفجرت منه اثنتا عشرة عيناً ، يشرب كل سِبْط من عين . فقالوا : هذا الطعام والشراب ، فأين الظلّ ؟ فظلل الله عليهم الغمام ، فقالوا : هذا الظلّ ، فأين

١/٥٠٠

(١) ط : «فقال» ! وما أثبته من ا .

(٢) سورة المائدة ٢١ ، ٢٦

(٣) سورة المائدة ٢٢ — ٢٦

(٤) الترنجبين : طل يقع من السماء ؛ وهو ندى شبيه بالعسل جامد متحبب ، تأويلة عسل الندى ، وأكثر ما يقع بخراسان على شجر الحاج . المعتمد فى الأدوية المفردة ٣٥

(٥) س : «أن يضرب» .

اللباس ؟ فكانت ثيابهم تطول معهم[١] كما تطول الصبيان ، ولا يتخرق لهم ثوب ، فذلك قوله : ﴿وظَلَّلْنا عَلَيْهِمُ الغَمَامَ وأنْزَلْنا عَلَيْهِمُ المَنَّ والسَّلْوَى﴾[٢].

وقوله : ﴿وَإِذِ اسْتَسْقَى مُوسَى لِقَوْمِهِ فَقُلْنا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْناً قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرَبَهُمْ﴾[٣] ، فأجمعوا ذلك ، فقالوا : ﴿يَا مُوسَى لَنْ نَصْبِرَ عَلَى طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنْبِتُ الأَرْضُ مِنْ بَقْلِهَا وقِثَّائِهَا وَفُومِهَا﴾ — وهى الحنطة — ﴿وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا﴾. قال : ﴿أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ اهْبِطُوا مِصْراً﴾ من الأمصار ، ﴿فَإِنَّ لَكُمْ مَا سَأَلْتُمْ﴾[٣]. فلما خرجوا من التيه رفع المنّ والسلوى ، وأكلوا البقول ، والتقى موسى وعاج فنزا موسى فى السماء عشرة أذرع ، وكانت عصاه عشرة أذرع ، وكان طوله عشرة أذرع ، فأصاب[٤] كعب عاج فقتله .

١/٥٠١

حدثنا ابن بشار ، قال : حدثنا مُؤمَّل ، قال : حدثنا سفيان ، عن أبى إسحاق ، عن نوْف ، قال : كان طول[٥] عوج ثمانمائة ذراع ، وكان طول موسى عشرة أذرع ، وعصاه عشرة أذرع ، ثم وثب فى السماء عشرة أذرع ، فضرب عوجاً فأصاب كعبه فسقط ميتًا ، فكان جِسْراً للناس يمرّون عليه .

حدثنا أبو كريب ، قال : حدثنا ابن عطية ، قال : أخبرنا قيس ، عن أبى إسحاق ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، قال : كانت عصا موسى عشرة أذرع ، ووثبتُه عشرة أذرع ، وطوله عشرة أذرع ، فأصاب كعبَ عوج فقتله ، فكان جسراً لأهل النيل . وقيل إن عوج عاش ثلاثة آلاف سنة .

---

(١) ن : « عليهم » .
(٢) سورة الأعراف ١٦٠ .
(٣) سورة البقرة ٦٠ ، ٦١ .
(٤) كذا فى ا ، وفى ط : « وأصاب » .
(٥) فى ط : « سرير » ؛ والصواب ما أثبته عن ا .

ذكر وفاة موسى وهارون ابنى عمران عليهما السلام

حدثنا موسى بن هارون الهمْدانىّ ، قال : حدثنا عمرو بن حماد ، قال :
١/٥٠٢ حدثنا أسباط ، عن السُّدىّ فى خبر ذكره عن أبى مالك وعن أبى صالح ، عن ابن عباس — وعن مرة الهمْدانىّ عن عبد الله بن مسعود — وعن ناس من أصحاب النبىّ صلى الله عليه وسلم : ثم إن الله تبارك وتعالى أوحى إلى موسى ، أنى مُتَوَفٍّ هارون ، فأت به جبل كذا وكذا . فانطلق موسى وهارون نحو ذلك الجبل ، فإذا هما بشجرة لم يُرَ مثلها ، وإذا هما ببيت مبنىّ ، وإذا هما فيه بسرير عليه فرش ، وإذا فيه ريحٌ طيبة ، فلما نظر هارون إلى ذلك الجبل والبيت وما فيه أعجبه، فقال : يا موسى إنى لأحبّ أن أنام على هذا السرير ، قال له موسى : فنمْ عليه ، قال: إنى أخاف أن يأتىَ ربُّ هذا البيت فيغضب علىّ ، قال له موسى : لا ترهب أنا أكفيك ربَّ هذا البيت فنم، قال : يا موسى بل نم معى ، فإن جاء رب البيت غضب علىّ وعليك جميعًا ، فلما ناما أخذ هارون الموت ، فلما وجد حسه قال : يا موسى خدعتَنى ، فلما قُبِض رفع ذلك البيت وذهبت تلك الشجرة ورُفع السرير إلى السماء ، فلما رجع موسى إلى بنى إسرائيل، وليس معه هارون قالوا: فإن موسى قتلَ هارون وحسده لحبّ بنى إسرائيل له ،وكان هارون أكفّ عنهم وألين لهم من موسى ،وكان فى موسى بعضُ الغلظِ[1] عليهم ،فلما بلغه ذلك قال لهم: ويحكم ! كان أخى ،أفترَوْننى[2]
١/٥٠٣ أقتله ! فلما أكثروا عليه قام فصلّى ركعتين ثم دعا الله فنزل بالسرير حتى نظروا إليه بين السماء والأرض فصدّقوه . ثم إن موسى بينما هو يمشى ويوشع فتاه إذا أقبلت ريح سوداء ، فلما نظر إليها يوشع ظنّ أنها الساعة والتزم موسى ، وقال : تقوم الساعة وأنا ملتزم موسى نبىّ الله، فاستلّ موسى من تحت القميص وترك القميص فى يد يوشع ، فلما جاء يوشع بالقميص أخذته بنو إسرائيل ، وقالوا : قتلت نبى الله ! قال : لا والله ما قتلتُه ، ولكنه استُلّ منى ، فلم يصدّقوه وأرادوا قتله . قال : فإذا لم تصدقونى فأخّرونى ثلاثة أيام ، فدعا الله فأتِى كلّ

---

(١) ا ، ن : « الغلظة » . (٢) ط : « أفترونى » .

رجل ممن كان يحرسه فى المنام ، فأخبر أن يوشع لم يقتل موسى ، وأنّا قد رفعناه إلينا ، فتركوه ولم يبق أحد ممن أبى أن يدخل قرية الجبّارين مع موسى إلا مات ، ولم يشهد الفتح .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عنْ ابن إسحاق ، قال : كان صفىُّ الله قد كره الموت وأعظمه، فلمّا كرهه أراد الله تعالى أن يحبِّب إليه الموت ويكرّه إليه الحياة ، فحوّلت[1] النبوّة إلى يوشع بن نون ، فكان يغدُو عليه ويروح ، فيقول له موسى : يا نبىّ الله، ما أحدث الله إليك ؟ فيقول له يوشع بن نون : يا نبىّ الله ، ألمْ أصحبْك كذا وكذا سنة، فهل كنتُ أسألُك عن شىء مما أحدث الله إليك حتّى تكون أنت الذى تبتدئْ به وتذكره ؟ فلا يذكر له شيئًا ، فلما رأى موسى ذلك كره الحياة وأحبّ الموت . ١/٥٠٤

قال ابن حميد : قال سلمة : قال ابن إسحاق : وكان صفىّ الله — فيما ذكر لى وهب بن منبّه — إنما يستظلّ فى عريش[2] ويأكل ويشرب فى نقير من حَجَر ؛ إذا أراد أن يشرب بعد أن أكل كرع كما تكرع الدابة فى ذلك النقير ، تواضعًا لله حين أكرمه الله بما أكرمه به من كلامه .

قال وهب : فذكر لى أنه كان من أمر وفاته أن صفىّ الله خرج يومًا من عريشه ذلك لبعض حاجته[3] لايعلم به أحدٌ من خلق الله، فمرّ برهط من الملائكة يحفِرون قبراً[4] فعرفهم وأقبل إليهم ، حتّى وقف عليهم ، فإذا هم يحفرون قبراً لم ير شيئًا قطّ أحسنَ منه ، ولم ير مثل ما فيه من الخضرة والنضرة والبهجة ، فقال لهم : يا ملائكَة الله لمن تحفرون هذا القبر ؟ قالوا : نحفره لعبد كريم على ربِّه ، قال : إنّ هذا العبد من الله لَبمنزل ! ما رأيت كاليوم مضجعًا[5] ولا مدخلا ! وذلك حين حضر من أمر الله ما حضر من قبضه ، فقالت له الملائكة : يا صفىّ الله، أتحبّ أن يكون لك ؟ قال : وددت[6] قالوا : فانزل فاضطجع فيه ، وتوجه إلى ربك، ثم تنفس أسهلَ تنفس تنفستَه قطّ .

---

(١) ا ، ح : « فتحولت » . (٢) ح : « ظل عريش » .
(٣) كذا فى جميع الأصول ؛ وفى ط : « حاجاته » تصرف من مصححه .
(٤) ح : « حفرا » . (٥) ن : « مضطجعاً » . (٦) ح : « وددته » .

فنزل فاضطجع فيه ، وتوجَّه إلى ربه ، ثم تنفس فقبض الله تعالى روحه ، ثم سوّت عليه الملائكة ، وكان صفىّ الله زاهداً فى الدنيا راغبًا فيما عند الله . ١/٥٠٥

حدثنا أبو كريب ، قال : حدثنا مصعب بن المقدام ، عن حماد بن سلمة ، عن عمار بن أبى عمار ، مولى بنى هاشم ، عن أبى هريرة ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن ملَك الموت كان يأتى الناس عِيانًا حتى أتى موسى فلطمه ففقأ عينه ، قال : فرَجع فقال : يا ربّ ، إن عبدَك موسى فقأ عينى ، ولولا كرامتَه عليك لشققت عليه ، فقال : ائت عبدى موسى ، فقل له : فليضعْ كفه على متن ثور ، فله بكلّ شعرة وارت يدُه سنة ؛ وخيِّره بين ذلك وبين أن يموت الآن ، قال : فأتاه فخيّره ، فقال له موسى : فما بعد ذلك ؟ قال : الموت ، قال : فالآن إذاً ، قال : فشمّه شمة قبض روحه . قال : فجاء بعد ذلك إلى الناس خُفية[1] » .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن أبى سنان الشيبانىّ ، عن أبى إسحاق ، عن عمرو بن ميمون ، قال : مات موسى وهارون جميعًا فى التيه ، مات هارون قبل موسى ، وكانا خرجا جميعًا فى التيه إلى بعض الكهوف ، فمات هارون ، فدفنه موسى ، وانصرف موسى إلى بنى إسرائيل ، فقالوا : ما فعل هارون ؟ قال : مات ، قالوا : كذبتَ ولكنك قتلته لحبّنا إياه ، وكان محبَّباً فى بنى إسرائيل ، فتضرّع موسى إلى ربّه ، وشكا ما لقِىَ من بنى إسرائيل ، فأوحى الله إليه أن انطلق بهم إلى موضع قبره ، فإنى باعثه حتى يخبرهم أنه مات موتًا ولم تقتله . قال : فانطلق بهم إلى قبر هارون ، فنادى : يا هارون ، فخرج من قبره ينفض رأسه ، فقال : أنا قتلتك ؟ قال : لا والله ، ولكنى متّ ، قال : فعُدْ إلى مضجعك ، وانصرفوا . ١/٥٠٦

فكان جميع مدة عمر موسى عليه السلام كلها مائة وعشرين سنة ، عشرون من ذلك فى ملك أفريدون ، ومائة منها فى ملك مِنُو شهر ، وكان ابتداء أمره من لدن بعثه الله نبيًا إلى أن قبضه إليه فى ملك مِنُوشِهر .

(١) ط : « خفياً » ، وما أثبته عن ا .

ذكر يوشع بن نون عليه السلام*

ثم ابتعث الله عزّ وجلّ بعد موسى عليه السلام يوشع بن نون بن إفرايم ابن يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم نبيًّا ، وأمره بالمسير إلى أريحا لحرب مَنْ فيها من الجبارين . فاختلف السلفُ من أهل العلم فى ذلك ، وعلى يد مَنْ كان ذلك[1] ؟ ومتى سار يوشع إليها ؟ فى حياة موسى بن عمران كان مسيره إليها أم بعد وفاته ؟

* * *

فقال بعضهم : لم يسرْ يوشع إلى أريحا ، ولا أمِر بالمسير إليها إلاّ بعد موت موسى ، وبعد هلاك جميع من كان أبَى المسيرَ إليها مع موسى بن عمران ، حين أمرهم الله تعالى بقتال مَنْ فيها من الجبارين ، وقالوا : مات موسى وهارون جميعًا فى التيه قبل خروجهما منه .

* ذكر من قال ذلك :

حدثنى عبد الكريم بن الهيثم ، قال : حدثنا إبراهيم بن بشار ، قال : حدثنا سفيان ، قال : قال أبو سعيد ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : قال الله تعالى : لما دعا موسى — يعنى بدعائه قوله : ﴿رَبِّ إِنِّى لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِى وَأَخِى فَافْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ * قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِى الْأَرْضِ﴾[2] . قال : فدخلوا التيه ، فكلّ[3] من دخل التيه ممن جاوز العشرين سنة مات فى التيه ، قال : فمات موسى فى التيه ، ومات هارون قبله . قال : فلبثوا فى تيههم أربعين سنة ، وناهضَ يوشعُ بمن بقِىَ معه مدينة الجبّارين فافتتح يوشع المدينة[4] .

١/٥٠٧

(*) هذا العنوان لم يذكر إلا فى ا .

(١) ن : « على يد من فتح ذلك » . ح : « على يد من كان فتح ذلك » .

(٢) سورة المائدة ٢٥ ، ٢٦

(٣) س : « فكان » .

(٤) الخبر فى التفسير ١٠ : ١٩٣

حدثنا بشر ، قال : حدثنا يزيد بن زُرَيع ، قال : حدثنا سعيد عن قتادة. قال: قال الله تعالى: ﴿ إِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً ... ﴾ الآية، حرّمت عليهم القرى، فكانوا لا يهبطون قرية، ولا يقدرون على ذلك أربعين سنة .

وذكر لنا أنّ موسى مات فى الأربعين سنة ، ولم يدخل بيتَ المقدس منهم إلا أبناؤهم ، والرجلان اللذان قالا ما قالا .

حدثنى موسى بن هارون الهمْدانىّ ، قال : حدثنا عمرو ، قال : حدثنا أسباط ، عن السدىّ فى الخبر الذى ذكرت إسناده فيما مضى : لم يبق أحدٌ ممن أبَى أن يدخلَ مدينة الجبّارين مع موسى الا مات ، ولم يشهد الفتح . ثم إن الله عزّ وجلّ لما انقضت الأربعون سنة بعث يوشع بن نون نبيّاً فأخبرهم أنه نبىّ وأنّ الله قد أمره أن يقاتل الجبارين ، فبايعوه[1] وصدّقوه ، فهزم الجبارين، واقتحموا عليهم ، فقتلوهم[2] ، فكانت العصابة من بنى إسرائيل يجتمعون على عنُق الرجل يضربونها لا يقطعونها[3] .

حدثنا ابن بشار ، قال : حدثنا سليمان بن حرْب ، عن هلال ، عن قتادة فى قول الله تعالى: ﴿ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ ﴾ ، قال : أبداً .

حدثنى المثنّى قال: حدثنا مسلم بن إبراهيم، عن هارون النحوىّ ، عن الزبير بن الخرّيت، عن عكرمة فى قوله: ﴿ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِى الْأَرْضِ ﴾، قال : التحريم التّيه .

* * *

١/٥٠٨ وقال آخرون : إنما فتح أريحا موسى ؛ ولكن يوشع كان على مقدمة موسى حين سار إليهم .

* ذكر من قال ذلك :

---

(١) ح : « فتابعوه » .
(٢) ح ، س : « يقتلونهم » ، والتفسير : « يقتلونهم » .
(٣) الخبر فى التفسير ١٠ ، ١٩٢ ، ١٩٣

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : لما نشأت النواشى من ذراريّهم – يعنى مِنْ ذرارىّ الذينَ أبوْا قتال الجبارين مع موسى – وهلك آباؤهم ، وانقضت الأربعون سنة التى تُيِّهوا فيها ؛ سار بهم موسى ومعه يوشع بن نون ، وكلاب بن يوفنّة ، وكان فيما يزعمون على مريم ابنة عمران أخت موسى وهارون ، فكان لهم صهراً ، فلما انتهوْا إلى أرض كنعان ، وبها بلعم بن باعور العروف[1] ، وكان رجلا قد آتاه الله علمًا ، وكان فيما أوتى من العلم اسم الله الأعظم – فيما يذكرون – الذى إذا دعِىَ الله به أجاب ، وإذا سُئل به أعطى .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، عن سالم أبى النَّضْر ، أنه حدّث أنّ موسى لما نزل أرض بنى كَنْعان من أرض الشأم ، وكان بلعم ببالعة – قريةً من قرى البَلْقاء – فلما نزل موسى ببنى إسرائيل ذلك المنزل ، أتى قومُ بلعم إلى بلعم ، فقالوا له : يا بلعم ، هذا موسى بن عمران فى بنى إسرائيل قد جاء يخرجنا من بلادنا ، ويقتلنا ويُحلّها بنى إسرائيل ، ويسكنها ، وإنّا قومك وليس لنا منزلٌ ، وأنت رجل مُجابُ الدعوة ، فاخرج فادعُ الله عليهم ، فقال : ويلكم! نبى الله معه الملائكة والمؤمنون ! كيف أذهب أدعو عليهم ، وأنا أعلم من الله ما أعلم ! قالوا : ما لنا من منزل ، فلم يزالوا به يرقّقونه[2] ، ويتضرعون إليه حتّى فتنوه ، فافتتن فركب حمارة[3] له متوجهًا إلى الجبل الذى يطلعه على عسكر بنى إسرائيل ، وهو جبل حُسْبان ، فما سار عليها غير قليل ، حتّى ربضت[4] به ، فنزل عنها فضربها حتّى أذلقها فقامت فركبها ، فلم تسِرْ به كثيراً حتّى رَبضت به ، ففعل بها مثل ذلك ، فقامت فركبها ، فلم تسرْ به كثيراً حتّى ربضت به ، فضرَبها حتّى إذا أذلقها أذن الله لها فكلمتْه حُجّةً عليه ، فقالت : ويحك يا بلعم ! أين تذهب ! ألا ترى الملائكة أمامى تردّنى عن وجهى هذا ! أتذهب إلى نبىّ الله والمؤمنين تدعو

٥٠٩/١

(١) كذا فى ا ، وفى ط : « المعروف » ، وفى ن : « العزوف » .

(٢) ط : « يرفقونه » ، وما أثبته من ا ، ح .

(٣) ا ، ح : « حمارا » .

(٤) الربوض للدابة ، كالركوب للإبل .

عليهم ! فلم ينزع عنها يضربها ، فخلّى الله سبيلَها حين فعل بها ذلك ، فانطلقت حتى إذا أشرفت به على جبل حُسْبان[١] ، على عسكر موسى وبنى إسرائيل، جعل يدعو عليهم ، فلا يدعو عليهم بشىء إلاّ صرف الله لسانه إلى قومه ، ولا يدعو لقومه بخير إلا صرف لسانه إلى بنى إسرائيل، فقال له قومه: أتدرى يا بلعم ما تصنع ؟ إنما تدعو لهم ، وتدعو علينا ، قال : فهذا ما لا أملك، هذا شىء قد غَلَب الله عليه ، واندلع لسانُه فوقع على صدره، فقال لهم : قد ذهبت الآن منى الدنيا والآخرة ، فلم يبق إلا المكر والحيلة ، فسأمكر لكم وأحتال ، جَمِّلوا النساء وأعطوهنّ السِّلع ، ثم أرسلوهنّ إلى العسكر يبعنها فيه ، ومروهنّ فلا تمنع امرأة نفسَها من رجل أرادها؛ فإنه إن زنى رجل واحد منهم كُفيتموهم ، ففعلوا ، فلما دخل النساء العسكر مرّت امرأة من الكنعانيين اسمها كستى[٢] ابنة صور– رأس أمته وبنى أبيه من كان منهم فى مديَن ، هو كان كبيرهم– برجل من عظماء بنى إسرائيل، وهو زمرى بن شلوم ، رأس سِبْط شمعون بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم ، فقام إليها فأخذ بيدها حين أعجبه جمالُها ، ثم أقبل حتى وقف بها على موسى ، فقال: إنى أظنك ستقول: هذه حرام عليك ! قال : أجلْ هى حرام عليك لا تقرَبْها ، قال : فوالله لا نُطيعك فى هذا ، ثم دخل بها قبّته فوقع عليها ، فأرسل الله الطاعون فى بنى إسرائيل . وكان فنحاص بن العيزار بن هارون صاحب أمْر موسى ، وكان رجلا قد أعطِىَ بسطة فى الخلق ، وقوة فى البطش ، وكان غائبًا حين صنع زمرى بن شلوم ما صنع ، فجاء والطاعون يحوس فى بنى إسرائيل ، فأخبِر الخبر ، فأخذ حربته – وكانت من حديد كلّها – ثم دخل عليهما القبة وهما متضاجعان فانتظمهما بحربته، ثم خرج بهما رافعهما[٣] إلى السماء، والحربة قد أخذها بذراعه، واعتمد بمرفقه على خاصرته ، وأسند الحربة إلى لحيته–وكان بِكْر العيزار– فجعل يقول : اللهمّ هكذا نفعل بمَنْ يعصيك ! ورُفع الطاعون فحُسِب مَنْ يهلك من بنى إسرائيل فى الطاعون – فيما بين أن أصاب زمرى المرأة إلى أن قتله

٥١٠/١

٥١١/١

---

(١) ، ن : « على الجبل جبل حسبان » .

(٢) كذا فى ا ، س ، ن ، وفى ط : « كسى » ، ح : « كمى » .

(٣) كذا فى ا ، ح ، ن ، وفى ط : « رافعاً » .

فنحاص — فوجدوا قدهلك منهم سبعون ألفًا ، والمقلّل لهم يقول : عشرون ألفًا ، فى ساعة من النهار ، فمن هنالك تُعطى بنو إسرائيل ولد فنحاص بن العيزار بن هارون من كلّ ذبيحة ذبحوها القِبَة والذراع واللَّحْى ، لاعتماده بالحربة على خاصرته ، وأخذه إياها بذراعه ، وإسناده إياها إلى لحيته ، والبِكْر من كل أموالهم وأنفسهم ، لأنه كان بكر العيزار ، ففى بلعم بن باعور ، أنزل الله تعالى على محمد صلى الله عليه : ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا﴾ — يعنى بلعم بن باعور ، ﴿فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ﴾ إلى قوله : ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾[١] يعنى بنى إسرائيل ؛ أنى قد جئتهم بخبر ما كان فيهم مما يخفون عليك لعلهم يتفكرون فيعرفون أنه لم يأت[٢] بهذا الخبر عمّا مضى فيهم إلا نبى يأتيه خبر من السماء .

ثم إن موسى قدّم يوشع بن نون إلى أريحا فى بنى إسرائيل فدخلها بهم ، وقتل بها الجبابرة الذين كانوا فيها ، وأصاب من أصاب منهم ، وبقيتْ منهم بقية فى اليوم الذى أصابهم فيه ، وجنح عليهم الليل ، وخَشِىَ إن لبسهم[٣] الليل أن يُعجزوه ، فاستوقف الشمس ، ودعا الله أن يحبسها ، ففعل عزّ وجلّ حتى استأصلهم ؛ ثم دخلها موسى ببنى إسرائيل ، فأقام فيها ما شاء الله أن يقيم ، ثمّ قبضه الله إليه ، لا يعلم بقبره أحد من الخلائق . ١/٥١٢

فأما السّدىّ فى الخبر الذى ذكرت عنه إسناده فيما مضى ؛ فإنه ذكر فى خبره ذلك أن الذى قاتل[٤] الجبارين يوشع بن نون بعد موت موسى وهارون ، وقصّ من أمره وأمرهم ما أنا ذاكره ، وهو أنه ذكر فيه أن الله بعث يوشع نبيا بعد أن انقضت الأربعون سنة ، فدعا بنى إسرائيل فأخبرهم أنه نبىّ ، وأنّ الله قد أمره أن يقاتل الجبارين ، فبايعوه[٥] وصدّقوه ، وانطلق رجل من بنى إسرائيل يقال له : بلعم — وكان عالمًا ، يعلم الاسم الأعظم[٦] المكتوم — فكفر

---

(١) سورة الأعراف ١٧٥ ، ١٧٦
(٢) ن : « يأتهم » .
(٣) ن : « لبسه » .
(٤) ن : « قتل » .
(٥) ن : « فتابعوه » .
(٦) ن « : اسم الله الأعظم » .

وأتى الجبارين ، فقال : لا ترهبوا بنى إسرائيل ؛ فإنى إذا خرجتم تقاتلونهم أدعُو عليهم دعوة فيهلِكون ؛ فكان عندهم فيما شاء من الدنيا ، غيرَ أنه كان لا يستطيع أن يأتىَ النساء من عظمهنّ ، فكان ينكح أتاناً له ، وهو الذى يقول الله عزّ وجلّ : ﴿ وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِى آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا ﴾ أى فبصر ﴿ فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ ﴾ إلى قوله : ﴿ وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ ﴾ ،

٥١٢/١ فكان بلعم يلهث كما يلهث الكلب ، فخرج يوشع يقاتل الجبارين فى الناس ، وخرج بلعم مع الجبارين على أتانه ، وهو يريد أن يلعَن بنى إسرائيل ، فكلّما أراد أن يدعُوَ على بنى إسرائيل جاء على الجبارين ، فقال الجبارون : إنك إنما تدعو علينا ، فيقول[١] : إنما أردت بنى إسرائيل ، فلما بلغ بابَ المدينة أخذَ ملَك بذنَب الأتان فأمسكها ، وجعلَ يحرّكها فلا تتحرك ، فلما أكثر ضربْها تكلّمت ، فقالت : أنت تنكحنى بالليل وتركبنى بالنهار ! ويلى منك ! ولو أنّى أطقت الخروجَ لخرجت بك ؛ ولكن هذا الملك يحبِسنى ، فقاتلهم يوشع يوم الجمعة قتالا شديداً حتّى أمسوْا[٢] وغربت الشمس ، ودخل السبت . فدعا الله فقال للشمس : إنك فى طاعة الله وأنا فى طاعة الله ، اللهمّ اردد علىّ الشمس ، فردت عليه الشمس ، فزيد له فى النهار يومئذ ساعة ، فهزم الجبارين واقتحموا عليهم يقتلونهم ، فكانت العصابة من بنى إسرائيل يجتمعون على عنق الرجل[٣] يضربونها لا يقطعونها . وجمعوا غنائمهم ، وأمرهم يوشع أن يقرّبوا الغنيمة فقرّبوها ، فلم تزل النار[٤] تأكلها ، فقال يوشع : يا بنى إسرائيل إن لله عزّ وجلّ عندكم طِلْبة ، هلمّوا فبايعونى ، فبايعوه فلصقت[٥] يد رجل منهم بيده ، فقال : هلمّ ما عندك ! فأتاه برأس ثور من ذهب مكلّل بالياقوت والجوهر ، كان قد غلّه ، فجعله فى القربان ، وجعل الرجل معه ، فجاءت النار فأكلت الرجل والقربان .

---

(١) عن ا ، ح ، س : « فتقول » .
(٢) ح : « حتى إذا أمسوا » .
(٣) ا ، ن : « رجل » .
(٤) ط : « تنزل » ، والصواب ما أثبته من ا .
(٥) ن : « فالتصقت » .

* * *

وأما أهلُ التوراة ؛ فإنهم يقولون : هلك هارون وموسى فى التِّيه، وإن الله أوحى إلى يوشع بعد موسى ، وأمره أن يعبر الأردنّ إلى الأرض التى أعطاها بنى إسرائيل ، ووعدها إياهم ، وأن يوشع جَدّ فى ذلك ووجّه إلى أريحا من تعرّف[١] خبرها ، ثم سار ومعه تابوت الميثاق ، حتى عبَر الأردنّ، وصار له ولأصحابه فيه طريق ، فأحاط بمدينة أرِيحا ستة أشهر ، فلما كان السابع نفخوا فى القرون ، وضجّ الشعب ضجة واحدة، فسقط سور المدينة فأباحوها وأحرقوها ، وما كان فيها ما خلا الذهب والفضة وآنية النحاس والحديد ، فإنهم أدخلوه بيت المال . ثم إن رجلاً من بنى إسرائيل غلّ شيئًا ، فغضب الله عليهم وانهزموا ، فجزِع يوشع جزعًا شديداً ، فأوحى الله إلى يوشع أن يُقْرِع بين الأسباط ، ففعل حتى انتهت القُرْعة إلى الرجل الذى غلّ ، فاستخرج غُلوله من بيته ، فرجَمه يوشع وأحرق كلّ ما كان له بالنار ، وسمّوا الموضع باسم صاحب الغلول، وهو عاجر[٢] فالموضع إلى هذا اليوم غَوْر عاجر[٢]. ثم نهض بهم يوشع إلى ملك عاى وشعبه ، فأرشدهم الله إلى حربه ، وأمر يوشع أن يكمن لهم كمينًا ففعل ، وغلب على عاى وصلَّب ملكها على خشبة ، وأحرق المدينة وقتل مِنْ أهلها اثنىْ عشر ألفًا من الرجال والنساء، واحتال أهلُ عماق وجيعون[٣] ليوشع حتى جعل لهم أمانًا ، فلما ظهر على خديعتهم دعا الله عليهم أن يكونوا حَطّابين وسقائين ، فكانوا كذلك ، وأن يكون بازق[٤] ملك أورشليم يتصدق، ثم أرسل ملوك الأرمانيين، وكانوا خمسة بعضهم إلى بعض، وجمعوا كلمتهم[٥] على جيعون ، فاستنجد أهل جيعون يوشع ، فأنجدهم وهزموا أولئك الملوك حتى حدّروهم إلى هَبْطة حَوْران ، ورماهم الله بأحجار البرَد ، فكان مَنْ قتله البرد أكثر ممن قتله بنو إسرائيل بالسيف ، وسأل يوشع الشمسَ أن تقف والقمر أن يقوم حتى ينتقم من أعدائه قبل دخول السبت، ففعلا ذلك وهرب الخمسة ملوك فاختفوا فى غار ، فأمر يوشع فَسُدّ[٦] بابُ الغار حتى فرغ من الانتقام

١/٥١٤

١/٥١٥

(١) ا ، ن : « يعرف » .

(٢) كذا فى ا ، ح ، وفى ، ط من غير نقط .

(٣) كذا فى ا ، وفى ط ، «عماق جيعون » .

(٤) ح ، س : « بارق » ، ن : « يارق » .

(٥) كذا فى ا ، وفى ط : « كلهم » .

(٦) ط : « بسد » ، وما أثبته عن ا .

من أعدائه ، ثم أمر بهم فأخرجوا، فقتلهم وصلبهم ثم أنزلهم من الخشب، وطرحهم في الغار الذى كانوا فيه ، وتتبّع سائر الملوك بالشام ؛ فاستباح منهم أحداً وثلاثين ملكاً ، وفرق الأرض التي غلب عليها. ثم مات يوشع ، فلما مات دُفن في جبل أفرايم ، وقام بعده سِبْطُ يَهوذا وسبط شمعون بحرب الكنعانيين ، فاستباحوا حريمهم ، وقتلوا منهم عشرة آلاف ببازق، وأخذوا ملك بازق فقطعوا إبهامَيْ يديه ورجليه ، فقال عند ذلك ملك بازق: قد كان يلقط [١] الخبز من تحت مائدتى سبعون ملكاً مُقطَّعى الأباهيم، فقد جزانى الله بصنيعى [٢] ، وأدخلوا ملك بازق أورشليم، فمات بها . وحارب بنو يهوذا سائر الكنعانيين واستولوا على أرضهم ، وكان عُمْر يوشع مائة سنة وستًّا وعشرين سنة . وتدبيره أمر بنى إسرائيل منذ توفى موسى إلى أن تُوفى يوشع بن نون سبعاً وعشرين سنة . ١/٥١٦

* * *

وقد قيل إن أوّل مَنْ ملك من ملوك اليمن ، ملِك كان لهم في عهد موسى بن عمران من حمير ، يقال له : شمير بن الأملول ، وهو الذى بنى مدينة ظَفار باليمن ، وأخرج مَنْ كان بها من العماليق ، وإن شمير بن الأملول الحميرىّ هذا كان من عُمّال ملك الفرس يومئذ على اليمن ونواحيها .

وزعم هشام بن محمد الكلبي أن بقيةً بقيت من الكنعانيين بعد ما قَتَلَ يوشع مَنْ قتل منهم ، وأن إفريقيس بن قيس بن صيفىّ بن سبأ بن كعب ابن زيد بن حمير بن سبأ بن يشجُب بن يعرُب بن قحطان مرّ بهم متوجهاً إلى إفريقيَة ، فاحتملهم من سواحل الشام ، حتى أتى بهم إفريقيَة ، فافتتحها وقتل ملكها جرجيرا ، وأسكنَها البقية التى كانت بقيت من الكنعانيين الذين كان احتملهم معه من سواحل الشام . قال : فهم البرابرة ، قال : وإنما سُمّوا بربراً ، لأن إفريقيس قال لهم: ما أكثر بربرتكم! فسموا لذلك بربراً، وذكر أن إفريقس قال فى ذلك من أمرهم شعراً ، وهو قوله :

بَرْبَرَتْ كنعانُ لمّا سُقْتُهَا ... مِنْ أراضى الهُلْكِ للعيشِ العَجَب

قال : وأقام من حمير فى البربر صنْهاجة وكُتامة، فهم فيهم إلى اليوم .

---

(١) ن : « يلتقط » . (٢) ن : « بصنيعى » .

ذكر أمر قارون بن يصهر بن قاهث

وكان قارون ابنَ عم موسى عليه السلام . حدثنا القاسم ، قال : حدثنا الحسين ، قال : حدثني حجاج ، عن ابن جريج ، قوله : ﴿ إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى ﴾[1] ، قال : ابن عمه ، أخي أبيه . فإنّ[2] : قارون ابن يصفر[3] — هكذا قال القاسم ، [وإنما هو يصهر][3] — بن قاهث ، وموسى بن عرمر بن قاهث ، وعرمر بالعربية عمران ؛ هكذا قال القاسم ، وإنما هو عمرم . ‏‏١/٥١٧

وأما ابن إسحاق فإنه قال ما حدثنا به ابن حميد، قال: حدثنا سلمة ، عنه : تزوج يصهر بن قاهث شميت[4] ابنة تباويت[5] بن بركيا[6] ابن يقسان بن إبراهيم . فولدت له عمران بن يصهر وقارون بن يصهر ، فقارون — على ما قال ابن إسحاق — عمّ موسى أخو أبيه لأبيه وأمه .

وأما أهلُ العلم من سلف أمتنا ومن أهل الكتابين فعلى ما قال ابن جريج[7] .

* ذكر من حضرنا ذكره ممن قال ذلك من علمائنا الماضين :

حدثنا أبو كريب ، قال : حدثنا جابر بن نوح ، قال : أخبرنا إسماعيل ابن أبي خالد، عن إبراهيم في قوله : ﴿ إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى ﴾، قال: كان ابن عمّ موسى .

حدثنا ابن بشار ، قال: حدثنا عبد الرحمن، قال: حدثنا عن سفيان، عن سماك بن حرب ، عن إبراهيم ، قال : ﴿ إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى ﴾ ، كان قارون ابنَ عمّ موسى .

---

(١) سورة القصص ٧٦ (٢) في الأصول: « قال » ، والأوجه ما أثبته من التفسير.
(٣) كذا في التفسير ، وفي الأصول : « يصد » . (٤) ح والتفسير ، «سميت» .
(٥) التفسير « بتاديث » . (٦) التفسير : « بركنا » .
(٧) الخبر في التفسير ٢٠ : ٦٧ (بولاق) .

٥١٨/١ حدثنا ابن وكيع ، قال : حدثنا أبى ، عن سفيان ، عن سماك، عن إبراهيم : ﴿ إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى ﴾ ، قال : كان ابن عمه فبغى عليه .

حدثنا ابن وكيع ، قال: حدثنا يحيى بن سعيد القطان، عن سماك بن حرب، عن إبراهيم ، قال : كان قارون ابنَ عم موسى .

حدثنا ابن وكيع ، قال : حدثنا أبو معاوية ، عن ابن أبى خالد ، عن إبراهيم، قال: ﴿إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى﴾ ، قال : كان ابنَ عمه .

حدثنا بشر بن معاذ قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿ إِنَّ قَارُونَ كَانَ من قَوْمِ مُوسَى ﴾ ، كنا نحدث أنه كان ابن عمه أخى أبيه ، وكان يسمى المنوّر من حسن صورته[1] فى التوراة ، ولكن عدو الله نافق كما نافق السامرىّ ، فأهلكه البغى .

حدثنى بشر بن هلال الصواف ، قال : حدثنا جعفر بن سليمان الضبعىّ ، عن مالك بن دينار ، قال : بلغنى أنّ موسى بن عمران كان ابنَ عمّ قارون ، وكان الله قد آتاه مالا كثيراً ، كما وصفه الله عزّ وجلّ ، فقال: ﴿ وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ ﴾، يعنى بقوله : ﴿ تَنُوءُ ﴾ تثقل .

وذكر أن مفاتيح خزائنه كانت كالذى حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا جرير، عن منصور، عن خيثمة فى قوله: ﴿ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ ﴾

٥١٩/١ قال : نجد مكتوبًا فى الإنجيل: مفاتيحُ قارون وَقْر ستين بغلا غرًّا محجّلة، ما يزيد مفتاح منها على إصبع ؛ لكل مفتاح منها كنز .

حدثنى أبو كريب، قال : حدثنا هُشَيْم[2]، قال: أخبرنا إسماعيل بن

---

(١) ا ، ن « صوته » . (٢) فى ط : « هشام » ؛ والصواب من ا والتفسير ، وهو هشيم بن بشير بن القاسم؛ ذكره ابن حجر فيمن أخذ عن إسماعيل بن سالم . وانظر تهذيب التهذيب ١١ : ٥٩ .

سالم، عن أبي صالح: ﴿ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ ﴾، قال : كانت مفاتيح خزائنه تحمل على أربعين بغلا[١] .

حدثنا أبو كريب، قال : حدثنا جابر بن نوح، قال : أخبرنا الأعمش عن خيثمة ، قال : كانت مفاتيح قارون تحمل على ستين بغلا ، كلّ مفتاح منها لباب كنزٍ معلوم، مثل الإصبع، من جلود .

حدثنا ابن وكيع ، قال : حدثنا أبي ، عن الأعمش ، عن خيثمة ، قال : كانت مفاتيح قارون من جلود ، كلّ مفتاح مثل الإصبع ، كلّ مفتاح على خزانة على حِدة ، فإذا ركب حُمِلت المفاتيح على ستين بغلا أغرّ محجّل.

فبغَى عدوّ الله لما أراد الله به من الشقاء والبلاء على قومه بكثرة[٢] ماله .

وقيل إن بغيه عليهم كان بأن زاد عليهم فى الثياب شبراً . كذلك[٣] حدثني على بن سعيد الكندىّ وأبو السائب وابن وكيع ، قالوا : حدثنا حفص ابن غياث ، عن ليث، عن شهر بن حَوْشب .

فوعظه قومه على ما كان من بغيه ونهوْه عنه، وأمروه بإنفاق ما أعطاه الله فى سبيله والعمل فيه بطاعته، كما أخبر الله عزّ وجلّ عنهم أنهم قالوا له فقال: ﴿إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لاَ تَفْرَحْ إِنَّ اللهَ لاَ يُحِبُّ الْفَرِحِينَ * وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللهُ الدَّارَ الآخِرَةَ وَلاَ تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللهُ إِلَيْكَ وَلاَ تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الأَرْضِ إِنَّ اللهَ لاَ يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾[٤] . وعنى بقوله: ﴿وَلاَ تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا﴾ : لا تنس فى دنياك أن تأخذ نصيبك[٥] فيها لآخرتك ، فكان جوابُه إياهم جهلا منه ، واغتراراً بحلم الله عنه ، ما ذكر الله تعالى فى كتابه أن قال لهم: إنما أوتيتُ ما أوتيتُ من هذه الدنيا على علم عندى فقيل : معنى ذلك : على خير عندى ، كذلك رُوِى ذلك عن قتادة .

١/٥٢٠

وقال غيره : عنى بذلك: لولا رضاء الله عنى ومعرفته بفضلى ما أعطانى

(١) الخبر فى التفسير ٢٠ : ٦٨ (بولاق) . (٢) س : «لكثرة» .
(٣) ا : «كالذى» . (٤) سورة القصص ٧٦، ٧٧ . (٥) ح : «بنصيبك».

هذا ، قال الله عزّ وجلّ مكذبًا قيله : ﴿ أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا ﴾[١] للأموال. ولو كان الله إنما يُعطى الأموال والدنيا مَنْ يعطيه إياها لرضاه عنه ، وفضله عنده ، لم يهلك مَنْ أهلك من أرباب الأموال الكثيرة قبله ، مع كثرة ما كان أعطاهم منها ، فلم يردعْه عن جهله ، وبغيه على قومه بكثرة ماله عظةُ من وعظه ، وتذكير مَنْ ذكره بالله ونصيحته إياه ؛ ولكنه تمادى فى غيه وخسارته ، حتى خرج على قومه فى زينته راكبًا بِرْذَوْنا أبيضَ مسرجاً بسرج الأرجُوان ، قد لبس ثيابًا معصفرة ، قد حمل معه من الجوارى بمثل هيئته وزينته على مثل بِرْذَوْنه ثلثمائة جارية وأربعة آلاف من أصحابه .

١/٥٢١ وقال بعضهم : كان الذين حملهم على مثل هيئته وزينته من أصحابه سبعين ألفًا .

حدثنا ابن وكيع ، قال : حدثنا أبو خالد الأحمر ، عن عثمان بن الأسود ، عن مجاهد: ﴿ فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ ﴾، قال : على براذين بيض ، عليها سروج الأرجوان، عليهم[٢] المعصفرة[٣] . فتمنى أهل الخسار من الذين خرج عليهم فى زينته مثلَ الذى أوتيه، فقالوا: ﴿ يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴾[٤]، فأنكر ذلك من قوله عليهم أهلُ العلم بالله فقالوا لهم: ويلكم أيها المتمنّون مثلَ ما أوتى قارون ! اتقوا الله ، واعملوا بما أمركم الله به ، وانتهوا عما نهاكم عنه ، فإن ثوابَ الله وجزاءه أهل طاعته خيرٌ لمن آمن به وبرسله ، وعمل بما أمره به من صالح الأعمال، يقول الله: ﴿ وَلَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ ﴾[٤]، يقول : لا يلقّى مثل هذه الكلمة إلا الذين صبروا عن طلب زينة الحياة الدنيا ، وآثروا جزيلَ ثواب الله على صالح الأعمال على لذات الدنيا وشهواتها ، فعملوا له بما يوجب لهم ذلك .

* * *

(١) سورة القصص ٧٨

(٢) ن : « وعليهم » .

(٣) فى التفسير ٢٠ : ٧٣ (بولاق) : «المعصفرات» .

(٤) سورة القصص ٧٩ ، ٨٠ .

فلما عتا الخبيث وتمادى فى غيّه، وبطر نعمة ربه ابتلاه الله عزّ وجلّ من الفريضة فى ماله والحق الذى ألزمه فيه ما ساق إليه شحّه به أليم عقابه، وصار به عبرة للغابرين [١] وعظة للباقين.

فحدثنا أبو كريب، قال: حدثنا جابر بن نوح، قال: أخبرنا الأعمش، عن المنهال بن عمرو، عن عبد الله بن الحارث، عن ابن عباس، قال: لما نزلت الزكاة أتى قارونُ موسى فصالحه عن كلّ ألف دينار ديناراً، وعلى كلّ ألف درهم درهمًا، وعلى كلّ ألف شىء شيئًا، أو قال: وكلّ ألف شاه شاةً — قال أبو جعفر الطبرىّ: أنا أشدّ — قال: ثم أتى بيته فحسبه فوجده كثيراً فجمع بنى إسرائيل، فقال: يا بنى إسرائيل، إن موسى قد أمركم بكل شىء فأطعتموه، وهو الآن يريد أن يأخذ أموالَكُم. فقالوا له: أنت كبيرُنا وسيدنا، فمرْنا بما شئت، فقال: آمركم أن تَجيئوا بفلانة البغىّ فتجعلوا لها جُعلا فتقذفه بنفسها. فدعوْها فجعلوا لها جُعلا على أن تقذفه بنفسها، ثم أتى موسى فقال [٢]: إنّ قومك قد اجتمعوا لتأمرهم وتنهاهم [٣]، فخرج إليهم وهم فى بَراح من الأرض، فقال: يا بنى إسرائيل، مَنْ سرق قطَعنا يده، ومن افترى جلَدناه ثمانين، ومن زنا وليس له امرأة جلدناه مائة، ومن زنا وله امرأة جلدناه حتى يموت — أو قال: رجمناه [٤] حتى يموت — قال أبو جعفر أنا أشك — فقال له قارون: وإن كنت أنت؟ قال: وإن كنت أنا. قال: وإن بنى إسرائيل يزعمون أنك فجرت بفلانة، فقال: ادعُوها، فإن قالت فهو كما قالت، فلما أن جاءت قال لها موسى: يا فلانة، قالت: لبيك! قال: أنا فعلت بك ما يقول هؤلاء؟ قالت: لا، وكذبوا [٥]، ولكن جعلوا إلى جُعلا على أن أقذفَك بنفسى، فوثب فسجد وهو بينهم، فأوحى إليه: مُر الأرض بما شئتَ، قال: يا أرض خذِيهم، فأخذتهم إلى أقدامهم، ثم قال: يا أرض خُذيهم فأخذتهم إلى ركبهم، ثم قال: يا أرض خذيهم، فأخذتهم إلى أعناقهم،

(١) س: «للعابرين». ن: «للمعتبرين».
(٢) كذا فى ا، وفى ط والتفسير: «فقال لموسى».
(٣) ا، ح، ن، والتفسير: «ولتنهاهم». (٤) وكذا فى ا، وفى ط «أو رجمناه».
(٥) كذا فى ا والتفسير؛ وفى ط: «لا، كذبوا».

قال : فجعلوا يقولون : يا موسى ، ويتضرّعون إليه ، قال : يا أرض خذيهم ، فأطبقت عليهم ، فأوحى الله إليه : [يا موسى][1] يقول لك عبادى : ياموسى يا موسى ، فلا ترحمهم ، أما لو إياى دعَوْا لوجدونى قريبًا مجيبًا ، قال : فذلك قوله : ﴿ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِ فِى زِينَتِهِ ﴾ ، وكانت زينته أنه خرج على دوابّ شُقْر عليها[2] سروج أرجوان ، عليها ثياب مصبّغة بالبَهرمان ، : ﴿ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الحَيَاةَ الدُّنْيَا يَالَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِىَ قَارُونُ ﴾ إلى قوله : ﴿ لاَ يُفْلِحُ الكَافِرُونَ ﴾ . يا محمد ﴿ تِلْكَ الدَّارُ الآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لاَ يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى الأَرْضِ وَلاَ فَسَادًا وَالعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾[3] .

حدثنا أبو كريب ، قال : حدثنا يحيى بن عيسى ، عن الأعمش ، عن المنهال ، عن رجل ، عن ابن عباس بنحوه ، وزادنى فيه : قال : فأصاب بنى إسرائيل بعد ذلك شدة وجوع شديد ، فأتَوْا موسى فقالوا : ادع لنا ربك ، قال : فدعا لهم فأوحى الله إليه : يا موسى ، أتكلمنى فى قوم قد أظلم ما بينى وبينهم من خطاياهم ، وقد دعوك فلم تجبهم[4] أمالو إياى دعوا لأجبتهم[5] .

١/٥٢٤ حدثنا القاسم ، قال : حدثنا الحسين ، قال : حدثنا علىّ بن هاشم ابن البريد ، عن الأعمش ، عن المنهال ، عن سعيد بن جُبير ، عن ابن عباس فى قوله : ﴿ إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَىٰ ﴾ ، قال : كان ابن عمه ، وكان موسى يقضى فى ناحية بنى إسرائيل وقارون فى ناحية ، قال : فدعا بغيّة كانت فى بنى إسرائيل ، فجعل لها جُعلا على أن ترمىَ موسى بنفسها ، فتركه ، حتى إذا كان يوم يجتمع فيه بنو إسرائيل إلى موسى أتاه قارون فقال : يا موسى ، ما حدُّ مَنْ سرق ؟ قال : أن تقطع يده ، قال : فإن كنتَ أنت ؟ قال نعم ، قال : فما حدّ من زَنا ؟ قال : أن يُرجم ، قال : وإن كنت أنت ؟ قال : نعم ،

(١) تكملة من ا والتفسير . (٢) ن : « عليهن » .

(٣) سورة القصص : ٧٩–٨٢ ، والخبر فى التفسير ٢٠ : ٧٤ (بولاق) .

(٤) ح : « وقد دعوا غيرى ولم يجبهم » . (٥) الخبر فى التفسير ٢٠ : ٧٥ (بولاق) .

قال : فإنك قد فعلت ، قال : ويلك ! بمن ؟ قال : بفلانة ، فدعاها موسى فقال : أنشدُك بالذى أنزل التوراة، أصدَق قارون ؟ قالت : اللهمّ إذْ نشدتنى ، فإنى أشهد أنك برىء ، وأنّك رسولُ الله ، وأن عدّو الله قارون جعلَ لى جُعْلا على أن أرميَك بنفسى ، قال : فوثب موسى فخرّ ساجداً ، فأوحى الله إليه أن ارفع رأسك فقد أمرت الأرضَ أن تطيعك ، فقال موسى : خذيهم ، فأخذتهم حتى بلغوا الحقْو ، قال : يا موسى ، قال : خذيهم فأخذتْهُم حتى بلغوا الصدور ، قال : يا موسى ، قال : خذيهم ، قال : فذهبوا ، قال : فأوحى الله إليه : يا موسى ، استغاث بك فلم تُغثه ، أما لو استغاثَ بى ، لأجبتُه ولأغثته[1] .

حدثنا بشر بن هلال الصّواف ، قال : حدثنا جعفر بن سليمان الضبعىّ ، قال : حدثنا على بن زيد بن جُدْعان ، قال : خرج عبد الله بن الحارث من الدار ، ودخل المقصورة فلما خرج منها جلس وتساندعليها[2] وجلسنا إليه ، فذكر سليمان بن داود و ﴿قَالَ يَأَيُّهَا الْمَلَأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ﴾ إلى قوله : ﴿إِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ﴾[3] . قال : ثم سكت عن حديث سليمان ، فقال : ﴿إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ﴾ ، وكان قد أوتىَ من الكنوز ما ذكره الله فى كتابه : ﴿مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ﴾[4] . فقال : إنما أوتيتُه على علم عندى . قال : وعاد موسى وكان مؤذياً له ، فكانَ موسى يصفح عنه ، ويعفو للقرابة حتى بنى داراً ، وجعل بابَ داره منْ ذهب ، وضرب على جدر داره صفائح الذهب ، وكان الملأ من بنى إسرائيل يغدون عليه ويروحون ، فيطعمهم الطعام ويحدثونه ويضحكونه ، فلم تدعه شقوته والبلاء حتى أرسل إلى امرأة من بنى إسرائيل مشهورة بالخنا مشهورة بالسب ، فجاءت قال لها : هل لك أن أموّلك وأعطيك وأخلطك

١/٥٢٥

---

(١) الخبر فى التفسير ٢٠ : ٧٥ (بولاق) .

(٢) ا : « واستند إليها » .

(٣) سورة النمل ٣٨ — ٤٠ .

(٤) سورة القصص ٧٦ .

بنسائى، على أن تأتينى والملأ من بنى إسرائيل عندى فتقولى : يا قارون ألا تنهى عنّى موسى ! قالت : بلى ، فلما جلس قارون ، وجاءه الملأ من بنى إسرائيل أرسل إليها فجاءت ، فقامت بين يديه ، فقلب الله قلبها ، وأحدث لها تَوْبة ، فقالت فى نفسها : لا أجد اليومَ توبةً أفضلَ من ألاّ أوذى رسول الله وأعذب عدو الله، فقالت : إن قارون قال لى: هل لكِ أن[1] أمولك وأعطيَك وأخلطك بنسائى على أن تأتينى والملأ من بنى إسرائيل عندى ، فتقولى : يا قارون ألا تنهى عنى موسى ! فلم أجد توبةً أفضلَ من ألاّ أوذى رسولَ الله ، وأعذب عدوّ الله . فلما تكلمت بهذا الكلام سُقط فى يدى قارون ، ونكس رأسه ، وسكت عن الملإ ،وعرف أنه قد وقع فى هلكة ، فشاع كلامُها فى الناس ، حتّى بلغ موسى ، فلما بلغ موسى اشتدّ غضبُه فتوضأ من الماء وصلى وبكى ، وقال : يا ربّ عدوك لى مؤذٍ ، أراد فضيحتَى وشينْى ، يا ربّ سلطنى عليه. فأوحى الله إليه أن مر الأرضَ بما شئت تطعك ، فجاء موسى إلى قارون ، فلما دخل عليه عرف الشر فى وجه موسى له، فقال له: يا موسى ارحمنى ، قال : يا أرض خذيهم ، قال : فاضطربت داره ، وساخت بقارون وأصحابه إلى الكعبين ، وجعل يقول : يا موسى ارحمنى ، قال : يا أرض خذيهم ، فاضطربت دارُه[2] وساخت ، وخُسِف بقارون وأصحابه إلى ركبهم وهو يتضرع إلى موسى : يا موسى ، ارحمنى ! قال : يا أرض خذيهم ، فاضطربت داره ، وساخت وخسف بقارون وأصحابه[3] إلى سررهم ، وهو يتضرع إلى موسى : يا موسى ، ارحمنى ! قال : يا أرضُ خُذِيهم ، فخسف به وبداره وأصحابه ، قال : وقيل لموسى : يا موسى ، ما أفظك ، أما وعزّتى لو إياى نادى لأجبتُه[4]!

٥٢٦/١

حدثنا بشر بن هلال ، قال : حدثنا جعفر بن سليمان ، عن أبى عمران الجونىّ ، قال : بلغنى أنه قيل لموسى : لا أعبِّدُ الأرضَ لأحد بعدك أبداً .

٥٢٧/١

حدثنا بشر ،قال: حدثنا يزيد، قال : حدثنا سعيد عن قتادة، ﴿ فَخَسَفْنَا

(١) ح : والتفسير « هل لك فى » . (٢) ن : « أرضه » .
(٣) ح : « وساخت بقارون وخسف به وأصحابه » .
(٤) الخبر فى التفسير ٢٠ : ٧٥ ، ٧٦ (بولاق) .

بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ ﴾ ، ذكر لنا أنه يخسف به كلّ يوم قامة ، وأنه يتجلجل فيها لا يبلغ قعرها إلى يوم القيامة .

* * *

قال أبو جعفر : فلما نزلت نقمة الله بقارون حمد الله على ما أنعم به عليهم المؤمنون الذين وعظوه وأنذروه بأمر الله ، ونصحوا له من المعرفة بحقّه والعمل بطاعته ، وندم الذين كانوا يتمنّوْن ما هو فيه من كثرة المال ، والسعة فى العيش على أمنيتهم ، وعرفوا خطأ أنفسهم فى أمنيتها ، فقالوا ما أخبر الله عزّ وجلّ عنهم فى كتابه : ﴿ وَيْكَأَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَوْلَا أَنْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا ﴾[1] ، فصرَف عنا ما ابتلى به قارون وأصحابه مما كنا نتمناه بالأمس لخسف بنا كما خسف به وبهم . فنجّى الله تعالى من كلّ هول وبلاء نبيّه موسى والمؤمنين به المتمسكين بعهده من بنى إسرائيل ، وفتاه يوشع بن نون المتبعين له بطاعتهم ربهم ، وأهلك أعداءه وأعداءهم : فرعون وهامان وقارون والكنعانيين بكفرهم وتمردهم عليه وعتوهم ، بالغرق بعضاً ، وبالخسف بعضاً ، وبالسيف بعضًا ، وجعلهم عبراً لمن اعتبر بهم ، وعظة لمن اتعظ بهم ، مع كثرة أموالهم وكثرة عدد جنودهم ، وشدة بطشهم ، وعظم[2] خلقهم وأجسامهم ، ٥٢٨/١ فلم تغن [عنهم][3] أموالهم ولا أجسامهم ولا قواهم ولا جنودهم وأنصارهم عنهم من الله شيئًا ؛ إذْ كانوا يجحدون بآيات الله ، ويسعوْنَ فى الأرض فساداً ، ويتّخذون عباد الله لأنفسهم خوَلاً ، وحاق بهم ما كانوا منه آمنين ؛ نعوذ بالله من عمل يقرّب من سخطه ، ونرغب إليه فى التوفيق لما يدنى من محبته ، ويزلف إلى رحمته !

وروى عن النبى صلى الله عليه وسلم ما حدثنا أحمد بن عبد الرحمن بن وهب ، قال : حدثنا عمى ، قال : حدثنى الماضى بن محمد ، عن أبى سليمان ، عن القاسم بن محمد ، عن أبى إدريس الخوْلانىّ ، عن أبى ذرّ ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أول أنبياء بنى إسرائيل موسى وآخرهم عيسى » .

---

(١) سورة القصص : ٨٢ . (٢) ح : « عظيم » . (٣) من ا .

قال : قلت : يا رسولَ الله ، ما كان فى صحف موسى ؟ قال : كانت عِبراً كلّها ، عجبت لمن أيْقَن بالنار ثم يضحك ، عجبت لمن أيقن بالموت ثم يفرح ، عجبت لمن أيقنَ بالحساب غداً ثم لم يعمل !

وكان تدبير يوشع أمر بنى إسرائيل من لدن مات موسى ، إلى أن توفى يوشع ، كله فى زمان منوشهر عشرين سنة ، وفى زمان فَراسْياب سبع سنين .

* * *

ونرجع الآن إلى :

إذ كان التاريخ إنما تدرك صحته على سياق مدة[١] أعمار ملوكهم .

ولما هلك مِنُوشِهْر الملك بن منشخورنر[٢] ، قَهَرَ فراسياب[٣] بن فشنج ابن رستم بن ترك على خنيارث[٤] ومملكة أهل فارس ، وصار — فيما قيل — إلى أرض بابل ، فكان يُكثِر المقام ببابل وبِمِهْرِجان قَذَق ، فأكثر الفساد فى مملكة أهل فارس .

وقيل : إنه قال حين غلب على مملكتهم : نحن مسرعون فى إهلاك البرّية ، وإنه عظُم جوره وظلمه ، وخرّب ما كان عامراً من بلاد خنيارث ، ودفن الأنهار والقنىّ ، وقَحِط الناس فى سنة خمس من ملكه ، إلى أن خرج عن مملكة أهل فارس ، ورُدّ إلى بلاد الترك ، فغارت المياه فى تلك السنين ، وحالت الأشجار المثمرة .

ولم يزل الناس منه فى أعظم البلية ، إلى أن ظهر زوّ بن َطهْما سب وقد يلفظ باسم « زوّ » بغير ذلك فيقول بعضهم : زاب بن طهما سفان ، ويقول بعضهم : زاغ ، ويقول[٥] بعضهم : راسب بن طهْماسَب بن كانجو بن زاب[٦] بن أرفس[٧] بن هراسف بن ونديج[٨] بن أريج[٨] بن نوذ وجوش[٨] ١/٥٣٠ ابن منسوا[٨] — بن نوذر بن مُنوشهر .

وأم زوّ مادول ابنة وامن بن واذرجا بن قود[٩] بن سَلْم بن أفريدون .

وقيل : إن منوشِهْر كان وجَد فى أيام ملكه على طهماسب بسبب جناية جناها ، وهو مقيم فى حدود الترك لحرب فراسْيَاب ، فأراد مِنوشِهْر قتله بسبب ذلك ، فكلّمه فى الصفح عنه عظماءُ أهل مملكته . وكان من عدل

---

(١) س : « مدد » . (٢) ا : « منشجور » .
(٣) كذا فى ا ، وفى ط : « فراسيات » . (٤) ا ، ن : « خينارث » .
(٥) ط : « ويقال » ، وما أثبته من ا .
(٦) ا : « زابن » ، س : « راد » ، ح ، ن : « زاق » .
(٧) ا : « أوفس » . (٨) كذا فى ا . (٩) ا : « نوذه » ن : « فوذ » .

مُنوشهر – فيما ذكر – أنه قد كان يسوّى بين الشريف والوضيع ، والقريب والبعيد فى العقوبة ، إذا استوجبها بعضُ رعيته على ذنب أتاه – فأبى إجابتهم إلى ما سألوه من ذلك ، وقال لهم : هذا فى الدين وَهَنٌ ، ولكنكم إذْ أبيتم علىّ ، فإنه لا يسكنُ فى شىء من مملكتى ، ولا يُقيم به ، فنفاه عن مملكته

١/٥٣١ فشخص إلى بلاد التّرك ، فوقع إلى ناحية وامن ، فاحتال لابنته وهى محبوسة فى قصر من أجل أن المنجّمين كانوا ذكروا لوامِن أبِيها أنها تلد ولداً يقتُله ، حتى أخرجها من القصر الذى كانت محبوسة فيه ، بعد أن حملت منه بزوّ .

ثم إن مِنُوشِهْر أذِن لطهْمَاسب بعد أن انقضت أيامُ عقوبته فى العود إلى خينارث مملكة فارس ، فأخرج مادول ابنة وامن بالحيلة منها ومنه فى إخراجها من قصرها من بلاد التّرك إلى مملكة أهل فارس ، فولدت له زوّاً بعد العَوْد إلى بلاد إيرانكرد[١] ،

ثم إن زوّاً – فيما ذكر – قتل جدّه ، وأمّن فى بعض مغازيه التّرك ، وطرد فراسْياب عن مملكة أهل فارس ، حتى ردّه إلى التّرك بعد حروب جرت بينه وبينه وقتال ، فكانت غَلَبة فَرَاسيْاب أهل فارس على إقليم بابل اثنتى عشرة سنة ، من لدن توفى مِنوشِهْر إلى أن طرده عنه ، وأخرجه زوّ بن طهماسب إلى تركستان .

وذكر أن طَرْدَ زَوّ فراسياب عمّا كان عليه من مملكة أهل فارس فى روزأبان من شهر آبانماه ، فاتخذ العجم هذا اليوم عيداً لما رفع عنهم فيه من شر فراسياب وعَسْفه وجعلوه الثالث من أعيادهم النوروز والمِهرجان .

وكان زوّ محموداً فى مُلكه ، محسنًا إلى رعيته ، فأمر بإصلاح ما كان فراسياب

١/٥٣٢ أفسد من بلاد خنيارث ، ومملكة بابل وبناء ما كان هُدم من حصون ذلك ، ونثّل[٢] ما كان طمّ[٣] وغوّر من الأنهار والقنى ، وكرى ما كان اندفن من المياه حتى أعاد كلّ ذلك – فيما ذكر – إلى أحسن ما كان [عليه][٤] ، ووضعَ

---

(١) كذا فى ط ، وفى ا : « إيكرانكرد » . (٢) أى أخرج ما فيها من تراب .
(٣) طم : دفن ؛ وفى ا : « طمر » ؛ وهى بمعناها . (٤) من ا .

عن الناس الخراج سبع سنين ، ودفعه[١] عنهم ، فعمرت بلاد فارس فى ملكه ، وكثُرت المياه فيها، ودرّت معايش أهلها ، واستخرج بالسواد نهراً وسماه الزّاب ، وأمر فبنيت على حافتيه مدينة وهى التى تسمى المدينة العتيقة ، وكوَّرها كورة ، وسماها الزوابى، وجعل لها ثلاثة طَساسيج : منها طَسُّوج[٢] الزاب الأعلى، ومنها طَسّوج الزاب الأوسط ،ومنها طَسّوج الزاب الأسفل ؛وأمر بحمل بُزور[٣] الرياحين من الجبال إليها وأصول الأشجار ، وبذْر ما يبذَر من ذلك ، وغرس ما يغرس منه ، وكان أولَ من اتُّخِذ له ألوان الطبيخ وأمر بها وبأصناف الأطعمة ، وأعطى جنودَه مما غنِم من الخيل والرّكاب ، مما أوْجَفَ عليه من أموال الترك وغيرهم . وقال يوم ملك وعقد التاج على رأسه : نحن متقدمون فى عمارة ما أخْرَ به الساحر فراسياب .

وكان له كرشاسب بن أثرط[٤] بن سهم بن نريمان بن طورك بن شيراسب[٥] بن أروشسب بن طوج بن أفريدون الملك .

وقد نسبه بعض نسابى الفرس غير هذا النسب فيقول : هو كرشاسف ١/٥٣٣ بن أشناس[٦] بن طهموس بن أشك بن ترس[٧] بن رحر[٨] بن دودسرو[٩] بن منوشِهْر الملك — مؤازراً له على ملكه .

ويقول بعضهم : كان زَو وكرشاسب مشتركيْن فى الملك ، والمعروف من أمرهما أن الملْك كان لزوّ بن طهماسب وأن كرشاسب كان له مؤازراً و[له][١٠] معيناً .

---

(١) كذا فى ا ، وفى ط : « ورفعه » .
(٢) الطسوج هنا : الناحية ، فارسى معرب .
(٣) البزر : كل حب يبذر للنبات ؛ وجمعه بزور .
(٤) ا : « أثوط » ، ح ، ن : «أنوط » .
(٥) ا ، س : « سراسب » .
(٦) كذا فى ا ، ح ، وفى س : « أستاس » .
(٧) كذا فى ا ، ن ، وفى ح : « نوس » ، وفى ط مهمل .
(٨) كذا فى ط ، وفى ح ، س : زحر » ، ، وفى ن : « رجر » ،
(٩) فى ا ، ح ، ن ، وفى س : « روذسرو » وفى ط : « دوزسرو » .
(١٠) تكملة من ا .

وكان كرشاسب عظيم الشأن فى أهل فارس ، غيرَ أنه لم يملك ، فكان جميعُ ملْك زوّ إلى أن انقضى ومات — فيما قيل — ثلاث سنين .

* * *

ثم مَلَكَ بعد زوّ كيقباذ ، وهو كيقباذ بن زاغ بن نوحياه[١] بن منشو[٢] بن نوذر بن مَنُوشِهْر . وكان متزوجًا بفرتك[٣] ابنة تدرسا[٤] التركى ، وكان تدرسًا من رءوس الأتراك وعظمائهم ، فولدت له كى إفنه ، وكى كاوس ، وكى أرش[٥] ، وكيبه أرش ، وكيفاشين وكيبية ؛ وهؤلاء هم الملوك الجبابرة وآباء الملوك الجبابرة . ١/٥٣٤

وقيل إن كيقباذ قال يوم ملك وعقد التاج على رأسه : نحن مدوّخون بلاد الترك ومجتهدون فى إصلاح بلادنا ، حدبون عليها ، وأنه قدّر مياه الأنهار والعيون لشرب الأرضين ، وسمى البلادَ بأسمائها ، وحدّها بحدودها ، وكوّر الكُور ، وبيّن حيز كل كُورة منها وحريمها ، وأمر الناس باتخاذ الأرض ، وأخذ العُشْر من غَلاتها لأرزاق الجند ، وكان — فيما ذكر — كيقباذ يُشْبَّه فى حرصه على العمارة ، ومنعه البلاد من العدو ، وتكبّره فى نفسه بفرعون . ١/٥٣٥

وقيل إن الملوك الكيية وأولادهم من نسله ، وجرت بينه وبين الترك وغيرهم حروب كثيرة ، وكان مقيماً فى حدّ ما بين مملكة الفرس والترك بالقرب من نهر بَلْخ ، لمنع الترك من تطرق شىء من حدود فارس ، وكان ملكه مائة سنة ، والله أعلم .

* * *

ونرجع الآن إلى :

---

(١) كذا فى ا ، ن . (٢) كذا فى ا ، وفى س : « مشر »
(٣) كذا فى ا ، وفى ح ، س : « بقرتك » ، وفى ن : « بفربك » ، وفى ط مهملة .
(٤) كذا فى ا ، ن . وفى س : « تدرشيا » ، وفى ط مهملة .
(٥) س ، ن : « كى إرس » .

ذكر أمر بنى إسرائيل والقوّام الذين كانوا بأمرهم بعد يوشع ابن نون والأحداث التى كانت فى عهد زَوّ وكَيْقَبَاذ

ولا خلاف بين أهل العلم بأخبار الماضين وأمور الأمم السالفين من أمتنا وغيرهم أن القيّم بأمور بنى إسرائيل بعد يوشع كان كالب بن يُوفنّا ، ثم حزْقيل بن بُوذى[1] من بعده ، وهو الذى يقال له ابن العجوز .

فحدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : إنما سمى حزقيل[2] بن بوزى ابن العجوز ؛ أنها سألت الله الولد ، وقد كبرت وعقمت ، فوهبه الله لها ، فبذلك قيل له : ابن العجوز ؛ وهو الذى دعا للقوم الذين ذكر الله فى الكتاب عليه السلام كما بلغنا : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ ﴾[3] .

حدثنى محمد بن سهل بن عسكر ، قال : حدثنا إسماعيل بن عبدالكريم قال : حدثنى عبد الصمد بن معقل ؛ أنه سمع وهب بن منبه يقول : أصاب ناسًا من بنى إسرائيل بلاءٌ وشدة من الزمان ، فشكوْا ما أصابهم فقالوا : ياليتنا قد متْنا فاسترحنا مما نحن فيه ! فأوحى الله إلى حزْقيل : إنّ قومك صاحوا من البلاء ، وزعموا أنهم ودُّوا لو ماتوا فاستراحوا ، وأىّ راحة لهم فى الموت ! أيظنون أنى لا أقدر على أن أبعثهم بعد الموت ! فانطلقْ إلى جبّانة كذا كذا فإن فيها أربعة آلاف — قال وهب : وهم الذين قال الله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ ﴾ — ٥٣٦/١ فقمْ فيهم فنادهم ، وكانت عظامهم قد تفرّقت ؛ فرّقتها الطير والسباع ، فناداها حزْقيل ، فقال : يأيّتُها العظامُ النخرة ، إن الله عزّ وجلّ

---

(١) ا ، والتفسير : « بوزى » ، وكذلك حيث ورد فيما يلى .
(٢) حزقيل ، بكسر الحاء ؛ ضبطه صاحب القاموس .
(٣) سورة البقرة ٢٤٣ .

يأمرُك أن تجتمعى . فاجتمع عظام كل إنسان منهم معًا ، ثم نادى ثانية[١] حزقيل فقال : أيتها العظام ، إن الله يأمرك أن تكتسى اللحم ، فاكتست اللحم ، وبعد اللحم جلدا ، فكانت أجساداً ، ثم نادى حزقيل الثالثة فقال : أيتها الأرواح ، إن الله يأمرك أن تعودى فى أجسادك . فقاموا بإذن الله ، وكبّروا تكبيرة واحدة[٢] .

حدثنى موسى بن هارون ، قال : حدثنا عمرو بن حماد ، قال : حدثنا أسباط ، عن السدىّ ، فى خبر ذكره عن أبى مالك وعن أبى صالح ، عن ابن عباس — وعن مرة الهمْدانىّ ، عن ابن مسعود — وعن ناس من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ ﴾ كانت قرية يقال لها داوَرْدان[٣] قبل واسط ، فوقع بها الطاعون ، فهرب عامة أهلها فنزلوا ناحية منها ، فهلك أكثرُ مَن بقى فى القرية وسلم الآخرون ، فلم يمت منهم كثير ، فلما ارتفع الطاعون رجعوا سالمين ، فقال الذين بقوا : أصحابنُا هؤلاء كانوا أحزَم منا ، لو صنعنا كما صنعوا بقينا ! ولئن وقع الطاعون ثانية لنخرجنّ معهم . فوقع فى قابل فهربوا وهم بضعة وثلاثون ألفًا ، حتى نزلوا ذلك المكان ، وهو واد أفْيح ، فناداهم مَلَك من أسفل الوادى ، وآخر من أعلاه : أن موتوا ، فماتوا حتى هلكوا ، وبليت أجسادهم ، فمرّ بهم نبىٌّ يقال له هِزْقيل[٤] ، فلما رآهم وقف عليهم فجعل يتفكر فيهم ، يَلْوِى شِدقه وأصابعه ، فأوحى الله إليه : يا هزقيل ، أتريد أن أريك كيف أحييهم ؟ قال : نعم ، وإنما كان تفكّره أنه تعجّب من قدرة الله عليهم ، فقال : نعم ، فقيل له : ناد ، فنادى يأيّتها العظام ، إن الله يأمرك أن تجتمعى ، فجعلت العظام يطير بعضها إلى بعض ؛ حتى كانت أجساداً من عظام ، ثم أوحى الله أن ناد : يأيتها العظام ؛ إن الله يأمرك أن تكتسى لحمًا فاكتست لحمًا ودمًا وثيابَها التى ماتت فيها ؛ وهى عليها ، ثم قيل له : ناد ،

٥٣٧/١

---

(١) فى ا : « الثانية » .

(٢) الخبر فى التفسير ٥ : ٤٦٨

(٣) ضبطها ياقوت بفتح الواو وسكون الراء ؛ وذكر أمر حزقيل بها .

(٤) التفسير : « حزقيل » .

فنادى : يأيتها الأجساد ، إن الله يأمرُك أن تقومى ، فقاموا[1]

حدثنى موسى ، قال : حدثنا عمر و ، قال : حدثنا أسباط ، قال : فزعم منصور بن المعتمر عن مجاهد أنهم قالوا حين أحيُوا : سبحانك ربنا وبحمدك لا إله إلا أنت ؛ فرجعوا إلى قومهم أحياء يعرفون أنهم كانوا موتى ، سحنةُ الموت على وجوههم ، لا يلبسون ثوبًا إلا عاد دسما مثل الكفن ، حتى ماتوا لآجالهم التى كتبت لهم . ٥٣٨/١

حدثنا ابن حميد ، قال: حدثنا حكّام ، عن عنبسة ، عن أشعث[2] ، عن سالم النّصْرىّ ، قال : بينما عمر بن الخطاب يصلى ويهوديان خلفه ، وكان عمر إذا أراد أن يركع خوّى[3] ، فقال أحدهما لصاحبه : أهو هو؟ قال : فلما انفتل عمر قال : أرأيت قولَ أحدكما لصاحبه : أهو هو ؟ فقالا : إنا نجد فى كتابنا قرنًا من حديد يعطَى ما أعطى حزقيل الذى أحيا الموتى بإذن الله ، فقال عمر : ما نجد فى كتابنا[4] حزقيل ، ولا أحيا الموتى بإذن الله إلا عيسى ابن مريم، فقالا: أما تجد فى كتابُ الله﴿ وَرُسُلاً لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ ﴾[5] ، فقال عمر : بلى ، قالا وأما إحياء الموتى فسنحدّثك أن بنى إسرائيل وقع فيهم الوباء ، فخرج منهم قوم حى إذا كانوا على رأس ميل أماتهم الله ، فبنوْا عليهم حائطًا ، حتى إذا بليت عظامهُم بعث الله حزْقيل فقام عليهم ، فقال: ما شاء الله! فبعثهم الله له، فأنزل الله فى ذلك :﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ . . . ﴾ ، الآية[6] .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثنا محمد بن إسحاق ، ٥٣٩/١

---

(١) الخبر فى التفسير ٥ : ٢٧٠

(٢) ا ، ن والتفسير : « أشعث بن أسلم البصرىّ » وانظر حواشى التفسير .

(٣) خوّى الرجل فى سجوده : تجافى وفرج ما بين عضديه وجنبيه .

(٤) ا ، والتفسير : «كتاب الله» .

(٥) سورة النساء: ١٦٤ .

(٦) الخبر فى التفسير ٥ : ٢٦٨ — ٢٧٠ .

عن وهب بن منبه : أن كالب بن يوفنّا لما قبضه الله بعد يوشع ، خلف فيهم – يعنى فى بنى إسرائيل – حزقيل بن بوذى، وهو ابن العجوز ،وهو الذى دعا للقوم الذين ذكر الله فى الكتاب لمحمد صلى الله عليه وسلم كما بلغنا: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ . . .﴾ الآية[١] .

قال ابن حميد : قال سلمة قال ابن إسحاق : فبلغنى أنه كان من حديثهم أنهم خرجوا فراراً من بعض الأوباء من الطاعون ، أو من سُقْم كان يصيب الناس حذرا من الموت[٢] وهم ألوف ، حتّى إذا نزلوا بصعيد من البلاد قال الله لهم: موتوا ، فماتوا جميعًا ، فعمد أهلُ تلك البلاد فحظروا[٣] عليهم حظيرة دون السباع ، ثم تركوهم فيها ، وذلك أنهم كثروا عن أن يغيَّبوا ، فمرت بهم الأزمان والدهور ، حتّى صاروا عظامًا نخرة ، فمرّ بهم حزقيل بن بوذى ، فوقف عليهم ، فتعجب لأمرهم، ودخلته رحمة لهم ، فقيل له : أتحب أن يحييهم الله ؟ فقال : نعم ، فقيل له : فقل : أيتها العظام الرميم، التى قد رمَّت وَبليت ، لِيرجعْ كل عظم إلى صاحبه . فناداهم بذلك ، فنظر إلى العظام تتواثب يأخذ بعضُها بعضًا ، ثم قيل له : قل أيها اللحم والعَصَب والجلد ، اكس العظام بإذن ربك[٤] ، قال فنظر إليها والعصب يأخذ العظام ، ثم اللحم والجلد والأشعار ، حتّى استووا خَلْقًا ليست فيهم الأرواح ، ثم دعا لهم بالحياة ، فتغشّاه من السماء شىء كَرَبه ، حتّى غُشِىَ عليه منه ، ثم أفاق والقوم جلوس يقولون : سبحان الله فقد أحياهم الله[٥] !

١/٥٤٠

فلم يذكر لنا مدةُ مكْث حزْقيل فى بنى إسرائيل .

* * *

(١) الخبر فى التفسير ٥ : ٢٤٣

(٢) ن : « حذر الموت » .

(٣) س : « فحفروا . . . حفيرة » ، ن : « فحوطوا » .

(٤) ا : « بأمر الله » .

(٥) الخبر فى التفسير ٥ : ٢٧٢ ، ٢٧٣ .

[إلياس واليسع عليهما السلام]

ولما قبض الله حزقيل كثرت الأحداث – فيما ذكر – فى بنى إسرائيل ، وتركوا عهد الله الذى عهد إليهم فى التوراة ، وعبدوا الأوثان ، فبعث الله إليهم فيما قيل : إلياس بن ياسين بن فنحاص[1] بن العيزار بن هارون بن عمران .

فحدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثنى محمد بن إسحاق : ثم إن الله عزّ وجلّ قبض حزقيل ، وعظمت فى بنى إسرائيل الأحداث ، ونسُوا ما كان من عهد الله إليهم ، حتى نصبوا الأوثان وعبدوها من دون الله ، فبعث الله إليهم إلياس بن ياسين بن فنْحاص بن العيزار بن هارون بن عمران نبيًّا ؛ وإنما كانت الأنبياء من بنى إسرائيل بعد موسى يُبعَثون إليهم بتجديد ما نسُوا من التوراة . فكان إلياسُ مع ملِك من ملوك بنى إسرائيل يقال له أحابَ ، وكان اسم امرأته أزبل[2] ، وكان يسمع منه ويصدّقه ، وكان إلياس يقيم له أمرَه ، وكان سائر بنى إسرائيل قد اتخذوا صنماً يعبدونه من دون الله ، يقال له : بَعْل . قال ابن إسحاق : وقد سمعت بعض أهل العلم يقول : ما كان بعْل إلا امرأة يعبدونها من دون الله يقول الله لمحمد ﴿ وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَلا تَتَّقُونَ ﴾ – إلى قوله : ﴿ اللهَ رَبَّكُمْ وَرَبَّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ ﴾[3] – فجعل إلياس يدعوهم إلى الله ، وجعلوا لا يسمعون منه شيئًا إلا ما كان من ذلك الملك ، والملوك متفرقة بالشأم ؛ كل ملك له ناحية منها يأكلها ، فقال ذلك الملِك ، الذى كان إلياس معه ، يقوم له بأمره[4] ، ويراه على هدى من بين أصحابه يومًا يا إلياس ، والله

٥٤١/١

---

(١) فى أبى الفدا : «فينحاس» ، وضبطه «بفاء مشربة بباء موحدة ، ثم ياء مثناة من تحتها ممالة ، ثم نون ساكنة ، ثم حاء مهملة ، ثم ألف ممالة وسين مهملة» .

(٢) ح : «أريك» ، س : «أربك» ، ن : «أزجل» . ، وفى التفسير : «إربل» .

(٣) سورة الصافات : ١٢٣ – ١٢٦ .

(٤) ا والتفسير : «يقوم له أمره» .

ما أرى ما تدعو إليه إلا باطلا ، والله ما أرى فلانًا وفلانًا فعدّ[١] ملوكًا من ملوك بنى إسرائيل قد عبدوا الأوثان من دون الله إلاّ على مثل ما نحن عليه ، يأكلون ويشربون ويتنعمون[٢]، مملَّكين ، ما ينقص دنياهم أمرهم الذى تزعم أنه باطل ، وما نرى لنا عليهم من فضل .

فيزعمون — والله أعلم — أن إلياس استرجع وقام شعرُ رأسه وجلده ، ثم رفضه وخرج عنه ففعل ذلك الملك فعل أصحابه ؛ عَبَدَ الأوثان ، وصنع ما يصنعون . فقال إلياس : اللهمّ إن بنى إسرائيل قد أبوْا إلا الكفر بك، والعبادة لغيرك ، فغيِّر ما بهم من نعمتك . أو كما قال[٣] .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثنى محمد بن إسحاق ، قال : ذكر لى أنه أوحى إليه : إنّا قد جعلنا أمر أرزاقهم بيدك وإليك ؛ حتى تكون أنت الذى تأمر فى ذلك . فقال إلياس : اللهمّ فأمسِكْ عنهم المطر . فحبس عنهم ثلاث سنين حتى هلكت الماشية والدوابّ والهوامّ والشجر ، وجَهِد الناس جهداً شديداً .

١/٥٤٢

وكان إلياس — فيما يذكرون — حين دعا بذلك على بنى إسرائيل قد استخفى شفقًا على نفسه منهم ، وكان حيث ما كان وضع له رزق ، فكانوا إذا وجدوا ريح الخبز فى دار أو بيت قالوا : لقد دخل إلياس هذا المكان، فطلبوه[٤]، ولقى أهل ذلك المنزل منهم شراً . ثم إنه أوى ليلة إلى امرأة من بنى إسرائيل، لها ابن يقال له اليسع بن أخطوب ، به ضُرٌّ، فآوته وأخفت أمرَه ، فدعا إلياس لابنها فعوفى من الضُّرّ الذى كان به ، واتبع اليسع فآمن به وصدّقه ولزمه ، فكان يذهب معه حيثما ذهب ، وكان إلياس قد أسنّ وكبر ، وكان اليسع غلامًا شابًا . فيزعمون — والله أعلم — أن الله أوحى إلى إلياس أنك قد أهلكت كثيراً من الخلق[٥] ممن لم يعصِ ، سوى بنى إسرائيل ممن لم أكن أريد هلاكه بخطايا

(١) كذا فى ا ، وفى ط : « يعد » ، وفى التفسير : « يعدد » .
(٢) ا : « ويمتعون » ، والتفسير : « وينعمون » .
(٣) الخبر فى التفسير ٢٣ : ٥٩ ، ٦٠ (بولاق) .
(٤) ح : « فيطلبونه فيلقى » .
(٥) ا : « الناس » .

بنى إسرائيل من البهائم والدوابّ والطير والهوامّ والشجر ، بحبس المطر عن بنى إسرائيل . فيزعمون — والله أعلم — أن إلياس قال : أىْ ربّ ، دعنى أكن أنا الذى أدعو لهم به ، وأكن أنا الذى آتيهم بالفرج مما هم فيه من البلاء الذى أصابهم ، لعلهم أن يرجعوا وينزعوا[1] عما هم عليه من عبادة غيرك . قيل له نعم ، فجاء إلياس إلى بنى إسرائيل ، فقال لهم : إنكم قد هلكتم جهداً ، وهلكت البهائم والدوابّ والطير والهوام والشجر بخطاياكم ، وأنكم على باطل وغرور — أو كما قال لهم — فإنْ كنتم تحبُّون أن تعلموا ذلك وتعلموا أنّ الله عليكم ساخط فيما أنتم عليه ، وأن الذى أدعوكم إليه الحق ، فاخرجُوا بأصنامكم هذه التى تعبدون وتزعمون أنها خير مما أدعوكم إليه ؛ فإن استجابت لكم فذلك كما تقولون ، وإن هى لم تفعل علمتم أنكم على باطل فنزعتم ، ودعوت الله ففرّج عنكم ما أنتم فيه من البلاء . قالوا : أنصفت ، فخرجوا بأوثانهم وما يتقربون به إلى الله من أحداثهم التى لا يرضى ، فدعوْها فلم تستجب لهم . ولم تفرّج عنهم ما كانوا فيه من البلاء ، حتى عرفوا ما هم فيه[2] من الضلالة والباطل ، ثم قالوا لإلياس : يا إلياس ، إنا قد هلكنا ، فادع الله لنا ، فدعا لهم إلياس بالفرج مما هم فيه ، وأن يُسْقَوْا ، فخرجت سحابة مثل الترس بإذن الله على ظهر البحر ، وهم ينظرون ، ثم ترامى إليه السحاب ، ثم أدجنت ، ثم أرسل الله المطر فأغاثهم ، فحييت بلادُهم ، وفرج عنهم ما كانوا فيه من البلاء ، فلم ينزعوا ولم يرجعوا وأقاموا على أخبث ما كانوا عليه . فلما رأى ذلك إلياس من كفرهم دعا ربّه أن يقبضه إليه فيريحَه منهم ، فقيل له — فيما يزعمون : انظر يوم كذا وكذا فاخرج فيه إلى بلد كذا وكذا ، فما جاءك من شىء فاركبه ولا تهبه ، فخرج إلياس ، وخرج معه اليسع بن أخطوب حتى إذا كان بالبلد الذى ذكر له فى المكان الذى أمر به أقبل فرسٌ من نار ، حتى وقف بين يديه فوثب عليه ، فانطلق به فناداه اليسع : يا إلياس ، يا إلياس ، ما تأمرنى ؟ فكان آخر عهدهم به ، فكساه الله الريش وألبسه النور ، وقطع عنه لذة

١/٥٤٣ ، ١/٥٤٤

(١) ن : « ويقلعوا » .

(٢) كذا فى ا ، ن ؛ وفى ط : « عليه » .

المطعم ، والمشرب ، وطار فى الملائكة،فكان إنسيًّا مَلكيًّا أرضيًّا سمائيًّا(١) .

* * *

ثم قام بعد إلياس بأمر بنى إسرائيل – فيما حدثنا ابن حُميد ، قال : حدثنا سلمة عن ابن إسحاق ، قال : كما ذكر لى عن وهب بن منبّه قال : ثم نبِّئ فيهم – يعنى فى بنى إسرائيل – بعده يعنى [بعد](٢) إلياس – اليسع ، فكان فيهم ما شاء الله أن يكون ، ثم قبضه الله إليه ، وخلفت فيهم الخُلوف ، وعظمت فيهم الخطايا ، وعندهم التابوت يتوارثونه كابراً عن كابر ، فيه السكينة وبقية مما ترك آل موسى وآل هارون ، فكانوا لا يلقاهم عدوٌّ فيقدّمون التابوت ويزحفون به معهم إلا هزم الله ذلك العدو .

والسكينة فيما ذكر ابن إسحاق عن وهب بن منبه عن بعض أهل العلم من بنى إسرائيل رأسُ هرة ميتة ، فإذا صَرَخت فى التابوت بصُراخ هرّ أيقنوا بالنصر ، وجاءهم الفتح .

ثم خلف فيهم ملِك يقال له إيلاف ، وكان الله قد بارك لهم فى جبلهم من إيليا ، لا يدخله عليهم عدو ، ولا يحتاجون معه إلى غيره ، فكان أحدهم – فيما يذكرون – يجمع التّراب على الصخرة ، ثم ينبذ فيه الحبّ ، فيخرج الله له ما يأكل [منه](٢) سنة(٣) هو وعياله ، ويكون لأحدهم الزيتونة فيعتصر منها ما يأكل ؛ هو وعيالُه سنة(٣) ، فلما عظمت أحداثهم ، وتركوا عهدَ الله إليهم ، نزل(٤) بهم عدوّ فخرجوا إليه وأخرجوا التابوت كما كانوا يخرجونه، ثم زحفوا به فقوتلوا حتى استُلِب(٥) من أيديهم ، فأتى ملكهم إيلاف ، فأخبر أن التابوت قد أخذ واستلب ، فمالت عنقه فمات كمداً عليه ، فرج أمرهم بينهم(٦) واختلف ووطئهم عدوهم حتى أصيب من أبنائهم ونسائهم ، فكثوا على اضطراب من أمرِهم ، واختلاف من أحوالهم يتمادوْن أحيانًا فى غيهم وضلالهم ، فسلط(٧) الله عليهم مَنْ ينتقم به منهم ، ويراجعون التوبة أحيانًا فيكفيهم الله[عند

(١) الخبر فى التفسير ٢٣ : ٦٠ (بولاق) (٢) من ن .
(٣) ا ، والتفسير : « سنته » . (٤) ن : «نهض» . (٥) ا ، ن : «استبى» .
(٦) التفسير : « فرج أمرهم عليهم » ، وابن الأثير : « واختل » .
(٧) ا : « فيسلط » .

١/٥٤٥

ذلك][1] شر مَنْ بَغَاهم سوءاً ؛ حتى بعث الله فيهم طالوت ملكاً ، وردَّ عليهم تابوت الميثاق[2] .

* * *

وكانت مدة ما بين وفاة يوشع بن نون — التى كان أمْر بنى إسرائيل فى بعضها إلى القضاة منهم والساسة ، وفى بعضها إلى غيرهم ممن يقْهرهم فيتملّك عليهم من غيرهم إلى أن ثبت الملك فيهم ، ورجعت النبوة اليهم بشمويل بن بالى — أربعمائة سنة وستين سنة . فكان أولَ من سُلِّط عليهم فيما قيل رجل من نسل لوط ، يقال له :كوشان ، فقهرهم وأذلهم ثمانىَ سنين ، ثم تنقّذهم[3] من يده أخ لكالب الأصغر يقال له عتنيل[4] بن قيس — فقام بأمرهم فيما قيل — أربعين سنة ، سُلّط عليهم ملك يقال له جعلون[5] فملكهم ثمانىَ عشرة سنة ، ثم تنقّذهم منه — فيما قيل — رجل من سبط بنيامين يقال له أهود بن جيرا[6] الأشلّ اليمنى ، فقام بأمرهم ثمانين سنة ، ثم سلط عليهم ملك من الكنعانيين يقال له يا فين[7] ، فملكهم عشرين سنة ، ثم تنقّذهم — فيما قيل — امرأة نبية من أنبيائهم يقال لها دبورا[8] فدبر أمرهم — فيا قيل — رجل من قِبلها يقال له باراق أربعين سنة ، ثم سُلط عليهم قوم[9] من نسل لوط كانت منازلهم فى تخوم الحجاز فملكوهم سبع سنين ، ثم تنقّذهم منهم رجل من ولد نفثالى بن يعقوب يقال له جدعون بن يواش[10] ، فدبر أمرهم أربعين سنة ، ثم دبر أمرهم من بعد جدعون ابنه أبيملك[11] بن جدعون ثلاث سنين ، ثم دبرهم من بعد أبيملك تولغ بن فوا بن خال أبيملك . وقيل إنه ابن عمه — ثلاثا وعشرين سنة ، ثم دبر

١/٥٤٦

---

(١) من ا
(٢) الخبر فى التفسير ٥ : ٢٩٥ ، ٢٩٦
(٣) ا : « انتقذهم » .
(٤) ا : « عتبيل » .
(٥) ط : « عجلون » ، وما أثبته من ا
(٦) ا : « أعور بن حنا » .
(٧) ا ، ن : « ياقيس » .
(٨) ا ، س ، وفى ح : « ديوار » .
(٩) س : « أهل » ، ن : « ولد » .
(١٠) ا ، ن : « برانس » .
(١١) ا ، ن : « أينمك » .

أمرهم بعد تولغ رجل من بنى إسرائيل يقال له: يائير [١] اثنتين وعشرين سنة ،

١/٥٤٧ ثم ملكهم بنو عمون ، وهم قوم من أهل فلسطين ثمانىَ عشرة سنة ، ثم قام بأمرهم رجل منهم يقال له يفتح ست سنين ، ثم دبرهم من بعده يحشون [٢] ، وهو رجل من بنى إسرائيل سبعَ سنين ، ثم دبرهم بعده ألون عشر سنين ، ثم من بعده كيرون [٣] — ويسميه بعضهم عكرون — ثمانى سنين ، ثم قهرهم أهل فلسطين وملوكهم أربعين سنة ، ثم وليهم شمسون وهو من بنى إسرائيل عشرين سنة ، ثم بقُوا بغير رئيس ولا مدبّر لأمرهم بعد شمسون — فيما قيل — عشر سنين ، ثم دبر أمرهم بعد ذلك عالى الكاهن ، وفى أيامه غلب أهل غزّة وعسقلان على تابوت الميثاق ، فلما مضى من وقت قيامه بأمرهم أربعين سنة ، بعث سمويل نبيا فدبر شمويل [٤] أمرهم — فيما ذكر — عشر سنين. ثم سألوا شمويل حين نالهم بالذل والهوان بمعصيتهم ربهم أعداؤهم ، أن يبعث لهم ملِكًا يجاهدون معه فى سبيل الله ، فقال لهم شمويل ما قد قصّ الله فى كتابه العزيز .

---

(١) ا : « يابين » ، ن : « يانين » .

(٢) ا ، « يخشون » .

(٣) ا : « ليزون » .

(٤) ا : « سمويل » . ، وهو فى كل مرة يرد اسمه فيها كذلك .

ذكر خبر شمويل بن بالى بن علقمة بن يرخام بن اليهو ابن تهو بن صوف ، وطالوت وجالوت

كان من خبر شمويل بن بالى أن بنى إسرائيل لما طال عليهم البلاء ، وأذلتهم الملوك من غيرهم ، ووطئت بلادهم ، وقتلوا رجالهم ، وسبوا ذراريهم، وغلبوهم[1] على التابوت الذى فيه السكينة والبقية[2] مما ترك آل موسى وآل هارون ، وبه كانوا ينصرون إذا لقوا العدو ، ورغبوا[3] إلى الله عز وجل فى أن يبعث لهم نبيًّا يقيم أمرهم .

فحدثنى موسى بن هارون الهمدانى ، قال : حدثنا عمرو بن حماد ، قال : حدثنا أسباط عن السدّىّ ، فى خبر ذكره عن أبى مالك وأبى صالح عن ابن عباس — وعن مرة عن ابن مسعود — وعن ناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم : كانت بنو إسرائيل يقاتلون العمالقة ، وكان ملك العمالقة جالوت ، وأنهم ظهروا على بنى إسرائيل فضربوا عليهم الجزية ، وأخذوا توراتهم ، فكانت بنو إسرائيل يسألون الله أن يبعث لهم نبيًّا يقاتلون معه ، وكان سبط النبوّة قد هلكوا ، فلم يبق منهم إلا امرأة حُبْلى فأخذوها فحبسوها فى بيت ، رهبة أن تلد جارية فتبدله بغلام ، لما ترى من رغبة بنى إسرائيل فى ولدها ، فجعلت المرأة تدعو الله أن يرزقها غلامًا ، فولدت غلامًا فسمته سمعون[4] ، تقول : الله سمع دعائى . فكبر الغلام ، فأسلمته يتعلّم التوراة فى بيت المقدس ، وكفله شيخ من علمائهم ، وتبنّاه ، فلما بلغ الغلام أن يبعثه الله نبيًّا ، أتاه جبريل والغلام نائم إلى جنب الشيخ ، وكان لا يأمن[5] عليه أحداً غيره فدعاه بلحن الشيخ : يا شمويل ، فقام الغلام فزعًا إلى الشيخ ، فقال : يا أبتاه ،

(١) س ، ن : « وغلبوا » .
(٢) كذا فى ا ، ح ، س ، وفى ط : « بقية » .
(٣) كذا فى ا ، ح ، وفى ط : « رغبوا » .
(٤) كذا فى ا ، ح ، س ، وفى ط : « شمعون » .
(٥) كذا فى ا ، وفى ط : « لا يتمن »

دعوتنى ! فكره الشيخ أن يقول : لا فيفزع الغلام ، فقال : يا بنىّ ، ارجع فنم ، فرجع الغلام فنام . ثم دعاه الثانية فلباه[١] الغلام أيضًا ، فقال : دعوتنى ! فقال ارجع فنم ، فإن دعوتك الثالثة فلا تجبنى ، فلما كانت الثالثة ظهر له جبرئيل عليه السلام فقال : اذهب إلى قومك فبلّغهم رسالة ربك ، فإن الله قد بعثك فيهم نبيًّا . فلما أتاهم كذبوه وقالوا : استعجلت بالنبوّة ولم يألك[٢] وقالوا : إن كنت صادقًا فابعث لنا ملكًا يقاتل فى سبيل الله ، آية من نبوتك، قال لهم سمعون : عسى إن كُتِب عليكم القتال ألاّ تقاتلوا[٣] .

قالوا وما لنا ألا نقاتل فى سبيل الله وقد أخرجنا من ديارنا وأبنائنا بأداء الجزية، فدعا الله فأتى بعصًا ، تكون مقداراً على طول الرجل الذى يُبعث فيهم ملكًا ، فقال : إن صاحبكم يكون طوله طولَ هذه العصا ، فقاسوا أنفسهم بها ، فلم يكونوا مثلَها ، وكان طالوت رجلاً سقَّاء يستقِى على حمار له ، فضلّ حمارُه ، فانطلق يطلبه فى الطريق ، فلما رأوه دعوه فقاسوه بها فكان مثلها ؛ وقال لهم نبيهم: ﴿ إِنَّ اللهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا﴾[٤] قال القوم: ما كنتَ قطّ أكذبَ منك الساعة ، ونحن من سِبْط المملكة ، وليس هو من سِبْط المملكة ،ولم يؤتَ أيضًا سعةً من المال فنتبعه لذلك ، فقال النبى : ﴿ إِنَّ اللهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِى الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ ﴾[٤] ،فقالوا : فإن كنت صادقًا فأتنا بآية أنّ هذا ملِك ، قال: ﴿ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَى وَآلُ هَارُونَ ﴾[٥] . ٥٥٠/١

والسكينة طِسْت من ذهب يُغسل فيها قلوب الأنبياء، أعطاها الله موسى ، وفيها وضع الألواح ، وكانت الألواح –فيما بلغنا– من درّ وياقوت وزبرجد، وأما البقية فإنها عصا موسى ورُضاضة الألواح ، فأصبح التابوت وما فيه فى دار

(١) ط : « فأتاه » ، وما أثبته من ا .
(٢) كذا فى ا والتفسير ، وفى ط : « ولم نبالك » .
(٣) إلى هنا ينتهى الخبر فى التفسير ٥ : ٢٩٨ ، ٢٩٩ .
(٤) سورة البقرة : ٢٤٧ ، والخبر فى التفسير ٥ : ٣١٩ . (٥) سورة البقرة : ٢٤٨ .

طالوت ، فآمنوا بنبوّة سمعون ، وسلّموا الملك لطالوت .

حدثنا القاسم ، قال : حدثنا الحسين ، قال : حدثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال ابن عباس : جاءت الملائكة بالتابوت تحمله بين السماء والأرض ، وهم ينظرون إليه حتّى وضعتْه عند طالوت .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد : نزلت الملائكة بالتابوت نهاراً ينظرون إليه عيانًا ، حتّى وضعوه بين أظهرهم ، قال : فأقرّوا غيرَ راضين ، وخرجوا ساخطين .

رجع الحديث إلى حديث السدّى . فخرجوا معه وهم ثمانون ألفًا ، وكان جالوت من أعظم الناس وأشدّهم بأسًا ، يخرج[1] يسير بين يدى الجند ، ولا يجتمع إليه أصحابه حتّى يهزم هو مَنْ لقى ، فلما خرجوا قال لهم طالوت : ﴿ إِنَّ اللهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّى وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّى ﴾[2] وهو نهر فلسطين ، فشربوا منه هيبةً من جالوت ، فعَبر معه منهم أربعة آلاف ورجَع ستة وسبعون ألفًا ، فمن شرب منه عطِش ، ومن لم يشربْ منه إلا غرفة روى ، فلما جاوزه هو والذين آمنوا معه ، فنظروا إلى جالوت رجعوا أيضًا وقالوا: ﴿ لاَ طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلاَقُوا اللهِ ﴾، الذين يستيقنون ﴿ كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللهِ وَاللهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾[2]. فرجع عنه أيضًا ثلاثة آلاف وستّمائة وبضعة وثمانون ، وخلص فى ثلثمائة وتسعة[3] عشر عدة أهل بدر .

١/٥٥١

حدثنى المثنّى ، قال ، حدثنا إسحاق بن الحجاج ، قال : حدثنا إسماعيل ابن عبد الكريم ، قال : حدثنى عبد الصمد بن معقل : أنه سمع وهب بن منبه يقول : كان لعيلى الذى ربى شمويل ابنان شابان ، أحدثا فى القُرْبان

---

(١) كذا فى ا ، وفى ط : « فخرج » .

(٢) سورة البقرة : ٢٤٩ .

(٣) فى ا ، : « بضعة » .

شيئاً لم يكن فيه كان مِسْوَط القُربان الذى كانوا يسوطونه به كلاّبَيْن ، فما أخرجا كان للكاهن الذى يَسُوطه ، فجعله ابناه كلاليب ، وكانا إذا جاءت النساء يصلّين فى القدس يتشبثان بهنّ . فبينما أشمويل نائم قبل البيت الذى كان ينام فيه عيلى إذ سمع صوتاً يقول : أشمويل ! فوثب إلى عيلى فقال : لبيك ، فقال : مالك دعوتنى ؟ قال : لا ! ارجع ، فنم . فنام ، ثم سمع صوتاً آخر يقول : أشمويل ! فوثب إلى عيلى أيضاً ، فقال : لبيك ؛ مالك دعوتنى ؟ فقال : لم أفعل ، ارجع فنم ، فإن سمعت شيئاً فقل : «لبيك» مكانك ، « مرنى فافعل » ، فرجع فنام فسمع صوتاً أيضاً يقول : أشمويل ، فقال : لبيك ، أنا هذا فرنى أفعل ، /٥٥٢ قال : انطلق إلى عيلى ، فقل له : منعه حُبّ الولد من أن يزجُر ابنيه أن يُحدثا فى قدسى وقُربانى ، وأن يَعصيانى ، فلأنزعنّ منه الكهانة ومن ولده ، ولأهلكنّه وإياهما ، فلما أصبح سأله عيلى فأخبره ، ففزِع لذلك فزعاً شديداً ، فسار إليهم عدوٌّ ممن حوله فأمر ابنيه أن يخرجا بالناس ويقاتلا ذلك العدو ، فخرجا وأخرجا معهم التابوت الذى فيه الألواح وعصا موسى لينتصروا به[١] . فلما تهيئوا للقتال هم وعدوهم جعل عيلى يتوقع الخبر : ماذا صنعوا ؟ فجاءه رجل يخبره[٢] وهو قاعد على كرسيه : أنّ ابنَيك قد قتلا ، وأن الناس قد انهزموا ، قال : فما فعل التابوت ؟ قال : ذهب به العدو قال فشهِق ووقع على قفاه من كرسيه فمات ، وذهب الذين سَبَوُا التابوت حتى وضعوه فى بيت آلهتهم ، ولهم صنم يعبدونه ، فوضعوه تحت الصنم والصنم من فوقه ، فأصبح من الغد الصنم تحته ، وهو فوق الصنم ، ثم أخذوه فوضعوه فوقه ، وسمّروا قدميه فى التابوت ، فأصبح من الغد قد قطعت يد الصنم ورجلاه ، وأصبح ملقىً تحت التابوت ، فقال بعضهم لبعض : أليس[٣] قد علمتم أن إله بنى إسرائيل لايقوم له شىء ! فأخرجوه من بيت آلهتكم . فأخرجوا التابوت فوضعوه فى ناحية من قريتهم ، فأخذ أهل تلك الناحيةَ التى وضعوا فيها التابوتَ وَجعٌ فى أعناقهم ، فقالوا : ما هذا ؟ فقالت لهم جارية كانت عندهم من سَبى بنى إسرائيل : لا تزالون

---

(١) س : «بها» ، التفسير : «لينصروا به» .
(٢) ا ن : «فخبره» .
(٣) ن : «ألستم» .

تروْن ما تكرهون ! ما كان هذا التابوت فيكم ، فأخرجوه من قريتكم . قالوا : ٥٥٣/١
كذبت ، قالت : إن آية ذلك أن تأتوا ببقرتيْن ، لهما أولاد لم يوضع عليهما
نِير ٌ قطّ ، ثم تضعوا وراءهما العجل ، ثم تضعوا التابوت على العجل وتسيّروهما
وتحبسوا أولادهما ، فإنهما تنطلقان به مذعنتين ، حتى إذا خرجتا من أرضكم
ووقعتا فى أدنى أرض بنى إسرائيل كسرتا نِيرَهما ، وأقبلتا إلى أولادهما ،
ففعلوا ذلك ، فلما خرجتا من أرضهم ، ووقعتا[1] فى أدنى أرض بنى إسرائيل ،
كسرتا نِيرهما وأقبلتا إلى أولادهما ، ووضعتاه فى خربة فيها حصاد من
بنى إسرائيل ، ففزع إليه بنو إسرائيل ، وأقبلوا إليه فجعل لا يدنو منه[2]
أحد إلا مات ، فقال لهم نبيهم أشمويل اعترضوا[3] ، فمن آنس من نفسه قوة
فليدنُ منه ، فعرضوا عليه الناس ، فلم يقدِرْ أحد على أن يدنُوَ منه ؛ إلا
رجلان من بنى إسرائيل ، أذن لهما بأنْ يحملاه إلى بيت أمهما ، وهى أرملة ،
فكان فى بيت أمهما ، حتى مَلَك طالوت ، فصلُح أمر بنى إسرائيل مع
أشمويل[4] . فقالت بنو إسرائيل : لأشمويل : ابعث لنا ملكًا يقاتل فى سبيل
الله ، قال : قد كفاكم الله القتال ، قالوا إنا نتخوّفُ مَنْ حولنا ، فيكون لنا
ملك نفزع إليه ، فأوحى الله إلى أشمويل : أن ابعثْ لهم طالوت ملكًا وادهُنه
بدهن القدس ، فضلت حمر لأبى طالوت ، فأرسله وغلاما له يطلبانها فجاءا
إلى أشمويل يسألانه عنها ، فقال إنّ الله قد بعثكَ ملكًا على بنى إسرائيل ، ٥٥٤/١
قال : أنا ! قال : نعم ، قال أو ما علمت أنّ سِبْطى أدنى أسباط
بنى إسرائيل ! قال : بلى ، قال . أفما علمت أنّ قبيلتى أدنى قبائل سِبْطى !
قال : بلى ، قال : أما علمت أن بيتى أدنى بيوت قبيلتى ؟ قال : بلى ، قال : فبأية آية ؟
قال : بآية أنك ترجع وقد وجد أبوك حُمرَه ، وإذا كنت فى مكان كذا وكذا
نزل عليك الوحى . فدهنَه بدُهْن القدس ، وقال لبنى إسرائيل : ﴿ إِنَّ اللَّهَ قَدْ
بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكاً قَالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ

---

(١) ن : « ووضعتاه » .
(٢) ن : « إليه » .
(٣) كذا فى ا ، ن والتفسير ، وفى ط : « أعرضوا » .
(٤) إلى هنا ، الخبر فى التفسير ٥ : ٣١٨ — ٣٢٠ .

بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ ﴾(١).

رجع الحديث إلى حديث السدىّ. ﴿ وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا ﴾(٢) فعبَر يومئذ أبو داود فيمن عَبَر فى ثلاثة عشر ابنًا له ، وكان داود أصغَر بنيه وإنه أتاه ذات يوم فقال : يا أبتاه ، ما أرمى بقذّافتى شيئًا إلا صرعته ، قال : أبشِرْ يا بنى ، إن الله قد جعل رزقك فى قَذّافتك ، ثم أتاه مرة أخرى فقال : يا أبتاه لقد دخلت بين الجبال فوجدت أسداً رابضًا فركبت عليه وأخذت بأذنيه فلم يهجنى ، فقال : أبشر يا بنى ، فإن هذا خيرٌ يعطيكه الله ، ثم أتاه يومًا آخر ، فقال : يا أبتاه إنى لأمشى بين الجبال فأسبِّح فلا يبقى جبل إلا سبّح معى ، فقال : أبشِرْ يا بنى ، فإنّ هذا خيرٌ أعطاكه الله — وكان داود راعيًا ، وكان أبوه خلّفه يأتى إلى أبيه وإلى إخوته بالطعام — فأتى النبى عليه السلام بقرن فيه دُهن وتَنور من حديد ، فبعث به إلى طالوت ، قال : إنّ صاحبكم الذى يقتل جالوت يوضع هذا القرن على رأسه ، فيغلى حتى يدّهن منه ولا يسيل على وجهه ، ويكون على رأسه كهيئة الإكليل ، ويدخل فى هذا التنور فيملأه . فدعا طالوت بنى إسرائيل ، فجرّبهم به فلم يوافقه منهم أحد ، فلما فرَغوا قال طالوت لأبى داود : هَلْ بقى لك ولد لم يشهدنا ؟ قال : نعم ، بقى ابنى داود ، وهو يأتينا بطعام ، فلما أتاه داود مرّ فى الطريق بثلاثة أحجار فكلّمنه وقلن له : خذنا يا داود تقتل بنا جالوت ، قال : فأخذهنّ وجعلهن فى مخلاته ، وكان طالوت قد قال : مَنْ قتل جالوت زوّجته ابنتى ، وأجريت خاتمه فى ملكى ، فلما جاء داود وضعوا القرن على رأسه ، فغلَى حتى ادّهن منه ولبس التنور فملأه ، وكان رجلا مسقاما مصفارًّا ، ولم يلبسه أحد إلا تقلقل فيه ، فلما لبِسه داود تضايق التنّور عليه حتى تنقّض ، ثم مشى إلى جالوت ، وكان جالوت من أجْسَم الناس وأشدّهم ،

١/٥٥٥

(١) سورة البقرة : ٢٤٧ ، والخبر فى التفسير ٥ : ٣٠٨ ، ٣٠٩

(٢) سورة البقرة : ٢٥٠ .

فلمّا نظر إلى داود قُذِفَ فى قلبه الرعب منه ، فقال له : يا فتى ، ارجع فإنى أرحمك أن أقتلَك ، فقال داود : لا بل أنا أقتلك . فأخرج الحجارة فوضعها فى القذّافة ، كلّما رفع منها حجرا سمّاه ، فقال : هذا باسم أبى إبراهيم ، والثانى باسم أبى إسحاق ، والثالث باسم أبى إسرائيل ، ثم أدار القذّافة فعادت الأحجار حجراً واحداً ، ثم أرسلَه فصكّ به بين عينى جالوت فنَقبَتْ رأسه ، ثم قتلته ؛ فلم تزل تقتل كلّ إنسان تصيبه تنفذ فيه ، حتى لم يكن بحيالها أحد ، فهزموهم عند ذلك ، وقتل داود جالوت ، ورجع طالوت فأنكح داود ابنته ، وأجرى خاتَمه فى ملكه ، فمال الناس إلى داود وأحبّوه . ١/٥٥٦

فلما رأى ذلك طالوت وجَد فى نفسه وحسده ، وأراد قتلَه ، فعلم داود أنه يريده بذلك[١] ، فسجّى[٢] له زِقّ خمر فى مضجعه ، فدخل طالوت إلى منام داود وقد هرب داود ، فضرب الزِّقّ ضربة فخرقه ، فسالت[٣] الخمر منه ، فوقعت قطرة من خمرٍ[٤] فى فيه ، فقال : يرحم الله داود ، ما كان أكثر شربَه للخمر ! ثم إن داود أتاه من القابلة فى بيته وهو نائم ، فوضع سهمين عند رأسه ، وعند رجليه وعن يمينه وعن شماله سهمين سهمين ، ثم نزل . فلما استيقظ طالوت بصُر بالسهام فعرفها فقال : يرحم الله داود ، هو خيرٌ منّى ، ظفرت به فقتلته[٥] وظَفِر بى فكفّ عنى ! ثم إنه ركب يومًا فوجده يمشى فى البرّية ، وطالوت على فرس ، فقال طالوت : اليوم أقتلُ داود — وكان داود إذا فزع لم يدرَك — فركَض على أثره طالوت ، ففزع داود ، فاشتدّ فدخل غاراً ، فأوحى الله إلى العنكبوت فضربت عليه بيتًا ، فلما انتهى طالوتُ إلى الغار نظر إلى بناء العنكبوت ، فقال : لو كان دخل ها هنا لخرَق بيت العنكبوت ، فخيِّل إليه فتركه .

وطعن العلماءُ على طالوت فى شأن داود ، فجعل طالوت لا ينهاه أحدٌ عن داود إلا قتله ، وأغراه الله بالعلماء يقتلهم ، فلم يكن يقدر فى بنى إسرائيل على عالم يُطيق قتله إلا قتله ، حتى أُتِىَ بامرأة تعلم اسم الله الأعظم ، فأمر الخبّاز[٦] أن يقتلها ، ١/٥٥٧

---

(١) س : « يريد ذلك » . (٢) سجى الشىء : غطاه .

(٣) فى ا ، ح : « فسال » والخمر تذكر وتؤنث .

(٤) ط : « الخمر » ، وما أثبته عن ا ، ح ، س .

(٥) كذا فى الأصول ، وفى ابن الأثير : « فأردت قتله » . (٦) كذا فى ا ، وفى ط : « الجبار » .

فرحمها الخباز ، وقال : لعلنا نحتاج إلى عالم. فتركها ، فوقع فى قلب طالوت التوبة وندم ، وأقبل على البكاء حتى رحمه الناس ، وكان كلَّ ليلة يخرج إلى القبور فيبكى ، وينادى : أنشد الله عبداً علم أن لى توبةً إلاَّ أخبرنى بها ! فلما أكثر[1] عليهم [ليالِىَ][2] ناداه مناد من القبور : أن يا طالوت ، أما ترضى أن قتلتَنا أحياء حتى تؤذينا أمواتًا ! فازداد بكاء وحزنًا ، فرحمه الخباز فكلمه فقال : مالك ؟ فقال : هل تعلم لى فى الأرض عالمًا أسأله : هل لى من توبة ؟ فقال له الخباز : هل تدرى ما مثلُك ؟ إنما مثلُك مثلُ ملِك نزل قريةً عشاء فصاح الديك ، فتطيّر منه ، فقال : لا تتركوا فى القرية ديكًا إلا ذبحتموه ، فلما أراد أن ينام قال : إذا صاح الديك فأيقظونا حتى نُدْلِج[3] ، فقالوا له : وهل تركتَ ديكًا يُسمع صوته ! ولكن هل تركتَ عالمًا فى الأرض ! فازداد حزنًا وبكاء ، فلما رأى الخباز منه الجدَّ ، قال : أرأيتُك إن دللتك على عالم لعلك أن تقتله ! قال : لا ، فتوثق عليه الخباز ، فأخبره أن المرأة العالمة عنده ، قال : انطلِق بى إليها أسألها هل لى من توبة ؟ وكان إنما يعلم ذلك الاسم أهل بيت ؛ إذا فنيَت رجالهم علمت النساء ، فقال : إنها إن رأتك غُشِى عليها ، وفزعتْ منك ، فلما بلغ الباب خلّفه خلفه ، ثم دخل عليها الخباز ، فقال لها : ألستُ أعظم الناس منّة عليك ؟ أنجيتكِ من القتل ، وآويتك عندى. قالت : بلى ، قال : فإنّ لى إليك حاجة ، هذا طالوت يسألكِ : هل له من توبة ؟ فغشى عليها من الفَرَق ، فقال لها : إنه لا يريد قتلك ، ولكن يسألك : هل له من توبة ؟ قالت : لا ، والله ما أعلم لطالوت توبةً ، ولكنْ هل تعلمون مكان قبر نبىّ ؟ قالوا : نعم ، هذا قبر يوشع بن نون ، فانطلقتْ وهما معها إليه ، فدعتْ ، فخرج يوشع بن نون ينفضُ رأسَه من التراب ، فلما نظر إليهم ثلاثتِهم قال : ما لكم ؟ أقامت القيامة ؟ قالت : لا ، ولكن طالوت يسألك : هل له من توبة ؟ قال يوشع : ما أعلم لطالوت من توبة إلا أن يتخلّى من ملكه ، ويخرج هو وولده فيقاتلون[4] بين يديه فى سبيل الله ، حتى إذا قُتِلوا شدَّ هو فقُتل ، فعسى أن يكون

/٥٥٨

---

(١) ح ، س : « كثر ». (٢) تكلة من ا ، ح ، س

(٣) الإدلاج هنا : السير آخر الليل .

(٤) ن : « يقاتلون ».

ذلك له توبة ، ثم سقط ميتًا فى القبر .

ورجع طالوت أحزنَ ما كان ؛ رهبة[1] ألاّ يتابعه ولده ، فبكى حتّى سقطت أشفار عينيه ، ونحَل جسمُه ، فدخل عليه بنوه وهم ثلاثة عشر رجلا فكلّموه وسألوه عن حاله ، فأخبرهم خبره ، وما قيل له فى توبته ، فسألهم أن يغزوا معه ، فجهّزهم فخرجوا معه ، فشدّوا بين يديه حتّى قتلوا ، ثم شدّ بعدهم هو فقتل ، وملك داود بعد ذلك ، وجعله الله نبيًّا ، فذلك قوله عزّ وجلّ : ﴿ وآتاهُ اللهُ المُلْكَ والحِكْمَةَ ﴾ ؛ قيل : هى النبوّة ؛ آتاه نبوّة شمعون وملك طالوت . ٥٥٩/١

* * *

واسم طالوت بالسريانية شاول بن قيس بن أبيال[2] بن ضرار بن يحرت[3] بن أفيح بن أيش[4] بن بنيامين بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم[5] .

وقال ابن إسحاق : كان النبىّ الذى بعث لطالوت من قبره حتّى أخبره بتوبته اليسع بن أخطوب ؛ حدثنا بذلك ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق .

* * *

وزعم أهل التوراة أنّ مدة ملك طالوت من أولها إلى أن قتل فى الحرب مع ولده كانت أربعين سنة .

(١) ا ، س : « قط رهبة » .
(٢) ن : « أنيال » .
(٣) ا والتفسير : « يحرب » .
(٤) التفسير : « آيس » .
(٥) التفسير ٥ : ٣٠٨

ذكر خبر داود بن إيشى بن عويد بن باعز بن سلمون بن نحشون بن عمى نادب بن رام بن حصرون بن فارص بن يهوذا بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم

وكان داود عليه السلام[1] — فيما حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة عن ابن إسحاق، عن بعض أهل العلم، عن وهب بن منبّه — قصيراً أزرق قليلَ الشعر، طاهر القلب نقيَّه.

١/٥٦٠ حدثنى يونس بن عبد الأعلى، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: حدثنى ابن زيد فى قول الله: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ﴾ إلى قوله: ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾[2] قال: أوحى الله إلى نبيّهم أنّ فى وَلَد فلان رجلا يقتل الله به جالوت، ومن علامته هذا القرن يضعه على رأسه فيفيض ماء، فأتاه فقال: إن الله عزّ وجلّ أوحى إلىّ أنّ فى وَلَدك رجلاً يقتلُ الله به جالوت. فقال: نعم يانبى الله، قال: فأخرجَ له اثنى عشر رجلا أمثالَ السَّوارى[3]، وفيهم رجل بارع [عليهم][4]، فجعل يعرضهم على القَرْن فلا يرى شيئاً، فيقول لذلك الجسيم: ارجع، فيردّده عليه، فأوحى الله إليه: إنا لا نأخذ الرجال على صُورهم، ولكنا نأخذهم على صلاح قلوبهم، قال: ياربّ، قد زعم أنه ليس له ولد غيره، فقال: كذب، فقال: إن ربى قد كذّبك، وقال: إن لك ولداً غيرهم. قال: قد صدق يا نبىّ الله، إن لى ولداً قصيراً استحييت أن يراه الناس فجعلته فى الغنم، قال: فأين هو؟ قال: فى شِعْب كذا وكذا، من جبل كذا وكذا، فخرج إليه فوجد الوادىَ قد سال بينه وبين البقعة التى كان يريح[5] إليها. قال: ووجده يحمل شاتين شاتين، يُجيزُ بهما السَّيْل ولا يخوض بهما السيل. فلما رآه قال: هذا هو، لا شكّ فيه، هذا

---

(١) ا: «وكان داود رجلا». (٢) سورة البقرة ٢٤٣ — ٢٤٦.

(٣) السوارى: الأعمدة، جمع سارية. (٤) تكلة من ا والتفسير، والبارع: الذى يفوق أصحابه فى العلم وغيره. (٥) أراح الغنم: ردها إلى مراحها.

يرحم البهائم ، فهو بالناس أرحم ! قال : فوضع القرن على رأسه ففاض[١] .

حدثنى المثنَّى ، قال : حدثنا إسحاق ، قال ، حدثنا إسماعيل بن عبد الكريم ، قال : حدثنى عبد الصمد بن معقِل ، عن وهب بن منبِّه قال : ١/٥٦١
لما سلَّمت بنو إسرائيل المُلكَ لطالوت ، أوحى الله إلى نبيِّ بنى إسرائيل : أن قل لطالوت : فلْيغزُ أهلَ مدينَ ، فلا[٢] يترك فيها حيًّا إلا قتله ، فإنى سأظهرُه عليهم ، فخرج بالناس حتى أتى مدينَ ، فقتل مَنْ كان فيها ، إلا ملِكَهم فإنه أسَره ، وساق مواشيَهم ، فأوحى الله إلى أشمويل : ألاَ تعجبُ من طالوت إذ أمرتُه بأمرى فاختلَ[٣] فيه ، فجاء بملكهم أسيراً ، وساق مواشيَهم ! فالقه فقل له : لأنزعنَّ الملك من بيته ، ثم لا يعود فيه إلى يوم القيامة ، فإنى إنما أكرِمُ مَنْ أطاعنى ، وأهينُ مَنْ هان عليه أمرى . فلقيَه فقال له : ما صنعت ! لمَ جئتَ بملكهم أسيراً ، ولم سقت مواشيهم ؟ قال : إنما سقت المواشىَ لأقرِّبها[٤] ، قال له أشمويل : إن الله قد نزع من بيتك المُلك ثم لا يعود فيه إلى يوم القيامة ، فأوحى الله إلى أشمويل : انطلق إلى إيشى فيعرِض عليك بنيه ، فادهُن الذى آمرك بدُهْن القدس ، يكُنْ ملكاً على بنى إسرائيل . فانطلق حتى أتى إيشى ، فقال : اعرِضْ علىَّ بنيك ، فدعا إيشى أكبرَ ولده ، فأقبل رجل جسيم حسَنُ المنظر ، فلما نظر إليه أشمويل أعجبه ، فقال : الحمد لله ، إن الله بصير بالعباد ! فأوحى الله إليه : إنَّ عينيك تُبصران ما ظهر ، وإنى أطَّلع على ما فى القلوب ، ليس بهذا ! فقال : ليس بهذا ، اعرض علىَّ غيرَه . فعرض عليه ستة ، فى كلٍّ ذلك يقول : ليس بهذا ، اعرِض علىَّ غيرَه ، فقال : هل لك من ولدٍ غيرهم ؟ فقال : بلى[٥] ، لى غلام أمغر[٦] وهو راع فى الغنم . قال : أرسِل إليه ، فلما أن جاء داود ، جاء غلام أمغَر ؛ فدهنه بدُهن القدس ، وقال لأبيه : اكتم هذا ، ١/٥٦٢

---

(١) الخبر فى التفسير ٥ : ٣٦٦ - ٣٦٧ على وجه أطول .

(٢) ح ، س : « ولا يترك » . (٣) اختل ، من الختل وهو الفساد ، وفى ا : « فاختار » .

(٤) لأقربها ، أى لأجعلها قرباناً .

(٥) ح : « بقى لى » .

(٦) الأمغر : الأحمر الشعر والجلد .

فإنّ طالوت لو يطّلع عليه قتله . فسار جالوت فى قومه إلى بنى إسرائيل فعسكر ، وسار طالوت ببنى إسرائيل وعسكر ، وتهيئُوا للقتال ، فأرسل جالوت إلى طالوت : لِمَ يُقتَل قومى وقومُك ؟ ابرُز لى ، أوأبْرِز لى مَنْ شئت ، فإن قتلتُك كان الملك لى ، وإن قتلتَنى كان الملك لك . فأرسل طالوت فى عسكره صائحاً : مَنْ يبرز لجالوت ! ثم ذكر قصة طالوت وجالوت وقتل داود إياه ، وما كان من طالوت إلى داود[1] .

* * *

قال أبو جعفر : وفى هذا الخبر بيان أنّ داود قد كان الله حوّل الملك له قبل قتله جالوت ، وقبل أن يكون من طالوت إليه ما كان من محاولته قتله ، وأما سائر مَنْ روينا عنه قولا فى ذلك ، فإنهم قالوا : إنما مَلَك داود بعد ما قتِل طالوت وولده .

وقد حدثنا ابن حميد ، قال ، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق — فيما ذكر لى بعض أهل العلم — عن وهب بن منبّه قال : لما قتَل داودُ جالوت ، وانهزم جندُه قال الناس : قتَل داود جالوت وخلع طالوتَ ، وأقبل الناس على داود مكانه حتى لم يسمع لطالوت بذكْر .

قال : ولما اجتمعت بنو إسرائيل على داود أنزل الله عليه الزَّبور ، وعلّمه صنعة الحديد ، وألانَهُ له ، وأمر الجبال والطير أن يسبِّحن معه إذا سبّح ، ولم يعطِ الله — فيما يذكرون — أحداً من خلقه مثل صوته ، كان إذا قرأ الزبور — فيما يذكرون — ترنو له الوحوش[2] حتى يؤخذ بأعناقها ، وإنها لَمُصيخة تسمع لصوته ، وما صنعت الشياطينُ المزاميرَ والبرابَط والصنوج[3] إلا على أصناف صوته ، وكان شديدَ الاجتهاد ، دائب العبادة ، كثير البكاء ، وكان كما وصفه الله عزّ وجلّ لنبيه محمد عليه السلام فقال : ﴿ وَاذْكُرْ عَبْدَنا دَاوُدَ

١/٥٦٣

(١) الخبر وبقيته فى التفسير ٥ : ٣٥٩ — ٣٦٣ .

(٢) كذا فى ا ، ن ، وفى ط : « الوحش » .

(٣) المزامير : جمع مزمار ؛ وهو ما يزمر به . والبرابط : جمع بربط ؛ وهو العود . والصنوج : جمع صنج ؛ وهو آلة بأوتار يضرب بها .

ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ * إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ ﴾[1]، يعنى بذلك ذا القوة .

وقد حدثنا بشر بن معاذ ، قال ، حدثنا يزيد ، قال : حدثنا سعيد، عن قتادة: ﴿ وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُدَ ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴾، قال : أعطِيَ قوةً فى العبادة، وفقهاً فى الإسلام . وقد ذُكِر[2] لنا أن داود عليه السلام كان يقوم الليل ويصوم نصف الدهر[3]. وكان يحرسه — فيما ذكر — فى كلّ يوم وليلة أربعةُ آلاف .

حدثنى محمد بن الحسين ، قال : حدثنا أحمد بن المفضّل ، قال : حدثنا أسباط ، عن السدىّ ، فى قوله : ﴿ وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ ﴾[4]، قال: كان يحرسُه كلَّ يوم وليلة أربعة آلاف .

وذُكر أنه تمنّى يوماً من الأيام على ربّه منزلةَ آبائه إبراهيم وإسحاق ويعقوب ، وسأله أن يمتحنه بنحو الذى كان امتحنهم ، ويعطيَه من الفضل نحوَ الذى كان أعطاهم .

فحدثنى محمد بن الحسين ، قال : حدثنا أحمد بن المفضل ، قال : حدثنا أسباط ، قال : قال السُّدّى : كان داودُ قد قسّم الدهر ثلاثة أيام : يوماً يقضِى فيه بين الناس ، ويوماً يخلُو فيه لعبادة ربه ، ويوماً يخلُو فيه لنسائه ، وكان له تسع وتسعون امرأة ، وكان فيما يقرَأ من الكتب أنه كان يجد فيه فضلَ إبراهيم وإسحاق ويعقوب، فلما وجَد ذلك فيما يقرأ[5] من الكتب، قال : يا ربِّ أرى الخير كلّه قد ذهب به آبائى الذين كانوا قبلى ، فأعطنى مثلَ ما أعطيتَهم ، وافعل بى مثلَ ما فعلت بهم. قال : فأوحى الله إليه أنّ آباءك ابتُلوا ببلايا لم تبتَل بها، ابتلِيَ إبراهيمُ بذبح ابنه ، وابتلِيَ إسحاق بذهاب بَصره ، وابتُلِيَ يعقوب بحزنه على ابنه يوسف ، وإنك لم تبتلَ من ذلك بشىء. قال: يا ربّ ابتلِنى بمثل ما ابتليتَهم به، وأعطنى مثل ما أعطيتَهم. قال :

٥٦٤/١

---

(١) سورة ص ١٧ ، ١٨ (٢) كذا فى ا والتفسير ، وفى ط : « فذكر » .
(٣) إلى هنا الخبر فى التفسير ٢٣ : ٨٦ (بولاق) . (٤) سورة ص ٢٠
(٥) ا : « قرأ » .

فأوحى إليه إنك مبتلًى فاحترس[١]. قال: فمكث بعد ذلك ما شاء الله أن يمكث إذ جاءه الشيطان قد تمثّل فى صورة حمامة من ذهب، حتى وقع عند[٢] رجليه وهو قائم يصلّى، قال: فمدّ يده ليأخذه فتنحّى فتبعه، فتباعد حتى وقع فى كُوّة، فذهب ليأخذه، فطار من الكُوّة، فنظر: أين يقع فيبعث[٣] فى أثره، قال: فأبصر امرأة تغتسل على سطح لها، فرأى امرأة من أجمل النساء[٤] خلْقًا، فحانت منها التفاتة فأبصرته، فألقت شعرها فاستترت به، قال: فزاده ذلك فيها رغبة، قال: فسأل عنها فأخبر أن لها زوجًا، وأن زوجها غائب بمسلحة كذا وكذا، قال: فبعث إلى صاحب المسلحة يأمره أن يبعث أهريا إلى عدوّ كذا وكذا. قال: فبعثه ففتح له، قال: وكتب إليه بذلك، فكتب إليه أيضًا: أن ابعثه إلى عدوّ كذا وكذا، أشدّ منهم بأسًا. قال: فبعثه ففتح له أيضًا، قال: فكتب إلى داود[٥] بذلك، قال: فكتب إليه أن ابعثه إلى عدوّ كذا وكذا. قال: فبعثه، قال: فقتل المرّة الثالثة، قال: وتزوّج داود امرأته، فلما دخلتْ عليه لم تلبث عنده إلا يسيراً حتى بعث الله مَلَكَيْن فى صورة إنسيّيْن فطلبا أن يدخلا عليه، فوجداه فى يوم عبادته، فمنعهما الحرسُ أن يدخُلا عليه، فتسوّرا عليه المحراب، قال: فما شعُر وهو يصلّى إذا هو بهما بين يديْه جالسَيْن، قال: ففزِع منهما، فقالا: لاَ تَخفْ، إنما نحنُ ﴿ خَصْمَانِ بَغَى بَعْضُنا عَلَى بَعْضٍ فَاحْكُمْ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلاَ تُشْطِطْ ﴾ يقول: لا تحِفْ، ﴿وَاهْدِنا إِلَى سَوَاءِ الصِّرَاطِ﴾ إلى عدل القضاء. قال: قُصَّا علىّ قصّتكما، قال: فقال أحدهما: ﴿ إِنَّ هٰذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِيَ نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ ﴾[٦]. فهو يريد أن يأخُذ نعجتى، فيكمِّل بها نعاجَه مائة، قال: فقال للآخر:

١/٥٦٥

(١) ن: «فاصبر».

(٢) ا: «بين رجليه».

(٣) ا «وقع فتبعه»، وفى ن: «فيتبع أثره».

(٤) ن والتفسير: «الناس».

(٥) ن والتفسير: «إليه».

(٦) سورة ص ٢٢، ٢٣

ما تقول؟ فقال: إن لى تسعاً وتسعين نعجة ، ولأخى هذا نعجة واحدة، فأنا أريد أن آخذها منه ، فأكمّل بها نعاجى مائة ، قال : وهو كاره ! قال : وهو كاره ، قال : إذاً لا نَدعك وذاك ، قال : ما أنت على ذلك بقادر ! قال : فإن ذهبت تَرُوم ذلك أو تريد ذلك، ضربنا منك هذا وهذا — وفسّر أسباط طَرَف الأنف والجبهة — فقال : يا داود ، أنت أحقُّ أن يُضرب منك هذا وهذا ، حيث لك تسع وتسعون امرأة، ولم يكن لأهريا[1] إلا امرأة واحدة . فلم تزل به تعرّضه للقتل حتّى قُتِل ، وتزوّجت امرأتَه . قال : فنظر فلم يرَ شيئاً ، قال : فعرَف ما قد وقع فيه ، وما ابتُلِيَ به ، قال : فخرّ ساجداً فبكى ، قال : فمكث يبكى ساجداً أربعين يوماً لا يرفع رأسه إلا لحاجة لا بدّ منها ، ثم يقَع ساجداً يبكى ، ثم يدعو حتّى نبت العُشب من دموع عينَيْه ، قال : فأوحى الله عزّ وجلّ إليه بعد أربعين يوماً : يا داود ، ارفعْ رأسَك فقد غفرتُ لك ، فقال : يا ربّ ، كيف أعلم أنّك قد غفرتَ لى وأنت حَكَمٌ عدل لا تحيفُ فى القضاء ؛ إذا جاء أهريا يومَ القيامة آخذاً رأسه بيمينه أو بشماله تَشخَبُ أوداجه[2] دماً فى قِبَل عرشك: يقول: ياربّ، سلْ هذا فيمَ قتلنى! قال: فأوحى الله إليه: إذا كان ذلك دعوتُ أهريا فأستوهبك منه ، فيهبك لى فأثيبه بذلك الجنة . قال : ربّ الآن علمت أنّك قد غفرتَ لى ، قال : فما استطاع أن يملأ عينيه من السماء حياءً من ربه حتّى قبض[3].

٥٦٦/١

حدثنى على بن سهل ، قال : حدثنا الوليد بن مسلم ، عن عبد الرحمن ابن يزيد بن جابر ، قال : حدّثنى عطاء الخراسانىّ ، قال : نقَش داود خطيئته فى كفّه لكيلا ينساها ؛ فكان إذا رآها خَفَقتْ يدُه واضطربت .

* * *

٥٦٧/١

وقد قيل: إن سببَ المحنة بما امتُحن به، أنّ نفسَه حدثته أنه يُطيق قطعَ يوم من الأيام بغير مُقارفة سوء ، فكان اليوم الذى عَرَض له فيه ما عرض، اليوم الذى ظنّ أنه يقطعه بغير اقتراف سوء .

---

(١) ن : «لأوريا» . (٢) تشخب أوداجه : تسيل دماً .

(٣) الخبر فى التفسير ٢٣ : ٩٢ ، ٩٤ (بولاق) .

• ذكر من قال ذلك :

حدثنا بشر ، قال : حدثنا يزيد ، قال : حدثنا سعيد ، عن مطر ، عن الحسن ، أن داود جزّأ الدهر أربعة أجزاء : يومًا لنسائه ، ويومًا لعبادته ، ويومًا لقضاء بنى إسرائيل ، ويومًا لبنى إسرائيل ؛ يذاكرهم ويذاكرونه ، ويُبكيهم ويُبكونه . فلما كان يوم بنى إسرائيل ، ذكروا فقالوا : هل يأتى على الإنسان يومٌ لا يصبب فيه ذنبًا ! فأضمر داود فى نفسه أنه سيُطيق ذلك ، فلما كان يوم عبادته غلّق[1] أبوابه ، وأمر ألّا يَدخل عليه أحد ، وأكبّ على التوراة ، فبينما هو يقرؤها إذا حمامة من ذهب ، فيها من كلّ لون حسن ، قد وقعتْ بين يديه ، فأهوى إليها ليأخذَها ، قال : فطارت فوقعت غيرَ بعيد ، من غير أن تُؤيِسَه من نفسها ، قال : فما زال يتبعها حتى أشرف على امرأة تغتسل ، فأعجبه خَلْقُها وحسنها ، فلما رأت ظلَّه فى الأرض جلّلت نفسَها بشعرها ، فزاده ذلك أيضاً إعجابًا بها ، وكان قد بعثَ زوجَها على بعض جيوشه ، فكتب إليه أن يسير إلى مكان كذا وكذا (مكان إذا سار إليه لم يرجع) قال : ففعل فأصيب ، فخطبها فتزوّجها - قال : وقال قتادة بلغنا أنها أمّ سليمان - قال : فبينما هو فى المحراب إذ تسوّر الملَكان عليه ، وكان الخصمان إذا أتوه يأتونه من باب المحراب ، ففزع منهم حين تسوّروا المحراب ، فقالوا : ﴿ لَا تَخَفْ خَصْمَانِ بَغَى بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ ﴾ حتى بلغ ﴿ وَلَا تُشْطِطْ ﴾ أى ولا تَملْ ﴿ وَاهْدِنَا إِلَى سَوَاءِ الصِّرَاطِ ﴾ أى أعدله وخيره ، ﴿ إِنَّ هَٰذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً ﴾ - وكان لداود تسع وتسعون امرأة - ﴿ وَلِيَ نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ ﴾ قال : وإنما كان للرجل امرأةٌ واحدة ﴿ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ ﴾ ، أى ظلمنى وقهرنى . ﴿ قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَى نِعَاجِهِ ﴾ - إلى ﴿ وَظَنَّ دَاوُدُ ﴾ ، فعلِم أنما أضمِر له ، أى عُنِى بذلك ، ﴿ فَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ﴾[2] .

٥٦٨/١

(١) ا والتفسير : « أغلق » .

(٢) سورة ص ٢٢ - ٢٤ ، والخبر فى التفسير ٢٣ : ٩٤ ، ٩٥ (بولاق) .

حدثنى يعقوب بن إبراهيم ، قال : حدثنا ابن إدريس ، قال : سمعت ليثًا يذكر عن مجاهد ، قال : لما أصاب داودَ الخطيئة، خرّ لله ساجداً أربعين يومًا ، حتى نبت من دموع عينيه من البقل ما غطّى رأسَه ، ثم نادى : يا ربِّ قَرِحَ الجبين ، وجَمَدت العين ! وداود لم يُرْجَع إليه فى خطيئته شىء . فنودى : أجائع فتطعَم ؟ أم مريض فتُشفَى ؟ أم مظلوم فيُنتصَر لك ! قال : فنحب نَحْبَةً هاج كلُّ شىء كان نبت ، فعند ذلك غُفِر له . وكانت خطيئته مكتوبة بكفّه يقرؤها ، وكان يُؤتى بالإناء ليشرب فلا يشرب إلا ثُلُثَه أو نصفَه ، وكان يذكر خطيئته فينتحب النَّحْبة تكاد مفاصله يزول بعضها عن[1] بعض ، ثم ما يتمّ شربه حتى يملأ الإناء من دموعه . وكان يقال : إن دمعةَ داود تعدل دمعة الخلائق ، ودمعةَ آدم تعدل دمعة داود ودمعة الخلائق . قال : وهو يجىء يوم القيامة خطيئته مكتوبة بكفّه فيقول : ربّ ذنبى ذنبى قدِّمْنى ! قال : فيقدَّم فلا يأمن ، فيقول : رب أخرنى ، قال : فيؤخَّر فلا يأمن [2] .

١/٥٦٩

حدثنى يونس بن عبد الأعلى ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرنى ابن لَهيعة ، عن أبى صخر ، عن يزيد الرّقاشىّ ، عن أنس بن مالك يقول[3] : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : إن داودَ النبىّ عليه السلام حين نظر إلى المرأة[4] فأهمّ ، قَطَع[5] على بنى إسرائيل بعثًا ، فأوصى صاحب البعث ، فقال : إذا حضر العدو فقرّبْ فلانًا بين يدى التابوت ، وكان التابوتُ فى ذلك الزمان يُستنصر به مَنْ قدم بين يدى التابوت لم يرجع حتى يقتَل أو ينهزم عنه الجيش ، فقُتِل زوج المرأة ، ونزل الملَكان على داود يقصّان عليه قصّته ، ففطِن داود فسجد ، فمكث أربعين[6] ليلة ساجداً ، حتى نبت الزّرْع من دموعه على رأسه ، وأكلت الأرضُ من جبينه ، وهو يقول فى سجوده —

---

(١) ح ، س : « من بعض » .

(٢) الخبر فى التفسير ٢٣ : ٩٦ (بولاق) .

(٣) ا : « قال » ، وفى التفسير : « سمعه يقول » .

(٤) ط : « مرأة » ؛ وما أثبته عن ا والتفسير .

(٥) أى أفرد قوماً منهم ، وبعثهم فى الغزو ؛ ومنه الحديث : « كان إذا أراد أن يقطع بعثاً ... » وانظر النهاية لابن الأثير ٣ : ٢٦٤ .

(٦) ن : « أربعين يوماً وليلة » .

فلم أحص[١] من الرقاشيّ إلا هؤلاء الكلمات : رَبِّ زلَّ داود زلّةً أبعد مما بين المشرق والمغرب ! ربِّ إن لم ترحم ضُعفَ داود ، وتغفر ذنبه جعلتَ ذنبه حديثًا فى الخُلوف من بعده . فجاءه جبرئيلُ من بعد أربعين ليلة فقال : يا داود ، إنّ الله قد غفر لك الهمّ الذى هممتَ به ، فقال داود : قد علمتُ أنّ الله قادر على أن يغفر لىَ الهمّ الذى هممتُ به ، وقد عرفتُ أن الله عدْلٌ

١/٥٧٠ لا يميل ، فكيف بفلان إذا جاء يوم القيامة ؛ فقال : يا ربّ دمى الذى عند داود ! فقال جبرئيل : ما سألتُ ربّك عن ذلك ، ولئن شئتَ لأفعلنّ ، قال : نعم ، قال : فعرج جبرئيل وسجد داود ، فمكث ما شاء الله ثم نزل ، فقال : قد سألتُ الله يا داود عن الذى أرسلتنى فيه فقال : قل له : يا داود ، إن الله يجمعكما يوم القيامة فيقول : هب لى دمك الذى عند داود ، فيقول : هو لك يا ربّ ، فيقول : فإن لك فى الجنة ما شئت وما اشتهيت عِوَضًا[٢] .

* * *

ويزعم[٣] أهلُ الكتاب أن داود لم يزل قائمًا بالملك بعد طالوت إلى أن كان من أمره وأمر امرأة أوريا ما كان ، فلما واقع ما واقع من الخطيئة اشتغل بالتوبة منها — فيما زعموا — واستخفّ به بنو إسرائيل ، ووثب عليه ابن له يقال له إيشى ، فدعا إلى نفسه فاجتمع إليه أهلُ الزّيغ من بنى إسرائيل ، قالوا : فلما تاب الله على داود ثابتْ إليه ثائبة من الناس ، فحارب ابنَه حتى هزمه ، ووجّه فى طلبه قائداً من قواده ، وتقدّم إليه أن يتوقى حَتْفَهُ ، ويتلطّف لأسره ، فطلبه القائد وهو منهزم ، فاضطره إلى شجرة فركض فيها — وكان ذا جُمّة — فتعلّق

١/٥٧١ بعض أغصان الشجرة بشعره فحبسه ، ولحقه القائد فقتله مخالفًا لأمر داود ، فحزن داود عليه حزنًا شديداً ، وتنكّر للقائد ، وأصاب بنى إسرائيل فى زمانه طاعون جارف ، فخرج بهم إلى موضع بيت المقدس يدعون الله ويسألونه كشفَ ذلك البلاء عنهم ، فاستجيب لهم ، فاتخذوا ذلك الموضع مسجداً ، وكان ذلك — فيما قيل — لإحدى عشرة سنة مضت من ملكه . وتوفى قبل أن يستتم بناءه ، فأوصى

(١) ا ، ن ، « أحفظ » .
(٢) الخبر فى التفسير ٢٣ : ٩٦ (بولاق) .
(٣) ا : « وزعم » .

إلى سليمان باستتمامه ، وقتْل القائد الذى قتل أخاه ، فلما دفنه سليمانُ نفذ لأمره فى القائد وقتله ، واستتمّ بناء المسجد .

* * *

وقيل فى بناء داود ذلك المسجد ما حدثنا محمد بن سهل بن عسكر ، قال : حدثنى إسماعيل بن عبد الكريم ، قال : حدثنى عبد الصمد بن معقل : أنه سمع وهب بن منبه يقول : إن داودَ أراد أن يعلمَ عدد بنى إسرائيل كم هم ؟ فبعث لذلك عُرَفاء ونقباء ، وأمرهم أن يرفعوا إليه ما بلَغ عددُهم ، فعتب الله عليه ذلك ، وقال : قد علمت أنى وعدتُ إبراهيم أن أبارك فيه وفى ذريته حتى أجعلَهم كعدد نجوم السماء ، وأجعلَهم لا يحصَى عددُهم ، فأردتَ أن تعلَم عدد ما قلت : إنه لا يحصَى عددُهم ، فاختاروا بين أن أبتليَكم بالجوع ثلاث سنين ، أو أسلّط عليكم العدوّ ثلاثة أشهر ، أو الموت ثلاثة أيام ! فاستشار داودُ فى ذلك بنى إسرائيل فقالوا : ما لنا بالجوع ثلاث سنين صبْر ، ولا بالعدوّ ثلاثةَ أشهر ، فليس لهم بقيّة ، فإن كان لا بدّ فالموت بيده لا بيد غيره . فذكر وهب بن منبّه أنه مات منهم فى ساعة من نهار ألوف كبيرة ، لا يدرَى ما عددهم ، فلما رأى ذلك داود ، شَقّ عليه ما بلَغه من كثرة الموت ، فتبتّل إلى الله ودعاه فقال : يا ربّ ، أنا آكلُ الحُمّاض[1] وبنو إسرائيل يَضْرَسون ! أنا طلبتُ ذلك فأمرتُ به بنى إسرائيل ، فما كان من شىء فبى[2] واعفُ عن بنى إسرائيل . فاستجاب الله له ورفع عنهم الموت ، فرأى داود الملائكة سالّين سيوفَهم يغمدونها ، يرتقون فى سلّم من ذهب من الصخرة إلى السماء ، فقال داود : هذا مكان ينبغى أن يُبنَى فيه مسجد ، فأراد داود أن يأخذ فى بنائه ، فأوحى الله إليه أنّ هذا بيت مقدّس ، وأنك قد صبغتَ يديك فى الدماء ، فلست ببانيه ، ولكن ابنٌ لك أملّكه بعدك أسميه[3] سليمان ، أسلّمه من الدماء .

١ / ٥٧٢

فلما ملك سليمان بناءه وشرّفه ، وكان عمر داود – فيما وردت به الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم – مائة سنة .

وأما بعض أهل الكتب ، فإنه زعم أن عمرَه كان سبعاً وسبعين سنة ، وأن مُدّة ملكه كانت أربعين سنة .

---

(١) الحماض : ما فى جوف الأترجة . (٢) ن : «فنى» . (٣) ا : «اسمه» .

ذكر
خبر سليمان بن داود عليهما السلام

ثم ملك سليمان بن داود بعد أبيه داود أمرَ بنى إسرائيل ، وسخّر الله له الجنّ والإنس والطير والريح ، وآتاه مع ذلك النبوة ، وسأل ربّه أن يُؤتيه ملكا لا ينبغى لأحد من بعده ، فاستجاب [اللهُ][1] له فأعطاه ذلك .

كان فيما حدثنا ابن حميد، قال : حدثنا سلمة، عن محمد بن إسحاق ، ٥٧٣/١ عن بعض أهل العلم، عن وهب بن منبّه : إذا خرج من بيته إلى مجلسه عكفت عليه الطير ، وقام له الإنس والجن ، حتى يجلسَ على سريره[2] ، وكان — فيما يزعمون — أبيض جسيماً وضيئًا ، كثيرَ الشعر يلبس من الثياب البياض ، وكان أبوه فى أيام ملكه بعد أن بلغ سليمان مبلَغ الرجال يشاوره —فيما ذكر— فى أموره . وكان من شأنه وشأن أبيه داود الحكْم فى الغنم التى نفشت فى حرث القوم ، الذين قصّ الله فى كتابه خبرهم وخبرهما فقال: ﴿وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِى الْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ * فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلاً آتَيْنَا حُكْماً وَعِلْماً ﴾[3] .

فحدثنا أبو كريب وهارون بن إدريس الأصمّ ، قالا : حدثنا المحاربىّ ، عن أشعث ، عن أبى إسحاق ، عن مرّة ، عن ابن مسعود فى قوله : ﴿ وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِى الحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ ﴾ ، قال : كَرْم قد أنبتت عناقيده فأفسدته ، قال: فقضى داودُ بالغنم لصاحب الكرْم ، فقال سليمان : غير هذا يا نبىّ الله ؟ قال : وما ذاك ؟ قال : تدفع الكَرْم إلى صاحب الغنم فيقوم عليه حتى يعودَ كما كان ، وتدفع الغنم إلى صاحب الكرْم فيصيب منها ، حتى إذا كان الكرْم كما كان ، دفعت الكرْم إلى

---

(١) تكلة من ا . (٢) ن : « جلس مجلسه » . (٣) سورة الأنبياء ٧٨ ، ٧٩

صاحبه ، ودفعت الغنم إلى صاحبها . فذلك قوله : ﴿فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ﴾. ١/ ٥٧٤
وكان رجلاً غزّاء لا يكاد يقعُد عن الغزو ، وكان لا يسمع بملِك فى ناحية من الأرض إلا أتاه حتى يُذِلّه . وكان فيما حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، عن ابن إسحاق —فيما يزعمون— إذا أراد الغزو أمر بعسكره فضرب له بخشب، ثم نصب له على الخشب ، ثم حمل عليه الناس والدوابّ وآلة الحرب كلها ، حتى إذا حمل معه ما يريد، أمر العاصف من الريح فدخلت تحت ذلك الخشب ، فاحتملته حتى إذا استقلّت به أمر الرُّخاء فمرّ به شهراً فى روْحته ، وشهراً فى غدوته إلى حيث أراد. يقول الله عزّوجلّ: ﴿فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ﴾[2]، أى حيث أراد ، وقال الله : ﴿وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ﴾.[3]

قال : وذكر لى أنّ منزلاً بناحية دجلة مكتوب فيه : كتاب كتبه بعض أصحاب[4] سليمان، إما من الجن، وإما من الإنس: « نحن نزلناه وما بنيناه، ومبنيّا وجدناه، غدوْنا من إصطخر فقلْنَاه[5]، ونحن رائحون منه إن شاء الله، فبائتون[6] بالشام[7] ».

قال: وكان —فيما بلغنى— لتمرّ بعسكره الريح، والرُّخاء[8] تهوى به إلى ما أراد، وإنها لتمرّ بالمزرعة فما تحرّكها . ١/ ٥٧٥

وقد حدثنا القاسم بن الحسن ،قال : حدثنى الحسين ، قال : حدثنى حجاج ، عن أبى معشر ، عن محمد بن كعب القرظىّ، قال : بلغنا أن سليمان كان عسكره مائة فرسخ ، خمسة وعشرون منها للإنس ، وخمسة وعشرون للجنّ ، وخمسة وعشرون للوحش ، وخمسة وعشرون للطير ، وكان له ألف بيت من قوارير على الخشب ، فيها ثلثمائة صريحة ، وسبعمائة سرّية ، فأمر الريح العاصف

---

(١) الخبر فى التفسير ١٧ : ٣٨ (بولاق) (٢) سورة ص ٣٦
(٣) سورة سبأ ١٢ (٤) ا والتفسير : « صحابة » .
(٥) ا : « فقتلناه » . (٦) ا ، ن : « فآتون » .
(٧) الخبر فى التفسير ٢٢ : ٤٨ (بولاق) . (٨) الرخاء : الريح اللينة .

فرفعته(١) وأمر الرخاء فسيّرته ، فأوحى الله إليه وهو يسير بين السماء والأرض : أنى قد زدتُ فى ملكك ، أنّه لا يتكلم أحدٌ من الخلائق إلا جاءت به الريح وأخبرتك .

حدثنى أبو السائب ، قال : حدثنا أبو معاوية ، عن الأعمش ، عن المنهال بن عمرو ، عن سعيد بن جُبَير ، عن ابن عباس ، قال : كان سليمان ابن داود يوضَع له ستّمائة كرسىّ ، ثم يجىء أشرافُ الإنس فيجلسون مما يليه ، ثم يجىء أشراف الجنّ فيجلسون مما يلى الإنس ، قال : ثم يدْعو الطير فتظلّهم ، ثم يدعُو الريح فتحملهم ، قال : فتسير فى الغداة الواحدة مسيرة شهر .

١/٥٧٦

(١) كذا فى ا ؛ وفى ط : « فترفعه » .

ذكر
ما انتهى إلينا من مغازى سليمان عليه السلام

فمن ذلك غزوته التى راسل فيها بلقيس – وهى فيما يقول أهل الأنساب – يلمقة[1] ابنة اليشرح – ويقول بعضهم : ابنة أيلى شرح ، ويقول بعضهم : ابنة ذى شرح – بن ذى جَدَن بن أيلى شرح بن الحارث بن قيس بن صيفىّ بن سبأ ابن يشجب بن يعرب بن قحطان . ثم صارت إليه سِلْمًا بغير حرب ولا قتال .
وكان سبب مراسلته إياها – فيما ذكر – أنه فَقَد الهدهد يومًا فى مسير كان يسيره ، واحتاج إلى الماء فلم يَعلم مَن حضره بُعْدَه ، وقيل له علمُ ذلك عند الهدهد ، فسأل عن الهدهد فلم يجده . وقال بعضهم : بل إنما سأل سليمانُ عن الهدهد لإخلاله بالنَّوبة .

فكان من حديثه وحديث مسيره ذلك وحديث بلقيس ، ما حدثنى العباس ابن الوليد الآملىّ ، قال : حدثنا على بن عاصم ، قال : حدثنا عطاء بن السائب ، قال : حدثنى مجاهد ، عن ابن عباس ، قال : كان سليمان بن داود إذا سافر أو أراد سفراً قَعَد على سريره ، ووضعت الكراسى يمينًا وشمالاً ، فيأذن للإنس ، ثم يأذن للجنّ عليه بعد الإنس ، فيكونون خلْف الإنس ، ثم يأذن للشياطين بعد الجنّ فيكونون خلْف الجنّ ، ثم يرسل إلى الطير فتظلّهم من فوقهم ، ثم يرسل إلى الريح فتحملهم وهو على سريره ، والناس على الكراسىّ فتسير بهم ، غدوُّها شهر ورواحُها شهر ، رخاء حيث أصاب ، ليس بالعاصف ولا الليّن ، وسطا بين ذلك . فبينا سليمان يسير – وكان سليمان اختار من كلّ طير طيراً ، فجعله رأس تلك الطير ، فإذا أراد أن يسائل شيئًا من تلك الطير عن شىء سأل رأسها – فبينا سليمان يسير إذ نزل مفازةً فسأل عن بُعْد الماء ها هنا ، فقال الإنس : لا ندرى ، فسأل الجنّ فقالوا : لا ندرى ، فسأل الشياطينَ ، فقالوا : لا ندرى ، فغضب سليمان فقال : لا أبرحُ حتى أعلَم كم بُعْد مسافة الماء ها هنا ! قال : فقالت له الشياطين : يا رسولَ الله لا تغضب ، فإن يك شيئاً يُعلم فالهدهد يعلمه ، فقال[2] سليمان : علىّ بالهدهد ، فلم يوجدْ ، فغضب

١/٥٧٧

(١) ح : « بلعمه » ، ا ، س : « بلقمة » . (٢) ط : « قال »

سليمان فقال : ﴿ مَالِيَ لا أَرَى الْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ * لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ ﴾[1]، يقول : بعذر مبيّن [لِمَ]غاب عن مسيرى هذا ؟ وكان عقابُه للطير أن ينتف ريشه ويشمّسه فلا يستطيع أن يطير ، ويكون من هوامّ الأرض إن أراد ذلك ، أو يذبحه ، فكان ذلك عذابَه .

قال : ومرّ الهدهد على قصر بلقيس ، فرأى بستانًا لها خلْف قصرها ، فمال إلى الخضرة فوقع عليها ، فإذا هو بهدهد لها فى البستان ، فقال هدهد سليمان : أينَ أنت عن سليمان ؟ وما تصنع ها هنا ؟ قال له هدهد بلقيس : ومَنْ سليمان ؟ فقال : بعث الله رجلا يقال له سليمان رسولا ، وسخّر له الريح والجنّ والإنس والطير . قال : فقال له هدهد بلقيس : أىّ شىء تقول ! قال : أقول لك ما تسمع ، قال : إن هذا لعَجب ، وأعجبُ من ذاك أنّ كثرة هؤلاء القوم تملكهم امرأة ، ﴿ أُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴾ ، جعلوا الشكر لله أن يسجدوا للشمس من دون الله . قال : وذكر الهدهد سليمان فنهض عنه ، فلما انتهى إلى العسكر تلقّتْه الطير وقالوا : توعّدك رسول الله ، فأخبروه بما قال . قال : وكان عذاب سليمان للطير أن ينتف ريشه ويشمّسه فلا يطير أبداً ، فيصير من هوامّ الأرض ، أو يذبحه فلا يكون له نسل أبداً . قال : فقال الهدهد : أوَ ما استثنى رسول الله ؟ قالوا : بل قال : أو ليأتينّى بعذر مبين ، قال : فلما أتى سليمانَ ، قال : ما غيّبك عن مسيرى ؟ قال : ﴿ أَحَطْتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ ﴾ حتى بلغ ﴿ فَانْظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ ﴾[1] . قال : فاعتلّ له بشىء ، وأخبره عن بلقيس وقومها ما أخبره الهدهد ، فقال له سليمان : قد اعتللت ، ﴿ سَنَنْظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ * اذْهَبْ بِكِتَابِي هَٰذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ﴾[2]، قال : فوافقها وهى فى قصرها ، فألقى إليها

٥٧٨/١ — ٥٧٩/

(١) سورة النمل ٢٠ ، ٢١

(٢) سورة النمل ٢٣ — ٢٨

الكتاب فسقط فى حجرها أنه كتاب كريم، وأشفقتْ منه، فأخذته وألقت عليه ثيابَها ، وأمرت بسريرها فأخرج ، فخرجت فقعدت عليه ، ونادت فى قومها ؛ فقالت لهم : ﴿ يَأَيُّهَا الْمَلَأُ إِنِّى أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ • إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ • أَلَّا تَعْلُوا عَلَيَّ وَأْتُونِى مُسْلِمِينَ﴾[1] ولم أكن لأقطع أمراً حتى تشهدون ، ﴿ قَالُوا نَحْنُ أُولُو قُوَّةٍ وَأُولُو بَأْسٍ شَدِيدٍ وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ فَانظُرِى مَاذَا تَأْمُرِينَ ﴾ — إلى — ﴿ وَإِنِّى مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ ﴾[2]،فإن قبلها فهذا ملك من ملوك الدنيا وأنا أعزّ منه وأقوى، وإن لم يقبلْها فهذا شيء من الله .

فلما جاء سليمانَ الهدية قال لهم سليمان: ﴿ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَا آتَانِيَ اللهُ خَيْرٌ مِمَّا آتَاكُمْ ﴾ — إلى قوله : ﴿ وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴾[3]، يقول : وهم غير محمودين. قال: بعثتْ إليه بخرزة غير مثقوبة، فقالت : اثقب هذه ، قال : فسأل سليمان الإنس فلم يكن عندهم علم ذاك،ثم سأل الجنّ فلم يكن عندهم علم ذاك، قال: فسأل الشياطين ، فقالوا: ترسل إلى الأرَضة، فجاءت الأرَضة فأخذت شعرة فى فيها فدخلت فيها فنقبتها بعد حين ، فلما رجع إليها رسولها[4] خرجت فزعة فى أول النهار من قومها وتبعها قومها . قال ابن عباس: وكان معها ألفَ قيل .

١/٥٨٠

قال ابن عباس : أهل اليمن يسمّون القائد قَيْلا ، مع كل قَيْل عشرة آلاف . قال العباس : قال عليّ : عشرة آلاف ألف .

قال العباس : قال عليّ : فأخبرنا حصين بن عبد الرحمن ، قال : حدثنى عبد الله بن شداد بن الهاد ، قال : فأقبلت بلقيس إلى سليمان ومعها ثلثمائة قَيْل واثنا عشر قَيْلا ، مع كل قيْل عشرة آلاف .

قال عطاء،عن مجاهد،عن ابن عباس:وكان سليمان رجلاً مَهيباً لا يُبتدَأ بشيء حتى يكون هو الذى يُسألَ عنه ، فخرج يومئذ فجلس على سريره ،

(١) سورة النمل ٢٩ — ٣١
(٢) سورة النمل ٣٣ — ٣٥ .
(٣) سورة النمل ٣٦ ، ٣٧
(٤) ط : « رسلها » ، وما أثبته عن ا .

فرأى رهجًا قريبًا منه ، فقال : ما هذا ؟ قالوا : بلقيس يارسول الله ، قال : وقد نزلت منّا بهذا المكان ! قال مجاهد : فوصف لنا ذلك ابن عباس فحزرته ما بين الكوفة والحيرة قدر فرسخ ، قال : فأقبل على جنوده فقال : ﴿ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ * قَالَ عِفْرِيتٌ مِنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ ﴾ الذى أنت فيه إلى الحين الذى تقوم إلى غدائك . قال : قال سليمان : مَنْ يأتينى به قبل ذلك ؟ ﴿ قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ ﴾، فنظر إليه سليمان، فلما قطع كلامه ردّ سليمان بصره على العرش، ١/٥٨١ فرأى سريرها قد خرج ونبع من تحت كرسيه ، ﴿ فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ قَالَ هَٰذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ ﴾ إذ أتانى به قبل أن يرتدّ إلىّ طرفى ﴿ أَمْ أَكْفُرُ ﴾ إذ جعل مَنْ تحت يدى أقدرَ على المجىء به منّى . قال : فوضعوا لها عرشها ، قال : فلما جاءت قعدتْ إلى سليمان، قيل لها : ﴿ أَهَٰكَذَا عَرْشُكِ ﴾ ؟ فنظرت إليه فقالت : ﴿ كَأَنَّهُ هُوَ ﴾[1] ! ثم قالت : لقد تركتُه فى حصونى، وتركت الجنود محيطة به، فكيف جىء بهذا يا سليمان ! إنى أريد أن أسألك عن شىء فأخبرنيه ، قال: سَلى ، قالت: أخبرْنى عن ماء رَوَاء ، لا من سماء ولا من أرض – قال: وكان إذا جاء سليمان شىء لا يعلمه بدأ فسأل الإنس عنه ، فإن كان عند الإنس فيه علم وإلاّ سأل الجنّ ، فإن لم يكن عند الجنّ علم به سأل الشياطين – قال : فقالت له الشياطين : ما أهونَ هذا يا رسول الله ! مُرِ الخيل فلتجرْ ثم تملأ الآنية من عَرَقها ، فقال لها سليمان : عَرَقُ الخيل ، قالت : صَدقت . قالت : أخبرْنى عن لون الربّ . قال : قال ابن عباس : فوثب سليمان عن سريره فخرّ ساجداً . قال العباس: قال علىّ : فأخبرنى عمرو بن عبيد، عن الحسن، قال: صعِق فغُشِىَ عليه ، فخرّ عن سريره . ٥٨٢/

ثم رجع ، إلى حديثه قال : فقامت عنه ، وتفرّقت عنه جنوده ، وجاءه

(١) سورة النمل ٣٨ – ٤٢ .

الرسول فقال : يا سليمان ، يقول لك ربك : ما شأنُك ؟ قال : سألتَنى عن أمر يكابرنى — أو يكابدنى — أن أعيدَه ، قال : فإنَّ الله يأمرك أن تعودَ إلى سريرك فتقعد عليه ، وترسل إليها وإلى مَنْ حضرها من جنودها ، وترسل إلى جميع جنودك الذين حضروا فيدخلوا عليك فتسألها وتسألهم عما سألتك عنه . قال : ففعل ، فلما دخلوا عليه جميعًا ، قال لها : عمَّ سألتِنى ؟ قالت : سألتك عن ماء رَوَاء ، لا من سماء ولا من أرض ، قال : قلتُ لكِ : عرَق الخيل ، قالت : صدقت ، قال : وعن أىّ شىء سألتِنى ؟ قالت : ما سألتك عن شىء غير هذا . قال : قال لها سليمان ، فلأىّ شىء خررتُ عن سريرى ؟ قالت : قد كان ذاك لشىء لا أدرى ما هو — قال العباس : قال علىّ : نسيتُه — قال : فسأل جنودَها فقالوا مثل ما قالت ، قال : فسأل جنودَه من الإنس والجنّ والطير وكلّ شىء كان حضره من جنوده ، فقالوا : ما سألْتك يا رسول الله إلا عن ماء رَوَاء ، قال — وقد كان قال له الرسول : يقول الله لك : عُدْ إلى مكانك فإنى قد كفيتُكهم — قال : وقال سليمان : للشياطين : ابنُوا لى صَرْحًا تدخل علىّ فيه بلقيس ، قال : فرجع الشياطين بعضُهم إلى بعض ، فقالوا : سليمان رسول الله قد سخّر الله له ما سخّر ، وبلقيس ملكة سبأ ينكحها فتلد له[1] غلامًا ، فلا ننفكّ من العبوديّة أبدًا . ٥٨٣/١

قال : وكانت امرأة شَعْراء[2] الساقين ، فقالت الشياطين : ابنوا له بنيانًا ليرى ذلك منها ، فلا يتزوجها ، فبنوْا له صرحًا من قوارير أخضر ، وجعلوا له طوابيق من قوارير كأنه الماء ، وجعلوا فى باطن الطوابيق كلَّ شىء يكون من الدوابّ فى البحر من السمك وغيره ، ثم أطبقوه ، ثم قالوا لسليمان : ادخل الصرّح ، قال : فألقِى لسليمان كرسىّ فى أقصى الصرّح ، فلما دخله ورأى ما رأى أتى الكرسىّ ، فقعد عليه ، ثم قال : أدخلوا علىّ بلقيس ، فقيل لها : ادخلى الصرّح ، فلما ذهبت تدخله رأت صورةَ السمك وما يكون فى الماء من الدوابّ ، فحسبته لُجّة (حسبته ماء) وكشفت عن ساقيْها لتدخل ، وكان شعرُ ساقيها ملتويًا على ساقيها ، فلما رآها سليمان ، ناداها — وصرف بصرَه عنها : إنه صَرْح ممرّد من

---

(١) ح ، س : « فتلد منه » . (٢) ح : « كثيرة شعر الساقين » .

قوارير ، فألقت ثوبها فقالت : ﴿ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾[1] قال : فدعا سليمان الإنس فقال : ما أقبح هذا ! ما يُذْهِب هذا ؟ قالوا : يا رسول الله الموسى . قال : المواسى تقطع ساقى المرأة . قال : ثم دعا الجنّ فسألهم فقالوا : لا نَدْرِى ، ثم دعا الشياطين فقال : ما يُذهِب هذا ؟ قالوا مثل ذلك : الموسى ، فقال : المواسى تَقطع ساقى المرأة . قال : فتلكّئوا عليه ، ثم جعلوا له النُّورَة — قال ابن عباس : فإنه لأولُ يوم رُئيت فيه النُّورة — فاستنكحها سليمان .

١/٥٨٤

حدثنا ابن حميد : قال ، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن بعض أهل العلم ، عن وهب ابن منبّه ، قال : لما رجعتِ الرسل إلى بلقيس بما قال سليمان ، قالت : قد والله عرفتُ ما هذا بملك ، وما لنا به من طاقة ، وما نصنعُ بمكاثرته شيئًا ، وبعث إليه أنّى قادمة عليك بملوك قومى حتّى أنظرَ ما أمرك ، وما تدعو إليه من دينك . ثم أمرت بسرير مُلْكها الذى كانت تجلس عليه — وكان من ذهب مفصّص بالياقوت والزبرجد واللؤلؤ — فجُعل فى سبعة أبيات بعضها فى بعض ، ثم أقفلت[2] على الأبواب ، وكانت[3] إنما تَخدُمها النساء ، معها ستمائة امرأة تخدُمها . ثم قالت لمن خلّفت على سلطانها : احتفظ بما قبلك ، وسرير ملكى فلا يخلص إليه أحد ولا يرينّه حتى آتيك . ثم شخصت إلى سليمان فى اثنى عشر ألف قَيْل معها من ملوك اليمن ، تحت يد كل قَيْل منهم ألوف كثيرة ، فجعل سليمان يبعث الجنّ فيأتونه بمسيرها ومنتهاها كلَّ يوم وليلة ، حتى إذا دنت جمَع من عنده من الجنّ والإنس ممن تحت يديه ، فقال : ﴿ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ ﴾[4] . قال : وأسلمتْ فحسُن إسلامها . قال : فزُعم أنّ سليمان قال لها حين أسلمت وفرغ من أمرها : اختارى رجلاً من قومك أزوّجكه ، قالت : ومثلى يا نبيّ الله ينكح الرجال ، وقد كان لى فى قومى من الملك والسلطان ما كان لى ! قال : نعم ، إنّه

١/٥٨٥

(١) سورة النمل ٤٤ .

(٢) ن : « أغلقت » .

(٣) ط : « فكانت » ، وما أثبته عن ا .

(٤) سورة النمل ٣٨ .

لا يكون فى الإسلام إلا ذلك ، ولا ينبغى لك أن تُحرِّمى ما أحلَّ الله لك ، فقالت : زوِّجنى إن كان لا بد ذا تُبَّع[1] مَلك هَمْدان، فزوجه إياها، ثم ردَّها إلى اليمن، وسلَّط زوجها ذاتُبَّع على اليمن ، ودعا زوبعة أمير جنِّ اليمن فقال : اعمل لذى تبَّع ما استعملك لقومه . قال : فصنع لذى تبَّع الصنائع باليمن ، ثم لم يزل بها ملكًا يُعمل له فيها ما أراد، حتى مات سليمان ابن داود عليه السلام .

فلما حال الحول وتبينت الجنُّ موتَ سليمان أقبل رجل منهم ، فسلك تهامة حتى اذا كان فى جوف اليمن صرخ بأعلى صوته : يا معشرَ الجنِّ ، إن الملك سليمان قد مات فارفعوا أيديكم .قال: فعمدت الشياطين إلى حجريْن عظيمين ، فكتبوا فيهما كتابًا بالمسنَد : نحن بنينا سَلْحين[2] ، سبعة وسبعين خريفاً دائبين ، وبنينا صِرْوَاح ومراح وبَيْنُون برحاضة أيْدين[3] ، وهندة وهنيدة ، وسبعة أجِلة بقاعة ، وتلثوم برَيْدة ، ولولا صارخ بتهامة، لتركنا بالبون إمارة

١/٥٨٦

قال : وسَلْحين [وصِرْواح] ومَراح وبَيْنُون وهندة وهنيدة وتلثوم حصون كانت باليمن ، عملتها الشياطين لذى تُبّع ، ثم رفعوا أيديهم ، ثم انطلقوا ، وانقضى ملك ذى تُبّع وملك بلقيس مع ملك سليمان بن داود عليهما السلام.

---

(١) ط : « بتع » ، وما أثبته عن ا ومعجم البلدان .

(٢) قال ياقوت : سلحين : حصن عظيم بأرض اليمن كان للتبابعة ملوك اليمن . . . قال : «وزعموا أن الشياطين بنت لذى تبع ملك همدان حين زوج سليمان ببلقيس قصوراً وأبنية وكتبت فى حجر ، وجعلته فى بعض القصور التى بنتها » .

(٣) اللسان ٦ : ٢١٥ : « بغسالة أيديهم » .

ذكر غزوته أبا زوجته جرادة وخبر الشيطان الذى أخذ خاتمه

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن بعض العلماء ، قال : قال وهب بن منبّه : سمع سليمان بمدينة فى جزيرة من جزائر ١/٥٨٧ البحر ، يقال لها صيدون ، بها ملك عظيم السلطان لم يكن للناس إليه سبيل ، لمكانه فى البحر ، وكان الله قد آتى سليمان فى ملكه سلطانًا لا يمتنع منه شىء فى برّ ولا بحر ، إنما يركب إليه إذا ركب على الريح ، فخرج إلى تلك المدينة تحمِله الريح على ظهر الماء ، حتى نزل بها بجنوده من الجنّ والإنس ، فقتل ملكَها واستفاء[1] ما فيها ، وأصاب فيما أصاب ابنةً لذلك الملك لم يُر مثلُها حسنًا وجمالاً ، فاصطفاها لنفسه ، ودعاها إلى الإسلام فأسلمت على جفاء منها وقلة ثقة ، وأحبّها حبًّا لم يحبّه شيئًا من نسائه ، ووقعت نفسُه عليها ، فكانت على منزلتها عنده لا يذهب حزنُها ، ولا يرقأ دمعها ، فقال لها ، لما رأى ما بها وهو يشقّ عليه [من ذلك][2] ما يرى : ويحكِ ، ما هذا الحزن الذى لا يذهب ، والدمعُ الذى لا يرقأ ! قالت : إن أبى أذكُره وأذكر ملكَه وما كان فيه وما أصابه ، فيحزننى ذلك ، قال : فقد أبدَلكِ الله [به][2] ملكًا هو أعظم من ملكه ، وسلطانًا هو أعظم من سلطانه ، وهداكِ للإسلام وهو خير من ذلك كلّه ، قالت : إنّ ذلك لكذلك[3] ؛ ولكنّى إذا ذكرتُه أصابنى ما [قد][2] ترى من الحزن ، فلو أنّك أمرت الشياطين ، فصوّروا صورة أبى فى دارى التى أنا فيها ، أراها بكرة وعشيًّا لرجوتُ أن يُذهب ذلك حزنى ، وأن يسلّىَ عنى بعض ما أجد فى نفسى ، فأمر سليمان الشياطين ، فقال : مثّلوا لها صورة أبيها فى ١/٥٨٨ دارها حتى ما تنكر[4] منه شيئًا ، فمثّلوه لها حتى نظرت إلى أبيها فى نفسه[5] ،

(١) كذا فى ط ، وفى ا ، س : « استبى » .
(٢) من ا .
(٣) ط : « كذلك » ، وما أثبته من ا .
(٤) ط : « لا تنكر » وما أثبته من ا .
(٥) ن : « فى هيئته » .

إلا أنه لا روح فيه، فعمدت إليه حين صنعوه لها فأزّرته وقمّصته وعمّمته وردّته بمثل ثيابه التى كان يلبس ، مثل ما كان يكون فيه من هيئة، ثم كانت إذا خرج سليمان من دارها تغدُو عليه فى ولائدها حتّى تسجد له ويسجدْنَ له ، كما كانت تصنع به فى ملكه ، وتروح كلَّ عشية بمثل ذلك ، لا يعلم سليمانُ بشىء من ذلك أربعين صَباحًا ، وبلغ ذلك آصف بن برخيا — وكان صديقًا ، وكان لا يُرَدّ عن أبواب سليمان أىّ ساعة أراد دخولَ شىء من بيوته دخل ، حاضرًا كان سليمان أو غائبًا — فأتاه فقال : يا نبىّ الله ، كبِرت سِنِى ، ودقّ عظمى ، ونفِد عمرى ، وقد حان منى ذهاب[1] ! وقد أحببت أن أقوم مقامًا قبل الموت أذكر فيه مَنْ مضى من أنبياء الله ، وأثنى عليهم بعلمى فيهم ، وأعلم الناسَ بعضَ ما كانوا يجهلون من كثير من أمورهم ، فقال : افعل ، فجمع له سليمان الناس ، فقام فيهم خطيبًا ، فذكر مَنْ مضى من أنبياء الله ، فأثنى على كلّ نبىّ بما فيه ، وذكر ما فضّله الله به ، حتّى انتهى إلى سليمان وذكَره ، فقال : ما كان أحلمَك فى صغرك ، وأورعَك فى صغرك، وأفضلك فى صغرك ، وأحكم أمرك فى صغرك ، وأبعدك من كلّ ما يُكْرَه فى صغرك ! ثم انصرف فوجَد سليمان فى نفسه حتى ملأه غضبًا ، فلما دخل سليمان دارَه أرسل إليه ، فقال : يا آصف ، ذكرت مَنْ مضى من أنبياء الله فأثنيت عليهم خيراً فى كلّ زمانهم ، وعلى كلّ حال من أمرهم ، فلما ذكرتَنى جعلت تُثنى علىّ بخيرٍ فى صغرى ، وسكتّ عما سوى ذلك من أمرى فى كِبَرى ، فما الذى[2] أحدثتُ فى آخر أمرى ؟ قال : إن غيرَ الله ليُعبَد فى دارك منذ أربعين صباحًا فى هوى امرأة ، فقال : فى دارى ! فقال : فى دارك ، قال : إنا لله وإنا إليه راجعون ! لقد عرفتُ أنك ما قلتَ إلاّ عن شىء بلغك . ثم رجع سليمان إلى داره فكسَّر ذلك الصنم ، وعاقب تلك المرأة وولائدها ، ثم أمر بثياب الطهرة فأُتِىَ بها ، وهى ثياب لا يغزلها إلا الأبكار ، ولا ينسجها إلا

١/٥٨٩

(١) كذا فى ا ، س ، ن ، وفى ط : « الذهاب » .

(٢) ح : « فماذا ترى أحدثت » ، ا : « فماذا الذى أحدثت » .

الأبكار ، ولا يغسلها إلا الأبكار ، ولا تمسّها امرأة قد رأت الدم ، فلبسها ثم خرج إلى فلاة من الأرض وحدَه ، فأمر برماد ففرش له ، ثم أقبل تائبًا إلى الله حتى جلس على ذلك الرماد ، فتمعّك فيه بثيابه تذللاً لله جلّ وعزّ وتضرّعا إليه ، يبكي ويدعو ويستغفر مما كان فى داره ، ويقول فيما يقول — فيما ذكر لى والله أعلم : رَبِّ ماذا ببلائك عند آل داود أن يعبدوا غيرك ، وأن يُقِرّوا فى دورهم وأهاليهم عبادةَ غيرك ! فلم يزلْ كذلك يومه حتى أمسى ، يبكى إلى الله ويتضرّع إليه ويستغفره ، ثم رجع إلى داره — وكانت أمّ ولد له يقال لها :

١/٥٩٠ الأمينة ، كان إذا دخل مذهبَه ، أو أراد إصابة امرأة من نسائه وضع خاتَمَه عندها حتى يتطهّر[١] ، وكان لا يمسّ خاتَمه إلا وهو طاهر ، وكان ملكُه فى خاتمه ، فوضعه يومًا من تلك الأيام عندها كما كان يضعه . ثم دخل مذهبه ، وأتاها الشيطانُ صاحب البحر — وكان اسمه صخراً — فى صورة سليمان لاتنكر منه شيئًا ، فقال : خاتَمى يا أمينة ! فناولته إياه ، فجعله فى يده ، ثم خرج حتى جلس على سرير سليمان ، وعكَفت عليه الطير والجنّ والإنس ، وخرج سليمان فأتى الأمينة ، وقد غُيِّرت حالته وهيئته عند كلّ من رآه ، فقال : يا أمينة ، خاتَمى ! فقالت : ومن أنت ؟ قال : أنا سليمان بن داود ، فقالت : كذبتَ ، لست بسليمان بن داود ، وقد جاء سليمان فأخذ خاتَمه ، وهو ذاك جالس على سريره فى ملكه . فعرف سليمانُ أن خطيئته قد أدركته ، فخرج فجعل يقِف على الدار من دور بنى إسرائيل ، فيقول : أنا سليمان بن داود ، فيحثُون عليه التّرابَ ويسبُّونه ، ويقولون : انظروا إلى هذا المجنون ، أىّ شىء يقول ! يزعم أنه سليمان بن داود . فلما رأى سليمان ذلك عمِد إلى البحر ، فكان ينقل الحيتان لأصحاب البحر إلى السوق[٢] ، فيُعطونه كلّ يوم سمكتين ، فإذا أمسى باع إحدى سمكتيه بأرغفة وشوى الأخرى ، فأكلَها ، فمكث بذلك أربعين صباحًا ، عِدّة ما عُبِد ذلك الوثن فى داره ،

(١) س : « يطهر » .
(٢) ا : « فى السوق » .

فأنكر آصف [بن برخيا][1] وعظماء بنى إسرائيل حُكْم عدوّ الله الشيطان فى تلك الأربعين صباحًا ، فقال آصف : يا معشر بنى إسرائيل ، هل رأيتم من اختلاف حكم ابن داود ما رأيت ! قالوا : نعم ، قال : أمهلونى حتى أدخل على نسائه فاسألهنّ : هل أنكرنَ منه فى خاصة أمره ما أنكرنا فى عامة أمر الناس وعلانيته ؟ فدخل على نسائه فقال : ويحكنّ ! هل أنكرتنّ من أمر ابن داود ما أنكرنا ؟ فقلن : أشدُّه ما يدع امرأة منّا فى دمها ، ولا يغتسل من جنابة ، فقال : إنا لله وإنا إليه راجعون ! إن هذا لَهو البلاء المبين ، ثم خرج إلى بنى إسرائيل ، فقال ما فى الخاصّة أعظم مما فى العامّة ، فلما مضى أربعون صباحًا طار الشيطان عن مجلسه ، ثم مرّ بالبحر ، فقذف الخاتم فيه ، فبلعته[2] سمكة ، وبصر بعض الصيادين فأخذها وقد عمل له سليمان صدرَ يومه ذلك ، حتى إذا كان العشىّ أعطاه سمكتيه ، فأعطى السمكة التى أخذت الخاتم ، ثم خرج سليمان بسمكتيه فيبيع التى ليس فى بطنها الخاتم بالأرغفة ، ثم عمد إلى السمكة الأخرى فبقرها ليشويَها فاستقبله خاتمه[3] فى جوفها ، فأخذه فجعله فى يده ووقع ساجداً لله ، وعكَفَ عليه الطير والجنّ[4] ، وأقبل عليه الناس وعرف أن الذى دخل عليه لما كان أحدث فى داره ، فرجع إلى ملكه ، وأظهر التوبةَ من ذنبه ، وأمر الشياطين فقال : ائتونى به ، فطلبتْه له الشياطين حتى أخذوه ، فأُتى به ، فجاب[5] له صخرة ، فأدخله فيها ، ثم سدّ عليه بأخرى ، ثم أوثقها بالحديد والرصاص ، ثم أمر به فقذف فى البحر .

١/٥٩١

حدثنا محمد بن الحسين ، قال : حدثنا أحمد بن المفضل ، قال : حدثنا أسباط ، عن السدىّ فى قوله : ﴿ وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِ جَسَدًا ﴾[6] ، قال : الشيطان حين جلس على كرسيه أربعين يومًا[7] ، قال :

١/٥٩٢

(١) تكملة من ا ح .
(٢) ا : « فتلقته » .
(٣) ا : « الخاتم » .
(٤) ا : « إليه » .
(٥) جاب صخرة ، أى خرقها .
(٦) سورة ص ٣٤ .
(٧) ن : « صباحاً » .

كان لسليمان مائة امرأة ، وكانت امرأة منهنّ يقال لها جرادة ، وهى آثر نسائه عنده ، وآمنهنّ عنده ، وكان إذا أجنب أو أتى حاجة نزع خاتمه ، ولا يأتمن عليه أحداً من الناس غيرَها ، فجاءته يومًا من الأيام فقالت [له][1] : إن أخى بينه وبين فلان خصومة ، وأنا أحبّ أن تقضَى له إذا جاءك ، فقال : نعم ، ولم يفعل ، فابتُلى فأعطاها خاتمه ، ودخل المخرج فخرج الشيطان فى صورته ، فقال : هاتى الخاتم ، فأعطته ، فجاء حتى جلس على مجلس سليمان ، وخرج سليمان بعد فسألها أن تعطيه خاتمه ، فقالت : ألم تأخذه قبل ؟ قال : لا ، وخرج من مكانه تائهًا ، قال : ومكث الشيطان يحكم بين الناس أربعين يومًا . قال : فأنكر الناس أحكامه ، فاجتمع قراء بنى إسرائيل وعلماؤهم ، وجاءوا حتى دخلوا على نسائه فقالوا : إنا قد أنكرنا هذا ، فإن كان سليمان ، فقد ذهب عقله ، وأنكرنا أحكامه ! قال : فبكى النساء عند ذلك ، قال : فأقبلوا يمشون حتى أتوْه ، فأحدقوا به ثم نشروا فقرءوا التوراة ، قال : فطار من بين أيديهم حتى وقع على شرفة والخاتم معه ، ثم طار حتى ذهب إلى البحر ، فوقع الخاتم منه فى البحر ، فابتلعه حوت من حيتان البحر ، قال : وأقبل سليمان فى حاله التى كان فيها حتى انتهى إلى صياد من صيادى البحر وهو جائع ، وقد اشتدّ جوعه ، فاستطعمه من صيدهم ، وقال : إنى أنا سليمان ، فقام إليه بعضُهم فضربه بعصًا فشجّه ، قال : فجعل يغسل دمه وهو على شاطئ البحر ، فلام الصيادون صاحبَهم الذى ضربه وقالوا : بئس ما صنعت حيث ضربته ! قال : إنه زعم أنه سليمان ، قال : فأعطوْه سمكتين مما قد ضُرب عندهم ، فلم يشغله ما كان به من الضرب ، حتى قام على شطّ البحر ، فشقّ بطونهما[2] ، وجعل[3] يغسلهما ، فوجد خاتمه فى بطن إحداهما ، فأخذه فلبسه ، فردّ الله عليه بهاءه ومُلْكَه ، وجاءت الطير حتى حامتْ عليه ، فعرف القومُ أنه سليمان ، فقام القوم يعتذرون مما صنعوا ، فقال : ما أحمدكم على

١/٥٩٣

---

(١) من ا .

(٢) ح ، س : « بطونها » . ابن الأثير : « بطنيهما » .

(٣) ط : « فجعل » ، وما أثبته من ا .

عُذْرِكم ، ولا ألومكم على ما كان منكم ، كان هذا الأمر لا بدّ منه .

قال : فجاء حتى أتى مُلْكَه ، فأرسل إلى الشيطان فجيء به ، وسُخّرتْ له الريح والشياطين يومئذ ، ولم تكن سُخِّرت له قبل ذلك ، وهو قوله : ﴿ وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ﴾[1] .

وبعث إلى الشيطان فأتى به ، فأمر به فجعل فى صندوق من حديد ، ثم أطبق عليه ، وأقفل عليه بقُفْل ، وختم عليه بخاتَمه ، ثم أمر به فألقِيَ فى البحر ، فهو فيه حتى تقوم الساعة ، وكان اسمه حبقيق . ١/٥٩٤

* * *

قال أبو جعفر : ثم لبث سليمان بن داود فى ملكه بعد أن ردّه الله إليه ، تعمل له الجنّ ما يشاء من محاريب وتماثيل وجفان كالجواب وقدور راسيات ، وغير ذلك من أعماله ، ويعذّب من الشياطين من شاء ، ويطلق من أحبّ منهم إطلاقه ، حتى إذا دنا أجله ، وأراد الله قبضه إليه ، كان من أمره - فيما بلغنى - ما حدثنى به أحمد بن منصور ، قال حدثنا موسى بن مسعود أبو حذيفة ، قال : حدثنا إبراهيم بن طهمان ، عن عطاء بن السائب ، عن سعيد بن جُبَيْر ، عن ابن عباس ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : كان سليمان نبيّ الله إذا صلّى رأى شجرة نابتة بين يديه ، فيقول لها : ما اسمك ؟ فتقول : كذا وكذا ، فيقول : لأىّ شيء أنت ؟ فإن كانت لغرس غُرِست ، إن كانت لدواء كتبت ، فبينما هو يصلّى ذات يوم إذ رأى شجرة بين يديه ، فقال لها : ما اسمُك؟ قالت : الخرُّوب ، قال : لأىّ شيء أنت ؟ قالت : لخراب هذا البيت ، فقال سليمان : اللهم عَمّ على الجنّ موتى حتى يعلم الإنس أن الجنّ لا يعلمون الغيب ، فنحتها عصًا ، فتوكأ عليها حولا ميتًا ، والجنّ تعمل ، فأكلتها الأرضة فسقط ، فتبينت الإنس أن الجنّ لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا فى العذاب المهين .

قال : وكان ابن عباس يقرؤها « حولاً فى العذاب المهين » قال : فشكرت الجنّ الأرَضة ، فكانت تأتيها بالماء[2] . ١/٥٩٥

---

(١) سورة ص ٣٥

(٢) الخبر فى التفسير ٢٢ : ٥١ (بولاق)

حدثني موسى بن هارون ، قال : حدثنا عمرو بن حماد ، عن أسباط ، عن السدّىّ فى حديث ذكره عن أبى مالك وعن أبى صالح ، عن ابن عباس — وعن مرة الهمْدَانِىّ ، عن ابن مسعود — وعن ناس من أصحاب النبى صلى الله الله عليه وسلم قال : كان سليمان يتجرّد فى بيت المقدس السنة والسنتين ، والشهْرَ والشهرين ، وأقلّ من ذلك وأكثر ، يدخل طعامه وشرابه ، فأدخله فى المرّة التى مات فيها ، فكان بدء ذلك أنه لم يكن يومٌ يصبح فيه إلا نبتت فى بيت المقدس شجرة ، فيأتيها ، فيسألها : ما اسمك ؟ فتقول الشجرة : اسمى كذا وكذا ، فيقول لها : لأىّ شىء نبتّ ؟ فتقول : نبتّ لكذا وكذا فيأمر بها فتقطع ، فإن كانت نبتتْ لغرس غرسها ، وإن كانت نبتت دواء قالت : نبتّ دواء لكذا وكذا ، فيجعلها لذلك ، حتى نبتت شجرة يقال لها الخروبة فسألها : ما اسمك ؟ قالت : أنا الخروبة ، قال : ولأى شىء نبتّ ؟ قالت : نبتّ لخراب هذا المسجد . قال سليمان : ما كان الله ليخربه وأنا حىّ ، أنت التى على وجهك هلاكى وخرابُ بيت المقدس ، فنزعها وغرسها فى حائط له ، ثم دخل المحراب فقام يصلى متكئًا على عصاه فمات ، ولا تعلم به الشياطين ، وهم فى ذلك يعملون له يخافون أن يخرج فيعاقبهم ، وكانت الشياطين تجتمع حولَ المحراب ، وكان المحراب له كُوًى بين يديه وخلفه ، فكان الشيطان الذى يريد أن يخلع يقول : ألست جليداً إن دخلتُ فخرجت من ذلك الجانب ؟ فيدخل حتى يخرج من الجانب الآخر ، فدخل شيطان من أولئك ، فمرّ — ولم يكن شيطان ينظر إلى سليمان فى المحراب إلا احترق — ولم يسمع صوت سليمان ، ثم رجع فلم يسمع ، [ثم رجع فلم يسمع] (١) ثم رجع فوقف فى البيت فلم يحترق ، ونظر إلى سليمان قد سقط ميتًا ، فخرج فأخبر الناس أن سليمان قد مات ، ففتحوا عنه فأخرجوه ، ووجدوا مِنْسأته — وهى العصا بلسان الحبشة — قد أكلتها الأرَضة ، ولم يعلموا منذ كم مات ، فوضعوا الأرَضةَ على العصا ، فأكلت منها يومًا وليلة ، ثم حسبوا على ذلك النحو فوجدوه قد مات منذ (٢) سنة ، وهى فى قراءة ابن مسعود : « فمكثوا يدينون له من بعد موته حولا كاملا » ، فأيقن الناس عند ذلك أن الجنّ كانوا يكذبونهم ، ولو أنهم علموا الغيب لعلموا موت

٥٩٦/١

(١) تكملة من ا

(٢) الخبر فى التفسير ٢٣ : ٥١ ، ٥٢ (بولاق) .

سليمان ، ولم يلبثوا فى العذاب سنة يعملون له ، وذاك قول الله عزّ وجلّ :
﴿مَا دَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الأَرْضِ﴾ – إلى قوله – ﴿فِى الْعَذَابِ الْمُهِينِ﴾ ١/٥٩٧
يقول : بيَّن أمرهم للناس أنهم كانوا يكذبونهم . ثم إن الشياطين قالوا للأرضة :
لو كنتِ تأكلين الطعام أتيناك بأطيب الطعام ، ولو كنتِ تشربين الشراب
سقيناك أطيب الشراب ، ولكنا سننقل [إليك][1] الماء والطين . قال : فهم
ينقلون إليها ذلك حيث كانت . قال : ألم تر إلى الطين الذى يكون فى جوف
الخشب فهو ما يأتيها به الشياطين شكراً لها !

وكان جميع عمر سليمان بن داود فيما ذكر نيفًا وخمسين سنة ، وفى سنة
أربع من ملكه ابتدأ ببناء بيت المقدس فيما ذكر .

(١) تكملة من ا وابن الأثير .

ذكر من ملك
إقليم بابل والمشرق من ملوك الفرس بعد كيقباذ

قال أبو جعفر : ونرجع الآن إلى الخبر عمّن ملك إقليم بابل والمشرق من ملوك الفرس بعد كيقباذ .

* * *

وملك بعد كيقباذ بن زاغ بن يوجياه[1] كيقاوس بن كيبيه بن كيقباذ الملك. فذُكِر أنه قال يوم مَلَك : إن الله تعالى إنما خوّلنا الأرض وما فيها لنسعَى فيها بطاعته ، وأنه قتل جماعة من عظماء البلاد التى حولَه ، وحمى بلادَه ورعيّتَه ممن حواليهم من الأعداء أن يتناولوا منها شيئًا ، وأنه كان يسكن بَلْخ ، ١/٥٩٨ وأنه وُلِد له ابن لم يُرَ مثله فى عصره فى جماله وكماله وتمام خَلْقه ، فسمّاه سياوخش ، وضمَّه إلى رستم الشديد بن دستان بن بريمان[2] بن جودنك[3] ابن كرشاسب بن أثرط[4] بن سهم بن نريمان .

وكان إصبَهْبذ[5] سِجِسْتان وما يليه من قِبَله يربّيه ويكفُلُه، وأوصاه به فأخذه منه رستم، فمضَى به معه إلى موضع عمله سِجِسْتان ، فربّاه رستم ولم يزل فى حِجْره يجمع له وهو طفلٌ الحواضِن والمرضعات ، ويتخيّرهنّ له،

---

(١) كذا فى ا .

(٢) كذا فى ا وفى ح س : « برامان » ، وفى ن : « مرامان » .

(٣) كذا فى ا ، وفى ح : « حورنك » ، ن : « حوزترك » .

(٤) ا : « أثوط » .

(٥) ذكرها فى الجواليقى بلفظ الصبهبذ ؛ وقال : فارسى معرب ؛ وهو فى الديلم كالأمير فى العرب ، وأورد قول جرير :

إذا افتَخَرُوا عدُّوا الصَّبَهْبَذَ فِيهِمُ وكسرى وآل الهرمزان وقَيْصَرَا

وفى اللسان ٥ : ٨ : « إصبهبذ » ، وضبط الألف بالقلم بالكسر . وقال إدى شير : « إن إصبهبذ » بالفارسية معناه قائد العسكر ؛ وهو أيضاً اسم وعلم لملوك طبرستان . وانظر المعرب وحواشيه ٢١٨ .

حتى إذا ترعرع جمع له المعلّمين ، فتخيّر له منهم من اختاره لتعليمه[١] ، حتى إذا قَدَر على الركوب علّمه الفروسيّة حتى إذا تكاملتْ[٢] فيه فنون الآداب ، وفاق فى الفروسيّة قدم به على والده رجلا كاملاً ، فامتحنه والده كيقاوس، فوجدهُ نافذاً فى كلّ ما أراد بارعًا ، فسُرّ به ، وكان كيقاوس تزوّج – فيما ذكر – ابنة فراسياب ملك الترك ، وقيل : بل إنها بنتُ ملك اليمن ، وكان يقال لها سوذابة ، وكانت ساحرةً ، فهويت سياوخش ، ودعته إلى نفسها ، وأنه امتنع عليها ، وذكرتْ لها ولسياوخش قصة يطول بذكرها الكتاب ، غير أن آخر أمرهما صار فى ذلك – فيما ذكر لى – أن سوذابة لم تزل لما رأت من امتناع سياوخش عليها فيما أرادت منه من الفاحشة بأبيه كيقاوس حتى أفسدته عليه ، وتغيّر لابنه سياوخش ، فسأل سياوخش رستم أن يسأل أباه كيقاوس توجيهَه لحرب فَرَاسْياب لسبب منعه بعضَ ما كان ضمن له عند إنكاحه ابنتَه إياه ، وصلْح جرى بينه وبينه ، مريداً بذلك سياوَخش البُعْد عن والده كيقاوس . والتنحّيَ عما تكيد به عنده زوجته سوذابة ، ففعل ذلك رستم ، واستأذن له أباه فيما سأله ، وضمّ إليه جنداً كثيفًا ، فشخص إلى بلاد الترك للقاء[٣] فراسياب ، فلما صار إليه سياوَخش ، جرى بينهما صلح ، وكتب بذلك سياوَخْش إلى أبيه يعلمه ما جرى بينه وبين فراسياب من الصلْح ، فكتب إليه والده يأمره بمناهضة فراسياب ومناجزته الحرب ، إن هو لم يُذْعِن له بالوفاء بما كان فارقه عليه ، فرأى سياوَخش أنّ فى فعله ما كتب به إليه أبوه من محاربة فراسْياب بعد الذى جرى بينه وبينه من الصلْح والهدنه من غير نقض فراسْياب شيئًا من أسباب ذلك عليه عاراً ومنقصةً ومأثمًا ، فامتنع من إنفاذ أمر أبيه فى ذلك ، ورأى فى نفسه أنه يؤتَى فى كلّ ذلك من زوجة أبيه التى دعتْه[٤] إلى نفسها فامتنع عليها ، ومال إلى الهرب

١/٥٩٩

(١) ط : « ليعلمه » ، وما أثبته عن ا .
(٢) ط : « تكامل » ، وما أثبته عن ا .
(٣) ن : « ليلقى » .
(٤) ن : « تدعوه » .

من أبيه ، فراسل فراسياب فى أخذ الأمان لنفسه منه ، واللحاق به ، وترك[1] والده ، فأجابه فراسياب إلى ذلك — وكان السفير بينهما[2] فى ذلك — فيما قيل — رجلاً من الترك من عظمائهم يقال له : فيران بن ويسغان[3] — فلما فعل ذلك سياوَخْش انصرف عنه مَنْ كان معه من جند أبيه كيقاوس . ٦٠٠/١

فلما صار سياوخش إلى فراسياب بوّأه وأكرمه وزوّجه ابنة له يقال لها : وسفافريد ، وهى أمّ كيخسروَنه[4] ، ثم لم يزل له مُكْرِمًا حتى ظهر له أدب سياوَخش وعقله وكماله وفُروسيته ونجْدته ما أشفق على ملكه منه ، فأفسده ذلك عنده ، وزاده فساداً عليه سَعْىُ ابنَيْن له وأخ يقال له : كندر بن فشنجان عليه بإفساد أمر سياوخش عنده ، حسداً منهم له ، وحذراً على ملكهم منه ، حتى مكّنهم من قتله ، فذكر فى سبب وصولهم إلى قتله أمرٌ يطول بشرحه الخطْب ، إلاّ أنهم قتلوه ومثّلوا به وامرأته ابنة فراسياب حاملٌ منه بابنه كيخسرونه ، فطلبوا الحيلة لإسقاطها ما فى بطنها فلم يسقط ، وأن فيران الذى سعى فى عقد الصلح بين فراسياب وسياوخش لما صحّ عنده ما فعل فراسياب من قتله سياوخش ، أنكر ذلك من فعله ، وخوّفه عاقبة الغدر ، وحذّره الطلب بالثأر من والده كيقاوس ومن رُسْتَم ، وسأله دفع ابنته وسفافريد إليه لتكون عنده إلى أن تَضع ما فى بطنها ثم يقتله . ٦٠١/١

ففعل ذلك فراسياب ، فلما وضعت رقّ فيران لها وللمولود ، فترك قتلَه وستر أمرَه ، حتى بلغ المولودُ ، فوجّه — فيما ذكر — كيقاوس إلى بلاد الترك بىّ بن جوذرز ، وأمره بالبحث عن المولود الذى ولدته زوجة ابنه سياوخش ، والتأتّى لإخراجه إليه ، إذا وقف على خبرِه مع أمه ، وأن بيًّا شَخَص لذلك ؛ فلم يزل يفحصُ عن أمر ذلك المولود ، متنكّراً حينًا من الزمان فلا يُعرَفُ له خبرٌ ، ولا يدلّه عليه أحد .

ثم وقف بعد ذلك على خبره ، فاحتال فيه وفى أمه حتى أخرجهما من أرض الترك إلى كيقاوس ، وقد كان كيقاوس — فيما ذكر — حين اتصل به

(١) س : « وفراق » . (٢) س : « فيما بينهما » .
(٣) ا ، ن : « ويسعان » . (٤) ا « كيخسرويه » .

قتلُ ابنه أشخَص جماعةً من رؤساء قواده ؛ منهم رستَم بن دستان الشديد ، وطوس بن نوذران(١) ، وكانا ذوَىْ بأس ونجدة ، فأثخنا الترك قَتْلاً وأسراً ، ٦٠٢/١ وحاربا فراسياب حرباً شديدة(٢) وأن رستم قتل بيده شهروشهرة ابنى فراسياب وأن طوساً قتل بيده كندر أخا فراسياب.

وذكر أن الشياطين كانت مسخَّرة لكيقاوس ، فزعم بعضُ أهل العلم بأخبار المتقدمين أنّ الشياطين الذين كانوا سُخِّروا له إنما كانوا يُطيعونه عن أمرِ سليمان بن داود إيّاهم بطاعته ، وأنّ كيقاوس أمر الشياطين فبنوْا له مدينةً سماها كنكدر(٣) ، ويقال : قيقذون ؛ وكان طولها — فيما زعموا — ثمانمائة فرسخ ، وأمرهم فضربوا عليها سوراً من صُفْر ، وسوراً من شَبَه ، وسوراً من نحاس ، وسوراً من فخار ؛ وسوراً من فضة ، وسوراً من ذهب . وكانت الشياطين تنقلها ما بين السماء والأرض وما فيها من الدوابّ والخزائن والأموال والناس . وذكروا أنّ كيقاوس كان لا يُحدِث وهو يأكل ويشرب .

ثم إن الله تعالى بعث إلى المدينة التى بناها كذلك مَنْ يُخرّبها ، فأمر كيقاوس شياطينه بمنع مَنْ قصد لتخريبها ، فلم يقدروا على ذلك ، فلما رأى كيقاوس الشياطين لا تطيق الدفع عنها ، عطف عليها ، فقتل رؤساءها . وكان كيقاوس — فيما ذكر — مظفّراً لا يناوئه أحدٌ من الملوك إلا ظفر عليه وقهره ، ولم يزل ذلك أمرُه حتى حدثته نفسُه — لما كان من العز والملك ، وأنه لا يتناول شيئاً إلا وصل إليه — بالصُّعود إلى السماء .

فحدِّثت عن هشام بن محمد أنه شَخَص من خراسان حتى نزل بابل ، ٦٠٣/١ وقال : ما بقِيَ شىءٌ من الأرض إلا وقد ملكتُه ، ولا بدّ من أن أعرف أمرَ السماء والكواكب وما فوقها ، وأنّ الله أعطاه قوةً ارتفع بها ومَنْ معه فى الهواء حتى انتهوْا إلى السحاب ، ثم إنّ الله سلَبهم تلك القوة فسقطوا فهلكوا ، وأفلت بنفسه وأحدَث يومئذ ، وفسدَ عليه ملكه ، وتمزّقت الأرض ، وكثرت الملوك فى النواحى ، فصار يغزُوهم ويغزونه ، فيظفَر مرّة ويُنْكَبُ أخرى .

---

(١) ح : « قورران » ، س : « قوزران »ن : « بوذران » .
(٢) كذا فى ا ، وفى ط : « شديداً » . (٣) كذا فى ا

قال : فغزا بلاد اليمن – والملِك بها يومئذ ذو الأذعار بن أبرهة ذى المنار ابن الرائش – فلما ورد بلادَ اليمن خرج عليه ذو الأذعار بن أبرهة وكان قد أصابه الفالج ؛ فلم يكن يغزو قبل ذلك بنفسه . قال : فلما أظله كيقاوس ووطئ بلاده فى جُموعه خرج بنفسه فى جموع حِمْير وولد قحطان ، فظفر بكيقاوس ، فأسَره، واستباح عسكره، وحبسه فى بئر ، وأطبق عليه[1] طبقًا . قال : وخرج من سِجِسْتَان رجل يقال له رستم ، كان[2] جباراً قويًّا فيمن أطاعه من الناس . قال : فزعمت الفرس أنه دخل[3] بلاد اليمن، واستخرج قبوس[3] من محبسه وهو كيقاوس . قال: وزعم أهلُ اليمن أنه لما بلغ ذا الأذعار إقبالُ رستم خرج إليه فى جنوده وعدده ، وخندق كلٌّ واحد منهما على عسكره ، وأنهما أشفقا على جنديْهما من البوار ، وتخوّفا إن تزاحفا ألاّ تكون لهما بقية ، فاصطلحا على دفع كيقاوس إلى رستم ، ووضع الحرب ، فانصرف رستم بكيقوس إلى بابل ، وكتب كيقاوس لرستم عتقًا من عبودة الملك ، وأقطعه سِجِسْتان وَزابُلِسْتَان ، وأعطاه قلنسوة منسوجة بالذهب وتوّجه، وأمره أن يجلس على سرير من فضة ، قوائمُه من ذهب، فلم تزل تلك البلاد بيد رستم حتى هلك كيقاوس وبعده دهراً طويلا .

١/٦٠٤

قال : وكان ملكه مائة وخمسين سنة .

وزعم علماءُ الفرس أن أوّلَ من سوّد لباسه على وجه الحداد شادوس بن جودرز على سياوّخش ، وأنه فعل ذلك يوم وَرَد على كيقاوس نَعْيُ ابنه سياوخش وقتْل فراسياب إيّاه ، وغدره به ، وأنه دخل على كيقاوس ، وقد لبِس السواد ، فأعلمه أنه فعل ذلك لأنّ يوَمه يوم إظلام وسواد .

وقد حقق ما ذكر ابن الكلبىّ من أسْر صاحب اليمن قابوس الحسن بن هانئ فى شعر له فقال[5] :

---

(١) ا : « عليها » .

(٢) ح : « وكان » .

(٣) ط : « وغل » ، وما أثبته من ا (٤) س ، ن : « كيقاوس »

(٥) فى قصيدته التى هجا فيها قبائل نزار بأسرها وافتخر بقحطان وقبائلها ؛ وهى التى أطال الرشيد حبسه بسببها وأولها :

وَقَاظَ قابوسُ فى سَلَاسِلِنَا سِنِينَ سَبْعاً وَفَتْ لِحَاسِبِها

* * *

ثم ملك من بعد كيقاوس ابنُ ابنه كيخسرو بن سياوخش بن كيقاوس ابن كيبيه بن كيقباذ .

وكان كيقاوس حين صار به وبأمه وسفافريد ابنة فراسياب — وربما قيل وسففره — بِيُّ بن جوذرز إليه من بلاد الترك، ملَّكه، فلما قام بالملك بعدَ جدِّه ١/٦٠٥ كيقاوس ، وعقد التاجَ على رأسه خطب رعيته خطبة بليغة ، أعلمهم فيها أنه على الطَّلب بدم أبيه سياوخش قِبلَ فراسياب التركىّ ، ثم كتب إلى جوذرز الأصبهبذ — كان — بأصبهان ونواحى خراسان[١] — يأمره بالمصير إليه ، فلما صار إليه أعلمه ما عزم عليه من الطلب بثأره من قَتْل والده ، وأمرَه بعرض جُنْده ، وانتخاب ثلاثين ألف جل منهم ، وضمّهم إلى طُوس بن نوذران[٢] ، ليتوجَّه بهم إلى بلاد الترك، ففعل ذلك جوذرز ، وضمَّهم إلى طُوس ، وكان فيمن أشخص معه برزافره بن كيقاوس ، عمّ كيخسرو وبِيّ بن جوذرز ،

لَيْسَتْ بدارٍ عَفَتْ وَغَيَّرَها ضَرْبَانِ مِنْ قَطْرِهَا وحَاصِبِهَا
ولا لأىّ الطُّلُولِ أندبُهــــا للريح والرقشِ من قَرابِنِهَا

وفيها يفتخر باليمن ويذكر الضحاك :

فنحن أربابُ ناعطٍ ولَنَا صَنْعَاء والمِسْكُ فى محاربها
وكانَ مِنّا الضَّحَّاك يعبُدُه الـ ـسخابِلُ والطَّيْرُ فِى مَسَارِبِهَا

وفيها يهجو نزاراً :

واهْجُ نِزَاراً وَافرِ جِـــلْدَتَهَا واكْشِفِ السِّتْرَ عَنْ مَثَالِبِهَا

وقد رد على قصيدته هذه جماعة من النزارية ؛ منهم رجل من بنى ربيعة من نزار فقال فى قصيدة أولها :

دَعْ مَدْحَ دَارٍ خَبَا وَانْتَهَى عَهْدُ مَعَــــدٍّ بزعم عَاتِبِهَا

فقال :

فامدحْ مَعَدًّا وافخر بمنصبها الـ ـعالِى عَلَى النَّاسِ فِى مَنَاصِبِها
وهَتِّكِ السِّتْرَ عن ذَوِى يَمَنٍ أولاد قَحْطَــــانَ غير هائبِهَا

وانظر الديوان ١٥٥ والتنبيه والإشراف ٧٦ — ٧٧ .

(١) كذا فى ط ، وفى ا : « الأصبهبذ بأصبهان ونواحى خراسان » . (٢) ا : « بوذران » .

وجماعة كثيرة من إخوته ، وتقدم كيخسرو إلى طوس ؛ أن يكون قصده لفراسياب وطراخنته[1] ، وألاّ يمرّ بناحية من بلاد الترك ، وكان فيها أخ له يقال له فروذ بن سياوخش ، من امرأة يقال لها برزا فريد ، كان سياوخش تزوّجها فى بعض مدائن الترك أيام سار إلى فراسياب ، ثم شخص عنها وهى حُبْلى ، فولدت فروذ فأقام بموضعه ، إلى أن شبَّ فغلط طوس فى أمر فروذ — فيما قيل — وذلك أنه لـمّا صار بحِذاء المدينة التى كان فيها فروذ هاج بينه وبينه حربٌ ببعض الأسباب ، فهلك فروذ فيها ، فلما اتصل خبرُه بكيخسرو كتب إلى برزافره عمّه كتابًا غليظًا ، يعلِمه فيه ما وردَ عليه من خبر طُوس ابن نوذران ومحاربته فروذ أخاه ، وأمرَه بتوجيه طوس إليه مقيَّداً مَغلولاً ، وتقدَّم إليه فى القيام بأمر العسكر والنفوذ به لوجهه ، فلما وصل الكتابُ إلى برزافره ، جمع رؤساء الأجناد والمقاتلة ، فقرأه عليهم ، وأمر بغَلّ طوس وتقييده ، ووجَّهه مع ثقات من رسله إلى كيخسرو ، وتولّى أمرَ العسكر ، وعَبَرَ النهر المعروف بكاسبروذ ، وانتهى الخبر إلى فراسياب ، فوجَّه إلى برزافره جماعةً من إخوته وطراخنته لمحاربته ، فالتقوْا بموضع من بلاد الترك يقال له واشن ، وفيهم فيران بن ويسغان وإخوته طراسيف بن جوذرز صهر فراسياب ، وهماسف ابن فشنجان ، وقاتلوا قتالاً شديداً ، وظهر من برزافره فى ذلك اليوم فشلٌ لما رأى من شدّة الأمر وكثْرة القتلى ، حتى انحاز بالعلَم إلى رءوس الجبال واضطرب على ولد جوذرز أمرُهم ، فقتل منهم فى تلك الملحمة فى وقعة واحدة سبعون رجلاً ، وقُتِل من الفريقين بَشَرٌ كثير ، وانصرف برزافره ومن كان معه إلى كيخسرو ، وبهم من الغمّ والمصيبة ما تمنوْا معه الموت ، فكان خوفهم من سطوة كيخسرو أشدّ ، فلما دخلوا على كيخسرو أقبل على برزافره بلائمة شديدة ، وقال : أتيتم فى وجهكم لتركِكم وصيّتى ومخالفة وصية الملوك ، تورد مورد السوء ، وتُورِث الندامة ، وبلغ ما أصيبوا به من كيخسرو حتى رئيت الكآبة فى وجهه ، ولم يلتذّ طعامًا ولا نومًا . فلما مضت لموافاتهم أيام أرسل إلى جوذرز فلما دخل عليه أظهر التوجّع له ، فشكا إليه جوذرز برزافره ، وأعلمه أنه كان

٦٠٦/١ ٦٠٧/١

---

(١) قال فى القاموس : « وطرخان ، بالفتح ولا تضم ولا تكسر وإن فعله المحدثون : اسم الرئيس الشريف ، خراسانية ، بالجمع طراخنة » .

السبب للهزيمة بالعلم وخذلانه ولده ، فقال له كيخسرو : إن حقك بخدمتك لآبائنا لازم لنا ، وهذه جنودنا وخزائننا مبذولة لك فى مطالبة ترتك ، وأمره بالتهيؤ والاستعداد والتوجه إلى فراسياب ، والعمل فى قتله وتخريب بلاده ، فلما سمع جوذرز مقالة كيخسرو نهض مبادراً فقبّل يده ، وقال : أيها الملك المظفّر ، نحن رعيتك وعبيدك ، فإن كانت آفة أو نازلة ، فلتكن بالعبيد دون ملوكها ، وأولادى المقتولون فداؤك ، ونحن من[1] وراء الانتقام من فراسياب والاشتفاء من مملكة الترك ، فلا يغمنّ الملك ما كان ، ولا يدعن لهوه ؛ فإن الحرب دول ، وأعلمه أنه علىّ النفوذ لأمره . وخرج من عنده مسروراً .

١/٦٠٨

فلما كان[1] من الغد أمر كيخسرو أن يدخل عليه رؤساء أجناده والوجوه من أهل مملكته ، فلما دخلوا عليه أعلمهم ما عزم عليه من محاربة الأتراك ، وكتب إلى عماله فى الآفاق يعلمهم ذلك ، ويأمر بموافاتهم فى صحراء تعرف بشاه أسطون ، من كورة بلخ ، فى وقت وقّته لهم . فتوافت رؤساء الأجناد فى ذلك الموضع ، وشخص إليه كيخسرو بإصبهبذته وأصحابهم ، وفيهم برزافره عمّه وأهل بيته ، وجوذرز وبقية ولده . فلما تكاملت الملحمة ، واجتمعت المرازبة[3] ، تولّى كيخسرو بنفسه عرض الجند حتى عرف مبلغهم ، وفهم أحوالهم ، ثم دعا بجوذرز بن جشوادغان ، وميلاذ بن جرجين وأغص بن بهذان — وأغص ابن وصيفة كانت لسياوخش ، يقال لها : شوماهان — فأعلمهم أنه قد أراد إدخال العساكر على الترك من أربعة أوجه ، حتى يحيطوا بهم برّاً وبحراً ، وأنه قد قوّد على تلك العساكر ، وجعل أعظمها إلى جوذرز ، وصيّر مدخله من ناحية خراسان ، وجعل فيمن ضمّ إليه برزافره عمّه وبىّ بن جوذرز وجماعة من الأصبهبذين كثيرة ، ودفع إليه يومئذ العلم الأكبر الذى كانوا يسمّونه درفش كابيان ، وزعموا أن ذلك العلم لم يكن دفعه أحد من الملوك إلى أحد من القوّاد قبل ذلك ، وإنما كانوا يسيّرونه مع أولاد الملوك إذا وجّهوهم فى

١/٦٠٩

(١) ح : « ونحن نردم ».

(٢) إلى هنا ينتهى الموجود من المجلد الأول من نسخة أحمد الثالث .

(٣) المرزبان : الرئيس من الفرس ، بضم الزاى ، والجمع المرازبة .

الأمور العظام . وأمر ميلاذ بالدخول مما يلى الصين ، وضمّ إليه جماعة كثيرة دون مَنْ ضمّ إلى جوذرز ، وأمر أغص بالدخول من ناحية الخزر فى مثل مَنْ ضمّ إلى ميلاذ ، وضمّ إلى شومهان إخوتها وبنى عمّها وتمام ثلاثين ألف رجل من الجند ، وأمرها بالدخول من طريق بين طريق جوذرز وميلاذ .

ويقال : إن كيخسرو إنما غزا شومهان لخاصّتها بسياوخش ، وكانتْ نَذَرت أن تطالب بدمه . فمضى جميعُ هؤلاء لوجههم ، ودخل جوذرز بلادَ الترك من ناحية خُراسان ، وبدأ بفيران بن ويسغان ، فالتحمت بينهما حَرْبٌ ١/٦١٠ شديدة مذكورة ، وهى الحرب التى قتل فيها بيزن بن بىّ خُمان بن ويسغان مبارزة ، وقتل جوذرز فيرانَ أيضًا ، ثم قصد جوذرز فراسياب ، وألحّت عليه العساكر الثلاثة ، كلّ عسكر من الوجه الذى دخل منه ، واتّبع القوم بعد ذلك كيخسرو بنفسه ، وجعل قَصْده للوجه الذى كان فيه جوذرز ، وصيَّر مدخله منه ، فوافى عسكر جوذرز ، وقد أثخن فى الترك ، وقتل فيران رئيس إصبهبذى فراسياب ، والمرشّح للملك من بعده ، وجماعة كثيرة من إخوته ؛ مثل خُمان ، وأوستهن ، وجلباد ، وسيامق ، وبهرام ، وفرشخاذ ، وفرخلاد . ١/٦١١ ومن ولده ، مثل روين بن فيران ، وكان مقدّمًا عند فراسياب ، وجماعة من إخوة فراسياب ، مثل : رتدراى[1] ، وأندرمان ، وأسفخرم ، وأخست . وأَسَربروا بن فشنجان قاتل سياوَخْش ، ووجد جوذرز قد أحْصى القتلى والأسرى ، وما غنِم من الكُرَاع والأموال ، فوجد مبلغ ما فى يده من الأسرى ١/٦١٢ ثلاثين ألفًا ، ومن القتلى خمسمائة ألف ونَيِّفًا وستين ألف رجل ، ومن الكُرَاع والورق والأموال ما لا يحصى كثْرة ، وأمر كلّ واحد من الوجوه الذين كانوا معه أن يجعل أسيره أو قتيلَه من الأتراك عند علمه لينظر كيخسرو إلى ذلك عند موافاته .

فلما وافى كيخسرو العسكر وموضع الملحمة اصطفّت له الرجال ، وتلقاه جوذرز وسائر الإصبهبذين ، فلما دخل العسكر جعل يمرّ بعلمٍ علم ، فكان أول قتيل رآه جثة فيران عند علمِ جوذرز ، فلما نظر إليها[2] وقف ثم قال :

---

(١) كذا فى ن ، وفى س : « زيد راى »

(٢) ح ، س : « نحوه »

أيها الجبل الصعب الذرا المنيع الأركان ! ألم أنهك عن هذه المحاربة ، وعن نَصْب نفسك لنا دونَ فراسياب فى هذه المطالبة ! ألم أبذُلْ لك نفسى ، وأعرض عليك ملكى فلم تحسن الاختيار ! ألست الصدوقَ اللسان ، الحافظَ للإخوان ، الكاتم للأسرار ! ألم أعلمْك مكْرَ فراسياب وقلّة وفائه فلم تفعل ما أمرتُك بل مضيت فى نومك حتّى احتوشتك[1] الليوث من مقاتلتنا وأبناء مملكتنا ! ما أغنى عنك فراسياب ، وقد فارقت الدنيا وأفنيت آل ويسغان ! فويلٌ لحلمك[2] وفهمك ! وويل لسخائك وصدقك ! إنّا بك اليوم لَمُوجَعون!

ولم يزل كيخسرو يرثى فيران حتّى صار إلى علَم بىّ بن جوذرز ، فلما وقف عليه وجد بروا بن فشنجان حيًّا أسيراً فى يدىْ بىّ ، فسأل عنه فأخبر أنه بروا قاتل سياوخش الماثل به عند قتله إياه . فقرّب منه كيخسرو ، ثم طأطأ رأسه بالسجود شكراً لربه ، ثم قال : الحمد لله الذى أمكننى منك يابروا ! أنتَ الذى قتلتَ سياوخش ، ومثّلتَ به ! وأنت الذى سلبتَه زينته[3] وتكلّفت من بين الأتراك إبارته ، فغرست لنا بفعلك هذه الشجرةَ من العداوة ، وهيّجت بيننا هذه المحاربة ، وأشعلت فى كلا الفريقين نارا موقدة ! أنت الذى جرَى على يديك تبديلُ صورته ، وتوهين قوته ! أما تهيّبت أيها التركىّ جماله ! ألا أبقيت عليه للنور الساطع على وجهه ! أين نجدتُك وقوّتك اليوم ! وأين أخوك الساحر عن نصرتك ! لست أقتلُك لقتلك إياه ؛ بل لكلفتك وتولّيك ما كان صلاحًا لك ألاّ تتولاه ، وسأقتل مَنْ قتله ببغيه وجرمه . ٦١٢/١

ثم أمر أن تقطع أعضاؤه حيًّا ثم يذبح ففعل ذلك به بىّ ، ولم يزل كيخسرو يمر بعلَم علَم ، وأصبَهبذ أصبَهبذ ؛ فإذا صار إلى الواحد منهم قال له نحو ما ذكرنا ، ثم صار إلى مضاربه ، فلما استقرّ فيها دعا ببرزافره عمّه ، فلما دخل عليه أجلسه عن يمينه ، وأظهر له السرورَ بقتله جلباذ بن ويسغان مبارزة ، ثم أجزل جائزته وملّكه على كرْمان ومُكْرَان ونواحيها ، ثم دعا بجوذرز ، فلما

(١) احتوشوه : أحاطوا به .
(٢) ن : « لعلمك » .
(٣) ح : « رتبته » .

دخل عليه قال له : أيها الأصبهبذ الرشيد ، والكهل الشفيق ؛ إنه مهما كان من هذا الفتح العظيم فمن ربّنا عزّ وجلّ ، وعن غير حيلة منا ولا قوة ، ثم برعايتك حقنا ، وبَذْلِك نفسك وأولادك لنا ، وذلك مذخور لك عندنا ، وقد حبوْناك بالمرتبة التي يقال لها «بزُرْجفر مذار» ؛ وهي الوزارة ، وجعلنا لك أصبهان وجُرْجان وجبالهما ، فأحسِنْ رعاية أهلها .

١/٦١٤ فشكر جوذرز ذلك ، وخرَج من عنده بَهِجًا مسروراً ، ثم أمر بالوجوه من أصبهبذته الذين كانوا مع جوذرز ممن حسن بلاؤه ، وتولى قتل طراخنة الأتراك ، ولد فشنجان وويسغان ؛ مثل جرجين بن ميلاذان ، وبيّ ، وشادوس ولحام ، وجدمير بن جوذرز ، وبيزن بن بيّ ، وبرازه بن بيفغان ، وفروذه بن فامدان

١/٦١٥ وزنده بن شابريغان ، وبسطام بن كزدهمان ، وفرته بن تفارغان . فدخلوا عليه رجلاً رجلاً ؛ فمنهم من ملّكه على البلدان الشريفة ، ومنهم مَنْ خصّه بأعمال من أعمال حضرته ، ثم لم يلبث أن وردت عليه الكتب من ميلاذ وأغص وشومهان بإثخانهم في بلاد الترك ، وأنهم قد هزموا فراسياب عسكراً بعد عسكر ، فكتب إليهم أن يجدّوا في محاربة القوم ، وأن يوافوه بموضع سمّاه لهم من بلاد الترك . فزعموا أن العساكر الأربعة لما أحاطت بفراسياب ، وأتاه مِنْ قتل مَنْ قتل ، وأسْر مَنْ أسر ، وخراب ما خرّب ما أتاه ، ضاقت عليه المذاهب ، ولم يبق معه من ولده إلا شيده — وكان ساحراً — فوجّهه نحو كيخسرو بالعدّة والعتاد ، فلما وافى كيخسرو أعلم أنّ أباه إنما وجّهه للاحتيال عليه ، فجمع أصبهبذته وتقدّم إليهم في الاحتراس من غيلته .

وقيل : إن كيخسرو أشفق يومئذ من شيده وهابَه ، وظنّ ألاّ طاقة له به ، وأنّ القتال اتصل بينهما أربعة أيام ، وإن رجلاً من خاصة كيخسرو يقال له جرد بن جرهمان عبّى يومئذ أصحابَ كيخسرو ، فأحسن تعبيتهم ، فكثرت القتلى بينهم واستماتت رجال خنيارث وجدّت ، وأيقن شيده ألاّ طاقة له بهم

١/٦١٦ فانهزم ، واتبعه كيخسرو بمن معه ، ولحقه جرد فضربه على هامته بالعمود ضربةً خرّ منها ميتاً ، ووقف كيخسرو على جيفته ، فعاين منها سماجة شنِعة ، وغنم كيخسرو ما كانَ من عسكرهم ، وبلغ الخبر فراسياب ، فأقبل بجميع

طراخنته، فلما التقى وكيخسر، ونَشَبَت بينهما حرب شديدة لا يقال إنّ مثلها كان على وجه الأرض قبلها ، فاختلط رجال خنيارث برجال التّرك ، وامتدّ الأمر بينهم حتّى لم تقع العين يومئذ إلا على الدماء،والأسر من جوذرز ولده وجرجين وجرد وبسطام ، ونظر فراسياب وهم يحمُون كيخسرو كأنهم أسود ضاربة، فانهزم مولّيًا على وجهه هاربًا، فأحصيَت القَتْلى فيما ذكر يومئذ ؛ فبلغت عدّتهم مائة ألف، وجدّ كيخسرو وأصحابه فى طلب فراسياب ، وقد تجرّد للهرب . فلم يزل يهرب من بلد إلى بلد حتّى أتى أذربيجان ، فاستتر فى غدير هناك يعرف ببئر خاسف ، ثم ظُفِر به ، فلما أتى كيخسرو استوثق منه بالحديد ؛ ثم أقام للاستراحة بموضِعه ثلاثة أيام ، ثم دعاه ، فسأله عن عذره فى أمر سياوخش ، فلم يكن له عذر ولا حُجَّة ، فأمر بقتله ، فقام إليه بىّ بن جوذرز ، فذبَحه كما ذبح سياوخش ، ثم أتى كيخسرو بدمه ، فغَمس فيه يده،وقال هذا بِتِرَة سياوَخش ، وظُلْمكم إياه واعتدائكم عليه. ثم انصرف ٦١٧/١ من أذربيجان ظافراً غانمًا بهجًا .

وذُكِر أن عدة من أولاد كيبيه جدّ كيخسرو الأكبر وأولادهم كانوا مع كيخسرو فى حرب الترك ، وأن ممن كان معه كى أرش بن كيبيه ، وكان مُملَّكا على خوزستان وما يليها من بابل وكى به أرش،وكان مملكاً على كرمان ونواحيها ، وكى أوجى بن كيمنوش بن كيفاشين بن كيبيه ، وكان مملّكاً على فارس، وكى أوجى هذا هو أبوكى لهراسف الملك ؛ ويقال إن أخًا لفراسياب كان يقال له : كى شراسف ، صار إلى بلاد الترك بعد قتل كيخسرو أخاه ، فاستولّى على ملكها ، وكان له ابن يقال له خرزاسف ، فملك البلاد بعد أبيه ، وكان جباراً عاتيًا ، وهو ابن أخى فراسياب ملِك الترك الذى كان حارب منوشهر، وجوذرز هو ابن جشواغان بن يسحره[1] بن قرحين[1] بن حبر بن رسود بن أورب بن تاج[1] بن رشيك[1] بن أرس بن وندح[2] بن رعر بن نودراحاه بن ٦١٨/١ مسواغ بن نوذر بن منوشهر .

فلما فرغ كيخسرو من المطالبة بِوتْره،واستقرّ فى مملكته زهد فى الملك ، وتنسَّك ، وأعلَم الوجوه من أهله وأهل مملكته أنه على التخلّى من الأمر ، فاشتدّ

(١) كذا فى ن (٢) كذا فى ح .

لذلك جزعُهم، وعظمت له وحشتهم، واستغاثوا إليه ، وطلبوا وتضرّعوا، وراودوه على المقام بتدبير ملكهم ، فلم يجدوا عنده فى ذلك شيئًا ، فلما يئسوا قالوا بأجمعهم : فإذا قمتَ على ما أنت عليه فسمّ للملك رجلاً نقلّده إياه ، وكان لهراسف حاضراً ، فأشار بيده إليه ، وأعلمهم أنه خاصّته ووصيُّه، فأقبل الناس إلى لهراسف ،وذلك بعد قَبُوله الوصية . وفُقِد كيخسرو ، فبعض يقول : إنه غاب للنسك فلا يدرَى أين مات ، ولا كيف كانت ميتته ، وبعضٌ يقول غَير ذلك .

١/٦١٩ وتقلد لهراسف الملك بعده على الرسم الذى رسم له ، وولد كيخسرو : جاماس ، وأسبهر [1]، ورى ، ورمين .

وكان ملك كيخسرو ستين سنة .

(١) ح : «واسبهر» .

أمر إسرائيل
بعد سليمان بن داود عليهما السلام

رجع الحديث إلى الخبر عن أمر بنى إسرائيل بعد سليمان بن داود عليهما السلام .

ثم ملك بعد سليمان بن داود على جميع بنى إسرائيل ابنه رُحُبْعُم[1] بن سليمان ، وكان ملكه -فيما قيل- سبع عشرة سنة . ثم افترقت ممالكُ بنى إسرائيل فيما ذكر بعد رُحُبْعُم، فكان أبيّا[2] بن رُحُبْعُم ملك سبط يهوذا وبنيامين ، دون سائر الأسباط ؛ وذلك أنّ سائر الأسباط ملّكوا عليهم يوربعم[3] بن نابط ، عبد سليمان ، لسبب القربان الذى كانت زوجة سليمان قرّبته فى داره ، وكانت قرّبت فيها جرادةً لصنم، فتوعّده الله بإزالة بعضِ المُلْك عن ولده، فكان ملك رُحُبْعُم إلى أن تُوُفِّيَ - فيما ذكر - ثلاث سنين .

ثم ملك أسَا[4] بن أبيًّا أمر السِّبطين اللذيْن كان أبوه يملك أمرهما -وهما سبط يهوذا وسبط بنيامين - إلى أن توفّى ، إحدى وأربعين سنة .

* * *

ذكر خبر أسَا بن أبيًّا وزرح الهندىّ

حدثنى محمد بن سهل بن عسكر ، قال : حدثنا إسماعيل بن عبدالكريم ؛ قال : حدثنى عبد الصمد بن معقل ، أنه سمع وهب بن منبّه يقول : إن ملكًا من ملوك بنى إسرائيل يقال له أسا بن أبيًّا ، كان رجلاً صالحًا ، وكان أعرَج ، وكان ملك من ملوك الهند يقال له زرح ، وكان ملكًا جباراً فاسقًا يدعو الناس ١/٦٢٠

(١) ضبطه ابن خلدون فى (١ : ١٤٨) : «براء مهملة وحاء مهملة مضمومتين ، وباء موحدة ساكنة وعين مهملة مضمومة وميم » .

(٢) فى ابن خلدون : « أفيا » ، وضبطه بهمزة مفتوحة وفاء متوسطة بين الفاء والذال من لغتهم ، وياء مثناة من تحت مشددة بألف » .

(٣) فى ابن خلدون : يربعم ، مضبوطاً بالقلم ؛ بفتح وضم الراء وسكون الباء .

(٤) ضبطه ابن خلدون « بضم الهمزة وفتح السين المهملة وألف بعدها » .

إلى عبادته ، وكان أبيًّا عابدَ أصنام؛ له صنمان يعبدهما من دون الله ، ويدعو الناسَ إلى عبادتهما؛ حتى أضلَّ عامة بنى إسرائيل ، وكان يعبُد الأصنام حتى توفِّى . ثم ملك ابنه أسَا من بعده ،فلما ملكهم[1] بعث فيهم مناديًا ينادى : ألاَ إنَّ الكفر قد مات وأهلُه ، وعاش الإيمان وأهلُه ، وانتكست الأصنام وعبادتُها ، وظهرت طاعة الله وأعمالُها ، فليس كافر من بنى إسرائيل يُطلع رأسه بعد اليوم بكُفْرٍ فى ولايتى ودهرى، إلا أنّى[2] قاتله. فإن الطوفان لم يُغرق الدنيا وأهلها، ولم يخسف بالقرى، ولم تمطر الحجارة والنار من السماء إلا بترك طاعة الله ، وإظهار معصيته ؛ فمن أجل ذلك ينبغى لنا ألاَّ نقرَّ لله معصيةً يُعمَل بها ، ولا نترك طاعة لله إلا أظهرناها جهدَنا ، حتى نطهِّر الأرض من نَجَسها ، ونُنقِّيها من دنسها ، ونجاهد مَنْ خالفَنا فى ذلك بالحرب والنفى من بلادنا .

فلما سمع ذلك قومُه ضجُّوا وكرهوا ، فأتوْا أمَّ أسَا الملك فشكوْا إليها فعل ابنها بهم وبآلهتهم ، ودعاءه إياهم إلى مفارقة دينهم ، والدخول فى عبادة ربِّهم ، فتحمّلتْ لهم أمه أن تكلِّمَه وتصرفَه إلى عبادة أصنام والده؛ فبينا الملك قاعد وعنده أشراف قومه ورءوسهم[3] وذوو طاعتهم ؛ إذ أقبلتْ أمّ الملك فقام لها الملك من مجلسه، وأمرَها أن تجلس فيه، معرفةً بحقها، وتوقيراً لها. فأبت عليه وقالت : لستَ ابنى إن لم تجبنى إلى ما أدعوك إليه ، وتضع طاعتك فى يدى حتى تفعل ما آمرك به ، وتجيبَنى إلى أمر؛ إن أطعتَنى فيه رَشَدت وأخذت بحظّك، وإن عصيتَنى فحظَّك بخَست ، ونفسَك ظلمت . إنه بلغنى يا بنىّ أنك بدأت قومك بالعظيم ؛ دعوتَهم[4] إلى مخالفة دينهم ، والكفر بآلهتهم ، والتحوّل عمَّا كان عليه آباؤهم ، وأحدثت فيهم سنّة ،وأظهرت فيهم بدعة؛ أردت بذلك — فيما زعمتَ — تعظيمًا لوقارك ، ومعرفةً بمكانك ، وتشديداً لسلطانك ؛ وفى التقصير يا بنىّ دخلت، وبالشَّيْن أخذت . ودعوت جميعَ الناس إلى حربك ، وانتدبت لقتالهم وحدك ؛ أردت بذلك أن تُعيد الأحرار لك عبيداً ، والضعيف

١ / ٦٢١

(١) ن : « فلما ملكهم من بعده » . (٢) : ح « أنا » .
(٣) ن : « ورؤسائهم » . (٤) س : « ودعوتهم » .

لك شديداً ؛ سفَّهت بذلك رأيَ العلماء ،وخالفتَ الحكماء ، واتّبعت رأى السفهاء . ولعمرى ما حملك على ذلك يا بنىّ إلا كثرةُ طيشك ، وحداثةُ سنّك ، وقلّةُ علمك ؛ فإن أنت رددتَ علىّ كلامى، ولم تعرفْ حقى ، فلستَ من نسل والدك ، ولا ينبغى الملْك لمثلك . يا بنىّ بأىّ شىء تُدِلُّ على قومك؟ لعلك أوتيت من الحروف مثل ما أتى[1] موسى إلى فرعون؛ أن غرّقه وأنجى قومه من الظّلمة . أو لعلك أوتيت من القوة ما أوتى داود؛ أن قتلَ الأسد لقومه ، ولحق الذئب فشقّ شِدْقه ، وقتل جالوت الجبّار وحده .أو لعلك أوتيتَ من الملك والحكمة أفضلَ ممّا أوتى سليمان بن داود رأس الحكماء ؛ إذ صارت حكمتُه مثلاً للباقين بعده ! يا بنىّ إنه ما يأتِك من حسنة فأنا أحظَى الناس بها ، وإن تكن الأخرى فأنا أشقاهم بشقوتك . ٦٢٢/١

فلما سمعها الملك اشتدّ غضبُه ، وضاق صدره ، فقال لها : يا أمّه ! إنه لا ينبغى أن آكلَ على مائدة واحدة مع حبيبى وعدوى ، كذلك لا ينبغى أن أعبدَ غيرَ ربّى . هلمّى إلى أمرٍ إن أطَعْتِنى فيه رَشدت ،وإن تركتِه غويت؛ أن تعبدى الله وتكفرى بكلّ آلهة دونه ، فإنه ليس أحد يردُّ هذا علىّ إلا هو لله عدوّ ، وأنا ناصره لأنى عبدُه .

قالت له : ما كنت لأفارقَ أصنامى ، ولا دينَ آبائى وقومى . ولا أتركُ[2] ذلك لقولك ، ولا أعبد الربّ الذى تدعونى إليه .

فقال لها الملك: حينئذ[3] يا أمّه، إنّ قولَكِ هذا قدقطع فيما[4] بينى وبينك رحِمى .

وأمر بها الملك عند ذلك فأخرَجوها وغرّبوها[5]، ثم أوصى إلى صاحب شُرْطته وبابه أن يقتلَها إن هى ألمّت بمكانه[6].

فلما سمع ذلك منه الأسباط الذين كانوا حوله وقعت فى قلوبهم المهابة ،

---

(١) كذا فى ن ، وفى ط : « أوتى » . (٢) ح : « وأترك » .
(٣) س : « عند ذلك » . (٤) ن : « فرق بينى » .
(٥) ر ، ن : « وعذبوها » . غربوها ، أى أبعدوها
(٦) ح : « بمكانها » .

١ / ٦٢٣ فأذعنوا له بالطاعة ، وانقطعت فيما بينهم وبينه كلّ حيلة ، وقالوا : قد فعل هذا بأمّه ، فأين نقع نحن منه إذا خالفنا فى أمره ، ولم نجبه إلى دينه ! فاحتالوا له كلّ حيلة، فحفظه الله وأباد مكرَهم . فلما لم يكن لهم عن[١] ذلك صبر ، ولا على فراق دينهم قوام؛ ائتمروا بأن يهربُوا من بلاده ، ويسكنوا بلاداً غيرها ؛ فخرجوا متوجّهين إلى زَرْح ملك الهند يطلبون أن يستحملوه على أسَا ومن اتبعه ؛ فلما دخلوا على زرْح سجدوا له ، فقال لهم : مَنْ أنتم ؟ قالوا : نحن عبيدك ، قال : وأىّ عبيدى[٢] أنتم ؟ قالوا : نحن من أرضك أرضِ الشام، وإنّا كنا نعتزّ بملكك، حتى ظهر فينا ملك صبىّ حديثُ السنّ سفيه ، فغيّر ديننا ، وسفّه رأينا ، وكفّر آباءنا،وهان عليه سخطُنا ، فأتيناك لنُعلمك ذلك ، فتكون أنت أولى بملكنا؛ونحن رءوسهم ، وهى أرض كثير مالها ، ضعيف أهلها ، طيّبة معيشتها ، كثيرة أنضارها[٣] ، وفيهم الكنوز وملْك ثلاثين ملكاً ، وهم الذين كان يوشع بن نون خليفة موسى سار بهم فى البحر هو وقومه ؛ فنحن وأرضنا لك ، وبلادنا بلادك ، وليس أحدٌ فيها يناصبك ، هم دافعون أيديهَم إليك بغير قتال ، بأموالهم[٤] وأنفسهم مسالمة .

قال : لهم زرح : لَعَمْرى ، ما كنت لأجيبَكم إلى ما دعوتمونى إليه ، ولا أستجيب إلى مقاتلة قوم لعلّهم أطوعُ لى منكم، حتى أبعثَ إليهم من قومى أمناء ، فإن وقع الأمرُ على ما تكلّمتم به قدّامى نفعكم ذلك عندى ، ١ / ٦٢٤ وجعلتُكم عليها ملوكاً ، وإن كان كلامكم كذباً فإنى منزِل بكم العقوبة التى تنبغى لمن كذَبنى .

قال القوم : تكلّمتَ بالعدل ، وحكمتَ بالقسط ، ونحن به راضون . فأمر عند ذلك بالأرزاق فأجريَت عليهم ، واختار من قومه أمناء ليبعثهم جواسيس ، فأوصاهم بوصيته[٥] ، وخوّفهم وحذّرهم بطشه إن هم كذَبوه ،

---

(١) ن : « على » . (٢) ن : « عبيد » .

(٣) كذا فى ط ، وفى ح « أنصارها » . وفى س « ثمارها » .

(٤) زاد ح : « ومواشيهم » . (٥) ن : « بوصية » .

ووعدهم المعروف إن هم صدَّقوه . وقال زرح : إنّى مرسلكم لأمانتكم، وشحّكم على دينكم ، وحسن رأيكم فى قومكم ،لتطالعوا لى أرضًا من أرضى ، وتبحثوا لى عن شأنها ، وتُعلمونى عِلْم أهلها ومِلكها وجنودها وعددها وعدد مياهها، وفِجاجها وطرقها، ومداخلها ومخارجها، وسهولتها وصعوبتها؛حتّى كأنى شاهد ذلك وعالمه ، وحاضر ذلك وخابره . وخذوا معكم من الخزائن من الياقوت والمرجان والكسوة ما يفرغون إليه إذا رأوْه ، ويشترون منكم إذا نظروا إليه .

فأمكنهم من خزائنه حتّى أخذوا منها،فجهزّهم لبرّهم وبحرهم ،ووصف لهم القوم الذين أتوهم[١] الطرقَ ، ودلّوهم على مقاصدها ، فساروا كالتجار ؛ حتّى نزلوا ساحِلَ البحر ، ثم ركبوا منه حتّى أرسوْا على ساحل إيلياء، ثم ساروا حتّى دخلوها ، فخلّفوا[٢] أثقالهم فيها ،وأظهروا أمتعتهم وبضاعتهم ، ودعوا الناس إلى أن يشتروا منهم ؛ فلم يفرُغوا لبضاعتهم ، وكسدت تجارتُهم ، فجعلوا يُعطون بالشىء القليل الشىءَ الكثير ؛ لكيلا يخرجوهم من قريتهم ، حتّى يعلموا أخبارَهم ،ويحقّوا شأنهم ويستخرجوا ما أمرهم بهملكهم من أخبارهم . ١/٦٢٥

وكان أسا الملك قد تقدّم إلى نساء بنى إسرائيل ألاّ يُقْدَر على امرأة لا زوج لها بهيئة امرأة لها زوج إلاّ قتلها أو نفاها من بلاده إلى جزائر البحار ؛ فإنّ إبليس لم يدخل على أهل الدِّين فى دينهم بمكيدةهى أشدّ من النساء ؛ فكانت المرأة التى لا زوج لها لا تخرج إلاّ منتقبة فى رِثّة الثياب لئلاّ تعرف ؛ فلما بذل هؤلاء الأمناء بضاعتهم ما ثمنُه مائة درهم بدرهم، جعل نساء بنى إسرائيل يشترين خُفْية بالليل سرًّا ، لا يعلم بهنّ أحد من أهل دينهنّ[٣] ؛ حتّى أنفقوا بضاعتَهم واشتروْا بها حاجتَهم ، واستوعبوا خبَر مدينتهم وحصونهم ، وعددَ مياههم ، وكانوا قد كتموا رءوس بضاعتهم ومحاسنها من اللؤلؤ والمرجان والياقوت هديّة للملك، وجعل الأمناء يسألون منْ رأوا من أهل القرية عن خبر الملك

---

(١) ن : « أتوا » .

(٢) كذا فى ح ، وفى ط : « فخلوا » .

(٣) ح : « مدينتهم » .

وشأنه إذ لم يشتر منهم شيئًا ، وقالوا : ما شأن الملك لا يشترى منا شيئًا ! إن كان غنيًا فإنّ عندنا[١] من طرائف[٢] البضاعات فنعطيه ما شاء مما لم يدخل مثله فى خزائنه ، وإن كان محتاجًا فما يمنعه أن يشهَدنا فنعطيَه ما شاء بغير ثمن !

١/٦٢٦ قال لهم مَنْ حضرهم من أهل القرية : إنّ له من الغنى[٣] والخزائن وفنون المتاع ما لم يُقْدَر على مثله ؛ إنه استفرغ الخزائن التى كان موسى سار بها من مصر ، والحلىّ الذى كان بنو إسرائيل أخذوا ، وما جمع يوشع بن نون خليفةُ موسى ، وما جمع سليمانُ رأس الحكماء والملوك ، من الغنى الكثير والآنية التى لا يقدَر على مثلها .

قال الأمناء : فما قتاله ؟ وبأىّ شىء عظمته ؟ وما جنوده ؟ أرأيتم لو أنّ[٤] ملكًا انحرف[٥] عليه ففتق ملكه ما كان إذاً قتالُه إياه ؟ وما عدّتُه وعدد جنوده ؟ أم بأىّ الخيل والفرسان غلبته ؟ أم[٦] من أجل كثرة جمعه وخزائنه وقعت فى قلوب الرجال هيبته !

فأجابهم القوم وقالوا : إن أسا الملك قليلةٌ عدّته ، ضعيفة قوته ، غيرَ أنّ له صديقًا لو دعاه واستعان به على أن يزيل الجبال أزالها ؛ فإذا كان معه صديقه فليس شىء من الخلْق يطيقه .

قال لهم الأمناء : ومَنْ صديق أسا ؟ وكم عدد جنوده ؟ وكيف مواجهته وقتالُه ؟ وكمْ عدد عساكره ومراكبه ؟ وأين قَراره ومسكنه ؟

فأجابهم القوم : أمّا مسكنُه ففوق السموات العلا ، مستوٍ على عرشه ، لا يحصى عدد جنوده ، وكلّ شىء من الخلق له عبد ، لو أمر البحر لطمّ على البرّ ، ولو أمر الأنهار لغارت فى عنصرها ، لا يُرى ولا يعرف قراره ، وهو صديق أسا وناصره[٧] .

---

(١) ن : « فعندنا » .
(٢) ط : « ظرائف » .
(٣) كذا فى ن ، ر ، وفى ط : « الغناء » .
(٤) ح : « كان » .
(٥) ن : « انخرق » .
(٦) كذا فى س ، وفى ط : « أومن » . (٧) ح : « وحافظه » .

فجعل الأمناء يكتبون كلّ شىء أخبروا به من أمر أسا وقضية أمره ، فدخل بعض هؤلاء الأمناء عليه فقالوا : يأيها الملك ، إن معنا هدية نريد أن نهديها لك من طرائف بلادنا ، أو تشترى منا فنرخصه عليك[١] . ١/٦٢٧

قال لهم : ائتونى بذلك حتى أنظر إليه، فلما أتوه به قال لهم : هل يبقى هذا لأهله ويبقون[٢] له ؟ قالوا : بل يفنى هذا ويفنى[٣] أهله . قال لهم أسا[٤] : لا حاجة لى فيه[٥] ، إنما طلبتى ما تبقى بهجته لأهله، لا تزول ولا يزولون عنه .

فخرجوا من عنده ، وردّ عليهم هديتهم ، فساروا من بيت المقدس متوجهين إلى زرح الهندىّ ملكهم .فلما أتوه نشروا له كتاب خبرهم وأنبئوه[٦] بما انتهى إليهم من أمر ملكهم، وأخبروه بصديق أسا .فلما سمع زرح كلامهم استحلفهم بعزّته ، وبالشمس والقمر اللذين يعبدونهما ولهما يصلّون ألاّ يكتموه من خبر ما رأوا فى بنى إسرائيل شيئاً . فصدّقوه .

فلما فرغوا من خبرهم وخبر أسا ملكهم وصديقه، قال لهم زرح : إن بنى إسرائيل لما علموا أنكم جواسيس ، وأنكم قد اطلعتم على عوراتهم ذكروا لكم صديق أسا وهم كاذبون؛ أرادوا بذلك ترهيبكم . إن صديق أسا لا يطيق أن يأتى بأكثر من جندى ، ولا بأكمل من عدّتى ، ولا بأقسى قلوباً ولا أجرأ على القتال من قومى ؛ إن لقينى بألف لقيته بأكثر من ذلك .

ثم عمد زرح عند ذلك فكتب إلى كلّ من فى طاعته أن يجهّزوا[٧] من كل مخلاف[٨] جنداً بعدّتهم حتى استمد يأجوج ومأجوج والترك وفارس مع ١/٦٢٨

(١) ن ، س : « فنرخص » .
(٢) ح : « أو يبقون »
(٣) ط « ويفنون » .
(٤) ن : « قال أسا » .
(٥) س ، ن : « به » .
(٦) ن ، س : « وأتوه » . (٧) ح ، س : « أن جهزوا » .
(٨) المخلاف ، قال ياقوت فى مقدمة كتابه عند ذكره الألفاظ التى يتكرر ذكرها فى هذا الكتاب : « فالمخلاف أكثر ما يقع فى كلام أهل اليمن ؛ وقد يقع فى كلام غيرهم على جهة التبع لهم والانتقال لهم ؛ وهو واحد مخاليف اليمن ؛ وهى كورها . . . وقال خالد بن جنبة : «فى كل بلد مخلاف » .

مَنْ سواهم من الأمم ممن جرت عليه لزرح طاعة ؛ كتب :

من زرح الجبار الهندىّ ملك الأرضين ، إلى مَنْ بلغته كتبى : أما بعد فإن لى أرضًا قد دنا حصادُها وأينع ثمرُها ؛ وأردت أن تبعثوا إلىّ بعمّال أغنّمهم ما حصدوا منها ، وهم قوم قَصَوْا عنى ، وغلَبوا على أطراف من أرضى وقهروا مَنْ تحت أيديهم من رقيقى ، وقد مِنحتهم مَنْ نهض إليهم معى ، فإن قصّرتْ بكم قوّة فعندى قوّتكم ، فإنه لا تتعطل خزائنى .

فاجتمعوا إليه من كلّ ناحية ، وأمدّوه بالخيل والفرسان والرّجالة[1] والعدّة ؛ فلما اجتمعوا عنده أمكنهم من السلاح والجهاز من خزائنه ، ثم أمر بإحصاء عددهم وتعبيتهم ، فبلغ عددُهم ألف ألف ومائة ألف سوى أهل بلادهم . وأمر بمائة مركب ، فقرن[2] له البغال ، كلّ أربعة أبغُل جميعًا عليها سرير وقبّة ، وفى كلّ قبّة منها جارية ، ومع كلّ مركب عشرة من الخدم ، وخمسة أفيال من فيَلته ، فبلغ فى كلّ عسكر من عساكره مائة ألف ، وجعل خاصّته الذين يركبون معه مائة[3] من رءوسهم ، وجعل فى كلّ عسكر عُرَفاء[4] ، وخطبهم وحرّضهم على القتال ، فلما نظر إليهم وسار فيهم تعزّز وتعظّم شأنُه فى قلوب مَنْ حضره ، ثم قال زرح : أين صديقُ أسَا ؟ هل يستطيع أن يعصمَه منّى ؟ أو مَنْ يطيق غلبتى ؟ فلو أن أسا وصديقَه ينظران إلىّ وإلى جندى ما اجترآ على قتالى ؛ لأن عندى بكلّ واحد من جنده ألفاً من جنودى ، لَيدخُلنّ أسَا أرضى أسيراً ، ولأقدمنّ بقومه سُبِيًّا فى جنودى .

٦٢٩/١

فجعل زرح ينتقص[5] أسَا ويقول فيه مالا ينبغى ، فبلغ أسَا صنيعُ زرح وجمعُه عليه ، فدعا ربّه فقال : اللهمّ أنت الذى بقوّتك خلقت[6] السموات والأرض ومَنْ فيهنّ حتى صار جميعُ ذلك فى قبضتك ، أنتَ ذو الأناة

---

(١) كذا فى ن ، وفى ط : « الرجال » .

(٢) ح : « ففرق » .

(٣) ن : « مائة ألف » .

(٤) العريف : رئيس القوم ؛ سمى لأنه عرف بذلك ؛ وهو دون الرئيس .

(٥) ن : « يتنقص » .

(٦) ن : « جعلت » .

الرفيقة[١] والغضب الشديد ، أسألك ألاّ تذكرنا بخطايانا[٢] فيما بيننا وبينك ، ولا تعمدنا ولا تجزينا على معصيتك ؛ ولكن تذكرنا برحمتك التى جعلتَها للخلائق ، فانظر إلى ضَعْفنا وقوة عدونا ، وانظر إلى قلّتنا وكثرة عدونا ، وانظر إلى ما نحن فيه من الضيق والغمّ ، وانظر إلى ما فيه عدوّنا من الفرح والراحة ، فغرّق زرحًا وجنوده فى اليمّ بالقدرة التى غرّقتَ بها فرعون وجنوده ، وأنجيت موسى وقومه . وأسألك أن تُحِلّ على زرح وقومه عذابك بغتة !

فأُرِىَ أسا فى المنام — والله أعلم — أنى قد سمعت كلامَك ، ووصل إلىّ جُؤارُك ، وأنى على عرشى ، وأنى إن غرّقت زرحا الهندى وقومه ، لم يعلم بنو إسرائيل ولا مَنْ كان بحضرتهم كيف صنعت بهم ، ولكن سأظهِرُ فى زرح وقومِه لك ولمن اتبعك قدرة من قدرتى ، حتى أكفيَكَ مؤنتهم ، وأهبَ لك غنيمتهم ، وأضعَ فى أيديكم عساكرَهم ؛ حتى يعلم أعداؤك أن صديقَ أسا لا يطاق وليُّه ، ولا يهزَم جنده[٣] ، ولا يخيب مُطيعُه ، فأنا أتمهل له حتى يفرغ من حاجته ، ثم أسوقه إليك عبداً ، وعساكره لك ولقومك خَوَلاً .

١/٦٣٠

فسار زرح ومن معه حتى حلّوا على ساحل ترشيش ، فلم يكن إلا محلّة يوم حتى دفنوا أنهارها ، ومَحوْا مروجَها ؛ حتى كان الطير ينقصف عليهم ، والوحش لا تستطيع الهرب منهم ، فساروا حتى كانوا على مرحاتين من إيلياء ، ففرّق زرح عساكره منها إلى إيلياء ، وامتلأت منهم تلك الأرضُ : جبالها وسهولها ، وامتلأت قلوبُ أهل الشام منهم رُعبًا ، وعاينوا هلَكتهم .

فسمع بهم أسا الملك ؛ فبعث إليهم طليعة من قومه ، وأمرهم أن يخبروه بعددهم وهيئتهم . فسار القوم الذين بعثهم أسَا حتى نظروا إليهم من رأس تلّ ، ثم رجعوا إلى أسا فأخبروه أنه لم تر عُيونُ بنى آدم ، ولا سمعت آذانهم مثلَهم ومثلَ أفيالهم وخيولهم وفرسانهم ؛ وما ظننّا أنّ فى الناس مثلَهم كثرة وعدة ، فُلَّت من إحصائهم عقولُنا ، وفُلّت من قتالهم حيلتنا ، وانقطع فيما بيننا وبينهم رجاؤنا .

---

(١) ن : « الرفيعة » . (٢) ح : « تذكر خطايانا » .
(٣) ح : « ووليه لا يهزم جنده » .

فسمع بذلك أهلُ القرية فشقُّوا ثيابهم ، وذرُّوا التراب على رءوسهم ، وعَجّوا بالعويل فى أزقّتهم وأسواقهم ، وجعل بعضُهم يودّع بعضًا . ثم ساروا حتى أتوا الملكَ فقالوا : نحن خارجون بأجمعنا إلى هؤلاء القوم فدافعون إليهم أيديَنا ، لعلهم أن يرحمونا فيقرّونا فى بلادنا . قال لهم أسا الملك : معاذ الله أن نُلقىَ بأيدينا[1] فى أيدى الكفرة ، وأن نُخلّىَ بيتَ الله وكتابه للفجرة ! قالوا : فاحتَلْ لنا حيلة ، واطلب إلى صديقك وربك الذى كنت تعدُنا[2] بنصره[3] ، وتدعونا إلى الإيمان به ، فإن هو كشَفَ عنّا هذا البلاء ؛ وإلاّ وضعنا أيديَنا فى أيدى عدونا لعلنا نتخلّص بذلك من القتل . ٦٣١/١

قال لهم أسا : إنّ ربى لا يطاق إلا بالتضرُّع والتبتل والاستكانة . قالوا : فابرز له لعلّه أن يجيبك فيرحم ضعفنا ، فإن الصديق لا يسلِم صديقه على مثل هذا . فدخل أسا المصلَّى ، ووضع تاجه من رأسه ، وخلّى ثيابه ، ولبس المُسوح وافترش الرماد ، ثم مدّ يده يدعو ربه بقلب حزين ، وتضرّع كثير ، ودموع سِجال ، وهو يقول : اللهمّ ربّ السموات السبع وربّ العرش العظيم ، إله إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط ؛ أنت المستخفى من خلْقك حيث شئت ، لا يدرَك قرارك ، ولا يطاق كنهُ عظمتك ، أنت اليقظان الذى لا تنام ، والجديد الذى لا تبليك الليالى والأيام ؛ أسألك بالمسألة التى سألك بها إبراهيم خليلك فأطفأتَ بها عنه النار ، وألحقته بها بالأبرار ، وبالدعاء الذى دعاك به نجيُّك موسى فأنجيت بنى إسرائيل من الظلَمة ، وأعتقتَهم به من العبودية ، وسيّرتهم فى البرّ[4] والبحر ، وغَرّقت فرعون ومن اتبعه . وبالتضرُّع الذى تضرَّع لك[5] عبدُك داود فرفعتَه ، ووهبتَ له من بعد الضعف القوة ، ونصرتَه على جالوت الجبّار ، وهزمتَه . وبالمسألة التى سألك بها سليمان نبيّك فمنحتَه الحكمة ، ووهبت له الرفعة ، وملّكته على كلّ دابّة . أنت محيى الموتى ، ومُفنى الدنيا ، وتبقَى ٦٣٢/١

(١) س : « أيدينا » .
(٢) ح : « وعدتنا » .
(٣) س : « نصره » .
(٤) كذا فى ح ، وفى ط : « فى البحر إلى البر » .
(٥) ح : « إليك » .

وحدك خالداً لا تفنى ، وجديداً لا تبلى . أسألك يا إلهى أن ترحمنى بإجابة دعوتى ؛ فإنى أعرجُ مسكين من أضعف عبادك ، وأقلّهم حيلة ، وقد حلّ بنا كرب عظيم ، وحَزْبٌ[1] شديد ، لا يطيق كشفه غيرك ، ولا حول ولا قوة لنا إلا بك ، فارحم ضعفنا بما شئت ؛ فإنك ترحم من تشاء بما تشاء .

وجعل علماء بنى إسرائيل يدعون الله خارجاً وهم يقولون : اللهمّ أجب اليوم عبدك؛ فإنه قد اعتصم بك وحدك، ولا تخلّ بينه وبين عدوّك ، واذكر حبّه إياك ، وفراقه أمّه وجميع الخلائق إلا من أطاعك .

فألقى الله على أسا النوم وهو فى مصلاّه ساجداً ، ثم أتاه من الله آت — والله أعلم — فقال : يا أسا ، إن الحبيب لا يُسلِم حبيبه ، وإن الله عزّ وجلّ يقول : إنى قد ألقيت عليك محبّتى ، ووجَب لك نصرى ، فأنا الذى أكفيك عدوّك، فإنه لا يهون مَنْ توكّل علىّ ، ولا يضعف مَنْ تقوّى بى . كنت تذكرنى فى الرخاء، وأسلمك عند الشدائد، وكنتَ تدعونى آمناً ، وأنا أسلمك خائفاً ؛ إن الله القوىّ يقول : أنا أقسم أنْ لو كايَدتْك[2] السموات والأرض بمَنْ فيهنّ ١/٦٣٣ لجعلت لك مِنْ جميع ذلك مخرجاً ، فأنا الذى أبعث طرفاً[3] من زبانيتى يقتلون أعدائى ، فإنى معك ، ولن يخلُص إليك ولا إلى من معك أحد .

فخرج أسا من مصلاّه وهو يحمَد الله ، مسفراً وجهه ، فأخبرهم بما قيل له ، فأمّا المؤمنون فصدّقوه ، وأمّا المنافقون فكذّبوه، وقال بعضهم لبعض : إنّ أسا دخل أعرج وخرج أعرج ، ولو كان صادقاً أن الله قد أجابه إذاً لأصلح[4] رجْلَه ، ولكن يغرّنا ويمنّينا ، حتى تقع الحرب فينا فيهلكنا !

* * *

فبينا الملك يخبرهم عن صنع الله[5] بهم[6] إذ قدم رسل من زرح فدخلوا إيلياء ومعهم كتب من زرح إلى أسا ، فيها شتمٌ له ولقومه ، وتكذيب بالله ،

(١) الحزب، بالفتح : اشتداد الأمر . وفى ح : « وحزن » .
(٢) كذا فى ن ، وفى ط ن : « كايدتك » . (٣) ح : « طوقاً » .
(٤) ن : « أصلح » .
(٥) س : « عن صنيع » .
(٦) ن : « لهم » .

وكتَب فيها : أن ادعُ صديقك الذى أضللت به قومَك فليبارزنى بجنوده ، وليظهرْ لى مع ما أنّى أعلم أنه لن يطيقنى[١] هو ولا غيره ؛ لأنى أنا زرح الهندىّ الملك .

فلما قرأ أسا الكتب التى قدم بها عليه هـمَلت عيناه بالبكاء، ثم دخل مصلاّه ، ونشر تلك الكتب بين يدى[٢] الله ، ثم قال : اللهمّ ليس لى شىء من الأشياء أحبّ إلىّ مِنْ لقائك ؛ غير أنى أتخوّف أن يُطفأ هذا النور الذى أظهرتَهُ فى أيامى هذه ، وقد حضرتْ هذه الصحائف وعلمتُ ما فيها ، ولو كنت المراد بها كان ذلك يسيراً ؛ غيرَ أن عبدك زرحاً يكايدك ويتناولك ؛ فَخَرَ[٣] بغير فخر ، وتكلّم بغير صدق ، وأنت حاضر ذلك وشاهده .

١/٦٣٤

فأوحى الله إلى أسَا — والله أعلم — أنه لا تبديلَ لكلماتى ، ولا خُلْفَ لموعدى ، ولا تحويل لأمرى ، فاخرج من مصلاّك ، ثم مُرْ خيلك أن تجتمع ، ثم اخرج بهم وبمن اتّبعك حتى تقفوا على نَشَزٍ من الأرض .

فخرج أسا فأخبرهم بما قيل له، فخرج اثنا عشر رجلاً من رؤسائهم ، مع كلّ رجل منهم رهط من قومه؛ فلما أن خرجوا، ودّعوا أهاليَهم بألاّ يرجعوا[٤] إلى الدنيا . فوقفوا لزرح على رابية من الأرض ، فأبصروا منها زرحا وقومَه ، فلما أبصرهم زرح نفض رأسه ليسخر منهم ، وقال : إنما نَهضت من بلادى ، وأنفقت أموالى لمثل هؤلاء ! ودعا عند ذلك بالنفر الذين كانوا نَعتَوا عنده أسا وقومه ، فقال : كذبتمونى وزعمتم أن قومَكم كثير عددهم ! فأمر بهم وبالأمناء[٥] الذين كان بعثهم[٦] ليخبروه خبرهم ، فقُتِلوا جميعًا ، وأسا فى ذلك كثير تضرّعه[٧] ، معتصم بربه، فقال زرح : ما أدرى ما أفعل

---

(١) س : « لم يطقنى » .
(٢) كذا فى ح ، وفى ط : « قدام الله » .
(٣) كذا فى الأصول ؛ وفى ط : « وفخر » ؛ من تصرف مصححه .
(٤) كذا فى ن ؛ وفى ط : « ألا يرجعون » .
(٥) كذا فى ن ، وفى ط : « والأمناء » .
(٦) كذا فى س ، وفى ط : « بعث » .
(٧) كذا فى ح ، وفى ط : « التضرع » .

بهؤلاء القوم ؟ وما(١) أدرى ما قدْرُ قِلَّتهم فى كثرتنا ؟ إنى لأستقِلّهم عن المحاربة ؛ وأرى ألاّ أقاتلَهم(٢).

فأرسل زرح إلى أسا فقال له : أين صديقُك الذى كنت تعدُنا به ، وتزعم أنه يخلّصك مما يحلّ بكم من سَطَواتى! أفتضعون أيديَكم فى يدِى فأمضِى فيكم حكمى ، أو تلتمسون قتالى !

٦٣٥/١ فأجابه أسا فقال : يا شقىّ ، إنك لست تعلم ما تقول ، ولستَ تدرى! أتريد أن تغالب ربّك بضعفك ، أم تريد أن تكاثره بقلّتك ؟ هو أعزّ شىء وأعظمه ، وأغلبُ شىء وأقهره ، وعبادُه أذلّ وأضعف عنده من أن ينظروا إليه معايَنة . هو(٣) معى فى موقفى هذا ، ولن يغلَب أحدٌ كان الله معه . فاجتهد يا شقىّ بجهدك حتّى تعلم ماذا يحلّ بك .

فلما اصطف قوم زرح وأخذوا مراتبهم ، أمر زرح الرماة من قومه أن يرموهم بنُشَّابهم . فبعث الله ملائكة من كلّ سماء — والله أعلم — عوناً(٤) لأسا وقومِه ، ومادة له ، فوقفهم أسا فى مواقفهم ، فلما رموْا نشَّابهم ، حال المشركون بين ضوء الشمس وبين الأرض ؛ كأنها سحابة طلَعت فنحّتها الملائكة عن أسا وقومه ، ثم رمت بها الملائكة قومَ زرح، فأصابت كلّ رجل منهم نُشّابته التى رمى بها ، فقتِل رماتهم بها كلها وأسا وقومه فى كلّ ذلك يحمَدون الله كثيراً ، ويعجّون إليه بالتسبيح ، وتراءت الملائكة لهم — والله أعلم — فلما رآهم الشقىّ زرح وقع الرعب فى قلبه ، وسُقِط فى يده ، وقال : إن أسا لعظيم كيده ، ماضٍ سحره ، وكذلك بنو إسرائيل، حيث كانوا لا يغلِب سحرَهم ساحر ، ولا يُطيق مكرَهم عالم ؛ وإنما تعلّموه من مصر ، وبه ساروا فى البحر ، ثم نادى الهندىّ فى قومه : أن سلُّوا سيوفكم ، ثم احملوا عليهم حملة واحدة . فدقّوهم .

فسلُّوا سيوفَهم ثم حملوا على الملائكة فقتلتهم الملائكة ، فلم يبق منهم غير زرح ونسائه ورقيقه .

---

(١) س : « ولا » . (٢) س : « أنى لا أقاتلهم » ، ح : « ولا أرى أن أقاتلهم » .
(٣) كذا فى ح ، س ، وفى ط : « وهو » . (٤) ن : « أعواناً » .

١/٦٣٦ فلما رأى ذلك زرح ولّى مدبراً فارًّا هو ومن معه ، وهو يقول : إن أسا ظهر علانية ، وأهلكني صديقُه سرًّا ، وإني كنتُ أنظر إلى أسا ومَنْ معه واقفين لا يقاتلون والحرب واقعة في قومي .

فلما رأى أسا أن زرحًا قد ولّى مدبراً قال : اللهمّ إن زرحًا قد ولّى مدبراً ، وإنك إنْ لم تَحُلْ بيني وبينه استنفر علينا قومه ثانية . فأوحى الله إلى أسا : إنك لم تقتل مَنْ قتل منهم ولكني قتلْتُهم ، فقِفْ مكانك ، فإني لو خلّيت بينك وبينهم أهلكوكم جميعًا ؛ إنما يتقلّب زرح في قبضتي ، ولن ينصرَه أحد مني ، وأنا لزرح بالمكان الذي لا يستطيع صدوداً عنه ولا تحويلا ؛ وإني قد وهبت لك ولقومك عساكرَه وما فيها من فضة ومتاع ودابة ، فهذا أجرك إذ اعتصمت بي ، ولا ألتمس منك أجراً على نُصرتك !

فسار زرح حتى أتى البحر يريد بذلك الحَرب ، ومعه مائة ألف ، فهيّئوا سفنهم ثم ركبوا فيها ، فلما ساروا في البحر بعث الله الرياح من أطراف الأرضين والبحار إلى ذلك البحر واضطربت من كلّ ناحية أمواجُه ، وضربت السفن بعضُها بعضًا حتى تكسّرت ؛ فغرق زرح ومن كان معه ، واضطربت بهم الأمواج حتى فزع لذلك أهلُ القرى حولهم ، ورجفت الأرض ، فبعث أسا مَنْ يعلمه علم ذلك ، فأوحى الله إليه — والله أعلم — أن اهبط أنت وقومك أهل قراكم ، فخذوا ما غنّمكم الله بقوة ، وكونوا فيه من الشاكرين ؛ فإني قد سوغت كلّ من أخذ من هذه العساكر شيئًا ما أخذه . فهبطوا يحمدون الله ١/٦٣٧ ويقدّسونه ، فنقلوا تلك العساكر إلى قراهم ثلاثة أشهر . والله أعلم .

* * *

ثم ملك بعده يهوشافاط[1] بن أسا إلى أن هلك خمسًا وعشرين سنة .

---

(١) يهوشاط : « بياء مفتوحة مثناة تحتانية وهاء مضمومة وواو ساكنة وشين معجمة بعدها ألف . ثم طاء بين الذال والظاء المعجمتين » ، كذا ضبطه ابن خلدون في ١ : ١٤٩ . وفي ابن الأثير ١ : ١٤٣ : « سافاط » .

ثم ملكت عتليا وتسمى غزليا [١] ابنة عمرم أم أخزيا [٢] ، وكانت قتلت أولاد ملوك بنى إسرائيل ، فلم يبق منهم إلا يواش[٣] بن أخزيا ، فإنه سُتِر عنها ، ثم قتلها يواش وأصحابه ، وكان ملكُها سبع سنين .

ثم ملك يواش بن أخزيا إلى أن قتله أصحابه ، وهو الذى قتل جدّته ، فكان ملكُه أربعين سنة .

ثم ملك أموصيا[٤] بن يواش إلى أن قتله أصحابه تسعًا وعشرين سنة ؛

ثم ملك عوزيا[٥] بن أموصيا – وقد يقال لعوزيا : غوزيا – إلى أن توفى ، اثنتين وخمسين سنة .

ثم ملك يوتام[٦] بن عوزيا إلى أن توفى ، ست عشرة سنة .

ثم ملك أحاز بن يوتام إلى أن توفى ، ست عشرة سنة .

ثم ملك حزقيا بن أحاز[٧] إلى أن توفى . وقيل إنه صاحب شعيا الذى أعلمه شعيا انقضاء عمره ، فتضرع إلى ربه فزاده وأمهله ، وأمر شعيا بإعلامه ذلك .

وأما محمد بن إسحاق فإنه قال : صاحب شعيا الذى هذه القصة قصته اسمه صديقة .

---

(١) ح : « غزلتا » . ن : « غزليا » ، وفى ابن الأثير : « عزليا » .

(٢) وفى ابن خلدون : « أحزيا هو ، بهمزة مفتوحة وحاء مهملة مضمومة وزاى معجمة ساكنة ؛ ثم ياء مثناة تحتية ؛ بفتحة تجلب ألفاً ، ثم هاء مضمومة تجلب واواً » .

(٣) ابن خلدون : « يؤاش » .

(٤) فى ابن خلدون : « أمصيا ، بفتح الهمزة والميم وسكون الصاد المشمة بالزاى ، بعدها ياء مثناة تحتانية بفتحة تجلب ألفاً ، ثم هاء مضمومة تجلب واواً » .

(٥) فى ابن خلدون : عز يا هو ، « بعين مهملة مضمومة وزاى معجمة مكسورة مشددة وياء مثناة تحتانية تجلب ألفاً وهاء تجلب واواً » .

(٦) فى ابن خلدون : « يؤاب » .

(٧) أحاز ، « بهمزة مفتوحة ممالة وحاء مهملة تجلب ألفاً وزاى معجمة » كذا ضبطه ابن خلدون .

١/٦٣٨

ذكر صاحب
قصة شعيا من ملوك بنى إسرائيل ، وسنحاريب

حدثنا ابن حُميد، قال : حدثنا سلَمة بن الفضل، قال : حدثنى ابن إسحاق ، قال : كان فيما أنزل الله على موسى فى خبره عن بنى إسرائيل واحداثهم وما هم[١] فاعلون بعده ، قال : ﴿ وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴾ — إلى — ﴿وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا ﴾[٢] ، فكانت بنو إسرائيل وفيهم الأحداث والذنوب ، وكان الله فى ذلك متجاوزاً عنهم ، متعطّفًا عليهم ، محسنًا إليهم ، وكان مما أنزل الله بهم فى ذنوبهم ما كان قدّم إليهم فى الخبر عنهم على لسان موسى . فكان أول ما أنزَل بهم من تلك الوقائع ؛ أن ملكًا منهم كان يدعى صديقة[٣] ، وكان الله إذا ملّك الملك عليهم ، بعث نبيًا يسدّده ويرشده ، فيكون فيما بينه وبين الله ، يحدّث إليه فى أمرهم . لا يُنزل عليهم الكتب ، إنما يؤمرون باتّباع التوراة والأحكام التى فيها ، وينهوْنهم عن المعصية ، ويدعونهم إلى ما تركوا من الطاعة .

فلما ملك ذلك الملك بعث الله معه شعيا بن أمصيا ، وذلك قبل مبعث عيسى وزكرياء ويحيى وشعيا الذى بشّر بعيسى ومحمد ، فملك ذلك الملك بنى إسرائيل وبيت المقدس زمانًا ، فلما انقضى ملكُه ، وعظُمت فيهم الأحداث ، وشعيا معه ، بعث الله عليهم سنحاريب ملك بابل معه ستّمائة ألف راية ، فأقبل سائراً حتى نزل حول بيت المقدس والملك مريض ، فى ساقه قُرْحة ، فجاءه النبىّ شعيا ، فقال له : يا ملكَ بنى إسرائيل ، إنّ سنحاريب ملك بابل ، قد نزل بك هو وجنوده فى ستّمائة ألف راية ، وقد هابهم الناس وفرِقوا منهم . فكبُر ذلك على الملك ، فقال : يا نبىّ الله ، هل أتاك وحىٌ من الله فيما حدَث فتخبرنا به كيف يفعل الله بنا وبسنحاريب وجنوده ؟ فقال له النبىّ عليه السلام:

١/٦٣٩

(١) التفسير : « ما هم » . (٢) سورة الإسراء ٤ — ٨

(٣) ابن الأثير : « صدقيا » .

لم يأتني وحي حدَّث إليَّ في شأنك .

فبينما هم على ذلك أوحى الله إلى شعيا النبيّ : أن ائت ملك بني إسرائيل فأمره أن يوصيَ بوصيّته ، ويستخلف على ملكه مَنْ يشاء من أهل بيته . فأتى النبيّ شعيا ملك بني إسرائيل صديقة ، فقال له : إن ربَّك قد أوحى إليَّ أن آمرك توصي وصيّتك ، وتستخلف مَنْ شئت على[1] الملْك من أهل بيتك ؛ فإنك ميت .

فلما قال ذلك شعيا لصديقة : أقبل[2] على القِبْلة ، فصلّى وسبّح ، ودعا وبكى ، وقال وهو يبكي ويتضرّع إلى الله بقلب مخلص . وتوكّل وصبر ، وظنّ صادق : اللهم ربَّ الأرباب ، وإلهَ الآلهة ، القُدُّوس[3] المتقدّس ، يا رحمن يا رحيم ، المترحّم ، الرءوف الذي لا تأخذه سنة ولا نوم . اذكرني بعملي وفعلي وحسن قضائي على بني إسرائيل ، وذلك كلُّه كان منك ، فأنت أعلم به من نفسي وسرّي وعلانيتي لك . وإن الرحمن استجاب له وكان عبداً صالحاً . ١/٦٤٠

فأوحى الله إلى شعيا ، فأمره[4] أن يخبر صديقة الملك أن ربَّه قد استجاب له وقَبِل منه ورحمه ، وقد رأى بكاءه ، وقد أخّر أجله خمس عشرة سنة ، وأنجاه مِنْ عدوّه سنحاريب ملك بابل وجنوده . فلما قال له ذلك ، ذهب عنه الوجع ، وانقطع عنه الشرّ والحزن ، وخرّ ساجداً ؛ وقال : يا إلهي وإله آبائي ؛ لك سجَدت وسبَّحت ، وكرّمت وعظمت . أنت الذي تُعطي الملك مَنْ تشاء ، وتنزعه ممن تشاء ، وتعزّ مَنْ تشاء ، وتذِلّ مَنْ تشاء ، عالم الغيب والشهادة ؛ أنت الأوّلُ والآخر ، والظاهر والباطن ، وأنت ترحم وتستجيب دعوةَ المضطرين ، أنت الذي أجبتَ دعوتي ، ورحِمت تضرُّعي .

فلما رفع رأسه أوحى الله إلى شعيا : أن قل للملك صديقة ، فيأمر عبداً من عبيده ، فيأتيَه بماء التين فيجعله على قرحته فيشفى ويصبح وقد برئ . ففعل ذلك فشفي . وقال الملك لشعيا النبيّ : سلْ ربك أن يجعل لنا علما بما هو صانع بعدونا هذا . فقال الله لشعيا النبيّ : قل له إني قد كفيتُك عدوَّك ، وأنجيتُك منهم ، وإنهم سيصبحون موتى كلهم إلا سنحاريب وخمسة من كتّابه .

---

(١) التفسير : « على ملكك » .

(٢) ن : « استقبل القبلة » .

(٣) التفسير : « قدوس المتقدسين » .

(٤) ساقطة من التفسير .

فلما أصبحوا جاءه صارخ فصرخ على باب المدينة : يا ملكَ بنى إسرائيل ، إنّ الله قد كفاك عدوَّك فاخرج ، فإنّ سنحاريب ومَنْ معه قد هلكوا . فلما خرج الملكُ التمس سنحاريب فلم يوجد فى الموتى ، فبعث الملك فى طلبه ، فأدركه الطلب فى مغارة وخمسة من كتّابه أحدهم بختنصّر ، فجعلوهم فى الجوامع ، ثم أتوْا بهم ملِكَ بنى إسرائيل ، فلما رآهم خرّ ساجداً من حين طلعت الشمس حتّى كانت العصر ، ثم قال لسنحاريب : كيف ترى فعل ربّنا بكم ؟ ألم يقتلكم بحوله وقوّته ونحن وأنتم غافلون ! فقال سنحاريب له : قد أتانى خبرُ ربّكم[1] ونصره إياكم ، ورحمتُه التى رحمكم بها قبل أن أخرُج من بلادى ، فلم أطع مرشداً ولم يُلقِنى فى الشقوة إلا قلّة عقلى ؛ ولو سمعت أو عقلت ما غزوتكم ، ولكنّ الشقوة غلبت علىّ وعلَى مَنْ معى . فقال ملك بنى إسرائيل : الحمد لله ربّ العزّة الذى كفاناكم بما شاء ، إن ربّنا لم يبقك ومَنْ معك لكرامة لك عليه ؛ ولكنه إنما أبقاك ومَنْ معك إلى ما هو شرّ[2] لك ولمن معك ، لتزدادوا[3] شقوة فى الدنيا ، وعذاباً فى الآخرة ، ولتُخبروا مَنْ وراءكم بما رأيتم من فعل ربنا ، ولتنذروا مَنْ بعدكم ، ولولا ذلك ما أبقاكم . ولَدمُك ودمُ مَنْ معك أهونُ على الله من دم قُراد لو قتلته[4] !

* * *

ثم إن ملك بنى إسرائيل أمر أميرَ حرسه فقذف فى رقابهم الجوامع ، وطاف بهم سبعين يوماً حولَ بيت المقدس ، وكان يرزقهم كلّ يوم خبزتَيْن من شعير ، لكلّ رجل منهم ، فقال سنحاريب لملك بنى إسرائيل : القتلُ خير مما تفعل بنا ، فافعل ما أمرت . فأمر بهم الملك إلى سجن القتل ، فأوحى الله إلى شعيا النبىّ : أن قل لملك بنى إسرائيل يرسل سنحاريب ومَنْ معه لينذروا مَنْ وراءهم ، وليكرِمْهم وليحملْهم حتّى يبلغوا بلادهم . فبلغ النبىّ شعيا الملك ذلك ، ففعل ، فخرج سنحاريب ومَنْ معه حتّى قدموا بابل ؛ فلما قدموا جمع الناس فأخبرهم كيف فعل الله بجنوده . فقال له كُهّانه وسحرته : يا ملك

(١) ح : « خبره » . (٢) ح : والتفسير « لما هو شر » .
(٣) ت : « ولتزدادوا » . (٤) ح : « قتله » .

بابل، قد كنا نقصُّ عليك خبر ربِّهم وخبر نبيِّهم ووحى الله إلى نبيِّهم، فلم تطعنا ؛ وهى أمّة لا يستطيعها أحد من[1] ربهم، فكان أمر سنحاريب مما خوّفوا به، ثم كفاهم الله إياه تذكرة وعبرة، ثم لبث سنحاريب بعد ذلك سبع سنين ثم مات[2].

* * *

وقد زعم بعضُ أهلِ الكتاب أن هذا الملك من بنى إسرائيل الذى سار إليه سنحاريب كان أعرجَ، وكان عَرَجُه من عِرْق النَّسا، وأن سنحاريب إنما طمع فى مملكته لزَمانته وضعفه، وأنه قد كان سار إليه قبل سنحاريب ملك من ملوك بابل ؛ يقال له ليفر[3]، وكان بختنصّر ابنَ عمّه كاتبه، وأن الله أرسل عليه ريحًا أهلكت جيشه، وأفلتَ هو وكاتبه ؛ وأن هذا البابلىَّ قتله ابن له، وأن بختنصَّر غضب لصاحبه، فقتل ابنَه الذى قتل أباه ؛ وأنّ سنحاريب سار بعد ذلك إليه، وكان مسكنه بِنينَوى مع ملك أذرَبيجان يومئذ ؛ وكان يُدعى سلمان الأعسر، وأن سنحاريب وسلمان اختلفا، فتحاربا حتى تفانىَ جنداهما، وصار ما كان معهما غنيمة لبنى إسرائيل.

وقال بعضهم : بل الذى غزا حزقيا صاحبَ شعيا سنحاريبُ ملك الموصل ؛ وزعم أنه لما أحاط ببيت المقدس بجنوده بعث الله ملَكًا، فقتلَ من أصحابه فى ليلة واحدة مائة ألف وخمسة وثمانين ألف رجل. وكان ملكه إلى أن تُوُفّىَ تسعًا وعشرين سنة. ٦٤٣/١

* * *

ثم ملك بعده — فيما قيل — أمرَهم مِنَشّا[4] بن حزقيا إلى أن توفى، خمسا وخمسين سنة.

ثم ملك بعده أمون[5] بن مِنَشّا إلى أن قتله أصحابُه، اثنتى عشرة سنة.

---

(١) التفسير : مع ربهم.

(٢) الخبر فى التفسير ١٥ : ١٨، ١٩ (بولاق).

(٣) ن : «اليفر».

(٤) ضبطه ابن خلدون : «بميم مكسورة ونون مفتوحة وشين معجمة مشددة وألف».

(٥) ضبطه ابن خلدون : «بهمزة قريبة من العين والميم مضمومة تجلب واواً ثم نون».

ثم ملك بعده يوشيا بن أمون إلى أن قتله فرعون الأجدع المقعد ملك مصر ، إحدى وثلاثين سنة .

ثم ياهو احاز بن يُوشيا[(١)] ، وكان فرعون الأجدع قد غزاه وأسره وأشخصه إلى مصر ، وملّك فرعون الأجدع يُوياقيم[(٢)] بن ياهو احاز على ما كان عليه أبوه ، ووظّف عليه خراجًا يؤديه إليه ، فكان يوياقيم يجبي ذلك – فيما زعموا – من بني إسرائيل ، ويحمله – فيما زعموا – اثنتي عشرة سنة .

ثم ملك أمرَهم من بعده يوياحين[(٣)] بن يوياقيم ، فغزاه بختنصّر ، فأسره وأشخصه إلى بابل بعد ثلاثة أشهر من ملكه . وملّك مكانهَ متَّنيا[(٤)] عمه وسماه صديقيا[(٥)] فخالفه ، فغزاه فظفر به ، فأوثقه وحمله إلى بابل بعد أن ذبح ولده بين يديه ، وسَمَل عينيه وخرَّب المدينة والهيكل ، وسبَى بني إسرائيل ، وحَمَلهم إلى بابل ، فمكثوا بها إلى أن ردّهم إلى بيت المقدس كيرش بن جاماسب ابن أسب ، من أجل القرابة التي كانت بينه وبينهم ؛ وذلك أن أمّه أشتر ابنة جاويل – وقيل : حاويل – الإسرائيليّ ، فكان جميع ما ملك صديقيا مع الثلاثة الأشهر التي ملك فيها يوياحين – فيما قيل – إحدى عشرة سنة وثلاثة أشهر . ١/٦٤٤

ثم صار ملْك بيت المقدس والشام لأشتاسب بن لهراسب ، وعامله على ذلك كلّه بختنصّر .

* * *

وذكر محمد بن إسحاق ، فيما حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة عنه : أن صديقة ملك بني إسرائيل الذي قد ذكرنا خبرَه ، لمّا قبضه الله مَرِج

---

(١) ضبطه ابن خلدون : « بياء مثناة تحتية مضمومة تجلب واوًا بعدها شين مكسورة ثم ياء مثناة تحتية بفتحة تجلب ألفًا » .

(٢) ت : «يوناقيم» ، وفي س : «يوثاقيم» . وفي ابن خلدون : ألياقيم ، وضبطه « بهمزة مفتوحة ولام ساكنة وياء مثناة تحتانية يجلب فتحها ألفًا وقاف مكسورة تجلب ياء ثم ميم » .

(٣) ت ، س ، ن : « يوثاحين » .

(٤) ضبطه ابن خلدون : « بميم مفتوحة وتاء مثناة فوقانية مفتوحة مشددة ، ونون ساكنة وياء مثناة تحتانية تجلب ألفًا » .

(٥) ابن خلدون : « صدقيا » .

أمرُ بنى إسرائيل ، وتنافسوا الملك ، حتى قتل بعضُهم بعضًا عليه ، ونبيُّهم شعيا معهم ، لا يرجعون إليه ولا يقبلون منه . فلما فعلوا ذلك قال الله — فيما بلغنا — لشعيا : قم فى قومك أوح على لسانك ؛ فلما قام أنطق الله لسانه بالوحى ، فوعظهم وذكّرهم وخوّفهم الغِيَر ، بعد أن عدّد عليهم نعم الله عليهم ، وتعرُّضَهم للغِيَر .

قال : فلما فرغ شعيا إليهم من مقالته عدَوْا عليه — فيما بلغنى — ليقتلوه ، فهرب منهم ، فلقيته شجرة ، فانفلقت له ، فدخل فيها وأدركه الشيطان ، فأخذ بهُدْبة من ثوبه فأراهم إياها ، فوضعوا المنشار فى وسطها ، فنشروها حتى قطعوها وقطعوه فى وسطها . ١/٦٤٥

* * *

وقد حدّثنى بقصة شعيا وقومه من بنى إسرائيل وقتلهم إياه ، محمد بن سهل البخاريّ ، قال : حدثنا إسماعيل بن عبد الكريم ، قال : حدّثنى عبد الصمد بن معقل ، عن وهب بن منبّه .

ذكر خبر لهراسب وابنه بشتاسب وغزو بختنصر بنى إسرائيل وتخريبه بيت المقدس

ثم ملك بعد كيخسرو من الفرس لهراسب بن كيوجى بن كيمنوش بن كيفاشين، باختيار كيخسرو إياه، فلما عقد التاج على رأسه قال : نحن مؤثرون البرّ على غيره . واتّخذ سريراً من ذهب مكلّلاً بأنواع الجواهر للجلوس عليه ، وأمر فبنيت له بأرض خراسان مدينةَ بلْخ[1]، وسماها الحسناء، ودوّن الدواوين ، وقوّى ملكه بانتخابه لنفسه الجنود ، وعمر الأرض واجتبى الخراج لأرزاق الجنود ، ووجه بختنصّر ، وكان اسمه بالفارسية — فيما قيل — بخترشه .

فحُدثت عن هشام بن محمد قال: مَلَك لهراسب — وهو ابن أخى قبوس — فبنى مدينةَ بلْخ ، فاشتدت شوْكة الترك فى زمانه ، وكان منزله ببلْخ يقاتل الترك . قال : وكان بختنصّر فى زمانه ، وكان أصبَهبذ ما بين الأهواز إلى أرض الروم من غربىّ دجلة، فشخص حتى أتى دمشق ، فصالحه أهلها ووجّه قائداً له ، فأتى بيتَ المقدس فصالح[2] ملك بنى إسرائيل ، وهو رجل من ولد داود ، وأخذ منه رهائن وانصرف . فلما بلغ طبريّة وثبت بنو إسرائيل على ملكهم فقتلوه ، وقالوا : راهنت أهل بابل وخذلتنا ! واستعدوا للقتال ، فكتب قائد بختنصّر إليه بما كان ، فكتب إليه يأمره أن يقيم بموضعه حتى يوافيه ، وأن يضرب أعناق الرهائن الذين معه ، فسار بختنصّر حتى أتى بيت المقدس ، فأخذ المدينة عَنْوة ، فقتل المقاتلة ، وسبى الذرّيّة .

قال : وبلغنا أنه وجد فى سجن بنى إسرائيل إرميا النبىّ ، وكان الله تعالى بعثه نبيًّا — فيما بلغنا — إلى بنى إسرائيل . يحذّرهم ما حلّ بهم من بختنصّر ،

١/٦٤٦

(١) بلخ ، قال ياقوت : « من أجل مدن خراسان وأذكرها وأكثرها خيراً وأوسعها غلة ؛ قيل أول من بناها لهراسف الملك لما خرب صاحبه بختنصر بيت المقدس ، وقيل بل الإسكندر بناها » .

(٢) س : « فصالحه » .

ويُعْلِمهم أن الله مسلّط عليهم مَنْ يقتل مقاتِلتهم، ويَسْبي ذراريّهم، إن لم يتوبوا وينزعوا عن سيّئ أعمالهم. فقال له بختنصّر: ما خطبُك؟ فأخبره أن الله بعثه إلى قومه ليحذّرَهم الذى حلّ بهم، فكذبوه وحبسوه. فقال بختنصّر: بئس القومُ قومٌ عصوْا رسولَ ربّهم! وخلّى سبيله، وأحسنَ إليه. فاجتمع إليه مَنْ بقى من ضعفاء بنى إسرائيل، فقالوا: إنا قد أسأنا وظلمنا، ونحن نتوب إلى الله ممّا صنعنا، فادع الله أن يقبل توبتنا. فدعا ربّه فأوحى إليه أنهم غيرُ فاعلين، فإن كانوا صادقين فليقيموا معك بهذه البلدة، فأخبرَهم بما أمرهم الله به، فقالوا: كيف نقيم ببلدة قد خُرّبت وغضب الله على أهلها! فأبوا أن يقيموا، فكتب بختنصّر إلى ملك مصر: إنّ عبيداً لى هربوا منى إليك، فسرّحهم[1] إلىّ، وإلا غزوتُك وأوطأت بلادَك الخيل. فكتب إليه ملك مصر: ما هم بعبيدك؛ ولكنهم الأحرار أبناء الأحرار؛ فغزاه بختنصّر فقتله، وسبى أهلَ مصر، ثم سار[2] فى أرض المغرب، حتى بلغ أقصىَ تلك الناحية، ثم انطلق بسبىٍ كثير من أهل فِلَسطين والأردنّ، فيهم دانيال وغيره من الأنبياء.

١/٦٤٧

قال: وفى ذلك الزمان تفرّقت بنو إسرائيل، ونزل بعضهم أرض الحجاز بيثرب ووادى القرى، وغيرها.

* * *

قال: ثم أوحى الله إلى إرميا — فيما بلغنا: إنّى عامر بيت المقدس فاخرج إليها، فانزلْها. فخرج إليها حتى قدمها وهى خراب، فقال فى نفسه: سبحان الله! أمرنى الله أن أنزل هذه البلدة، وأخبرنى أنه عامرُها، فمتى يعمر[3] هذه، ومتى يحييها الله بعد موتها! ثم وضع رأسه فنام ومعه حماره وسلّة فيها طعام، فمكث فى نومه سبعين سنة، حتى هلك بختنصّر والملك الذى فوقه،

---

(١) ح: «فوجههم».

(٢) ط: «صار»، وما أثبته من ن.

(٣) ح: «يعمرها»، ت: «يعمر هذا».

وهو لهراسب الملك الأعظم وكان ملْك لهراسب مائة وعشرين سنة . وملّك بعده بشتاسب ابنه ، فبلغه عن بلاد الشأم أنها خراب ، وأن السباع قد كثرت فى أرض فلسطين ، فلم يبق بها من الإنس أحَد، فنادى فى أرض بابل فى بنى إسرائيل : إنّ من شاء أن يرجع إلى الشام فليرجع . وملّك عليهم رجلاً من آل داود ، وأمره أن يعمر بيت المقدس ويبنىَ مسجدها ، فرجعوا فعمروها ، ١/٦٤٨ وفتح الله لإرميا عينيه ، فنظر إلى المدينة كيف تعمر وتبنى ، ومكث فى نومه ذلك ، حتى تمّت له مائة سنة ، ثم بعثه الله وهو لا يظنّ أنه نام أكثر من ساعة، وقد عهد المدينة خرابًا يباباً ، فلما نظر إليها قال: أعلمُ أنّ الله على كلّ شىء قدير .

قال: وأقام بنو إسرائيل ببيت المقدس ورُدّ إليهم أمرُهم، وكثروا بها حتى غلبت عليهم الروم فى زمان ملوك الطوائف، فلم يكن لهم بعد ذلك جماعة .

* * *

قال هشام : وفى زمان بشتاسب ظهر زَرَادُشت، الذى تزعم المجوس أنه نبيُّهم، وكان زَرَادُشت -فيما زعم قوم من علماء أهل الكتاب- من أهل فلسطين ،خادمًا لبعض تلامذة إرميا النبىّ خاصًّا به[١] ، أثيراً عنده ، فخانه فكذَب عليه، فدعا الله عليه، فبرص فلحق ببلاد أذربيجان ، فشرع بها دين المجوسية ، ثم خرج منها متوجهًا نحو بشتاسب، وهو ببلْخ، فلما قدم عليه وشرح له دينه أعجبه فقسر الناس على الدخول فيه، وقتل فى ذلك مِنْ رعيّته مقتلة عظيمة، ودانوا به ، فكان ملك بشتاسب مائة سنة واثنتى عشرة سنة[٢].

وأما غيره من أهل الأخبار والعلم بأمور الأوائل فإنه ذكر أن كى لهراسب

---

(١) ابن خلدون فيما نقل عن الطبرى ١ : ٢٣٩ : « خالصة عنده » .

(٢) قال ابن خلدون : « وعند علماء الفرس أن زرادشت من نسل منوشهر الملك ، وأن نبياً من بنى إسرائيل بعث إلى كشتاسف ؛ وهو ببلخ ، فكان زرادشت وجاماسب العالم – وهو من نسل منوشهر أيضاً – يكتبان بالفارسية ما يقول ذلك النبى بالعبرانية ؛ وكان جاماسب يعرف اللسان العربى ويترجمه لزرادشت . وإن ذلك كان لثلاثين سنة من دولة كيهراسف. وقال علماء الفرس إن زرادشت جاء بكتاب ادعاه وحيا،كتب فى اثنى عشر ألف مجلد نقشاً بالذهب ؛ وأن كشتاسف وضع ذلك فى هيكل بإصطخر ؛ ووكل به الهرابذة؛ ومنع من تعليمه العامة» . ونقل عن المسعودى أن ذلك الكتاب يسمى نسياه » .

كان محموداً فى أهل مملكته ، شديد القمع للملوك المحيطة بإيران شَهْر[١] ، شديد التفقد لأصحابه ، بعيد الهمة كثير الفكر فى تشييد البنيان ، وشق الأنهار ، وعمارة البلاد ، فكانت ملوك الروم والمغرب والهند وغيرهم يحملون إليه فى كل سنة وظيفة معروفة وإتاوة معلومة ، ويكاتبونه بالتعظيم ويقرّون له أنه مَلِك الملوك هيبة له وحذراً . ١/٦٤٩

قال : ويقال : إن بختنصّر حمل إليه من أورِيشَلِم[٢] خزائن وأموالاً ، فلما أحسّ بالضعف من قوته ملّك ابنه بشتاسب ، واعتزل الملك وفوّضه إليه ، وكان ملك لهراسب — فيما ذكر — مائة سنة وعشرين سنة .

وزعم أن بختنصّر هذا الذى غزا بنى إسرائيل اسمه «بخترشه» ، وأنه رجل من العجم ، من ولد جوذرز ، وأنه عاش دهراً طويلا جاوزتْ مدته ثلثمائة سنة ، وأنه كان فى خدمة لهراسب الملك ، أبى بشتاسب ، وأن لهراسب وجّهه إلى الشام وبيت المقدس ليجلِىَ عنها اليهود . فسار إليها ثم انصرف ، وأنه لم يزل من بعد لهراسب فى خدمة ابنه بشتاسب ، ثم فى خدمة بهمن من بعده ، وأنّ بهمن كان مقيماً بمدينة بَلْخ — وهى التى كانت تسمى الحسناء — وأنه أمر بخترشه بالتوجّه إلى بيت المقدس لِيُجلِىَ اليهود عنها ، وأنّ السبب فى ذلك وثوبُ صاحب بيت المقدس على رسُلٍ كان بهمن وجّههم إليه ، وقتله بعضهم . فلما ورد الخبر على بهمن دعا بخترشه فملّكه على بابل ، وأمره بالمسير إليها ، والنفوذ منها إلى الشام وبيت المقدس ، والقصد إلى اليهود حتى يقتّل مقاتلتهم ، ويَسبِىَ ذراريّهم ، وبسط يده فيمن يختار من الأشراف والقواد ، فاختار من أهل بيت المملكة[٣] داريوش[٤] بن مهرى ، من ولد ماذى بن يافث بن نوح ، وكان ابن أخت بخترشه . واختار كيرش كيكوان من ولد غيلم بن سام ،

---

(١) إيران شهر ، بالكسر وراء وألف ونون ساكنتين وفتح الشين المعجمة وهاء ساكنة وألف : هى بلاد العراق وفارس والجبال وخراسان ، يجملها كلها هذا الاسم . (معجم البلدان) .

(٢) أوريشلم ، بالضم ثم السكون وكسر الراء وياء ساكنة وشين معجمة مفتوحة ولام مكسورة — ويروى بالفتح — وميم : هذا هو اسم للبيت المقدس بالعبرانية ؛ إلا أنهم يسكنون اللام . (معجم البلدان)

(٣) س : « الملك » .

(٤) ت ، س : « دارؤوش » .

١/٦٥٠ وكان خازنًا على بيت مال بهمن، وأخشويرش(١) بن كيرش بن جاماسب الملقّب بالعالم ، وبهرام بن كيرش بن بشتاسب . فضمّ بهمن إليه من أهله وخاصته هؤلاء الأربعة، وضمّ إليه من وجوه الأساورة ورؤسائهم ثلثمائة رجل ، ومن الجند خمسين ألف رجل، وأذن له فى أن يفرض(٢) ما احتاج إليه، وفى إثباتهم . ثمّ أقبل بهم حتى صار إلى بابل ، فأقام بها للتجهز(٣) والاستعداد سنة ، والتفّت إليه جماعة عظيمة ، وكان فيمن سار إليه رجل من ولد سنحاريب ، الملك الذى كان غزا حزقيا بن أحاز الملك ، الذى كان بالشام وببيت المقدس من ولد سليمان بن داود صاحب شعيا ، يقال له بختنصر بن نبوزرادان بن سنحاريب، صاحب الموصل وناحيتها ، بن داريوش بن عبيرى(٤) بن تيرى(٥) بن روبا(٦) ابن رابيا(٧) بن سلامون بن داود بن طامى بن هامل بن هرمان بن فودي(٨) بن ١/٦٥١ همول(٩) بن درمى بن قمائل(١٠) بن صاما بن رغما(١١) بن نمروذ بن كوش بن حام بن نوح عليه السلام .

وكان مسيره إليه بسبب ما كان آتى حزقيا(١٢) وبنو إسرائيل إلى جدّه سنحاريب عند غزوه إياهم، وتوسّل إليه بذلك ، فقدّمه فى جماعة كثيرة ، ثم اتّبعه ، فلما توافت العساكر ببيت المقدس ، نُصِر بخترشه على بنى إسرائيل لما أراد الله بهم من العقوبة ، فسباهم، وهدّم البيت وانصرف إلى بابل ، ومعه يوياحن(١٣) بن يوياقيم ملك بنى إسرائيل فى ذلك الوقت ، من ولد سليمان بعد أن ملّك متّنيا عمّ يوحينا، وسماه صدقيا .

---

(١) ت : « أخشونش » : س: « أحنوش » ، ن : « أخشوفوش » .
(٢) ن : « يعرض » .
(٣) ح : « للتجهيز » ، ن : « للتهجم » .
(٤) كذا فى س : ، ت « عنبرى » ، وفى ط مهمل .
(٥) كذا فى ح ، وفى ت : « ثيرى »، وفى ط مهمل .
(٦) كذا فى س ، وفى ت : « رويا » وفى ح : « ورقا » . (٧) كذا فى ت .
(٨) كذا فى س ، وفى ت « قودى » . (٩) ح : « هفول » .
(١٠) ح : « تماثل » . (١١) س : « زعما » :
(١٢) ح : « حيزقيا » ، ت « حزقيل » ، ن : « حريفا » .
(١٣) ت : « يوحينا » ، ن : « يوحنا » .

فلما صار بختنصر ببابل خالفه صدقيا ، فغزاه بختنصّر ثانية فظفر به ، وأخرب[١] المدينة والهيكل، وأوثق صدقيا، وحمله إلى بابل بعد أن ذبح ولده ، وسَمل عينيه . فمكث بنو إسرائيل ببابل إلى أن رجعوا إلى بيت المقدس ، فكان غلبة بختنصّر ــ المسمى بخترشه ــ على بيت المقدس إلى أن مات ــ فى قول هذا الذى حكينا قوله ــ أربعين سنة .

* * *

ثم قام من بعده ابن يقال له أولمرودخ ، فملكَ الناحية ثلاثاً وعشرين سنة ، ثم هلك وملك مكانه ابن يقال له بلتشصر بن أولمرودخ سنة ، فلما ملك ١/٦٥٢ بلتشصر خلط فى أمره ، فعزله بهمن وملّك مكانه على بابل وما يتصل بها من الشأم وغيرها داريوش الماذوىّ، المنسوب إلى ماذى بن يافث بن نوح عليه السلام حين صار إلى المشرق ، فقتل بلتشصر ، وملّك بابل وناحية الشأم ثلاث سنين . ثم عزله بهمن وولّى مكانه كيرش الغيلمىّ ، من ولد غيلم بن سام ابن نوح ، الذى كان نزع إلى جامر مع ماذى عند ما مضى جامر إلى المشرق ؛ فلما صار الأمر إلى كيرش كتب بهمن أن يرفق[٢] ببنى إسرائيل ، ويُطلق لهم النزولَ حيث أحبّوا، والرجوع إلى أرضهم، وأن يولّىَ عليهم مَنْ يختارونه ، فاختاروا دانيال النبىّ عليه السلام ، فولىَ أمرَهم ، وكان مُلْك كيرش على بابل وما يتصل بها[٣] ثلاث سنين ، فصارت هذه السنون ــ من وقت غلبة بختنصّر إلى انقضاء أمره وأمرِ ولده ومُلْك كيرش الغيلمىّ ــ معدودة من خراب بيت المقدس، منسوبة إلى بختنصّر، ومبلغها سبعون سنة .

ثم ملك بابل وناحيتها من قِبَل بهمن رجل من قَرابته ، يقال له أخشوارش ابن كيرش بن جاماسب ، الملقّب بالعالم ، من الأربعة الوجوه الذين اختارهم بخترشه عند توجهه إلى الشأم من قِبَل بهمن ؛ وذلك أن أخشوارش انصرف إلى بهمن من عند بختنصّر محموداً ، فولاّه ذلك الوقت بابل وناحيتها ؛ وكان السبب فى ولايته ــ فيما زعم ــ أنّ رجلاً كان يتولى لبهمن ناحية السّند والهند ١/٦٥٣

(١) أخرب المدينة : تركها خراباً .

(٢) ح : « أن ترفق » .

(٣) ح : « وما يليها » .

يقال له كراردشير (١) بن دشكال خالفه، ومعه من الأتباع ستمائة ألف ، فولّى بهمن أخشويرش(٢) الناحيَة ، وأمره بالمسير إلى كراردشير ، ففعل ذلك وحاربه ، فقتله وقتل أكثر أصحابه ، فتابع له بهمن الزيادة فى العمل ، وجَمّع له طوائف من البلاد ، فلزم السُّوس(٣) ، وجمع الأشراف ، وأطعم الناس اللحم ، وسقاهم الخمر ، وملك بابل إلى ناحية الهند والحبشة وما يلى البحر ، وعقد لمائة وعشرين قائداً فى يوم واحد الألْويَة ، وصيَّر تحت يد كل قائد ألف رجل من أبطال الجند الذين يَعْدل الواحد منهم فى الحرب بمائة رجل ، وأوطن(٤) بابل ، وأكثر المقام بالسُّوس ، وتزوج من سَبْى بنى إسرائيل امرأة يقال لها أشتَر ابنة أبى جاويل ، كان ربّاها ابن عمّ لها يقال له مردخى ، وكان أخاها من الرضاعة ؛ لأن أمّ مردخى أرضعت أشتر ، وكان السبب فى تزوُّجه إياها قتله امرأة كانت له جليلة جميلة خطيرة ، يقال لها وشتا(٥) ، فأمرها بالبروز ليراها الناس ، ليعرفوا جلالَتها وجمالها ، فامتنعت من ذلك فقتلها ، فلما قتلها جزِع لقتلها جزعًا شديداً ، فأشير عليه باعتراض نساء العالم ، ففعل ذلك ، وحبّبت إليه أشتر صنعًا لبنى إسرائيل ؛ فتزعمُ النصارى أنها ولدت له عند مسيره إلى بابل ابنًا فسماه كيرش ، وأن مُلْك أخشويرش كان أربع عشرة سنة ، وقد علّمه مردخى التوراة ، ودخل فى دين بنى إسرائيل ، وفهم عن(٦) دانيال النبى عليه السلام ومن كان معه حينئذ ، مثل حننيا وميشايل وعازريا ؛ فسألوه بأن يأذن لهم فى الخروج إلى بيت المقدس فأبى وقال : لو كان معى منكم ألف نبىّ ما فارقنى منكم واحد ما دمت حيًا . وولّى دانيال القضاء ، وجعل إليه جميعَ أمْره، وأمَره أن يُخرِج كلّ شىء فى الخزائن مما كان بختنصر أخذه من بيت المقدس ويردّه ، وتقدم فى بناء بيت المقدس ، فبُنى وعمّر فى أيام

١/٦٥٤

(١) س : « كرازدشير » .

(٢) س : « إخوارش » .

(٣) ضبطه ياقوت : « بضم أوله وسكون ثانيه ، وسين مهملة أخرى ، بلفظ السوس الذى يقع فى الصوف » . وقال : « بلدة بخوزستان ، فيها قبر دانيال النبى عليه السلام » .

(٤) أوطن بابل : اتخذها محلا وسكناً .

(٥) ت ، س : « وستا » .

(٦) ح : « أمر » ، ت : « من » .

كيرش بن أخشويرش . وكان ملك كيرش، مما دخل فى ملك بهمن وخمانى اثنتين وعشرين سنة .

ومات بهمن لثلاث عشرة سنة مضت من ملك كيرش، وكان موت كيرش لأربع سنين مضيْن من ملك خُمانى ، فكان جميع ملك كيرش بن أخشويرش اثنتين وعشرين سنة .

* * *

فهذا ما ذكر أهل السير والأخبار فى أمر بختنصّر وما كان من أمره وأمر بنى إسرائيل .

وأمّا السلف من أهل العلم فإنهم قالوا فى أمرهم أقوالا مختلفة ، فمن ذلك ما حدثنى القاسم بن الحسن ، قال : حدثنا الحسين ، قال : حدثنى حجاج عن ابن جُريج ، قال : حدّثنى يعلى بن مسلم ، عن سعيد بن جُبَير ، أنه سمعه يقول : كان رجل من بنى إسرائيل يقرأ ، حتى إذا بلغ : ﴿ بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَاداً لَنَا أُولِى بَأْسٍ شَدِيدٍ ﴾[1] بكى ، وفاضت عيناه ، ثم أطبق المصحف ، فقال : ذلك ما شاء الله من الزمان ! ثم قال : أىْ ربّ ، أرِنى هذا الرجلَ الذى جعلتَ هلاك بنى إسرائيل على يديه . فأُرِىَ فى المنام مسكينا ببابل يقال له بختنصَّر ، فانطلق بمال وأعبُد له — وكان رجلاً موسراً — فقيل له : أين تريد ؟ فقال : أريد التجارة ؛ حتى نزل داراً ببابل فاستكراها ، ليس فيها أحد غيرُه ، فجعل يدعو المساكين[2] ويلطُف بهم حتى لا يأتيَه أحد إلا أعطاه ، فقال : هل بقِىَ مسكين غيركم[2] ؟ فقالوا : نعم مسكين بفجّ آل فلان مريض ، يقال له بختنصَّر ، فقال لغلْمته : انطلقوا بنا ، فانطلق[3] حتى أتاه فقال : ما اسمك ؟ قال : بختنصّر ، فقال لغلمته : احتملوه . فنقله إليه فمرّضه حتى برئ ، وكساه وأعطاه نفقة . ثم أذّن الإسرائيلىّ بالرحيل ، فبكى بختنصَّر ، فقال الإسرائيلىّ : ما يبكيك ؟ قال : أبكى أنك فعلت بى ما فعلت ، ولا أجد شيئًا أجزيك !

١/٦٥٥

(١) سورة الإسراء ٥ .
(٢ — ٢) التفسير : « ويلطف بهم حتى لم يبق أحد ؛ فقال هل بقى . . . »
(٣) ح : « فانطلقوا » .

قال : بلى شيئاً يسيراً ، إن ملكتَ أطعتَنى [١] . فجعل الآخر يتبعه ويقول : تستهزئ بى ! ولا يمنعه أن يعطيَه ما سأله إلاّ أنه يرى أنه يستهزئ به . فبكى الإسرائيلىّ وقال : لقد علمتُ ما يمنعك أن تعطيَنى ما سألتُك ؛ إلا أن الله عزّ وجلّ يُريد أن يُنفذ ما قضى وكتب فى كتابه .

١/٦٥٦ وضرب الدهر من ضربه[٢] ، فقال صيحون[٣] ، وهو ملك فارس ببابل : لو أنّا بعثنا طليعة إلى الشأم ! قالوا : وما ضرّك لو فعلت ! قال : فمن ترون ؟ قالوا : فلان ، فبعث رجلاً ، وأعطاه مائة ألف ، وخرج بختنصّر فى مطبخه لا يخرج إلا ليأكل فى مطبخه ، فلما قدم الشام رأى صاحبُ الطليعة أكثرَ أرض الله فرساً ورجلاً جلداً ، فكسره[٤] ذلك فى ذرعه ، فلم يسأل ؛ فجعل بختنصّر يجلس مجالس أهل الشام فيقول : ما يمنعكم أن تغزوا بابل ؟ فلو غزوتموها ، فما دون بيت مالها شىء . قالوا : لا نحسِن القتال ولا نقاتل حتى تنفد مجالس أهل الشام ، ثم رجعوا . فأخبرَ متقدِّم الطليعة ملكهم بما رأى ، وجعل بختنصّر يقول لفوارس الملك : لو دعانى الملك لأخبرته غير ما أخبرَه فلان . فرفع ذلك إليه ، فدعاه فأخبره الخبر ، وقال : إن فلاناً لمّا رأى أكثرَ أرض الله كُراعا ورجلا جلداً ، كسر ذلك فى ذَرْعه[٥] ، ولم يسألهم عن شىء ، وإنى لم أدع مجلساً بالشام إلا جالست أهله ، فقلت لهم كذا وكذا ، فقالوا لى كذا وكذا — للذى ذكر سعيد بن جبير أنه قال لهم — فقال[٦] متقدم الطليعة لبختنصّر : فضحتَنى ! لك مائة ألف وتنزع عما قلت . قال : لو أعطيتَنى بيت مال بابل ما نزعتُ . وضرب الدهر من ضربه ، فقال الملك : لو بعثنا جريدةَ خيل إلى الشأم ، ١/٦٥٧ فإن وجدوا مساغاً ساغوا ، وإلا امتشّوا[٧] ما قدروا عليه . قالوا : ما ضرّك

(١) م : التفسير : « أعطيتنى »

(٢) ح : « ما ضرب » .

(٣) ح ، والتفسير : « صحور » .

(٤) التفسير : « كبر ذلك فى روعه » .

(٥) التفسير : « كبر ذلك فى روعه » .

(٦) التفسير : « قال لهم » .

(٧) امتشوا : انتزعوا .

لو فعلتَ ! قال : فمنْ ترون ؟ قالوا : فلان ، قال : بل الرجل الذى أخبرنى بما أخبرنى ، فدعا بختنصّر ، فأرسله وانتخب معه أربعة آلاف من فرسانهم ، فانطلقوا فجاسوا خلالَ الديار ، فسبوْا ما شاء الله ولم يخرّبوا ولم يقتلوا ، ورُمى فى جنازة صيحون ، قالوا : استخلفوا رجلاً ، قالوا : علَى رِسْلِكم حتى يأتى أصحابُكم ، فإنهم فرسانُكم ؛ أن ينغّصوا عليكم شيئًا ! فأمهَلوا حتى جاء بختنصّر بالسَّبْى وما معه ، فقسمه فى الناس فقالوا : ما رأينا أحداً أحقّ بالملك من هذا ! فملّكوه[1] .

* * *

وقال آخرون منهم : إنما كان خروج بختنصَّر إلى بنى إسرائيل لحربهم حين قتلت بنو إسرائيل يحيى بن زكرياء .

* ذكر بعض من قال ذلك منهم :

حدثنى موسى بن هارون ، قال : حدثنا عمرو بن حماد ، قال : حدثنا أسباط، عن السُّدىّ ، فى الحديث الذى ذكرنا إسناده قبل : أن بختنصَّر بعثه صيحائين لحرب بنى إسرائيل حين قتَل ملكُهم يحيى بن زكرياء عليه السلام ، وبلغ صيحائين قتله .

حدثنا ابن حُمَيد ، قال : حدثنا سلمة، عن ابن إسحاق ، قال — فيما بلغنى : استخلف الله عزّ وجلّ على بنى إسرائيل بعد شعيا رجلا منهم يقال له ياشية بن أموص ، فبعث الله لهم الخضر نبيًّا ، واسم الخضر — فيما كان وهب بن منبّه يزعم عن بنى إسرائيل — إرميا بن حلقيا ، وكان من سِبْط هارون . ١/٦٥٨

* * *

وأما وهب بن منبّه فإنه قال فيه ماحدثنى محمد بن سهل بن عسكر البخارىّ ، قال : حدثنا إسماعيل بن عبد الكريم ، قال : حدثنى عبد الصمد بن معقل ، قال : سمعت وهب بن منبه يقول :

---

(١) الخبر فى التفسير ١٥ : ٢٢ — ٢٣ (بولاق)

وحدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة، عن ابن إسحاق عمن لا يتهم عن وهب بن منبِّه اليمانيّ أنه كان يقول : قال الله عزّ وجلّ لإرميا حين بعثه نبيا إلى بنى إسرائيل : « يا إرميا، مِن قبل أن أخلقك اخترتُك، ومن قبل أن أصوِّرك فى بطن أمك قدّستُك، ومِن قبْل أن أخرجك من بطن أمك طهّرتك، ومن قبل أن تبلغ السَّعْى نبّيتك[1] ، ومن قبل أن تبلغ الأشدّ اختبرتك[2] ، ولأمر عظيم اجتبيتك[3] ». فبعث الله عزّ وجلّ إرميا إلى ذلك الملك من بنى إسرائيل يسدّده ويرشده ، ويأتيه بالخبر من قِبَل الله فيما بينه وبين الله عزّ وجلّ .

قال : ثم عظُمت الأحداث فى بنى إسرائيل ، وركبوا المعاصِى ، واستحلّوا المحارم ، ونسُوا ما كان الله صنع بهم ، وما نجّاهم من عدوّهم سنحاريب وجنوده، فأوحى الله عزّ وجلّ إلى إرميا : أن ائت قومَك من بنى إسرائيل ، فاقصُصْ عليهم ما آمرك به ، وذكّرهم نِعَمِى عليهم ، وعرِّفهم إحداثهم . فقال إرميا : إنى ضعيف إن لم تقوّنى ، عاجز إن لم تبلِّغْنى ، مُخْطِئ إن لم تسدّدنى ، مخذولٌ إن لم تنصرنى ، ذليلٌ إن لم تعزّنى . قال الله عزّ وجلّ : ألم تعلم أن الأمور كلَّها تصدُر عن مشيئتى ، وأن القلوبَ كلّها والألسن بيدى، أقلّبها كيف شئت فتطيعنى ! وأنى أنا الله الذى لا شىء مثلى ، قامت السموات والأرض وما فيهنّ بكلمتى ، وأنا كلّمت البحار ففهمتْ قولى ، وأمرتُها فعَقلتْ[4] أمرى ، وحدّدْتُ عليها بالبطحاء فلا تَعدّى حَدّى ؛ تأتى بأمواج كالجبال ؛ حتى إذا بلغت حدِّى ألبَسْتُها مذلّةُ طاعتى خوفًا واعترافًا لأمرى ، إنى معك ولن يصل إليك شىءٌ معى ؛ وإنى بعثتُك إلى خلق عظيم من خَلْقى لتبلِّغهم رسالاتى ، ونستحقّ[5] بذلك مثل أجر مَن اتَّبعك منهم، لا ينقص ذلك من أجورهم شيئًا ، وإن تقصّر به عنها تستحقُّ بذلك مثل وِزْرِ من تركت فى عماه ؛ لا ينقص ذلك من أوزارهم شيئًا . انطلق إلى قومك فقل: إن الله ذَكَر

١/٦٥٩

(١) التفسير : « نبأتك » .
(٢) التفسير : « اخترتك » .
(٣) التفسير : « اختبأتك » .
(٤) كذا فى ن والتفسير ؛ وفى ط : « نفعلت » .
(٥) التفسير : « ولتستحق » .

بكم صلاح آبائكم ، فحمله ذلك على أن يستتيبكم[١] يا معشر الأبناء . وسلهم كيف وجد آباءهم مغبة طاعتى ، وكيف وجدوا هم مغبة معصيتى ! وهل علموا أن أحداً قبلهم أطاعنى فشقى بطاعتى ، أو عصانى فسعد بمعصيتى ! وأن الدوابّ مما تذكر أوطانها الصالحة تنتابها ، وأن هؤلاء القوم رتعوا فى مروج الهلكة . أما أحبارهم ورهبانهم فاتخذوا عبادى خولاً[٢] يتعبدونهم دونى ، ويحكمون فيهم بغير كتابى[٢] ، حتى أجهلوهم أمرى ، وأنسوهم ذكرى ، وغروهم منى . وأما أمراؤهم وقادتهم فبطروا نعمتى ، وأمنوا مكرى ، ونبذوا كتابى ، ونسوا عهدى ، وغيّروا سنّتى ، وادّان[٣] لهم عبادى بالطاعة التى لا تنبغى إلا لى ؛ فهم يطيعونهم فى معصيتى ، ويتابعونهم على البدع التى يبتدعون فى دينى ، جرأة علىّ وغرة ، وفرية علىّ وعلى رسلى ، فسبحان جلالى وعلوّ مكانى وعظمة شأنى ! وهل ينبغى لبشر أن يطاع فى معصيتى ! وهل ينبغى أن أخلق عباداً أجعلهم أرباباً من دونى ! وأما قرّاؤهم وفقهاؤهم فيتعبدون فى المساجد ، ويتزينون[٤] بعمارتها لغيرى لطلب الدنيا بالدين ، ويتفقهون فيها لغير العلم ، ويتعلمون فيها لغير العمل . وأما أولاد الأنبياء فكثورون مقهورون مغترّون ، يخوضون مع الخائضين ، فيتمنّون علىّ مثل نصرة آبائهم ، والكرامة التى أكرمتهم بها ، ويزعمون أن لا أحدَ أولى بذلك منهم منى بغير صدق ولا تفكر ولا تدبّر[٥] ولا يذكرون كيف نصر آباءهم لى ، وكيف كان جدّهم فى أمرى ، حين غيّر المغيّرون ، وكيف بذلوا أنفسهم ودماءهم ، فصبروا وصدقوا حتى عزّ أمرى ، وظهر دينى ، فتأنّيت بهؤلاء القوم لعلّهم يستجيبون ، فأطولتُ لهم ، وصفحت عنهم لعلهم يرجعون ، وأكثرت ومددت لهم فى العمر لعلهم يتفكرون[٦] ، فأعذرت . وفى كلّ ذلك أمطر عليهم السماء ، وأنبت لهم الأرض ، وألبسهم

١/٦٦٠

(١) ت : « يستثيبكم » . ح : « يبتليكم » .
(٢-٢) التفسير : « ليعبدوهم دونى ، وتحكموا فيهم بغير كتابى » .
(٣) التفسير : « فادان » .
(٤) كذا فى ت ، ن ، والتفسير ، وفى ط : « يتدينون » .
(٥) كذا فى التفسير ، وفى ط : « تعبر » .
(٦) التفسير : « يتذكرون » .

العافية ، وأظهرهم على العدوّ ؛ فلا يزدادون إلا طغيانًا وبعداً منى . فحتى متى هذا ! أبى يتمرّسون ! أم إياى يخادعون ! فإنى أحلف بعزّتى لأقيِّضن لهم فتنة يتحيَّر فيها الحليم ، ويضِلّ فيها رأيُ ذى الرأى وحكمة الحكيم . ثم لأسلِّطن عليهم جباراً قاسياً عاتياً ، ألبسه الهيبة ، وأنزع مِن صدره الرأفة والرحمة والليان ، يتبعه عدد مثل سواد الليل المظلم ، له عساكر مثل قِطَع السحاب ، ومراكب أمثال العجاج ؛ كأن خفيق راياته طيَرانُ النسور ، وكأن حمْلة فرسانه كرير[1] العِقبان .

١/٦٦١

ثم أوحى الله عزّ وجلّ إلى إرميا أنّى مهلك بنى إسرائيل بيافث — ويافث أهلُ بابل ، فهم من ولد يافث بن نوح عليه السلام — فلما سمع إرميا وحْى ربّه صاح وبكى وشقّ ثيابه ، ونبذَ الرماد على رأسه ، فقال : ملعون يوم ولدت فيه ، ويوم لقِّنت[2] فيه التوراة ، ومن شرّ أيامى يوم ولدت فيه ، فما أبقِيتُ آخر الأنبياء إلا لما هو شرّ علىّ ، لو أراد بى خيراً ما جعلنى آخر الأنبياء من بنى إسرائيل ؛ فمن أجلى تصيبُهم الشقوة والهلاك !

فلما سمع الله عزّ وجلّ تضرّع الخضر وبكاءه ، وكيف يقول ، ناداه : يا إرميا ، أشقّ عليك ما أوحيت لك ! قال : نعم يا ربّ ؛ أهلِكنى قبل أن أرى فى بنى إسرائيل ما لا أسرّ به ، فقال الله تعالى : وعزّتى[3] وجلالى لا أهلِك بيت المقدس وبنى إسرائيل حتى يكونَ الأمر من قِبَلك فى ذلك . ففرح عند ذلك إرميا لما قال له ربّه ، وطابت نفسه وقال : لا ، والذى بعث موسى وأنبياءه بالحقّ ، لا آمر ربىّ بهلاك بنى إسرائيل أبداً .

١/٦٦٢

ثم أتى ملِكَ بنى إسرائيل فأخبره بما أوْحى الله إليه فاستبشر وفرح ؛ وقال : إن يعذّبنا ربنا فبذنوب كثيرة قدّمناها لأنفسنا ، وإن عفا عنّا فبقدرته .

ثم إنهم لبثوا بعد هذا الوحى ثلاث سنين لم يزدادوا إلا معصية وتمادياً فى الشرّ ، وذلك حين اقترب هلاكُهم ، فقلّ الوحىُ حين لم يكونوا يتذكّرون الآخرة ، وأمسك عنهم حين[4] ألهتهم الدنيا وشأنها ، فقال لهم ملكُهم :

---

(١) الكرير : صوت فى الصدر كصوت المختنق . (٢) ن والتفسير : « لقيت » .
(٣) التفسير : « وعزتى العزيزة » . (٤) ن : « حيث » .

يا بنى إسرائيل ، انتهوا عمّا أنتم عليه قبل أن يمسّكم بأسُ الله ، وقبل أن يبعث الله عليكم قومًا لا رحمةَ لهم بكم ، فإنّ ربّكم قريبُ التوبة مبسوط اليدين بالخير، رحيم بمن تاب إليه . فأبوْا عليه أن ينزعوا عن شىء مما هم عليه . وإنّ الله ألقى فى قلب بختنصّر بن نبوزراذان بن سنحاريب بن دارياس بن نمروذ بن فالغ ابن عابر — ونمروذ صاحب إبراهيم عليه السلام ، الذى حاجه فى ربه — أن يسير إلى بيت المقدس ، ثم يفعل فيه ما كان جدّه سنحاريب أراد أن يفعل . فخرج فى ستمائة ألف راية يريد أهلَ بيت المقدس ، فلما فَصَل سائراً أتى ملكَ بنى إسرائيل الخبر أن بختنصّر قد أقبل هو وجنوده يريدكم ، فأرسل الملك إلى إرميا، فجاءه فقال: يا إرميا، أين ما زعمْتَ لنا أنّ ربك أوحى إليك ألاّ يهلك أهل بيت المقدس حتى يكون منك الأمر فى ذلك ! فقال إرميا للملك : إن ربّى لا يخلف الميعاد ، وأنا به واثق .

فلما اقترب الأجل ودنا انقطاع ملكهم ، وعزم الله تعالى على هلاكهم ، بعث الله عزّ وجل مَلَكًا من عنده ، فقال له : اذهب إلى إرميا واستفته . ١/٦٦٣ وأمره بالذى يستفتيه فيه. فأقبل الملك إلى إرميا، وقد[1] تمثّل له رجلا من بنى إسرائيل ، فقال له إرميا : مَنْ أنت ؟ قال : أنا رجل من بنى إسرائيل أستفتيك فى بعض أمرى، فأذن له ، فقال له الملَك : يا نبىّ الله ، أتيتك أستفتيك فى أهل رحمِى ؛ وصلتُ أرحامهم بما أمرنى الله به ، لم آت إليهم إلا حُسْنًا ، ولم آلُهم كرامة ، فلا تزيدهم كرامتى إياهم إلا إسخاطًا لى ، فأفتِنى فيهم يا نبىّ الله ! فقال له : أحسن فيما بينك وبين الله ، وصِلْ ما أمرك الله أن تصلَ ، وأبشر بخير . قال : فانصرف عنه الملك ، فمكث أيامًا ثم أقبل إليه فى صورة ذلك الرجل الذى كان جاءه ، فقعد بين يديه ، فقال له إرميا : مَنْ أنت ؟ قال. أنا الرجل الذى أتيتك أستفتيك فى شأن أهلى ، فقال له نبىّ الله : أوما طهُرت[2] لك أخلاقُهم بعد ، ولم تر منهم الذى تحبّ ! قال : يا نبىّ الله، والذى بعثك بالحقّ ما أعلم كرامةً يأتيها أحد من الناس إلى أهل رحمه

---

(١) كذا فى ح ، وفى ط : « قد » بدون الواو ، وفى التفسير : « وكان قد تمثل » .

(٢) طهارة الأخلاق : بعدها عن الدنس والإثم .

إلا وقد أتيتها إليهم وأفضل من ذلك . فقال النبيّ : ارجع إلى أهلك فأحسن إليهم ، واسأل الله الذى يُصلح عبادَه الصالحين أن يصلح ذات بينِكم ، وأن يجمعَكم على مرضاته ،ويجنّبكم سَخَطه[1] . فقام الملِك من عنده فلبث أياماً وقد نزل بختنصّر وجنوده حول بيت المقدس بأكثر[2] من الجراد، ففزع منهم بنو إسرائيل فزعاً شديداً، وشقّ ذلك على ملِك بنى إسرائيل فدعا إرميا فقال : ١/٦٦٤ يا نبيّ الله ، أين ما وعدك الله ؟ فقال : إنى بربّى واثق . ثم إن الملك أقبل إلى إرميا وهو قاعد على جدار بيت المقدس يضحك ويستبشر بنصر ربّه الذى وعده ، فقعد بين يديه ، فقال له إرميا : مَنْ أنت ؟ قال : أنا الذى كنت أتيتك فى شأن أهلى مرتين ، فقال له النبيّ : أو لم يَأنِ لهم أن يُفيقوا من الذى هم فيه ! فقال الملِك : يا نبيّ الله، كُلُّ شىء كان يصيبنى منهم قبل اليوم كنت أصبر عليه ، وأعلم أنّ مآلهم[3] فى ذلك سُخْطى ، فلمّا أتيتُهم اليوم رأيتُهم فى عملٍ لا يرضاه الله ولا يحبّه، قال له النبّى : على أىّ عمل رأيتهم ؟ قال : يا نبّى الله،رأيتُهم على عملٍ عظيم من سَخَط الله، فلو كانوا على مثل ما كانوا عليه قبل اليوم ، لم يشتدّ غضبى عليهم ، وصبرت لهم ورجوتهم ، ولكنى غضبت اليوم لله ولك، فأتيتك لأخبرك خبرَهم ، وإنى أسألُك بالله الذى هو بعثك بالحقّ إلاما دعوتَ عليهم أن يُهلِكَهم الله . قال إرميا : يا ملِك السموات والأرض ؛ إن كانوا على حقٍّ وصواب فأبقهم ، وإن كانوا على سخطك وعمل لا ترضاه فأهلِكْهم .

فلمّا خرجت الكلمة من فى إرميا أرسل[4] الله عزّ وجلّ صاعقةً من السماء فى بيت المقدس فالتهب مكان القربان ، وخُسِف بسبعة أبواب من أبوابها . فلما رأى ذلك إرميا صاح وشقّ ثيابه ، ونبذ التراب على رأسه ، وقال : يا ملِك السماء ويا أرحم الراحمين ، أين ميعادُك الذى وعدتنى ! فنُودى : يا إرميا ؛ ١/٦٦٥ إنه لم يصبْهم الذى أصابهم إلا بفُتياك التى أفتيت بها رسولَنا . فاستيقن النبيّ أنها

(١) ح : « وينجيكم من سخطه » .
(٢) ح : « فى أكثر » . التفسير : « كأمثال الجراد » .
(٣) ت : « ما بهم » ، ن : « مالهم » ، التفسير : « مأربهم » .
(٤) التفسير : « فما خرجت الكلمة من فى إرميا حتى أرسل . . .

فُتياه التى أفتى بها ثلاث مرات، وأنه رسولُ ربّه .

وطار[١] إرميا حتّى خالطَ الوحوش، ودخل بختنصّر وجنودُه بيت المقدس، فوطئ الشأم ، وقتل بنى إسرائيل حتّى أفناهم . وخرّب بيت المقدس ؛ ثم أمر جنودَه أن يملأ كلُّ رجل منهم تُرسه تراباً ثم يقذفه فى بيت المقدس . فقذفوا فيه التراب حتى ملئوه . ثم انصرف راجعاً إلى أرض بابل ، واحتمل معه سَبايا بنى إسرائيل، وأمرهم أن يجمعوا مَنْ كان فى بيت المقدس كلّهم ، فاجتمع عنده كلُّ صغير وكبير من بنى إسرائيل، فاختار منهم مائة ألف صبىّ. فلما خرجت غنائم جنده ، وأراد أن يقسمها[٢] فيهم ، قالت له الملوك الذين كانوا معه : أيها الملك ، لك غنائمنا كلُّها واقسِم بيننا هؤلاء الصبيان الذين اخترتَهم من بنى إسرائيل . ففعل فأصاب كلُّ رجل منهم أربعة غلمة — وكان من أولئك الغلمان : دانيال ، وحنانيا ، وعزاريا ، وميشايل — وسبعة آلاف من أهل بيت داود ، وأحد عشر ألفاً من سِبْط يوسف بن يعقوب وأخيه بنيامين ، وثمانية آلاف من سبط أشر بن يعقوب ، وأربعة عشر ألفاً من سبط زبالون ابن يعقوب ، ونفثالى بن يعقوب، وأربعة آلاف من سبط روبيل ولاوى ابنى يعقوب ،وأربعة آلاف من سبط يهوذا بن يعقوب ومن بقىَ من بنى إسرائيل . ١/٦٦٦ وجعلهم بختنصّر ثلاث فرق؛ فثلثا أقرّ بالشام ، وثلثاً سَبى ، وثلثا قتل . وذهب بآنية بيت المقدس حتى أقدَمها بابل ، وذهب بالصبيان السبعين الألف حتى أقدمهم بابل ؛ وكانت هذه الوقعة الأولى التى أنزلها الله ببنى إسرائيل بإحداثهم وظلمهم .

فلما ولى بختنصّر عنهم راجعاً إلى بابل بمن معه من سبايا بنى إسرائيل أقبل إرميا على حمار له معه عصير من عنب فى رَكْوة[٣] وسلّة تين ، حتّى غشى إيلياء فلما وقف عليها ورأى ما بها من الخراب دخله شكٌّ ، فقال : أنّى يحيى هذه الله بعد موتها! فأماته الله مائة عام، وحماره وعصيره وسلّة تينه عنده حيث أماته

(١) التفسير : « ثم إن إرميا » . . .
(٢) كذا فى التفسير وفى ط : « يقسمهم » .
(٣) ت والتفسير : « زكرة » ، وهى زق صغير من أدم يجعل فيه الشراب .

الله وأمات حماره معه ، وأعمى الله عنه العيون فلم يره أحد . ثم بعثه الله فقال له: ﴿ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْماً أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَلْ لَبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانْظُرْ إلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ ﴾ –يقول لم يتغير– ﴿ وَانظُرْ إلَى حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ وَانظُرْ إلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنْشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْماً ﴾.(١) فنظر إلى حماره يتصل بعضٌ إلى بعض –وقد كان مات معه– بالعروق والعصَب ، ثم كيف كسى ذلك منه اللحم حتى استوى ، ثم جرى فيه الروح ، فقام ينهق . ثم نظر إلى عصيره وتينه ، فإذا هو على هيئته حين وضعه لم يتغيّر . فلما عاين من قدرة الله ما عاين ، قال : ﴿ أعلمُ أنَّ اللهَ على كُلِّ شيء قدِيرٌ(١) ﴾. ثم عمّر الله إرميا بعد ذلك ، فهو الذى يُرى بفلوات الأرض والبلدان(٢) .

١/٦٦٧

* * *

ثم إنّ بختنصّر أقام فى سلطانه ما شاء الله أن يقيم ، ثم رأى رؤيا ، فبينما هو قد أعجبه ما رأى إذ رأى شيئًا أصابه فأنساه الذى كان رأى ، فدعا دانيال ، وحنانيا وعزاريا ، وميشايل من ذرارىّ الأنبياء ، فقال: أخبرونى عن رؤيا رأيتُها ، ثم أصابنى شىء فأنسانيها ، وقد كانت أعجبتنى(٣) ما هى ؟ قالوا له : أخبرنا بها نخبرك بتأويلها ، قال : ما أذكرها ، وإن لم تخبرونى بتأويلها لأنزعنّ أكتافكم . فخرجوا من عنده ، فدعَوُا الله واستغاثوا وتضرّعوا إليه ، وسألوه أن يعلمهم إياها ، فأعلمهم الذى سألهم عنه ، فجاءوه فقالوا له : رأيتَ تمثالا ؟ قال : صدقتم ، قالوا : قدماه وساقاه من فخّار ، وركبتاه وفخذاه من نحاس ، وبطنه من فضّة ، وصدره من ذهب ، ورأسه وعنقه من حديد . قال : صدقتم . قالوا: فبينما أنت تنظر إليه قد أعجبك ، فأرسل الله عليه صخرة من السماء فدقّته ، فهى التى أنستكها . قال : صدقتم ، فما تأويلها ؟ قالوا : تأويلها أنك أريتَ مُلْك الملوك ، فكان بعضُهم ألينَ مُلْكًا من بعض ، وبعضهم كان أحسن مُلْكاً من بعض ، وبعضهم كان أشدَّ مُلْكا من بعض ،

---

(١) سورة البقرة ٢٥٩ .

(٢) الخبر فى التفسير ١٥ : ٢٩ – ٣١ (بولاق) ، وانظره أيضاً فى ٥ : ٤٤٧ – ٤٥٤ (المعارف) .

(٣) ح : « كان أعجبنى » .

فكان أول الملْك الفخّار وهو أضعفه وألينه . ثم كان فوقه النحاس وهو أفضل منه وأشدّ ، ثم كانَ فوق النحاس الفضّة وهى أفضل من ذلك وأحسن ، ثم ١/٦٦٨ كان فوق الفضة الذهب ، فهو أحسن من الفضة وأفضل ، ثم كان الحديد مُلْكك ؛ فهو كان أشدّ الملوك وأعزّ مما كان قبله ، وكانت الصخرة التى رأيت أرسل الله عليه من السماء فدقّته ، نبيًّا يبعثه الله من السماء فيدقّ ذلك أجمع ، ويصير الأمر إليه .

ثم إن أهل بابل قالوا لبختنصّر : أرأيتَ هؤلاء الغلمان من بنى إسرائيل الذين كنا سألناك أن تعطيناهم ففعلت ! فإنّا والله لقد أنكرنا نساءنا منذ كانوا معنا ، لقد رأينا نساءنا عَلِقْنَ بهم ، وصرفنَ وجوههنّ إليهم ، فأخرجْهم من بين أظهرنا أو اقتلْهم ، قال : شأنَكم بهم ، فن أحبّ منكم أن يقتل من كان فى يده فليفعل ، فأخرجوهم . فلمّا قربوهم للقتل تضرّعوا إلى الله فقالوا : يا ربّنا ، أصابنا البلاء بذنوب غيرنا ، فتحنّن الله عليهم برحمته ، فوعدهم أن يحييهم بعد قتلهم ، فقتلوا إلا من استبقى بختنصّر منهم ، وكان ممن استبقى منهم : دانيال ، وحنانيا ، وعزاريا ، وميشايل .

* * *

ثم إن الله تبارك وتعالى حين أراد هلاك بختنصّر ، انبعث فقال لمن كان فى يديه من بنى إسرائيل : أرأيتم هذا البيت الذى أخربت ، وهؤلاء الناس الذين قتلت ، من هم ؟ وما هذا البيت ؟ قالوا : هذا بيت الله ومسجد من مساجده ، وهؤلاء أهلُه كانوا من ذرارىّ الأنبياء ، فظلموا وتعدّوا وعصوْا فسلّطتَ عليهم بذنوبهم ، وكان ربُّهم ربّ السموات والأرض ، وربّ الخلق كلّهم يكرمهم ١/٦٦٩ ويمنعهم[1] ويعزّهم ، فلما فعلوا ما فعلوا أهلكهم الله وسلّط عليهم غيرهم .

قال : فأخبرونى ما الذى يطلع بى إلى السماء العليا ، لعلّى أطّلع إليها فأقتلَ منْ فيها وأتخذها مُلْكًا ، فإنّى قد فرغت من الأرض ومَنْ فيها ، قالوا له : ما تقدر على ذلك وما يقدر على ذلك أحد من الخلائق ، قال : لتفعلُنّ أو لأقتلنّكم عن آخركم ، فبكوا إلى الله وتضرّعوا إليه ، فبعث الله بقدرته ـ ليريه

---

(١) ن : « ويمتعهم » .

ضعفه وهوانه عليه — بعوضةً فدخلت فى منخره ثم ساخت فى دماغه حتى عضّت بأمّ دماغه ؛ فما كان يَقَرّ ولا يسكن حتى يوجأ له رأسه على أمّ دماغه ؛ فلما عرف الموت قال لخاصّته من أهله : إذا مت فشقّوا رأسى ، فانظروا ما هذا الذى قتلنى ؟ فلما مات شقّوا رأسه ، فوجدوا البعوضة عاضّة بأمّ دماغه ليُرِىَ الله العباد قدرته وسلطانه ؛ ونجىّ الله مَنْ كان بقى فى يديه من بنى إسرائيل وترحّم عليهم وردهم إلى الشأم وإلى إيلياء المسجد المقدّس ، فبنوا فيه وربَلُوا[1] وكثروا ؛ حتى كانوا على أحسن ما كانوا عليه .

فيزعمون — والله أعلم — أنّ الله أحيا أولئك الموتى الذين قتِلوا فلحقوا بهم .

* * *

ثم إنهم لما دخلوا الشأم دخلوها وليس معهم عهد من الله ؛ كانت التوراة قد استُبِيتْ منهم فحرقت وهلكت ، وكان عُزَير من السبايا الذين كانوا ببابل فرجع إلى الشأم يبكى عليها ليله ونهاره ، قد خرج من الناس فتوحّد[2] منهم ؛ وإنما هو ببطون الأودية وبالفلوات يبكى ؛ فبينما هو كذلك فى حزنه على التوراة وبكائه عليها ، إذ أقبل إليه رجل وهو جالس ، فقال : يا عُزَير ما يبكيك ؟ قال : أبكى على كتاب الله وعهده ، كان بين أظهرنا فبلغتْ بنا خطايانا ، وغضب ربنا علينا أن سلّط علينا عدوّنا ، فقتل[3] رجالنا ، وأخرب بلادنا ، وأحرق كتاب الله الذى بين أظهرنا ، الذى لا يصلح دنيانا وآخرتنا غيره — أو كما قال — فعلامَ أبكى إذا لم أبك على هذا ! قال : أفتحبّ أن يُرَدّ ذلك عليك ؟ قال : وهل إلى ذلك من سبيل ؟ قال : نعم ارجع فصُمْ وتطهّر وطهّر ثيابك ، ثم موعدك هذا المكان غداً . فرجع عُزَير فصام وتطهّر وطهّر ثيابه ، ثم عمد إلى المكان الذى وُعِده ، فجلس فيه ، فأتاه ذلك الرجل بإناء فيه ماء — وكان مَلَكا بعثه الله إليه — فسقاه من ذلك الإناء ، فمثلت التوراة فى صدره ، فرجع إلى بنى إسرائيل ، فوضع لهم التوراة يعرفونها بحلالها وحرامها وسننها وفرائضها

١ / ٦٧٠

(١) ربلوا : كثر عددهم .
(٢) ح : « وانقطع » .
(٣) ت : « حتى قتل » . ن : « قتل » .

وحدودها ، فأحبّوه حبًّا لم يحبوه شيئًا قطّ ، وقامت التوراة[1] بين أظهرهم ، وصلَح بها أمرهم ، وأقام بين أظهرهم عُزَير مؤديًا لحقّ الله ، ثم قبضه الله على ذلك ، ثم حدثت فيهم الأحداث حتى قالوا لعزير : هو ابن الله ، وعاد الله عليهم فبَعث فيهم نبيًّا كما كان يصنع بهم ، يسدّد أمرهم ، ويعلّمهم ويأمرهم بإقامة التوراة وما فيها .

* * *

وقال جماعة أخر عن وهب بن منبّه فى أمر بختنصّر وبنى إسرائيل وغزوه إياهم أقوالاً غير ذلك ، تركنا ذكرها كراهة إطالة الكتاب بذكرها . ٦٧١/١

(١) ح : « وقام أمر التوراة » .

ذكر خبر غزو بختنصر للعرب

حُدِّثت عن هشام بن محمد، قال: كان بدء نزول العرب أرضَ العراق وثبوتهم فيها، واتخاذهم الحيرة والأنبار منزلا — فيما ذكر لنا والله أعلم — أنَّ الله عزَّ وجلَّ أوحى إلى برخيا بن أحنيا[1] بن زربابل بن شلتيل من ولد يهوذا — قال هشام: قال الشرقيّ: وشلتيل أوّل من اتخذ الطفشيل — أن ائت بختنصَّر وأمره أن يغزُوَ العرب الذين لا أغلاق لبيوتهم ولا أبواب، ويطأ بلادهم بالجنود، فيقتُل مقاتلتهم ويستبيح أموالهم، وأعلِمْه كفرَهم بي، واتخاذهم الآلهة دوني، وتكذيبهم أنبيائي ورسلي.

قال: فأقبل برخيا من نَجْران حتى قدم على بختنصَّر ببابل — وهو « نبوخذ نصر » فعرّبته العرب — وأخبرَه بما أوحى الله إليه وقصّ عليه ما أمره به؛ وذلك في زمان مَعَدّ بن عدنان. قال: فوثب بختنصّر على مَنْ كان في بلاده من تجار العرب، وكانوا يقدُمون عليهم بالتجارات والبِياعات، ويمتارون من عندهم الحبَّ والتمر والثياب وغيرها.

فجمع مَنْ ظفر به منهم، فبنى لهم حَيْرًا[2] على النَّجَف وحصَّنه، ثم ضمَّهم فيه ووكّل بهم حرسًا وحفَظة، ثم نادى في الناس بالغزو، فتأهَّبوا لذلك وانتشر الخبر فيمن يليهم من العرب، فخرجت إليه طوائف منهم مسالمين مستأمنين، فاستشار بختنصّر فيهم برخيا، فقال: إن خروجَهم إليك من بلادهم قبل نهوضك إليهم رجوع منهم عمّا كانوا عليه، فاقبلْ منهم، فأحسنْ إليهم. ١/٦٧٢

قال: فأنزلهم بختنصَّر السواد[3] على شاطىء الفرات، فابتنوْا موضع عسكرهم بعد، فسمَّوْه الأنبار[4]. قال: وخلَّى عن أهل الحَيْر[5]، فاتَّخذوها منزلاً حياة

---

(١) كذا في ت، وفي س: « أخيا »، وفي ابن الأثير ١: ١٥٣: « أخنيا ».

(٢) الحير: شبه الحظيرة. (٣) السواد هنا: رستاق العراق.

(٤) مدينة على الفرات؛ ذكرها ياقوت وقال: « وقيل إنما سمى الأنبار لأن بختنصر لما حارب العرب الذين لا خلاق لهم حبس الأسراء فيه ».

(٥) في الأصول: « الحيرة »، وصوابه من معجم البلدان ٣: ٣٧٨.

بختنصّر ، فلما مات انضموا إلى أهل الأنبار ، وبقىَ ذلك الحَيْر خراباً[1] .

وأما غير هشام من أهل العلم بأخبار الماضين فإنه ذكر أن معدّ بن عدنان لما وِلد، ابتدأت بنو إسرائيل بأنبيائهم فقتلوهم ، فكان آخر من قتلوا يحيى بن زكرياء، وعدا أهلُ الرّسّ[2] على نبيهم فقتلوه، وعدا أهل حضور[3] على نبيّهم فقتلوه ، فلما اجترءوا على أنبياء الله أذن الله فى فناء ذلك القرن الذين معدّ بن عدنان من أنبيائهم ، فبعث الله بختنصّر على بنى إسرائيل، فلما فرغ من إخراب المسجد الأقصى والمدائن وانتسف بنى إسرائيل نسفاً، فأوردهم أرض بابل أُرِىَ فيما يرى النائم — أو أمِر بعض الأنبياء أن يأمره — أن يدخل بلاد العرب فلا يستحيى فيها إنسيّاً[4] ولا بهيمة ، وأن ينتسف ذلك نسفاً، حتى لا يُبقى لهم أثراً. فنظم بختنصّر ما بين إيلة والأبُلّة خيلا ورجلا ، ثم دخلوا على العرب فاستعرضوا كلّ ذى روح أتوْا عليه وقدروا علَيه . وأن الله تعالى أوحى إلى إرميا وبرخيا أنّ الله قد أنذر قومكما، فلم ينتهوا ، فعادوا بعد المُلْك عبيدا، وبعد نعيم العيش عالة يسألون الناس، وقد تقدّمت إلى أهل عربة بمثل ذلك فأبوْا إلا الحاجة، وقد سلّطت بختنصر عليهم لأنتقم منهم ، فعليكما بمعدّ بن عدنان، الذى من ولده محمد الذى أخرجه فى آخر الزمان ، أختِمُ به النبوّة ، وأرفع به من الضّعة .

١ / ٦٧٣

فخرجا تُطوَى لهما الأرض حتى سبقا بختنصّر ، فلقيا عدنان قد تلقّاهما ، فطوياه إلى معدّ ، ولمعدّ يومئذ اثنتا عشرة سنة ، فحمله برخيا على البُراق ، وردِف خلفه ، فانتهيا إلى حرّان من ساعتهما، وطُويت الأرض لإرميا فأصبح بحرّان ، فالتقى عدنان وبختنصّر بذات عِرْق ، فهزم بختنصّر عدنان ، وسار فى بلاد العرب ، حتى قدم إلى حَضُور واتّبع عدنان ، فانتهى بختنصّر إليها ،

(١) الخبر فى معجم البلدان ٣ : ٣٧٧ — ٣٨٠، عن هشام، وفيه : « فابتنوا فى موضعه وسموها الحيرة لأنه كان حيراً مبنياً ؛ وما زالوا كذلك مدة حياة بختنصر » .

(٢) الرس : بئر ، ويروى أن قوماً كذبوا نبيهم ورسوه فى هذه البئر (ياقوت) .

(٣) حضور ، بالفتح ثم الضم : بلدة باليمن ؛ من أعمال زبيد . . . ونقل ياقوت عن السهيلى : « لما قصد بختنصر بلاد العرب ودوخها وخرب المعمور استأصل الله أهل حضوراء » وقال : « هكذا رواها بالألف الممدودة » .

(٤) ت « إنسافا » .

وقد اجتمع أكثر العرب من أقطار من عربة إلى حَضُور ، فخندق الفريقان، وضرب بختنصّر كينًا — وذلك أول كين كان فيما زعم — ثم نادى مناد من جوّ السماء : يالثارات الأنبياء ! فأخذتهم السيوفُ مِنْ خلفهم ومن بين أيديهم، فندموا على ذنوبهم، فنادوْا بالويل، ونُهِي عدنان عن بختنصّر ونُهِي بختنصّر عن عدنان، وافترق مَن لم يشهد حَضُور ، ومن أفلت قبل الهزيمة فرقتين : فرقة أخذت إلى ريسوب وعليهم عَكّ ، وفرقة قصدت لوبار

١/٦٧٤

وفرقة حَضُر العرب، قال : وإياهم عنى الله بقوله : ﴿ وكَمْ قَصَمْنَا مِنْ قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً ﴾، كافرة الأهل؛ فإن العذاب لما نزل بالقرى وأحاط بهم فى آخر وقعة ذهبوا ليهربُوا فلم يطيقوا الهرب، ﴿ فَلَمَّا أَحَسُّوا بَأْسَنَا ﴾ انتقامنا منهم ﴿ إِذَا هُمْ مِنْهَا يَرْكُضُون ﴾ يهربون ، قد أخذتهم السيوف من بين أيديهم ومن خلفهم . ﴿ لَا تَرْكُضُوا ﴾ لا تهربوا ﴿ وَارْجِعُوا إِلَى مَا أُتْرِفْتُمْ فِيه ﴾ إلى العيشة على النعم المكفورة ﴿ وَمَسَاكِنِكُمْ ﴾ مصيركم ﴿ لَعَلَّكُمْ تُسْأَلُون ﴾. فلما عرفوا أنه واقع بهم أقروا بالذنوب، فقالوا :﴿ يَاوَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ * فَمَا زَالَتْ تِلْكَ دَعْوَاهُمْ حَتَّى جَعَلْنَاهُمْ حَصِيدًا خَامِدِين ﴾،[1] موتى وقتلى بالسيف

فرجع بختنصّر إلى بابل بما جمع من سبايا عَرَبَة[2] فألقاهم بالأنبار ، فقيل أنبار العرب، وبذلك سميت الأنبار ، وخالطهم بعد ذلك النَّبَط

فلما رجع بختنصّر مات عدنان وبقيت بلاد العرب خرابًا حياة بختنصّر ، فلما مات بختنصّر خرج معد بن عدنان معه الأنبياء، أنبياء بنى إسرائيل صلوات الله عليهم حتى أتى مكة فأقام أعلامها، فحجّ وحجّ الأنبياء معه، ثم خرج معدّ حتى أتى ريسوب فاستخرج أهلها ، وسأل عَمّن بقى من ولد الحارث بن مُضاضٍ

١/٦٧٥

الجرهمىّ ، وهو الذى قاتل دوس العتق ، فأفنى أكثرهم جرهم على يديه ، فقيل له : بقى جوشم بن جلهمة ، فتزوج معدّ ابنتَه معانة ، فولدت له نزار بن معدّ .

---

(١) سورة الأنبياء ١١ — ١٥ .

(٢) عربة ؛ بالتحريك ؛ هى فى الأصل اسم لبلاد العرب ؛ انظر معجم البلدان .

رجع الخبر إلى قصة بشتاسب وذكر ملكه والحوادث التى كانت فى أيام ملكه التى جرت على يديه ويد غيره من عماله فى البلاد خلا ما جرى من ذلك على يد بختنصر

ذكر العلماء بأخبار الأمم السالفة من العجم والعرب ، أنّ بشتاسب بن كى لهراسب لما عقد له التاج ،قال يوم ملَك : نحن صارفون فكرنا وعملنا وعلمنا إلى كلّ ما يُنال به البرّ . وقيل: إنه ابتنى بفارس مدينةَ فَسَا ،وببلاد الهند وغيرها بيوتًا للنيران، ووكّل بها الهرابذة[1] ، وإنه رتّب سبعة نفر من عظماء أهل مملكته مراتب ،وملّك كلّ واحد منهم ناحية جعلها له ، وإن زرادشت ابن أسفيمان ظهر بعد ثلاثين سنة من مُلْكه فادّعى النبوّة، وأراده على قبول دينه ، فامتنع من ذلك ثم صدّقه ، وقبِل ما دعاه إليه وأتاه به من كتاب ادّعاه وحيًا ،فكُتِب فى جلد اثنى عشرة ألف بقرة حَفْرًا فى الجلود ، ونقشا بالذهب ، وصيّر بشتاسب ذلك فى موضع من إصطخر ، يقال له دزنبشت ، ووكّل به الهرابذة ، ومنع تعليمَه العامة . وكان بشتاسب فى أيامه تلك مهادنًا لخرزاسف بن كى سواسف ، أخى فراسياب ملك الترك على ضَرْبٍ من الصلح ، وكان من شرط ذلك الصلح أن يكون لبشتاسب بباب خرزاسف دابةٌ موقوفة بمنزلة الدوابّ التى تنوب[2] على أبواب الملوك، فأشار زرادشت على بشتاسب بمفاسدة ملك الترك ، فقبل ذلك منه، وبعث إلى الدابّة والموكّل بها ، فصرفهما إليه ، وأظهر الخبر لخرزاسف، فغضب من ذلك — وكان ساحرًا عاتيًا — فأجمع على محاربة بشتاسب ، وكتب إليه كتابًا غليظًا عنيفًا ، أعلمه فيه أنه أحدث حدثًا عظيمًا ، وأنكر قبولَه ما قبل من زرادشت ، وأمره بتوجيهه إليه ، وأقسم إن امتنع أن يغزوَه حتى يسفك دمه ، ودماء أهل بيته .

١/٦٧٦

(١) الهرابذة : هم خدم النار ؛ أو حكام المجوس الذين يصلون بهم ؛ واحده الهربذ (المعرب ٣٥١) . (٢) ت ، س : « تكون » .

فلما ورد الرسول بالكتاب على بشتاسب، جمع إليه أهلَ بيته وعظماء أهل مملكته، وفيهم جاماسف عالمهم وحاسبهم، وزرين بن لهراسب. فكتب بشتاسب إلى ملك الترك كتاباً غليظاً جواب كتابه، آذنه فيه بالحرب، ١/٦٧٧ وأعلمه أنه غير مُمْسك عنه إن أمسك. فسار بعضهما إلى بعض، مع كلٍّ واحد منهما من المقاتلة ما لا يُحْصَى كثرة، ومع بشتاسب يومئذ زرين أخوه ونسطور ابن زرين وإسفنديار وبشوتن ابنا بشتاسب، وآل لهراسب جميعاً، ومع خرزاسف وجوهرمز وأندرمان أخواه وأهل بيته، وبيدرفش الساحر، فقُتِل فى تلك الحروب زرين، واشتدّ ذلك على بشتاسب، فأحسَن الغَنَاء عنه ابنه إسفنديار، وقتَل بيدرفش مُبارزَةً، فصارت الدَّبْرة على الترك، فقتلوا قتلاً ذريعاً، ومضى خرزاسف هارباً، ورجع بُشتاسب إلى بَلْخ، فلما مضت لتلك الحروب سنون سعى على إسفنديار رجل يقال له قرزم[1]، فأفسد قلب بشتاسب عليه، فندَبه لحرب بعد حرب، ثم أمر بتقييده وصيّره فى الحصن الذى فيه حبسُ النساء، وشخص بشتاسب إلى ناحية كرْمان وسِجِسْتان، وصار منها إلى جبل يقال له طميدر[2] لدراسة دينه والنُّسْك هناك، وخلّف لهراسب أباه ١/٦٧٨ مدينة بلْخ شيخاً قد أبطله الكِبَرُ، وترك خزائنه وأمواله ونساءه مع خطوس امرأته، فحملت الجواسيس الخبرَ إلى خزاسف، فلما عرف جمع جنوداً لا يُحصونْ كثرة، وشخَص من بلاده نحو بلْخ، وقد أمّل أن يجد فرصة من بشتاسب ومملكته. فلما انتهى إلى تخوم[3] ملك فارس قدَّم أمامه جوهرمز أخاه — وكان مرشّحاً للملك بعده فى جماعة من المقاتلة كثيرة — وأمره أن يَغِذّ السير حتى يتوسّط المملكة ويُوقع بأهلها، ويُغير على القرى والمدن، ففعل ذلك جوهرمز، وسفك الدماء واستباح من الحُرَم ما لا يحصى، واتّبعه خرزاسف فأحرق الدواوين، وقتل لهراسف والهرابذة، وهدم بيوتَ النيران، واستولى على الأموال والكنوز، وسبى ابنتين لبشتاسب، يقال لإحداهما: خمانى، وللأخرى باذافره، وأخذ — فيما أخذ — العلَمَ الأكبر الذى كانوا يسمّونه

(١) ت: «فرزم»، ح: «قدوم»، س «فرارم».

(٢) كذا فى ت، س.

(٣) التخوم: جمع تخم؛ بفتح التاء وضمها: الفصل بين الأرضين من المعالم والحدود.

درفش كابيان ، وشخص متّبعًا لبشتاسب ، وهرب منه بشتاسب حتّى تحصّن في تلك الناحية مما يلي فارس في الجبل الذى يعرف بطميذر ، ونزل ببشتاسب ما ضاق به ذرعًا ؛ فيقال إنه لما اشتدّ به الأمر وجّه إلى إسفنديار جاماسب حتّى استخرجه من محبسه ، ثم صار به إليه ، فلما أدخل عليه اعتذر إليه ، ووعده عقد التاج على رأسه ، وأن يفعل به مثل الذى فعل لهراسب به ، وقلّده القيام بأمر عسكره ، ومحاربة خرزاسف .

فلما سمع إسفنديار كلامه كفّر[1] له خاشعًا ، ثم نهض من عنده ، فتولى عرْض الجند وتمييزهم ، وتقدم فيما احتاج إلى التقدم فيه ، وبات ليلتَه مشغولاً بتعبئته ، فلما أصبح أمر بنفخ القرون ، وجمع الجنود ، ثم سار بهم نحو عسكر الترك ، فلما رأت الترك عسكره خرجوا في وجوههم يتسابقون ، وفي القوم جوهرمز وأندرمان ، فالتحمت الحرب بينهم ، وانقضّ إسفنديار وفي يده الرمح كالبرق الخاطف ، حتّى خالط القوم ، وأكبّ عليهم بالطعن ، فلم يكن إلا هُنيهة حتى ثلم في العسكر ثُلمة عظيمة ، وفشا في الترك أنّ إسفنديار قد أطلق من الحبس ، فانهزموا لا يلوُون على شيء ، وانصرف إسفنديار ، وقد ارتجع العلَم الأعظم ، وحمله معه منشوراً ، فلما دخل على بشتاسب استبشر بظفره ، وأمره باتباع القوم ، وكان مما أوصاه به أن يقتل خرزاسف إن قدر عليه بلهراسف ، ويقتل جوهرمز وأندرمان بمن قتل من ولده ، ويهدِمَ حصون الترك ويُحرقَ مدنها ، ويقتل أهلَها بمن قتلوا من حملة الدين ، ويستنقذ السبايا . ووجّه معه ما احتاج إليه من القوّاد والعظماء .

١/ ٦٧٩

فذكروا أنّ إسفنديار دخل بلاد الترك من طريق لم يَرُمه أحد قبله ، وأنه قام — من حراسةِ جنده ، وقتْل ما قتل من السباع ، ورمْي العنقاء المذكورة — بما لم يقم به أحد قبله ، ودخل مدينة الترك التى يسمونها د زْرُوئين — وتفسيرها بالعربية الصُّفْرية — عنوة حتّى قتل الملك وإخوته ومقاتلته ، واستباح أموالَه وسبى نساءه ، واستنقذ أختيْه ، وكتب بالفتح إلى أبيه ، وكان أعظم الغَناء

١/٦٨٠

(١) كفر له : خضع ؛ وهو من فعل العلوج للدهاقين ؛ يضع العلج يده على صدره ويطاطئ رأسه ويتطأمن تعظيما .

فى تلك المحاربة بعد إسفنديار لفشوتن أخيه وأدرنوش ومهرين ابن ابنته . ويقال إنهم لم يصلوا إلى المدينة حتّى قطعوا أنهاراً عظيمة مثل كاسروذ ، ومهرروذ ، ونهرا آخر لهم عظيمًا ، وإن إسفنديار دخل أيضًا مدينة كانت لفراسياب ، يقال لها وهشكند[1] ، ودوّخ البلاد وصار إلى آخر حدودها ، وإلى التُّبَّت وباب صول ، ثم قطع البلاد وصيّر كلّ ناحية منها إلى رجل من وجوه الترك بعد أن آمنهم ، ووظّف على كلّ واحد منهم خراجًا يحمله إلى بشتاسب فى كلّ سنة ، ثم انصرف إلى بلخ .

ثمّ إن بشتاسب حسد ابنه إسفنديار لما ظهر منه ، فوجّهه إلى رسْتَم بسِجسْتان ، فحدّثت عن هشام بن محمد الكلبىّ أنه قال : قدكان بشتاسب جعل المُلك من بعده لابنه إسفنديار ، وأغزاه الترك ، فظفر بهم ، وانصرف إلى أبيه ، فقال له : هذا رستم متوسطًا بلادنا ، وليس يعطينا الطاعة لادعائه ما جعل له قابوس من العتق من رقّ الملك ، فسرْ إليه فأتنى به ، فسار إسفنديار إلى رستم فقاتله ، فقتله رستم . ومات بشتاسب ، وكان ملكه مائة سنة واثنتى عشرة سنة . ١/٦٨١

* * *

وذكر بعضُهم أن رجلاً من بنى إسرائيل ؛ يقال له سمى كان نبيًّا ، وأنه بُعِث إلى بشتاسب فصار إليه إلى بلْخ ، ودخل مدينتها ، فاجتمع هو وزرادشت صاحب المجوس ، وجاماسب العالم بن فخد[2] ، وكان سمى يتكلَّم بالعبرانية ويعرف زرادشت ذلك بتلقين ، ويكتب بالفارسية ما يقول سمى بالعبرانية ، ويدخل جاماسب معهما فى ذلك ، وبهذا السبب سمى جاماسب العالم .

وزعم بعض العجم أن جاماسب هو ابن فخد بن هو بن حكاو بن نذكاو بن فرس بن رج بن خوراسرو بن منوشهر الملك ، وأن زرادشت بن يوسيسف[3] ابن فردواسف بن اريحد بن منجدسف[4] بن جخشنش بن فيافيل بن الحدى ابن هردان بن سفمان بن ويدس بن أدرا بن رج بن خوراسرو بن منوشهر . ١/٦٨٢

وقيل إن بشتاسب وأباه لهراسب كانا على دين الصابئين ، حتّى أتاه سمى

(١) كذا فى س ، وفى ت : « وحسكتك » .
(٢) كذا فى ح . (٣) كذا فى ت . (٤) كذا فى ت .

وزرادشت بما أتياه به ، وأنهما أتياه بذلك لثلاثين سنة مضت من ملكه .

وقال هذا القائل : كان ملك بشتاسب مائة وخمسين سنة ، فكان ممن رتب بشتاسب من النفر السبعة المراتب الشريفة ، وسماهم عظماء بهكا بهند[١] ومسكنه دِهِستان[٢] من أرض جرجان ، وقارن الفلهوىّ ومسكنه ماه نهاوند[٣] ، وسورين الفلهوى ومسكنه سِجستان ، وإسفنديار الفلهوى ومسكنه الرّى .

* * *

وقال آخرون : كان ملك بشتاسب مائة وعشرين سنة .

(١) كذا فى ت ، وفى ط من غير نقط .

(٢) دهستان ، بكسر أوله وثانيه ؛ ذكرها ياقوت ، وقال : « إنها بلد مشهور فى طرف مازندان ، قرب خوارزم وجرجان » .

(٣) قال ياقوت : « الماه بالهاء خالصة : قصبة البلد ؛ ومنه قيل : ماه البصرة وماه الكوفة وماه فارس ؛ ويقال لنهاوند وهمذان وقم : ماه البصرة » . وانظر نهاوند فى معجم البلدان — ماه البصرة .

ذكر الخبر عن ملوك اليمن

فى أيام قابوس وبعده إلى عهد بهمن بن إسفنديار

قال أبو جعفر : قد مضى ذكرنا الخبر عمّن زعم أن قابوس كان فى عهد سليمان بن داود عليهما السلام ، ومضى ذكرُنا مَنْ كان فى عهد سليمان من ملوك اليمن والخبر عن بلقيس بنت إيليشرح .

فحدِّثت عن هشام بن محمد الكلبىّ أن المُلْك باليمن صار بعد بلقيس
١/٦٨٤ إلى ياسر بن عمرو بن يعفر الذى كان يقال له ياسر أنعم . قال : وإنما سمَّوْه[1] ياسر أنعم لإنعامه عليهم بما[2] قوّى من ملكهم ، وجمَع من أمرهم .

قال : فزعم أهلُ اليمن أنه سار غازيًا نحو المغرب حتّى بلغ واديًا يقال له وادى الرمل ، ولم يبلغه أحد قبله ، فلما انتهى إليه لم يجد وراءه مجازاً لكثرة الرمل ، فبينا هو مقيم عليه إذ انكشف الرمل ، فأمر رجلا من أهل بيته — يقال له عمرو — أن يعبُر هو وأصحابه ؛ فعبَروا فلم يرجعوا . فلما رأى ذلك أمر بصنم نحاس فصنع ، ثم نصب على صخرة على شفير الوادى ، وكُتِب فى صدره بالمسنَد : «هذا الصنم لياسر أنعم الحِميَرىّ ، وليس وراءه مذهب ، فلا يتكلّفنّ ذلك أحدٌ فيعطب» .

قال : ثم ملك من بعده تُبَّع ، وهو تُبان أسعد ، وهو أبو كرب بن ملكى كرب تُبَّع بن زيد بن عمرو بن تُبَّع ؛ وهو ذو الأذعار بن أبرهة تبّع ذى المنار ابن الرائش بن قيس بن صيفىّ بن سبأ . قال : وكان يقال له الرائد.

١/٦٨٥ قال : فكان تُبَّع هذا فى أيام بشتاسب وأردشير بهمن بن إسفنديار بن بشتاسب ، وأنه شخص متوجّهًا من اليمن فى الطريق الذى سلكه الرائش ، حتّى خرج على جبلى طيّ ، ثم سار يريد الأنبار ، فلما انتهى إلى الحيرة — وذلك ليلا — تحير ، فأقام مكانه وسُمِّى ذلك الموضع الحيرة ، ثم سار وخلّف به قومًا من الأزْد ولخم وجُذام وعاملة وقُضاعة ، فبنوْا وأقاموا به ، ثم انتقل إليهم بعد

---

(١) ح : «سمى» .
(٢) ت ، ن : «لما» .

ذلك ناس من طيّ وكلب والسَّكون وبلْحارث بن كعب وإياد . ثم توجّه إلى الأنبار ثم إلى الموصل ، ثم إلى أذرَبيجان ، فلقِيَ الترك بها فهزمهم ، فقتل المقاتلة ، وسبى الذريّة، ثم انكفأ راجعًا إلى اليمن . فأقام بها دهراً ، وهابته الملوك وعظّمته وأهدت إليه . فقدِم عليه رسول ملك الهند بالهدايا والتّحف، من الحرير والمسك والعود وسائر طُرَف بلاد الهند، فرأى ما لم يرَ مثله ، فقال : ويحك ! أكلّ ما أرى فى بلادكم ! فقال: أبيت اللعن ! أقلّ ما ترى فى بلادنا، وأكثره فى بلاد الصين ، ووصف له بلاد الصين وسعتها وخصْبها وكثْرة طُرَفها ، فآلى بيمين ليَغزُونّها . فسار بحمْيَر مساحِلا[1] ،حتى أتى الركائك وأصحاب القلانس السود ، ووجّه رجلا من أصحابه ، يقال له ثابت نحو الصين ؛ فى جمع عظيم فأصيب ، فسار تُبَّع حتى دخل الصين ، فقتل مقاتلها ، واكتسح ما وجد فيها . قال : ويزعمون أن مسيره كان إليها ومقامه بها[2] ورجعته منها ١/٦٨٦ فى سبع سنين ، وأنه خلّف بالتُّبَّت[3] اثنى عشر ألف فارس من حمْير ، فهم أهلُ التبّت ، وهم اليوم يزعمون أنهم عرَب ، وخلقهم وألوانهم خلق العرب وألوانها .

حدثنى عبد الله بن أحمد المروزىّ ، قال : حدّثنى أبى ، قال : حدّثنى سليمان ، قال : قرأت على عبد الله ، عن إسحاق بن يحيى ، عن موسى بن طلحة : أن تُبّعًا خرج فى العرب يسير ، حتى تحيَّروا بظاهر الكوفة، وكان منزلا من منازله ، فبقِيَ فيها من ضعفة الناس، فسمّيت الحيرة لتحيّرهم ، وخرج تُبّع سائراً، فرجع إليهم وقد بنوْا وأقاموا، وأقبل تُبّع إلى اليمن وأقاموا هم ، ففيهم من قبائل العرب كلّها من بنى لِحيان ، وهذيل وتميم ، وجُعفىّ وطيّ ، وكلب .

(١) مساحلا ، أى سائراً تجاه الساحل . وفى الأصول : « مساجلا » .

(٢) ن : « فيها » .

(٣) التبت ، بالضم : قال ياقوت : « بلد بأرض الترك فى الإقليم الرابع المتاخم لبلاد الهند » .

ذكر خبر أردشير بهمن وابنته خمانى

ثم ملك بعد بشتاسب ابن ابنه أردشير بهمن ؛ فذكر أنه قال يوم ملك وعقد التاج على رأسه : نحن محافظون على الوفاء ، ودائنون رعيّتنا بالخير ؛ فكان يدعى أردشير الطويل الباع ؛ وإنما لقّب بذلك ــ فيما قيل ــ لتناوله كلّ ما مدّ إليه يده من الممالك التى حوله ، حتى ملك الأقاليم كلّها . وقيل إنه ابتنى بالسواد مدينة ، وسماها آباد أردشير هى القرية المعروفة بهُمَينْا من الزاب الأعلى ، وابتنى بكور دجلة مدينة وسماها بهمن أردشير[1] ، وهى الأبُلّة ، وسار إلى سجِسْتان طالبًا بثأر أبيه ، فقتل رستم وأباه دِستان وأخاه إزواره[2] وابنه فرمرز[3] ، واجتبى الناس لأرزاق الجند ونفقات الهرابذة وبيوت النيران وغير ذلك أموالاً عظيمة ؛ وهو أبو دارا الأكبر ، وأبو ساسان أبى ملوك الفرس الأخَر أردشير بن بابك وولده ، وأمّ دارا خمانى بنت بهمن .

فحدثت عن هشام بن محمد قال : ملك بعد بشتاسب أردشير بهمن بن إسفنديار بن بشتاسب ؛ وكان ــ فيما ذكروا ــ متواضعًا مرضيًّا فيهم ، وكانت كتبه تخرج من أردشير : « عبد الله وخادم الله ، السائس[4] لأمركم » . قال : ويقال إنه غزا الرومية الداخلة فى ألف ألف مقاتل .

وقال غير هشام : هلك بهمن ودارا فى بطن أمّه ، فملّكوا خمانى شكراً لأبيها بهمن ، ولم تزل ملوك الأرض تحمل إلى بهمن الإتاوة والصلح ، وكان من أعظم ملوك الفرس ــ فيما قالوا ــ شأنًا ، وأفضلهم تدبيراً ، وله كتب ورسائل تفوق كتب أردشير وعهده ، وكانت أم بهمن أستوريا[5] ، وهى

١/٦٨٧ ، ١/٦٨٨

(١) ذكرها ياقوت ؛ وقال : « كورة واسعة بين واسط والبصرة » ، ونقل عن الأصبهانى : « بهمنشير » تعريب « بهمن أردشير » . وكانت مدينة مبنية على عبر دجلة العوراء فى شرقيها تجاه الأبلة .

(٢) ح : « إروان » . (٣) ت : « فرمرد » ، ح : « فرمداد » ، س : « فرمزد » .

(٤) ح : « والسائس » . (٥) س : « أستواريا » .

أستار بنت يائير[١] بن شمعى بن قيس بن ميشا[٢] بن طالوت الملك بن قيس ابن أبل بن صارور[٣] بن بحرث بن أفيح بن إيشى بن بنيامين بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم خليل الرحمن عليه السلام . وكانت أمّ ولده راحب بنت فنحس من ولد رُحُبْعُم بن سليمان بن داود عليه السلام . وكان بهمن ملّك أخاها زربابل بن شلتايل[٤] على بنى إسرائيل، وصيّر له رياسة الجالوت، وردّه إلى الشام بمسألة راحب أختِه إياه ذلك، فتوفّى بهمن يوم توفّى وله من الولد : ابناه دارا الأكبر وساسان ، وبناته: خمانى التى ملكت بعده، وفرنك[٥] وبهمن دخت[٦] ، وتفسير « بهمن » بالعربية « الحسن النية »، وكان ملكه مائة واثنتى عشرة سنة .

فأما ابن الكلبى هشام فإنه قال : كان ملكه ثمانين سنة .

* * *

ثم ملكت خمانى بنت بهمن، وكانوا ملّكوها حبًّا لأبيها بهمن، وشكراً لإحسانه ولكمال عقلها وبهائها وفروسيتها ونجدتها — فيما ذكره بعض أهل الأخبار — ١/٦٨٩ فكانت تلقّب بشهرازاد[٧] . وقال بعضهم : إنما ملكت خمانى بعد أبيها بهمن أنها حين حملت منه دارا الأكبر سألته أن يعقِد التاج له فى بطنها ويؤثره بالملك ، ففعل ذلك بهمن بدارا ، وعقد عليه التاج حَمْلاً فى بطنها . وساسان ابن بهمن فى ذلك الوقت رجل يتصنّع للملك لا يشكّ فيه. فلما رأى ساسان ما فعل أبوه من ذلك لِحق بإصطخر . فتزهّد وخرج من الحلية الأولى وتعبّد فلحق برءوس الجبال يتعبّد فيها، واتّخذ غُنَيْمة، فكان يتولّى ماشيتَه بنفسه ، واستشنعت[٨] العامّة ذلك من فعله ، وفظِعَتْ به ، وقالوا : صار ساسان راعياً . فكان ذلك سبب نسبة الناس إياه إلى الرّعى . وأم ساسان ابنة شالتيال ابن يوحنّا بن أوشيا بن أمون بن منشى بن حازقيا بن أحاذ بن يوثام بن عوزيا ابن يورام بن يوشافط بن أبيا بن رُحُبْعُم بن سليمان بن داود .

وقيل : إن بهمن هلك وابنُه دارا فى بطن خمانى ، وأنها ولدته بعد أشهر من

(١) ح ، ت : « ياس » . (٢) كذا فى ت . (٣) ت . س : « صاروده » .
(٤) ت : « سلبايل » (٥) كذا فى س ، وفى ت : « قربك » .
(٦) ح : « بهمن رحت » ؛ س : « بهمن زحت » .
(٧) س : « شهرزاد » . (٨) ح : « استصبعت» .

مُلكها وأنِفت من إظهار ذلك، فجعلته فى تابوت، وصيَّرت معه جوهراً نفيساً، وأجرته فى نهر الكُرّ من إصطخر . وقال بعضهم: بل نهر بلْخ، وإن التابوت ٦٩٠/١ صار إلى رجل طحّان من أهل إصطخر، كان له ولد صغير فهلك، فلما وجده الرجل أتى به امرأتَه، فسرت به لجماله ونفاسة ما وجد معه، فحضنوه، ثم أظهر أمره حين شبّ، وأقرّت خمانى بإساءتها إليه وتعريضها إياه للتلف؛ فلما تكامل امتحن فوُجِد على غاية ما يكون عليه أبناء الملوك، فحوّلت التاج عن رأسها إليه، وتقلّد أمر المملكة، وتنقلّت[1] خمانى وصارت إلى فارس[2] وبنَتْ مدينة إصطخر، وأغزت الروم جيشاً بعد جيش، وكانت قد أوتيت ظفراً، فقمَعت الأعداء، وشغلتهم عن تطرّف شىء من بلادها، ونال رعيتَها فى ملكها رفاهة وخفضًا. وكانت خمانى حين أغزت أرضَ الروم سُبِى لها منها بشرٌ كثير، وحُمِلوا إلى بلادها، فأمرت مَنْ فيهم من بنّائى الروم، فبنوا لها فى كلّ موضع من حيّز مدينة إصطخر بنيانًا على بناء الروم منيفًا معجبًا، أحد ذلك البنيان فى مدينة إصطخر، والثانى على المدرّجة التى تسلك فيها إلى دارابجرد، على فرسخ من هذه المدينة، والثالث على أربعة فراسخ منها فى المدرجة التى تسلك فيها إلى خراسان. وإنها أجهدت نفسها فى طلب مرضاة الله عزّ وجلّ؛ فأوتيت الظفر والنصر، وخففت عن رعيتها فى الخراج .

وكان مُلْكها ثلاثين سنة .

* * *

ثم نرجع الآن إلى :

(١) ح : «وانتقلت» .

(٢) ت، س : «أرض فارس» .

ذكر خبر بنى إسرائيل

ومقابلة تأريخ مدة أيامهم إلى حين تصرمها بتأريخ مدة من كان فى أيامهم من ملوك الفرس

قد ذكرنا فيما مضى قبلُ سببَ انصرافِ من انصرف إلى بيت المقدس من سبايا بنى إسرائيل الذين كان بختنصّر سباهم وحمّلهم معه إلى أرض بابل، وأنّ ذلك كان فى أيام كيرش بن أخشويرش وملكه ببابل من قِبَل بهمن بن إسفنديار فى حياته وأربع سنين بعد وفاته فى ملك ابنته خمانى، وأن خمانى عاشت بعد[1] هلاك كيرش بن أخشويرش ستًّا وعشرين سنة فى ملكها، تمام ثلاثين سنة. وكانت مدة خراب بيت المقدس من لدن خرّبه بختنصّر إلى أن عمِر — فيما ذكره أهل الكتب القديمة والعلماء بالإخبار — سبعين سنة، كلّ ذلك فى أيام بهمن بن إسفنديار بن بشتاسب بن لهراسب بعضه، وبعضه فى أيام خمانى، على ما قد بين فى هذا الكتاب.

وقد زعم بعضُهم أن كيرش هو بشتاسب، وأنكر ذلك من قيله بعضُهم، وقال: كى أرش إنما هو عمّ لجد بشتاسب، وقال: هو كى إرش أخو كيقاوس ابن كيبيه بن كيقباذ الأكبر، وبشتاسب الملك هو ابن كيلهراسب بن كيوجى ابن كيمنوش بن كيقاوس بن كيبيه بن كيقباذ الأكبر. قال: ولم يملك كى أرش قطّ، وإنما كان مملّكًا على خوزستان وما يتصل بها من أرض بابل من قِبَل كيقاوس، ومن قِبل كيخسرو بن سياوخش بن كيقاوس، ومن قِبَل لهراسف من بعده. وكان طويلَ العُمر، عظيم الشأن، ولما عُمر بيت المقدس ورجع إليه أهله من بنى إسرائيل كان فيهم عُزَير — وقد وصفت ما كان من أمره وأمر بنى إسرائيل — وكان الملك عليهم بعد ذلك من قبل الفرس؛ إمّا رجل منهم وإما رجل من بنى إسرائيل، إلى أن صار الملك بناحيتهم لليونانية والروم بسبب غلَبة الإسكندر على تلك الناحية حين قتَل دارا بن دارا. وكانت جملة مدة ذلك — فيما قيل — ثمانياً وثمانين سنة.

٦٩٢/١

* * *

ونذكر الآن:

---

(١) ح: «ثم إن خمانى ملكت».

خبر دارا الأكبر وابنه دارا الأصغر
ابن دارا الأكبر وكيف كان هلاكه مع خبر ذى القرنين

وملَك دارا بن بهمن بن إسفنديار بن بشتاسب ، وكان ينبَّه بجهرازاد – يعنى به كريم الطبع – فذكروا أنه نزل بابل ، وكان ضابطًا لمُلْكه ، قاهراً لمن حوله من الملوك ، يؤدُّون إليه الخراج ، وأنه ابتنى بفارس مدينة سماها دارا بجرد ، وحذَف[1] دوابَّ البُرُد ورتّبها ، وكان معجبًا بابنه دارا ، وأنه من حبّه إياه سمَّاه باسم نفسه ، وصيّر له الملك من بعده ، وأنه كان له وزير يسمى رستين[2] محموداً فى عقله ، وأنه شَجَر بينه وبين غلام تربَّى مع دارا الأصغر ، يقال له برى[3] شرّ وعداوة ، فسعى رستين عليه عند الملك ، فقيل : إن الملك سقى برى شربة مات منها ، واضطغن دارا على رستين الوزير وجماعة من القوّاد ، كانوا عاونوه على برى ما كان منهم ، وكان مُلْك دارا اثنتى عشرة سنة .

١/٦٩٣

ثم ملك من بعده ابنه دارا بن دارا بن بهمن ؛ وكانت أمه ماهيا هند بنت هزارمرد بن بهرادمه ، فلما عقد التاج على رأسه قال : لن ندفع أحداً فى مَهْوى الهلَكة ، ومن تَرَدَّى فيها لم نكففه عنها . وقيل إنه بَنَى بأرض الجزيرة مدينة دارا ، واستكتب أخا برى واستوزره لأنسه[4] كان به وبأخيه ، فأفسد قلبه على أصحابه ، وحمله على قَتْل بعضهم ، فاستوحشت لذلك منه الخاصة والعامة ، ونفروا عنه ، وكان شابًّا غرًّا حميًّا حقوداً جبّاراً .

وحُدِّثت عن هشام بن محمد قال : ملك من بعد دارا بن أردشير دارا ابن دارا أربع عشرة سنة ، فأساء السيرةَ فى رعيته ، وقتل رؤساءهم ، وغزاه الإسكندر على تثِفَّة[5] ذلك ، وقد ملَّه أهل مملكته وسئموه ، وأحبّوا الراحة منه ، فلحق كثير من وجوههم وأعلامهم بالإسكندر ، فأطلعوه على عورة دارا ، وقوّوه عليه ،

١/٦٩٤

(١) الحذف هنا : قطع ذنب الدابة . (٢) كذا فى ن .
(٣) كذا فى ن (٤) ح ، ن : « لأنسة كانت به » .
(٥) على تثفة ذلك ، أى على حين ذلك .

فالتقيا ببلاد الجزيرة ، فاقتتلا سنة . ثم إن رجالا من أصحاب دارا وثبُوا به فقتلوه ، وتقرّبوا برأسه إلى الإسكندر ، فأمرَ بقتلهم ، وقال : هذا جزاء من اجترأ على ملِكه . وتزوّج ابنته روشنك بنت دارا ، وغزا الهند ومشارق الأرض ، ثم انصرف وهو يريد الإسكندرية ، فهلك بناحية السَّواد ، فحمِل إلى الإسكندرية فى تابوت من ذهب ، وكان ملكه أربع عشرة سنة ، واجتمع ملك الروم ، وكان قبل الإسكندر متفرقًا ، وتفرّق ملك فارس وكان قبل الإسكندر مجتمعًا .

قال : وذكر غير هشام أنّ دارا بن دارا لما ملَك أمَر فبنيت له بأرض الجزيرة مدينة واسعة وسماها دارنوا ، وهى التى تسمّى اليوم دارا ، وأنه عمرها وشحنها من كلّ ما يحتاج إليه فيها ، وأن فيلفوس أبا الإسكندر اليونانىّ من أهل بلدة من بلاد اليونانيين تدعى مقدونيّة ، كان ملكًا عليها وعلى بلاد أخرى احتازها إليها ، كان صالحَ دارا على خراج يحمله إليه فى كلّ سنة ، وأن فيلفوس هلك ، فملك بعده ابنه الإسكندر ، فلم يحمل إلى دارا ما كان يحمله إليه أبوه من الخراج ، فأسخط ذلك عليه دارا ، وكتب إليه يؤنّبه بسوء[1] صنيعه فى تركه حمْل ما كان أبوه يحمل إليه من الخراج[2] وغيره ، وأنه إنما دعاه إلى حبس ما كان أبوه يحمل إليه من الخراج الصِّبا والجهل ، وبعث إليه بصوْلجان وكرة وقَفيز من سمسم ، وأعلمه فيما كتب إليه أنه صبىّ ، وأنه إنما ينبغى[3] له أن يلعب بالصوْلجان والكرة اللذيْن بعث بهما إليه ، ولا يتقلّد الملك ، ولا يتلبّس به ، وأنه إن لم يقتصر على ما أمره به من ذلك ، وتعاطى المُلْك واستعصى عليه ، بعث إليه مَنْ يأتيه به فى وثَاق ، وأن عدّة جنوده كعدة حَبّ السمسم الذى بعث به إليه . ١/٦٩٥

فكتب إليه الإسكندر فى جواب كتابه ذلك ، أن قد فهم[4] ما كتب ، وأن قد نظر إلى ما ذكر فى كتابه إليه من إرساله الصوْلجان والكرة ، وتيمّن به لإلقاء

---

(١) ن ، س : « لسوء » .

(٢) ح : « وأن دارا كتب إليه يخوفه ويتوعده ويعرفه فى جملة ما كتب إليه أنه إنما دعاه إلى تأخير ما كان أبوه يحمل إليه من الخراج الصبا . . . »

(٣) س : « وينبغى له أن . . . » . (٤) س : « فهمت ما كتبت » .

الملقى الكرة إلى الصولجان ، واحترازه[١] إياها؛ وشبّه الأرضَ بالكرة ، وأنه محتاز مُلْكَ دارا إلى ملكه ، وبلادَه إلى حيّزه من الأرض ، وأنّ نظرَه إلى السمسم الذى بعث به إليه كنظره إلى الصوْلجان والكرة لدَسَمه وبعده من المرارة والحرافة . وبعث إلى دارا مع كتابه بِصُرّةٍ من خردل، وأعلمه فى ذلك الجواب أنّ ما بعث به إليه قليل ؛ غير أنّ ذلك مثل الذى بعث به فى الحرافة والمرارة والقوة ، وأن جنودَه فى كلّ[٢] ما وصف به منه .

١/٦٩٦

فلما وصل إلى دارا جواب كتاب الإسكندر ،جمعَ إليه جنده،وتأهّب لمحاربة الإسكندر ، وتأهّب الإسكندر وسار نحو بلاد دارا .

وبلغ ذلك دارا ، فزحف إليه فالتقى الفئتان ، واقتتلا أشدّ القتال ، وصارت الدّبْرة[٣] على جند دارا، فلما رأى ذلك رجلان من حرس دارا،يقال إنهما كانا من أهل هَمَذان ، طعنا دارا من خلْفه فأردياه من مركبه ، وأرادا بطعنهما إياه الحُظْوة عند الإسكندر ، والوسيلة إليه ، ونادى الإسكندر أن يُؤْسَر دارا أسراً ولا يقتل ، فأخبِر بشأن دارا ، فسار الإسكندر حتّى وقف عنده،فرآه يجود بنفسه ، فنزل الإسكندر عن دابّته حتّى جلس عند رأسه ، وأخبره أنه لم يهمّ قطُّ بقتله ، وأن الذى أصابه لم يكن عن رأيه،وقال له : سَلْنى ما بدا لك فأسعفك فيه ، فقال له دارا : لى إليك حاجتان : إحداهما أن تنتقم لى من الرجلين اللذين فَتَكا بى — وسماهما وبلادهما — والأخرى أن تتزوّج ابنتى روشنك . فأجابه إلى الحاجتين ، وأمر بصلْب الرجلين اللذْين انتهكا من دارا ١٠ انتهكا ، وتزوّج روشنك وتوسّط بلاد دارا ، وكان ملكه له .

* * *

وزعم بعض أهل العلم بأخبار الأولين أنّ الإسكندر هذا الذى حارب دارا الأصغر ؛ هو أخو دارا الأصغر الذى حاربه ، وأن أباه دارا الأكبر كان تزوّج أمّ الإسكندر ، وأنها ابنة ملك الروم[٤] واسمها هلاى[٥] ، وأنها حُمِلت

١/٦٩٧

---

(١) ط : « واجترازه » وما أثبته من ن ، وابن الأثير . (٢) ن : « فيها » .
(٣) الدبرة : الهزيمة .
(٤) ت ، ح ، « الزنج » .
(٥) ح : « هلايا » .

إلى زوجها دارا الأكبر، فلما وَجَد نتن ريحها وعَرَقها وَسَهكها[1]، أمر أن يحتال لذلك منها ، فاجتمع رأىُ أهل المعرفة فى مداواتها على شجرة يقال لها بالفارسية « سندر » ، فطبخت لها فغسلت بها وبمائها ، فأذهب ذلك كثيراً من ذلك النتن ، ولم يُذهب كلّه ، وانتهت نفسه عنها لبقيّة ما بها ، وعافها وردّها إلى أهلها ، وقد علقت منه فولدت غلاماً فى أهلها ، فسمّته باسمها واسم الشجرة التى غُسلت بها ، حتى أذهبت عنها نتنها : « هلاى سندروس » ، فهذا أصل الإسكندروس .

* * *

قال : وهلك دارا الأكبر ، وصار الملك إلى ابنه دارا الأصغر ، وكانت ملوك الروم تؤدّى الخراجَ إلى دارا الأكبر فى كلّ سنة ، فهلك أبو هلاى ملك الروم جدّ الإسكندر لأمّه ، فلما صار المُلك لابن ابنته بعث دارا الأصغر إليه للعادة : إنّك أبطأت علينا بالخراج الذى كنت تؤدّيه ويؤدّيه مَنْ كان قَبْلَك ، فابعث إلينا بخراج بلادك وإلا نابذناك المحاربة . فرجع إليه جوابُه : أنى قد ذبحت الدجاجة ، وأكلت لحمَها ، ولم يبق لها بقيّة ، وقد بقيَت الأطراف ، فإن أحببت وادعناك ، وإن أحببت ناجزناك . فعند ذلك نافره دارا وناجزه القتال ، وجعل الإسكندر لحاجبىْ دارا حكمَها على الفتك به ، فاحتكما شيئاً ، ولم يشترطا أنفسهما ، فلما التقوْا للحرب ، طعن حاجبا دارا دارا فى الوقعة ، فلحقه الإسكندر صريعاً ، فنزل إليه وهو بآخر رَمَق ، فمسح التراب عن وجهه ووضع رأسه فى حِجْره ، ثم قال له : إنما قتلك حاجباك ، ولقد كنتُ أرغب بك يا شريفَ الأشراف وحرّ [2] الأحرار وملكَ الملوك ؛ عن هذا المصرع ؛ فأوصِنى بما أحببت . فأوصاه دارا أن يتزوّج ابنته روشنك ، ويتّخذها لنفسه ويستبقِىَ أحرارَ فارس ، ولا يولّىَ عليهم غيرهم . فقبل وصيّته وعمل بأمره ، وجاء اللذان قتلا دارا إلى الإسكندر فدفع إليهما حكمهما ، ووفّى لهما ثم قال لهما : قد وَفّيت لكما كما اشترطتما ولم تكونا اشترطتما أنفسكما ، فأنا قاتلكما ، فإنه ليس ينبغى لقتلة الملوك أن يُستبقَوْا إلا بذمّة لا تخفَر . فقتلهما .

١/٦٩٨

---

(١) السهك : رائحة العرق .

(٢) ح : « ياحر » .

وذكر بعضهم أن ملكَ الروم فى أيام دارا الأكبر كان يؤدّى إلى دارا الإتاوة فهلك، وملك الروم الإسكندر، وكان رجلاً ذا حزم وقوّة ومكر ؛ فيقال إنه غزا بعضَ ملوك المغرب فظفر به ، وآنس لذلك من نفسه القوة[١] فنشز على دارا الأصغر ، وامتنع من حَمْل ما كان أبوه يحمله من الخراج ، فحمِىَ دارا لذلك ، وكتب إليه كُتُبًا عنيفة[٢] ، ففسد ما بينهما وسار كلٌّ واحد منهما إلى صاحبه وقد احتشدا والتقيا فى الحدّ . واختلفت بينهما الكتبُ والرسائل ، ووجِل الإسكندر من محاربة دارا ؛ ودعاه إلى الموادعة ، فاستشار دارا أصحابَه فى أمره ، فزيّنوا له الحرب لفساد قلوبهم عليه . وقد اختلفوا فى الحدّ وموضع التقائهما ؛ فذكر بعضُهم أن التقاءهما كان بناحية خُراسان ٦٩٩/١ مما يلى الخَزَر ، فاقتتلوا قتالاً شديداً حتى خَلَص إليهما السلاح ، وكان تحت الإسكندر يومئذ فرسٌ له عجيب يقال له بوكفراسب[٣] ، ويقال إن رجلاً من أهل فارس حمل ذلك اليوم حتى تخرّق الصفوف ، وضرب الإسكندر ضربة بالسيف خيف عليه منها ، وإنه تعجّب من فعله وقال: هذا من فرسان فارس الذين كانت تُوصف شدّتهم ، وتحركت على دارا ضغائن أصحابه ، وكان فى حرسه رجلان من أهل همَذان، فراسلا الإسكندر والتمسا الحيلة لدارا حتى طعناه ، فكانت منيّته من طعْنهما[٤] إياه ، ثم هربا .

فقيل إنه لما وقعت الصيحة، وانتهى الخبر إلى الإسكندر ركب فى أصحابه، فلما انتهى إلى دارا وجَده يجود بنفسه ، فكلّمه ووضع رأسه فى حجره ، وبكى عليه ، وقال له : أتِيت من مأمنك، وغَدَر بك ثقاتُك ، وصرت بين أعدائك وحيداً ، فسلْنى حوائجَك فإنىّ على المحافظة على القرابة بيننا — يعنى القرابة بين سلم وهيرج ابنى أفريذون — فيما زعم هذا القائل — وأظهر الجزع لما أصابه ، وحمد ربه حين لم يبتله بأمره ، فسأله دارا أن يتزوّج ابنته روشنك ، ويرعَى لها حقَّها ، ويعظِّم قدرَها ، وأن يطلب بثأره ، فأجابه الإسكندر إلى ذلك .

---

(١) ح : « بالقوة » . (٢) ح : « كتابا عنيفاً » .
(٣) س : « أبو كفراس » .
(٤) ح : « طعنتيهما » .

ثم أتاه الرجلان اللذان وثبا على دارا يطلبان الجزاء، فأمر بضرب رقابهما وصلبهما ، وأن ينادَى عليهما : هذا جزاءُ من اجترأ على ملِكه، وغشّ أهل بلده . ٧٠٠/١

ويقال: إن الإسكندر حمل كتبًا وعلومًا كانت لأهل فارس من علوم ونجوم وحِكْمة، بعد أن نقل ذلك إلى السريانية ثم إلى الرومية .

وزعم بعضُهم أن دارا قُتِل وله من الولد الذكور : أشك بن دارا وبنو دارا[١] وأردشير . وله من البنات روشنك ، وكان مُلْكُ دارا أربع عشرة سنة .

وذكر بعضُهم أن الإتاوة التى كان أبو الإسكندر يؤدّيها إلى ملوك الفرس كانت بَيْضًا من ذهب ؛ فلما ملك الإسكندر بعث إليه دارا يطلب ذلك الخراج ، فبعث إليه : إنّى قد ذبحت تلك الدجاجة التى كانت تبيض ذلك البيض ، وأكلتُ لحمها فآذَنْ بالحرب. ثم ملك الإسكندر بعد دارا بن دارا . وقد ذكرت قول من يقول : هو أخو دارا بن دارا من أبيه دارا الأكبر .

* * *

وأما الروم وكثير من أهل الأنساب فإنهم يقولون : هو الإسكندر بن فيلفوس، وبعضهم يقول : هو ابن بيلبوس بن مطريوس ، ويقال : ابن مصريم ابن هرمس بن هردس بن ميطون[٢] بن رومى بن ليطى[٢] بن يونان بن يافث بن ثوبة بن سرحون بن رومية بن زنط[٣] بن توقيل[٣] بن رومى[٣] بن الأصفر بن اليفز ابن العيص بن إسحاق بن إبراهيم خليل الرحمن عليه السلام. فجمع بعد مهلك دارا مُلْكَ دارا إلى ملكه ، فملكَ العراق والروم والشأم ومصر ، وعرض جندَه بعد هلاك دارا فوجدهم -فيما قيل- ألف ألف وأربعمائة رجل؛ منهم من جنده ثمانمائة ألف ، ومن جند دارا ستمائة ألف . ٧٠١/١

وذُكر أنه قال يوم جلس على سريره : قد أدالنا الله من دارا ، ورزقَنا خلاف ما كان يتوعّدنا به ، وأنه هدم ما كان فى بلاد الفرس من المدن والحصون وبيوت النيران ، وقتَل الهرابذة ، وأحرق كتبَهم ودواوين دارا ، واستعمل على مملكة دارا رجالا من أصحابه ، وسار قُدمًا إلى أرض الهند ، فقتل ملِكَها وفتح مدينتها ، ثم سار منها إلى الصين ، فصنع بها كصنيعه بأرض الهند ، ودانت

---

(١) كذا فى ج .

(٢) كذا فى ت وابن الأثير : ١ : ١٦٠ . (٣) كذا فى ابن الأثير .

له عامة الأرضين ، وملك التُّبَّت والصين ، ودخل الظلمات مما يلى القطب الشمالىّ والشمس جنوبيّة فى أربعمائة رجل يطلب عين الخُلْد ، فسار فيها ثمانية عشر يومًا ، ثم خرج ورجع إلى العراق ، وملك ملوك الطوائف ، ومات فى طريقه بشَهْرَزُور .

وكان عمره ستًّا وثلاثين سنة فى قول بعضهم ،وحُمِل إلى أمه بالإسكندرية .

* * *

٧٠٢/١ وأما الفرس فإنها تزعم أن مُلْك الإسكندر كان أربع عشرة سنة ، والنصارى تزعم أن ذلك كان ثلاث عشرة سنة وأشهراً ، ويزعمون أن قتْل دارا كان فى أول السنة الثالثة من مُلْكه .

وقيل إنه أمر ببناء مدن فبنيت اثنتا عشرة مدينة ، وسماها كلها إسكندرية ، منها مدينة بأصبهان يقال جىّ ، بنيت على مثال الحيَّة ، وثلاث مدائن بخراسان ، منهنّ مدينة هَراة ومدينة مَرْو ومدينة سمرْقَنْد ، وبأرض بابل مدينة اروشنك بنت دارا ، وبأرض اليونانية فى بلاد هيلاقوس مدينة للفرس ، ومدنًا أخَرَ غيرها .

* * *

ولما مات الإسكندر عرض الملك من بعده على ابنه الإسكندروس ، فأبى واختار النُّسْك والعبادة ، فملَّكت اليونانية عليهم –فيما قيل– بطلميوس بن لوغوس ، وكان ملكه ثمانيًا وثلاثين سنة ، فكانت المملكة أيام اليونانيّة بعد الإسكندر وحياةَ الإسكندر إلى أن تحوّل الملك إلى الروم المُصَاص لليونانية ، ولبنى إسرائيل ببيت المقدس ونواحيها الديانة والرياسة على غير وجه الملك إلى أن خرَّبت بلادَهم الفرس والروم ، وطردوهم عنها بعد قتل يحيى بن زكرياء عليه السلام .

٧٠٣/١ ثم كان الملك ببلاد الشأم ومصر ونواحى المغرب بعد بطلميوس بن لوغوس لبطلميوس دينايوس[١] أربعين سنة .

ثم من بعده لبطليموس أورغاطس أربعا وعشرين سنة .

ثم من بعده لبطلميوس فيلافطر إحدى وعشرين سنة .

ثم من بعده لبطلميوس أفيفانس اثنتين وعشرين سنة .

ثم من بعده لبطلميوس أورغاطس تسعًا وعشرين سنة .

ثم من بعده لبطلميوس ساطر[٢] سبع عشرة سنة .

---

(١) كذا فى ح ، وفى ت : « ميانوس » . (٢) ت «بباطر» .

ثم من بعده لبطلميوس الأحسندر[1] إحدى عشرة سنة .

ثم من بعده لبطلميوس الذى اختفى عن ملكه ثمانى سنين .

ثم من بعده لبطلميوس دونسيوس ست عشرة سنة .

ثم من بعده لبطلميوس قالوبطرى[2] سبع عشرة سنة .

فكلّ هؤلاء كانوا يونانيين ؛ فكلّ ملك منهم بعد الإسكندر كان يدعى بطلميوس ، كما كانت ملوك الفرس يدعون أكاسرة ، وهم الذين يقال لهم المفقانيون[3] .

ثم ملك الشأم بعد قالوبطرى — فيما ذكر الروم — المُصاص ، فكان أول من ملك منهم جايوس يوليوس خمس سنين

ثم ملك الشام بعده أغوسطوس ستًّا وخمسين سنة . فلما مضى من ملكه اثنتان وأربعون سنة ولد عيسى بن مريم عليه السلام ، وبين مولده وقيام الإسكندر ثلثمائة سنة وثلاث سنين . ١/٧٠٤

---

(١) ح : « الأحسدر » ، س : « الأحنشدر » ، ابن الأثير : « الأخشدر » .

(٢) ابن الأثير : « كيلوبطره » .

(٣) كذا فى ت ، س ، وفى ن : « القفانيون » .

ذكر أخبار ملوك الفرس بعد الإسكندر
وهم ملوك الطوائف

ونرجع الآن إلى ذكر خبر الفرس بعد مهلك الإسكندر لسياق التأريخ على ملكهم .

فاختلف أهلُ العلم بأخبار الماضين فى الملك الذى كان بسواد العراق بعد الإسكندر ، وفى عدد ملوك الطوائف الذين كانوا ملَكوا إقليم بابل بعده إلى أن قام بالملك أردشير بابكان .

فأما هشام بن محمد فإنه قال — فيما حُدّثت عنه : ملك بعد الإسكندر بلاقس[1] سلقيس ، ثم أنطيحس . قال : وهو الذى بنى مدينة أنطاكيَة . قال : وكان فى أيدى هؤلاء الملوك سواد الكوفة ، قال : وكانوا يتطرّقون الجبال وناحية الأهواز وفارس ؛ حتى خرج رجل يقال له أشك ، وهو ابن دارا الأكبر ، وكان مولده ومنشؤه بالرّى ، فجمع جمعًا كثيراً وسار يريد أنطيحس ، فزحف إليه أنطيحس ، فالتقيا ببلاد الموصل فقتل أنطيحس ، وغلَب أشك على السواد ، فصار فى يده من الموصل إلى الرّىّ وأصبهان ، وعظّمه سائرُ ملوك الطوائف لنسبه ، وشرّفه فيهم ما كان من فعله ، وعرفوا له فضله ، وبدءوا به فى كتبهم ، وكتب إليهم فبدأ بنفسه ، وسمّوه ملكا ، وأهدوْا إليه من غير أن يعزل أحداً منهم أو يستعمله . ١/٧٠٥

ثم ملك بعده جوذرز بن أشكان . قال : وهو الذى غزا بنى إسرائيل المرّة الثانية ، وكان سبب تسليط الله إياه عليهم — فيما ذكر أهل العلم — قتلْهم يحيى بن زكرياء ، فأكثر القتل فيهم ، فلم تعدْ لهم جماعة كجماعتهم الأولى ، ورَفع الله عنهم النبوّة وأنزل بهم الذلّ . قال : وقد كانت الروم غَزت بلاد فارس ، يقودها ملكُها الأعظم يلتمس أن يُدرك بثأرها فى فارس لقتل أشك ملك بابل أنطيحس َ، وملك بابل يومئذ بلاش أبو[2] أردوان ، الذى قتله أردشير

(١) كذا فى س ، وفى ت وابن الأثير : «بلاقس» . (٢) ح ، ن : «ابن» .

ابن بابك ، فكتب بلاش إلى ملوك الطوائف يُعلِمهم ما اجتمعت عليه الروم من غَزْو بلادهم ، وأنه قد بلغه من حشدهم وجمعهم ما لا كفاء له عنده ، وأنه إن ضعف عنهم ظفروا بهم جميعًا . فوجّه كلُّ ملك من ملوك الطوائف إلى بلاش من الرجال والسلاح والمال بقدر قوته ، حتّى اجتمع عنده أربعمائة ألف رجل ، فولّى عليهم صاحب الحَضْر — وكان ملكًا من ملوك الطوائف يلى ما بين انقطاع السواد إلى الجزيرة — فسار بهم حتّى لقى ملكَ الروم فقتله واستباح عسكره ، وذلك هيّج الروم على بناء القسطنطينية ونقل الملك من روميّة إليها . فكان الذى ولى إنشاءها الملكُ قسطنطين ، وهو أول ملوك الروم تنصّر ، وهو أجْلى مَن بقى من بنى إسرائيل عن فلسطين والأردن لقتلهم — بزعمه — عيسى بن مريم ، فأخذ الخشبة التى وجدهم يزعمون أنهم صلبوا المسيح عليها ، فعظّمها الروم ، فأدخلوها خزائنهم ، فهى عندهم إلى اليوم . ١/٧٠٦

قال : ولم يزل ملك فارس متفرّقًا حتّى ملك أردشير . فذكر هشام ما ذكرت عنه ، ولم يبيّن مدة ملك القوم .

* * *

وقال غيره من أهل العلم بأخبار فارس : ملَك بعد الإسكندر مُلْك دارا أناس من غير ملوك الفرس ، غير أنهم كانوا يخضعون[1] لكلّ من يملك بلاد الجبل ويمنحونه الطاعة .

قال : وهم الملوك الأشغانون[2] الذين يُدعَون ملوك الطوائف . قال : فكان ملكهم مائتى سنة وستًّا وستين سنة .

فملك من هذه السنين أشك بن أشجان عشر سنين .

ثم ملك بعده سابور بن أشغان ستين سنة ؛ وفى سنة إحدى وأربعين من ملكه ظهر عيسى بن مريم بأرض فلسطين . وإن ططوس بن أسفسيانوس ملك روميّة غزا بيتَ المقدس بعد ارتفاع عيسى بن مريم بنحو من أربعين سنة ، فقتل مَنْ فى مدينة بيت المقدس ، وسبى ذراريّهم ، وأمرهم فنُسفت مدينة بيت المقدس ، حتّى لم يترك بها حجراً على حجر . ١/٧٠٧

(١) ح : « يجتمعون » . (٢) ن : « الأشمانون » ، ت : « الأسمانون » .

ثم ملك جوذرز بن أشغانان الأكبر ، عشر سنين .
ثم ملك بيزن الأشغانىّ ، إحدى وعشرين سنة .
ثم ملك جوذرز الأشغانىّ ، تسع عشرة سنة .
ثم ملك نرسى الأشغانىّ ، أربعين سنة .
ثم ملك هرمز الأشغانىّ، سبع عشرة سنة .
ثم ملك أردوان الأشغانىّ ، اثنتى عشرة سنة .
ثم ملك كسرى الأشغانىّ ، أربعين سنة .
ثم ملك بلاش الأشغانىّ، أربعًا وعشرين سنة .
ثم ملك أردوان الأصغر الأشغانىّ، ثلاث عشرة سنة .
ثم ملك أردشير بن بابك .

* * *

وقال بعضهم : ملَك بلاد الفرس بعد الإسكندر ملوك الطوائف الذين فرّق الإسكندر المملكة بينهم، وتفرّد بكلّ ناحية مَنْ مَلَك عليها من حين ملّكه ، ما خلا السواد ، فإنها كانت أربعًا وخمسين سنة بعد هلاك الإسكندر فى يد الروم. وكان فى ملوك الطوائف رجلٌ من نسل الملوك مملّكا على الجبال وأصبهان، ثم غلب ولده بعد ذلك على السواد، فكانوا ملوكًا عليها وعلى الماهات[1] والجبال وأصبهان ، كالرئيس على سائر ملوك الطوائف ، لأن السنة جرت بتقديمه وتقديم ولده ؛ ولذلك قُصِد لذكرهم فى كتب سيَر الملوك ، فاقتُصر على تسميتهم دون غيرهم .

١/٧٠٨

قال : ويقال إن عيسى بن مريم عليه السلام وُلد بأورِيشَلِم بعد إحدى وخمسين سنة من ملوك الطوائف ؛ فكانت سنُو ملكهم من لدن الإسكندر إلى وثوب أردشير بن بابك وقتْله أردوان واستواء الأمر له ، مائتين وستًّا وستين سنة .

* * *

قال : فمن الملوك الذين ملكوا الجبال ثم تهيّأت لأولادهم بعد ذلك الغَلبة

(١) ت : « المهات » . س « المهان » .

على السواد أشك بن حره بن رسبيان[1] بن أرتشاخ بن هرمز بن ساهم بن رزان[2] بن إسفنديار بن بشتاسب . قال: والفرس تزعم أنه أشك بن دارا . وقال بعضهم: أشك بن أشكان الكبير ، وكان من ولد كيبيه بن كيقباذ، وكان ملكه عشر سنين . ١/٧٠٩

ثم ملك من بعده أشك بن أشك بن أشكان ، إحدى وعشرين سنة .

ثم ملك سابور بن أشك بن أشكان ، إحدى وعشرين سنة .

ثم ملك سابور بن أشك بن أشكان ، ثلاثين سنة .

ثم ملك جوذرز الأكبر بن سابور بن أشكان ، عشر سنين .

ثم ملك بيرن بن جوذرز ، إحدى وعشرين سنة .

ثم جوذرز الأصغر بن بيزن ، تسع عشرة سنة .

ثم نرسه بن جوذرز الأصغر ، أربعين سنة .

ثم هرمز بن بلاش بن أشكان ، سبع عشرة سنة .

ثم أردوان الأكبر وهو أردوان بن أشكان ، اثنتى عشرة سنة .

ثم كسرى بن أشكان ، أربعين سنة .

ثم بهافريد الأشكانىّ ، تسع سنين .

ثم بلاش الأشكانىّ ، أربعًا وعشرين سنة .

ثم أردوان الأصغر وهو أردوان بن بلاش بن فيروز بن هرمز بن بلاش بن سابور بن أشك بن أشكان الأكبر ، وكان جدّه كيبيه بن كيقباذ . ويقال : إنه كان أعظم الأشكانية مُلْكًا، وأظهرهم عزًّا، وأسناهم ذكراً ، وأشدّهم قهراً لملوك الطوائف ، وأنه كان قد غلَب على كورة إصطخر لاتّصالها بأصبهان ، ثم تخطّى إلى جُور وغيرها من فارس ، حتى غلب عليها ، ودانت له ملوكها لهيبة ملوك الطوائف كانت له ، وكان ملكه ثلاث عشرة سنة . ١/٧١٠

ثم ملك أردشير .

* * *

وقال بعضهم : ملك العراق وما بين الشأم ومصر بعد الإسكندر تسعون ملكًا على تسعين طائفة كلّهم يعظّم مَنْ يملك المدائن، وهم الأشكانيون . قال:

---

(١) كذا فى س . (٢) كذا فى ن ، وفى ت : « زران » وفى س : « زرام » .

فلك من الأشكانيين أفقور شاه بن بلاش بن سابور بن أشكان بن أرش الجبار بن سياوش بن كيقاوس الملك ، اثنتين وستين سنة .

ثم سابور بن أفقور — وعلى عهده كان المسيح ويحيى عليهما السلام — ثلاثا وخمسين سنة .

ثم جوذرز بن سابور بن أفقور الذى غزا بنى إسرائيل طالباً بثأر يحيى ابن زكرياء، ملك تسعاً وخمسين سنة .

ثم ابن أخيه أبزان بن بلاش بن سابور ، سبعاً وأربعين سنة .

ثم جوذرز بن أبزان بن بلاش ، إحدى وثلاثين سنة .

ثم أخوه نرسى بن أبزان ، أربعاً وثلاثين سنة .

ثم عمه الهرمزان بن بلاش ، ثمانياً وأربعين سنة .

ثم ابنه الفيروزان بن الهرمزان بن بلاش ، تسعاً وثلاثين سنة .

ثم ابنه كسرى بن الفيروزان ، سبعاً وأربعين سنة .

١/٥٨٤ ثم ابنه أردوان بن بلاش، وهو آخرهم ، قتله أردشير بن بابك، خمساً وخمسين سنة .

قال : وكان ملك الإسكندر وملك سائر ملوك الطوائف فى النواحى خمسمائة وثلاثاً وعشرين سنة .

ذكر الأحداث التي كانت في أيام ملوك الطوائف

فكان من[1] ذلك – فيما زعمته الفرس – لمضيّ خمس وستين سنة من غلبة الإسكندر على أرض بابل ، ولإحدى وخمسين سنة من ملك الأشكانيّين – ولادةُ مريم بنت عمران عيسى بن مريم عليه السلام .

فأما النصارى فإنها تزعم أنّ ولادتها إياه كانت لمضيّ ثلثمائة سنة وثلاث سنين من وقت غلبة الإسكندر على أرض بابل . وزعموا أن مولد يحيى بن زكرياء كان قبل مولد عيسى عليه السلام بستة أشهر . وذكروا أن مريم حملت بعيسى ولها ثلاث عشرة سنة ، وأن عيسى عاش إلى أن رُفع اثنتين وثلاثين سنة وأياما ، وأنّ مريم بقيت بعد رفعه ست سنين ، وكان جميع عمرها نيّفًا وخمسين سنة .

قال: وزعموا أن يحيى اجتمع[2] هو وعيسى بنهر الأردنّ وله ثلاثون سنة ، وأن يحيى قتِل قبل أن يرفع عيسى . وكان زكرياء بن برخيا[3] أبو يحيى بن زكرياء وعمران بن ماثان أبو مريم متزوّجيْن بأختين ؛ إحداهما عند زكرياء وهي أمّ يحيى ، والأخرى منهما عند عمران بن ماثان ، وهي أمّ مريم ، فمات عمران بن ماثان وأمّ مريم حامل بمريم ، فلما ولدت مريم كفَلَها زكرياء بعد موت أمّها ، لأنّ خالتها أخت أمّها كانت عنده . واسم أمّ مريم حنة بنت فاقود ابن قبيل ، واسم أختها أم يحيى الأشباع[4] ابنة فاقود . وكفلها زكرياء ، وكانت مسمّاة بيوسف بن يعقوب بن ماثان بن اليعازار بن اليوذ بن أحين بن صادوق بن عازور بن الياقيم بن أبيوذ بن زربابل بن شلتيل بن يوحنيا بن يوشيا بن أمون بن منشا بن حزقيا بن أحاز بن يوثام بن عوزيا بن يورام بن يهوشافاط بن أسا بن أبيا بن رحبعم بن سليمان بن داود ، ابن عمّ مريم .

١/٧١٢

وأما ابن حميد ، فإنه حدثنا عن سلَمة ، عن ابن إسحاق ، أنه قال :

---

(١) ح : «في» . (٢) ن : «صبغ» .
(٣) ن : «برخنا» . (٤) ن : «الأشياع» .

مريم — فيما بلغني عن نسبها — ابنة عمران بن ياشهم بن أمون بن منشا بن حزقيا ابن أحزيق بن يوثام بن عزريا بن أمصيا بن ياوش بن أحزيهو بن يارم بن يهشافاظ بن أسا بن أبيا بن رُحُبْعُم بن سليمان. فولِد لزكرياء يحيي ابن خالة عيسى بن مريم ، فنبِّئ صغيراً ، فساح ، ثم دخل الشأم يدعو الناس ، ثم اجتمع يحيي وعيسى ، ثم افترقا بعد أن عمّد يحيي عيسى.

١/٧١٣

وقيل : إن عيسى بعث يحيي بن زكرياء في اثني عشر من الحواريين يعلّمون الناس : قال : وكان فيما نهوْهم عنه نكاحُ بنات الأخ ، فحدثني أبو السائب ، قال : حدثنا أبو معاوية ، عن الأعمش ، عن المنهال ، عن سعيد بن جُبير ، عن ابن عباس ، قال : بَعث عيسى بن مريم يحيي بن زكرياء ، في اثني عشر من الحواريين يعلّمون الناس ، قال : فكان فيما نهوْهم عنه نكاحُ ابنة الأخ . قال: وكان لملكهم ابنة أخٍ تُعجبه ، يريد أن يتزوّجها، وكانت لها كلّ يوم حاجة يقضيها، فلما بلغ ذلك أمَّها قالت لها: إذا دخلتِ على الملك ، فسألك حاجتك فقولي: حاجتي أن تذبح لي يحيي بن زكرياء . فلما دخلت عليه سألها حاجتَها ، قالت: حاجتي أن تذبَح لي يحيي بن زكرياء، فقال: سليني غير هذا ، قالت : ما أسألُك إلاّ هذا ، قال : فلما أبتْ عليه دعا يحيي ، ودعا بطست فذبحه ، فندَرت قطرة من دمه على الأرض ، فلم تَزَلْ تغلِي حتى بعث الله بختنصّر عليهم ، فجاءته عجوز من بني إسرائيل ، فدلّته على ذلك الدم ، قال : فألقى الله في قلبه أن يقتُلَ على ذلك الدم منهم حتى يسكن ، فقتَل سبعين ألفاً منهم من سنّ واحدة ، فسكَن .

١/٧١٤

حدثنا موسى بن هارون الهمْدانيّ ، قال : حدثنا عمرو بن حماد ، قال : حدثنا أسباط ، عن السديّ ، في خبرٍ ذكره عن أبي مالك وعن أبي صالح ، عن ابن عباس — وعن مرّة الهمْدانيّ ، عن ابن مسعود — وعن ناسٍ من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ، أنّ رجلا من بني إسرائيل ، رأى في النوم أنّ خرابَ بيت المقدس وهلاكَ بني إسرائيل على يديْ غلام يتيم ، ابن أرملة من أهل بابل ، يُدْعَى بختنصّر ، وكانوا يصدّقون فتصدّق رؤياهم ، فأقبل يسأل عنه ، حتى نزل على أمّه وهو يحتطب ، فلما جاء وعلى رأسه حُزمة

حطب ألقاها ، ثم قعد فى جانب البيت ، فكلّمه ، ثم أعطاه ثلاثة دراهم ، فقال : اشترِ بهذه طعامًا وشرابًا ، فاشترى بدرْهم لحمًا ، وبدرهم خبزاً ، وبدرهم خمراً ، فأكلوا وشربوا ؛ حتّى إذا كان اليوم الثانى فعل به ذلك ، حتّى إذا كان اليوم الثالث فعل ذلك ، ثم قال : إنى أحبّ أن تكتب لى أمانا إنْ أنتَ مُلِّكْتَ يومًا من الدهر ؛ قال : تسخر بى ! قال : إنى لا أسخرُ بك، ولكن ما عليك أن تتّخذ بها عندى يداً ! فكلّمتْه أمه ، فقالت : وما عليك إن كان ، وإلا لم ينقصْك شيئًا ! فكتب له أمانًا ، فقال : أرأيتَ إن جئت والناسُ حولك ، قد حالوا بينى وبينك ! فاجعل لى آيةً تعرفنى بها ، قال : ترفع صحيفتَك على قَصَبة فأعْرِفُك بها . فكساه وأعطاه .

ثم إن ملِك بنى إسرائيل كان يكرِم يحيى بن زكرياء . ويُدنِى مجلسه ، ويستشيره فى أمره ، ولا يقطع أمراً دونه ، وإنه هوِىَ أن يتزوّج ابنةَ امرأة له ، فسأل يحيى عن ذلك ، فنهاه عن نكاحها ، وقال : لست أرضاها لك . فبلغ ذلك أمّها فحقدتْ على يحيى حين نهاه أن يتزوّج ابنتها ، فعمِدت إلى الجارية حين جلس الملك على شرابه ، فألبستْها ثيابًا رِقاقًا حمراً ، وطيّبتْها ، وألبستها من الحُلِىّ ، وألبستها فوق ذلك كساء أسود ، فأرسلتْها إلى الملك ، وأمرتْها أن تسقيَه ، وأن تعرض له ، فإن أرادها على نفسها أبتْ عليه ، حتّى يعطيَها ما سألته ، فإذا أعطاها ذلك سألتْه أن تؤتَى برأس يحيى بن زكرياء فى طَسْت ، ففعلت فجعلت تَسقيه وتعرض له ، فلما أخذ فيه الشراب أرادها على نفسها ، فقالت : لا أفعل حتّى تعطيَنى ما أسألك ، قال : ما تسألينى ؟ قالت : أسألك أن تبعثَ إلى يحيى بن زكرياء ، فأوتَى برأسه فى هذا الطَّسْت ، فقال : ويحك ! سلِينى غيرَ هذا ! قالت : ما أريد أن أسألَك إلا هذا . قال : فلما أبتْ عليه ، بعث إليه فأُتِىَ برأسه ، والرأسُ يتكلّم ، حتّى وضع بين يديه ، وهو يقول : لا تحِلُّ لك ، فلما أصبحَ إذا دمُه يغلى ، فأمر بتراب فأُلقِىَ عليه ، فرقِىَ الدمُ فوق التّراب يغلى ، فألقِى عليه التّراب أيضًا ، فارتفع الدمُ فوقه ، فلم يزلْ يُلقَى عليه الترابَ حتّى بلغ سورَ المدينة ،

١/٧١٥

١/٧١٦ وهو فى ذلك يغلى ، وبلغ صيحائين[١] فنادى فى الناس ، وأراد أن يبعث إليهم جيشًا ، ويؤمِّر عليهم رجلا ، فأتاه بختنصَّر ، فكلَّمه ، وقال : إنّ الذى كنتَ أرسلتَ تلك المرّة ضعيف ، فإنى قد دخلتُ المدينة ، وسمعت كلامَ أهلِها ، فابعثنى ، فبعثه فسار بختنصَّر ؛ حتّى إذا بلغوا ذلك المكانَ تحصّنوا منه فى مدائنهم ، فلم يُطِقْهم ، فلما اشتدّ عليه المقام ، وجاع أصحابُه أراد الرجوعَ ، فخرجت إليه[٢] عجوز من عجائز بنى إسرائيل ، فقالت : أين أمير الجند ؟ فأُتى به إليها ، فقالت : إنه بلغنى أنك تريد أن ترجعَ بجندك قبل أن تفتح هذه المدينة . قال : نعم ، قد طال مقامى ، وجاع أصحابى ، فلستُ أستطيع المقام فوق الذى كان منّى ، فقالت : أرأيتَك إن فتحتُ لك المدينة ، أتعطينى ما أسألك ؛ فتقتل مَنْ أمرتك بقتله ، وتكفّ إذا أمرتُك أن تكفّ ؟ قال لها : نعم ، قالت : إذا أصبحتَ فاقسم جندك أربعة أرباع ، ثم أقِمْ علىَ كلّ زاوية ربعًا ، ثم ارفعوا بأيديكم إلى السماء ، فنادوا : إنّا نستفتحك يا ألله بدم يحيى بن زكرياء ؛ فإنها سوف تتساقط . ففعلوا ، فتساقطت المدينة ، ودخلُوا من جوانبها ، فقالت له : كفّ يدك ، اقتل على هذا الدم حتّى يسكن ، فانطلقت به إلى دم يحيى وهو على تراب كثير ، فقتل عليه حتّى سكن ، فقتل سبعين ألف رجل وامرأة ، فلما سكن الدم ، قالت له : كفّ يدك ، فإنّ الله عزّ وجلّ إذا قُتِلَ نبىّ لم يرضَ حتّى يقتل من قتله ومَنْ

١/٧١٧ رضىَ قتلَه . فأتاه صاحبُ الصحيفة بصحيفته ، فكفّ عنه وعن أهل بيته ، وخرَّب بيت المقدس ، وأمر به أن تطرح فيه الجيف ، وقال : مَنْ طرح فيه جيفة فله جزْيتُه تلك السنة ، وأعانه على[٣] خرابه الروم من أجل أنّ بنى إسرائيل قتلوا يحيى بن زكرياء ، فلما خرّبه بختنصّر ذهب معه بوجوه بنى إسرائيل وسَراتهم ، وذهب بدانيال وعليا وعزريا[٤] وميشائيل ؛ هؤلاء كلّهم من أولاد الأنبياء ، وذهب معه برأس الجالوت ، فلما قدِم أرضَ بابل

---

(١) ت : « صنحابين » ، ن : « صنحابى » .
(٢) ح : « إليهم » .
(٣) ح : « عليه » .
(٤) ت : « وعزوبا » ، ن : « وعزوزيا » .

وجد صيحائين قد مات ، فملَك مكانه ، وكان أكرَم الناس عليه دانيال وأصحابه ، فحسدهم المجوس ، فوشُوا بهم إليه ، فقالوا : إنّ دانيال وأصحابه لا يعبدون إلهك ، ولا يأكلون من ذبيحتك ، فدعاهم فسألهم فقالوا : أجلْ إنّ لنا ربًّا نعبده ، ولسنا نأكل من ذبيحتكم ، وأمر بخَدّ فخُدّ ، فألقُوا فيه وهم ستة ، وألقِىَ معهم سَبُعٌ ضارٍ ليأكلهم ، فقالوا : انطلقوا فلْنأكل ولنشرب ، فذهبوا ، فأكلوا وشربوا ، ثم راحوا فوجدوهم جلوسًا ، والسبُع مفترش ذراعَيْه بينهم لم يخدِش منهم أحداً ، ولم ينكأه شيئًا ، فوجَدوا معهم رجلاً ، فعدّوهم فوجدوهم سبعة ، فقال : ما بال هذا السابع؟ إنما كانوا ستة ! فخرج إليه السابع — وكان ملَكًا من الملائكة — فلَطمه لطمة فصار فى الوحش ، فكان فيهم سبع سنين[1] .

* * *

قال أبو جعفر : وهذا القول—الذى رُوِىَ عمّن ذكرت فى هذه الأخبار التى رويت وعمّن لم يذكر فى هذا الكتاب ، من أنّ بختنصّر ، هو الذى غزا بنى إسرائيل عند قتلهم يحيى بن زكرياء — عند أهل السير والأخبار والعلم بأمور الماضين فى الجاهلية ، وعند غيرهم من أهل الملل غلَط ؛ وذلك أنهم بأجمعهم مجمعون علَى أن بختنصّر إنما غزا بنى إسرائيل عند قتلهم نبيَّهم شعيا فى عهد إرميا بن حلقيا ، وبين عهد إرميا وتخريب بختنصّر بيتَ المقدس إلى مولد يحيى بن زكرياء أربعمائة سنة وإحدى وستون سنة فى قول اليهود والنصارى . ويذكرون أن ذلك عندهم فى كتبهم وأسفارهم مُبَيَّن ، وذلك أنهم يَعُدّون من لدن تخريب بختنصّر بيت المقدس إلى حين عمرانها فى عهد كيرش بن أخشويرش أصبهبذ بابل من قِبَل أردشير بهمن بن إسفنديار بن بشتاسب . ثم من قِبَل ابنته خمانى سبعين سنة ، ثم من بعد عمرانها إلى ظهور الإسكندر عليها وحيازَة مملكتها إلى مملكته ثمانيا وثمانين سنة ، ثم من بعد مملكة الإسكندر لها إلى مولد يحيى بن زكرياء ثلثمائة سنة وثلاث سنين ، فذلك على قولهم أربعمائة سنة و إحدى وستون سنة .

١ / ٧١٨

---

(١) الخبر إلى هنا فى التفسير ١٥ : ٢٥ ، ٢٦ (بولاق) .

وأما المجوس فإنها توافق النصارى واليهود فى مدّة خراب بيت المقدس ، وأمر بختنصّر ، وما كان من أمره وأمر بنى إسرائيل إلى غَلَبة الإسكندر على بيت المقدس والشام وهلاك[1] دارا ، وتخالفهم فى مدة ما بين ملك الإسكندر ومولد يحيى ، فتزعُم أنّ مدة ذلك إحدى وخمسون سنة . فبين المجوس والنصارى من الاختلاف فى مدّة ما بين ملك الإسكندر ومولد يحيى وعيسى ما ذكرت . ١/٧١٩

والنصارى تزعم أنّ يحيى ولد قبل عيسى بستة أشهر ، وأنّ الذى قتله ملك لبنى إسرائيل يقال له هيردوس ، بسبب امرأة يقال لها هيروذيا ، كانت امرأةَ أخ له ، يقال له فيلفوس ، عَشِقَها فوافقته[2] على الفُجور ، وكان لها ابنة يقال لها دمنى[3] فأراد هيردوس أن يطأ امرأة أخيه المسماة هيروذيا ، فنهاه يحيى وأعلمه أنه لا تحلّ له ، فكان هيردوس معجبًا بالابنة ، فألهتْه يومًا ، ثم سألته حاجة فأجابها إليها ، وأمر صاحبًا له بالنفوذ لما تأمره به ، فأمرتْه أن يأتيَها برأس يحيى ، ففعل ، فلما عرف هيردوس الخبر أسْقِط فى يده ، وجزع جزعًا شديداً .

* * *

وأما ما قال فى ذلك أهلُ العلم بالأخبار وأمور أهل الجاهلية فقد حكيتُ منه ما قاله هشام بن محمد الكلبىّ .

وأما ما قال ابن إسحاق فيه ، فهو ما حدثنا به ابن ُحميد ، قال : حدثنا سلَمة ، عن محمد بن إسحاق ، قال : عمرت بنو إسرائيل بعد ذلك — يعنى بعد مرجعهم من أرض بابل إلى بيت المقدس — يُحدِثون الأحداثَ ، ويعود الله عليهم ويبعث فيهم الرسل ، ففريقًا يكذّبون وفريقًا يقتلون ؛ حتى كان آخر مَنْ بعث فيهم من أنبيائهم زكرياء ويحيى بن زكرياء وعيسى بن مريم ، وكانوا من بيت آل داود عليه السلام . وهو يحيى بن زكرياء بن أدى ابن مسلم بن صدوق بن نحشان بن داود بن سليمان بن مسلم بن صديقة بن برخية بن شفاطية بن فاحور بن شلوم بن يهفاشاط بن أسا بن أبيا بن رُحُبْعُم ١/٧٢٠

(١) ح : « وإهلاك » . (٢) ح : « فرافقته » .
(٣) ت : « رمى » ، س : « دمنه » ، ن : « دمى » .

ابن سليمان بن داود .

قال : فلما رُفع الله عيسى عليه السلام من بين أظهرهم ، وقتلوا يحيى بن زكرياء عليه السلام — وبعض الناس يقول : وقتلوا زكرياء — ابتعث الله عليهم ملِكًا من ملوك بابل يقال له خردوس ، فسار إليهم بأهل بابل ؛ حتى دخل عليهم الشام ، فلما ظهر عليهم أمر رأساً من رءوس جنوده يدعى نبوزراذان ، صاحب القتل ، فقال له : إنى كنت حلفت بإلهى : لئن أنا ظهرت على أهل بيت المقدس لأقتلنّهم حتى تسيل دماؤهم فى وسط عسكرى ؛ إلى ألاّ أجد أحداً أقتله ، فأمره أن يقتلهم ، حتى يبلغ ذلك منهم . وإنّ نبوزراذان دخل بيت المقدس ، فقام فى البقعة التى كانوا يقرّبون فيها قربانهم ، فوجد فيها دمًا يغلى ، وسألهم ، فقال : يا بنى إسرائيل ؛ ما شأن هذا الدم يغلى ؟ أخبرونى خبرَه ولا تكتمونى شيئًا من أمره ، فقالوا : هذا دم قربان كان لنا كنا قرّبناه فلم يقبَل منا ، فلذلك هو يغلى كما تراه ، ولقد قرّبنا منذ ثمانمائة سنة القربان ، فيُقبل منا إلا هذا القربان . قال : ما صدقتمونى الخبر ، قالوا له : لو كان كأوّل زماننا لقبِل منّا ؛ ولكنه قد انقطع منّا الملك والنبوّة والوحى ؛ فلذلك لم يقبَل منا . فذبح منهم نبوزراذان على ذلك الدم سبعمائة وسبعين روحًا من رءوسهم فلم يهدأ ، فأمر فأتِىَ بسبعمائة غلام من غلمانهم ، فذُبحوا على الدم فلم يهدأ ، فأمر بسبعة آلاف من بنيهم وأزواجهم فذبحهم على الدم فلم يبرد ، فلما رأى نبوزراذان الدم لا يهدأ قال لهم : يا بنى إسرائيل ، ويلكم ! أصدقُونى واصبروا على أمر ربكم ؛ فقد طالما ملكتم فى الأرض تفعلون فيها ما شئتم ، قبل ألاّ أترك منكم نافخ نار ؛ أنثى ولا ذكراً إلا قتلته ! فلما رأوا الجهد وشدّة القتل صدَقوه الخبر فقالوا : إن هذا دم نبىّ منّا كان ينهانا عن أمور كثيرة من سخط الله ، فلو أطعناه فيها لكان أرشدَ لنا ، وكان يخبرنا بأمركم فلم نصدّقه فقتلناه ، فهذا دمه . فقال لهم نبوزراذان : ما كان اسمُه ؟ قالوا : يحيى بن زكرياء ، قال : الآن صدقتمونى ، لمثل هذا ينتقم ربكم منكم . فلما رأى نبوزراذان أنهم قد صدقوه خرّ ساجداً ، وقال لمن حوله : أغلقوا أبواب المدينة ، وأخرجوا مَنْ كان ها هنا من جيش خردوس

٧٢١/١
٧٢٢/١

وخلا فى بنى إسرائيل . ثم قال : يا يحيى بن زكريّاء ، قد علم ربّى وربّك ما قد أصاب قومَك من أجلك ، وما قتِل منهم من أجلك ، فاهدأ بإذن الله قبل ألاّ أبقىَ من قومك أحداً، فهدأ دم يحيى بإذن الله،ورفع نبوزراذان عنهم القتل ، وقال : آمنتُ بما آمنت به بنو إسرائيل ، وصدّقتُ به وأيقنتُ أنه لا ربّ غيره ، ولو كان معه آخر لم يصلح ، لو كان معه شريك لم تستمسك[1] السموات والأرض ، ولو كان له ولد لم يصلح، فتباركَ وتقدّس وتسبّحَ وتكبّر وتعظّم ! ملك الملوك الذى يملك السموات السبع بعلم وحُكْم[2] وجبروت وعزّة ، الذى بسط الأرض وألقَى فيها رواسىَ لا تزول ؛ فكذلك ينبغى لربّى أنْ يكون ويكون مُلْكه . فأوحى إلى رأسٍ من رءوس بقية الأنبياء أنّ نبوزراذان حبور صدوق — والحبور بالعبرانية حديث الإيمان — وأنّ نبوزراذان قال لبنى إسرائيل: إنّ عدو الله خردوس أمرَنى أن أقتلَ منكم حتى تسيل دماؤكم وسط عسكره . وإنى فاعل ، لستُ أستطيع أن أعصيَه . قالوا له : افعل ما أمِرت به ، فأمرهم فحفروا خندقاً ، وأمر بأموالهم من الخيل والبغال والحمير والبقر والغنم والإبل فذبحها ، حتى سال الدم فى العسكر ، وأمر بالقتلى الذين كانوا قُتِلوا قبل ذلك فطُرِحوا على ما قتل من مواشيهم ؛ حتى كانوا فوقهم ؛ فلم يظنّ خردوس إلا أنّ ما كان فى الخندق من بنى إسرائيل .

١/٧٢٣

فلما بلغ الدم عسكره أرسل إلى نبوزراذان : ارفعْ عنهم ، فقد بلغنى دماؤهم ، وقد انتقمت منهم بما فعلوا . ثم انصرف عنهم إلى أرض بابل ، وقد أفنى بنى إسرائيل أو كاد ؛ وهى الوقعة الأخيرة التى أنزل الله ببنى إسرائيل ؛ يقول الله تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : ﴿ وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ ﴾ إلى قوله : ﴿ وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيراً ﴾[3] . و « عسى »[4] من الله حقّ ، فكانت الوقعة الأولى ببختنصّر وجنوده ، ثم ردّ

---

(١) ط : « يستمسك » ، وما أثبته من ت .

(٢) ن : « وحكمة » .

(٣) سورة الإسراء ٤ — ٨ .

(٤) من قوله تعالى فى آية ٨ : « عسى ربكم أن يرحمكم » .

الله لهم الكرّة عليهم ، ثم كانت الوقعة الأخيرة خردوس وجنوده ، وهى كانت أعظم الوقعتين ، فيها كان خراب بلادهم وقتل رجالهم وسبى ذراريهم ونسائهم ؛ يقول الله عزّ وجلّ : ﴿ وَلِيُتَبِّرُوا ما عَلَوْا تَتْبِيراً ﴾[1] .

* * *

رجع الحديث إلى حديث عيسى بن مريم وأمه عليهما السلام .

قال : وكانت مريم ويوسف بن يعقوب ابن عمّها يليان خدمة الكنيسة ، فكانت مريم إذا نفد ماؤها — فيما ذكر — وماء يوسف أخذ كلّ واحد منهما قلّته ، فانطلق إلى المغارة التى فيها الماء الذى يستعذبانه ، فيملأ قُلّته ، ثم يرجعان إلى الكنيسة . فلما كان اليوم الذى لقيها فيه جبرئيل — وكان أطول يوم فى السنة وأشدّه حرًّا — نفد ماؤها ، فقالت : يا يوسف ، ألا تذهب بنا نستقى ! قال : إنّ عندى لفضلاً من ماء أكتفى به يومى هذا إلى غد ، قالت : لكنّى والله ما عندى ماء ، فأخذت قُلّتها ، ثم انطلقت وحدها ، حتى دخلت المغارة ، فتجد عندها جبرئيل ، قد مثّله الله لها بشرا سويًّا : فقال لها : يا مريم ، إن الله قد بعثنى إليكِ لأهب لك غلاماً زكيا ، قالت : ﴿ إِنِّى أَعُوذُ بِالرَّحْمٰنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا ﴾[2] ، وهى تحسبه رجلاً من بنى آدم فقال : إنما أنا رسولُ ربّك ، قالت : ﴿ أَنَّى يَكُونُ لِى غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِى بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا * قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَىَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَقْضِيًّا ﴾[3] ، أى أن الله قد قضى أنّ ذلك كائن . فلما قال ذلك استسلمتْ لقضاء الله ، فنفخ فى جيبها ، ثم انصرف عنها ، وملأت قلّتها .

١/٧٢٤

قال : فحدثنى محمد بن سهل بن عسكر البخارىّ ، قال حدثنا إسماعيل ابن عبد الكريم ، قال : حدّثنى عبد الصمد بن معقل ، ابن أخى وهب ،

(١) سورة الإسراء ٧ .
(٢) سورة مريم ١٨ .
(٣) سورة مريم ٢٠ ، ٢١ .

قال : سمعت وهبًا قال : لما أرسل الله عزّ وجلّ جبرئيل إلى مريم، تمثّل لها بشرا سويًّا . فقالت : ﴿ إِنِّى أَعُوذُ بِالرَّحْمٰنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا ﴾، ثم نفخ فى جيب درعها حتى وصلت النفخة إلى الرَّحِم ، واشتملت على عيسى .

١/٧٢٥

قال: وكان معها ذو قرابة لها يقال له يوسف النجّار ، وكانا منطلِقَيْن إلى المسجد الذى عند جبل صهيون ؛ وكان ذلك المسجد يومئذ من أعظم مساجدهم ، وكانت مريم ويوسف يخدمان فى ذلك المسجد فى ذلك الزمان ، وكان لخدمته فضل عظيم ، فرغبا فى ذلك ، فكانا يَلِيَان معالجته بأنفسهما وتجميرَه وكناسته وطهوره ، وكلّ عمل يعمل فيه ، فكان لا يُعلم من أهل زمانهما أحدٌ أشدّ اجتهاداً وعبادة منهما ، وكان أول مَنْ أنكر حَمْل مريم صاحبُها يوسف ، فلما رأى الذى بها استعظمه ، وعظم عليه ، وفظع به ، ولم يدر على ماذا يضع[1] أمرها ! فإذا أراد يوسف أن يتّهمها ذكر صلاحَها وبراءتها ، وأنها لم تغِبْ عنه ساعة قطُّ ، وإذا أراد أن يبرّئها رأى الذى ظهر بها . فلمّا اشتدّ عليه ذلك كلّمها، فكان أولُ كلامه إياها أن قال لها : إنه قد وقع فى نفسى من أمرك أمر قد حرَصت على أن أميتَه ، وأكتمه فى نفسى ، فغلبنى ذلك ، فرأيتُ أنّ الكلام فيه أشفى لصدرى ، قالت : فقل قولاً جميلاً ، قال : ما كنت لأقول إلا ذلك ، فحدّثينى : هل ينبت زرع بغير بَذْر ؟ قالت : نعم ، قال : فهل تنبت شجرة من غير غيث يصيبها ؟ قالت : نعم ، قال: فهل يكون ولد من غير ذكر ؟ قالت : نعم ، ألم تعلم أن الله أنبت الزرع يوم خلَقه من غير بذر ، والبذر إنّما كان من الزرع الذى أنبته الله من غير بذر ! أو لم تعلم أنّ الله أنبت الشجر من غير غيث ، وأنه جعل بتلك القدرة الغيث حياة للشجر بعد ما خلَق كلّ واحد منهما وحده ! أو تقول لم يقدر الله على أن ينبت الشجر ، حتى استعان عليه بالماء ، ولولا ذلك لم يقدِرْ على إنباته ! قال لها يوسف : لا أقول ذلك ، ولكنّى أعلم أنّ الله بقدرته على ما يشاء يقول لذلك : كن فيكون . قالت له مريم: أوَ لم تعلم أنّ الله عزّ وجلّ

١/٧٢٦

(١) ت ، ن : « يصنع » .

خلَق آدم وامرأته من غير ذكَرٍ ولا أنثى ؟ قال : بلى ، فلما قالت له ذلك وقع فى نفسه أنّ الذى بها شىء من الله عزّ وجلّ ، وأنه لا يسعه أن يسألها عنه ؛ وذلك لمّا رأى من كتمانها لذلك . ثم تولّى يوسف خدمة المسجد ، وكَفاها كلّ عمل كانت تعمل فيه ؛ وذلك لما رأى من رِقّة[1] جسمها واصفرار لونها ، وكلَفَ وجهها ، ونتوء بطنها ، وضعف قوّتها . ودأب نظرها ؛ ولم تكن مريم قبل ذلك كذلك ؛ فلما دنا نِفاسها أوحى الله إليها أن اخرجى من أرض قومك ؛ فإنهم إن ظفروا بك عيّروك وقتلوا[2] ولدك . فأفضت عند ذلك إلى أختها — وأختُها حينئذ حُبْلى ، وقد بُشّرت بيحيى — فلما التقيا وجدت أمّ يحيى ما فى بطنها خرّ لوجهه ساجداً معترفًا بعيسى ؛ فاحتملها يوسفُ إلى أرض مصر على حمار له ، ليس بينها حين ركبت الحمار وبين الإكاف[3] شىء ، فانطلق يوسف بها ؛ حتى إذا كان مُتاخمًا لأرض مصر فى مُنقطَع بلاد قومها أدرك مريم النفاس ، وألجأها إلى آرىّ حمار — يعنى مِزْوَدَ الحمار — فى أصل نخلة ؛ وذلك فى زمان الشتاء ، فاشتدّ على مريم المخاض ؛ فلما وجدت منه شدّة التجأت إلى النخلة ، فاحتضنتْها واحتوشتْها الملائكة ، قاموا صفوفًا محدقين بها[4] .

١/٧٢٧

فلما وضعت وهى محزونة ، قيل لها : ﴿ أَلَّا تَحْزَنِى قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا ﴾ إلى ﴿ إِنِّى نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْماً فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا ﴾[5] ، فكان الرُّطبُ يتساقط عليها ، وذلك فى الشتاء .

فأصبحت الأصنام التى كانت تُعبَد من دون الله حين ولدت بكلّ أرض مقلوبة منكوسة على رءوسها ، ففزعت الشياطين وراءها ، فلم يدرُوا ما سبب ذلك ، فساروا عند ذلك مسرعين ، حتى جاءوا إبليس ، وهو على عرش له فى لُجّة خضراء ، يتمثّل بالعرش يوم كان على الماء ويحتجب ، يتمثّل بحجب النور التى من دون الرحمن ، فأتوْه وقد خلا ست ساعات من النهار ، فلما

---

(١) ت : « دقة » . (٢) ن : « وقتلوك وولدك » .
(٣) الإكاف ، ككتاب وغراب : برذعة الحمار .
(٤) الخبر فى التفسير ١٥ : ٤٩ ، ٥٠ (بولاق) .
(٥) سورة مريم ٢٤ — ٢٦ .

رأى إبليسُ جماعَتهم ، فزِع من ذلك ، ولم يرهم جميعًا منذ فرّقهم قبل تلك الساعة ؛ إنما كان يراهم أشتاتًا ، فسألهم فأخبروه أنه قد حدث فى الأرض حدث أصبَحَتْ الأصنام منكوسة على رءوسها ، ولم يكن شىء أعونَ على هلاك بنى آدم منها ؛ كنا ندخلُ فى أجوافها فنكلّمهم ، وندبّر أمرهم فيظنون أنها التى تكلّمهم ، فلما أصابها هذا الحدث صغّرَها فى أعين بنى آدم ، وأذلّها وأدناها ، ذلك وقد خشينا ألاّ يعبدوها بعد هذا أبداً . واعلم أنّا لم نأتك حتى أحصينا الأرضَ ، وقلبنا البحار وكلّ شىء قوينا عليه؛ فلم نزدد بما أردنا إلا جهلاً . قال لهم إبليس : إنّ هذا لأمر عظيم، لقد علمت بأنى كُتِمتُه ، وكونوا على مكانكم هذا . فطار إبليس عند ذلك ، فلبث عنهم ثلاث ساعات ، فمرّ فيهنّ بالمكان الذى وُلد فيه عيسى ؛ فلما رأى الملائكة محدِقين بذلك المكان ، علِم أن ذلك الحَدَث فيه ، فأراد إبليس أن يأتيَه من فوقه ؛ فإذا فوقه رءوس الملائكة ومناكبهم عند السماء . ثم أراد أن يأتيَه من تحت الأرض ؛ فإذا أقدام الملائكة راسية أسفل مما أراد إبليس . ثم أراد أن يدخل من بينهم فنحَّوْه عن ذلك . ١/٧٢٨

ثم رجع إبليس إلى أصحابه فقال لهم : ما جئتكم حتى أحصيت الأرض كلّها مشرقها ومغربها ، وبرّها وبحرها ، والخافقين ، والجوّ الأعلى ؛ وكلّ هذا بلغتُ فى ثلاث ساعات ؛ وأخبرهم بمولد المسيح ، وقال لهم : لقد كتِمتُ شأنه ، وما اشتملت قبله رحم أنثى على ولد إلا بعلمى ، ولا وضعتْه قطّ ، إلاّ وأنا حاضرها ؛ وإنى لأرجو أن أضِلّ به أكثر مما يهتدِى به ، وما كان نبىّ قبلَه أشدّ علىّ وعليكم منه .

وخرج فى تلك الليلة قوم يؤمّونه من أجل نجم طلع أنكروه، وكان قبل ذلك يتحدّثون أنّ مطلع ذلك النجم من علامات مولود فى كتاب دانيال . فخرجوا يريدونه ، ومعهم الذهب والمرّ واللّبان ، فمرّوا بملك من ملوك الشأم ، فسألهم : أين يريدون ؟ فأخبروه بذلك ، قال : فما بالُ الذهب والمرّ واللبان أهديتموه له من بين الأشياء كلّها ؟ قالوا : تلك أمثاله : لأنّ الذهب هو سيّد المتاع كلّه، وكذلك هذا النبىّ هو سيّدُ أهل زمانه، ولأنّ المرّ يُجبَرُ به ١/٧٢٩

الجرح والكسر ، وكذلك هذا النبيّ يشفى به الله كلّ سقيم ومريض ؛ ولأن اللبان ينال دخانه السماء ولا ينالها دخان غيره ، كذلك هذا النبيّ يرفعه الله إلى السماء لا يرفع في زمانه أحد غيره.

فلما قالوا ذلك لذلك الملك حدّث نفسه بقتله، فقال : اذهبوا، فإذا علمتم مكانه فأعلموني ذلك، فإني أرغب في مثل ما رغبتم فيه من أمره . فانطلقوا حتى دفعوا ما كان معهم من تلك الهدية إلى مريم ، وأرادوا أن يرجعوا إلى هذا الملك ليعلموه مكانَ عيسى ، فلقيَهم ملك فقال لهم : لا ترجعوا إليه ، ولا تُعلموه بمكانه ، فإنه إنما أراد بذلك ليقتله؛ فانصرفوا في طريق آخر ، واحتملته مريم على ذلك الحمار ومعها يوسف ،حتى وردا أرض مصر، فهي الربوة التي قال الله: ﴿ وَآوَيْنَاهُمَا إِلَى رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ[1] ﴾ .

فمكثت مريم اثنتي عشرة سنة تكتمه من الناس ، لا يطّلع عليه أحد ؛ وكانت مريم لا تأمن عليه ولا على معيشته أحداً، كانت تلتقط السنبل من حيث ما سمعت بالحصاد ، والمهد في منكبها والوعاء الذى تجعل فيه السنبل في منكبها الآخر ، حتى تمّ لعيسى عليه السلام اثنتا عشرة سنة ؛ فكان أوّل آية رآها الناس منه أنّ أمّه كانت نازلةً في دار دِهقان من أهل مصر، فكان ذلك الدّهقان قد سُرقت له خزانة، وكان لا يسكن في داره إلا المساكين، فلم يتّهمهم ، فحزنت مريم لمصيبة ذلك الدّهقان، فلما أنْ رأى عيسى حُزْنَ أمّه بمصيبة صاحب ضيافتها، قال لها : يا أمّه، أتحبّين أن أدلّه على ماله ؟ قالت : نعم يا بُنيّ ، قال : قولي له يجمع لي مساكين داره ، فقالت مريم للدهقان ذلك ، فجمع له مساكين داره ، فلما اجتمعوا عمد إلى رجليْن منهم : أحدهما أعمى والآخر مُقعَد ، فحمل المقعد على عاتق الأعمى ، ثم قال له : قم به ، قال الأعمى : أنا أضعف من ذلك ؛ قال عيسى عليه السلام : فكيف قويت على ذلك البارحة ؟ فلما سمعوه يقول ذلك ، بعثوا الأعمى ، حتى قام به، فلما استقلّ قائمًا حاملاً هوِىَ المقعد إلى كوّة الخزانة . قال عيسى : هكذا احتالا لماله البارحة، لأنه استعان الأعمى بقوّته ، والمقعد بعينيه ، فقال

٧٣٠/١

---

(١) سورة المؤمنين ٥٠ .

المقعد والأعمى : صدق ، فردّا على الدهقان ماله ذلك ، فوضعه الدّهقان فى خزانته ، وقال : يا مريم خذى نصفه ، قالت : إنى لم أخْلَقْ لذلك ، قال الدّهقان : فأعطيه ابنَك ، قالت : هو أعظم منى شأناً ، ثم لم يلبث الدهقان أن أعرس ابنٌ له فصنع له عيداً فجمع عليه أهل مصر كُلّهم ، فلما انقضى ذلك زاره قوم من أهل الشأم لم يحذرهم الدهقان ، حتّى نزلوا به ، وليس عنده يومئذ شراب ، فلما رأى عيسى اهتمامه بذلك دخل بيتاً من بيوت الدّهقان ، فيه صفّان من جرار ، فأمرّ عيسى يده على أفواهها ، وهو يمشى ، فكلّما أمرّ يده على جرّة امتلأت شراباً ، حتّى أتى عيسى على آخرها ، وهو يومئذ ابن اثنتى عشرة سنة ، فلما فعل ذلك عيسى فزع الناس لشأنه وما أعطاه الله من ذلك ؛ فأوحى الله عزّ وجلّ إلى أمّه مريم ، أن اطلعى به إلى الشأم ، ففعلت الذى أمرت به ، فلم تزل بالشأم حتّى كان ابن ثلاثين سنة ، فجاءه الوحىُ على ثلاثين سنة ، وكانت نبوّته ثلاث سنين . ثم رفعه الله إليه ، فلما رآه إبليس يوم لقيه على العقبة لم يُطِقْ منه شيئاً ، فتمثّل له برجل ذى سنّ وهيئة ، وخرج معه شيطانان ماردان متمثّلين كما تمثّل إبليس ، حتّى خالطوا جماعة الناس .

١/٧٣١

* * *

وزعم وهب أنه ربما اجتمع على عيسى من المرضى فى الجماعة الواحدة خمسون ألفاً ، فمن أطاق منهم أن يَبلُغه بلغه ، ومن لم يطِقْ ذلك منهم أتاه عيسى عليه السلام يمشى إليه ؛ وإنما كان يُداويهم بالدعاء إلى الله عزّ وجلّ ، فجاءه إبليس فى هيئة يَبْهَرُ الناس حسنُها وجمالها ، فلما رآه الناس فرغوا له ، ومالوا نحوه ، فجعل يخبرهم بالأعاجيب ؛ فكان فى قوله : إنّ شأن هذا الرجل لعَجَب[1] ؛ تكلم فى المهد، وأحيا الموتى ، وأنبأ عن الغيب ، وشفى المريض ؛ فهذا الله . قال أحد صاحبيه : جهِلتَ أيها الشيخ ، وبئس ما قلت ! لا ينبغى لله أن يتجلّى للعباد ، ولا يسكن الأرحام ، ولا تسعه أجواف النساء ؛ ولكنه ابن الله . وقال الثالث : بئس ما قلتما ، كلا كما قد أخطأ وجهل ؛ ليس ينبغى لله أن يتخذ ولداً ؛ ولكنه إله معه ؛ ثم غابوا حين فرَغوا

١/٧٣٢

(١) ت : « لعجيب » .

من قولهم ، فكان ذلك آخر العهد منهم .

حدثنا موسى بن هارون ، قال : حدثنا عمرو بن حماد ، قال : حدّثنا أسباط ، عن السدىّ فى خبر ذكره ، عن أبى مالك ، وعن أبى صالح ، عن ابن عباس — وعن مرّة الهمدانىّ عن ابن مسعود — وعن ناس من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلّم ، قال : خرجت مريم إلى جانب المحراب لحيض أصابها فاتّخذت من دونهم حجاباً من الجدران ، وهو قوله : ﴿ فَانْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَاناً شَرْقِيّاً * فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَاباً ﴾ فى شرق المحراب ، فلما طَهُرت إذا هى برجل معها ، وهو قوله : ﴿ فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا ﴾ فهو جبرئيل ﴿ فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَراً سَوِيّاً ﴾ . فلما رأته فزعت منه وقالت : ﴿ إِنِّى أَعُوذُ بِالرَّحْمٰنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيّاً * قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَاماً زَكِيّاً * قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِى غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِى بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيّاً ﴾ — تقول زانية — ﴿ قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَىَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِنَّا وَكَانَ أَمْراً مَقْضِيّاً ﴾[1] . فخرجت ، عليها جلبابُها ، فأخذ بكمّيها ، فنفخ فى جيب درعها — وكان مشقوقاً من قُدّامها — فدخلت النفخة فى صدرها ، فحملت ، فأتتها أختها امرأة زكرياء ليلةً تزورها ، فلما فتحت لها الباب التزمتْها ، فقالت امرأة زكرياء : يا مريمُ أشعرت أنى حبلى . قالت مريم : أشعرت أنى أيضاً حبلى . قالت امرأة زكرياء : فإنى وجدتُ ما فى بطنى يسجد لما فى بطنك ، فذلك قوله : ﴿ مُصَدِّقاً بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ ﴾[2] . فولدت امرأةُ زكرياء يحيى ، ولما بلغ أن تضع مريم ، خرجتْ إلى جانب المحراب الشرقىّ منه ، فأتت أقصاه : ﴿ فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ ﴾ يقول : ألجأها المخاض إلى جذع النخلة ، ﴿ قَالَتْ ﴾ : وهى تطلق من الحبل استحياء من الناس : ﴿ يَا لَيْتَنِى مِتُّ قَبْلَ هٰذَا وَكُنْتُ نَسْياً مَنْسِيّاً ﴾ .

٧٣٣/١

(١) سورة مريم ١٦ — ٢١ .
(٢) سورة آل عمران ٣٩ .

تقول : نسيًا : نُسىَ ذكرى ، ومنسيًا ، تقول : نُسِى أثرى ، فلا يرى لى أثر ولا عين . ﴿فَنَادَاهَا﴾ ،جبرئيل: ﴿مِنْ تَحْتِهَا أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا﴾ ،والسرىّ هو النهر . ﴿وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ﴾ ، وكان جذعًا منها مقطوعًا فهزّته ، فإذا هو نخلة ، وأجرى لها فى المحراب نهراً فتساقطت النخلة رطباً جنيًّا ، فقال لها : كُلى واشربى وقرّى عيناً ، ﴿فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنسِيًّا﴾ ،فكان من صام فى ذلك الزمان لم يتكلّم حتى يمسى ، فقيل لها :

٧٣٤/١ لا تزيدى على هذا ، فلما ولدته ذهب الشيطان فأخبر بنى إسرائيل أنّ مريم قد ولدت ، فأقبلوا يشتدون ، فدعوها ﴿فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا﴾ -يقول عظيمًا- ﴿يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا﴾ ،فما بالك أنت يا أخت هارون! وكانت من بنى هارون أخى موسى ؛ وهو كما تقول : يا أخا بنى فلان ؛ إنما تَعنى قرابتَه . فقالت لهم ما أمرها الله، فلما أرادوها بعد ذلك على الكلام، أشارت إليه — إلى عيسى — فغضبوا وقالوا : لَسُخريتُها بنا حين تأمرنا أن نكلّم هذا الصبى أشدُّ علينا من زناها! ﴿قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا﴾ فتكلّم عيسى فقال : ﴿إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ۝ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ﴾[1] فقالت بنو إسرائيل: ما أحبلها أحد غير زكرياء ، هو كان يدخل إليها ، فطلبوه ففرّ منهم فتشبّه له الشيطان فى صورة راع ، فقال : يا زكرياء ، قد أدركوك ، فادعُ الله حتّى تنفتح لك هذه الشجرة فتدخل فيها ، فدعا الله فانفتحت له الشجرة ، فدخل فيها وبقى من ردائه هُدْبٌ ، فمرت بنو إسرائيل بالشيطان ، فقالوا : يا راعى ، هل رأيتَ رجلاً من ها هنا قال : نعم سحر هذه الشجرة ،

---

(١) سورة مريم ٢٣ — ٣١ .

فانفتحت له ، فدخل فيها ، وهذا هُدب ردائه ، فعمدوا فقطعوا الشجرة ، وهو فيها بالمناشير ، وليس تجد يهوديًا إلا تلك الهدبة فى ردائه ؛ فلما ولد عيسى لم يبق فى الأرض صنم يعبَد من دون الله إلا أصبح ساقطًا لوجهه . ١/٧٣٥

حدثنى المثنَّى ، قال : حدثنا إسحاق بن الحجاج ، قال : حدثنا إسماعيل ابن عبد الكريم ، قال : حدثنى عبد الصمد بن معقِل ، أنه سمع وهبًا يقول : إن عيسى بن مريم عليه السلام لما أعلمه الله أنه خارج من الدنيا جزع من الموت ، وشَق عليه ، فدعا الحواريين ، فصنع لهم طعامًا ، فقال : احضرونى الليلة ، فإن لى إليكم حاجة ، فلما اجتمعوا إليه من الليل ، عشّاهم وقام يخدمُهم ، فلما فرغوا من الطعام أخذ يغسِل أيديهم ويوضئهم بيده[1] ، ويمسحُ أيديَهم بثيابه ، فتعاظموا ذلك وتكارهوه ، فقال : ألا من ردّ علىّ شيئًا الليلة مما أصنع فليس منّى ولا أنا منه ! فأقرّوه حتى إذا فرغ من ذلك قال : أمّا ما صنعت بكم الليلة مما خدمتكم على الطعام ، وغسلت أيديكم بيدىّ ، فليكن لكم بى أسوة ؛ فإنكم ترون أنى خيركم ، ولا يتعظمْ بعضكم على بعض ، وليبذُلْ بعضكم نفسَه لبعض ؛ كما بذلت نفسى لكم . وأما حاجتى التى أستعينكم عليها ، فتدعون الله لى ، وتجتهدون فى الدعاء أن يؤخر أجَلِى . فلمّا نصبوا أنفسهم للدعاء ، وأرادوا أن يجتهدوا ، أخذهم النوم ؛ حتى لم يستطيعوا دعاء ، فجعل يُوقظهم ، ويقول : سبحان الله ! ما تصبرون لى ليلة واحدة تعينونى فيها ! قالوا : والله ما ندرى ما لنا ! لقد كنا نسمُر فنكثِر السَّمَر ، وما نطيق الليلة سَمَرا ، وما نريد دعاءً إلا حِيلَ بيننا وبينه ! فقال : يُذْهَب بالراعى وتتفرق الغنم . وجعل يأتى بكلام نحو هذا ، ينعَى به نفسه ، ثم قال : الحقَّ ليكفرنّ بى أحدكم ، قبل أن يصيحَ الديكُ ثلاث مرات ؛ وليبيعنّى أحدكم بدراهم يسيرة ، وليأكلنّ ثمنى . فخرجوا فتفرّقوا ؛ وكانت اليهود تطلبه ، فأخذوا شمعون ، أحد الحواريين ، فقالوا : هذا من أصحابه ، فجحد وقال : ما أنا بصاحبه ، فتركوه ، ثم أخذه آخرَ فجحد كذلك ، ثم سمع صوت ديك . ١/٧٣٦

---

(١) ت ، ح : « ويوصيهم » .

فبكَى ، فلما أصبح أتى أحدُ الحواريين إلى اليهود ، فقال : ما تجعلون لى إن دللتُكم على المسيح ؟ فجعلوا له ثلاثين درهمًا ، فأخذها ودلَّهم عليه – وكان شُبِّه عليهم قبل ذلك – فأخذوه ، فاستوثقوا منه ، وربطوه بالحبل ، فجعلوا يقودونه ، ويقولون : أنت كنتَ تحيي الموتى ، وتنتهر الشيطان ، وتبرئُ المجنون ، أفلا تفتح نفسك من هذا الحبل ! ويبصقون عليه ، ويُلقُون عليه الشوكَ ، حتى أتوْا به الخشبة التى أرادوا أن يصلبوه عليها ، فرفعه الله إليه ، وصلَبوا ماشُبِّه لهم ، فمكث سبعًا . ثم إن أمه والمرأة – التى كان عيسى يداويها فأبرأها الله من الجنون – جاءتا تبكيان عند المصلوب ، فجاءهما عيسى عليه السلام ، فقال : على مَنْ تبكيان ؟ فقالتا : عليك ، فقال : إنى قد رفعنى الله إليه ، ولم يُصبنى إلاّ خير ، وإنّ هذا شىء شُبِّه لهم ، فأمُرا الحواريين أن يلقوْنى إلى مكان كذا وكذا ، فلقوه إلى ذلك المكان أحدَ عشر ، وفقد الذى كان باعه ، ودلّ عليه اليهود ، فسأل عنه أصحابه ، فقالوا : إنه ندم على ما صنع ، فاختنق وقتل نفسه ، فقال : لو تاب تاب الله عليه ! ثم سألهم عن غلام يتبعهم يقال له يحيى ، فقال : هو معكم ، فانطلِقوا فإنه سيصبح كلّ إنسان منكم يحدّث بلغة قوم[1] فلينذرهم وليدَعُهم .

١/٧٣٧

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عمن لا يتّهم ، عن وَهْب بن منبّه اليمانىّ ، قال : توفّى الله عيسى بن مريم ثلاثَ ساعات من النهار ، حتى رفعه الله إليه .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق : والنصارى يزعمون أنه توفّاه الله سبع ساعات من النهار ، ثم أحياه الله ، فقال له : اهبط ، فأنزل على مريم المجدلانية فى جَبلها ، فإنه لم يبك عليك أحد بكاءها ، ولم يحزن عليك أحد حزنها ؛ ثم لتجمعْ[2] لك الحواريين ، فبُثَّهم فى الأرض دُعاةً إلى الله ، فإنك لم تكن فعلت ذلك . فأهبطه الله عليها ، فاشتعل الجبل حين

---

(١) ح : « قومه » .

(٢) ن : « ثم ليجتمع لك الحواريون » .

هبط نوراً ، فجمعتْ له الحواريّين ، فبثّهم وأمرهم ، أن يبلّغوا الناس عنه ما أمره الله به ، ثم رفعه الله إليه ، فكساه الريش ، وألبسه النور ، وقطع عنه لذة المطعم والمشرب ، فطار فى الملائكة وهو معهم حول العرش ، فكان إنسيًّا مَلَكيا سمائيًّا أرضيًّا ، وتفرق الحواريون حيث أمرهم ؛ فتلك الليلة التى أهبِط فيها الليلة التى تدخن فيها النصارى .

وكان ممن وجّه من الحواريين والأتباع الذين كانوا فى الأرض بعدهم ، فطرس الحوارىّ ومعه بولس—وكان من الأتباع ، ولم يكن من الحواريين— إلى روميّة ، وأندراييس ومثى [1] إلى الأرض التى يأكل أهلها الناس — وهى فيما نرى للأساود — وتوماس إلى أرض بابل من أرض المشرق ، وفيلبس إلى القيْرَوان وقرْطاجنّه ؛ وهى إفريقيّة ، ويُحنّس إلى دفسوس [2] ؛ قرية الفتية أصحاب الكهف ، ويعقوبس إلى أورِيَشلِم ، وهى إيليا بيت المقدس ، وابن تلما إلى العرابية ، وهى أرض الحجاز ، وسيمن إلى أرض البربر دون أفريقيَّة ، ويهوذا — ولم يكن من الحواريين — إلى أريوبس [3] ، جُعِل مكان يوذس زكريا يوطا ، حين أحدث ما أحدث . ١/٧٣٨

حدثنا ابنُ حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن عمر ابن عبد الله بن عروة بن الزبير ، عن ابن سُليم الأنصارىّ ، ثم الزُّرَقىّ ، قال : كان على امرأة منّا نَذْرٌ ؛ لَتظهرنّ على رأس الجمّاء — جبل بالعقيق من ناحية المدينة — قال : فظهرتُ معها ، حتى إذا استوينا على رأس الجبل ، إذا قبرٌ عظيم ، عليه حجران عظيمان ؛ حجر عند رأسه ، وحجر عند رجليه ؛ فيهما كتاب بالمسنَد ، لا أدرى ما هو ! فاحتملتُ الحجرَيْن معى ؛ حتى إذا كنت ببعض الجبل منهبطًا ثقُلا علىّ ، فألقيت أحدَهما وهبطت

---

(١) ت : « ومّى » ، ن : « ومثى » .

(٢) كذا فى ط ؛ وفى ياقوت : « أفسوس ، بضم الهمزة وسكون الفاء والسينان مهملتان والواو ساكنة : بلد بثغور طرسوس ؛ يقال إنه بلد أصحاب الكهف » .

(٣) ت : « أرميقس » ، ن : « أربويس » .

١/٧٣٩ بالآخر ، فعرضتُه على أهل السريانية : هل يعرفون كتابتَه[١] ؟ فلم يعرفوه ، وعرضتُه على مَنْ يكتب بالزّبور من أهل اليمن ، ومن يكتب بالمسنَد فلم يعرفوه . قال : فلما لم أجد أحداً ممَّن يعرفه ألقيتُه تحت تابوت لنا ، فمكث سنين ، ثم دخل علينا ناس من أهل ماه من الفرس يبتغون[٢] الخَرز ، فقلت لهم : هل لكم من كتاب ؟ فقالوا : نعم ، فأخرجتُ إليهم الحجَر ، فإذا هم يقرءونه ، فإذا هو[٣] بكتابهم : هذا قبر رسول الله عيسى بن مريم عليه السلام إلى أهل هذه البلاد ؛ فإذا هم كانوا أهلها فى ذلك الزمان، مات عندهم فدفنوه على رأس الجبل .

حدّثنا ابن حميد ، قال: حدثنا سلَمة ، عن ابن إسحاق ، قال : ثم عدوْا علىبقية الحواريِّين يشمّسونهم ويعذبونهم ، وطافوا بهم ، فسمع بذلك ملك الروم — وكانوا تحت يديه ، وكان صاحبَ وثن — فقيل له : إن رجلا كانفى هؤلاء الناس الذين تحت يديك من بنى إسرائيل عدوْا عليه فقتلوه ، وكان يخبرهم أنه رسول الله ، قد أراهم العجائب ، وأحيا لهم الموتى ، وأبرأ لهم الأسقام ، وخلَق لهم من الطين كهيئة الطير ، ونفخ فيه فكان طائراً[٤] بإذن الله ، وأخبرهم بالغيوب . قال : ويْحكم ! فما منعكم أن تذكروا هذا لى من أمره وأمرهم! فوالله لو علمت ما خلّيتُ بينهم وبينه . ثم بعث إلى الحواريين ، فانتزعهم من أيديهم ، وسألهم عن دين عيسى وأمْرِه ، فأخبروه خبره ، فتابعهم على دينهم ، واستنزل سرجس[٥] فغيّبه، وأخذ خشبته التى صُلِب عليها، فأكرمها وصانها لما مسَّها منه ، وعدا على بنى إسرائيل ، فقتل منهم قتلى كثيرة ؛ فمن

١/٧٤٠ هنالك كان أصلُ النصرانية فى الروم .

* * *

وذكر بعض أهلِ الأخبار أنّ مولد عيسى عليه السلام كان لمضىّ اثنتين وأربعين سنة من مُلْك أغوسطوس، وأنّ أغوسطوس عاش بعد ذلك بقيّة ملكه،

(١) ن : « كتابته » . (٢) ت : « يبيعون » .
(٣) ح : « فيه » . (٤) ح : « طيرا » .
(٥) ح : « سرجين » .

وكان جميع ملكه ستا وخمسين سنة – قال بعضهم : وأياما .

قال : ووثبت اليهود بالمسيح ، والرياسة ببيت المقدس فى ذلك الوقت لقيصر ، والملك على بيت المقدس من قِبَل قيصر هيردوس الكبير الذى دخلت عليه رُسُل ملك فارس الذين وجَّههم الملك إلى المسيح ، فصار إلى هيردوس غالطا ، وأخبروه أن ملك فارس بعث بهم ليقرّبوا إلى المسيح ألطافًا معهم من ذهب ، ومرّ ولِبان ، وأنهم نظروا إلى نجمه قد طلع ، فعرفوا ذلك بالحساب ، وقرّبوا الألطاف إليه ببيت لحم من فلسطين . فلما عرف هيردوس خبرَهم كاد المسيح ، فطلبه ليقتله ، فأمر الله المَلَك أن يقول ليوسف الذى كان مع مريم فى الكنيسة ما أراد هيردوس من قتله ، وأمره أن يهرب بالغلام وأمّه إلى مصر ، فلما مات هيردوس قال المَلَك ليوسف وهو بمصر : إن هيردوس قد مات ، وملَك مكانه أركلاوس ابنُه ، وذهب مَنْ كان يطلب نفْس الغلام ، فانصرف به إلى ناصرة من فلسطين ليتمّ قول شعيا النبيّ : من مصر دعوتُك . ومات أركلاوس ، وملك مكانه هيردوس الصغير ، الذى صُلب شبهُ المسيح فى ولايته ، وكانت الرياسة فى ذلك الوقت للملوك اليونانية والروم ، وكان هيردوس وولده من قِبَلهم ؛ إلاّ أنهم كانوا يلقّبون باسم الملك ، وكان الملوك الكبار يلقّبون بقيصر ، وكان ملك ١/٧٤١ بيت المقدس فى وقت الصلب لهيردوس الصغير من قبل طيباريوس بن أغوسطوس دون القضاء ، وكان القضاء لرجل رومىّ يقال له : فيلاطوس من قِبَل قيصر ، وكانت رياسة الجالوت ليونن بن بهوثن .

قال : وذكروا أن الذى شُبّه بعيسى وصُلب مكانه رجل إسرائيلىّ ، يقال له : أيشوع بن فنديرا . وكان ملكُ طيباريوس ثلاثا وعشرين سنة وأياما منها إلى وقت ارتفاع المسيح ثمانىَ عشرة سنة وأيام ؛ ومنها بعد ذلك خمس سنين .

ذكر من ملك من الروم أرض الشام بعد رفع المسيح عليه السلام

إلى عهد النبي صلى الله عليه وسلم فى قول النصارى

قال أبو جعفر : زعموا أن مُلْك الشام من فلسطين وغيرها صار بعد طيباريوس إلى جايوس بن طيباريوس ، وأن ملكه كان أربع سنين .

ثم ملك بعده ابن له آخر ، يقال له : قلوديوس أربع عشرة سنة .

ثم ملك بعده نيرون، الذى قتل فطرس وبولس، وصلبه منكّسا، أربع عشرة سنة .

ثم ملك بعده بوطلايوس ، أربعة أشهر .

ثم ملك بعده أسفسيانوس أبو ططوس الذى وجّهه إلى بيت المقدس عشر سنين . ولمضىّ ثلاث سنين من ملكه وتمام أربعين سنة من وقت رفع عيسى عليه السلام وَجّه أسفسيانوس ابنَه ططوس إلى بيت المقدس، حتى هدّمه وقتل مَنْ قتل من بنى إسرائيل غضباً للمسيح ١/٧٤٢

ثم ملك بعده ططوس بن أسفسيانوس، سنتين .

ثم من بعده دو مطيانوس، ست عشرة سنة .

ثم من بعده نارواس(1)، ست سنين .

ثم من بعده طرايانوس(2)، تسع عشرة سنة .

ثم من بعده هدريانوس، إحدى وعشرين سنة .

ثم ملك من بعده ططورس(3) بن بطيانوس؛ اثنتين وعشرين سنة .

ثم من بعده مرقوس وأولاده، تسع عشرة سنة .

ثم من بعده قوذوموس(4)، ثلاث عشرة سنة .

---

(١) ت : « باذاوس » ، س : « ثادواس » . (٢) ن : « طرطانوس » .

(٣) س : « طرطوس » . (٤) ح : « قودموس » ، س : « قوروموس » .

ثم من بعده فرطناجوس، ستة أشهر .
ثم من بعده سبروس[١] ، أربع عشرة سنة .
ثم من بعده أنطنياوس[٢]، سبع سنين .
ثم بعده مرقيانوس ، ستّ سنين .
ثم بعده أنطنيانوس، أربع سنين .
ثم الحسندروس ، ثلاث عشرة سنة .
ثم غسميانوس[٣] ، ثلاث سنين .
ثم جورديانوس ، ست سنين .
ثم بعده فليفوس ، سبع سنين .

٧٤٣/١

ثم داقيوس ، ست سنين .
ثم قالوس ، ست سنين .
ثم بعده والريبانوس وقاليونس[٤] ، خمس عشرة سنة .
ثم قلوديوس ، سنة .
ثمّ من بعده قريطاليوس ، شهرين .
ثم أورليانوس ، خمس سنين .
ثم طيقطوس ، ستة أشهر .
ثم فولوريوس ، خمسة وعشرين يوماً .
ثم فرابوس ، ست سنين .
ثم قوروس وابناه، سنتين .
ثم دوقلطيانوس ، ست سنين .
ثم محسميانوس ، عشرين سنة .
ثم قسطنطينوس ، ثلاثين سنة .
ثم قسطنطين ، ثلاثين سنة .
ثم قسطنطين عشرين سنة .

---

(١) ت : « شيروس » ، ن : « سريوس » . (٢) ت ، ن : « أنطيناوس » .
(٣) ح : « عسانوش » ، س : « عسانوس » ، ن : « عسانوس » .
(٤) ت : « فاليوس » .

ثم اليانوس المنافق ، سنتين .
ثم يويانوس ، سنة .
ثم والمطيانوس وغرطيانوس ، عشر سنين .
ثم خرطانوس ووالنطيانوس الصغير ، سنة .
ثم تياداسيس الأكبر ، سبع عشرة سنة .
ثم أرقديوس وأنوريوس ،عشرين سنة .
ثم تياداسيس الأصغر ووالنطيانوس ست عشرة سنة .
ثم مرقيانوس ، سبع سنين .
ثم لاون ، ست عشرة سنة .
ثم زانون ، ثمانى عشرة سنة . ثم أنسطاس، سبعا وعشرين سنة .
ثم يوسطنيانوس، سبع سنين . ٧٤٤/١
ثم يوسطنيانوس الشيخ ، عشرين سنة .
ثم يوسطينس[1] اثنتى عشرة سنة .
ثم طيباريوس، ست سنين .
ثم مريقيس وتاذاسيس ابنه ، عشرين سنة .
ثم فوقا الذى قُتل ، سبع سنين وستة أشهر .
ثم هِرَقْل الذى كتب إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثلاثين سنة .

فمن لدن عُمِر بيت المقدس بعد تخريبه[2] بختنصَّرُ إلى الهجرة ـ على قولهم ـ ألف سنة ونيفٌ ، ومن مُلك الإسكندر إليها تسعمائة سنة ونيّف وعشرون سنة ، من ذلك من وقت ظهوره إلى مولد عيسى ثلثمائة سنة وثلاث سنين . ومن مولده إلى ارتفاعه اثنتان وثلاثون سنة . ومن وقت ارتفاعه إلى الهجرة خمسمائة وخمس وثمانون سنة وأشهر .

* * *

وزعم بعض أصحاب الأخبار أن قتل بنى إسرائيل يحيى بن زكرياء كان فى عهد أردشير بن بابك لثمانىَ سنين خلتْ من ملكه ، وأن بختنصّر إنما صار إلى الشأم لقتال اليهود من قِبَل سابور الجنود ابن أردشير بن بابك

(١) ت ، ح ، ن : « بوسطسين » ، س : « بوسطيس » .
(٢) ابن الأثير : « بعد أن أخربه بختنصر » .

نزول قبائل
العرب الحيرة والأنبار أيام ملوك الطوائف

وكان من الأحداث أيامَ ملوك الطوائف إلى قيام أردشير بن بابك بالمُلْك — فيما ذكر هشام بن محمد — دنوّ مَنْ دنا من قبائل العرب من ريفِ العراق ونزول مَنْ نزل منهم الحيرة والأنبار وما حوالى ذلك .

١/٧٤٥ فحُدِّثت عن هشام بن محمد، قال : لما مات بختنصّر انضمّ الذين كان أسكنَهم الحيرة من العرب حين أمر بقتالهم إلى أهل الأنبار وبقِيَ الحيرُ خرابا ، فغبَرُوا بذلك زمانًا طويلا ، لاتطلع عليهم طالعة من بلاد العرب ، ولا يقدَم عليهم قادم ، وبالأنبار أهلها ومن انضمّ إليهم من أهل الحيرة من قبائل العرب من بنى إسماعيل وبنى معدّ بن عدنان ؛ فلما كثر أولاد معدّ ابن عدنان ومَنْ كان معهم من قبائل العرب ، وملئوا بلادهم من تِهامة وما يليهم ، فرّقتهم حروب وقعت بينهم ، وأحداث حدثت فيهم ، فخرجوا يطلبون المتّسع والريف فيما يليهم من بلاد اليمن ومشارف الشأم ، وأقبلت منهم قبائل حتى نزلوا البحرين ، وبها جماعة من الأزْد كانوا نزلوها فى دهر عمران بن عمرو ، من بقايا بنى عامر ، وهو ماء السماء بن حارثة[٢] ، وهو الغِطْرِيف بن ثعلبة بن امرىء القيس بن مازن بن الأزد[٣] .

وكان الذين أقبلوا من تِهامة من العرب مالك وعمرو ابنا فَهْم بن تيم الله ابن أسد بن وبَرة بن تَغْلِب بن حُلْوان بن عمران بن الحافِ بن قضاعة ، ومالك بن زهير بن عمرو بن فَهْم بن تيم الله بن أسد بن وبَرة ، فى جماعة من

---

(١) ح ، وابن الأثير : « وبقيت الحيرة » . . . (٢) ت « حارية » .

(٣) فى معجم البلدان ٣ : ٢٧٨ : « ومازن هو جماع غسان ، وغسان ماء شرب منه بنومازن فسموا غسان ، ولم تشرب منه خزاعه ولا أسلم ولا بارق ولا أزدعمان ؛ فلا يقال لواحد من هذه القبائل غسان ، وإن كان من أولاد مازن » .

قومهم ، والحَيقَار[1] بن الحيق[2] بن عُمَير بن قَنَص بن معدّ بن عدنان ، في قَنَص كلّها . ولحق بهم غطفان بن عمرو بن الطَّمَثان بن عوذ مناة بن يَقْدُم ابن أفصَى بن دُعْمِيّ بن إياد بن نزار بن معدّ بن عدنان ، وزُهْر[3] بن الحارث بن الشلل[4] بن زهر بن إياد وصُبح بن صبيح[5] بن الحارث بن أفصى بن دُعْمِيّ بن إياد .

٧٤٦/١

فاجتمع بالبحرين جماعة من قبائل العرب ، فتحالفوا على التَّنُوخ — وهو المقام — وتعاقدوا على التوازر والتناصر ، فصاروا يداً على الناس ، وضَمّهم اسم تَنُوخ ، فكانوا بذلك الاسم ، كأنهم عُمارة من العمائر .

قال : وتَنَخ عليهم بطون من نُمارة بن لخم . قال : ودعا مالك بن زهير جَذِيمَة الأبرش بن مالك بن فهم بن غانم بن دَوْس الأزديّ إلى التَّنوخ معه ، وزوّجه أخته لميس ابنة زهير ، فتَنخ جَذِيمة بن مالك وجماعة ممّن كان بها من قومهم من الأزد ، فصار مالك وعمرو ابنا فهم والأزد حُلَفاء دون سائر تَنُوخ ، وكلمة تَنُوخ كلّها واحدة .

٧٤٧/١

وكان اجتماع من اجتمع من قبائل العرب بالبحرين وتحالفهم وتعاقدهم أزمان ملوكِ الطوائف الذين ملّكهم الإسكندر ، وفرّق البلدان بينهم عند قتله دارا بن دارا ملك فارس ، إلى أن ظهر أردشير بن بابك ملك فارس على ملوك الطوائف ، وقهرهم ودان له الناس ، وضبط له الملك .

قال : وإنما سُمّوا ملوك الطوائف ؛ لأنّ كلّ ملك منهم كان ملكه قليلا من الأرض ، إنما هي قصور وأبيات ، وحولها خندق وعدوّه قريب منه ، له من الأرض مثل ذلك ونحوه ، يُغير أحدُهما على صاحبه ثم يرجع كالخطفة .

قال : فتطلّعتْ أنفسُ مَنْ كان بالبحرين من العرب إلى ريف العراق ،

---

(١) ابن الأثير ١ : ١٩٦ ومعجم البلدان : « الحيقاد » ، وابن خلدون ٢ : ٤ : « الخفتار » .

(٢) معجم البلدان : « الحيوة » .

(٣) ابن خلدون : « زهير » .

(٤) ح : « السلل » وفي ابن خلدون : « اليل » .

(٥) في ط من غير نقط ؛ وما أثبته عن ابن خلدون .

وطمعوا فى غلبة الأعاجم على ما يلى بلاد العرب منه أو مشاركتهم فيه ، واهتبلوا ما وقع بين ملوك الطوائف من الاختلاف ، فأجمع رؤساؤهم بالمسير[١] إلى العراق ، ووطّن جماعة ممن كان معهم على ذلك ؛ فكان أول مَنْ طلع منهم الحيقار بن الحيق فى جماعة قومه وأخلاط من الناس ، فوجدوا الأرمانيين — وهم الذين بأرض بابل وما يليها إلى ناحية الموصل — يقاتلون الأردوانيين ، وهم ملوك الطوائف ؛ وهم فيما بين نِفَّر[٢] — وهى قرية من سواد العراق إلى الأبلّة وأطراف البادية — فلم تَدِنْ لهم ، فدفعوهم عن بلادهم .

٧٤٨/١ قال : وكان يقال لعاد إرم ، فلما هلكت قيل لثمود إرم ، ثم سمّوا الأرمانيّين ؛ وهم بقايا إرمَ ، وهم نَبَط السواد . ويقال لدمشق : إرم .

قال : فارتفعوا عن سواد العراق وصاروا أشلاء بعدُ فى عرب الأنبار وعرب الحيرة ، فهم أشلاء قَنَص بن معدّ ، وإليهم ينسب عمرو بن عدىّ بن نصر ابن ربيعة بن عمرو بن الحارث بن سعود بن مالك بن عَمَم بن نُمارة بن لخم .

وهذا قول مضر[٣] وحمّاد الرواية ؛ وهو باطل ، ولم يأت فى قَنَص ابن معدّ شىء أثبتُ من قولُ جُبير بن مُطْعِم : إنّ النعمان كان من ولده .

قال : وإنما سمّيت الأنبار أنبار لأنها كانت تكون فيها أنابير الطعام ، وكانت تسمّى الأهراء[٤] ، لأنّ كسرى يرزق أصحابه رزقهم منها .

قال : ثم طلع مالك وعمرو ، ابنا فَهْم بن تيم الله ، ومالك بن زهير بن فَهْم بن تيم الله ، وغَطَفان بن عمرو بن الطَّمَثان ، وزهر بن الحارث وصُبح ابن صُبيح ؛ فيمن تَنَخ عليهم من عشائرهم وحلفائهم على الأنبار ، على ملك الأرْمانيين ، فطلع نُمارة بن قيس بن نُمارة ، والنجدة — وهم قبيلة من العماليق يدعوْن إلى كندة — وملكان بن كندة ، ومالك وعمرو ابنا فَهْم ومَنْ حالفهم ، وتَنَخ معهم على نِفَّر على ملك الأردوانيّين ، فأنزلهم الحِيرَ الذى كان بناه

(١) ابن الأثير ١ : ١٩٦ : « على المسير » .

(٢) كذا ضبطها ياقوت : « بكسر أوله وتشديد ثانيه وراء » .

(٣) ابن خلدون : « عند نسابة مضر » .

(٤) قال ياقوت : « فلما دخلتها العرب عربتها فقالت الأنبار » .

٧٤٩/١ بختنصّر لتجّار العرب الذين وُجِدوا[١] بحضرته حين أمر بغزو العرب في بلادهم ، وإدخال الجيوش عليهم ، فلم تزل طالعة الأنبار وطالعة نفرٍ على ذلك ، لا يدينون للأعاجم ، ولا تدين لهم الأعاجم ؛ حتى قدمها تُبَّع — وهو أسعد أبو كَرِب بن ملكيكرب — في جيوشه ، فخلّف بها مَنْ لم تكن به قوة من الناس ، ومن لم يَقْوَ على المضيّ معه ، ولا الرجوع إلى بلاده ، وانضمّوا إلى هذا الحير ، واختلطوا بهم ؛ وفي ذلك يقول كعب بن جُعَيل بن عُجْرَة بن قُمير بن ثعلبة بن عوف بن مالك بن بكر بن حُبَيِّب بن عمرو بن غَنْم بن تغلب بن وائل :

وَغَزَا تُبَّعُ فِي حِمْيَرَ حَتَّى ... نَزَلَ ٱلْحِيرَةَ مِنْ أَهْلِ عَدَنْ

وخرج تبّع سائراً ثم رجع إليهم ، وأقاموا فأقرّهم على حالهم ، وانصرف راجعاً إلى اليمن ، وفيهم من كلّ القبائل من بنى لِحْيان ؛ وهم بقايا جُرْهم ؛ وفيهم جُعْفِيّ ، وطيء ، وكلب ، وتميم ؛ وليسوا إلا بالحيرة — يعنى بقاياجرهم . قال ابن الكلبيّ : لِحيان بقايا جُرْهم .

ونزل كثير من تَنُوخ الأنبارَ والحيرةَ وما بين الحيرة إلى طفّ الفرات وغربيّه ، إلى ناحية الأنبار وما والاها في المظالّ والأخبية ، لا يسكنون بيوت المدَر ، ولا يجامعون أهلها فيها ، واتّصلت جماعتهم فيما بين الأنبار والحيرة ، وكانوا يسمَّوْن عرب الضاحية ؛ فكان أول من ملك منهم في زمان ملوك الطوائف

٧٥٠/١ مالك بن فَهْم ، وكان منزله مما[٢] يلي الأنبار . ثم مات مالك ، فملك من بعده أخوه عمرو بن فَهْم . ثم هلك عمرو بن فهم ، فملك من بعده جَذِيمة الأبرش بن مالك بن فَهْم بن غَنْم[٣] بن دَوْس الأزديّ .

قال ابن الكلبيّ : دَوْس بن عُدْثان بن عبد الله بن نصر بن زَهْران ابن كعب بن الحارث بن كعب بن عبد الله بن مالك بن نصر بن الأزد بن

---

(١) كذا في ح ، وفي ط : « وجد »

(٢) ت ، ح : « فيما » .

(٣) في ط « غانم » ، والصواب ما أثبته من جمهرة الأنساب ٣٥٨ .

الغوث بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ .

* * *

قال ابن الكلبيّ : ويقال إن جَذِيمة الأبرش من العاربة الأولى ، من بنى وَبَار بن أميم بن لوذ بن سام بن نوح . قال : وكان جَذِيمة من أفضل ملوك العرب رأيا ، وأبعدهم مُغاراً ، وأشدّهم نِكاية ، وأظهرهم حزماً ، وأوّل من استجمع له الملك بأرض العراق ؛ وضمّ إليه العرب، وغزا بالجيوش ، وكان به بَرَص ، فكنَت العرب عنه ، وهابت العرب أن تسمّيَه به وتنسبه إليه إعظامًا له ، فقيل : جَذِيمة الوضّاح ، وجَذِيمة الأبرش ؛ وكانت منازله فيما بين الحيرة والأنبار وبقّةَ وهِيت وناحيتها، وعين التَّمْر ، وأطراف البرّ إلى الغُوَيْر [1] والقُطْقُطانة وخَفِيّة وما والاها ، وتُجْبَى إليه الأموال ، وتَفِد إليه الوفود ، وكان غزا طسما وجَديسا فى منازلهم من جوّ وما حولها ؛ وكانت طسم وجديس يتكلّمون بالعربية ، فأصاب حسانَ بن تبّع أسعد أبى كرب ، قد أغار على طسْم وجديس باليمامة ، فانكفأ جذيمة راجعاً بمن معه ، وتأتى خيول تُبَّع على سريّة لجذيمة فاجتاحتها ، وبلغ جذيمةَ خبرُهم ، فقال جذيمة [2] : ١/٧٥١

رُبَّمَا أَوْفَيْتُ فِى عَلَمٍ ... تَرْفَعَنْ بُرْدِى شَمَالاتُ [3]

فى فُتُوٍّ أنَا كَالِئُهُمْ ... فى بلايا غَزْوَةٍ باتوا [4]

ثُمَّ أُبْنَا غَانِمِى نَعَمٍ ... وَأُنَاسٌ بَعْدَنَا مَاتُوا

نَحْنُ كُنَّا فى تَمَرّهِمُ ... إذْ مَمَرّ القَوْمِ خوّاتُ

لَيْتَ شِعْرِى ما أماتَهُمُ ... نَحْنُ أَدْلَجْنَا وَهُمْ بَاتوا [5]

---

(١) ط : « الغمير » وانظر معجم البلدان .

(٢) وردت أبيات من هذه القصيدة فى سيبويه ٢ : ١٥٤ ، وابن سلام ٣٢ ، ٣٣ ، والأغانى ١٤ ، ٧٣ ، والمؤتلف للآمدى ٣٤ . والخزانة ٤ : ٥٦٧ ؛ مع اختلاف فى الرواية .

(٣) أوفيت : أشرفت ، والعلم : المرتفع من الأرض ، والشمالات : جمع الشمال ؛ من الرياح والنون فى « يرفعن » ، تأكيد للفعل ضرورة .

(٤) فتو : جمع فتى ، وكالئهم : حافظهم .

(٥) الإدلاج : سير الليل كله .

وَلَنَا كَانُوا وَنَحْنُ إِذَا ... قَالَ مِنَّا قَائِلٌ صَاتُوا
وَلَنَا ٱلْبِيدُ ٱلْبِعَادُ ٱلَّتِى ... أَهْلُهَا السُّودَانُ أَشْتَاتُ
ثُبَةُ ٱلْأَخْيَارِ شَاهِدَةٌ ... ذَا كُمُ قَوْمِى وأَهلاَتِى[1]
قَدْ شَرِبْتُ الْخَمْرَ وَسْطَهُمُ ... نَاعِماً فِى غَيْرِ أَصْوَاتِ
فَعَلَى مَا كَانَ مِنْ كَرَمٍ ... فَسَتَبْكِينِى بُنَيَّاتِى
أَنَا رَبٌّ النَّاسِ كُلِّهِمُ ... غَيْرَ رَبِّى الْكَافِتِ الْفَاتِ

يعنى بالكافت الذى يكفت أرواحهم ، والفات الذى يفيتُهم[2] أنفسهم ؛ يعنى الله عزّ وجلّ .

قال ابن الكلبىّ : ثلاثة أبيات منها حقّ ، والبقية باطل .

قال : وفى مغازيه وغاراته على الأمم الخالية من العاربة الأولى يقول الشاعر فى الجاهلية :

٧٥٢/١ أَضْحَى جَذِيمَةُ فِى يَبْرِينَ مَنْزِلِهِ ... قَدْ حَازَ مَاجَمَعَتْ فِى دَهْرِهَا عَادُ

فكان جذيمة قد تنبّأ وتكهّن ،واتخذ صنمين ؛ يقال لهما : الضيزنان — قال : ومكان الضيزنين بالحيرة معروف— وكان يستسقى بهما ويستنصر بهما على العدوّ ، وكانت إياد بعين أباغ ، وأباغ رجل من العماليق ، نزل بتلك العين ، فكان يغازيهم ؛ فذُكِر لجذيمة غلام من لخم فى أخواله بن إياد يقال له عدىّ بن نصر بن ربيعة بن عمرو بن الحارث بن سعود بن مالك بن عم بن نُمارة بن لخم ، له جمال وظرف ، فغزاهم جذيمة ، فبعث إياد قوماً فسقوا سدنة الصنميْن الخمر ، وسرقوا الصنميْن ، فأصبحا فى إياد ، فبعث إلى جذيمة: إنّ صنميْك أصبحا فينا ،زهداً فيك ورغبة فينا ؛ فإن أوثقت لنا ألاّ تغزونا رددناهما إليك .

قال : وعدىّ بن نصر تدفعونه إلىّ . فدفعوه إليه مع الصنميْن ، فانصرف

(١) ط : « ثبوة » . وفى البيت وما بعده إقواء ، وانظر حواشى ط .
(٢) ط : « يفتهم » .

عنهم ، وضمّ عديًّا إلى نفسه ، وولاّه شرابه ، فأبصرته رَقاش ابنة مالك أختُ جَذِيمة ، فعشِقته وراسلته ، وقالت : يا عديّ ، اخطبني إلى الملك ، فإنّ لك حسبًا وموضعًا ، فقال : لا أجترئ على كلامه فى ذلك ، ولا أطمع أن يزوِّجَنيك ، قالت : إذا جلس على شرابه ، وحضرَه ندماؤه ، فاسقِه صِرْفًا ، واسق القوم مِزاجاً ، فإذا أخذتِ الخمرة فيه ، فاخطبني إليه ، فإنه لن يردّك ، ولن يمتنع منك ؛ فإذا زوّجك فأشهِد القوم ؛ ففعل الفتى ما أمرْته به ، فلما أخذت الخمرة مأخذَها خطبها إليه ، فأملكه إياها ، فانصرف ٧٥٣/١ إليها ، فأعرس بها من ليلته ، وأصبح مضرَّجاً بالخَلوق ، فقال له جذيمة — وأنكر ما رأى به : ما هذه الآثار يا عديّ ؟ قال : آثار العُرس ، قال أىّ عُرس ! قال : عُرس رَقاش ! قال : مَنْ زوّجكها ويحك ! قال : زوجتَنيها الملك ، فضرب جَذِيمة بيده على جبهته ، وأكبّ على الأرض ندامة وتلهّفاً ، وخرج عديّ على وجهه هاربًا ، فلم يُرَ له أثر ، ولم يُسْمع له بذكر ، وأرسل إليها جذيمة ، فقال :

حَدِّثيني وأنْتِ لا تَكْذِبيني ... أبِحُرٍّ زَنَيْتِ أمْ بِهَجِين !
أمْ بِعَبْدٍ فأنْتِ أهْلٌ لِعَبْدٍ ... أمْ بِدُونٍ فأنْتِ أهْلٌ لِدُونِ

فقالت : لا بل أنت زوّجتَني امرأ عربيًا ، معروفاً حسيباً ، ولم تستأمرْني فى نفسي ، ولم أكن مالكةً لأمري ؛ فكفّ عنها ، وعرف عذرَها .

ورجع عديّ بن نصر إلى إياد ، فكان فيهم ، فخرج ذات يوم مع فتية متصيّدين ، فرمى به فتىً منهم من لِهْب فيما بين جبلين ، فتنكّس فمات ، واشتملت رَقاش على حَبَل[1] ، فولدت[2] غلاماً ، فسمّته عمرًا ورشّحته[3] ؛ حتى إذا ترعرع عطّرته وألبسته وحلته ، وأزارته خالَه جَذِيمة ، فلما رآه أعجبَ به ، وألقيتْ عليه منه مِقة ومحبة ، فكان يختلف مع ولده ، ويكون معهم . فخرج جذيمة متبديًا بأهله وولده فى سنة خصبة مُكْلِئة ، فضرِبتْ له أبنية فى رَوْضة ذات زهرة وغُدُر[4] ، وخرج ولده وعمرو معهم يجتنون الكمأة ،

---

(١) ح : « حمل » . (٢) كذا فى ابن الأثير ، وفى ط : « فتلد » .
(٣) رشحته ، أى ربته . (٤) غدر : جمع غدير .

١/٧٥٤ فكانوا إذا أصابوا كمأة جيِّدة أكلوها ، وإذا أصابها عمرو خبأها فى حُجْزَته[1] فانصرفوا إلى جذيمة يتعادوْن ، وعمرو يقول :

هٰذَا جَنَایَ وَخِيَارُهُ فِيهِ إِذْ كُلُّ جَانٍ يَدُهُ إِلَى فِيهِ

فضمَّه إليه جَذِيمة والتزمه ، وسُرّ بقوله وفعله ، وأمر فجعل له حلىّ من فضة وطوق ، فكان أولَ عربىّ ألبس طوقًا ، فكان يسمَّى عمرًا ذا الطوْق ، فبينما هو على أحسن حاله ، إذ استطارته الجنّ فاستهوته ، فضرب له جَذِيمة فى البلدان والآفاق زماناً لا يقدر عليه . قال : وأقبل رجلان أخوان منَ بَلْقَيْن — يقال لهما : مالك وعَقِيل ، ابنا فارج بن مالك بن كعب بن القَيْن بن جَسْر ابن شيع الله بن أسد بن وَبَرة بن تغلِب بن حُلوان بن عمران بن الحافِ بن قُضاعة — من الشام يريدان جَذِيمة ، قد أهديا له طُرَفا ومتاعًا ، فلما كانا ببعض الطريق نزلا منزلاً ، ومعهما قيْنة لهما يقال لها : أمّ عمرو ، فقدّمت إليهما طعامًا ، فبينما هما يأكلان إذ أقبل فتىً عُريان شاحب ، قد تلبَّد شَعْره ، وطالت أظفاره ، وساءت حاله ، فجاء حتى جلس حَجْرَة[2] منهما ، فمدّ يده يريد الطعام ، فناولتْه القينة كُراعا[3] ، فأكلها ثم مدّ يَده إليها ، فقالت : «تعطِى العبد كُراعا فيطمع فى الذراع» ، فذهبت مثلا ، ثم ناولت الرجلين من شراب كان معها ، وأوكَتْ زِقَّها[4] ، فقال عمرو بن عدى :

١/٧٥٥ صَدَدْتِ الْكَأْسَ عَنَّا أُمَّ عَمْرٍو وَكَانَ الْكَأْسُ مَجْرَاهَا الْيَمِينَا[5]

وَمَا شَرُّ الثَّلاثَةِ أُمَّ عَمْرٍو بِصَاحِبِكِ الذى لا تَصْحَبِينَا[6] !

فقال مالك وعَقِيل : من أنت يا فتى ؟ فقال : إن تنكرانى أو تنكرا نسبى ، فإنى أنا عمرو بن عدىّ ، ابن تنوخيَّة ، اللخمىّ ، وغداً ما تريانى فى نمارة غير معصىّ » .

(١) الحجزة : معقد الإزار ، وفى ت : « حجرته » . (٢) الحجرة : الناحية .

(٣) الكراع : مستدق الساق من البقر الغنم .

(٤) الزق : السقاء ، وأوكى الزق : ربطه وشد عليه .

(٥) البيتان ينسبان إلى عمرو بن كلثوم ؛ وهما فى معلقته ص ٢١١ — بشرح التبريزى .

(٦) فى المعلقات : « لا تصبحينا » .

فنهضا إليه فضمّاه وغسلا رأسه، وقلّما أظفاره ، وأخذا من شعره وألبساه مما كان معهما من الثياب وقالا : ما كنا لنُهديَ لجذيمَة هديّة أنفسَ عنده ، ولا أحبّ إليه من ابن أخته ، قد ردّه الله عليه بنا . فخرَجا به ، حتى دفعا إلى باب جَذِيمة بالحيرة ، فبشّراه، فسرّ بذلك سروراً شديداً ؛ وأنكره لحال[1] ما كان فيه، فقالا : أبيت اللعن ! إنّ من كان فى مثل حاله يتغيّر . فأرسل به إلى أمّه ، فمكث عندها أياماً ثم أعادته إليه، فقال : لقد رأيتُه يوم ذهب وعليه طَوْق ، فما ذهب عن عينى ولا قلبى إلى الساعة ، فأعادوا عليه الطوْق ، فلما نظر إليه قال: « شبّ عمرو عن الطَّوْق »، فأرسلها مثلا ، وقال لمالك وعقيل : حُكْمُكما ، قالا : حُكْمنا منادمتك ما بقينا وبقيت ! فهما نَدْمانا جَذِيمة اللذان ضُرِبا مثلاً فى أشعار العرب ، وفى ذلك يقول أبو خراش الهذلىّ : ٧٥٦/١

لَعَمْرُكَ مَا مَلَّتْ كَبِيشَةُ طَلْعَتِى ... وَإِنَّ ثَوَائِى عِنْدَهَا لَقَلِيلُ[2]
أَلَمْ تَعْلَمِى أَنْ قَدْ تَفَرَّقَ قَبْلَنَا ... نَدِيمَا صَفَاءٍ مَالِكٌ وَعَقِيلُ

وقال مُتمّم بن نويرة :

وَكُنَّا كَنَدْمَانَىْ جَذِيمَةَ حِقْبَةً ... مِنَ الدَّهْرِ حَتَّى قِيلَ لَنْ يَتَصَدَّعَا[3]
فَلَمَّا تَفَرَّقْنَا كَأَنِّى وَمَالِكاً ... لِطُولِ اجْتِمَاعٍ لَمْ نَبِتْ لَيْلَةً مَعَا

* * *

وكان مَلِك العرب بأرض الجزيرة ومشارف بلاد الشام عمرو بن ظرب ابن حسّان بن أذينة بن السَّمَيْدَع بن هوبر العمليقىّ — ويقال العمليقىّ ، من

(١) ن : « بحال » .
(٢) ديوان الهذليين ٢ : ١١٦ . والثواء : المقام ، وبعد البيت الأول وقبل الثانى :

تَقُولُ أَرَاهُ بَعْدَ عُرْوَةَ لَاهِياً ... وَذَلِكَ رُزْءٌ لَوْ عَلِمْتِ جَلِيلُ
وَلَا تَحسبى أنِّى تناسيتُ عَهْدَهُ ... وَلَكِنَّ صَبْرِى يا أُمَيمَ جَمِيلُ

(٣) من قصيدة مفضلية ص ٢٦٧ .

عاملة العماليق ، فجمع جَذيمة جموعًا من العرب ، فسار إليه يريد غَزاته ، وأقبل عمرو بن ظَرِب بجموعه من الشام ، فالتقوْا ، فاقتتلوا قتالا شديداً ، فقُتِل عمرو بن ظَرِب ، وانفضّت جموعه ، وانصرف جَذيمة بمن معه سالمين غانمين ، فقال فى ذلك الأعور بن عمرو بن هُناءة بن مالك بن فهم الأزدىّ :

١/٧٥٧ كَأَنَّ عَمْرَو بْنَ ثَرْبِى لَمْ يَعِشْ مَلِكاً ... وَلَمْ تَكُنْ حَوْلَهُ الرَّايَاتُ تَخْتَفِقُ[1]

لاقَى جَذِيمَةَ فِى جَأْوَاءَ مُشْعِلَةٍ ... فِيهَا حَرَاشِفُ بِالنِّيرَانِ تَرْتَشِقُ[2]

* * *

فملكت من بعد عمرو ابنته الزّبّاء واسمها نائلة ، وقال فى ذلك القعقاع بن الدرماء الكلبىّ :

أَتَعْرِفُ مَنْزِلًا بَيْنَ الْمُنَقَّى ... وَبَيْنَ مَجَرِّ نَائِلَةَ الْقَدِيمِ

وكان جنود الزّبّاء بقايا من العماليق والعاربة الأولى ، وتزيد وسَليح ابنى حُلْوان ابن عمران بن الحاف بن قُضاعة ، ومَنْ كان معهم من قبائل قضاعة ، وكانت للزّبّاء أخت يقال لها زبيبة ، فبنت لها قصراً حصينًا على شاطئ الفرات الغربىّ ، وكانت تَشْتُو عند أختها ، وتَرْبع ببطن النجّار ، وتصير إلى تَدمُر . فلما أن استجمع لها أمرُها ، واستحكم لها مُلْكها ، أجمعت لغزو جَذيمة الأبرش تطلب بثأر أبيها ، فقالت لها أختها زبيبة — وكانت ذات رأى ودهاء وإرْب : يا زبّاء ، إنّك إن غزْوت جَذيمة فإنما هو يوم له ما بعده ؛ إن ظفرتِ أصبت ثأرك ، وإن قُتِلْتِ ذهب مُلْكُك ، والحرب سِجال ، وعثراتها لا تستقال[3] ، وإنّ كَعْبَك لم يزل ساميًا على من ناوأكِ وساماك ، ولم ترىْ بؤْسًا ولا غِيَرا ، ولا تدرين لمن تكون العاقبة ، وعلى من تكون الدائرة ! فقالت لها الزّبّاء : قد ١/٧٥٨ أدّيتِ النصيحة ، وأحسنتِ الرويّة ، وإن الرأىَ ما رأيت ، والقول ما قلت . فانصرفتْ عمّا كانت أجمعت عليه من غزو جَذيمة ، ورفضت ذلك ، وأتت

---

(١) البيتان فى شرح المقامات للشريشى ٢ : ٥

(٢) الجأواء : الكتيبة . والحرشف : الرجالة ؛ شبهوا بجماعة الجراد .

(٣) ح : « تقال » .

أمرها من وجوه الخَتْل[١] والخَدْع والمكر . فكتبت إلى جَذيمة تدعوه إلى نفسها وملكها ، وأن يصلَ بلاده ببلادها . وكان فيما كتبت به : أنها لم تجد مُلْك النساء إلاّ إلى قبيح فى السماع ، وضعف فى السلطان ، وقلة ضبط المملكة ، وإنها لم تجِدْ لملكها موضعًا ، ولا لنفسها كفئًا غيرك، فأقبِلْ إلىّ ، فاجمع مُلْكِي إلى مُلْكك ، وصِلْ بلادى ببلادك ، وتقلّدْ أمرى مع أمرك .

فلما انتهى كتابُ الزّبّاء إلى جَذيمة ، وقدم عليه رسُلُها استخفّه ما دعتْه إليه ، ورغب فيما أطمعته فيه ، وجمع إليه أهلَ الحجى والنُّهى ، من ثقات أصحابه ، وهو بالبَقَّة من شاطئ الفرات ، فعرض عليهم ما دعتْه إليه الزّبّاء ، وعرضته عليه ، واستشارهم فى أمره ، فأجمع رأيهُم على أن يسير إليها ، ويستولِيَ على ملكها . وكان فيهم رجل يقال له قصير بن سعد بن عمر[٢] بن جذيمة بن قيس بن ربى[٣] بن نُمارة بن لَخْم . وكان سعد تزوّج أمَةً لجذيمة ، فولدت له قصيراً ، وكان أريبًا حازمًا ، أثيراً عند جذيمة ، ناصحاً ، فخالفهم فيما أشاروا به عليه ، وقال : «رأى فاتر ، وغدر حاضر» ، فذهبت مثلا . فرادّوه الكلامَ ونازعوه الرأى ، فقال : «إنى لأرى أمراً ليس بالخسا ولا الزكا»[٤] ، فذهبت مثلا . وقال لجذيمة : اكتب إليها ، فإن كانت صادقةً فلتقبل إليك ، وإلا لم تمكّنْها من نفسك ، ولم تقع فى حبالها ، وقد وتَرْتَها ، وقتلت أباها . فلم يوافق جَذيمة ما أشار به عليه قصير ، فقال قصير : ٧٥٩/١

إنِّى امْرُؤٌ لَا يُمِيلُ العَجْزُ تَرْوِيَتِي ... إذَا أَتَتْ دُونَ شَيْءٍ مِرَّةُ الْوَذَمِ

فقال جذيمة : لا ولكنك امرؤ رأيك فى الكِنّ لا فى الضَحّ ، فذهبت مثلا .

فدعا جَذيمة ابنَ أخته عمرو بن عدىّ فاستشاره ، فشجّعه على المسير ،

---

(١) ح : «الحيل» .

(٢) فى الأغانى وابن خلدون والشريشى : «عمرو» .

(٣) كذا فى س وفى ابن خلدون : «إربى» .

(٤) من قول العرب للزوج زكا وللفرد خسا ؛ ومنه : «ما أدرى كم حدثنى أبى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : أخسا أم زكا» . وانظر اللسان — خسا .

وقال : إن(١) نُمارة قومى مع الزبّاء، ولو قَدَروا لصاروا معك، فأطاعه وعصى قصيراً ، فقال قصير : «لا يطاع لقصير أمرٌ»، وفى ذلك يقول نهشل بن حَرّىّ ابن ضَمْرة بن جابر التميمىّ :

وَمَوْلًى عَصَانِى وَاسْتَبَدَّ بِرَأْيِهِ ... كَمَالَمْ يُطَعْ بِالْبَقَّتَيْنِ قَصِيرُ(٢)

فَلَمَّا رأى ما غِبَّ أَمْرِى وَأَمْرِهِ ... وَوَلَّتْ بِأَعْجَازِ الْأُمُورِ صُدُورُ(٣)

تَمَنَّى نَئِيشًا أَنْ يَكُونَ أَطَاعَنِى ... وَقَدْ حَدَثَتْ بَعْدَ الْأُمُورِ أُمُورُ

وقالت العرب : «ببقّة أبرمَ الأمر» ، فذهبت مثلا ، واستخلف جذيمة عمرو بن عدىّ على مُلْكه وسلطانه ، وجعل عمرو بن عبد الجِنّ الجرْمىّ معه على خيوله ، وسار فى وجوه أصحابه ، فأخذ على الفرات من الجانب الغربىّ. ١/٧٦٠ فلما نزل الفُرْضَة دعا قصيراً ، فقال : ما الرأى ؟ قال : «ببقّة تركت الرأىَ» ، فذهبت مثلا ، واستقبلته رُسُلُ الزّباء بالهدايا والألطاف ، فقال : يا قصير ، كيف ترى ؟ قال : «خَطَرٌ يسيرٌ فى خَطْب كبير»(٤)، فذهبت مثلا ، وستلْقاكَ الخيول ؛ فإن سارتْ أمامك فإن المرأة صادقة ؛ وإن أخذتْ جنبيْك وأحاطت بك من خلْفك ؛ فإن القوم غادرون، فاركب العصا — وكانت فرسًا لجذيمة لا تجارَى — فإنّى راكبُها ومسايرك عليها . فلقيتْه الخيول والكتائب، فحالت بينه وبين العصا ، فركبها قصير ، ونظر إليه جَذيمة موليًا على متْنها ، فقال: «ويل امّه حزْمًا على ظهر العصا ! »، فذهبت مثلا ، فقال: يا ضُلَّ ما تجرى به العصا ! وجرتْ به إلى غروب الشمس ثم نَفَقت ، وقد قطعت أرضًا بعيدة ، فبنى عليها بُرْجًا يقال له برج العصا . وقالت العرب : «خيرٌ ما جاءت به العصا» ، مثل تضربه .

وسار جَذيمة ، وقد أحاطت به الخيول ، حتّى دخل على الزبّاء ، فلما

---

(١) ح : «إنما» ، وكذا فى ابن الأثير .

(٢) الأبيات فى اللسان ٨ : ٢٤١ ، وياقوت ٢ : ٢٥٣ .

(٣) فى ط : «فلما تبين» ، وأثبت ما فى ياقوت واللسان .

(٤) فى مجمع الأمثال ن ١ : ٢٣٣ : «خطب يسير» .

رأته تكشّفت فإذا هي مضفورة الإسب[١]، فقالت: يا جذيمة «أدأب عروس ترى!» [٢]، فذهبت مثلا، فقال: بلغ المدَى، وجفّ الثرى، وأمرَ غَدْرٍ أرى، فقالت: «أما وإلهي ما بنا من عدم مَوَاس، ولا قلّة أواس؛ ولكنه شيمة ما أناس»[٣]. فذهبت مثلا، وقالت: إني أنبئت أن دماء الملوك شفاءٌ من الكلب، ثم أجلسته على نطع، وأمرت بَطسْتٍ من ذهب، فأعدّته له وسقته من الخمر حتى أخذت مأخذَها منه، وأمرت براهشَيْه فقطعا، وقدّمت إليه الطَّسْت، وقد قيل لها: إن قَطرَ من دمه شيءٌ في غير الطَّسْت طُلب بدمه — وكانت الملوك لا تُقتَل بضرب الأعناق إلا في قتال، تكرِمة للمُلْك — فلما ضعفت يداه سقطتا، فقطر من دمه في غير الطست، فقالت: لاتضيّعوا دم الملك، فقال جذيمة: «دعوا دماً ضيّعه أهله»، فذهبت مثلا، فهلك جَذِيمة واستبقت[٤] الزباء دمه، فجعلته في بِرسٍ[٥] قطن في رَبْعة لها، وخرج قَصير من الحيّ الذي هلكت العصا بين أظهرهم؛ حتى قدم على عمرو ابن عدى وهو بالحيرة، فقال له قصير: أداثرٌ أم ثائرٌ[٦]، قال: لا، بل ثائرٌ سائرٌ، فذهبت مثلا، ووافق قصير الناس وقد اختلفوا، فصارت طائفة منهم مع عمرو بن عبد الجنّ الجرميّ، وجماعة منهم مع عمرو بن عديّ؛ فاختلف بينهما قصير حتى اصطلحا؛ وانقاد عمرو بن عبد الجنّ لعمرو بن عديّ، ومال إليه الناس، فقال عمرو بن عديّ في ذلك: ١/٧٦١

---

(١) ت، س: «الاست»، ح: «السوءة»، والاسب: شعر الاست.

(٢) كذا في الطبرى وابن الأثير وتجارب الأمم ٩، وفي المغتالين من الأشراف ١١٤: «أذات عروس»، وفي المسعودى ٢ : ٩٤ : «أي متاع عروس»؛ وبعدها في الأغاني ١٤ : ٧٤ : «بل أرى متاع أمة لكعاء غير ذات خفر».

(٣) في الأغاني: «شيمة من أناس».

(٤) كذا في ح، وفي ط: «واستشفت»، وفي المسعودى: «استصفت».

(٥) كذا في ط، وفي المسعودى: «وجعلته في برنية».

(٦) في الميداني: «أثائر أنت».

دَعَوْتُ ابْنَ عَبْدِ الجِنِّ لِلسِّلْمِ بَعْدَمَا ... تَتَايَعَ فى غَرْبِ السَّفَاهِ وَكَلْسَمَا[1]

فَلَمَّا ارْعَوَى عَنْ صَدِّنَا بِاعْتِرَامِهِ ... مَرَيْتُ هَوَاهُ مَرْىَ آمٍ رَوَائِمَا

فقال عمرو بن عبد الجنّ مجيبًا له :

أَمَا وَدِمَاءٍ مَائِرَاتٍ تَخَالُهَا ... عَلَى قُلَّةِ العُزَّى أوِ النَّسْرِ عَنْدَمَا

١/٧٦٢ وَمَا قَدَّسَ الرُّهْبَانُ فى كُلِّ هَيْكَلٍ ... أَبِيلَ الأَبِيلِينَ المَسِيحَ بْنَ مَرْيَمَا

— قال : هكذا وجد الشعر ليس بتامّ ؛ وكان ينبغى أن يكون البيت الثالث : « لقد كان كذا وكذا » —

— فقال قصير لعمرو بن عدىّ : تهيأ واستعدّ ، ولا تُطِلّ دمَ خالك . قال : وكيف لى بها وهى أمنع من عُقاب الجو ؟ فذهبت مثلا ، وكانت الزّباء سألت كاهنةً لها عنْ أمرها وملكها ، فقالت : أرى هلاكَكِ بسبب غلام مهين ؛ غير أمين ، وهو عمرو بن عدىّ ؛ ولن تموتى بيده ، ولكنّ حتفك بيدك ، ومن قبَله مايكون ذلك . فحذِرت عمراً ، واتّخذت نفقًا من مَجْلسها الذى كانت تجلس فيه إلى حصن لها داخل مدينتها ، وقالت : إن فَجَأنى أمر دخلت النفق إلى حصنى . ودعت رجلا مُصوّراً أجْوَد أهل بلادها تصويراً ، وأحسنهم عملاً لذلك ، فجهّزته وأحسنت إليه ، وقالت له : سر حتى تقدم على عمرو بن عدى متنكراً ، فتخلوَ بحشمه ، وتنضمّ إليهم ، وتخالطهم وتعلمهم ما عندك من العلم بالصور . والثقافة له ؛ ثم أثبتْ عمرو بن عدى معرفةً ، وصوّره جالسًا وقائمًا ، وراكبًا ومتفضّلاً ، ومتسلّحا بهيئته ولِبْسته وثيابه ولونه ؛ فإذا أحكمتَ ذلك ، فأقبل إلىّ .

١/٧٦٣ فانطلق المصوِّر حتى قدم على عمرو ، وصنع الذى أمرته به الزّباء ، وبلغ ما أوصته به ، ثم رجع إليها بعلم ما وجّهته له من الصُّور على ما وصفت له ، وأرادت أن تعرف عمرو بن عدىّ ، فلا تراه على حال إلا عرفتْه وحذِرته ،

---

(١) التتايع : الإسراع فى الشر، واللجاجة ، وفى ح : « تتابع » . وكلسم : ذهب فى سرعة .

وعلمت علمه . فقال قصير لعمرو بن عدىّ : اجْدَعْ أنفى واضرب ظهرى ، ودعْنى وإياها . فقال عمرو : ما أنا بفاعل وما أنت لذلك بمستحقٍّ منى ! فقال قصير : « خلِّ عنّى إذاً وخلاك ذمٌّ » . فذهبت مثلا .

قال ابن الكلبىّ : كان أبو الزبّاء اتّخذ النفق لها ولأختها، وكان الحصن لأختها فى داخل مدينتها ، قال : فقال له عمرو ، فأنت أبصر . فجدَع قصير أنفه ، وأثّر بظهره . فقالت العرب : « لمكر ما جدع أنفه قصير » ، وفى ذلك يقول المتلمس :

وَمِنْ حَذَرِ الْأَوْتَار ما حَزَّ أنْفَهُ قَصِيرٌ وَخَاضَ المَوْتَ بِالسَّيْفِ بَيْهَسُ (١)

ويروى : « ورام الموت » . وقال عدىّ بن زيد :

كَقَصِيرٍ إذْ لَمْ يَجِدْ غَيْرَ أنْ جَـ دَّعَ أشْرَافَهُ لِشُكْرٍ قَصِيرُ

فلما أن جدع قصيرٌ أنفه وأثّر تلك الآثار بظهره ، خرج كأنه هارب ، وأظهر أن عمرًا فعل به ذلك ، وأنه يزعم أنه مكَر بخاله جذيمة، وغرّه من الزبّاء ، فسارَ قصير حتى قدم على الزبّاء ، فقيل لها : إن قصيراً بالباب ، ٧٦٤/١ فأمرت به فأدخِل عليها، فإذا أنفُه قد جُدِع ، وظهره قد ضرب ، فقالت: ما الذى أرى بك يا قصير ؟ فقال : زعم عمرو بن عدى أنّى غررت خاله ، وزيّنت له السيرَ إليك. وغششته ومالأتُك عليه؛ ففعل بى ما ترين ! فأقبلتُ إليك ، وعرفت أنى لا أكونُ مع أحد هو أثقل عليه منك . فألطفتْه وأكرمته . وأصابت عنده بعض ما أرادت من الحزم والرأى والتجربة والمعرفة بأمور الملوك ؛

(١) من أبيات فى الحماسة ٢ : ٦٥٨ – بشرح المرزوق . وبيهس: رجل من فزارة كان يحمق ؛ فقتل له سبعة إخوة، فجعل يلبس القميص مكان السراويل ، والسراويل مكان القميص ، فإذا سئل عن ذلك قال :

البسْ لكلِّ عيشةٍ لَبُوسَها إمّا نعيمَها وإمّا بُوسَها

فتوصل بما صوره من حاله عند الناس إلى أن طلب بدماء إخوته .

فلمّا عرفت أنها قد استرسلت إليه ، ووثقت به ، قال لها : إنّ لى بالعراق أموالاً كثيرة ، وبها طرائف وثياب وعطر ؛ فابعثينى إلى العراق لأحمل مالى وأحمل إليك من بزُوزها وطرائف ثيابها ، وصنوف ما يكون بها من الأمتعة والطّيب والتجارات ، فتصيبين فى ذلك أرباحًا عظامًا ، وبعضَ ما لا غنى بالملوك عنه ؛ فإنه لا طرائف كطرائف العراق ! فلم يزل يزيّنُ لها ذلك حتّى سرّحته ، ودفعت معه عيراً ، فقالت : انطلق إلى العراق ، فبع بها ما جهزناك به ، وابتعْ لنا من طرائف ما يكون بها من الثياب وغيرها . فسار قصير بما دفعت إليه حتّى قدم العراق ، وأتى الحيرة متنكّراً ، فدخل على عمرو بن عدى ، فأخبره بالخبر ، وقال : جهّزنى بالبزّ والطُّرَف [٢] والأمتعة ؛ لعلّ الله يمكن من الزباء فتصيب[١] ثأرك ، تقتل عدوّك . فأعطاه حاجته ، وجهّزه بصنوف الثياب وغيرِها ، فرجع بذلك كله إلى الزبّاء ؛ فعرضه عليها ، فأعجبها ما رأتْ ، وسرّها ما أتاها به ، وازدادت به ثقة ، وإليه طمأنينة ؛ ثم جهّزته بعدِ ذلك بأكثر مما جهّزته فى المرة الأولى ، فسار حتّى قدِم العراق ، ولقِى عمرو بن عدى ، وحمل من عنده ما ظنّ أنه موافق للزبّاء ؛ ولم يترك جَهْداً ، ولم يدع طُرْفةً ولا متاعًا قدر عليه إلا حَمله إليها . ثم عاد الثالثة إلى العراق فأخبر عمرًا الخبر ، وقال : اجمع لى ثقات أصحابك وجندك ، وهيِّئْ لهم الغرائر والمسوح — قال ابن الكلبىّ : وقصير أول من عمل الغرائر — واحمِلْ كلّ رجليْن على بعير فى غرارتين ، واجعلْ معقد رءوس الغرائر من باطنها ، فإذا دخلوا مدينة الزّباء أقمتك على باب نفقها ، وخرجت الرجال من الغرائر ، فصاحوا بأهل المدينة[٣] فمن قاتلهم قتلوه ، وإن أقبلت الزبّاء تريد النفق جلّلْتَها بالسيف .

١/٧٦٥

ففعل عمرو بن عدىّ ، وحمل الرجال فى الغرائر على ما وصفَ له قصير ، ثم وجّه الإبل إلى الزبّاء عليها الرجال وأسلحتُهم ، فلما كانوا قريباً من مدينتها ، تقدّم قصير إليها ، فبشّرها وأعلمها كثرةَ ما حمل إليها من الثياب والطرائف ، وسألها أن تخرج فتنظر إلى قطرات تلك الإبل ، وما عليها من الأحمال ؛ فإنى

(١) ح : « فتدرك » . (٢) ح : « والطرائف » .
(٣) ح : « يا أهل المدينة » .

جئت بما صاء وصمت فذهبت مثلا . وقال ابن الكلبي : وكان قصير يكمُن النهار[1] ويسير الليل وهو أول من كمن النهار وسار الليل . فخرجت الزباء فأبصرت الإبل تكاد قوائمها تسوخ فى الأرض من ثقل أحمالها، فقالت : يا قصير :

مَا لِلْجِمَالِ مَشْيُهَا وَئِيدَا ! أَجَنْدَلًا يَحْمِلْنَ أَمْ حَدِيدَا ! ٧٦٦/١
أَمْ صَرَفَانًا بَارِداً شَدِيدَا !

فدخلت الإبل المدينة ، حتى كان آخرها بعيراً مرّ على بواب المدينة وهو نَبَطيّ بيده منخَسة، فنخس بها الغرائر التى تليه ، فتصيب خاصرةَ الرجل الذى فيها ، فضرط . فقال البواب بالنَّبطية « بشتابسقا »[2] يعنى بقوله : « بشتابسقا »: فى الجوالق شرّ وأرعب[3] قلبًا ؛ فذهبت مثلاً ، فلما توسطت الإبل المدينة أنيختْ ، ودلّ قصير عمرا على باب النفق قبل ذلك ، وأراه إياه ، وخرجت الرجال من الغرائر ، وصاحوا : بأهل المدينة ! ووضعوا فيهم السلاح ، وقام عمرو بن عدىّ على باب النفق ، وأقبلت الزبّاء مولية مبادرة تريد النفق لتدخله ، وأبصرت عمرا قائمًا ، فعرفته بالصورة التى كان صوّرها لها المصوّر فمصّت خاتمها ، وكان فيها سمّ — وقالت : « بيدى لا بيدك يا عمرو » ، فذهبت مثلا ، وتلقّاها عمرو بن عدىّ، فجلّلها بالسيف فقتلها ، وأصاب ما أصاب من أهل المدينة ، وانكفأ راجعًا إلى العراق ، فقال عدىّ بن زيد فى أمر جذيمة وقصير والزبّاء وقتل عمرو بن عدىّ إياها قصيدته :

أَبُدِّلَتِ الْمَنَـــازِلُ أَمْ عُفِينَا تَقَادَمَ عَهْدُهَا أَمْ قَدْ بَلِينَا

إلى آخرها .

وقال المخبّل ، وهو ربيعة بن عوف السعدىّ :

يَا عَمْرُو إِنِّى قَدْ هَوِيتُ جِمَاعَكُمْ وَلِكُلِّ مَنْ يَهْوَى الْجِمَاعَ فِرَاقُ

(١) ح : « بالنهار » .
(٢) ت ، ح : « بستا » .
(٣) ت ، س : « وراعب » .

بَلْ كَمْ رَأَيْتُ الدَّهْرَ زَايَلَ بَيْنَهُ ... مَنْ لَا يُزَايِلُ بَيْنَهُ الْأَخْلَاقُ
طَابَتْ بِهِ الزَّبَّاء وَقَدْ جَعَلَتْ لَهَا ... دُوراً وَمَشْرَبَةً لَهَا أَنْفَاقُ[1]
حَمَلَتْ لَهَا عَمْرًا وَلَا بِخُشُونَةٍ ... مِنْ آلِ دُومَةَ رَسْلَةً مِعْنَاق
حَتَّى تَفَرَّعَهَا بِأَبْيَضَ صَارِمٍ ... عَضْبٍ يَلُوحُ كَأَنَّهُ مِخْرَاقُ[2]
وَأَبُو حُذَيْفَةَ يَوْمَ ضَاقَ بِجَمْعِهِ ... شِعْبُ الْغَبِيطِ فحومةٌ فَأُفَاقُ
وَلَهُ معدٌّ وَالْعِبَادُ وَطَيِّئٌ ... وَمِنَ الْجُنُودِ كَتَائِبٌ وَرِفَاقُ
يَهَبُ النَّجَائِبَ وَالنَّزَائِعَ حَوْلَهُ ... جُرْداً كَأَنَّ مُتُونَهَا الْأَطْلَاقُ[3]
فَأَتَتْ عَلَيْهِ سَاعَةٌ مَا إِنْ لَهُ ... مِمَّا أَفَاءَ وَلَا أَفَادَ عَتَاقُ
فَكَأَنَّ ذَلِكَ يَوْمَ حُمَّ قَضَاؤُهُ ... رَفْدُ أُمِيلَ إِنَاؤُهُ مُهَرَاقُ

وقال بعض شعراء العرب :

نَحْنُ قَتَلْنَا فَقْحَلًا وابن راعنٍ ... وَنَحْنُ خَتَنَّا نَبْتَ زَبًّا بِمِنْجَلِ[4]
فَلَمَّا أَتَتْهَا الْعِيرُ قَالَتْ أَبَارِدٌ ... مِنَ التَّمْرِ هٰذَا أَمْ حَدِيدٍ وَجَنْدَلِ

١/٧٦٨ وقال عبد باجر[5]— واسمه بهرا من العرب العاربة ؛ وهم عشرة أحياء: عاد ، وثمود ، والعماليق ، وطسم ، وجديس ، وأميم[6] ، والمود[7] ، وجرهم ، ويقطن ، والسلف قال : والسلف دخل فى حمير— :

---

(١) ح : « طلبت » .

(٢) س : « تقرعها » .

(٣) النزائع : جمع نزيعة ؛ وهى الناقة تنزع إلى وطنها ، والأطلاق : جمع طلق ، وهو الحبل ؛ وفى ط : « البرائع » ، وما أثبته من س .

(٤) ط : « ختينا » ، وما أثبته من ت .

(٥) ت : « ناجر » .

(٦) قال السهيلى : « يقال : بفتح الهمزة وكسر الميم وبضم الهمزة وفتح الميم ؛ وهو أكثر ؛ ووجدت بخط بعض المشاهير : « أميّم » بتشديد الميم » .

(٧) س : « والنود » .

لا رَكِبَتْ رِجْلُكِ مِنْ بَيْنِ الذُّلِى ... لَقَدْ رَكِبْتِ مَرْكَبًا غَيْرَ الْوَطِى

عَلَى العَرَاقِي بِصَفًا مِنَ الطَّوِى[1] ... إنْ كُنْتِ غَضْبَى فَاغْضَبِى عَلَى الرَّكِى

• وَعَاتِبِى القَيِّمَ عَمْرَو بْنَ عَدِى •

فصار الملك بعد جَذِيمة لابن أخته عمرو بن عدىّ بن نصر بن ربيعة بن الحارث بن مالك بن عمرو بن نُمارة بن لخم، وهو أوّلُ من اتخذ الحيرة منزلاً من ملوك العرب ، وأول مَنْ مجّده أهلُ الحيرة فى كتبهم من ملوك العرب بالعراق ، وإليه ينسبون ؛ وهم ملوك آل نصر ، فلم يزل عمرو بن عدىّ ملِكًا حتّى مات وهو ابن مائة وعشرين سنة ، منفرداً بملكه ، مستبداً بأمره ، يغزو المغازىَ ويصيب الغنائم، وتفد عليه الوفود دهرَه الأطول ؛ لا يدين لملوك الطوائف بالعراق ، ولا يدينون له ؛ حتّى قدم أردشير بن بابك فى أهل فارس . ١/٧٦٩

* * *

وإنما ذكرنا فى هذا الموضع ما ذكرنا من أمر جَذيمة وابن أخته عمرو بن عدىّ لما كنا قدمنا من ذكر ملوك اليمن ؛ أنّه لم يكن لملكهم نظام ، وأنّ الرئيس منهم إنما كان ملكًا على مخلافه ومحجره ، لا يجاوز ذلك ؛ فإن نزع منهم نازع ، أو نبغ منهم نابغ[2] فتجاوز ذلك ــ وإن بعدت مسافة سيره من مخلافه ــ فإنما ذلك منه عن غير ملك له موطّد، ولا لآبائه ؛ ولا لأبنائه ، ولكن كالذى يكون من بعض من يشرُد من المتلصّصة ، فيُغير على الناحية باستغفاله أهلها ، فإذا قصده الطلب لم يكن له ثبات ؛ فكذلك كان أمر ملوك اليمن ؛ كان الواحد منهم بعد الواحد يخرج عن مخلافه ومحجره أحيانًا فيصيب مما يمرّ به ثم يتشمّر[3] عند خوف الطلب ، راجعًا إلى موضعه ومخلافه ، من غير أن يدين له أحد من غير أهل مخلافه بالطاعة ، أو يؤدّى إليه خرْجاً ؛ حتّى كان عمرو

(١) ت : « الوطى » .

(٢) ح : « تابع » .

(٣) ح : « يشمر » .

ابن عدىّ الذى ذكرنا أمره، وهو ابن أخت جَذِيمة الذى اقتصصنا خبره ، فإنه اتّصل له ولعقبه ولأسبابه الملك على ما كان بنواحى العراق وبادية الحجاز من العرب باستعمال ملوك فارس إياهم على ذلك ، واستكفائهم أمرَ مَنْ وليَهم من العرب؛ إلى أن قَتَل أبرويز بن هرمز النعمانَ بن المنذر ، ونقل ما كانت ملوك فارس يجعلونه إليهم إلى غيرهم ، فذكرنا ما ذكرنا من أمر جَذيمة وعمرو ابن عدىّ من أجل ذلك؛ إذ كنّا نريد أن نسوق تمام التاريخ على مُلْك ملوك فارس ، ونستشهد على صحة ما رُوِى من أمرهم بما وجدنا إلى الاستشهاد به عليها سبيلاً . وكان أمرُ آل نصر بن ربيعة ومَنْ كان من ولاة ملوك الفرس وعمّالهم على ثغر العرب الذين هم ببادية العراق عند أهل الحيرة متعالَمًا مثبَتًا عندهم فى كنائسهم وأسفارهم .

١/٧٧٠

وقد حُدّثت عن هشام بن محمد الكلبىّ أنه قال : إنى كنت أستخرج أخبارَ العرب وأنساب آل نصر بن ربيعة ، ومبالغَ أعمار مَنْ عمل منهم لآل كسرى وتاريخ سنيهم من بِيَع الحيرة ، وفيها ملكهم وأمورهم كلّها .

فأما ابن حميد، فإنه حدثنا فى أمر ولد نصر بن ربيعة ومصيرهم إلى أرض العراق غيرَ الذى ذكره هشام ؛ والذى حدّثنا به من ذلك عن سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن بعض أهل العلم : أنّ ربيعة بن نصر اللخمىّ رأى رؤيا نذكرها بعدُ — عند ذكر أمر الحبشة، وغلَبتهم على اليمن وتعبير سَطيح وشِقّ وجوابهما عن رؤياه — ثم ذكَر فى خبره ذلك أن ربيعة بن نصر لما فرغ من مسألة سطيح وشَقّ وجوابهما إياه ، وقع فى نفسه أنّ الذى قالا له كائن من أمر الحبشة ؛ فجهز بنيه وأهل بيته إلى العراق بما يُصلحهم ، وكتب لهم إلى مَلِك من ملوك فارس يقال له سابور بن خرّزاذ ، فأسكنهم الحيرة . قال : فمن بقيّة ربيعة ابنِ نصر كان النعمان ملك حيرة، وهو النعمان بن المنذر بن النعمان بن المنذر ابن عمرو بن عدىّ بن ربيعة بن نصر . ذلك الملك فى نسب أهل اليمن وعلمهم .

١/٧٧١

* * *

[ذكر طسم وجديس]

قال أبو جعفر : ونذكر الآن أمر طسم وجديس إذ كان أمرهم أيضًا كان فى أيام ملوك الطوائف ، وأنّ فناء جَديس كان على يد حسان بن تُبَّع ، إذ كنّا قدّمنا فيما مضى ذكر تبابعة حمير ،الذين كانوا على عهد ملوك فارس .

وحُدِّثت عن هشام بن محمد . وحدّثنا ابن حميد، قال : حدّثنا سلمة، عن ابن إسحاق وغيرهما من علماء العرب ، أن طَسْما وجديسًا كانوا من ساكنى اليمامة ؛ وهى إذ ذاك مِنْ أخصب البلاد وأعمرها وأكثرها خيراً ، لهم فيها صنوف الثمار ومعجبات الحدائق والقصور الشامخة ، وكان عليهم مَلِك من طَسْم ظلوم غشوم، لا ينهاه شىء عن هواه ، يقال له عملوق، مُضرًّا بجديس، مستذلاًّ لهم ، .

وكان ممّا لقوا من ظُلمه واستذلاله ؛ أنه أمرَ بألاّ تُهْدَى بكْر من جَديس إلى زوجها حتى تدخلَ عليه فيفترعَها ، فقال رجل من جَديس ، يقال له الأسود بن غِفار لرؤساء قومه : قد ترَوْنَ ما نحن فيه من العار والذلّ الذى ينبغى للكلاب أن تعافه وتمتعض منه ؛ فأطيعونى فإنى أدعوكم إلى عزّ الدهر ، ١ / ٧٧٢ ونفى الذّل . قالوا : وما ذاك ؟ قال : إنى صانع للملك ولقومه طعامًا ، فإذا جاءوا نهضنا اليهم بأسيافنا وانفردتُ به فقتلته ، وأجْهَز كلّ رجل منكم على جليسه ، فأجابوه[1] إلى ذلك ، وأجمع رأيهم عليه فأعدّ طعامًا ، وأمر قومه فانتضوْا سيوفهم ودفنوها فى الرمل ، وقال : إذا أتاكم القوم يرفُلون فى حُلَلهم ، فخذوا سيوفَهم ، ثم شدّوا عليهم قبل أن يأخذوا مجالسهم ، ثم اقتلوا الرؤساء ؛ فإنكم إذا قتلتموهم لم تكن السفلة شيئًا ؛ وحضر الملك فقُتل وقتل الرؤساء ، فشدُّوا على العامة منهم ، فأفنوْهم ، فهرب رجل من طَسْم يقال له رياح[2] بن مرّة ، حتى أتى حسّان بن تُبع ، فاستغاث به ، فخرج حسان فى حِمْير ،

---

(١) ح : « فأجابوا » .

(٢) ابن خلدون وياقوت : « رباح » .

فلما كان من اليمامة على ثلاث ، قال له رياح : أبيت اللعن ! إن لى أختًا متزوّجة فى جَديس ، يقال لها : اليمامة ، ليس على وجه الأرض أبصرُ منها ، إنها لَتبصِرُ الراكب من مسيرة ثلاث ، وإنى أخاف أن تنذر القوم بك ، فمُرْ أصحابَك ، فليقطعْ كلٌّ رجل منهم شجرة فليجعلها أمامه ويسير وهى فى يده ، فأمرهم حسان بذلك ، ففعلوا ، ثم سار فنظرت اليمامة ، فأبصرتهم ، فقالت لجديس : لقد سارت حِمْير . فقالوا : وما الذى ترين ؟ قالت : أرى رجلا فى شجرة ، معه كَتِف يتعرّقها[1] ، أو نعل يخصفها . فكذّبوها ؛ وكان ذلك كما قالتْ ، وصبّحهم حسان فأبادهم وأخرب بلادهم وهدّم قصورهم وحصونهم .

٧٧٣/١ وكانت اليمامة تسمّى إذ ذاك جوًّا والقرية ؛ وأُتى حسان باليمامة ابنة مرّة ، فأمر بها ففقئت عيناها ؛ فإذا فيها عروق سود ، فقال لها : ما هذا السواد فى عروق عينيك ؟ قالت : حُجَير أسود يقال له الإثمد ، كنت أكتحل به . وكانت فيما ذكروا أوّلَ من اكتحل بالإثمد ، فأمر حسان بأن تسمّى جو اليمامة[2] .

وقد قالت الشعراء من العرب فى حسان ومسيره هذا ، فمن ذلك قول الأعشى[3] :

كونى كَمِثْلِ الَّذِى إذْ غَابَ وَافِدُهَا ... أَهْدَتْ لَهُ مِنْ بَعِيدٍ نَظْرَةً جَزَعَا

مَا نَظَرَتْ ذَاتُ أَشْفَارٍ كَنَظْرَتِهَا ... حَقًّا كَمَا صَدَقَ الذِّئْبِىُّ إذْ سَجَعَا[4]

إذْ قَلَّبَتْ مُقْلَةً لَيْسَتْ بِمُقْرِفَةٍ ... إذْ يَرْفَعُ الآلُ رَأْسَ الكَلْبِ فَارْتَفَعَا[5]

(١) يتعرقها : يأخذ ما عليها من اللحم بأسنانه نهشاً .

(٢) انظر القصة فى شرح ديوان الأعشى ٧٤ .

(٣) ديوانه ٧٢ — ٧٤ ؛ من قصيدة مطلعها :

بَانَتْ سُعَادُ وأمْسَى حبلها انقَطَعَا ... واحتلَّتِ الغَمْرَ فالْجدَّيْنِ فالفَرَعا

(٤) الذئبى : أحد الكهنة .

(٥) الديوان :

* إذْ نَظَرَتْ نَظْرَةً لَيْسَتْ بِكَاذِبَةٍ *

ورأس الكلب : جبل باليمامة .

قَالَتْ أَرَى رَجُلًا فِي كَفِّهِ كَتِفٌ ... أَوْ يَخْصِفُ النَّعْلَ، لَهْفَى أَيَّةً صَنَعَا!
فَكَذَّبُوهَا بِمَا قَالَتْ فَصَبَّحَهُمْ ... ذُو آلِ حَسَّانَ يُزْجِي المَوْتَ وَالشَّرَعَا
فَاسْتَنْزَلُوا أَهْلَ جَوٍّ مِنْ مَسَاكِنِهِمْ ... وَهَدَّمُوا شَاخِصَ الْبُنْيَانِ فَاتَّضَعَا ١/٧٧٤

ومن ذلك قول النمر بن تولب العُكْلىّ :

هَلَّا سَأَلْتَ بِعَادِيَاءِ وَبَيْتِهِ ... وَالخَلِّ وَالْخَمْرِ الَّتِي لَمْ تُمْنَعِ[1]
وَفَتَاتِهِمْ عَنْزٍ عَشِيَّةَ آنَسَتْ ... مِنْ بَعْدِ مَرْأًى فِي الْفَضَاءِ وَمَسْمَعِ
قَالَتْ أَرَى رَجُلًا يُقَلِّبُ كَفَّهُ ... أَصْلًا وَجَوٌّ آمِنٌ لَمْ يَفْزَعِ[2]
وَرَأَتْ مُقَدَّمَةَ الْخَمِيسِ وَقَبْلَهُ ... رَقْصَ الرِّكَابِ[3] إِلَى الصِّيَاحِ بِتُبَّعِ
فَكَأَنَّ صَالِحَ أَهْلِ جَوٍّ غُدْوَةً ... صُبِحُوا بِذَيْفَانِ السِّمَامِ الْمُنْقَعِ
كَانُوا كَأَنْعَمِ مَنْ رَأَيْتَ فَأَصْبَحُوا ... يَلْوُونَ زَادَ الرَّاكِبِ الْمُتَمَتِّعِ
قَالَتْ يَمَامَةُ احْمِلُونِي قَائِمًا[4] ... إِنْ تَبْعَثُوهُ بَارِكًا بِي أُصْرَعِ

وحسان بن تُبّع ، الذى أوقع بجديس ، هو ذو معاهر ، وهو تُبّع بن تُبّع تُبان أسعد أبى كرب بن ملكيكرب بن تبّع بن أقرن ؛ وهو أبو تبّع بن حسان الذى يزعم أهل اليمن أنه قدِم مكة ، وكسا الكعبة ، وأن الشّعب من المطابخ إنما سمى هذا[5] الاسم لنصبه المطابخ فى ذلك الموضع وإطعامه الناسَ ؛ وأنّ أجياداً إنما سمى أجياداً ، لأنّ خيله كانت هنالك ؛ وأنه قدم يثرب فنزل منزلا يقال له منزل الملك اليوم ، وقَتَل من اليهود مقتلة عظيمة بسبب شكاية مَنْ شكاهم إليه من الأوس والخزرج بسوء الجوار، وأنه وجّه ابنه حسان إلى السِّند ١/٧٧٥

---

(١) ذكر ابن بدرون فى شرح الرائية ٦٨ من هذه الأبيات البيتان : الثانى والثالث .

(٢) ابن بدرون :

أَرَى رَجُلًا يُقَلِّبُ نَعْلَهُ ... تَقْلِيبَ ذِى وَصْلٍ لَهُ وَمُشَسَّعُ

(٣) ابن بدرون : « ركض الجياد » .

(٤) ح : « إنما » .

(٥) ت : « بهذا » .

وسمِرا ذا الجناح إلى خراسان، وأمرهما أن يستبقا إلى الصين، فمرّ سمِر بسمرْقَند فأقام عليها حتّى افتتحها، وقتل مقاتلتها، وسبى وحوى ما فيها ونفذ إلى الصين، فوافى حسّان بها، فمن أهل اليمن مَنْ يزعم أنهما ماتا هنالك، ومنهم مَنْ يزعم أنهما انصرفا إلى تبّع بالأموال والغنائم.

* * *

ومما كان فى أيام ملوك الطوائف ما ذكره الله عزّ وجلّ فى كتابه من أمر الفتية الذين أووا إلى الكهف فضُرِب على آذانهم.

تمّ الجزء الأول من تاريخ الطبرى، ويليه الجزء الثانى

وأوله: ذكر الخبر عن أصحاب الكهف

فهرس الموضوعات

صفحة

صفحة

صفحة

رقم الإيداع	١٩٩٠ / ٣٥٨٧
الترقيم الدولى	ISBN 977 - 02 - 2939 - 3

١ / ٩٠ / ٤٢

طبع بمطابع دار المعارف (ج.م.ع.)

